حياة الحيوان الكبرى

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

ويليه

عجائب المخلوقات

وغرائب الموجودات

للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني

٦٠٠ - ٦٨٢ هـ

الجزء الثاني

انتشارات ناصر خسرو

طهران - ايران

BOBST LIBRARY
3 1142 01272 0002

Provided by the
Library of Congress
PL 480 Program.

BF-3744

(29)

DATE DUE

IR-

V,2

Damīrī, Muḥammad ibn Mūsá
/Ḥayāt al-ḥayawān al-kubrá/

حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين محمد بن موسى الدميري

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

ويليه :

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للعلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني

(٦٠٠ — ٦٨٢ هـ)

الجزء الثاني

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

QL
41
.D3
1985
V.2
C.1

الجزء الثانی ۴۴۸ صفحة + کتاب عجائب المخلوقات ۳۱۹ صفحة

الکتاب حیوة الحیوان الکبری

المؤلّف کمال الدین محمّد بن موسی الدمیری

الناشر منشورات الرضی قم ـ منشورات ناصرخسرو طهران

الجزء الثانی ۷۶۸ صفحة ۰ وزیری

سنة الطبع ۱۳۶۴ هـ ـ ش

عدد النسخ ۱۰۰۰

الطبعة الثانیة

المطبعة مطبعة أمیر ـ قم

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الظاء المعجمة

﴿الظبى﴾ : الغزال ، والجمع أظب وظباء وظبى والأنثى ظبية والجمع ظبيات بالتحريك وظباء ، وأرض مظباة أى كثيرة الظباء ، وظبية اسم امرأة تخرج قبل الدجال تنذر المسلمين به قاله ابن سيده . قال الكرخى : الظباء ذكور الغزلان والأنثى الغزال . قال الإمام : وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه . قال الإمام النووى : الذى قاله الإمام هو المعتمد . وقول صاحب التنبيه : فإن أتلف ظبيا ماخضا ، قال النووى : صوابه ظبية ماخضا لأن الماخض الحامل ولا يقال فى الأنثى إلا ظبية والذكر ظبى ، وجمعت الظبية على ظباء كزكوة وركاء لأن ما كان على فعلة بفتح أوله من المعتل فجمعه ممدود ، ولم يخالف هذا إلا القرية فإنها جمعت على قرى على غير قياس فجاء مخالفا للباب فلا يقاس عليه . قاله الجوهرى . وتكنى الظبية : أم الخشف وأم شادن وأم الطلا ، والظباء مختلفة الألوان وهى ثلاثة أصناف : صنف يقال له الآرام وهى ظباء بيض خالصة البياض الواحد منها ريم ، ومساكنها الرمال ، ويقال إنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوما وشحوما . وصنف يسمى العفر وألوانها حمر وهى قصار الأعناق وهى أضعف الظباء عدوا تألف المواضع المرتفعة من الأرض والأماكن الصلبة قال الكميت :

وكنا إذا جبار قوم أرادنا ... بكيد حملناه على قرن أعفرا

يعنى نقتله ونحمل رأسه على السنان وكانت الأسنة فيما مضى من القرون ، وصنف يسمى الأدم طوال الأعناق والقوائم بيض البطون ، وتوصف الظباء بحدة البصر وهى أشد الحيوان نفورا . ومن كيس الظبى أنه إذا أراد أن يدخل كناسه يدخل مستدبرا ويستقبل بعينيه مايخافه على نفسه وخشفانه ، فإن رأى أن أحدا أبصره حين دخوله لايدخل وإلا دخل ، ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاق . قال ابن قتيبة : ولد الظبية أول سنة طلا بفتح الطاء وخشف بكسر الخاء المعجمة ، ثم فى السنة الثانية جذع ، ثم فى الثالثة ثنى ثم لايزال ثنيا حتى يموت .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة جعفر الصادق أنه سأل أبا حنيفة رضى الله تعالى عنهما ماتقول فى محرم كسر رباعية ظبى ؟ فقال : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعلم مافيه ، فقال : إن الظبى لايكون رباعيا وهو ثنى أبدا كذا حكاه كشاجم فى كتاب المصايد والمطارد وقال الجوهرى فى مادة س ن ن فى قول الشاعر فى وصف الإبل :

فجاءت كسن الظبى لم أر مثلها شفاء عليل أو حلوبة جائع

أى هى ثنيات لأن الثنى هو الذى يلقى ثنيته والظبى لاتثبت له ثنية قط فهو ثنى أبدا . وقال ابن شبرمة : دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق فقلت : هذا رجل فقيه من العراق ، فقال : لعله الذى يقيس الدين برأيه أهو النعمان بن ثابت ؟ قال : ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم ؟ فقال له أبو حنيفة : نعم أنا ذلك أصلحك الله ، فقال له جعفر : اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ — قال أنا خير منه — فأخطأ بقياسه فضل ، ثم قال له : أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ قال : لا . قال جعفر : فأخبرنى لم جعل الله الملوحة فى العينين والمرارة فى الأذنين والماء فى المنخرين والعذوبة فى الشفتين لأى شىء جعل الله ذلك؟ قال : لا أدرى . قال جعفر : إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيهما منا منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة فى الأذنين منا منه عليه ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه ، وجعل الماء فى المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة ، وجعل العذوبة فى الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم والمشرب . ثم قال لأبى حنيفة : أخبرنى عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ؟ قال : لاأدرى . قال جعفر : هى كلمة لاإله إلا الله فلو قال لاإله ثم سكت كان شركا ، ثم قال : ويحك أيما أعظم عند الله إثما قتل النفس التى حرم الله بغير حق أو الزنا ؟ قال : بل قتل النفس . قال جعفر : إن الله تعالى قد قبل فى قتل النفس شهادة شاهدين ولم يقبل فى الزنا إلا شهادة أربعة فأنى يقوم لك القياس ؟ ثم قال : أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ اتق الله ياعبد الله ولا تقس الدين برأيك فإنا نقف غدا ومن خالفنا بين يدى الله فنقول : قال الله وقال رسول الله ، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء .

والجواب فى أن الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلبا للستر ، وفى أن الحائض لا تقضى الصلاة دفعا للمشقة لأن الصلاة متكررة فى اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه فى السنة مرة والله أعلم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وجعفر أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب

الإمامية من سادات أهل البيت، ولقب الصادق لصدقه فى مقالته، وله مقال فى صنعة الكيمياء والزجر والفأل .

وتقدم فى باب الجيم فى الجفرة عن ابن قتيبة أنه قال فى كتابه [أدب الكاتب] : إن كتاب الجفر جلد جفرة كتب فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت كل مايحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، وكذا حكاه ابن خلكان عنه أيضا، وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو وهم، والصواب أن الذى وضعه جعفر الصادق كما تقدم .

وأوصى جعفر ابنه موسى الكاظم فقال : يا بنى احفظ وصيتى تعش سعيدا وتمت شهيدا ، يا بنى إن من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما فى يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره ، يا بنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يابنى قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال ، يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه. وروى أنه قيل لجعفر الصادق ، ما بال الناس فى الغلاء يزداد جوعهم بخلاف العادة فى الرخص ؟ فقال : لأنهم خلقوا من الأرض وهم بنوها فإذا أقحطت أقحطوا وإذا أخصبت أخصبوا .

ولد جعفر رحمة الله تعالى عليه سنة ثمانين من الهجرة ، وقيل سنة ثلاث وثمانين، وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة ، وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر هو وأصحابه وهم محرمون بظبى حاقف فى ظل شجرة فقال يا فلان لأحد أصحابه : قف ها هنا حتى يمر الناس لا يريبه أحد بشىء » أى لا يتعرض له . وفى المستدرك عن قبيصة بن جابر الأسدى قال : كنت محرما فرأيت ظبيا فرميته فأصبته فمات فوقع فى نفسى من ذلك شىء ، فأتيت عمر أسأله فوجدت إلى جنبه رجلا أبيض رقيق الوجه وإذا هو عبد الرحمن بن عوف ، فسألت عمر فالتفت إلى عبد الرحمن فقال : ترى شاة تكفيه ؟ قال : نعم ، فأمرنى أن أذبح شاة ، فلما قمنا من عنده قال صاحب لى : إن أمير المؤمنين لم يحسن أن يفتيك حتى سأل الرجل فسمع عمر بعض كلامه فعلاه بالدرة ضربا ثم أقبل على ليضربنى فقلت : يا أمير المؤمنين إنى لم أقل شيئا إنما هو قاله ، فتركنى ثم قال : أردت أن تفعل الحرام وتتعدى فى الفتيا ، ثم قال إن فى الإنسان عشرة أخلاق : تسعة حسنة وواحد سيىء فيفسدها ذلك السيىء ، ثم قال : إياك وعثرات اللسان .

وحكى المبرد عن الأصمعى أنه قال : حدثت أن رجلا نظر إلى ظبية ترد الماء ، فقال له أعرابى : أتحب أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطنى أربعة دراهم حتى أردها إليك فأعطاه فخرج يمحص فى أثرها فجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فأعطاه إياها وهو يقول :

وهى على البعد تلوى خدها تزيغ شدى وأزيغ شدها
كيف ترى عدوى غلام ردها وكلما جدت ترانى عندها

وذكر ابن خلكان : أن كثير عزة دخل يوما على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : هل رأيت أحدا أعشق منك ؟ قال : نعم ، بينا أنا أسير فى فلاة إذا أنا برجل قد نصب حبالة وهو جالس ، فقلت له : ما أجلسك ها هنا ؟ فقال : أهلكنى وقومى الجوع فنصبت حبالتى هذه لأصيب لهم شيئا ولنفسى ، فقلت : أرأيت إن أقمت معك أتجعل لى جزءا من صيدك ؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية فى الحبالة فبدرنى إليها فحلها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على ذلك ؟ قال : رق قلبى بها لشبهها بليلى ، وأنشد يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعى فإننى لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى ما حييت طليق

وفى كتاب [ثمار القلوب] للثعالبى فى الباب الثالث عشر منه : أن الملك بهرام جور لم يكن فى العجم أرمى منه ، ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية : فى أى موضع تريدين أن أضع السهم من هذه الظباء ؟ فقالت : أريد أن تشبه ذكرانها بإناثها وإناثها بذكرانها ، فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ، ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ، ثم سألته أن يجمع ظلف الظبى وأذنه بنشابة واحدة ، فرمى أصل أذن الظبى ببندقة فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه لها فرمى بها إلى الأرض وأوطأها الجمل بسبب ما اشتطت عليه وقال : ما أرادت إلا إظهار عجزى ، فلم تلبث إلا يسيرا وماتت .

(فصل) يلتحق بهذا النوع غزال المسك ولونه أسود ويشبه ما تقدم فى القد ودقة القوائم وافتراق الأظلاف غير أن لكل منهما نابين أبيضين خفيفين خارجين من فيه فى فكه الأسفل قائمين فى وجهه كناب الخنزير كل واحد منهما دون الفتر ، ويقال إنه يسافر من التبت إلى الهند فيلقى ذلك المسك هناك فيكون رديئا ، وحقيقة ذلك المسك دم يجتمع فى سرتها فى وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التى تنصب إلى الأعضاء وهذه السرة جعلها الله تعالى معادنا للمسك فهى تثمر كل سنة كالشجرة التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وإذا حصل ذلك الورم مرضت له الظباء إلى أن يتكامل ، ويقال إن أهل التبت يضربون لها أوتادا فى البرية

تحتك بها ليسقط عندها . وذكر القزوينى فى الأشكال : أن دابة المسك تخرج من الماء كالظباء تخرج فى وقت معلوم والناس يصيدون منها شيئا كثيرا فتذبح فيوجد فى سررها دم وهو المسك ولا يوجد له هناك رائحة حتى يحمل إلى غير ذلك الموضع من البلاد انتهى ، وهذا غريب — والمعروف ما تقدم . وفى مشكل الوسيط لابن الصلاح عن ابن عقيل البغدادى أن النافجة فى جوف الظبية كالأنفحة فى جوف الجدى ، وأنه سافر إلى بلاد المشرق حتى حمل هذه الدابة إلى بلاد المغرب لخلاف جرى فيها ، ونقل فى كتاب العطر له عن على بن مهدى الطبرى أحد أئمة أصحابنا أنها تلقيها من جوفها كما تلقى الدجاجة البيضة انتهى. قلت : والمشهور أنها ليست مودعة فى الظبية بل هى خارجة ملتحمة فى سرتها كما تقدم والله أعلم .

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كانت امرأة من بنى إسرائيل قصيرة تمشى مع امرأتين طويلتين فاتخذت رجلين من خشب وخاتما من ذهب وحشته مسكا والمسك أطيب الطيب ، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها فقالت بيدها هكذا ونفض شعبة يده » . قال النووى : دل الحديث على أن المسك أطيب الطيب وأفضله وأنه طاهر يجوز استعماله فى البدن والثوب ويجوز بيعه وهذا كله مجمع عليه . ونقل أصحابنا عن الشيعة فيه مذهبا باطلا وهم محجوجون باجماع المسلمين وبالأحاديث الصحيحة فى استعمال النبى صلى الله عليه وسلم واستعمال الصحابة رضى الله تعالى عنهم . قال أصحابنا وغيرهم : هو مستثنى من القاعدة المعروفة أن ما أبين من حى فهو ميتة . قال : وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب حتى مشت بين الطويلتين فلم تعرف ، فحكمه فى شرعنا أنها إن قصدت به مقصودا صحيحا شرعيا لتستر نفسها لئلا تعرف فتقصد بالأذى ونحو ذلك فلا بأس به ، وإن قصدت به التعاظم أو التشبه بالكاملات وتزويرا على الرجال وغيرهم فهو حرام .

(فائدة) روى الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أنس بن مالك والبيهقى فى شعبه عن أبى سعيد الخدرى قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسطاط فقالت : يا رسول الله إنى وضعت ولى خشفان فاستأذن لى أن أرضعهما ثم أعود إليهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : خلوا عنها حتى تأتى خشفيها ترضعهما وتأتى إليكم . قالوا : ومن لنا بذلك يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنا ، فأطلقوها فذهبت فأرضعتهما ثم عادت إليهم فأوثقوها ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتبيعونيها ؟ قالوا : هى لك يا رسول الله ، فخلوا عنها فأطلقها » وفى رواية عن زيد بن أرقم قال « لما أطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتها تسيح فى البرية وهى تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله » وروى الطبرانى عن أم سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحراء فإذا مناد ينادى يا رسول الله فالتفت فلم ير أحدا ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت : ادن منى

يا رسول الله ، فدنا منها فقال : ما حاجتك ؟ فقالت : إن لى خشفين فى هذا الجبل فحلنى حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : وتفعلين؟قالت : عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل ، فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها ، وانتبه الأعرابى فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال نعم تطلق هذه ، فأطلقها فخرجت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله » وفى دلائل النبوة للبيهقى عن أبى سعيد قال « مر النبى صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يارسول اللهحلنى حتى أذهب فأرضع خشفى ثم أرجع فتربطنى ، فقال صلى الله عليه وسلم : صيد قوم وربيطة قوم ، فأخذ عليها فحلفت له فحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما فى ضرعها ، فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى إلى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال صلى الله عليه وسلم : لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا أبدا» وفى ذلك يقول صالح الشافعى من قصيدة له :

وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة ... لها ولد خشف تخلف بالكدى

فنادت رسول الله والقوم حضر ... فأطلقها والقوم قد سمعوا الندا

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى العشراء بيتان آخران .

(الحكم) يحل أكلها بجميع أنواعها ، ووقع لجماعة من الأصحاب أنهم قالوا : يجب على المحرم فى قتل الظبى عنز ، كذا قاله الإمام وارتضاه الرافعى وصوبه النووى وهو وهم فإن الظبى ذكر والعنز أنثى فالصواب أن فى الظبى ثنيا ، وأما المسك فطاهر وكذا فأرته فى الأصح لكن شرط طهارتها انفصالها حال حياة الظبية . وقيد المحاملى فى كتاب اللباب المسك بالظبى فقال : والمسك من الظبى طاهر : أى المسك المأخوذ من الظبى احترز بذلك عن المسك التبتى المأخوذ من الفأرة الآتى ذكرها فى باب الفاء إن شاء الله تعالى وهو نجس ، ويستدل به على منع أكلها إذ لو كانت مأكولة لا لتحق مسكها بمسك الظبية ، والطبيون يسمون المسك التبتى المسك التركى وهو عندهم أجود المسك وأغلى ثمنا وينبغى التحرز من استعماله لنجاسته ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء ما قاله الجاحظ فى فأرة المسك : ونقل الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح عن القفال الشاشى : أن فأرة المسك يعنى النافجة تدبغ بما فيها من المسك فتطهر طهارة المدبوغات . وذكر بعض شراح غنية ابن سريح أن الشعر الذى على فأرة المسك يعنى المافجة نجس بلا خلاف لأن المسك يدبغ مالاقاه من الجلد المحاذى له فيطهر وما لم يلاقه من أطراف النافجة نجس . وهذا الذى قاله ظاهر إلا قوله إن شعرها نجس بلا خلاف فليس بظاهر لأن فى طهارة الشعر تبعا للجلد المدبوغ خلافا عندنا ، وهى رواية الربيع الجيزى عن الشافعى واختاره السبكى وغيره وصححه الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى والرويانى

وابن أبي عصرون وغيرهم كما تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السنجاب ، وذكر الأزرقى فى تعظيم صيد الحرم عن عبد العزيز بن أبى رواد : أن قوما انتهوا إلى ذى طوى ونزلوا بها فإذا ظبى من ظباء الحرم قددنا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه : ويلك أرسله ، فجعل يضحك وأبى أن يرسله ، فبعر الظبى وبال ثم أرسله فناموا فى القائلة فانتبه بعضهم فإذا هو بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبى ، فقال له أصحابه ويحك لا تتحرك فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبى ، ثم روى عن مجاهد قال : دخل مكة قوم تجار من الشأم فى الجاهلية بعد قصى بن كلاب فنزلوا بوادى طوى تحت سمرات يستظلون بها ، فاختبزوا على ملة لهم ولم يكن معهم أدم فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهما ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم وهى حولهم ترعى فقاموا إليها فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها ، فبينما هم كذلك وقدرهم على النار تغلى بها وبعضهم يشوى إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرات التى كانوا تحتها .

(الأمثال) قالوا : آمن من ظباء الحرم ، وقالوا : ترك الظبى ظله ، وهو كقولهم : أتركه ترك الغزال ظله . يضرب للرجل النفور ، وظله كناسه الذى يستظل به من شدة الحر وهو إذا نفر منه لا يعود إليه أبدا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين أيضا .

(الخواص) قال ابن وحشية : قرنه ينحت ويبخر به البيت يطرد الهوام ، ولسانه يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها ، ومرارته تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى فيأكله فينشأ ذكيا فصيحا حافظا ذلقا ، ومسكه يقوى البصر وينشف الرطوبات ويقوى القلب والدماغ ويجلو بياض العين وينفع من الخنقان وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث تصغير الوجه . ومن خواص المسك أن استعماله فى الطعام يورث البخر .

(فصل) المسك حار يابس وأجوده الصفدى المجلوب من تبت إلا أنه يضر بالأدمغة الحارة ودفع ضرره استعماله بالكافور ، وتوافق رائحته الأمزجة الباردة والشيوخ . قال الرازى : لحم الظبى حار يابس وهو أصلح لحوم الصيد ، وأجوده الخشف وهو نافع للقولنج والفالج والأبدان الكثيرة الفضول لكنه يجفف الأعضاء ، ويدفع ضرره الأدهان والحوامض وهو يولد دما حارا وأصلح ما أكل فى الشتاء .

(فائدة) نوافج التبتى نوع رقاق ، والجرجارى ضده فى الرقة والرائحة ، والقونوى متوسط بينهما ، والصنوبرى دون ذلك ، ويجلب فى قوارير منفرقا فى نوافجه ، وكلما بعد حيوانه عن البحر كان مسكه ألذ وأذكى .

(التعبير) الظبي فى المنام : امرأة حسناء عربية فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة أو يتزوج امرأة، ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية ومن رمى ظبية لغير الصيد فإنه يقذف امرأة ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد نال مالا من امرأة، ومن رأى أنه صاد ظبيا أصابته لذاذة فى الدنيا، ومن رأى أنه أخذ ظبيا نال ميراثا وخيرا كثيرا، ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة، ومن رأى ظبياً وثب عليه فإن امرأته تعصيه فى جميع أموره. وقال جاماسب : من رأى أنه يمشى فى أثر ظبى زادت قوته، ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها فهى أموال من قبل النساء.

(خاتمة) المسك فى المنام حبيب أو جارية، ومن حمل المسك من اللصوص فإنه يمسك لأن الرائحة الذكية تنمّ على صاحبها وحاملها وتفشى سره، ويدل أيضا على المال لأنه أكثر ثمنا من الذهب وغيره، ويدل على طيب عيش وخير طيب يرد على من شمه أو ملكه، ويدل على براءة المتهمين، وقيل هو ولد، وقيل هو امرأة، والله تعالى أعلم.

(فائدة) رأيت فى مختصر الإحياء للشيخ شرف الدين بن يونس شارح التنبيه فى باب الإخلاص : أن من أخلص لله تعالى فى العمل ولم ينوبه مقابلا ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة، كما قيل إنه لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به، فجاءته طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك، فلما رأى بواقيها ذلك قلن من أين هذا لكن؟ فقلن : زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقى إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر بهن من ذلك شىء، فقلن : قد فعلنا كما فعلتن فلم نر شيئا مما حصل لكن، فقيل أنتن كان عملكن لتنلن كما نال إخوانكن وأولئك كان عملهن لله من غير شىء فظهر ذلك فى نسلهن وعقبهن إلى يوم القيامة انتهى. وهذه من زياداته على الإحياء وقد تكلمنا على الإخلاص والرياء فى كتاب الجوهر الفريد فى الجزء الرابع فلينظر هناك.

﴿ الظربان ﴾ : بفتح الظاء المشالة مثل القطران : دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح كثيرة الفسو، وقد عرف الظربان ذلك من نفسه فجعل ذلك سلاحا له كما عرفت الحبارى مافى سلحها من السلاح إذا قرب الصقر منها، كذلك الظربان يقصد جحر الضب وفيه حسوله وبيضه فيأتى أضيق موضع فيه فيسده بذنبه ويحول دبره إليه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكله ثم يقيم فى جحره حتى يأتى على آخر حسوله، وتزعم الأعراب أنها تفسو فى ثوب أحدهم إذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب.

(فائدة) سأل أبو على الفارسى أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر وكان مكثرا من نقل اللغة كم لنا من الجمع على وزن فعلى ؟ فقال فى الحال : حجلى وظربى . قال أبو على : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال فلم أجد لهما ثالثا ، وقد تقدم هذا فى باب الحاء المهملة ، والظربان على قدر الهرة والكلب القلطى وهو منتن الريح ظاهرا وباطنا له صماخان بغير أذنين قصير اليدين وفيهما براثن حداد طويل الذنب ليس لظهره فقار ولا فيه مفصل بل عظم واحد من مفصل الرأس إلى مفصل الذنب ، وربما ظفر الناس به فيضربونه بالسيوف فلا تعمل فيه حتى تصيب طرف أنفه لأن جلده مثل القد فى الصلابة . ومن عادته أنه إذا رأى الثعبان دنا منه ووثب عليه فإذا أخذه تضاءل فى الطول حتى يبقى شبيها بقطعة حبل فينطوى الثعبان عليه فإذا انطوى عليه نفخ ثم زفر زفرة يتقطع منها الثعبان قطعا قطعا ، وله قوة فى تسلق الحيطان فى طلب الطير فإذا سقط نفخ بطنه فلا يضره السقوط ، ويتوسط الهجمة من الإبل فيفسو فيها فتتفرق تلك الإبل كتفرقها من مبرك فيه قردان فلا يردها الراعى إلا بجهد ولهذا سمته العرب منفرق النعم وهو كثير ببلاد العرب ، والهجمة مائة من الإبل .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستخباثه ، ولا يدفع ذلك قول ابن قتيبة العرب تصيد الظربان فيفسو فى أكمامهم لأنهم لايسمون صيدا إلا المأكول .

(الأمثال) قالوا : فسا بينهم الظربان إذا تقاطع القوم قال الشاعر :

ألا أبلغا قيسا وجندب أننى ضربت كثيرا مضرب الظربان

﴿ الظليم ﴾ : ذكر النعام ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون ، وكنيته : أبو البيض وأبو ثلاثين وأبو الصحارى ، وجمعه ظلمان كوليد وولدان . قال زهير :

* من الظلمان جؤجؤه هواء *

وقال تعالى — ويطوف عليهم ولدان مخلدون — ونظيرهما قضيب وقضبان وعريض وعرضان وفصيل وفصلان ، ذكر سيبويه هذه الألفاظ سوى الولدان وقال : إنه قليل . وحكى غيره : القرى وهو مجرى الماء والجمع قريان وسرى وسريان وصبى وصبيان وخصى وخصيان .

(خاتمة) يقال عار الظليم يعار عرارا بكسر العين المهملة وهو صوته . قال ابن خلكان وغيره : ومنه أخذ اسم عرار ، وهو عرار بن عمرو بن شاس الأسدى الذى قال فيه أبوه :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم
فإن عرارا إن يكن غير واضح فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم

وكان والده له امرأة من قومه وابنه عرار هذا كان من أمة ، وكان قد وقع بين عرار

وبين امرأة أبيه عداوة فاجتهد أبوه عمرو على أن يصلح بينه وبين امرأته فلم يمكنه فطلقها ثم ندم ، وكان عرار فصيحا عاقلا . توجه عن المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفى رسولا فى بعض المهمات ، فلما مثل بين يديه لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان عن فضل وأعرب إلى أن بلغ الغاية ، فأنشد الحجاج متمثلا :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم البيتين

فقال عرار : أيدك الله أنا عرار ، فأعجب به وبذلك الاتفاق . قلت : وهذه الحكاية نظير مارواه الدينورى فى المجالسة وقاله الحريرى فى الدرة : أن عبيد بن شرية الجرهمى عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبى سفيان بالشام وهو خليفة فقال له : حدثنى بأعجب مارأيت . قال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم ، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد حتى جرت لك أطلاقا محاضير
فلست تدرى وما يدرى أعاجلها أدنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبط إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور

قال : فقال لى رجل : أتعرف من يقول هذه الأبيات ؟ قلت : لا والله إلا أنى أرويها منذ زمان ، فقال : والذى تحلف به إن قائلها صاحبنا الذى دفناه آنفا الساعة ، وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولست تعرفه ، وهذا الذى خرج من قبره أمس الناس به رحما وهو أسرّهم بموته كما وصف ، فعجبت لما ذكره من شعره والذى صار إليه من قوله كأنه ينظر من مكانه إلى جنازته فقلت : إن البلاء موكل بالمنطق ، فذهبت مثلا ؛ فقال له معاوية : لقد رأيت عجبا فمن الميت ؟ قال : هو عثير بن لبيد العذرى .

باب العين المهملة

﴿ العاتق ﴾ : قال الجوهرى : هو فرخ الطائر فوق الناهض يقال أخذت فرخ قطاة عاتقا وذلك إذا طار واستقل . قال أبو عبيدة : نرى أنه من السبق كأنه يعتق أو يسبق اه . وقال ابن سيده : العاتق الناهض من فرخ القطا وهو أول ماينحسر ريشه الأول وينبت له ريش جديد ، وقيل العاتق من الحمام مالم يسن ويستحكم والجمع عواتق ، والفرس العتيق

الرائع الكريم ، وامرأة عتيقة أى جميلة كريمة . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود « أنه كان يقول فى سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى » أراد بالعتاق جمع عتيق ، والعرب تسمى كل شىء بلغ الغاية فى الجودة عتيقا ، يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء وأخبار الأمم ، والتلاد ما كان قديما من المال ، يريد أنها من أوائل السور المنزلة فى أول الإسلام لأنها مكية وأنها من أول ماقرئ وحفظ من القرآن .

﴿ العاتك ﴾ : الفرس والجمع العواتك . قال الشاعر :

نتبعهم خيلا لنـا عواتـكا فى الحرب جردا تركب المهالـكا

(فائدة) روى عبد الباقى بن قانع فى معجمه والحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى من حديث سيانة بن عاصم وسيانة بسين مهملة ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف نون ثم هاء له صحبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين « أنا ابن العواتك من سليم » العواتك ثلاث نسوة من بنى سليم كن من أمهات النبى صلى الله عليه وسلم : إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان السلمية وهى أم عبد مناف بن قصى ، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج السلمية وهى أم هاشم بن عبد مناف ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص ابن مرة بن هلال السلمية وهى أم وهب أبى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم . فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة ، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة ، ولبنى سليم مفاخر أخرى : منها أنها آلفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : أى شهد معه منهم ألف ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لواءهم يومئذ على الألوية وكان أحمر ، ومنها أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام : أن ابعثوا إلىّ من كل بلد أفضله رجلا ، فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى ، وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمى ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى ، وبعث أهل مصر معن ابن يزيد السلمى ، كذا قاله جماعة ، والصواب أن بنى سليم كانوا يوم الفتح تسعمائة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « هل لكم فى رجل يعدل مائة فيوفيكم ألفا ؟ قالوا : نعم ، فوقاهم بالضحاك بن سفيان وكان رئيسهم » وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس غيلان .

﴿ عتاق الطير ﴾ : هى الجوارح ، قاله الجوهرى .

﴿ العتلة ﴾ : هى الناقة التى لاتلقح فهى أبدا قوية ، قاله أبو نصر ، وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الناقة فى باب النون .

﴿ العاضة والعاضهة ﴾ : حية يموت الذى تلسعه من ساعته ، وقد تقدم لفظ الحية فى باب الحاء المهملة .

﴿ العاسل ﴾ : الذئب والجمع العسل والعواسل والأنثى عسلى ، وقد تقدم لفظ الذئب فى باب الذال المعجمة .

﴿ العاطوس ﴾ : دابة يتشاءم بها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكرها فى باب الفاء فى الفاعوس .

﴿ العافية ﴾ : كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر مأخوذ من عفوته إذا أتيته تطلب معروفه .

(فائدة) فى الحديث « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة » . وفى رواية « العوافى » وهى جمع عافية رواه النسائى والبيهقى وصححه ابن حبان من رواية جابر بن عبد الله ، وفى صحيح مسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى » يريد عوافى السباع والطير « ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما » . قال الإمام النووى : المختار أن هذا الترك للمدينة يكون فى آخر الزمان عند قيام الساعة ، ويوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر كما ثبت فى صحيح البخارى انتهى . وقال القاضى عياض : هذا مما جرى فى العصر الأول وانقضى وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة منها إلى الشأم والعراق ، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا أما الدين فلكثرة العلماء بها ، وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها . قال : وذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافى وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها . قال : وحالها اليوم قريب من هذا وقد خرب أطرافها .

﴿ العائذ ﴾ : بالذال المعجمة الناقة التى معها ولدها ، وقيل الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أياما حتى يقوى ولدها ، وفى الحديث « أن قريشا خرجت لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها العوذ المطافيل » وهى جمع عائذ ، يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدا وأصحابه فى زعمهم ، ووقع فى نهاية

الغريب أن العوذ المطافيل يريد بها النساء والصبيان وإنما قيل للناقة عائذ وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مربوحا فيها لأنها فى معنى نامية وزاكية ، وكذلك عيشة راضية لأنها فى معنى صالحة .

﴿ العبقص العبقوص ﴾ : دويبة ، قالو ابن سيده .

﴿ العبور ﴾ : الجذعة من الغنم أو أصغر ، وعين اللحيانى ذلك للصغير فقال : هى بعد الفطم والجمع عباثر ، قاله ابن سيده أيضا .

﴿ العترفان ﴾ : بضم العين الديك ، وقد تقدم لفظ الديك فى باب الدال المهملة . قال عدى بن زيد :

ثلاثة أحوال وشهرا محرما أقضى كعين العترفان المحارب

﴿ العتود ﴾ : بفتح العين الصغير من أولاد المعز إذا قوى ورعى وأتى عليه حول والجمع أعتدة وعدان وأصله عتدان فأدغم . روى مسلم عن عقبة بن عامر « أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه غنما يقسمها بين أصحابه فبقى عتود فقال : ضح به أنت » قال البيهقى وسائر أصحابنا كانت هذه رخصة لعقبة بن عامر خاصة كأبى بردة هانئ بن نيار البلوى . وروى البيهقى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعقبة بن عامر : ضح بها أنت ولا رخصة لأحد فيها بعدك » وفى سنن أبى داود « أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى مثل ذلك لزيد بن خالد » فالذين خصوا بذلك ثلاثة : أبو بردة وعقبة بن عامر وزيد بن خالد .

﴿ العثة ﴾ : بضم العين وتشديد الثاء المثلثة دويبة تلحس الثياب والصوف والجمع عث وعثث وأكثر ما تكون فى الصوف . وقال فى المحكم : هى دويبة تعلق بالإهاب تأكله هذا قول ابن الأعرابى ، وقال ابن دريد : العث بغير هاء دويبة تقع فى الصوف فدل هذا على أن الجمع عث ، وقال ابن قتيبة : إنها دويبة تأكل الأديم وغاير بينها وبين الأرضة ، وقال الجوهرى : العثة السوسة التى تلحس الصوف .

(وحكمها) تحريم الأكل .

(الأمثال) قالوا : عثيثة تقرم جلدا أملس ، يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر فى الشىء فلا يقدر عليه . قاله الأحنف بن قيس لحارثة بن زيد لما طلب من على رضى الله تعالى عنه أن يدخله فى الحكومة . وفى الفائق أن الأحنف قاله لرجل هجاه كما قيل :

فإن تشتمونا على لؤمكم فقد تقرم العث ملس الأدم

﴿ العثمثمة ﴾ : الشديدة من النوق والذكر عثمثم والعثمثم الأسد قاله الجوهرى ، قال ويقال ذلك من ثمل وطئه . قال الراجز : * خبعثن مشيته عثمثم *

﴿ العثمان ﴾ : بضم العين وإسكان الثاء المثلثة وبالميم والنون بينهما ألف فرخ الحبارى وفرخ الثعبان والحية أو فرخها .

﴿ العثوثج ﴾ : بثاءين مثلثتين مفتوحتين بينهما واو وأوله عين وآخره جيم البعير الضخم.

﴿ العجروف ﴾ : بضم العين دويبة ذت قوائم طوال ، وقيل هى النملة الطويلة الأرجل .

﴿ العجل ﴾ : ولد البقرة والجمع العجول ، ويقال فى المفرد أيضا عجول بكسر وتشديد الجيم مفتوحة والجمع العجاجيل والأنثى عجلة ، وبقرة معجل : أى ذات عجل .

(فائدة) قيل سمى عجلا لاستعجال بنى إسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوما فعوقبوا فى التيه أربعين سنة فجعل الله كل سنة فى مقابلة يوم ، وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » قال حجة الإسلام الغزالى : وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة. وقال الجوهرى: قال بعضهم فى قوله تعالى — عجلا جسدا — أى من ذهب أحمر اه .

والسبب فى عبادة بنى إسرائيل العجل أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله تعالى له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر ، فلما عبر بهم البحر فى يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه مروا على قوم لهم أوثان يعبدونها من دون الله تعالى على تماثيل البقر . قال ابن جريج: وكان ذلك أول شأن العجل فقال بنو إسرائيل لما رأوا ذلك — يا موسى اجعل لنا إلها — أى تمثالا نعبده — كما لهم آلهة — ولم يكن ذلك شكا من بنى إسرائيل فى وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لايضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم كما قال الله تعالى — إنكم قوم تجهلون — وكان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون ، فلما فعل الله ذلك لهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما ، فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خروب ، وقيل أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة : كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأتمها بعشر ، فلما مضت ثلاثون كانت فتنتهم فى العشر التى زادها ، وكان السامرى من قوم يعبدون البقر ، وكان قد أظهر الإسلام وفى قلبه من حب عبادة البقر شىء فابتلى الله به بنى إسرائيل ، فقال لهم السامرى واسمه موسى

ابن ظفر : ائتونى بحلى بنى إسرائيل ، فجمعوه له فاتخذ لهم منه عجلا جسدا له خوار وألقى فى فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر كذا قاله ابن عباس والحسن وقتادة وأكثر أهل التفسير وهو الأصح كما فى البغوى وغيره وقيل كان جسدا مجسدا من ذهب لا روح فيه وكان يسمع منه صوت ، وقيل إنه ما خار إلا مرة واحدة فعكف عليه القوم للعبادة من دون الله تعالى يرقصون حوله ويتواجدون ، وقيل إنه كان يخور كثيرا كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رءوسهم . وقال وهب : كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك . وقال السدى : كان يخور ويمشى ، والجسد بدن الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المتغذية جسد، وقد يقال للجن أجساد فكان عجل بنى إسرائيل جسدا يصيح كما تقدم ولا يأكل ولا يشرب قال الله تعالى — وأشربوا فى قلوبهم العجل — أى حب العجل ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام — فجاء بعجل سمين — قال قتادة : كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر واختاره سمينا زيادة فى إكرامهم . وقال القرطبى : العجل فى بعض اللغات الشاة. ذكره القشيرى . وكان عليه الصلاة والسلام مضيافا ، وحسبك أنه وقف للضيافة أوقافا تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها . قال عون بن شداد : مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام مسرعا حتى لحق بأمه .

(ومما يحكى) من محاسن القاضى محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ووفاته سنة ثلاثين وثلثمائة : أن العباس بن المعلى الكاتب كتب إليه : ما يقول القاضى وفقه الله تعالى فى يهودى زنى بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر ، وقد قبض عليهما فما يرى القاضى فيهما ؟ فكتب الجواب بديها : هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود فإنهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أيورهم ، وأرى أن يناط برأس اليهودى رأس العجل ، ويصلب على عنق النصرانية الرأس مع الرجل ، ويسحبا على الأرض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض ، والسلام .

(فائدة أخرى) نقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله تعالى : أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فأجاب : مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر كلامه . قلت : وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا وهو أنه قال : مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من

الوقار : فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين .

(فائدة أخرى) روى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لاوارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحوّله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب بثأره ، وجاء بناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام فادعى عليهم القتل ، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى . قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك فدعا الله فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة .

وروى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح وله طفل له عجلة فأتى بها إلى غيضة وقال : اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ، ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن وكان بارا بأمه كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، وكان إذا أصبح انطاق فاحتطب على ظهره وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى أمه ثلثه ، فقالت أمه له يوما : إن أباك ورّثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا وكذا فانطلق وادع له إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك ، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها ، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن تأتى ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وأقبل يقودها ، فتكلمت العجلة بإذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فإن ذلك أهون عليك ، فقال الفتى : إن أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها ، فقالت : وإله بنى إسرائيل لوركبتنى لما قدرت على أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك ، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له : إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة . قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير ، فانطلق بها إلى السوق فبعث الله إليه ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله عليما خبيرا ، فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى ، فقال له الملك : فإنى أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك ، فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا والدتى ؛ ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن : فقالت له : ارجع وبعها بستة دنانير على رضا منى

فانطلق بها إلى السوق فأتاه الملك فقال له : استأمرت أمك ؟ فقال له الفتى : إنها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها ، فقال له الملك : فإنى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها ، فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له : إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فإذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه أم لا نفعل ؟ فقال له الملك : اذهب إلى أمك وقل لها : أمسكى هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بنى إسرائيل ، فلا تبيعها إلا بملء مسكها ذهبا . أى جلدها دنانير ، فأمسكوها وقدر الله عز وجل على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه فضلا منه ورحمة ، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها .

واختلف العلماء فى لونها فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : شديدة الصفرة . وقال قتادة : لونها صاف . وقال الحسن البصرى : الصفراء السوداء والأول أصح لأنه لايقال أسود فاقع وإنما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قان وأخضر ناضر وأبيض يقق للمبالغة ، فلما ذبحوها أمرهم الله أن يضربوا القتيل ببعضها . واختلف فى ذلك البعض فقال ابن عباس وجمهور المفسرين : ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقبل . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : بعجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك : بلسانها لأنه آلة الكلام . وقال عكرمة والكلبى : بفخذها الأيمن ، وقيل بعضو منها لا بعينه ، ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال : قتلنى فلان ، ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ، وفى الخبر « ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة » واسم القتيل عاميل قاله البغوى وغيره . قال الزمخشرى وغيره : روى أنه كان فى بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال : اللهم إنى أستودعكها لابنى حتى يكبر ، فكبر الولد وكان بارا بأمه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه ، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا ، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير .

وذكر الزمخشرى وغيره : أن بنى إسرائيل كانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو اعترضوا أى بقرة كانت فذبحوها لكفتهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، والاستقصاء شؤم » .

(وعن بعض الخلفاء) أنه كتب إلى عامله : أن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم ، فكتب إليه : بأيهما أبدأ ؟ فقال : إن قلت لك بقطع الشجر سألتنى بأى نوع منها أبدأ .

(وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أنه كتب إلى عامله قال : إذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضأن أم معز ؟ فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى ؟ فان أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء ؟ فإذا أمرتك بشىء فلا تراجعنى فيه .

(تتمة) فيما يتعلق بهذه الفائدة من الأحكام إذا وجد قتيل فى مكان ولم يعرف قاتله فان كان ثم لوث على أنساب واللوث ما يغلب على القلب صدق المدعى بأن اجتمع جماعة فى بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل يغلب على الظن أن القاتل منهم ، أو وجد قتيل فى محلة أو قرية كلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه وادعى الولى فيحلف المدعى خمسين يمينا على من يدعى عليه ، فإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم ، ثم بعد الأيمان تؤخذ الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعى عليه قتل خطأ ، وإن ادعى عليه قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الأكثرين . وقال عمر بن عبد العزيز : يجب القود ، وبه قال مالك وأحمد ، وإن لم يكن لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ، وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا ؟ قولان : أحدهما يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى ، والثانى خمسين يمينا تغليظا لأمر الدم ، وعند أبى حنيفة لا حكم للوث ولا يبتدئ بيمين المدعى بل إذا وجد قتيل فى محلة أو قرية يختار الإمام خمسين رجلا من صلحاء أهلها ويحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكانها .

والدليل على البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى الشافعى عن سهل بن أبى خيثمة : أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا لخيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل ، فانطلق محيصة بن مسعود وعبد الرحمن أخو القتيل وحويصة بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم ؟ فقالوا : يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتبرئكم يهود بخمسين يمينا ، فقالوا : يا رسول الله وكيف نقبل أيمان قوم كفار ؟ فزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم عقله من عنده » قال البغوى فى معالم التنزيل : وجه الدليل من الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين لقوة جانبهم باللوث ، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلا فى خيبر ، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وبين أهل خيبر ، وكان يغلب على الظن أنهم قتلوه ، واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه ، وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه انتهى .

(الخواص) قال القزوينى : خصية العجل تجفف وتشرب بعدحرقها تهيج الباه وتعين على كثرة الجماع حتى عجبا ، وقضيب العجل إذا جفف وأجيد سحقه واستف منه إنسان وزن درهم فإنه يمكن الشيخ العاجز من افتضاض البكر فإن سحق وألقى على البيض النيمرشت وتحسى منه فإنه يزيد فى الباه زيادة لم ير مثلها ، وقال غيره : خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقة تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع ، وقضيبه إذا أحرق وسحق وشرب نفع من وجع الأسنان وإذا شرب مع السكنجبين منع الطحال .

(التعبير) العجل فى المنام : ولد ذكر ، وإذا كان مشويا فهو أمن من الخوف لقصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال تعالى — فما لبث أن جاء بعجل حنيذ — إلى قوله : — لا تخف — .

(خاتمة) بنو عجل قبيلة كبيرة من العرب شهيرة ينسبون إلى عجل بن لجيم بضم اللام وفتح الجيم ، وكان عجل المذكور يعد من الحمقى من أجل أنه كان له فرس جواد فقيل له إن لكل فرس جواد اسما فما اسم فرسك ؟ فقال : لم أسمه بعد ، فقيل له سمه ، ففقأ إحدى عينيه ثم قال : سميته الأعور ، وفيه قال بعض شعراء العرب :

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم ... وهل أحد فى الناس أحمق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده ... فسارت به الأمثال فى الناس بالجهل

يقال عار عينه بالمهملة إذا فقأها .

﴿ العجمجمة ﴾ : الشديدة من النوق . قال الجوهرى : مثل العثمثمة ، وأنشد :

بات يبارى ورشات كالقطا ... عجمجمات خشقا تحت السرى

﴿ أم عجلان ﴾ : طائر معروف . قاله الجوهرى .

﴿ العجوز ﴾ : الأرنب والأسد والبقر والثور والذئب والذئبة والرخم والرمكة والضبع وعانة الوحش والعقرب والفرس والكلب .

﴿ عدس ﴾ : البغل سموه بزجره قال الشاعر :

إذا حملت بزتى على عدس ... على الذى بين الحمار والفرس
فما أبالى من عدا ومن جلس

وعدس زجر البغل . قال يزيد بن مفرّغ :

عدس ما لعباد عليك إمارة ... نجوت وهذا تحملين طليق

﴿ العذفوط ﴾ : بالضم دويبة بيضاء ناعمة يشبه بها أصابع الجوارى .

﴿ العربج ﴾ : كلب الصيد قاله فى المدخل .

﴿ عرار ﴾ : مثل قطام اسم بقرة ، وفى المثل : باءت عرار بكحل ، وهما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعا .

﴿ العربض ﴾ : الجدى كذا قاله فى المدخل ، وقد تقدم لفظ الجدى فى باب الجيم .

﴿ العسجدية ﴾ : ركاب الملوك . قال الجوهرى : وهى إبل كانت تزين للنعمان .

﴿ العربد ﴾ : مثال سلهد ملحق بجردحل حية تنفخ ولا تؤذى ، وقد تقدم ذكرها فى الحيات والعربدة سوء الخلق، وقولهم: رجل معربد مأخوذ من هذا قاله ابن قتيبة وغيره .

﴿ العربض والعرباض ﴾ : البقر القوى الكلكل قاله ابن سيده .

﴿ العدسن ﴾ : لبوة الأسد والجمع أعراس . قال مالك بن خويلد الخناعى :

ليث هزبر مدل عند خيسته بالرقمتين له أجر وأعراس

﴿ العريقصة ﴾ : بالصاد المهملة دويبة عريضة كالجعل .

﴿ العريقطة والعريقطان ﴾ : بالطاء المهملة دويبة عريضة .

﴿ العزة ﴾ : بالفتح بنت الظبية ، وبها سميت المرأة عزة . قاله الجوهرى .

﴿ العسا ﴾ : بفتح العين المهملة الأنثى من الجراد ، وقد تقدم لفظ الجراد فى باب الجيم.

﴿ العساعس ﴾ : بفتح العين القنافذ الكبيرة سميت بذلك لكثرة ترددها فى الليل .

﴿ العساس ﴾ : الذئب ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة .

﴿ العساهيل ﴾ : الإبل المهزولة الواحدة عسهول .

﴿ العسبار ﴾ : بكسر العين وبالسين الساكنة والأنثى عسبارة ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر .

(وحكمه) تحريم الأكل لأنه متولد بين مأكول وغير مأكول ،

﴿ العسبور ﴾ : ولد الكلب من الذئبة ، والعسبار ولد الذئب أو ولد الضبع من الذئب كما تقدم . قال الجوهرى فى ع و ل قال الكميت :

كما خامرت فى حضنها أم عامر لذى الحبل حتى عال أوس عيالها

أشار بذلك إلى أن الضبع إذا صيدت ولها ولد من الذئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر ، وقد تقدم ذلك فى لفظ أوس .

﴿ العسلوه ﴾ : كل سبع جرىء. والعسلق الظليم، وقيل الثعلب حكاه ابن سيده .

﴿ العسنج ﴾ : كعملس الظليم أيضا ، وقد تقدم لفظ الظليم فى باب الظاء المشالة المعجمة.

﴿ العشراء ﴾ : الناقة التى أتى عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع أيضا يقال ناقتان عشراوان

ونوق عشار ، وليس فى الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء جمع على عشار ونفساء جمع على نفاس .

(فائدة) قال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان فى كتاب [المستغيثين بخير الأنام] : حديث حنين الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر . رواه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم العدد الكثير والجم الغفير : منهم جابر بن عبد الله وابن عمرو من طريقهما خرّجه البخارى وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد الساعدى وأبو سعيد الخدرى وبريدة أم سلمة والمطلب بن أبى وداعة . قال جابر فى حديثه : فصاحت الخشبة صياح الصبى فضمها إليه . وفى حديثه أيضا « سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار » وفى رواية ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه » وفى بعض الروايات « والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة » تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ، ونظم صالح الشافعى فى ذلك فقال :

وحن إليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقرّ لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا

وحنين الجذع إليه وتسليم الحجر عليه لم يثبت لواحد من الأنبياء إلا له صلى الله عليه وسلم .

﴿ العصارى ﴾ : بضم العين وفتح الصاد المهملة والراء فى آخره بعدها ياء مثناة من تحت نوع من الجراد أسود شبيه بالخنافس .

(وحكمه) حل الأكل .

حكى أبو عاصم العبادى عن أبى طاهر الزيادى أنه قال : كنا نراه حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجسى فقال : إنه حلال ، فبعثنا منه جرابا للبادية وسألنا عنه العرب فقالوا : هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه .

﴿ العصفور ﴾ : بضم العين ، وحكى ابن رشيق فى كتاب [الغرائب والشذوذ] عصفر بالفتح والأنثى عصفورة . قال الشاعر :

كعصفورة فى كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

وكنيته : أبو الصعو وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب .

قال حمزة : سمى عصفورا لأنه عصى وفر ، وهو أنواع : منها ما يطرب بصوته ويعجب

بصوته وحسنه وسيأتى إن شاء الله تعالى . والعصفور الصرار وهو الذى يجيب إذا دعى من الصيرورة ، وعصفور الجنة وهو الخطاف وقد تقدم ذكرهما فى بابيهما . وأما العصفور الدورى البيوتى فإن فى طباعه اختلافا وذلك أن فيه من طبائع السباع وهو أكل اللحم ولا يزق فراخه ؛ ومن البهائم أنه ليس بذى مخلب ولا منسر ، وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابرة وسائر أنواع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ، ويأكل الحب والبقول ، ويتميز الذكر منها بلحية سوداء كما للرجل والتيس والديك ، وليس فى الأرض طائر من سبع ولا بهيمة أحنى من العصفور على ولده ولا أشد له عشقا وذلك مشاهد عند أخذ فراخها ، ووكره فى العمران تحت السقوف خوفا من الجوارح ، وإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها فإذا عادوا إليها عادت العصافير ، والعصفور لا يعرف المشى إنما يثب وثبا ، وهو كثير السفاد فربما سفد فى الساعة الواحدة مائة مرة ولذلك قصر عمره فإنه لا يعيش فى الغالب أكثر من سنة ، ولفرخه تدرّب على الطيران حتى إنه يدعى فيجيب .

قال الجاحظ : بلغنى أنه رجع من فرسخ . ومن أنواعه عصفور الشوك وأكثر مأواه السياج . وزعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوة لأن الحمار إذا كان به دبر حكه فى الشوك الذى يأوى إليه هذا العصفور فيقتله ، وربما نهق الحمار فتسقط فراخه أو بيضه من جوف وكره فلذلك هذا العصفور إذا رأى الحمار رفرف فوق رأسه وعلى عينيه وآذاه بطيرانه وصياحه . ومن أنواعه القبرة وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف . ومن أنواعه حسون وقد تقدم فى باب الحاء والبلبل والصعو والحمرة والعندليب والمكاكى والصافر والتنوط والوصع والبراقش والقبعة وكلها فى أماكنها مذكورة .

وفى الأذكياء لابن الجوزى : أن رجلا رمى عصفورا فأخطأه ، فقال له رجل : أحسنت ، فغضب وقال : أتهزأ بى ؟ قال : لا ولكن أحسنت إلى العصفور إذ لم تصبه ؛ ورأيت فى بعض التعاليق : أن المتوكل رمى عصفورا فلم يصبه وطار ، فقال له ابن حمدان : أحسنت ، فقال له المتوكل : كيف أحسنت ؟ قال : أحسنت إلى العصفور . ويروى عن الجنيد أنه قال : أخبرنى محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الجمال قال : فلما دخلنا البادية وسرنا منازل إذ بعصفور يحوم حولنا ، فرفع أيوب رأسه إليه وقال له : قد جئت إلى هنا ، فأخذ كسرة خبز ففتها فى كفه فانحط العصفور وقعد على كفه فأكل منها ثم صب له ماء فشربه ثم قال : اذهب الآن فطار العصفور ، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل أيوب مثل فعله فى اليوم الأول ، فلم يزل كل يوم يفعل به مثل ذلك إلى آخر السفر ، ثم قال أيوب : أتدرى ما قصة هذا العصفور ؟ قال : لا . قال : إنه كان يجيئنى فى منزلى كل يوم فكنت أفعل به ما رأيت ، فلما خرجنا تبعنا يطلب منا ما كنت أفعل به فى المنزل .

روى البيهقى وابن عساكر بسندهما إلى أبى مالك قال : مر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه : أتدرون مايقول ؟ قالوا : وما يقول يانبى الله ؟ قال : يخطبها لنفسه ويقول : تزوجينى أسكنك أى قصور دمشق شئت . قال سليمان : وإنه عرف أن قصور دمشق مبنية بالصخر لايقدر أن يسكنها لكن كل خاطب كذاب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى له نظيره فى باب الفاء فى الفاختة ، وكان سليمان عليه السلام يعرف مايتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها كما تقدم فى باب الطاء المهملة فى الطيطوى . قال الله تعالى حكاية عنه — يأيها الناس علمنا منطق الطير — وكذلك كان يعرف لغات ماعداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات .

(فائدة) روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت حين توفى صبى من الأنصار بين أبوين مسلمين « طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك إن الله تعالى خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم » ومن الناس من قدح فى هذا الحديث بأنه من رواية طلحة بن يحيى وهو متكلم فيه ، والصواب صحته وهو فى صحيح مسلم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم نهانا عن المسارعة إلى القطع أو أنه قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة كذا قال بعضهم ، وليس بصحيح لأن سورة الطور مكية ودلت على تبعيتهم ، أو أن قطع عائشة بذلك قطع بإيمان أبويه . ويحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبى ابن كافرين . وروى ابن قانع فى ترجمة الشريد بن سويد الثقفى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة فقال يارب عبدك قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة » وروى فى حديث آخر « أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت له أمه : هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لاينفعه ويمنع مالا يضره » وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار قال « مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع فى فخه فقال : مالى أراك مغيبا فى التراب ؟ قال : للتواضع قال : فمم حنيت ؟ قال : من طول العبادة . قال : فما هذه الحبة فى فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين ، فلما أمسى تناول الحبة فوقع الفخ فى عنقه فخنقه ، فقال العصفور : إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير فى العباد اليوم » وفيه أيضا عن الحسن أن لقمان قال لابنه : يابنى حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل فلم أجد شيئا أثقل من الجار السوء ، وذقت المرار كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر ، يابنى لاترسل رسولا جاهلا فإن لم تجد حكيما فكن رسول نفسك ، يابنى إياك والكذب فإنه شهى كلحم العصفور وعما قليل يقلى صاحبه ، يابنى احضر الجنائز ولاتحضر

العرس فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا ، يابنى لاتأكل شبعا على شبع فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله ، يابنى لاتكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ . ورأيت فى بعض المجاميع عن الحسن أن لقمان قال لابنه : يابنى اعلم أنه لايطأ بساطك إلا راغب فيك أو راهب منك ، فأما الراهب منك الخائف فأدن مجلسه وتهلل فى وجهه وإياك والغمز من ورائه ، وأما الراغب فيك فأظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له وابدأه بالنوال قبل السؤال فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعف ماتعطيه وأنشدوا على هذا :

إذا أعطيتنى بسؤال وجهى فقد أعطيتنى وأخذت منى

ولبعضهم أيضا زيادة على هذا :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله بدلا وإن نال الغنى بسؤال
وإذا النوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

ولبعضهم أيضا زيادة فى هذا المعنى :

تلحى على النحل البخيل بماله أفلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرم يديك عن السؤال فإنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم إلى فضل قناعتى وأبيت مشتملا به متزملا
وأرى العدو على الخصاصة حالة تصف الغنى فيخالنى متمولا
وإن امرؤ أفنى الليالى حسرة وندامة أفنيتهن توكلا

يابنى ابسط حلمك للقريب والبعيد ، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم ، وصل أقاربك ، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك اه . وقد أذكرنى هذا ماحكاه بعض أشياخى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق فعاد رسوله برسالة شك الإسكندر فى حرف منها ، فقال له الإسكندر : ويحك إن الملوك لايخاف عليها إلا إذا مالت بطانتها ، وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة غير أن فيها حرفا ينقصها فعلى يقين أنت منه أم شاك فيه ؟ فقال الرسول : على يقين ، فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظها حرفا حرفا وتعاد إلى الملك مع رسول آخر فتقرأ عليه وتترجم له ، فلما قرئ الكتاب على الملك مر بذلك الحرف فأنكره فقال للمترجم : ضع يدك على هذا الحرف فوضعها وأمر أن يقطع ذلك الحرف فقطع من الكتاب ، وكتب إلى الإسكندر : رأس المملكة صحة فطنة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله إذا كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يؤدى وقد قطعت مالم يكن من كلامى إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا ، فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر دعا الرسول الأول وقال له : ماحملك على كلمة أردت بها الفساد بين ملكين ؟ فأقر الرسول

أن ذلك التقصير رآه من الموجه إليه ، فقال له الإسكندر : ما أراك سعيت إلا لنفسك لا لنا فلما فاتك ما أملت جعلت لك ثأرا فى الأنفس الخطيرة الرفيعة ، ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه . وقال يحيى بن خالد بن برمك : ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال : الهدية والرسول والكتاب .

وسمع أبو الأسود الدؤلى رجلا ينشد :

إذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور حكيما ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا فلا تبـاعده ولا تقصه

فقال قد أساء قائل هذا أيعلم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم مافى نفسه هلا قال :

إذا أرسلت فى أمر رسولا فأفهمه وأرسـله أديبا
ولا تترك وصيته بشىء وإن هو كان ذا عقل أريبا
فإن ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن علم الغيوبا

وفى تاريخ ابن خلكان وغيره من التواريخ : أن الزمخشرى كان مقطوع الرجل ، فسئل عن ذلك فقال : دعاء الوالدة وذلك أنى كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى وأدركته وقد دخل فى خرق من الجدار فجذبته فانقطعت رجله بالخيط ، فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله ، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت عملا أوجب قطعها .

وفى الحلية للحافظ أبى نعيم فى ترجمة زين العابدين . قال أبو حمزة اليمانى : كنت عند على ابن الحسين فإذا عصافير يطرن حوله ويصرخن ، فقال يا أبا حمزة : هل تدرى ماتقول هذه ؟ قال : العصافير . قلت : لا . قال : إنها تقدس ربها جل وعلا وتسأله قوت يومها .

وفى الصحيحين وسنن النسائى وجامع الترمذى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أبى بن كعب وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قام موسى خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليـه ، فأوحى الله إلى موسى إن عبدا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك » وفى الرواية الأخرى « أنه قيل له هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله تعالى إلى موسى بل عبدنا خضر ، فقال : يارب وكيف به ؟ فقال له : احمل حوتا فى مكتلك ، فإذا فقدته فهو ثم ، فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون وحملا حوتا فى مكتل حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما فناما ، وانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله فى البحر

سربا وكان لموسى ولفتاه عجبا ، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما حتى أصبحا فقال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يجد موسى شيئا من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر به ، فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت قال موسى : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى » وفى الرواية الأخرى « وكان يتبع أثر الحوت فى البحر ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ فقال : أنا موسى . قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : ثم هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت وإنك على علم علمكه الله أعلمه . قال : ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فرأيا سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول ، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر ، فقال الخضر : ياموسى مانقص علمى وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور » وفى الرواية الأخرى « إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر ، وعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه ، فقال موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ! قال : لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ، فكانت الأولى من موسى نسيانا ، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده ، فقال موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ! قال ابن عيينة : وهذا أوكد ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر بيديه ، فقال موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال : هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أخى موسى لوددنا أن لو صبر حتى يقص الله علينا من أنبائهما » وفى الرواية الأخرى « يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما » وعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى ليس بموسى بنى إسرائيل إنما هو موسى آخر . قال : كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب وذكر الحديث وذكر قصة موسى والخضر بطولها قال « وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر فى البحر فقال له الخضر : مانقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر » قال العلماء : لفظ النقص ليس هنا على ظاهره وإنما معناه إنما علمى وعلمك بالنسبة إلى علم الله كنسبة مانقص هذا العصفور من هذا البحر . قلت : وهذا على التقريب للأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر .

(وحكمه) حل الأكل. قال عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من إنسان يقتل عصفورة فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها . قيل : يا رسول الله وماحقها؟ قال : أن يذبحها فيأكلها وأن لا يقطع رأسها فيرمى به» رواه النسائى.

وروى الحاكم عن خالد بن معدان عن أبى عبيدة بن الجراح قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن قلب ابن آدم مثل العصفور يقلب فى اليوم سبع مرات» . ومن أحكام العصافير أنها على اختلاف أنواعها جنس واحد فى باب الربا والبطوط جنس والكركى جنس والحبارى جنس والإوز جنس والدجاج جنس والحمام جنس وتقدم فى بابه ،ومن أحكامها أنه لا يجوز عتقها على الأصح ، وقيل يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبى الدرداء أنه كان يشترى العصافير من الصبيان ويرسلها. قال ابن الصلاح والخلاف فيما يملك بالاصطياد أما البهائم الإنسية فإن إعتاقها من قبيل سوائب الجاهلية وذلك باطل قطعا . وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى كتاب [عيون المسائل]: إن ذرق العصافير غير معفو عنه ،والمشهور أن فيه الخلاف الذى فى بول ما يؤكل لحمه .

(الأمثال) قال : أخف حلما من عصفور . وقال حسان رضى الله تعالى عنه :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

وقال قعنب :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا منى وما سمعوا من صالح دفنوا
مثل العصافير أحلاما ومقدرة لو يوزنون برق الريش ما وزنوا

وقالوا : صاحت عصافير بطنه إذا جاع . قال الأصمعى : العصافير هنا الأمعاء. قال الجوهرى : والمصير المعى وهو فعيل والجمع المصران مثل رغيف ورغفان ثم المصارين جمع الجمع ، ونقله فى المحكم عن سيبويه سميت مصارين لصيرورة الطعام فيها ، وقالوا : أسفد من عصفور .

(الخواص) لحم العصافير حار يابس أصلب من لحم الدجاج وأجودها الشتوية السمان وأكلها يزيد فى المنى والباه لكنه يضر أصحاب الرطوبات الأصلية ويدفع ضررها دهن اللوز وهى تولد خلطا صفراويا يوافق من الأسنان الشيوخ ومن الأمزجة الباردة ومن الأزمان الشتاء . قال المختار بن عبدون : يكره أكل لحم العصافير لأن اليسير من عظامها إذا سبق فى أكل شىء منها أحدث شحما فى المرئ والمعى ، وإذا اتخذ من فراخها عجة بالبيض والبصل زادت فى الباه ، وأمراقها تحل الطبع ولحومها تعقله ولا سيما إذا كانت مهزولة هزالا فاضحا وأضر العصافير ما سمن فى البيوت . وقال غيره : إذا أخذ دماغ العصفور وأضيف إلى ماء السداب وشىء من عسل وشرب على الريق فإنه نافع لأوجاع البواسير ، وإذا خلط ذرق العصافير

بلعاب الإنسان وطلى به على الثآليل قلعها مجرب : وإذا آخذ عصفور وذوّب دماغه بشيرج وسقى لمن يحب شرب النبيذ فإنه يبغضه وهو عجيب مجرب ، وإذا أكل عصفور الشوك مشويا ومملوحا فتت الحصى الذى فى المثانة والكلى . وقال مهراريش : إذا ذبح العصفور وقطر دمه على دقيق العدس وجعل بنادق وجفف فإنه يهيج الباه ، وإذا أخذت منه بندقة وخلطت بزيت وطلى بها الإحليل ولا يطأ على الأرض فإنه يطأ ما شاء .

(فائدة) قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : أربعة أشياء : تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الإطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجوز . وأربعة أشياء تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام واستعمال السواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم . وأربعة أشياء تقوّى البدن : أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان . وأربعة أشياء توهن البدن وتسقمه : كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة .

(فائدة أخرى) من أكثر من الجماع وجعله دأبه أورثه حكة فى بدنه وضعفا فى قوته وبصره وعدم لذة المجامعة وشاب عاجلا ، ومن دافع البول والغائط ولم يقم إذا دعياه ضعفت مثانته وغلظ جلده وأورثه حرق البول والرمل والحصا وضعف البصر ، ومن أكثر من حك رجليه بالنخالة والملح أحدّ بصره وعوفى من ضعفه ، ومن بصق فى بوله وأدمن على ذلك أمن وجع الصلب قاله القزوينى نقلا عن أبقراط وغيره وذكر أنه امتحنه وجربه .

(التعبير) العصفور فى المنام : رجل قاص صاحب لهو وحكايات يضحك الناس ، وقيل إنه ولد ذكر فمن رأى أنه ذبح عصفورا وله ولد مريض خشى عليه من الموت ؛ وربما دل على رجل شيخ ضخم كثير المال يحتال فى الأمور كامل فى رياسته مدبر ، وربما دل على امرأة حسناء شفيقة ، وأصوات العصافير كلام حسن أو دراسة فى العلم ، والعصافير الكثيرة أموال لمن حواها فى المنام ، وتعبر العصافير بالأولاد والصبيان . ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين فقال له : رأيت كأنى آخذ العصافير فأدق أجنحتها وأجعلها فى حجرى ، فقال ابن سيرين : أتعلم كتاب الله أنت ؟ قال : نعم ، فقال : اتق الله فى أولاد المسلمين ، وأتاه رجل فقال : رأيت كأن فى يدى عصفورا وقد هممت بذبحه ، فقال : لا يحل لك أن تأكلنى ، فقال له ابن سيرين : أنت رجل تتناول الصدقة ولست مستحقها ، فقال له الرجل : تقول لى ذلك ؟ فقال : نعم ، ولو شئت قلت لك كم درهما هى ؟ فقال : كم هى ؟ قال ابن سيرين : ستة دراهم ، فقال الرجل : ها هى فى كفى وأنا تائب لا أعود إلى تناول الصدقة فقيل له من أين أخذت ذلك ؟ فقال : العصفور ينطق فى الرؤيا بالحق وهو ستة أعضاء فبقوله لا يحل لك أن تأكلنى علمت بذلك أنه يتناول مالا يستحق . ومن الرؤيا المعبرة أيضا عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه أتاه رجل فقال : رأيت كأن فى يدى عصفورا ، فقال له جعفر :

تنال عشرة دنانير ، فمر الرجل فوقع فى يده تسعة دنانير فأتى إلى جعفر وأخبره بذلك، فقال اقصص على الرؤيا ثانيا ، فقال : رأيت كأن بيدى عصفورا وأنا أقلبه فلم أر له ذنبا ، فقال له جعفر : لو كان له ذنب لكانت الدنانير عشرة والله أعلم .

﴿ العضل ﴾ : بضم العين وفتح الضاد المعجمة الجرذ والجمع العضلان ، وقد تقدم ذكر الجرذ فى باب الجيم .

﴿ العرفوط ﴾ : بكسر العين دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول إلا شغرت ببولها إلى صوب القبلة والحيات تأكلها .

﴿ العريقطة ﴾ : دويبة عريضة وهى العريقطان . قاله الجوهرى .

﴿ العضمجة ﴾ : الثعلبة، وقد تقدم ذكر الثعلب وما فيه فى باب الثاء المثلثة فى أول الكتاب .

﴿ العضرفوط ﴾ : العظاءة الذكر وتصغيره وعضيريف عضيرف قاله الجوهرى .

(فائدة) قال ابن عطية فى تفسير قوله تعالى : — قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم — . روى أن الغراب كان ينقل الحطب إلى نار إبراهيم وأن الوزغة كانت تنفخ النار عليه لتضرم وكذلك البغل . وروى أن الخطاف والضفدع والعضرفوط كن ينقلن الماء ليطفئن النار فأبقى الله على هذه وقاية وسلط على تلك النوائب والأذى اه .

وقد أفادنى بعض الأشياخ أن يكتب لسائر الحميات — قلنا يا نار كونى بردا وسلاما — سلاما سلاما على ثلاث ورقات ويشرب المحموم كل يوم ورقة منها على الريق ، أو عند ما تأخذه الحمى فإنها تذهب بإذن الله تعالى . وهو عجيب مجرب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى قريبا أن العظاءة هى السحلية وهى مباركة .

﴿ عطار ﴾ : قال القزوينى : فى الأشكال : إنه صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند فى المياه القائمة ويوجد أيضا بأرض بابل ، وهو من أعجب الحيوانات له بيت صدفى يخرج منه وله رأس وأذنان وعينان وفم ، فإذا دخل فى بيته يحسبه الإنسان صدفة ، فإذا خرج منه ينساب فى الأرض ويجر بيته معه ، فإذا جفت الأرض فى الصيف يجتمع ، ورائحته عطرة .

(ومن خواصه) أنه إذا بخر به ينفع من الصرع ، وإذا أحرق فرماده يجلو الأسنان ، فإذا وضع على حرق النار وترك حتى يجف نفعه نفعا بينا .

﴿ العطاط ﴾ : بالفتح الأسد ، وقال صاحب الكامل فى تفسير خطبة الحجاج لأهل الكوفة : العطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير معروف .

﴿ العطرف ﴾ : بالكسر الأفعى الكبيرة ؛ وقد تقدم لفظ الأفعى فى باب الهمزة .

﴿ العظاءة ﴾ : بالظاء المعجمة المفتوحة والمد دويبة أكبر من الوزغة ، ويقال فى الواحدة عظاية أيضا والجمع عظاء وعظايا . قال عبد الرحمن بن عوف :

* كمثل الهر يلتمس العظايا *

وقال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل . وهى أنواع كثيرة : منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر ، وكلها منقطة بالسواد ، وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال ، ومنها ما يسكن قريبا من الماء والعشب ، ومنها مايألف الناس ، وتبقى فى جحرها أربعة أشهر لا تطعم شيئا ، ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها .

ومن خرافات العرب قالوا : إن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست العظاءة عند التفرقة حتى نفد السم وأخذ كل حيوان قسطه منه على قدر السبق إليه فلم يكن لها فيه نصيب ومن طبعها أنها تمشى مشيا سريعا ثم تقف ، ويقال إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم ، وهذه تسمى بأرض مصر السحلية .

(وهى محرمة الأكل) وقد تقدم ذكرها فى باب السين .

(الخواص) من علق عليه يدها اليمنى ورجلها اليسرى فى خرقة جامع ما شاء ، وإن علقت فى خرقة سوداء على من به حمى الربع المزمنة أبرأته ، وقلبها إذا علق على امرأة منعها أن تلد ما دام عليها ، وإن طبخت بسمن البقر حتى تتهرى ومسح بها الملسوع أبرأه ، وإن جعلت فى قارورة وملئت زيتا وجعلت فى الشمس حتى تتهرى كان ذلك الزيت سما قاتلا .

(وهى فى الرؤيا) تدل على التلبيس واختلاف الأسرار ، والله أعلم .

﴿ العفر ﴾ : ولد الأروية .

(وفى المثل) أوقل من عفر ، والعفر بالكسر الخنزير الذكر والعفر الرجل الخبيث المداهن والمرأة عفرة يقال عفرية نفرية كما يقال عفريت نفريت .

﴿ العفريت ﴾ : القوى المارد من الشياطين والتاء فيه زائدة قال تعالى — قال عفريت من الجن أنا آتيك به — قرأ أبو رجاء العطاردى وعيسى الثقفى عفرية ، ورويت عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وقرأت فرقة عفر وكل ذلك لغات ، وقال وهب : اسم هذا العفريت كوذا ، وقيل ذكوان ، وقال ابن عباس : وهو صخر الجنى .

واختلفوا فى غرض سليمان عليه الصلاة والسلام فى استدعاء عرش بلقيس ، فقال قتادة وغيره : لأنه أعجبه وصفه لما وصفه الهدهد بالعظم فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها

الإسلام . وقال الأكثرون : إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها . وقال ابن زيد : استدعاه ليريها القدرة التى هى من عند الله ، وعظم سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها .

روى أن عرشها كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر وأنه كان فى جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق . وفى الكشف والبيان للثعلبى أن عرشها كان سريرا ضخما جسنا ، وكان مقدمه من ذهب منضدا بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ، ومؤخره من فضة مكللا بأنواع الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض ، وصفائح السرير من ذهب ، وكانت قد أمرت به فجعل فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصورها على كل بيت باب مغلق .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وارتفاعه فى الهواء ثلاثين ذراعا . وقال مقاتل : كان ثمانين ، وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان سليمان عليه السلام مهيبا لايبدأ بشىء حتى يكون هو الذى يسأل عنه فرأى ذات يوم وهجا قريبا منه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا عرش بلقيس ، فقال — يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك — وكان سليمان يجلس فى مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر — وإنى عليه — أى على الإتيان به — لقوى — على حمله — أمين — لا أختلس منه شيئا — قال الذى عنده علم من الكتاب — قال البغوى وغيره : والأكثرون على أنه آصف بن برخيا ، وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى — أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك — قال سعيد بن جبير : يعنى من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه ، ومعناه قبل أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك . وقال قتادة : قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر . وقال مجاهد : يعنى إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا . وقال وهب : تمد عينيك فلا ينتهى طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك ، وقيل إن الذى عنده علم من الكتاب اسمه أسطوم : وقيل هو جبريل ، وقيل هو سليمان نفسه . قال له عالم من بنى إسرائيل قيل اسمه أسطوم آتاه الله معرفة وفهما : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال سليمان : قال أنت النبى وابن النبى وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت .

والعلم الذى أوتيه قيل هو الاسم الأعظم ، وفى الكلام حذف تقديره فدعا باسم الله

الأعظم وهو : ياحى ياقيوم يا إلهنا وإله كل شئ إلها واحدا لا إله إلا أنت، وقيل ياذا الجلال والإكرام . قيل شقت الأرض بالعرش فغار فى الأرض حتى نبع بين يدى سليمان . قاله الكلبى . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدّون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدى سليمان ، وقيل جىء به فى الهواء وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجدّ ، فلما رآه مستقرا عنده جعل يشكر نعمة الله تعالى بعبارة فيها تعليم للناس وعرضة للاقتباس، ثم — قال نكروا لها عرشها — أراد بالتنكير تجربة تمييزها ونظرها وليزيد فى الإغراب عليها . وروت فرقة أن الجن لما أحست من سليمان أنه ربما يتزوج بلقيس فتفشى له أخبار الجن لأن أمها كانت جنية، وأنها ربما تلد ولدا فينقل الملك إليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده من بعده فأساءوا الثناء عليها وظلموها عنده ليزهدوه فيها فقالوا : إنها غير عاقلة ولا مميزة وإن رجليها كحافر فرس وقيل كحافر حمار وإنها شعراء الساقين فجرب عقلها بتنكير العرش واختبر أمر رجليها بالصرح لتكشف عن ساقيها ، وتنكيره بأن يزيد فيه وينقص منه ، والقصة فى ذلك مشهورة فى كتب التفسير ، ولما أسلمت وأذعنت وأقرت على نفسها بالظلم : روى أنه تزوجها وردها إلى ملكها باليمن ، وكان يأتيها على الريح فى كل شهر مرة فولدت له غلاما فسماه داود ومات فى حياته . وقيل أنه جعل يعنى لما زاد فى العرش ونقص منه مكان الجوهر الأخضر أحمر ومكان الأحمر أخضر — فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو — وقيل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها . قاله مقاتل . وقال عكرمة : كانت بلقيس حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التنكيت عليها بل قالت — كأنه هو — فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ، وقيل إنه اشتبه عليها أمر العرش لأنها لما أرادت الشخوص إلى سليمان دعت قومها وقالت لهم : والله ما هذا ملك وما لنا به من طاقة ، ثم أرسلت إلى سليمان : إنى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ماأمرك وما الذى تدعو إليه من دينك ؟ ثم أمرت بعرشها وكان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر فجعلته فى جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق كما تقدم ووكلت به حراسا يحفظونه ، ثم قالت لمن خلّفته على سلطانها : احتفظ بما قبلك لا يخلص إليه أحد ولا ترينه أحدا حتى آتيك وشخصت إلى سليمان باثنى عشر ألف قيل من أقيال اليمن تحت كل قيل ألوف كثيرة ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ فاشتبه عليها أمر العرش فقالت : كأنه هو، ثم قيل لها : ادخلى الصرح ، قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضا ، وقيل الصرح الصحن فى الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه سمكا كثيرا من دواب البحر كالسمك والضفادع وغيرها ، ثم وضع سرير سليمان فى صدره فكان الصرح إذا رآه أحد حسبه لجة ماء ، قيل إنما بنى الصرح لأنه أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير

أن يسألها كشفها ، وقيل أراد أن يختبر فهمها كما فعلت هى بالوصفاء والوصائف ، وقد تقدم ذكر ذلك فى باب الدال المهملة فى الدود ، فجلس سليمان عليه السلام على السرير ودعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضها إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدما إلا شعر الساقين ، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء ، ثم دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت ، وقيل إنها لما بلغت الصرح وحسبته لجة قالت فى نفسها : إن سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل أهون علىّ من هذا فقولها : ظلمت نفسى يعنى بذلك الظن .

وقيل إنه عليه السلام لما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الإنس ما يذهب هذا ؟ قالوا : الموسى . قالت : لا تمسنى حديدة قط ، وكره سليمان الموسى وقال : إنها تقطع ساقيها ، فسأل الجن فقالوا : لا ندرى ، فسأل الشياطين فقالوا : إنا نحتال لك حتى يكونا كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام ، ومن يومئذ ظهرت النورة والحمامات ولم تكن قبل ذلك ، فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا ، وهى سيلجين وبينون وغمدان ، ثم كان سليمان عليه السلام يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام على الريح ، وولدت له غلاما سماه داود فمات فى حياته .

وبلقيس هى بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم ، وكان ملك أرض اليمن كلها ، وكان يقول لملوك الأطراف : ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم ، وإنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وقد جاء فى الحديث ما يؤيد هذا وهو قوله « إن أحد أبوى بلقيس كان جنيا » فلما مات أبوها طمعت فى الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون ، وملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ، ثم إن الرجل الذى ملكوه أساء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأت بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال : ما منعنى أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك ، فقالت : لا أرغب عنك وأنت كفء كريم فاجمع رجال قومى واخطبنى إليهم ، فجمعهم فخطبها إليهم فذكروا لها ذلك ، فقالت : أجبت ، فزوجوها به ، فلما زفت إليه ودخلت عليه سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها وأمرت بنصب رأسه على باب دارها ، فلما رأى الناس ذلك

علموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم؛ وفى الحديث عن أبى بكرة قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخارى .

(تذنيب) اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار : فمن منافعه أنه يوسع المسام ، ويستفرغ الفضول ، ويحلل الرياح ، ويحبس الطبيعة من هيضة ورطوبة ، وينظف البدن من الوسخ والعرق ، ويذهب الحكة والجرب والإعياء ، ويلين الجسد ، ويجيد الهضم ، ويعد البدن لاستعداد الغذاء ، وينشط الأعضاء المتشنجة ، وينضج النزلات والزكام ، وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها ، قلت : إذا دبر ذلك طبيب حاذق . ومن مضاره : تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة ويرخى البدن ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ويضعف الباه . ووقته بعد الرياضة وقبل الغذاء إلا لمتخلخلى الأبدان الكثيرى المرار . وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك . وإذا أردت الخروج فاخرج إلى المسلخ متدرجا وأفرغ عليك ثوبا نظيفاً مبخراً واجتنب النساء يوما وليلة ، وتكره المجامعة فى الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضا رديئة . ويكره للإنسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والمجامعة والحمام والأكل فإن ذلك مضر جدا . وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة . وأما النورة فهى حارة يابسة . قال الغزالى فى الإحياء : إن النورة بعد الحمام أمان من الجذام . وغسل الرجلين بالماء البارد فى الصيف أمان من النقرس وبولة فى الحمام من قيام فى الشتاء أنفع من شربة دواء . قال : ويكره إلصاق الظهر إلى حائط الحمام اهـ . ومعناه أن يطلى جسده بالنورة أولا قبل أن يسكب على جسده الماء ثم يستحم بعد ذلك . وينبغى أن يستعمل قبل النورة الخطمى ليأمن من حرقها ثم يغتسل بالماء البارد وينشف البدن منه . وإن أحب استعمال النورة أولا ليأمن من الجذام كما قاله الغزالى وغيره : فليأخذ على أصبعه شيئا من النورة ويشمها ويقول : صلى الله على سليمان بن داود ويكتب ذلك على فخذه الأيمن فإنه يعرق قبل النورة فيمسح العرق ويطلى ويكون ذلك فى البيت الحار ليعرق سريعا ، ويستعمل بعد هذا العصفر وبزر البطيخ ودقيق الأرز ويعجن ذلك بماء الآس والتفاح وماء الورد ويسخن فى إناء ويطلى به الجسد مع العسل ، فإن ذلك ينقى البدن وينفى عنه ثلاثين داء كالجذام والبرص والبهاق والبثر والنفاطات ونحوها . قال القزوينى : إذا طرح فى النورة زرنيخ ورماد الكرم وطلى به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلاء وبزر البطيخ مرارا فإن الشعر يضعف حتى لايكاد أن يعود . وقال الإمام العلامة فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه : النورة التى قبل الزرنيخ ربما أحدثت كلفا ويدفع ضررها بالأرز والعصفر طلاء ؛ وأن تعجن للمحرورين بماء الشعير والأرز والبطيخ والبيض ، وللمبر ودين

بماء المرزنجوش أو النمام . وينبغى أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن من الحكة والبثر ، والله أعلم .

(خاتمة) روى مالك فى الموطأ من حديث أبى هريره رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى عفريتا من الجن يطلبنى بشعلة من نار كلما التفت رأيته ، فقال جبريل : ألا أعلمك كلمات تقولهن فتنطفئ شعلته ويخر لفيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن » وقد تقدم فى باب الجيم فى الجن حديث العفريت الذى تفلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقطع عليه صلاته فخنقه النبى صلى الله عليه وسلم وأراد أن يربطه فى سارية من سوارى المسجد :

﴿ العفر ﴾ : بالكسر والضم قاله ابن الأثير فى النهاية وهو الجحش والأنثى عفرة .

﴿ العقاب ﴾ : طائر معروف ، والجمع أعقب لأنها مؤنثة وأفعل بناء يختص به جمع الإناث مثل عناق وأعنق وذراع وأذرع والكثير عقبان وعقابين جمع الجمع . قال الشاعر :

* عقابين يوم الجمع تعلو وتسفل *

وكنيته : أبو الأشيم وأبو الحجاج وأبوحسان وأبو الدهر وأبو الهيثم ، والأنثى أم الحوار وأم الشعو وأم طلبة وأم لوح وأم الهيثم ، والعرب تسمى العقاب الكاسر ، ويقال لها الخدارية للونها وهى مؤنثة اللفظ ، وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى وتمييزه باسم الإشارة . وقال فى الكامل : العقاب سيد الطيور والنسر عريفها . والعقاب : قال ابن ظفر : حاد البصر ، ولذلك قالت العرب : أبصر من عقاب ، والأنثى منه تسمى لقوة . قال البطليوسى فى الشرح : قال الخليل : اللقوة واللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران اه ، وتسمى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتى من مكان بعيد ، وليس هو العنقاء الآتى ذكرها وبهذا فسر قول أبى العلاء المعرى :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا ... فعاند من تطيق له عنادا
وظن بسائر الإخوان شرا ... ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى ... لما طلعت مخافة أن تصادا
وكم عين تؤمل أن ترانى ... وتفقد عند رؤيتى السوادا

وله من قصيدة قد أبدع فيها :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطا فعنـــد التناهى يقصر المتطاول
يوافى البدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل

وفى المعنى لابن العفيف التلمسانى :

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع ومن شقوتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى فى الجفاء تطاولا وعند التناهى يقصر المتطاول

وتقدم أن العقاب إذا صاحت تقول : فى البعد عن الناس راحة .

وهى نوعان : عقاب وزمج ، فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر ، ومنها ما يأوى الجبال وما يأوى الصحارى وما يأوى الغياض وما يأوى حول المدن ، ويقال إن ذكورها من طير لطف الجرم لايساوى شيئا . وقال ابن خلكان فى آخر ترجمة العماد الكاتب : ويقال إن العقاب جميعه أنثى وأن الذى يسافده طير آخر من غير جنسه ، وقيل إن الثعلب يسافده. قال : وهذا من العجائب والابن عنين الشاعر فى هجو شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه معروفة وله أب مجهول

والعقاب تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوما ، وما عداها من الجوارح تبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما فإذا خرجت فراخ العقاب ألقت واحدا منها لأنه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها ؛ والفرخ الذى تلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلفة فيربيه ، ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع .

والعقاب إذا صادت شيئا لا تحمله على الفور إلى مكانها بل تنقله من موضع إلى موضع ولا تقعد إلا على الأماكن المرتفعة ، وإذا صادت الأرانب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار .

وهى أشـد الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجا وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغـذى بالعراق وتتعشى باليمن ، وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحليتها فى الصيف ، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان ، فعند ذلك تلتمس لها عينا صافية بأرض الهند على رأس جبل فتغمسها فيها ثم تضعها فى شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ، ثم تغوص فى تلك العين فإذا هى قد عادت شابة كما كانت فسبحان القادر على كل شىء الملهم كل نفس هداها .

قال فى التوحيد : ومن عجيب ما ألهمته أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ ، وهى تأكل الحيات إلا رءوسها ، والطيور إلا قلوبها ، ويدل لهذا قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنه قول طرفة بن العبد :

كأن قلوب الطير فى قعر عشها نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

وقيل لبشار بن برد الأعمى الشاعر : لو خيرك الله أن تكون حيوانا ما إذا كنت تختار ؟ قال : العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع ، وتحيد عنها سباع الطير ، ولا تعانى الصيد إلا قليلا بل تسلب كل ذى صيد صيده .

ومن شأنها أن جناحها لا يزال يخفق ، قال عمرو بن حزام .

لقد تركت عفراء قلبى كأنه جناح عقاب دائم الخفقان

وفى عجائب المخلوقات فى ذكر الأحجار أن حجر العقاب حجر يشبه نوى التمر هندى إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يوجد فيه شىء يوجد فى عش العقاب والعقاب تجلبه من أرض الهند ، وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف أن قصدهم إياه لخاصيته . فمن خواصه : أنه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعا ، ومن جعله تحت لسانه فإنه يغلب الخصم فى المقاولة ويبقى مقضى الحاجة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون نظير هذا فى لفظ النسر . وأول من صاد بها وأدبها أهل المغرب .

يحكى أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك فارس عقابا وكتب إليه : علمها فإنها تعمل عملا لا يدركه أكثر الصقور ، فأمر بها فعلمت وصاد بها فأعجبته ، ثم جوعها ليصيد بها فوثبت على صبى من حاشيته فقتلته فقال كسرى : غزانا قيصر فى بلادنا بغير جيش ، ثم أهدى كسرى إليه نمرا أو فهدا وكتب إليه : قد بعثت إليك بما تقتل به الظباء وما قرب منا من الوحش ، وكتم عليه ما صنعته العقاب ، فأعجب به قيصر إذ وافقت صفته ماوصف فغفل عنه يوما فافترس فتى من بعض فتيانه فقال : صادنا كسرى فإن كنا قد صدناه فلا بأس فلما بلغ ذلك كسرى قال : أنا أبو ساسان .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة جعفر بن يحيى البرمكى وغيره عن الأصمعى قال : لما قتل الرشيد جعفرا طلبنى ليلا فجئته وأنا خائف ، فأومأ إلى بالجلوس فجلست فالتفت إلى وقال : أبيات أحببت أن تسمعها ؟ قلت : إن شاء أمير المؤمنين ، فأنشدنى :

لو أن جعفر خاف أسباب الردى لنجا به منها طمر ماجم
ولكان من حذر المنية حيث لا يرجو اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما أتاه يومه لم يدفع الحدثان عنه منجم

فعلمت أنها له فقلت : إنها أحسن أبيات ، فقال : الحق الآن بأهلك ، ففكرت فلم أعرف لذلك معنى إلا أنه أراد أن يسمعنى شعره وأحكيه . وقد حكى أهل التاريخ فى سبب

قتل جعفر حكايات مختلفة منها ما روى عن أبى محمد اليزيدى أنه قال : من قال إن الرشيد قتل جعفرا بغير سبب يحيى بن عبد الله العلوى فلا تصدقه ، وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم إن جعفر بن حسن دعا به ليلة من الليالى وسأله عن أمره فأجابه ، ثم إن يحيى قال له : اتق الله فى يا جعفر ولا تتعرض إلى دمى فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك يوم القيامة فو الله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا ، فرق له جعفر وأطلقه بعد أن استحلفه أن لايحدث حدثا ، وبعث معه من أوصله إلى مأمنه ، فنقل ذلك إلى الرشيد فقال لجعفر : ما فعل بيحيى بن عبد الله ؟ قال : على حاله يا أمير المؤمنين فى السجن والأكبال الثقيلة ، فقال : بحياتى ، فأحجم لها جعفر وكان من أصح الناس فكرا فهجس فى نفسه أنه قد علم شيئا من أمره ، فقال : لا وحياتك يا أمير المؤمنين بل أطلقته لعلمى أن لا مكروه لديه ، فأظهر الرشيد الاستحسان لذلك وأسرها فى نفسه وقال : نعم ما فعلت ، ما عدوت عما كان فى خاطرى ، فلما خرج أتبعه الرشيد بصره وقال : قتلنى الله بسيوف العدا على الضلالة إن لم أقتلك .

وفى تاريخ صاحب حماة وغيره أن الرشيد كان لايصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدى فقال لجعفر : أزوجكها ليحل لك النظر إليها ولا تمسها ، فكانا يحضران مجلسه ثم يقوم الرشيد من المجلس فيمتلئان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها فحملت وولدت غلاما وخافت الرشيد ، فوجهت المولود مع خواص لها إلى مكة ولم يزل الأمر مستورا حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر فأنهت أمر الصبى وأخبرت بمكانه ومن معه من جواريها ومامعه من الحلى ، فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبى وخواصه فوجد الأمر صحيحا فأوقع بالبرامكة .

وقيل إنما قتل الرشيد جعفرا لأنه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه ، وكان الرشيد إذا سافر لايمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ، فلم يزل كذلك حتى جنى جعفر عن نفسه بأن وجه فقطع رأس بعض الطالبين من غير أن يكون أمر بقتله فاستحل الرشيد بذلك دمه .

وقيل كان سبب قتله أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها وفيها هذه الأبيات :

قل لأمين الله فى أرضه ... ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا ... مثلك مابينكما حد
أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التى مابنى ... الفرس لها مثلا ولا الهند
والدر والياقوت حصباؤها ... وتربها العنبر والند
ونحن نخشى أنه وارث ... ملكك إن غيبك اللحد

ولن يباهى العبد أربابه إلا إذا مابطر العبد

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له الشر وأوقع به .

وقيل بل أرادت البرامكة إظهار الزندقة وفساد الملك فأوقع بهم وقتلهم ، قلت : وهو قول بعيد لاأعتقد صحته .

وقيل إن مسرورا قال : سمعت الرشيد سنة حج وهى سنة ست وثمانين ومائة يقول فى الطواف : اللهم إنك تعلم أن جعفرا قد وجب عليه القتل وأنا أستخيرك فى قتله فخر لى ؛ وإن الرشيد لما عاد إلى الأنبار بعث إليه بمسرور وحماد قوافياه والمغنى يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

فقال مسرور : لذلك جئت قد والله طرقك الأمر أجب أمير المؤمنين فتصدق بأمواله وأعتق عبيده وأبرأ الناس من حقوقه ثم أتى به إلى المنزل الذى فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار وأخبر الرشيد فقال : ائتنى برأسه فعاوده فيه مرتين فشتمه وصاح عليه فدخل عليه واحتز رأسه وجاء به إليه ، وذلك فى مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ثم صلب رأسه على الجسر وصلب كل قطعة على جسر فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد عند خروجه إلى خراسان فقال : ينبغى أن يحرق هذا فأحرق ، ولما قتله أحاط بجميع البرامكة وأتباعهم ونودى أن لاأمان لهم إلا لمحمد بن خالد بن برمك وولده وجماعته لما عرف من براءة محمد بن خالد وولده وجماعته .

وقيل إن علية بنت المهدى قالت للرشيد : لأى شىء قتلت جعفرا ؟ فقال : لو علمت أن قميصى يعلم سبب قتل جعفر لأحرقته ، ولما صلب جعفر وقف عليه يزيد الرقاشى وقال من أبيات :

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لاتنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا لدولة آل برمك السلام

فبلغ الرشيد مقالته فأحضره وقال : ماحملك على مافعلت وقد بلغك ماتوعدنا به كل من يقف عليه أو يرثيه ؟ قال : كان يعطينى كل سنة ألف دينار ، فأمر له الرشيد بألفى دينار وقال : هى لك منا مادمنا فى قيد الحياة .

ويروى أن امرأة وقفت على جعفر ونظرت إلى رأسه معلقا فقالت : أما والله لئن صرت اليوم آية لقد كنت فى المكارم غاية ، ثم أنشدت تقول :

ولما رأيت السيف خالط جعفرا ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
وما هى إلا دولة بعد دولة تحول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعة من الملك حطت ذا إلى الغاية السفلى

ثم مرت كأنها الريح ولم تقف .

ولما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه إلى القبلة وقال : اللهم إن جعفرا كان قد كفانى مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة ، وكان جعفر من الكرم والعطاء على جانب عظيم وأخباره فى ذلك مشهورة وفى الدفاتر مسطورة ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها جعفر من الرشيد وكان الرشيد يسميه أخا ويدخله معه فى ثوبه وأن الرشيد لما قتل جعفرا خلد أباه يحيى فى السجن ، وكانت البرامكة فى الغاية من الجود والكرم كما هو مشهور عنهم وكانت مدة وزارتهم للرشيد سبع عشرة سنة .

وذكر ابن إسحاق قال : قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لأجلها حتى اختطفتها العقاب :

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت فهبنا للبناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت عقاب حلقت ولها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا جاشدين إلى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى ومرة قد تعهدها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا وعند الله يلتمس الثواب

وذكر ابن عبد البر فى التمهيد عن عمرو بن دينار أنه قال : لما أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها ، فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد كذا فى بعض نسخ التمهيد وفى بعضها طائر أبيض .

(فائدة) روى ابن عباس أن سليمان بن داود عليهما السلام لما فقد الهدهد دعا بالعقاب سيد الطير وأحزمه وأشده بأسا فقال : على بالهدهد الساعة ، فرفع العقاب نفسه نحو السماء حتى التصق بالهواء فصار ينظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدى الرجل ثم التفت يمينا وشمالا فرأى

الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض عليه فقال الهدهد : أسألك بحق الذى أقدرك على وقواك إلا ما رحمتى ؟ فقال له : الويل لك إن نبى الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك ، ثم أتى به فلقيته النسور وعساكر الطيور فخوفوه وأخبروه بتوعد سليمان فقال الهدهد : ما قدرى وما أنا أو ما استثنى نبى الله ؟ قالوا : بلى . قال : أو ليأتينى بسلطان مبين . قال الهدهد : نجوت إذن ، فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان ، فقال لسليمان أين غبت عن خدمتك ومكانك لأعذبنك عذابا شديدا أو لأذبحنك ، فقال الهدهد : يانبى الله أذكر وقوفك بين يدى الله بمنزلة وقوفى بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا عنه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى نظير هذا فى باب الهاء فى الهدهد .

(الحكم) يحرم أكل العقاب لأنه ذو مخلب . واختلف فى أنه هل يستحب قتله أم لا ؟ فجزم الرافعى والنووى فى الحج باستحباب قتله ، وجزم فى شرح المهذب بأنه من القسم الذى لا يستحب قتله ولا يكره وهو الذى فيه نفع ومضرة ، قلت : وهذا الذى جزم به القاضى أبو الطيب الطبرى وهو المعتمد .

(الأمثال) قالوا : أمنع من عقاب الجو ، قاله عمرو بن عدى لقصير بن سعد فى قصة الزباء المشهورة ، وفى ذلك يقول ابن دريد فى مقصورته :

واخترم الوضاح من دون التى ... أملها سيف الحمام المنتضى
وقد سما عمرو إلى أوتاره ... فاحتط منها كل عالى المنتهى
فاستنزل الزباء قسرا وهى من ... عقاب لوح الجو أعلى منتمى

جعلها لامتناعها بمنزلة لوح الجو ، واللوح الهواء بين السماء والأرض ، والجو أيضا ما بينهما . والقصة فى ذلك ما ذكره الأخباريون ابن هشام وابن الجوزى وغيرهم قالوا : وقد دخل كلام بعضهم فى بعض أن جذيمة الأبرش كان ملكا على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة ، وكان شديد السلطان قد خافه القريب وهابه البعيد . وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه ، وأول من نصب المجانيق فى الحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق فغزا مليح بن البراء ، وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذى ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ ... ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد بنته الزباء فلحقت بالروم ، وكانت الزباء عاقلة أديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة . قال ابن الكلبى : ولم يكن فى نساء عصرها أجمل

منها ، وكان اسمها فارعة ، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لذلك ، قال : وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى بن مريم عليهما السلام ، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وابتنت على عراق الفرات مدينتين متقابلتين فى شرقى الفرات وغربيه ، وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات فكانت إذا رهقتها الأعداء أوت إليه وتحصنت ، وكانت قد اعتزلت الرجال فهى عذراء بتول ، وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثته نفسه بخطبتها ، فجمع خاصته وشاورهم فى ذلك فسكت القوم وتكلم قصير وكان ابن عمه وكان عاقلا لبيبا وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته فقال : أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة حرمت الرجال فهى عذراء بتول لا ترغب فى مال ولا جمال ، ولها عندك ثأر والدم لا ينام وإنما هى تاركتك رهبة وحذرا والحقد دفين فى سويداء القلب له كمون كمون النار في الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى ، وللملك فى بنات الملوك الأكفاء متسع ولهن فيه منتفع ، ولقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم الرب شأنك فما أحد فوقك ؛ هكذا حكاه ابن الجوزى وغيره ؛ وذكر ابن هشام شارح الدريدية وغيره : أن الزباء هى التى أرسلت إليه تخطبه وتعرض عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه إلى ذلك فاستشار وزراءه فكل واحد منهم رأى ذلك مصلحة إلا قصيرا فإنه قال : أيها الملك هذه خديعة ومكر فلم يسمع منه قال : ولم يكن قصيرا ولكن سمى به اه .

قال ابن الجوزى : فقال جذيمة : يا قصير الرأى ما رأيته وقلته ولكن النفس تواقة وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولا وزر ، ثم وجه إليها خاطبا وقال له : اذكر لها ما ترغبها فيه وتصبو إليه ، فجاءها خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت : أنعم بك عينا وبما جئت به ، وأظهرت له السرور والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت : قد كنت أضربت عن هذا مخافة أن لا أجد كفؤا ولكن الملك فوق قدرى وأنا دون قدره قد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال ، ولولا أن السعى فى مثل هذا الأمر بالرجال أمثل لسرت إليه ولنزلت عليه ، وأهدت له هدية سنية ساقت إليه فيها العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم وغير ذلك من الثياب والأمتعة والجواهر شيئا عظيما ، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف الذى تحير فيه عقول ذوى الألباب ، وظن أن ذلك منها لحصول رغبة فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه ، وقد استخلف على مملكته عمرو بن عدى اللخمى وهو أول من ملك الحيرة من لخم ، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ، وهو الذى اختطفته الجن وهو صبى ثم ردته وقد شب وكبر

فألبسته أمه طوقا من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة ، فلما رأى جذيمة لحيته والطوق في عنقه قال : شب عمرو عن الطوق ، فأرسلها مثلا .

وقال ابن هشام : إنه ملك مائة وثماني عشرة سنة .

قال ابن الجوزى : فاستخلفه وسار إلى الزباء فوصل إلى قرية على الفرات يقال لها نيفة فنزل بها وتصيد وأكل وشرب ، واستعاد المشورة والرأى من أصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال : أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى أين يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا محصول له ، ولا تقذف الرأى بالهوى فيفسد ولا الحزم بالمنى فيبعد ، والرأى عندى لملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ ، ولولا أن الأمور تجرى بالمقدور لعزمت على الملك عزما بتا أن لا يفعل ، فأقبل جذيمة على الجماعة وقال : ما عندكم أنتم فى هذا الأمر ؟ فتكلموا بحسب ماعرفوا من رغبته فى ذلك وصوبوا رأيه ووقووا عزمه ، فقال جذيمة الرأى مع الجماعة والصواب ما رأيتم ، فقال قصير : أرى القدر يسابق الحذر ، فلا يطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلا . ثم سار جذيمة ، فلما قرب من ديار الزباء أرسل إليها يعلمها بمجيئه فأظهرت السرور به والرغبة فيه وأمرت بحمل الميرة إليه ، وقالت لجندها ولخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها : تلقوا سيدكم وملك دولتكم ، فعاد الرسول إليه بالجواب وأخبره بما رأى وسمع ، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيرا وقال : أنت على رأيك ؟ قال : نعم ، وقد زادت بصيرتى فيه : أفأنت على عزمك ؟ قال : نعم ، وقد زادت رغبتى فيه فقال قصير : ليس الدهر بصاحب لمن لم ينظر فى العواقب ، فأرسلها مثلا ، ثم قال : وقد يستدرك الأمر قبل فوته ، وفى يد الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب ، فإنك إن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة وأعوان فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك وأعوانك ، وألقيتها فى يد من لست آمن عليك مكره وغدره فإن كنت ولا بد فاعلا ولهواك تابعا فإن القوم إن يلقوك غدا رزدقا واحدا وقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم أطبقوا عليك من كل جانب وأحدقوا بك فقد ملكوك وصرت فى قبضتهم وهذه العصا لا يسبق غبارها ، وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجارى الرياح يقال لها العصا ، فإذا رأيت الأمر كذلك فتجلل ظهرها فهى ناجية بك إن ملكت ناصيتها ، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه وسار ، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها : إذا أقبل جذيمة غدا فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وعن شماله فإذا توسط جمعكم فانقضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به ، وإياكم أن يفوتكم ، وسار جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم رزدقا واحدا قاموا له صفين فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب فعلم أنهم قد ملكوه ، وكان قصير يسايره فأقبل جذيمة عليه وقال : صدقت يا قصير ،

فقال : هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها ، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش ، فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأمر وأيقن بالقتل جمع نفسه ووثب على ظهر العصا.

وقال ابن هشام : إن قصيرا قدم العصا إلى جذيمة فشغل عنها جذيمة بنفسه فركبها قصير وأعطاها عنانها وزجرها فذهبت تهوى به هوى الريح ، فنظر إليه جذيمة وهى تطاول به وأشرفت عليه الزباء من قصرها فقالت له : ما أحسنك من عروس تجلى على وتزف إلى حتى دخلوا به على الزباء ولم يكن معها فى قصرها إلا جوار أبكار ، وهى جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها فى خلق ولا زى ، وهى بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم .

قال ابن هشام : وكانت الزباء قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له وقالت : أمتاع عروس ترى ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فأمرت به فأجلس على نطع ، وقيل إنه لما أدخل عليها أمرت بالأنطاع فبسطت وقالت لوصائفها : خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن ، فأخذن بيده وأجلسنه على الأنطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع كلامها ، ثم أمرت الجوارى فقطعن رواهشه ووضعن الطست بين يديه فجعلت دماؤه تشخب فى الطست ، فقطرت قطرة على النطع فقالت لجواريها : لاتضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله ، فقالت : والله ما وفى دمك ولا شقى قتلك ، ولكنه غيض من فيض ، فأرسلتها مثلا ، فلما قضى أمرت به فدفن .

وأما عمرو فكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتفى من حاله الأثر ، فخرج ذات يوم فإذا فارس قد أقبل تهوى به الفرس هوى الريح ، فقال عمرو بن عدى : أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالبهيمة لأمر ما جاءت العصا ، فأرسلها مثلا . فأشرف قصير فقال : ما وراءك ؟ قال : سعى القدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنفى وأنفه ، ثم قال لعمرو بن عدى : اطلب بثأرك من الزباء ، فقال عمرو : وأنى يطلب من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو . فأرسلها مثلا ، فقال له قصير : قد علمت نصحى لخالك وكان الأجل طالبه ، وأنا والله لا أنام عن الطلب بدمه مالاح نجم أو طلعت شمس أو أدرك به ثأرا أو تخترم نفسى فأعذر ، ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه .

وقال ابن هشام : إن قصيرا قال لعمرو : اجدع أنفى واقطع آذانى واضرب ظهرى حتى يؤثر فيه ودعنى وإياها ففعل به عمرو ذلك . وذكر الأخباريون : أن عمرا أبى عليه ففعل هو بنفسه ذلك ، فقيل : لأمر ما جدع قصير أنفه .

قال ابن الجوزى : ثم إن قصيرا لحق بالزباء هاربا من عمرو بن عدى ، فقيل لها هذا قصير ابن عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد أتاك هاربا ، فأذنت له وقالت : ما الذى

جاء بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر ؟ فقال : يا ابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يأتى فيه مثلى إلى مثلك ، ولقد كان دم الملك يعنى أباها يطلب جذيمة حتى أدركه ، وقد جئتك مستجيرا من عمرو بن عدى فإنه اتهمنى بخاله لمشورتى عليه فى المسير إليك ، فجدع أنفى وأخذ مالى وجلد ظهرى وقطع آذانى وحال بينى وبين أهلى وتهددنى بالقتل ، وإنى خشيت على نفسى فهربت منه إليك ، وأنا مستجير بك ومستند إلى كنف عزك ، فقالت له : أهلا وسهلا لك حق الجوار وذمة المستجير ، وأمرت به فأنزل وأجرت له النفقات ووصلته وكسته وأخدمته وزادت فى إكرامه ، فأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيل عليها وموضع الفرصة منها ، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها ، فقال لها قصير يوما : إن لى فى العراق مالا كثيرا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك ، فإذا أذنتنى فى الخروج إلى العراق وأعطيتنى شيئا أتعلل به فى التجارة وأجعله سببا إلى الوصول إلى مالى أتيتك بما قدرت عليه من ذلك ، فأذنت له وأعطته مالا فقدم به إلى العراق وأخذ مالا جزيلا ثم رجع إلى الزباء وقد استصحب من طرائف العراق ولطائفها وزادها مالا كثيرا إلى مالها ، قال : فلما قدم عليها أعجبها ذلك وأبهجها وعظمت منزلته عندها ، ثم إنه عاد إلى العراق ثانية وقدم عليها بأكثر من النوبة الأولى وزادها أضعافا من الجوهر والخز والبز والقز والديباج فازداد مكانه منها وعظمت منزلته عندها ورغبتها فيه ، ولم يزل قصير يتلطف فى الحيلة حتى عرف موضع النفق الذى تحت الفرات والطريق إليه ، ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من المرتين الأوليين طرائف ولطائف فبلغ مكانة عظيمة منها حتى إنها كانت تستعين به فى مهماتها واسترسلت إليه وعولت فى أمورها عليه ، وكان قصير رجلا حسن العقل والوجه أديبا لبيبا ، فقالت له يوما : إنى أريد أن أغزو البلد الفلانية من أرض الشأم فاخرج إلى العراق وائتنى بكذا وكذا من الدروع والكراع والعبيد والثياب ، فقال قصير : لى ببلاد عمرو بن عدى ألف بعير وخزانة من المال وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا ، وما لعمرو بها من علم ولو علم بها لأخذها واستعان بها على حرب الملكة ، وقد كنت أتربص به ريب المنون وها أنا أخرج متنكرا من حيث لا يعلم فآتى الملكة بذلك مع الذى سألت ، فأعطته من المال ما أراد وقالت : يا قصير الملك يحسن بمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره ، وقد بلغنى أن جذيمة كان إيراده وإصداره إليك ، وما أقصر بك عن شىء تناله يدى ولا يقعد بك حال تنهض بى ، فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال : إنه أسد خادر وليث ثائر قد تحفز للوثبة ، ولما عرف قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال : الآن طاب الخداع ، وخرج من عندها فأتى عمرو بن عدى فقال : قد أصبت الفرصة من الزباء ، فقال له عمرو : قل أسمع ومر أقبل فأنت طبيب هذه القرحة ، فقال : الرجال

والأموال ، فقال عمرو : حكمك فيما عندى مسلط ، فعمد إلى ألفى رجل من فتاك قومه وصناديد أهل مملكته فحملهم على ألف بعير فى الغرائر السود بالأسلحة وجعل ربطها من داخل الجوالق ، وكان عمرو منهم ، وساق الخيل والكراع والسلاح والإبل محملة .

قال ابن هشام : فكان يسير الليل ويكمن بالنهار وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وعمى عليها أمر قصير فسألت عنه فقيل أخذ الغوير ، فقالت : عسى الغوير أبؤسا ، فأرسلتها مثلا ، وعسى فى المثل بمعنى صار ولذلك أتى الخبر بغير الفعل ، فلما قدم قصير دخل على الزباء وكان قد تقدم على العير فقال لها : قفى وانظرى إلى العير ، فصعدت على سطح قصرها وجعلت تنظر إلى العير مثقلة بحمل الرجال ، فقالت : يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا ؟

وكان قصير قد وصف لعمرو الزباء وشأن النفق ، فلما دخلت العير المدينة وكان على باب الزباء بوابون من النبط وفيهم رجل بيده مخصرة فطعن جوالقا فأصابت المخصرة رجلا منهم فضرط ، فقال البواب بالنبطية : بشا بشا أى الشر الشر ، فاستل قصير سيفه وضرب به البواب فقتله ، وكان عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل وحل الرجال الجوالق فظهروا فى المدينة ووقف عمرو على باب النفق ، فلما رأت الزباء عمرا عرفته بالصفة فمصت خاتما فى يدها مسموما وقالت : بيدى لا بيد عمرو فماتت ، ويقال إن عمرا قتلها بالسيف .

وقال ابن الجوزى : إن الزباء لما رأت الإبل تتهادى بأحمالها ارتابت بها ، وكان قد وشى بقصير إليها فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها فى نفسها مع ما عندها من قول الواشى به فقالت :

* أرى الجمال مشيها وئيدا *

إلا أنه ذكر عوض * أم الرجال جثما قعودا * أم الرجال فى الغرار السودا *

ثم قالت لجواريها : أرى الموت الأحمر فى الغرائر السودا . فذهبت مثلا ، وذكر القصة إلى آخرها فاحتوى عمرو على بلادها .

والزباء اسمها نائلة فى قول محمد بن جرير الطبرى ويعقوب بن السكيت ، واستشهد ابن جرير الطبرى بقول الشاعر :

أتعرف منزلا بين النقاء وبين ممر نائلة القديم

وميسون فى قول ابن دريد ، وفارعة فى قول ابن هشام وابن الجوزى وغيرهما كما تقدم.

قلت : وفى النهاية لابن الأثير أن قوما من الجن تذاكروا عيافة بنى أسد ووصفهم بها ، فأتوهم فقالوا : ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف ، فقالوا لغلام لهم : انطلق معهم

فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها فاقشعر الغلام وبكى فقالوا : مالك يا غلام ؟ فقال : كسرت جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراحا ما أنت بإنسى ولا تبغى لقاحا ، وقالوا : أطير من عقاب الجو ، وأبصر من عقاب وأحزم . فإن قيل ما حزمه ؟ قيل إنه يخرج من بيضته على رأس جبل عال فلا يتحرك حتى يتكامل ريشه ولو تحرك لسقط ، ويقال أيضا : أسمع من فرخ عقاب ، وأعز من عقاب الجو .

(عجيبة) نقل ابن زهر عن أرسطاطاليس أن العقاب تصير حدأة والحدأة عقابا يتبادلان فى كل سنة .

(الخواص) قال صاحب عين الخواص : قال عطارد بن محمد : إن العقاب يهرب من الصبر ، وإذا شم رائحته غشى عليه ، وريش العقاب إذا دخن به البيت ماتت حياته ، ومرارته تنفع من الظلمة والماء الذى فى العينين اكتحالا قاله القزوينى .

(التعبير) العقاب تدل رؤيته لمن هو فى حرب على النصر والظفر على الأعداء لأنها كانت راية النبى صلى الله عليه وسلم ، والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده . ومن رأى أنه ملك عقابا أو نسرا وتحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على عدوه وعاش عمرا طويلا فإن كان الرائى من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفردا لايأوى إلى أحد ، وإن كان ملكا اصطلح مع الأعداء وأمن من شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال لأن أرياشها السهام وهى أموال أيضا ، وصغارها أولاد زنا قاله ابن المقرى . وقال المقدسى : من رأى عقابا ضربه بمخالبه ناله شدة فى ماله ، وأكل لحم العقاب يدل على الحرص ، وربما دلت رؤيته أعنى العقاب على رجل صاحب حرب لايأمنه قريب ولا بعيد ، وإذا رؤى على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت ، ومن ركب عقابا فى منامه وكان فقيرا نال خيرا ، وإن كان غنيا أو من أشراف الناس فإنه يموت لأن فى الزمان المتقدم كانوا يصورون صورة الميت من الأغنياء والأمراء على صورة عقاب ، ومن رأت من النساء كأنها ولدت عقابا اتصل ولدها بالملك فى خدمة أو صراع ، والله أعلم .

﴿ العقد ﴾ : الجمل الصغير القوائم الطويل السنام ، فإذا مشى مع الجمال قصر عن طولها وإذا برك معها طالها لطول سنامه ، ولذلك يقول ثعلبة :

أرسلت فيها جملا لكالكا يقصر مشيا ويطول باركا

﴿ العقال ﴾ : القلوص الفتية ، والعقال زكاة العام من الإبل والغنم : قال الشاعر :

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

﴿ العقرب ﴾ : دويبة من الهوام تكون للذكر والأنثى بلفظ واحد واحدة العقارب ،

وقد يقال للأنثى عقربة وعقرباء ممدود غير مصروف ويصغر على عقيرب كما تصغر زينب على زيينب والذكر عقربان بضم العين والراء ، وهو دابة له أرجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب قال الشاعر :

كأن مرعى أمكم إذ غدت عقـــربة يكومها عقربان

أى ينزو عليها ومكان معقرب بكسر الراء ذو عقارب ، وصدغ معقرب بفتح الراء أى معطوف ، وكنيتها : أم عريط وأم ساهرة ، واسمها بالفارسية الرشك كما تقدم ، ومنها السود والخضر والصفر ، وهن قواتل وأشدها بلاء الخضر ، وهى مائية الطباع كثيرة الولد تشبه السمك والضب ، وعامة هذا النوع إذا حملت الأنثى منه يكون حتفها فى ولادتها لأن أولادها إذا استوى خلقها تأكل بطنها وتخرج فتموت الأم ، وأنشدوا قول الشاعر :

وحاملة لايحمل الدهر حملها تموت وينمى حملها حين تعطب

والجاحظ لايعجبه هذا القول ويقول : قد أخبرنى من أثق به أنه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل أولادها على ظهرها ، وهى على قدر القمل كثيرة العدد . قلت : والذى ذهب إليه الجاحظ هو الصواب . والعقرب أشد ماتكون إذا كانت حاملا ولها ثمانية أرجل وعيناها فى ظهرها . ومن عجيب أمرها أنها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك بشىء من بدنه فإنها عند ذلك تضربه . وهى تأوى إلى الخنافس وتسالمها ، وربما لسعت الأفعى فتموت ، وهى يلسع بعضها بعضا فتموت قاله الجاحظ .

وفى كتاب القزوينى أن العقرب إذا لسعت الحية فإن أدركتها وأكلتها برئت وإلا ماتت . وقد أشار إلى ذلك الفقيه عمارة اليمنى فى أبياته بقوله :

إذا لم يسالمك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هدّ قدماعرش بلقيس هدهد وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الفقيه عمارة بن على بن زيدان اليمنى أن قاسم بن هاشم صاحب مكة وجهه رسولا إلى الديار المصرية فدخلها فى ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة ، وصاحبها يومئذ الفائز والوزير الصالح بن رزيك فأنشدهما قصيدته الميمية التى أولها :

* الحمد للعيس بعد العزم والهمم *

وفى آخرها :

ليت الكواكب تدنولى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

خليفة ووزير مدّ عدلهما ظلا على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى يتعاطى منة الديم

فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته وعاد إلى مكة ثم إلى زبيد ثم أعاده صاحب مكة رسولا إلى مصر أيضا فاستوطنها وأحسن الصالح وبنوه إليه ، فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ، ثم إنه شرع فى الاتفاق مع جماعة من الرؤساء على إعادة دولة المصريين ووافقهم جماعة من أمراء الملك الناصر واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن سواحل الشام إلى ديار مصر على شيء يبذلونه لهم من المال والبلاد ، فعلم صلاح الدين بذلك فقبض عليهم وسألهم عن ذلك فأقروا فصلبهم فى رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وهذا التاريخ مناقض لما تقدم من أنه كان رسولا لصاحب مكة فى سنة خمسين وخمسمائة . قلت : والصواب أن صلبهم كان فى سنة تسع وستين يوم السبت الثانى من شهر رمضان ، وكان القبض عليهم يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، وكان عمارة شافعيا وينسب إليه بيت قاله أو وضع عليه ، والله أعلم بذلك :

فقد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

فأفتى فقهاء مصر بقتله ولم يتعرض السلطان صلاح الدين إلى من نافق عليه من أجناده ولا أظهر لهم أنه علم بشيء من أمرهم . ومن العجيب أن الفقيه عمارة قال قبل صلبه بأيام قلائل فى مصلوب :

ورأت يداه عظيم ماجنتا ففررن ذى شرقا وذى غربا
وأمال نحو الصدر منه فما ليلوم فى أفعاله القلبا

فكأنه كان لسان حاله .

ومن شأنها إذا لسعت الإنسان فرت فرارا مسيئا يخشى العقاب . قال الجاحظ : ومن عجيب أمرها أنها لاتسبح ولاتتحرك إذا ألقيت فى الماء سواء كان الماء ساكنا أو جاريا . قال : والعقارب تخرج من بيوتها للجراد لأنها حريصة على أكله .

وطريق صيدها أن تشبك الجرادة فى عود ثم تدخل فى جحرها فإذا عاينتها العقرب تعلقت فيها . ومتى أدخل الكراث فى جحرها وأخرج فإنها تتبعه أيضا وربما ضربت الحجر والمدر ، ومن أحسن ماقيل فى ذلك :

رأيت على صخرة عقربا وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها إنها صخرة وطبعك من طبعها ألينا

فقالت صدقت ولكننى أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهر زور وبعسكر مكرم ، وهى جرارات تلسع فتقتل كما تقدم ، وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى حتى إنه لايدنو منه أحد إلا وهو يمسك أنفه مخافة إعدائه .

ومن لطيف أمرها أنها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها .

ومن نوع العقارب الطيارة . قال القزوينى والجاحظ : وهذا النوع يقتل غالبا . قال الرافعى : وحكى العبادى وجها أنه يصح بيع النمل بنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة التى بها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا أيضا فى باب النون فى حكم النمل ، ولعل مراده أن النمل يعمل مع أدوية ويعالج بها لدغتها ، وبنصيبين عقارب قتالة يقال إن أصلها من شهر زور ، وأن بعض الملوك حاصر نصيبين وأتى بالعقارب منها وجعلها فى كيزان الفقاع ورمى بها فى المجانيق . قال الجاحظ : وكان فى دار نصر بن حجاج السلمى عقارب إذا لسعت قتلت ، فدب ضيف لهم إلى بعض أهل الدار فضربته عقرب فى مذاكيره ، فقال نصر يعرض به :

ودارى إذا نام سكانها أقام الحدود بها العقرب
إذا غفل الناس عن دينهم فإن عقاربهـا تضرب
فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

فدخل حوالى الدار وقال : هذه عقارب تسقى من أسود سالخ ، ونظر إلى موضع فى الدار وقال : احفروا هاهنا فحفروا فوجدوا أسودين ذكرا وأنثى . وروى الطبرانى وأبو يعلى الموصلى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « دخل على بن أبى طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقام إلى جنبه فصلى بصلاته فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركته وذهبت نحو على فضربها بنعله حتى قتلها فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها بأسا » فى إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف . وروى ابن ماجه عن أبى رافع « أن النبى صلى الله عليه وسلم قتل عقربا وهو يصلى » .

وفيه أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فقال « لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولا غير مصل اقتلوها فى الحل والحرم » .

وروى الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله تعالى عنه قال : « لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة ،

فلما فرغ من صلاته قال «لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولاغيره ولانبيا ولاغيره إلا لدغته، وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ—قل هو الله أحد—والمعوذتين وفى تاريخ نيسابور عن الضحاك بن قيس الفهرى قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يتهجد فلدغته عقرب فى أصبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعن الله العقرب ماتكاد تدع أحدا ثم دعا بماء فى قدح وقرأ عليه—قل هو الله أحد الله الصمد—ثلاث مرات ثم صبه على أصبعه، ثم رؤى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على المنبر عاصبا أصبعه من لدغة العقرب».

وفى [عوارف المعارف] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «لدغت رسول الله صلى الله عليه وسلم عقرب فى إبهامه من رجله اليسرى فقال: علىّ بذاك الأبيض الذى يكون فى العجين، فجئنا بملح فوضعه صلى الله عليه وسلم فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه».

وروى ابن أبى شيبة عن جابر بن عبد الله «أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لاعدوى ولا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون وكأن وجوههم المجان المطرقة».

(غريبة) فى تاريخ شيخنا اليافعى رحمه الله تعالى فى حوادث سنة تسع وخمسمائة ذكر أن بعض الملوك قال له منجموه إنه يموت فى الساعة الفلانية فى اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى من سنة كذا من عقرب تلدغه، فلما كانت الساعة المذكورة تجرد من جميع ثيابه سوى مايستر عورته وركب فرسا بعد أن غسله ونظفه وسرح شعره ودخل به البحر حذارا مما ذكر له منجموه، فبينما هو كذلك عطست الفرس فخرج من أنفها عقرب فلدغته فمات فما أغناه الحذر عن القدر.

وعن معروف الكرخى قال: بلغنا أن ذا النون المصرى خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فإذا هو بعقرب قد أقبل عليه كأعظم مايكون من الأشياء. قال: ففزع منها فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفى شرها، فأقبلت حتى وافت النيل فإذا هى بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها إلى الجانب الآخر، فقال ذو النون: فائتزرت بمئزرى ونزلت فى الماء ولم أزل أرقبها إلى أن أتت إلى الجانب الآخر فصعدت، ثم سعت وأنا أتبعها إلى أن أتت شجرة كثيرة الأغصان كثيرة الظل، وإذا بغلام أمرد أبيض نائم تحتها وهو مخمور فقلت: لاقوة إلا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى، فإذا أنا بتنين قد أقبل

يريد قتل الفتى فظفرت العقرب به ولزمت دماغه حتى قتلته ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر ، فأنشد ذو النون يقول :

يا راقدا والجليل يحفظه من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيك منه فوائد النعم

قال : فانتبه الفتى على كلام ذى النون فأخبره الخبر فتاب ونزع لباس اللهو ولبس ثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله تعالى .

واسم ذى النون : ثوبان بن إبراهيم ، وقيل الفيض بن إبراهيم . ومن كلامه رحمه الله تعالى : حقيقة المحبة أن تحب ما أحبه الله وتبغض ما أبغضه الله وتطلب رضاه وترفض جميع مايشغلك عنه ، وأن لاتخاف فيه لومة لائم ، وأن تعزل نفسك عن رؤيتها وتدبيرها فإن أشد الحجاب رؤية النفس وتدبيرها . وقال رحمه الله : لايزال العارف مادام فى الدنيا بين الفخر والفقر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر . وقال : ليس بذى لب من جد فى أمر دنياه وتهاون فى أمر آخرته ، ولا من سفه فى مواطن حلمه ، ولا من تكبر فى مواطن تواضعه ، ولا من فقدت منه التقوى فى مواطن طمعه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما يرغب العقلاء فيه ، ولا من رغب فيما يزهد العقلاء فيه ، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ، ولا من نسى الله تعالى فى مواطن طاعته وذكر الله فى مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلم ليعرف به ثم آثر عليه هواه بعد تعلمه ، ولا من قل منه الحياء من الله تعالى على جميل ستره ، ولا من أغفل الشكر على إظهار نعمه ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه ، ولا من جعل مروءته لباسه ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفا وتزينا فى مجلسه ، ثم قال : أستغفر الله العظيم إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع .

وحكى لى بعض أشياخى عن ذى النون أنه قال لبعض الرهبان : ما معنى المحبة ؟ فقال : لايطيق العبد حمل محبتين من أحب الله لايحب الأغيار ومن أحب الأغيار لايحب الله خالصا ، فتفكر فى حالك من أى القبيلين أنت ؟ قال : قلت : صف لى المحبة ؟ فقال : المحبة عقل ذاهب ودمع ساكب ونوم طريد وشوق شديد والحبيب يفعل ما يريد . قال ذو النون : فعملت هذا الكلام معى فعلمت أنه خرج من المعدن وأن الراهب مسلم ثم فارقته ، فبينما أنا أطوف بالكعبة وإذا بالراهب يطوف وقد نحل فقال لى يا أبا الفيض تم الصلح وانفتح باب المؤانسة ومن الله علىّ بالإسلام : وحملنى ما عجزت عنه السموات والأرض . قال ذوالنون : حمل نفسه محبة الله تعالى التى عجزت عنها السموات والأرض وصم الجبال وحملها أجلاد الرجال بلطائف الأحوال ، وأنشد يقول :

حبك يا سـؤلى ويا منيتى قد أنحل الجسم وقد كده
لو أن ما فى القلب من حبكم بالجندل الصلد لقد هده

ثم قال ذو النون : لا أحياء ولا أموات ولا صحاة ولا سكرى ولا مقيمون ولا ظاعنون ولا مفيقون ولا صرعى ولا أصحاء ولا مرضى ولا منتبهون ولا نيام . فهم كأصحاب الكهف فى فجوة الكهف لايدرون ما يفعل بهم — ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال — قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى . ذو النون رحمه الله تعالى أصله من النوبة ، وكان من أهل أخميم فنزل مصر وسكنها ، ويقال اسمه الفيض وذوالنون لقب. وقال الإمام أبوالقاسم القشيرى فى رسالته : كان ذو النون قد فاق أهل هذا الشأن وصار واحد وقته علما وورعا وأدبا وحالا ، وكانت وفاته بالجيزة لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين . قال ابن خلكان : ودفن بالقرافة الصغرى .

وأما معروف فهو ابن قيس الكرخى كان مشهورا بإجابة الدعوة ، وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون : قبر معروف ترياق مجرب . وكان سرى السقطى تلميذه ، وقيل لمعروف فى مرض موته أوص فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصى فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا. ومر معروف رحمه الله تعالى يوما بسقاء وهو يقول : يرحم الله من يشرب وكان صائما فتقدم وشرب ، فقيل له ألم تكن صائما ؟ قال : بلى ولكن رجوت دعاءه ، توفى رحمه الله تعالى سنة ثلثمائة .

وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار : زعموا أن أرض حمص لا تعيش فيها العقارب وزعم أهلها أن ذلك لطلسم هناك ، قالوا : وإن طرحت فيها عقرب غريبة ماتت من ساعتها ، وحمص مدينة معروفة من مشارق الشام لا تنصرف للعلمية والعجمة والتأنيث ، وهى من المدن الفاضلة . وفى حديث ضعيف أنها من مدن الجنة ، وكانت فى أول الأمر أشهر بالفضل من دمشق ، وذكر الثعلبى أنه نزلها سبعمائة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم .

(فائدة) رقية العقرب جائزة لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال « لدغت رجلا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله أرقيه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » وفى رواية : «فجاء آل عمرو بن حزم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعرضوا على رقاكم ، فعرضوها عليه فقال صلى الله عليه وسلم : ما أرى بها بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» . وفى رواية : «اعرضوا على رقاكم لابأس بالرقى مالم يكن فيها شىء » فالرقى جائزة بكتاب الله أو بذكره ونهى عنها إذا كانت بالفارسية أوبالعجمية أو بما لايدرى

معناه لجواز أن يكون فيه كفر . واختلفوا فى رقية أهل الكتاب فجوزها أبو حنيفة وكرهها مالك خوفا أن تكون مما بدلوا .

فمن الرقى النافعة المجربة أن يسأل الراقى الملدوغ إلى أين انتهى الوجع من العضو ثم يضع على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يجرد موضع الألم بالحديدة من فوق حتى ينتهى فى جرد السم إلى أسفل الوجع ، فإذا اجتمع فى أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك وهى هذه — سلام على نوح فى العالمين — وعلى محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والأرض إلا ربى آخذ بناصيتها أجمعين كذلك يجزى عباده المحسنين — إن ربى على صراط مستقيم — نوح نوح قال لكم نوح من ذكرنى لا تأكلوه إن ربى بكل شىء عليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ورأيت بخط ابن الصلاح فى رحلته رقية للعقرب قال : ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا تلدغه عقرب وإن أخذها بيده لا تلدغه وإن لدغته لا تضره وهى بسم الله وبالله وبسم جبريل وميكائيل كازم كازرم ريزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يتشامرا يتشامرا هوذا هوذا هى لمظا أنا الراقى والله الشافى .

(صفة خاتم) نافع للسع العقرب ولإفاقة المجنون وللرعاف ولوجع العين إذا كان من ريح باردة ينقش على خاتم بلور أحمر هذه الأسماء (خطلسلسه كطوده دل صحوه أو شططا أبى مه بيدهى سفاهة سفاهة) فللعقرب : يغمس فى ماء نظيف ويجعل فى موضع اللسع ، وللمجنون : يديم النظر إلى الخاتم فإنه يفيق بإذن الله تعالى ، وللرعاف : يكتب على الجبهة . وللحمى : يكتب على ورق الزيتون ويعلق . وللريح : يجعل الخاتم فى موضع الريح ويمسحه .

ومما يكتب للحمى أيضا على ثلاث ورقات ويبخر بها المحموم الأولى : كاا ا ط لا والثانية : كاا ا ط ط والثالثة كاا ا الخ لو م و . وللحمى أيضا : يكتب على ثلاث ورقات ويأكل كل يوم ورقة إذا حم : الأولى : بسم الله نارت واستنارت . الثانية : بسم الله فى علم الغيب غارت . الثالثة : بسم الله حول العرش دارت .

ومما يكتب للرعاف أيضا وللنزيف : لوطا لوطا لوطا يكتب ثلاثة أسطر .

وذكر صاحب عين الخواص تكتب هذه الأسماء فى ورقة أو على طاسة اسبادرية صحيحة غير مشعوبة أو قصعة جوز بلا شعب ، ويكتب اسم أبيه وأمه ويسقى للموعوك ، وإن سقيت للملسوع أفاق لوقته وهى هذه :

(سارا سارا إلى سارا مالى يرن يرن إلى بامال واصال باطوطو كالعو ما راسب يا فارمن

(ردد باب ها كانا ما ا بين لها نارا أنار كاس متمرنا كاطن صلو بيرص صاروب أناوين ودى)
هذا لمسوع الحية . قال : وهو مما جرب فوجد نافعا ، وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحية ما يقرب من هذا .

وقال بعض العلماء المتقدمين : من قال فى أول الليل وأول النهار : عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق .

وروى مالك والجماعة إلا البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك إن شاء الله تعالى » وفى كامل ابن عدى فى ترجمة وهب بن راشد الرقى أن الرجل المذكور بلال ، وفى رواية للترمذى « من قال حين يمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة » قال سهيل : فكان أهلنا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعا ، وقال هذا حديث حسن .

كلمات الله القرآن . ومعنى تمامها : أن لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس ، وقيل هى النافعات الكافيات عن كل ما يتعوذ به . قال البيهقى : وإنما سماها تامة لأنه لايجوز أن يكون فى كلامه تعالى نقص أوعيب كما يكون فى كلام الآدميين . قال : وبلغنى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء فى الهامة .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن سعيد بن المسيب قال : بلغنى أن من قال حين يمسى : سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب .

وقال عمرو بن دينار : إن مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحدا قال فى ليل أو نهار : سلام على نوح فى العالمين .

وفى التمهيد لابن عبدالبر فى ترجمة يحيى بن سعيد الأنصارى فى بلاغاته فى الثانى عشر قال ابن وهب : وأخبرنى ابن سمعان قال : سمعت رجالا من أهل العلم يقولون : إذا لدغ الإنسان فنهشته حية أو لدغته عقرب فليقرأ الملدوغ هذه الآية — نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين — .

وقال الشيخ أبو القاسم القشيرى فى تفسيره فى بعض التفاسير : إن الحية والعقرب أتتا نوحا عليه الصلاة والسلام فقالتا احملنا ، فقال نوح : لا أحملكما فإنكما سبب للبلاء والضرر ، فقالتا احملنا ونحن نعاهدك ونضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فعاهدهما وحملهما ، فمن قرأ

ممن كان يخاف مضرتها حين يمسى وحين يصبح – سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين – ماضرتاه. ثم روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نوحا عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين، وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون: فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفى البطن الثانى وهو الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع ما احتاج إليه من الزاد.

وروينا عن الشيخ الإمام الحافظ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوريزى نزيل مكة المشرفة أنه قال: كنت أقرأ بمكة الفرائض على الشيخ تقى الدين الحورانى، فبينما نحن جلوس وإذا بعقرب تمشى فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها فى يده فوضعت الكتاب من يدى فقال اقرأ، فقلت: حتى أتعلم هذه الفائدة، فقال: هى عندك، قلت: ماهى؟ قال: ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قال حين يصبح وحين يمسى بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم لم يضره شىء» وقد قلتها أول النهار.

ومما يدفع شر الحية والعقرب: أن يقرأ عند النوم ثلاث مرات: أعوذ برب أوصافه سمية من كل عقرب وحية سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى الحسنين أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

(فائدة) يقال لدغته العقرب تلدعه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ.

قال أبو داود الطيالسى فى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» معناه أن المؤمن لا يعاقب على ذنبه فى الدنيا ثم يعاقب عليه فى الآخرة، والذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك هو أبو عزة الجمحى الشاعر واسمه عمرو وقع فى الأسر يوم بدر ولم يكن معه مال فقال: يارسول الله إنى ذو عيلة فأطلقه لبناته الخمس على أن لا يرجع للقتال، فرجع إلى مكة ومسح عارضيه وقال: خدعت محمدا مرتين، ثم عاد عام أحد مع المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم لاتفلته فلم يقع فى الأسر غيره فقال: يا محمد إنى ذو عيلة فأطلقنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وأمر بقتله، والحديث المذكور رواه الشافعى ومسلم وابن ماجه، وقوله لايلدغ يروى بضم الغين على الخبر يعنى أن المؤمن حازم لا يخدع مرة بعد مرة ولايفطن لذلك، وقيل أراد به الخداع فى أمر الآخرة دون الدنيا، ويروى بكسر الغين نهيا أى لا يؤتى من جهة الغفلة وهذا يصح أن يتوجه إلى أمر الدنيا والآخرة أيضا، ويؤيد ما قاله أبو داود الطيالسى ما رواه النسائى فى مسنده على عن أبى سخيلة أنه سمع عليا رضى الله تعالى عنه يقول: ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى؟ قالوا: بلى، قال: قوله تعالى – وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياعلى ما أصابك

من بلاء أو عقوبة أو مرض فى الدنيا فبما كسبت يداك ، والله أكرم من أن يثنى على عبده فى الآخره العقوبة ، وما عفا الله عنه الدنيا فالله أكرم وأحلم من أن يعود بالعقوبة بعد عفوه» انتهى . ولذلك قال الواحدى : إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره بالمصائب وصنف عفا عنه ، وهو جل وعلا كريم لا يعود فى عفوه .

(فائدة أخرى) يقال : لسعته العقرب والحية تلسعه لسعا فهو ملسوع ، وما أحسن قول القائل :

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم ... من عقرب الصدغ أم من حية الشعر
قالوا بلى من أفاعى الأرض قلت لهم ... وكيف تسعى أفاعى الأرض للقمر

ويقال فى الحية : عضت تعض ونهشت تنهش ونشطت تنشط ونكزت بأنفها تنكز ، وأنشدنى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى قال أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين أبو حيان قال : أنشدنا الحافظ رضى الدين أبو عبيد الله الشاطبى قال : أنشدنا أبو الربيع سليمان بن سالم الناقد قال : أنشدنا أبو عبد الله بن رافع القيسى قال : أنشدنا أبو القاسم ابن حبيش قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الفراء الضرير الخطيب بقصبة المرية لنفسه :

يا حسنا مالك لم تحسن ... إلى نفوس فى الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن ... صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتنى ... منه وقد ألدغنى عقربه
يا حسنه إذ قال ما أحسنى ... ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنا ... وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى ... ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبنى ... وحبه إياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى ... قتلى له لم أدر ما أوجبه

قال الحريرى فى درة الغواص : السوسن بفتح السين ، وقد أذكرنى السوسن أبياتا أنشدنيها على ابن عبد العزيز الأديب المغربى لأبى بكر بن القوطية الأندلسى يصف فيها الورد والسوسن مما أبدع فيه وأحسن ، فأوردتها على وجه التسديد لسمط هذا الفصل والتأسى بمن درج من أهل الفضل وهى :

قم فاسقنيها على الورد الذى نعما ... وباكر السوسن الغض الذى نجما
كأنما ارتضعا خلفى سمائهما ... فارتضعت لبنا هذا وذاك دما
جسمان قد كفر الكافور ذاك وقد ... عق العقيق احمرارا ذا وما ظلما
كأن ذا طلية نصت لمعترض ... وذاك خد غداة البين قد لطما

أولا فذاك أنابيب اللجين وذا جمر الغضى حركته الريح فاضطرما

وقالت العرب : قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعا من الزنبور فإذا هو هى ، وقالوا أيضا : فإذا هو إياها ، وهذا الوجه هو الذى أنكره سيبويه لما سأله الكسائى بحضرة يحيى ابن خالد البرمكى ، فقال له الكسائى : إن العرب ترفع كل ذلك وتنصبه ، فقال له يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فقال له الكسائى : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون ، فأحضروا وسئلوا فوافقوا الكسائى ، فأمر يحيى لسيبويه بعشرة آلاف درهم ، ورحل سيبويه من فوره إلى بلاد فارس فأقام بها حتى مات فى سنة ثمانين ومائة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وثلاثون سنة ، ويقال إن العرب علموا منزلة الكسائى عند الرشيد فقالوا القول قول الكسائى ولم ينطقوا بالنصب ، وإن سيبويه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطاوعهم على النطق به ، وقد أشار إلى ذلك حازم فى منظومته بقوله :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا إذا عنت فجأة الأمر الذى دهما
وربما نصبوا بالحال بعد إذا وربما رفعوا من بعدها ربما
فإن توالى ضمير ان اكتسى بهما وجه الحقيقة من إشكاله عمما
لذاك أعيت على الأفهام مسألة أهدت إلى سيبويه الحتف والغمما
قد كانت العقرب العرجاء أحسبها قدما أشد من الزنبور وقع حما
وفى الجواب عليها هل إذا هو هى أو هل إذا هو إياها قد اختصما
فخطأ ابن زياد وابن حمزة فى ما قال فيها أبا بشر وقد ظلما
وغاظ عمرا علىّ فى حكومته ياليته لم يكن فى أمره حكما
كغيظ عمرو عليا فى حكومته ياليته لم يكن فى أمره حكما
وفجع ابن زياد كل منتحب من أهله إذ غدا منه يفيض دما
وأصبحت بعده الأنفاس باكية فى كل طرس كدمع سح وانسجما
وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم لولا التنافس فى الدنيا لما أضما
والغبن فى العلم أشجى محنة علمت وأترح الناس شجوا عالم هضما

(الحكم) يحرم أكل العقرب وبيعها وتقتل فى الحل والحرم ، وإذا ماتت فى مائع نجسته على المشهور ، وقيل لا تنجسه كالوزغة ، ونقل الخطابى عن يحيى بن أبى كثير : أن العقرب إذا ماتت فى الماء نجسته ، ثم قال : وعامة أهل العلم على خلافه .

(الأمثال) قال الشاعر :

ومن لم يكن عقربا يتقى مشت بين أثوابه العقرب

وقالوا فى النصح : لسع العقارب ، وقالوا : أعدى من العقرب وهو من العداوة ، وقالوا

العقرب تلدغ وتصى . يضرب للظالم فى صفة المتظلم ، وقالوا : تحككت العقرب بالأفعى يضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شرا يقال تحكك به إذا تعرض لشره ، وقولهم أتجر من عقرب وأمطل من عقرب : هو اسم تاجر بالمدينة وكان من أكثر الناس تجارة وأشدهم تسويفا حتى ضربوا بمطله المثل ، فاتفق أن الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب وكان من أشد الناس اقتضاء عامله ، فقال الناس : ننظر الآن مايصنعان ، فلما جاء المال لزم الفضل باب عقرب وشد حماره ببابه وقعد يقرأ القرآن ، فأقام عقرب على المطل غير مكترث به فعدل الفضل عن ملازمة بابه إلى هجاء عرضه ، فما سار عنه قوله فيه :

كل عدو كيده فى إسته فغيره ليس الأذى ضائره
قد تجرت فى سواقنا عقرب لامرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو يتقى مقبلا وعقرب يخشى من الذابره
إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

وقد أذكرنى قوله : إن عادت العقرب عدنا لها .. البيت ما حكاه الشيخ كمال الدين الأدفوى فى كتابه [الطالع السعيد] أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان فى صباه يلعب الشطرنج مع زوج أخته الشيخ تقى الدين ابن الشيخ ضياء الدين ، فأذن بالعشاء فقاما فصليا ثم قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد : أما تعود ؟ فقال صهره :

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

فأنف الشيخ تقى الدين من ذلك فلم يعد يلعبها إلى أن مات .

(فائدة) قال ابن خلكان فى ترجمة أبى بكر الصولى الكاتب المشهور : إنه كان أوحد أهل زمانه فى لعب الشطرنج والناس إلى الآن يضربون المثل به فى ذلك ، وزعم كثير من الناس أنه الذى وضع الشطرنج وهو غلط ، وواضعه رجل يقال له صصة بصادين مهملتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وضعه لملك الهند شهرام بكسر الشين المعجمة ، وكان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس المؤرخة به قد وضع النرد ولذلك قيل له النردشير نسبوه إلى واضعه المذكور ، وجعله مثالا للدنيا وأهلها ؛ فجعل الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر وجعل الفصول مثل القضاء والقدر وتقلبه فى الدنيا فافتخرت الفرس بوضع النرد فوضع صصة الهندى الحكيم الشطرنج لملك الهند فقضت حكماء ذلك العصر بترجيح الشطرنج على النرد ، وأردشير بالراء المهملة وقيل بالزاى هو الذى أباد ملوك الطوائف ومهد لنفسه الملك وهو جد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد بكسر الجيم ؛ وانقرض ملكهم فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة انتهى . والصواب أن الملك الذى وضع له الشطرنج بلهيت كما قاله شيخنا اليافعى وغيره

وأنه لما قدمه للملك وأراه طريقة اللعب به أعجب الملك إعجابا عظيما وقال له : تمنّ عليّ . فقال : أتمنى عليك أيها الملك أن يوضع درهم فى أول بيوت الرقعة ويضاعف إلى آخرها ، فقال له الملك : ما هذا القدر أفسدت علينا ما صنعت ، فقال الوزير : مهلا أيها الملك فإن خزائنك وخزائن ملوك أهل الأرض تنفد دون ذلك .

وقد أغفل ابن خلكان من وصف النرد أشياء : منها أن الاثنى عشر بيتا التى فى الرقعة مقسومة أربعة على عدد فصول السنة ، ومنها أن الثلاثين قطعة بيض وسود كالأيام والليالى ، ومنها أن الفصوص مسدسة إشارة إلى أن الجهات ست لا سابع لها ، ومنها أن مافوق الفصوص وتحتها كيفما وقعت سبع نقط عدد الأفلاك وعدد الأرضين وعدد السموات وعدد الكواكب السيارة ، ومنها أنه جعل تصرف اللاعب فى تلك الأعداد لاختياره وحسن التدبير بعقله كما يرزق العاقل شيئا قليلا فيحسن التدبير فيه ويرزق المفرط شيئا كثيرا فلا يحسن التصرف فيه فالنرد جامع لحكم القضاء والقدر وحسن التصرف لاختيار لاعبه ، والشطرنج مفوض لاختيار اللاعب وعقله وتصرفه الجيد أو الردىء ، وتفضيل الشطرنج على النرد فيه نظر ، والسطرنج بكسر السين المهملة على وزن جردحل وهو الضخم من الإبل ، وقد جوز فى الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه من المشاطرة ، وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون اشتق من التسطير عند التغبية قاله فى درة الغواص : ومما قيل فى الشطرنج :

وخيل قد رأيت إزاء خيل يساق بها كأكياس الرياح
بميمنة وميسرة وقلب كتعبية الكتائب للبطاح
إذا ما قتلوا نشروا وعادوا صحاحا لم يصابوا بالجراح
بغير عداوة كانت قديما ولكن للتلذذ والمزاح

(إشارة) لعب الشطرنج مكروه كراهة تنزيه ، وقيل حرام ، وقيل مباح والأول أصح وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد : إنه حرام ، ووافقهم من أصحابنا الحليمى والرويانى . وروى البيهقى : أن محمد بن سيرين وهشام بن عروة بن الزبير وبهز بن حكيم والشعبى وسعيد بن جبير كانوا يلعبون بالشطرنج . وقال الشافعى : كان سعيد بن جبير يلعب بالشطرنج استدبارا من وراء ظهره ، وروى الصعلوكى تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأبى اليسر وأبى هريرة والحسن البصرى والقاسم بن محمد وأبى قلابة وأبى مجلز وعطاء والزهرى وربيعة بن عبد الرحمن وأبى الزناد رحمهم الله تعالى . والمروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من اللعب به مشهور فى كتب الفقه ، وروى الصولى فى جزء قد جمعه فى الشطرنج : أن أبا هريرة وعلى بن الحسين زين العابدين وسعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر والأعمش وناجية وعكرمة وأبا إسحاق السبيعى وإبراهيم بن سعد وإبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن معمر كانوا

يلعبون بالشطرنج . وقد ذكرت الأسانيد عن هؤلاء وتكلمت على أدلة المخالفين بكلام يشفى النفس ويذهب اللبس فى جزء أفردته فى الشطرنج والنرد نحو عشرين كراسة فاعلم ذلك والله تعالى أعلم .

قال أصحابنا : ولأن الشطرنج فيها تدبير الحروب فأشبهت اللعب بالحراب ولم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم نهى صحيح عن اللعب به . وأقوى ما يحتج به القائلون بالتحريم ما روى عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج فقال : هى شر من النرد . قالوا : والنرد حرام فيكون الشطرنج كذلك . قال الإمام تاج الدين السبكى فى الجواب عن هذا الأثر : إنا لا نعلم مذهب ابن عمر فى النرد ولعله كان يقول بحله وهو وجه لأصحابنا ، ولا يلزم حينئذ من كون الشطرنج شرا من الحلال باعتبار ما أن يكون حراما ، وأيضا فإن المسئلة مسئلة اجتهادية ، ولعل ابن عمر كان يذهب إلى التحريم ، ورأى الشافعى معروف . وعلى قول من قال إن قول الصحابى حجة يشترط فيه أن لا يعارضه قول صحابى آخر وهذا قد عارضه قول جماعة من الصحابة بالجواز . وأيضا هذا الأثر لم يقل بظاهره أحد من العلماء وذلك أن ظاهره أن الشطرنج شر من النرد سواء اشتمل على عوض أم لا . وبعض العلماء قال : إن الشطرنج شر من النرد لكن شرط فيه أن يكون مشتملا على عوض . وأما إذا لم يكن مشتملا على عوض فلم نعلم أن أحدا من العلماء قال إنه فى هذه الحالة شر من النرد ، وإذا كان الأثر مردود الظاهر بالإجماع سقط الاحتجاج به انتهى .

وروى الآجرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بالأزلام الشطرنج والنرد فلا تسلموا عليهم » هذا حديث ضعيف لأن فى سنده سليمان اليمانى ، وقد قال ابن معين فيه ليس بشىء ، وقال البخارى منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وقال ابن أبى حاتم سمعت أبى يقول هو منكر الحديث لا أعلم له حديثا صحيحا انتهى . فأما إذا انضم إليه اشتغال عن صلاة أو غيرها بالتحريم إذ ذاك ليس للشطرنج نفسه ، وهو مكروه إذا لم يواظب عليه فإن واظب عليه فإنه يصير صغيرة كما ذكره الغزالى فى كتاب التوبة من الإحياء ، لكن ذكر ابن الصباغ فى الشامل خلافه . وأما النرد فحرام على الأصح لقوله صلى الله عليه وسلم « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » ولقوله صلى الله عليه وسلم « مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى » .

ومن محاسن شعر الإمام العلامة حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى التشبيه :

حلت عقارب صدغه من خده قمرا يجل بـــه عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها ومن العجائب كيف حلت فيه

وقد تقدم ذكر وفاته وطرف من أخباره فى باب الحاء المهملة فى الحمام . وقد أجاد أبو المحاسن يوسف بن الشواء فى وصف غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر فقال :

أرسل صدغا ولوى قاتلى صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا فى خده حية تسعى وهذا عقربا واقفه
ذا ألف ليست لوصل وذا واو ولكن ليست العاطفه

ومن محاسن شعره رحمه الله أيضا :

قالوا حبيبك قد تضوّع نشره حتى غدا منه الفضاء معطرا
فأجبتهم والحال يعلو خده أو ما ترى النيران تحرق عنبرا

(الخواص) قال صاحب عين الخواص : العقرب إذا رأت الوزغة ماتت ويبست من ساعتها ، وقيل إن العقرب إذا أحرقت ودخن بها البيت هربت العقارب منه ، وإذا طبخت بزيت ووضع على لدغ العقارب سكن الوجع ، ورماد العقارب يفتت الحصى ، وإن أخذت عقرب وقد بقى من الشهر ثلاثة أيام وجعلت فى إناء وصب عليها رطل زيت وسد رأس الإناء و ترك حتى يأخذ الزيت قوتها ثم ادهن به من به وجع الظهر والفخذين فإنه ينفعه ويقويه ، وإن شرب بزر الحس بشراب أمن شاربه من لسع العقارب ، وإن طرحت قطعة من فجل على قدر لم تدب عليها عقرب إلا ماتت من وقتها ، وإذا ديف ورق الحس بدهن وطلى به على لسعة العقرب أبرأها ، وإن طبخت العقرب بسمن البقر وطلى به موضع لسعتها سكنها من وقته . وقال ابن السويدى : إذا وضعت العقرب فى إناء فخار وسد رأسه ثم وضع فى تنور إلى أن تصير رمادا وسقى من ذلك الرماد من به الحصى نفعه وفتتها ، وإذا بخر البيت بعقرب اجتمعت فيه العقارب كذا قال أرسطو وقال غيره تهرب منه العقارب ، وإذا غرزت شوكة العقرب فى ثوب إنسان لم يزل سقيما حتى تزول منه ، وإن دقت العقارب وألصقت على لسعتها أبرأتها وإن وقعت فى ماء وشرب منه إنسان وهو لا يعلم امتلأ جسده قروحا ، وإن بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب ، وقال القزوينى والرافعى : من شرب مثقالين من حب الأترج بعد دقه ناعما أبرأ ذلك من لسعة العقرب والحية وغيرهما من ذوات السموم وهو عجيب مجرب . وفى [عجائب المخلوقات] : أنه إذا علق شىء من عروق شجرة الزيتون على من لسعته العقرب برئ من وقته ، وشجر الرمان إذا بخر بحطبه طردها ، وشحم الماعز والسمن البقرى والزرنيخ الأصفر وحافر الحمار والكبريت ورش البيت بالماء المنقوع فيه الحلتيت ووضع قشور الفجل فى البيت كل ذلك يطردها وهو عجيب أيضا مجرب ذكر ذلك فى المنتخب . وفى الموجز : الفجل المشدوخ وعصارته إذا أمسكت وورقه والباذروج يطردها ، وإن وضع الفجل المقطوع على جحرها

لم تجرأ على الخروج ، وفيها أن تفل الصائم يقتل الحيات والعقارب ، وفى المنتخب أن تفل الحمار المزاج يفعل مثل ذلك ، ورؤية السها تؤمن من لسعة العقرب والسارق ، وقد ذكر ذلك الرئيس أبو على بن سينا فى أرجوزته ، وقيل إنها لابن شيخ حطين ، وهى تشتمل على خواص مجربة وأسرار من علم الطب فلنأت بها بكمالها لتتم الفائدة وهى هذه :

بدأت بسم الله فى نظم حسن ... أذكر ما جربت فى طول الزمن
ما هو بالطبع وبالخواص ... لكل عام ولكل خاص
فى شوكة العقرب نجم توأم ... تراه عين من يراه يعلم
إذا تراآه امرآن اصطحبا ... واتفقا وذا وذا تحابيا
لاسيما إن قيل ذا محبب ... بعض لبعض كوكوبان كوكب
وتوأم نجمان فى سعد بلع ... رؤيته لكل ود قد جمع
ومثله أيضاً لسعد الذابح ... رؤيته لكل ود صالح
تخبر من شئت به فيعجب ... ثم يقول كوكبان كوكب
فينشأ الود باذن الله ... بينهما فلا تكن باللاهى
كف الخضيب فرقة إلى الأبد ... لكائن من كان من كل أحد
ينظره الإنسان أو جماعة ... يفترقوا إلى قيام الساعة
نجم السها مأمنة من سارق ... ومن سموم عقرب وطارق
ومن رأى عشية نجم السها ... لم تدن منه عقرب يمسها
وقيل لا يدنو إليه سارق ... فى سفر ولا بسوء طارق
الطخ على الحزاز دهن القمح ... مع وسخ الأسنان بعد المسح
فإنه يذهب منها سعيها ... كالنار فيها ثم يورى نقيها
أكوروس كل ثؤلول يرى ... بعودتين قد حرقت أخضرا
ومثله رءوس قش الحلبه ... تذهب بالثؤلول منه الرعبه
تخطيطك الأظفار بعد الصبح ... بكزلك عرضاً مزيل القلح
وطبقك الأضراس فى التثاؤب ... يمنع من هذا لذى التجارب
أعنى عروض القلح إن تقرحت ... كذاك إن تحفرت واصطلمت
تغرغر العليل ذو الخناق ... بمرق الضبار كالترياق
لاسيما إن شابه كشوث ... لذى الخلاط نفعه موروث
ابلع من الصابون وزن درهم ... تنج من القولنج غير المحكم
وامسح على الأضراس والأسنان ... لوكالها بطرف اللسان

وقد حرمت الأكل من لحم الفرس ... شهرا ولا من هندبا تبغى الحرس
وذاك عند رؤية الهلال ... فتأمن الأضراس من إعلال
كذاك فى كل هلال يجتلى ... فإنها مأمنة من البلا
لا تغسلن ثيابك الكتانا ... ولا تصد فيها كذا حيتانا
عند اجتماع النيرين تبلى ... وفى السرار فاتخذه أصلا
اتخذ البرمة من زجاج ... من غير تلوين ولا علاج
والنار جزل إن تشا أو فحم ... ينضج فيها اللحم ثم الشحم
وكرر الطبخ بها أياما ... وأشهرا إن شئت أو أعواما
وذاك سهل ليس بالعثير ... من غير تقتير ولا تكثير
وتتخذ كحلا جديداً محرقا ... منعماً مصولا مروقا
ومثله من حجر الهنود ... ذى الخاصة الجاذبة الحديد
مطيباً بالمسك طيب الإثمد ... واكحل به من شئت فرد مرود
ثم اكتحل منه على مر المدى ... لأنه لم يتخذ كحلا سدى
واكحل المحبوب بالحديد ... يهواك فى الوقت بلا مزيد
فيسحر العينين منه فيرى ... وجهك شمسا باهيا أو قمرا
ولا يكاد يستطيع صبرا ... عنك ولو حرقت منه النصدرا
نشادر الدخان بالحمام ... ينضحه الفخار من مسام
فريحه يقتل الأفاعى ... من الهوام والدبيب الساعى
ووزن مثقال إذا ما شربا ... مع وزنه من الرجيع انتخبا
يخلص المسموم من مماته ... من بعد يأس الأهل من حياته
هذا إذا دبر بالإتقان ... بالسحق والترويق فى الأوانى
وكل ماجاد بسحق فاعتبر ... وفيه يا هذا تفهم واختبر
مرارة الحية سم قاتل ... وهى للملدوغ بها تقابل
إذا سقى المسموم منها حبه ... نجا من السم بتلك الشربه
وإن سقى منها صحيح ماتا ... من يومه وفارق الحياتا

(التعبير) العقرب فى المنام: رجل نمام فمن نازعته عقرب فإنه ينازع رجلا نماما، ومن أخذ عقربا فى منامه فألقاها على زوجته فإنه يأتيها فى الدبر وإن سيبها على الناس فإنه رجل لوطى، ومن قتل عقربا خرج منه مال وعاد إليه، والعقرب فى السراويل رجل فاسق يداخل امرأة من ورائها فى سراويله، ومن أكل لحم عقرب مطبوخا فإنه يرث مالا

وإن كان نيئا اغتاب رجلا فاسقا وكذلك كل حيوان لا يؤكل إذا أكل لحمه فى المنام ؛ والعقرب رجل يظهر ما فى بطنه لسانه ، والعقارب فى البطن أولاد أعداء . ونزول العقرب من الدبر ولد عاق ، وربما دلت رؤية العقرب على الافتتان بمن يشبه العقرب بصدغه إذا بدا فيه الشعر ، والله أعلم .

﴿ العقربان ﴾ : دويبة تدخل الأذن وهى هذه الطويلة الصفراء الكثيرة القوائم قاله ابن سيده .

﴿ العقف ﴾ : الثعلب . قال حميد بن ثور الهلالى :

كأنه عقف تولى يهرب من أكلب تعقفهن أكلب

يقال : عققت الشىء فانعقف أى عطفته فانعطف .

﴿ العقعق ﴾ : كثعلب ويسمى كندشاً بالشين المعجمة وصوته العقعقة ، وهو طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة ، وهو ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ويقال له القعقع أيضا ، وهو لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به بل يهىء ، وكره فى المواضع المشرفة ، وفى طبعه الزنا والخيانة ويوصف بالسرقة والخبث ، والعرب تضرب به المثل فى جميع ذلك ، وإذا باضت الأنثى أخفت بيضها بورق الدلب خوفا من الخفاش فإنه متى قرب من البيض مذر وفسد وتغير من ساعته .

حكى الزمخشرى وغيره فى تفسير قوله تعالى — وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها — عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس شىء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنمل والفأر والعقعق . وعن بعضهم أنه قال : رأيت البلبل يحتكر ، ويقال إن للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها ، وفى طبعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلى فكم من عقد ثمين اختطفه من شمال ويمين . قال الشاعر :

إذا بارك الله فى طائر فلا بارك الله فى العقعق

قصير الذنابى طويل الجناح متى ما يجد غفلة يسرق

يقلب عينيه فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(فائدة) اختلفوا فى سبب تسميته عقعقا فقال الجاحظ لأنه يعق فراخه فيتركهم بلا طعام وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان لأن جميعها يفعل ذلك ، وقيل اشتق له هذا الاسم من صوته .

(الحكم) فى حله وجهان : أحدهما يؤكل كغراب الزرع ، والثانى يحرم وهو الأصح

فى الروضة تبعا للبغوى والبوسنجى ، وسئل الإمام أحمد عنه فقال : إن لم يأكل الجيف فلا بأس به . وقال بعض أصحابه : إنه يأكلها فيكون على قوله محرما .

(فائدة) حكى الجوهرى : أن العرب تتشاءم به وبصياحه لأنهم كانوا يشتقون فى الطيرة مما يسمعون ويشاهدون فكانوا إذا سمعوا العقعق اشتقوا منه العقوق ، وإذا سمعوا العقاب اشتقوا منه العقوبة ، وإذا رأوا شجر الخلاف وهو الصفصاف اشتقوا منه الخلاف والخلاف بتخفيف اللام ضد الوفاق وكذلك الخلاف الذى هو الصفصاف بتخفيف اللام أيضا . وحكى الرافعى الخلاف عن الحنفية فيمن خرج لسفر فسمع صوت عقعق فرجع هل يكفر أم لا ؟ قيل إنه يكفر وكذلك رأيته فى فتاوى قاضيخان . قال النووى : الصحيح أنه لا يكفر عندنا بمجرد ذلك .

(الأمثال) قالوا : ألص من عقعق وأحمق من عقعق : لأنه كالنعامة التى تضيع بيضها وأفراخها وتشتغل ببيض غيرها ، وإياها عنى هدبة بقوله :

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

(الخواص) إذا جعل دماغه على قطنة وألصق على موضع النصل أو الشوكة الغائصين فى البدن أخرجهما بسهولة ، ولحمه حار يابس ردىء الكيموس .

(التعبير) العقعق فى الرؤيا : رجل لا أمان له ولا وفاء ، ومن رأى أنه كلمه عقعق جاءه خبر من غائب ، والعقعق رجل حكار يطلب الغلاء ، والله أعلم .

﴿ العقيب ﴾ : طائر لا يستعمل إلا مصغرا .

﴿ العكاش ﴾ : كرمان ذكر العنكبوت عن كراع .

﴿ العكرشة ﴾ : بكسر العين والراء المهملتين وبالشين المعجمة فى آخره الأرنب الأنثى ، وفى الحديث « أن رجلا سأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : عنت لى عكرشة وأنا محرم فقتلتها ؟ فقال : فيها جفرة » .

﴿ العكرمة ﴾ : بكسر العين والراء المهملتين الأنثى من الحمام ، وسمى بها الإنسان أيضا كعكرمة مولى ابن عباس أحد أوعية العلم ، ولما مات مولاه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما كان عكرمة رقيقا لم يعتقه فباعه ولده على بن عبدالله بن عباس لخالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فقال عكرمة لعلى : بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار ، فاستقال خالدا فأقاله ثم أعتقه .

مات عكرمة وكثير عزة الشاعر فى يوم واحد بالمدينة سنة خمس ومائة وصلى عليهما فى مكان واحد فقال الناس : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى .

قال ابن خلكان وغيره : وكثيرة عزة أحد شعراء العرب ومتيميها وكان كيسانيا ، والكيسانية : فرقة من الروافض يعتقدون إمامة محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو المعروف بمحمد بن الحنفية ، ويقولون إنه مقيم بجبل رضوى ومعه أربعون نفرا من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر ، ويقولون إنهم أحياء يرزقون وإنه سيرجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا وفى ذلك يقول كثير عزة :

وسبط لا يذوق الموت حتى تعود الخيل يقدمها اللواء
يغيب فلا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

قلت : الصواب أنهما للحميرى . قال : وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين من الهجرة ، والله أعلم .

﴿ العلج ﴾ : بكسر العين وإسكان اللام حمار الوحش السمين القوى والرجل من كفار العجم ، والجمع علوج وأعلاج ومعلوجاء وعلجة .

﴿ العل ﴾ : بالفتح القراد المهزول .

﴿ العلجوم ﴾ : بضم العين وسكون اللام وضم الجيم الضفدع الذكر ، وقيل البطة الذكر كذا حكاه ابن سيده .

﴿ العلوم ﴾ : بضم العين وتشديد اللام وبالميم فى آخره الباشق .

﴿ العلوسه ﴾ : بكسر العين وفتح اللام المشددة على وزن سنور ابن آوى والذئب ودويبه وضرب من السباع . قال ابن رشيق فى كتاب [الغرائب والشذوذ] : قال الخليل : ليس فى كلام العرب كلمة تجتمع فيها شين ولام إلا والشين قبل اللام إلا العلوش فإن اللام فيه تقدمت على الشين وهو مفرد فى الكلام .

﴿ العلهانه ﴾ : كالكروان الظليم وقد مر .

﴿ العلس ﴾ : محركة القراد الضخم لأنه أول ما يكون قمقامة ثم يصير حمنانة ثم حلمة ثم علسا . ومن الألغاز القديمة : أيجب فى العلس زكاة إذا بلغ خمسة أوسق أو أكثر منها ؟ قال : لا ، وإذا علم بذلك الساعى أعرض عنها .

﴿ العلامات ﴾ : قال ابن عطية : حدثنى أبى رحمه الله تعالى أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرق يقول : إن فى بحر الهند حيتانا طوالا رقاقا كالحيات فى ألوانها وحركاتها وإنها تسمى العلامات ، وذلك أنها علامات الوصول إلى بلاد الهند وأمارات النجاة من المهالك لطول ذلك

البحر وصعوبته ، وأن بعض الناس قال : إنها المراد بقوله تعالى — وعلامات وبالنجم هم يهتدون — قال : وأما من شاهد تلك العلامات فى البحر فحدثنى منهم عدد كثير .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية بالليل. وقال الكلبى : هى الجبال. وقال مجاهد والنخعى : هى النجوم ، منها ما يسمى علامات ومنها ما يهتدى به .

﴿ العلهز ﴾ : بكسر العين وإسكان اللام وكسر الهاء قبل الزاى القراد الضخم ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا على قريش بقوله « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » أكلوا العلهز ، وقيل المراد به الوبر المخلوط بالدم .

﴿ العلعل ﴾ : كهدهد : الذكر من القنابر .

﴿ العلق ﴾ : بفتح العين واللام دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصه الدم الغالب على الإنسان الواحدة علقة .

وفى حديث عامر « خير الدواء العلق والحجامة » .

والعليق الشجرة التى آنس موسى عليه الصلاة والسلام منها النار قاله ابن سيده . وقيل إنها العوسج ، والعوسج إذا عظم قيل له الغرقد ، وفى الحديث « إنه شجر اليهود فلا ينطق » يعنى إذا نزل عيسى عليه السلام وقتل اليهود فلا يختبئ أحد منهم خلف شجرة إلا نطقت وقالت : يا مسلم هذا يهودى خلفى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق .

(فائدة) ذكر الثعلبى فى تفسير قوله تعالى — أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين : يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم — عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصرى يعنى قدس من فى النار وهو الله سبحانه وتعالى عنى به نفسه . قال : وتأويل هذا القول أنه كان فيها لا على سبيل تمكن الأجسام بل على أنه جل وعلا نادى موسى عليه الصلاة والسلام وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها ، فالشجرة مظهر لكلامه تعالى ، وهو كما روى أنه مكتوب فى التوراة : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران . فمجيئه من سيناء بعثه موسى منها ، وإشراقه من ساعير بعثه عيسى عليه السلام منه ، واستعلاؤه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم منها ، وفاران مكة المشرفة ، وقيل كانت النار نوره عز وجل وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى عليه الصلاة والسلام حسبه ناراً والعرب تضع أحدهما موضع الآخر : وقال سعيد بن جبير ، كانت هى النار بعينها وهى أحد حجبه تعالى وقيل بورك من فى النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها ، وتأويل هذا القول أنه عائد إلى موسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومجاز الآية أن بورك من فى طلب النار

وقصدها وبالقرب منها ، ومعنى الآية : أن بورك فيك يا موسى وفى الملائكة الذين حول النار ، وهذه تحية من الله عز وجل لموسى عليه السلام وتكرمة له كما حيا إبراهيم عليه السلام على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا — رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد — فحمد نفسه تعالى بواسطة فعله . قلت : وكذلك إذا ذكر العبد ربه أو حمده فما ذكر الله إلا الله ولا حمد الله إلا الله لأنه تعالى ذكر نفسه وحمدها بواسطة فعله والعبد آلة ليس له شيء قال تعالى — ليس لك من الأمر شيء — وقال تعالى — وإليه يرجع الأمر كله — ففعل العبد ينسب إلى الله نسبة خلق وإيجاد قال الله تعالى — والله خلقكم وما تعملون — وينسب إلى العبد نسبة كسب وإسناد ليعاقب عليه أو يثاب ، والله تعالى أعلم . وقال بعضهم : هذه البركة راجعة إلى النار نفسها .

وأما وجه قوله تعالى — بورك من فى النار — فإن العرب تقول : بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك أربع لغات . قال الشاعر :

فبوركت مولوداً وبوركت ناشئاً وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

وأما الكلام المسموع من الشجرة فاعلم أن مذهب أهل الحق أن الله تعالى مستغن عن الحد والكلام والمكان والجهة والزمان لأن ذلك من أمارات الحدوث وهى خلقه وملكه ، وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات أو يحد بالصفات أو تحصيه الأوقات أو تحويه الأماكن والأقطار . ولما كان جل وعلا كذلك استحال أن توصف ذاته بأنها مختصة بجهة أو منتقلة من مكان إلى مكان أو حالة فى مكان . روى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى سمع الكلام من سائر الجهات ولم يسمعه من جهة واحدة فعلم بذلك أنه كلام الله تعالى ، وإذا ثبت هذا لم يجز أن يوصف تعالى بأنه يحل موضعا أو ينزل مكانا كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض ، ولا يوصف كلامه بحرف ولا صوت خلافا للحنابلة الحشوية بل هو صفة قائمة بذاته تعالى يوصف بها فينتفى عنه بها آفات الخرس والبكم ومالا يليق بجلاله وكماله ، ولا تقبل الانفصال والفراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق .

وأما الإفهام والإسماع فيجوز أن يكون فى موضع دون موضع ومكان دون مكان ، وحيث لم يقع إحاطة ولا إدراك بالوقوف على كنه ذاته قال تعالى — ليس كمثله شيء وهو السميع البصير — وأما الهاء فى قوله تعالى — يا موسى إنه — فهو عماد وليس بكناية .

(فائدة أخرى) اختلف فى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا ؟ فذهب ابن عباس وابن مسعود وجعفر الصادق وأبو الحسن الأشعرى وطائفة من المتكلمين إلى أنه صلى الله عليه وسلم كلم الله بغير واسطة ، وذهب جماعة إلى نفى ذلك .

واختلف فى جواز الرؤية ، فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها فى الدنيا والآخرة . وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقوعها فى الآخرة .

واختلف العلماء من السلف والخلف فى أنه هل رأى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ربه تعالى أم لا ؟ فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف ، وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين ، وأجازه جماعة من السلف ، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء بعينى رأسه وهو قول ابن عباس وأبى ذر وكعب الأحبار والحسن البصرى والشافعى وأحمد بن حنبل . وحكى أيضا عن ابن مسعود وأبى هريرة والمشهور عنهما الأول ، وبهذا القول الثانى قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه وهو الأصح ، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : اختص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية ، وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف وقالوا : ليس عليه دليل قاطع نفيا ولا إثباتا ولكنه جائز عقلا وصححه القرطبى وغيره .

قلت : رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية . أما العقلية : فمعروفة فى علم الكلام ، وأما النقلية : فمنها سؤال موسى عليه السلام رؤية الله تعالى ووجه التمسك بذلك علم موسى بذلك ولو علم استحالة ذلك لما سأله ، ومحال أن يجهل موسى جواز ذلك إذ يلزم منه أن يكون مع علو منصبه فى النبوة وانتهائه إلى أن اصطفاه الله تعالى على الناس وأسمعه كلامه بلا واسطة جاهلا بما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز وملتزم هذا كافر نعوذ بالله من اعتقاد ذلك .

ومنها امتنانه تعالى على عباده بالنظر إلى وجهه فى الدار الآخرة بقوله تعالى — وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة — وإذا جاز أن يروه فى الدار الآخرة جاز أن يروه فى الدنيا لتساوى النظر بالنسبة إلى الأحكام .

ومنها ما تواترت به الأحاديث من أخباره صلى الله عليه وسلم برؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، ووقوع ذلك كرامة للمؤمنين فهذه الأدلة دالة على جواز رؤيته تعالى فى الدنيا والآخرة .

وأما استدلال عائشة رضى الله تعالى عنها على عدم الرؤية بقوله تعالى — لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار — ففيه بعد إذ يقال بين الإدراك والإبصار فرق فيكون معنى لا تدركه الأبصار أى لا تحيط به مع أنها تبصره قاله سعيد بن المسيب وغيره . وقد نفى الإدراك مع وجود الرؤية فى قوله تعالى — فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا — أى لا يدركونكم ، وأيضا فإن الإبصار عموم وهو قابل للتخصيص فيختص المنع بالكافرين كما قال تعالى عنهم — كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - ويكرم المؤمنين أو من شاء الله منهم

بالرؤية كما قال تعالى – وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة – وبالجملة فالآية ليست نصا ولا من الظواهر الجلية فى عدم جواز الرؤية فلا حجة فيها ، والله أعلم . ولهذه المسألة أسرار وأغوار تركناها لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب ، فمن أراد تحقيق هذه المسألة وغيرها من المسائل المهمة فعليه بكتابنا [الجوهر الفريد] فإنا ذكرنا فيه اختلاف الفرق وأقوال علماء الظاهر والباطن وما اخترناه وما أيدناه ، وهو كتاب مهم عمدة فى هذا الشأن لا يستغنى عنه طالب ، وهو فى ثمان مجلدات ضخمة جدا ، وبالله التوفيق .

(فائدة أخرى) قوله تعالى – اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق – هذه السورة أول ما نزل من القرآن كما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها . قيل وجه المناسبة بين الخلق من علق والتعليم بالقلم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالما فكأنه سبحانه وتعالى امتن على الإنسان بنقله من أخس المراتب وهى العلقة إلى أعلاها وهى العلم . قال الزمخشرى : فإن قلت لم قال من علق وإنما خلق من علقة واحدة كقوله تعالى – من نطفة ثم من علقة – قلت : لأن الإنسان فى معنى الجمع كقوله تعالى – إن الإنسان لفى خسر – والأكرم هو الذى له الكمال فى زيادة تكرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقترافهم العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد ، وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العظيمة تكرم حيث قال – الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم – فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه عل فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو ، وما دونت العلوم الأول ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هى ما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به .

(فائدة أخرى) سئل شيخ الإسلام الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى صغره حين شق فؤاده وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك . فأجاب بقوله : تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه عليه الصلاة والسلام فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقى الشيطان فيه شيئا هذا معنى الحديث ، ولم يكن للشيطان فيه صلى الله عليه وسلم حظ قط وإنما الذى نفاه الملك أمر هو فى الجبلات البشرية فأزيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى قلبه عليه الصلاة والسلام ، فقيل له لم خلق الله هذا القابل فى هذا الذات

الشريفة وكان يمكنه أن لا يخلقه فيها ؟ فقال : لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقه تكملة للخلق الإنسانى فلا بد منه ، ونزعه كرامة ربانية طرأت بعده انتهى .

(الحكم) يحرم أكل العلق ويجوز بيعه لما فيه من المنفعة ، ويستثنى بيع القرمز من عدم جواز بيع الحشرات كما تقدم .

(فرع) العلقة فيها وجهان : أحدهما أنها نجسة لأنها دم خارج من الرحم كالحيض . والثانى أنها طاهرة لأنها دم غير مسفوح فهى كالكبد والطحال نقله أبو حامد عن الصيرفى ، وصرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد والمحاملى والرافعى فى المحرر وهو الأصح كما صرح به فى المنهاج .

والعلقة هى المنى إذا استحال فى الرحم فصار دما غليظا ، فإذا استحال بعد فصار قطعة لحم فهو مضغة . قال النووى فى شرح المهذب : إن المذهب القطع بطهارة المضغة ، وقيل على وجهين والصواب خلاف ما فى شرح المهذب لأن المضغة إما كميتة الآدمى وفيها قولان فى الجديد أو كجزئه المنفصل وفيه طريقتان حاكية للخلاف وقاطعة بالنجاسة ، وحكى الرافعى فيها وجهين أصحهما الطهارة نعم يشترط فى المضغة والعلقة على قاعدة الرافعى أن يكونا من الآدمى فان منى غيره نجس عنده فالعلقة والمضغة أولى بالنجاسة من المنى ، ويدل عليه تردده فى المنهاج فى نجاستهما مع جزمه فيه بطهارة المنى . قال شيخنا : ولك أن تمنع كونهما أولى بالنجاسة من المنى بأنهما صارا أقرب إلى الحيوانية منه وهو أقرب إلى الدموية منهما ، والله تعالى أعلم .

(الأمثال) قالوا : أعلق من العلق ؟

(الخواص) ينفع تعليقا على صاحب الأعضاء الضعيفة التركيب مثل الآماق والوجنات والمواضع المؤلمة لأنها تقوم مقام الحجامة فى امتصاصها الدم الفاسد لاسيما فى الأطفال والنساء وأهل الرفاهية ، وهى تمص الدم الفاسد من الأجفان وغيرها ، وربما كان العلق فى الماء فيشربه الإنسان فينشب بحلقه ؛ وطريق إخراجه من الحلق أن يبخر بوبر الثعلب فإذا أصابه دخانه سقط فى الحال ، وكذلك إذا بخر بظلف الإبل يموت مجرب ، ذكر ذلك فى المنتخب وقال القزوينى وصاحب الذخيرة الحميدة : إذا كان العلق فى الحلق يتغرغر بخل خمر وبوزن درهم من الذباب الذى فى الباقلاء فإن العلق يسقط ، وإذا أرادوا إخراج دم من موضع مخصوص أخذوا هذا الدود فى قطعة طين وقربوه من العضو فانه ينشب به ويمص الدم منه ، فإذا أرادوا سقوطه عنه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط فى الحال . وقال صاحب عين الخواص إذا يبس العلق فى الظل وسحق مع نشادر وطلى به موضع داء الثعلب نبت الشعر عليه . وقال غيره : إذا بخر البيت بالعلق هرب ما فيه من البق والبعوض وأمثالها ، وإذا ترك العلق

فى قارورة حتى يموت ثم يسحق وينتف الشعر ويطلى به فإنه لا ينبت أبدا . ومن الخواص المجربة النافعة أن تؤخذ العلق الكبار التى تكون فى الأنهار والأماكن الندية فتقلى بالزيت الطيب ثم تسحق بالخل حتى تصير مثل المرهم وتؤخذ فى صوفة ويتحمل بها صاحب البواسير فيبرأ ، وقيل إنه يبرئ من القطى ومن خواصه العجيبة : أنه إذا خربه حانوت زجاج تكسر جميع ما فيه ، وإذا أخذ العلق وهو رطب ودهن به الإحليل فانه يكبر من غير وجع .

(التعبير) العلق فى الرؤيا بمنزلة الدود وهم أولاد لقوله تعالى ـ خلق الإنسان من علق ـ فمن رأى علقة دم خرجت من أنفه أو ذكره أو دبره أو بطنه أو فمه فإن امرأته تسقط ولدا قبل كمال خلقه ، وقيل العلق والقراد والدلم والنمل وما أشبه ذلك تدل على الأعداء والحساد الأخساء . ومن الرؤيا المعبرة : أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أتاه رجل فقال : يا خليفة رسول الله رأيت كأن فى يدى كيسا وأنا أفرغ ما فيه حتى لم يبق فيه شئ فخرج منه علقة ؟ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أخرج من بين يدى ، فخرج من بين يديه ومشى خطوات فرمحته دابة فقتلته ، فأخبر بذلك أبو بكر فقال : والله ما وددت أن يموت بين يدى ، فنزل الكيس بمنزلة الآدمى والدراهم بمنزلة العمر والعلقة بمنزلة الروح لقوله تعالى ـ خلق الإنسان من علق ـ والله تعالى أعلم .

﴿ العلهب ﴾ : تيس الجبل كذا قاله صاحب كتاب المداخل فى اللغة أحمد بن يحيى .

﴿ العمروس ﴾ : بضم العين الخروف والجمع عماريس . قال الشاعر :

وكان كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسة والذئب غرثان مرمل
أأنت التى من غير ذنب شتمتنى ... فقالت متى ذا قال ذا عام أول
فقالت ولدت الآن بل رمت غدرة ... فدونك كلنى لا هنالك مأكل

﴿ العملس ﴾ : بفتح العين والميم وتشديد اللام الذئب الخبيث والكلب الخبيث ، وأما قولهم : أبر من العملس ، فإنه رجل كان بارا بأمه يحملها على عاتقه ويحج بها على ظهره كل سنة ، فضربوا به المثل ليتأسى به البنون فى بر الأمهات ، وأشرت إلى ذلك فى المنظومة بقولى :

وضربوا الأمثال بالعملس ... فى البر كى به البنون تأتسى

﴿ العميثل ﴾ : الأسد قاله أبو زيد فى كتاب [الإبل] وبه كنى عبد الله بن خليد الشاعر البليغ ، وكان يفخم الكلام ويعربه وكان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره وكان عارفا باللغة فمن شعره فى عبد الله المذكور :

يا من يحاول أن تكون صفاته ... كصفات عبد الله أنصت واسمع

فلأنصحنك فى المشورة والذى حج الحجيج إليه فاسمع أو دع
أصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى وهديت للنهج الأسد المهيع

وقبل يوما كف عبد الله بن طاهر فاستخشن مس شاربه فقال أبو العميثل فى الحال : شوك القنفذ لا يؤلم كف الأسد ، فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنية ، وصنف أبو العميثل كتبا مفيدة منها كتاب [ما اتفق لفظه واختلف معناه] وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين . وقال الأصمعى : العميثل الذيال بذنبه . وقال الخليل : العميثل البطىء الذى يسبل ثيابه كالوادع الذى يكفى العمل انتهى .

﴿ العناق ﴾ : الأنثى من ولد المعز ، والجمع أعنق وعنوق. روى عن الأصمعى أنه قال بينا أنا أسير فى طريق اليمن إذ أنا بغلام واقف فى الطريق فى أذنيه قرطان فى كل قرط جوهرة يضىء وجهه من ضوء الجوهرة وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر وهى هذه :

يا فاطر الخلق البديع وكافلا رزق الجميع سحاب جودك هاطل
يا مسبغ البر الجزيل ومسبل الستر الجميل عميم طولك طائل
يا عالم السر الخفى ومنجز الوعـ ـد الوفى قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم فجل أن يحصى الثناء عليك فيها قائل
الذنب أنت له بمنك غافر ولتوبة العاصى بحلمك قابل
رب يربى العالمين ببره ونواله أبدا إليهم واصل
تعصيه وهو يسوق نحوك دائما مالا تكون لبعضه تستأهل
متفضل أبدا وأنت لجوده بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجا ليل الخطوب وأظلمت سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأيست من وجه النجاة فما لها سبب ولا يدنو لها متناول
يأتيك من ألطافه الفرج الذى لم تحتسبه وأنت عنه غافل
يا موجد الأشياء من ألقى إلى أبواب غيرك فهو غر جاهل
ومن استراح بغير ذكرك أو رجا أحدا سواك فذاك ظل زائل
رأى يلم إذا عرته ملمة بسوى جنابك فهو رأى مائل
عمل أريد به سواك فإنه عمل وإن زعم المرائى باطل
وإذا رضيت فكل شىء هين وإذا حصلت فكل شىء حاصل

أنا عبد سوء آبق كل على مولاه أوزار الكبائر حامل
قدأثقلت ظهرى الذنوب وسودت صحفى العيوب وستر عفوك شامل
ها قد أتيت وحسن ظنى شافعى ووسائلى ندم ودمع سائل
فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو فيقا لما ترضى ففضلك كامل
وافعل به ما أنت أهل جميله والظن كل الظن أنك فاعل

قال : فدنوت منه وسلمت عليه فقال : ما أنا برّاد عليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبته إلى ذلك فرحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة فصاح يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة بالبكاء فقال قومى ، إلى ضيفنا ، فقالت الجارية : حتى أبدأ بشكر الله الذى ساق لنا هذا الضيف ، ثم قامت فصلت ركعتين شكرا لله تعالى. قال : فأدخلنى الشاب الخيمة وأجلسنى ثم أخذ الغلام الشفرة وعمد إلى عناق فذبحها. قال : فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى الجارية فإذا هى أحسن الناس وجها فكنت أسارقها النظر ففطنت لبعض لحظاتى إليها فقالت لى : مه أما علمت أنه نقل عن صاحب طيبة عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن زنا العينين النظر » أما إنى ما أردت بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أؤدبك لكى لا تعود إلى مثل هذا . قال فلما كان النوم بت أنا والغلام خارج الخيمة وباتت الجارية من داخلها فكنت أسمع دوى القرآن إلى السحر بأحسن صوت يكون وأرقه ، ثم سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة وهى هذه :

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

قال : فلما أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذاك ؟ قال : تلك أختى وهذا شأنها كل ليلة فقلت : يا غلام كنت أنت أحق بهذا العمل من أختك إذ أنت رجل وهى امرأة قال : فتبسم وقال : ويحك أما علمت أنه موفق ومخذول ومقرب ومبعد . قال الأصمعى : فودعتهما وانصرفت .

(وحكمها) الحل ، وتفدى بها الأرنب إذا قتلها المحرم لقضاء الصحابة بذلك ، ولا تجزى فى الأضحية لما روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأضحى بعد الصلاة فقال « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له ، فقال أبو بردة بن نيار وهو خال البراء ابن عازب : يا رسول الله إنى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب

فأحببت أن تكون شاتى أول شاة تذبح فى بيتى فذبحتها وتغذيت قبل أن آتى الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم : شاتك شاة لحم . قال : يا رسول الله فإن عندى عناقا هى أحب إلى من شاتين أفتجزئ عنى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، ولن تجزى عن أحد بعدك » .

ووقع فى أصل الروضة أن العناق الأنثى من المعز من حين تولد إلى أن ترعى ؛ والجفرة الأنثى من ولد المعز حين تفطم وتفصل عن أمها فتأخذ فى الرعى وذلك بعد أربعة أشهر ، والذكر جفر . وقال فى لغات التنبيه ودقائق المنهاج : العناق الأنثى من ولد المعز مالم تستكمل سنة ؛ ونقل مثل هذا عن الأزهرى فى تهذيب الأسماء واللغات وكلام الأزهرى لايوافق ذلك .

وروى الحاكم باسناد صحيح وأبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب عن قيس بن النعمان رضى الله تعالى عنه قال « لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال : ماعندى شاة تحلب غير أن هاهنا عناقا حملت أول الشتاء ومابقى لها لبن ، قال صلى الله عليه وسلم : ادع بها ، فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن فحلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب صلى الله عليه وسلم فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فو الله مارأيت مثلك قط ؟ قال : أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال : نعم . قال : فإنى محمد رسول الله . قال : أنت الذى تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : أشهد أنك نبى وأن ماجئت به حق وأنا متبعك . قال صلى الله عليه وسلم : إنك لاتستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا » .

(خاتمة) روى أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد وكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتى بهم المدينة . قال : وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها عناق كقطام وكانت صديقة له ؛ وإنه كان واعد رجلا من الأسارى بمكة أن يأتيه فيحمله . قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة فى ليلة مقمرة . قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل بجنب الحائط فلما انتهت إلى قالت : مرثد ؟ قلت : مرثد . قالت : مرحبا وأهلا وسهلا هلم فبت عندنا الليلة . فقلت : ياعناق قد حرم الله الزنا . قالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم . قال : فتبعنى ثمانية رجال وسلكت الخندمة فانتهيت إلى غار أو كهف ، فجاءوا حتى وقفوا على رأسى وبالوا فظل بولهم ينزل على رأسى وأعماهم الله عنى ، فرجعوا ورجعت إلى صاحبى فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت به إلى الإذخر ففككت عنه أكاله ، وجعلت أحمله ، ويعيينى حتى قدمت به المدينة ، فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله أنكح عناق

فأمسك ولم يرد على شيئا حتى نزلت — الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياموثد الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها » قال الخطابى : هذا خاص بهذه المرأة إذ كانت كافرة فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها صحيح لاينفسخ . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : قال عكرمة : معنى الآية أن الزانى لا يريد ولا يقصد إلا نكاح زانية ؟ قال : والأشبه ماقاله سعيد بن المسيب : إن هذه الآية منسوخة نسخهاقوله تعالى — وأنكحوا الأيامى منكم — وهى من أيامى المسلمين .

(الأمثال) قال : لاتنفط فى هذا الأمر عناق : أى لاتعطس ، والنفيط من العَناق مثل العطاس من الإنسان وهو كقولهم : لاتنتطح فيها عنزان ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى محله .

﴿ عناق الأرض ﴾ : دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شىء حتى الطير وهو التفه الذى تقدم ذكره فى باب التاء المثناة فوق وقال فى [نهاية الغريب] قال قتادة : عناق الأرض من الجوارح دابة وحشية أكبر من السنور وأصغر من الكلب والجمع عنوق ، يقال فى المثل : لقى عناق الأرض ، وأدنى عناق أى داهية يريد أنها من الحيوان الذى يصاد به إذا علم .

﴿ العنبس ﴾ : الأسد وبه سمى الرجل ، وهو فنعل من العبوس والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم ستة حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص .

﴿ العنس ﴾ : الناقة القوية الصلبة ويقال هى التى اعنونس ذنبها أى وفر . قاله الجوهرى والعنسة أيضا اسم للأسد علم مشتق من العنوس قاله ابن سيده .

﴿ العنبر ﴾ : سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلودها الترس ويقال للترس عنبر ، وقد تقدم ذكرها فى باب الباء الموحدة .

روى البخارى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عيرا لقريش وزودنا جرابا فيه تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يطعمنا تمرة تمرة . قال : فقلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا شىء كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هى دابة تدعى العنبر . قال : فقال أبو عبيدة إنها ميتة ، ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليها شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمعنا ، يعنى تقوينا وزال ضعفنا وإلا فما كانوا سمانا قط . قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيها بالقلال الدهن ونقتطع القطعة قدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامه ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال : هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟ قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله » وسرية أبى عبيدة هذه يقال لها سرية الخبط وكانت فى رجب سنة ثمان من الهجرة ، وكان فيها عمر بن الخطاب وقيس بن سعد مع أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهم ، وحديثها رويناه فى الغيلانيات وهو : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه فى سرية فيها المهاجرون والأنصار ثلثمائة رجل إلى ساحل البحر إلى حى من جهينة فأصابهم جوع شديد ، فقال قيس بن سعد : من يشترى منى تمرا بجزور يوفينى الجزور هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة ، فجعل عمر يقول : واعجبا لهذا الغلام لامال له يدين فى مال غيره ، فوجد رجلا من جهينة ، فقال له قيس : بعنى جزورا أوفيكه وسقا من تمر المدينة ؛ فقال الجهنى : ماأعرفك فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم ، فقال الجهنى : ماأعرفنى بنسبك وذكر كلاما فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر يشترط عليه البدوى تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم فيقول قيس : نعم . قال : فأشهد لى . قال : فأشهد له نفرا من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين . قال قيس : إنما أشهد من تحب ، وكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر : ما أشهد على هذا بدين ولا مال له إنما المال لأبيه ، فقال الجهنى : والله ماكان سعد ليبخس فى وسقة من تمر وإنى أرى وجها حسنا وفعالا شريفة فكان بين عمر وقيس كلام حتى أغلظ عمر لقيس ، ثم أخذ الجزور فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة كل يوم جزورا ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال له : أتريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك . قال : فأقبل أبو عبيدة ومعه عمر فقال : عزمت عليك أن لاتنحر ، فقال قيس : ياأبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى وسقة من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله . فكاد أبو عبيدة أن يلين له ؛ وجعل عمر يقول : اعزم عليه فعزم عليه ، وبلغ سعدا ماأصاب القوم من المجاعة فقال : إن يكن قيس كما أعرف فسينحر للقوم ، فلما قدم قيس لقيه سعد فقال : ماصنعت فى مجاعة القوم ؟ قال : نحرت . قال : أصبت ثم ماذا ؟ قال : نحرت . قال : أصبت ثم ماذا ؟ قال : نحرت . قال : أصبت . ثم ماذا ؟ قال : نهيت . قال : ومن نهاك ؟ قال : أبو عبيدة أميرى . قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لامال لى وإنما المال لأبيك ، فقلت : إن أبى يقضى عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة

ولايصنع هذا بى: قال: تلك أربع حوائط أدناها حائط نجد منه خمسين وسقا. قال: وقدم البدوى مع قيس فأوفاه وسقته وحمله وكساه، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم من فعل قيس فقال: إنه من قلب جود».

والعنبر المشموم قيل إنه يخرج من قعر البحر يأكله بعض دوابه لدسومته فيقذفه رجيعا فيوجد كالحجارة الكبار فيطفو على الماء فتلقيه الريح إلى الساحل، وهو يقوى القلب والدماغ نافع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ. وقال ابن سيده: العنبر يخرج من البحر وأجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود. قال: وكثيرا مايوجد فى أجواف السمك الذى يأكله ويموت، وزعم بعض التجار أن بحر الزنج يقذفه كجمجمة الإنسان وأكبرها وزنه ألف مثقال، وكثيرا ما تأكله الحيتان فتموت، والدابة التى تأكله تدعى العنبر.

(الحكم) قال الماوردى والروياني فى كتاب الزكاة: لازكاة فى العنبر والمسك. وقال أبو يوسف: فيهما الخمس. وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز وعبد الله العنبرى وإسحاق: يجب الخمس فى العنبر، واحتج الشافعى عليهم بقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى العنبر: إنما هو شىء دسره البحر: أى لفظه، وليس بمعدن حتى يجب فيه الخمس، وروى عنه صريحا أنه قال: لازكاة فيه، وروى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «العنبر ليس بغنيمة» وهذا ينفى وجوب الزكاة فيه، قالا: أى الماوردى والروياني وأكثر الفقهاء على أن العنبر طاهر. وقال الشافعى: سمعت من قال: رأيت العنبر نابتا فى البحر ملتويا مثل عنق الشاة. وقيل إن أصله نبت فى البحر وله رائحة ذكية وفى البحر دويبة تقصده لذكاء رائحته وهو سمها فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر فيخرج العنبر من بطنها، وقالا فى كتاب السلم: يجوز السلم فى العنبر، ولابد من بيان أنواعه ووزنه فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود ولايجوز حتى يسمى ذلك. وقال الشافعى: يجوز بيع العنبر. وقال أهل العلم به: إنه نبات والنبات لايحرم منه شىء. قال: وحدثنى بعضهم أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة فإذا ثمرها عنبر. قال فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه فهبت الريح فألقته فى البحر. قال الشافعى: والسمك ودواب البحر تبتلعه أول مايقع منه لأنه لين فإذا ابتلعته قلما يسلم منها إلا قتلها لفرط الحرارة فيه، فإذا أخذ الصياد السمكة وجده فى بطنها فيقدر أنه منها وإنما هو ثمرة نبت.

(وأما خواصه) فقال المختار بن عبدون: العنبر حار يابس وهو دون المسك وأجوده الأشهب الخفيف الدسم، وهو يقوى القلب والدماغ ويزيد فى الروح وينفع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ ويولد شجاعة لكنه يضر من اعتاده الباسور وتدفع مضرته بالكافور

وشم الخيار ، ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة والمشايخ وأجود ماستعمل فى الشتاء . قالوا : والعنبر جماجم أكبرها ألف مثقال تبرز من عيون فى البحر تطفو على الماء فيسقط عليها الطير فتأكلها فتهلك ، وقيل إنه روث دابة ، وقيل إنه من غثاء البحر ، وأجوده الأشهب وضده الخمرى وله زهومة لابتلاع السمك له ويتصفى منه عند عمله رمل ، والله تعالى أعلم .

﴿ العنتر ﴾ : الذباب الأزرق ، وقيل مطلق الذباب ، وفى الصحيحين عن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فى حديثه الطويل المشتمل على كرامات ظاهرة للصديق رضى الله تعالى عنه ، ومعناه : أن الصديق ضيف جماعة وأجلسهم فى محله وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأخر رجوعه فلما رجع قال : أعشيتموهم ؟ قالوا : لا ، فأقبل على ابنه عبد الرحمن وقال : ياعنتر فجدع وسب ، ومعناه دعا عليه بقطع الأنف ونحوه ، وجاء ياعنيتر مصغرا شبهه بذلك تحقيرا له ، وقيل شبهه بالذباب الأزرق لشدة أذاه ، وروى بالغين المعجمة وبالثاء المثلثة وهو الأكثر ومعناه يالئيم ، وعنترة اسم رجل وهو عنترة بن شداد بن معاوية العبسى وهو أحد فرسان العرب وشعرائها ومتيميها وهو من أبطال الجاهلية ويضرب المثل بشجاعته . قال سيبويه : نون عنترة ليست زائدة .

﴿ العندليب ﴾ : الهزار بفتح الهاء والجمع العنادل لأنك ترده إلى الرباعى ثم تبنى منه الجمع والتصغير ، والبلبل يعندل إذا صوت ، وما أحسن قول أبى سعيد المؤيد بن محمد الأندلسى الشاعر المجيد فى وصف طنبور :

وطنبور مليح الشكل يحكى بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما ذوى نغما فصاحا حواها فى تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا يكون إذا نشأ شيخا أديبا

ومن محاسن شعره قوله :

أحب العذول لتكراره حديث الحبيب على مسمعى
وأهوى الرقيب لأن الرقيب يكون إذا كان حبى معى

ومما يستجاد من محاسن شعره أيضا :

إحذر صديقا ماذقا مزج المرارة بالحلاوه
يحصى الذنوب عليك أيـ ـام الصداقة للعداوه

وما أحسن قوله :

ونهاية الدنيا وغاية أهلها ملك يزول وستر قوم يهتك

تحلو فتعقب غصة ومرارة وتحب وهى بنا تصول وتفتك

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

(وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات .

(وهو فى الرؤيا) يدل على ولد ذكى ، والله أعلم .

﴿ العندل ﴾ : البعير الضخم الرأس يستوى فيه الذكر والأنثى .

﴿ العنز ﴾ : الأنثى من المعز والجمع أعنز وعنوز . روى البخارى وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز مامن عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديقا بموعودها إلا أدخله الله الجنة » قال حسان بن عطية الراوى عن أبى كبشة : فعددنا مادون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة . قال ابن بطال : لم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم الخصال فى الحديث ، ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان عالما بها لامحالة إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها ، وذلك والله أعلم خشية أن يكون التعيين لها زهد فى غيرها من أبواب المعروف وسبل الخير ، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام من الحث والحض على أبواب من الخير والبر مالا يحصى كثرة . قال : وقد بلغنى عن بعض أهل عصرنا أنه تتبعها فى الأحاديث فوجدها تزيد على أربعين خصلة ثم ذكرها إلى آخرها .

قلت : وتشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة فالأول إشارة إلى جمع الشمل لأن العرب تقول : أشمتت الإبل إذا اجتمعت فى المرعى . وقيل معناه الدعاء لشوامته وهو اسم للأطراف ، والثانى إشارة إلى أن يرزق السمت الحسن .

قلت : وقد روى صاحب الترغيب والترهيب فى باب قضاء حوائج المسلمين عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا لابراءة له منها إلا بالأداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد منيته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضى حاجته ، ويشفع مسألته ، ويقبل شفاعته ، ولا يخيب مقصده ، ويشمت عطسته ، وينشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، ويزيد إنعامه ، ويصدق إقسامه ، وينصره ظالما أو مظلوما : أما نصره ظالما فيرده عن ظلمه ، وأما نصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه ،

ويواليه ولا يعاديه ويسلمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير مايحب لنفسه ويكره له من الشر مايكره لنفسه » ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالبه به يوم القيامة » ثم قال على رضى الله تعالى عنه : إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه .

فهذه مع ماعده حسان بن عطية يجتمع منها أكثر من أربعين خصلة .

(فائدة) روى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرى فى كتاب [الدعوات] بإسناده عن سويد ابن غفلة قال « أصابت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فاقة فقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها : لو أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتته وكان عند أم أيمن فدقت الباب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأم أيمن : إن هذا الدق لدق فاطمة ولقد أتتنا فى ساعة ماعودتنا أن تأتينا فى مثلها فقومى فافتحى لها الباب ، قال : فقامت أم أيمن ففتحت لها الباب ، فلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم : يافاطمة لقد أتيتنا فى ساعة ماعودتنا أن تأتينا فى مثلها ، فقالت : يارسول الله هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتقديس فما طعامنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : والذى بعثنى بالحق ما اقتبس فى آل محمد نار منذ ثلاثين يوما ، وقد أتتنا أعنز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنز وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل آنفا ؟ قالت : بل علمنى الخمس التى علمك جبريل . قال صلى الله عليه وسلم : قولى : يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا راحم المساكين ، ويا أرحم الراحمين . قال : فانصرفت حتى دخلت على على بن أبى طالب فقالت : ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة ، وذكرت له ذلك فقال : خير أيامك خير أيامك » .

وفى كتاب [صفوة التصوف] للحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى « أن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر هؤلاء الأعنز إحدى عشرة عنزا فى الدار أحب إليك أم كلمات علمنيهن جبريل آنفا يجمعن لك خير الدنيا والآخرة ؟ فقال : يارسول الله والله إنى لمحتاج وهذه الكلمات أحب إلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : قل : اللهم إنك خلاق عليم ، اللهم إنك غفور حليم ، اللهم إنك تواب رحيم ، اللهم إنك رب العرش العظيم ، اللهم إنك البر الجواد الكريم اغفر لى وارحمنى واجبرنى ووفقنى وارزقنى واهدنى ونجنى وعافنى واسترنى ولا تضلنى ، وأدخلنى الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين . قال : فطفق يرددهن حتى حفظتهن ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ياجابر استقهن معك . قال : فاستقتهن معى » .

وفى تفسير القشيرى وغيره : أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما هاجر بولده إسمعيل

وأمه هاجر إلى مكة مر على قوم من العماليق فوهبوا لإسماعيل عليه الصلاة والسلام عشرة أعنز فجميع أعنز مكة من نسلها ، وهذا نظير ماتقدم فى حمام الحرم وأنه من نسل الحمامتين اللتين عششتا على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار .

(فائدة أخرى) قال النبى صلى الله عليه وسلم « لاينتطح فيها عنزان » والسبب فى ذلك أن امرأة من خطمة كان يقال لها عصماء بنت مروان من بنى أمية كانت تحرض على المسلمين وتؤذيهم وتقول الشعر ، فجعل عمير بن عدى عليه نذرا لله عز وجل لئن رد الله رسوله سالما من بدر ليقتلنها ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر عدا عليها عمير فى جوف الليل فقتلها ثم لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصبح ، فلما قام صلى الله عليه وسلم ليدخل مجلسه قال لعمير بن عدى : أقتلت عصماء ؟ قال : نعم فهل على فى قتلها من شىء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لاينتطح فيها عنزان » فأول ماسمعت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم ، وهى من الكلام الموجز البديع المفرد الذى لم يسبق إليه ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « حمى الوطيس ، ومات حتف أنفه ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، وياخيل الله اركبى ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، وكل الصيد فى جوف الفرا ، والحرب خدعة ، وإياكم وخضراء الدمن ، وإن مما ينبت الربيع مايقتل حبطا أو يلم ، والأنصار كرشى وعيبتى ، ولا يجنى على المرء إلا يده ، والشديد من غلب على نفسه عند الغضب ، وليس الخبر كالمعاينة ، والمجالس بالأمانة ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والبلاء موكل بالمنطق ، والناس كأسنان المشط ، وترك الشر صدقة ، وأى داء أدوأ من البخل ، والأعمال بالنيات ، والحياء خير كله ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع ، وسيد القوم خادمهم ، وفضل العلم خير من فضل العبادة ، والخيل معقود فى نواصيها الخير ، وأعجل الأشياء عقوبة البغى ، وإن من الشعر لحكمة ، والصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، ونية المؤمن خير من عمله ونية المنافق شر من عمله ، والولد للوطء ، واستعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود ، والمكر والخديعة فى النار ، ومن غشنا ليس منا ، والمستشار مؤتمن ، والندم توبة ، والدال على الخير كفاعله ، وحبك الشىء يعمى ويصم ، والعارية مؤداة ، والإيمان قيد الفتك » وأمثال ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم العنز دون سائر الغنم لأن العنز إنما تشام العنز ثم تفارقها ، وليس كنطاح الكباش وغيرها .

وروى ابن دريد أن عدى بن حاتم لما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه قال : لاينتطح فيها عنزان ، فلما كان يوم الجمل فقئت عينه ، فقيل له لاينتطح فى قتل عثمان عنزان . قال : بلى وتفقأ عيون كثيرة كذا ذكر هذا الخبر ابن إسحاق والدمياطى وغيرهما ، وعن أبى هريرة

رضى الله تعالى عنه قال : حدثنى الصادق المصدوق أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « أن أول خصم يقضى عليه يوم القيامة عنزان ذات قرن وغير ذات قرن » رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط وفيه جابر الجعفى وهو ضعيف .

(وحكمها) الحل ويفدى بها الغزال إذا قتله المحرم ، وسيأتى تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة .

(الأمثال) قد تقدم فى الحديث قوله عليه الصلاة والسلام « لاينتطح فيها عنزان » أى لايلتقى فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز ، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لايجرى فيها خلف ولا نزاع . وقالوا : فلان أضرط من عنز . وقالوا : عنز بها كل داء ، يضرب للكثير العيوب من الناس والدواب . قال الفزارى : للعنز تسعة وتسعون داء ، والعنز العقاب الأنثى فى قول الشاعر :

إذا ما العنز من حلق تدلت ضحيا وهى طاوية تحوم

فمراده بالعنز هنا العقاب الأنثى .

(الخواص) مرارة العنز إذ خلطت بنوشادر ونتف شعر من مكان فى البدن وطلى به ذلك الموضع لم ينبت فيه شعر البتة . وقال أرسطو : مرارة العنز إذا خلطت بكراث وطلى بها مكان الشعر المنتوف لم ينبت فيه شعر البتة ، وإذا غسلت ساقها وسقى من به سلس البول أبرأه ، وإن كتبت بلبنها على قرطاس لم تبن كتابته فإن ذر عليه رماد ظهرت الكتابة . وقال هرمس : إذا أخذ من دماغ العنز ومن دم الضبع وزن دانق من كل واحد مع وزن حبتين من كافور وعجن باسم شخص تولد فيه روحانية المحبة إذا طعم ذلك ، ومن أخذ من مرارتها وزن دانق ومثله من دمها ومن دماغ سنور أسود نصف دانق وأطعمه إنسانا قطع عنه شهوة الجماع ولا يصل إلى امرأة حتى يحل عنه ، وحله أن يسقى أنفحة ظبية فى لبن عنز ويكون سخنا ، والله تعالى أعلم .

﴿ العنظب ﴾ : الذكر من الجراد وفتح الظاء لغة فيه . قال الكسائى : يقال العنظب والعنظاب والعنظوب والأنثى عنظوبة ، والجمع فى المذكر عناظب . قال الشاعر :

* رءوس العناظب كالعنجد *

والجمع فى المؤنث عنظوبات ، وفى كتاب سيبويه العنظباء بالمد والضم .

﴿ العنظوانة ﴾ : الجراد الأنثى والجمع عنظوانات ، وقد تقدم ذكر الجراد وما فيه فى باب الجيم .

﴿ عنقاء مغرب ومغربة ﴾ : من الألفاظ الدالة على غير معنى . قال بعضهم . وهو طير

غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه ، وقيل سميت بذلك لأنه كان فى عنقها بياض كالطوق ، وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس .

وقال القزوينى : إنها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحذأة الفأر ، وكانت فى قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها إلى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبى عليه السلام فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل إليها الناس ، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع وجوارح الطير ، وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لأجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف والسيل ، وتعيش ألفى سنة وتتزاوج إذا مضى لها خمسمائة سنة فإذا كان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد ثم أطال فى وصفها .

وذكر أرسطاطاليس فى النعوت : أن عنقاء مغرب قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب . قال : وكيفية صيدها أنهم يوقفون ثورين ويجعلون بينهما عجلة ويثقلونها بالحجارة العظام ، ويجعلون بين يدى العجلة بيتا يختبئ فيه رجل معه نار فتنزل العنقاء على الثورين لتخطفهما فإذا نشبت أظفارها فى الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة ، ولم تقدر على الاستقلال لتخلص مخالبها فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها . قال : والعنقاء لها بطن كبطن الثور وعظام كعظام السبع وهى من أعظم سباع الطير انتهى .

وقال الإمام العلامة أبو البقاء العكبرى فى شرح المقامات : إن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد فى السماء قدر ميل ، وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهى عظيمة الخلق لها وجه كوجه الإنسان وفيها من كل حيوان شبه ، وهى من أحسن الطيور ، وكانت تأتى هذا الجبل فى السنة مرة فتلتقط طيوره فجاعت فى بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان عليه السلام فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت ، وكان حنظلة بن صفوان عليه السلام فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انتهى . وذكر غيره : أن الجبل يقال له فتخ وسميت العنقاء لطول عنقها ثم إنهم قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى .

وذكر السهيلى فى [التعريف والأعلام] فى قوله تعالى — وبئر معطلة وقصر مشيد — إن البئر هى الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له الحلس ، وكانت البئر تسقى المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك ، وكانت لهم بركات كثيرة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأوان من رخام ، وهى شبه الحياض كثيرة يملأ الناس منها وآخر للدواب والقوم عليها يستقون الليل والنهار

يتداولون ذلك ولم يكن لهم ماء غيرها ، وطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلوه بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك كانوا يفعلون بموتاهم إذا كانوا ممن يكرم عليهم ، فلما مات شق عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا بالبكاء فاغتنمها الشيطان منهم فدخل فى جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة وأخبرهم أنه لم يمت ولا يموت أبدا ثم قال : ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجابا بينه وبينهم ليكلمهم من ورائه كى لا يعرف الموت فى صورته فنصبوه صنما من وراء حجاب وأخبرهم أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يموت أبدا وأنه لهم إله ، وكان ذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم ذلك وارتاب بعضهم ، وكان المؤمن المكذب له أقل من المصدق له ، وكان كلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر وفشا الكفر فيهم وأقبلوا على عبادته ، فبعث الله إليهم نبيا كان ينزل الوحى عليه فى النوم دون اليقظة اسمه حنظلة بن صفوان ، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان قد أضلهم وأن الله سبحانه لا يمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن لا يكون شريكا لله تعالى ، ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو يعظهم وينصح لهم حتى قتلوه وطرحوه فى بئر فعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء فأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطلت رشاؤها فصاحوا بأجمعهم ، وضج النساء والولدان وأخذهم العطش وبهائمهم حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك ، وخلفهم فى أرضهم السباع وفى منازلهم الثعالب والضباع ، وتبدلت جناتهم بالسدر وشوك القتاد فلا يسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطواته ومن الإصرار على مايوجب نقماته . قال : وأما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم ولم يبن فى الأرض مثله فيما ذكر ، وحاله كحال هذه البئر فى إيحاشه بعد الأنس وإقفاره بعد العمران فلا يستطيع أحد أن يدنو منه على أميال لما يسمع من عزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا ، فذكرهم الله تعالى فى هذه الآية موعظة وذكرى وتحذيرا من غب المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك .

وروى محمد بن إسحق عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول الناس دخولا الجنة يوم القيامة عبد أسود ، وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا ذلك العبد الأسود ، ثم إن أهل تلك القرية عدوا على ذلك النبى فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم ألقوا عليه حجرا ضخما ، فكان ذلك العبد الأسود يذهب ويحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرابا ثم يأتى إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله عليها ثم يدلى إليه طعامه وشرابه ثم يرد الصخرة كما كانت ، فمكث كذلك ما شاء الله ثم ذهب يحتطب يوما كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما

أراد أن يحملها أخذته سنة من النوم فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين، ثم إنه هب فتمطى لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين ، ثم إنه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام إلا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته، ثم إنه اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى البئر والتمس النبي فلم يجده وقد كان بدا لقومه مابدا فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه فكان النبي يسألهم عن ذلك العبد الأسود ما فعل به فيقولون لاندرى حتى قبض الله ذلك النبي وأهب الله ذلك العبد الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن ذلك العبد الأسود لأول من يدخل الجنة» .

قلت : قد ذكر فى هذا الحديث أنهم آمنوا بنبيهم الذى استخرجوه من الحفرة فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله تعالى — وأصحاب الرس — لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجها .

قال ابن خلكان : ورأيت فى تاريخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغانى نزيل مصر أن العزيز بن نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان مالم يجتمع عند غيره فمن ذلك العنقاء ، وهو طائر جاءه من صعيد مصر فى طول البلشون لكنه أعظم جسما منه له لحية وعلى رأسه وقاية وفيه عدة ألوان ومشابهة من طيور كثيرة ؛ وقد تقدم عن الزمخشرى أن العنقاء انقطع نسلها فلا يوجد اليوم فى الدنيا .

وفى آخر [ربيع الأبرار] فى باب الطير عن ابن عباس قال : إن الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طائرا يسمى العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجه كوجه الإنسان ، وأعطاها الله تعالى من كل شىء قسطا ، وخلق لها ذكرا مثلها ، وأوحى إلى موسى أنى خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما فى الوحوش التى حول بيت المقدس وجعلتهما زيادة فيما وصلت به بنو إسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما ، فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز ، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن نبىء خالد بن سنان العبسى من بنى عبس قبل النبى صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ما يلقون منها فدعا الله عليها فانقطع نسلها وانقرضت فلا توجد اليوم فى الدنيا .

وفى كتاب [البدء] لابن أبى خيثمة ذكر خالد بن سنان العبسى وذكر نبوته وذكر أنه كان وكل به من الملائكة مالك خازن النار ، وأنه كان من أعلام نبوته أن نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مفازة فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد ذلك ، وذكر شراح [الفصوص] لابن عربى له قصة غريبة بعد موته ، وستأتى إن شاء الله تعالى الإشارة إلى شىء من ذلك فى لفظ العير .

وروى الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان نبيا ضيعه قومه» يعنى خالد بن سنان ، وذكر غيره من العلماء «أن ابنته أتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال : أهلا ببنت خير نبى أو نحو ذلك» وذكر الكواشى والزمخشرى أنه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسى : وذكر البغوى أنه لا نبى بينهما والله أعلم ، وكان القاضى الفاضل ينشد كثيرا :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبالة واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وتقدم فى العقاب أنه مراد أبى العلاء المعرى بقوله :

هى العنقاء تكبر أن تصاد فعاند من تطيق له عنادا

(الأمثال) يقال حلقت به عنقاء مغرب ، يضرب لمن يئس منه . قال الشاعر :

الجود والغول والعنقاء ثالثة أسماء أشياء فلم توجد ولم تكن

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذا البيت فى الغول أيضا .

(التعبير) العنقاء فى المنام : رجل رفيع مبتدع لايصحب أحدا . ومن رأى العنقاء كلمته نال رزقا من قبل الخليفة وربما يصير وزيرا ، ومن ركب العنقاء غلب شخصا لايكون له نظير ، ومن صادها فإنه يتزوج بامرأة جميلة ، وربما تعبر العنقاء بولد ذكر شجاع لمن أخذها وله امرأة حامل ، والله أعلم .

﴿ العنكبوت ﴾ : دويبة تنسج فى الهواء وجمعها عناكب والذكر عنكب ، وكنيته : أبو خيثمة وأبو قشعم ، والأنثى : أم قشعم ، ووزنه فعلوت ، وهى قصار الأرجل كبار العيون للواحد ثمانية أرجل وست عيون فإذا أراد صيد الذباب لطأ بالأرض وسكن أطرافه وجمع نفسه ثم وثب على الذباب فلا يخطئه . قال أفلاطون : أحرص الأشياء الذباب وأقنع الأشياء العنكبوت فجعل الله رزق أقنع الأشياء فى أحرص الأشياء فسبحان اللطيف الخبير ، وهذا النوع يسمى الذباب ، ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب وله فى رأسه أربع إبر ينهش بها وهو لاينسج بل يحفر بيته فى الأرض ويخرج فى الليل كسائر الهوام ، ومنها الرتيلاء وقد تقدم الكلام عليها فى باب الراء المهملة . وقال الجاحظ : ولد العنكبوت أعجب من الفروج الذى يخرج إلى الدنيا كاسبا كاسيا لأن ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد من غير تلقين ولاتعليم ويبيض ويحضن ، وأول مايولد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته عند ثلاثة أيام ، وهو يطاول السفاد فإذا أراد الذكر الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط فإذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا

فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى ، وهذا النوع من العناكب حكيم ومن حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمة ويبتدئ من الوسط ويمضي موضعا لما يصيده من مكان آخر كالخزانة فإذا وقع شيء فيما نسجه وتحرك عمد إليه وشبك عليه حتى يضعفه فإذا علم ضعفه حمله وذهب به إلى خزانته ، فإذا خرق الصيد من النسج شيئا عاد إليه ورمه ، والذى ينسجه لايخرجه من جوفه بل من خارج جلده ، وفمه مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائما مثلث الشكل وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه .

(فائدة) أسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما عن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال « طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه فى البيت يورث الفقر » وفى مراسيل أبى داود عن يزيد بن مزيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العنكبوت شيطان فاقتلوه » وهو فى كامل ابن عدى فى ترجمة مسلمة بن على الخشنى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ولفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه » وهو حديث ضعيف ، ويزيد بن مزيد الهمدانى الصنعانى الدمشقى أدرك عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وهو القائل : والله لو أن الله تعالى توعدنى إن أنا عصيت أن يسجننى فى الحمام لكان حريا أن لا تجف لى عين ، وطلبوه للقضاء فقعد يأكل فى السوق فتخلص بذلك منهم ؛ وروى أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مجاهد أنه قال فى قوله تعالى — أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة — أنه قال : كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل : ما ولدت هذه المرأة ؟ فقال : جارية ، فقال : أما إن هذه الجارية لا تموت حتى تبغى بمائة رجل ويتزوج بها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت ، فقال الأجير فى نفسه : فأنا والله ما أريد هذه بعد أن تبغى بمائة لأقتلنها ، فأخذ شفرة ودخل فشق بطن الجارية وخرج على وجهه فركب البحر ، فخيط بطن الصبية وعولجت فشفيت وشبت وطلعت من أجمل نساء عصرها ، وكانت تبغى فأتت ساحلا من سواحل البحر وأقامت هناك تبغى ، ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير ، فقال لامرأة من أهل ساحل البحر : ابتغى لى أجمل امرأة فى القرية أتزوجها ، فقالت : هاهنا امرأة من أجمل النساء ولكنها بغى ، فقال : ائتينى بها ، فأتتها فقالت : قد قدم رجل له مال كثير وقال لى كذا وكذا فقلت كذا وكذا ، فقالت : إنى قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته . قال : فتزوجها فوقعت منه موقعا عظيما وأحبها حباً شديداً فبينما هو يوما عندها إذ أخبرها بأمره ، فقالت : أنا تلك الجارية وأرته الشق فى بطنها ، ثم قالت وقد كنت أبغى فما أدرى بمائة أو أقل أو أكثر . قال : فإنه قد قال لى يكون موتها بالعنكبوت فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده ، فبينما هو وإياها يوما

فى ذلك البرج إذا عنكبوت فى السقف ، فقالت : هذا يقتلنى لا يقتله أحد غيرى ، فحركته فسقط فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين أطفارها ولحمها فاسودت رجلها وماتت فأنزل الله تعالى هذه الآية — أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة — وقال أكثر المفسرين : إن هذه الآية نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى أحد : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فرد الله عليهم بقوله — أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة — والبروج : الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة. وقال قتادة : معناه فى قصور محصنة : وقال عكرمة : مجصصة : والمشيد المجصص ، ويكفى العنكبوت فخرا وشرفا نسجها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار والقصة فى ذلك مشهورة فى كتب التفاسير والسير وغيرها ، ونسجت أيضا على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس رضى الله عنه لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلى بالعرنة فقتله ، ثم احتمل رأسه ودخل فى غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ، ثم خرج فسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والرأس معه فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال « قد أفلح الوجه » قال : وجهك يا رسول الله ، ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر ، فدفع إليه النبى صلى الله عليه وسلم عصا كانت بيده وقال « تخطر بهذه فى الجنة » فكانت عنده إلى أن حضرته الوفاة فأوصى أهله أن يدفنوها فى كفنه ففعلوا ، وكانت مدة غيبته ثمان عشرة ليلة .

وفى الحلية للحافظ أبى نعيم عن عطاء بن ميسرة قال : نسجت العنكبوت مرتين على نبيين على داود حين كان جالوت يطلبه ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار .

وفى تاريخ الإمام الحافظ أبى القاسم بن عساكر : أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم لما صلب عريانا فى سنة إحدى وعشرين ومائة فأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ، ثم أحرقوا خشبته وجسده رحمه الله ، وكان قد بايعه خلق كثير وحارب متولى العراق يوسف بن عمران ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفى فظفر به يوسف ففعل به ذلك ، وكان ظهوره فى أيام هشام بن عبد الملك ، ولما خرج أتاه طائفة كثيرة من أهل الكوفة وقالوا له : تبرأ من أبى بكر وعمر حتى نبايعك فأبى ، فقالوا : إذن نرفضك ، فمن ذلك سموا الرافضة. وأما الزيدية فقالوا : لا نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية ، وروى زيد عن أبيه زين العابدين وجماعة ، وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(تتمة) ذكر ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقى : أنه وقف بالقاهرة

على كراريس من شعره ، ورأى فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ، ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما :

ألقنى فى لظى فإن أحرقتنى فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

قال : فعمل يعقوب بن صابر فى جوابهما هذه الأبيات :

أيها المدعى الفخار دع الفخ ر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجم ر وما الجمر للنعام بقوت

وقد تقدم فى السمندل الإشارة إلى هذه الأبيات .

(وحكم العنكبوت) تحريم الأكل لاستقذارها .

(الأمثال) قالوا : أغزل من عنكبوت . وقالوا : أوهن من بيت العنكبوت. قال الله تعالى — مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون. إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون — فضرب الله ببيتها المثل لمن اتخذ من دونه آلهة لا تضره ولا تنفعه فكما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا ولا قصد أحد إليها فكذلك ما اكتسبوه من الكفر واتخذوه من الأصنام لا يدفع عنهم غدا شيئا . والعالمون كل من عقل عن الله عز وجل وعمل بطاعته وانتهى عن معصيته فهم يعقلون صحة هذه الأمثال وحسنها وفائدتها ، وكان جهلة قريش يقولون إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا أن الأمثال تبرز المعانى الخفية فى الصور الجلية .

(الخواص) إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه ، وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها ، والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف إذا علق على المحموم يبرأ بإذن الله تعالى ، وإن لف فى خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفعه وأذهبها ، وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حى ومرخ به صاحب الحميات أذهبها ، وإذا بخر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت قاله صاحب عين الخواص .

(التعبير) العنكبوت فى المنام : رجل قريب العهد بالزهد ، وقيل : العنكبوت امرأة ملعونة تهجر فراش زوجها ، وبيت العنكبوت ونسجها وهن فى الدين للآية الكريمة المتقدم

ذكرها فى الأمثال . وقيل العنكبوت فى الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلا نساجا أو امرأة والله أعلم .

﴿ العود ﴾ : المسن من الإبل وهو الذى جاوز فى السن الباذل والخلف وجمعه عودة والناقة عودة ، ويقال فى المثل : زاحم بعود أودع : أى استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة فإن رأى الشيخ المسن خير من رأى الغلام ومعرفته . والعوذ المطافيل تقدم ذكرها فى أول الباب فى لفظ عائذ قال الجوهرى : يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرة أيام أو خمسة عشر يوما ثم هى مطفل بعد والجمع مطافيل ومطافل .

﴿ العواساء ﴾ : بفتح العين ممدودا الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة .

﴿ العوس ﴾ : بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسى .

﴿ العومة ﴾ : بالضم دويبة تسبح فى الماء كأنها فص أسود مدملكة والجمع عوم . قاله الجوهرى .

﴿ العوهق ﴾ : الخطاف الجبلى ويقال للغراب الأسود ويقال للبعير الأسود الجسيم . والعوهق الطويل يستوى فيه الذكر والأنثى .

﴿ العلا ﴾ : القطا وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف.

﴿ العلام ﴾ : الباشق ، وقد تقدم ذكره فى باب الباء .

﴿ العيثوم ﴾ : الضبع حكاه الجوهرى عن أبى عبيدة. وقال غيره : العيثوم أنثى الفيل .

﴿ العير ﴾ : الحمار الوحشى والأهلى أيضا والجمع أعيار ومعيوراء وعيور . روى ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد السلمى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردن تجرد العيرين » ورواه البزار من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وروى النسائى فى عشرة النساء من حديث عبد بن سرجس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم أهله فليلق على نفسه ثوبا ولا يتجردن تجرد العيرين » .

وروى أبو منصور الديلمى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يقعن أحدكم على أهله كما يقع الحمار وليكن بينهما رسول . قالوا : وما الرسول ؟ قال : القبلة والكلام اللين » .

وفى الحديث « إذا أراد الله بعبد سوءا أمسك عليه ذنوبه حتى يوفيه يوم القيامة كأنه عير » شبه لعظم ذنوبه بالحمار الوحشى ، وقيل أراد الجبل الذى بالمدينة اسمه عير ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرهه فكان يضرب به المثل فى المكروهات غالبا ، وعير العين جفنها . قال الشاعر :

زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا وأنى الولاء

قال أبو عمرو بن العلاء : ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت .

(فائدة) روى أن خالد بن سنان العبسى لما حضرته الوفاة قال لقومه : إذا أنا دفنت فإنه سيجىء عانة من حمير يقدمها عير فيضرب قبرى بحافره فإذا أنتم رأيتم ذلك فانبشوا عنى فإنى سأخرج فأخبركم بعلم الأولين والآخرين ، فلما مات واتفق ما قاله لقومه أرادوا أن يخرجوه فكره ذلك بعض ولده وقالوا : إنا نخاف أن ينسب إلينا أنانبشنا قبر أبينا ، ولو فعلوا لخرج إليهم وأخبرهم لكن أراد الله غير ذلك ، وقد تقدم أن ابنته أتت النبى صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال لها : «أهلا بنت خير نبى» أو نحو ذلك . وروى أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ — قل هو الله أحد — فقالت : كان أبى يقرأ هذا . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ذاك نبى أضاعه قومه » وقال الشاعر يهجو رجلا :

لو كنت سيفا كنت غير عضب أو كنت ماء كنت غير عذب
أو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب

أى غير سريع فى الحاجات .

(الأمثال) قالت العرب : معيوراء تكادم الأعيار جمع عير والتكادم التعاض يضرب مثلا للسفهاء تتهارش . وقالوا : أنجى عير سمنه . قال أبو زيد : زعموا أن حمرا كانت هزالا فهلكت فى جادب ونجا منها حمار كان سمينا ، فضرب به المثل فى الحزم قبل وقوع الأمر : أى انج قبل أن لانقدر على ذلك ، ويضرب أيضا لمن خلصه ماله من مكروه . وقالت العرب : قد حيل بين العير والنزوان يضرب لمن أيس منه : قال الشاعر :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

وذكر ابن خلكان فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى من ذلك شيئا ينبغى الوقوف عليه ، قال : كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بأبى أحمد العسكرى ولا يجد إليه سبيلا ، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه : أن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج إلى أن أكشفها بنفسى فأذن له فى ذلك ، فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب إليه :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ضعفنا فلم نقدر على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركم وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر ، فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور وهو :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال : والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروى . وهذا البيت لصخر أخى الخنساء وهو من جملة أبيات مشهورة ، وكان صخر المذكور قد حضر محاربة بنى أسد فطعنه ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل بعض حلقات الدرع فى جنبه وبقى مدة حول فى أشد ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سليمى يمرضانه فضجرت زوجتـــه منه ، فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت : لا هو حى فيرجى ولا ميت فينسى ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها معرس يعسوب برأس سنان

وقالوا : كل شواء العير جوفان . قيل : اجتمع فزارى وثعلبى وكلبى فى سفر فاشتووا حمارا وحشيا ، فغاب الفزارى فى بعض حاجاته فأكل صاحباه العير واختبآ له غرموله ، فلما جاء قدماه له وقالا هذا قد اختبأناه لك فجعل يأكل ولا يسيغه فضحكا منه فاخترط سيفه وقال : لأقتلنكما إن لم تأكلاه فأبى أحدهما فضربه بالسيف فأبان رأسه وكان اسمه مرقمة ، فقال صاحبه : طاح مرقمة ، فقال الفزارى : وأنت إن لم تلقمه أراد إن لم تلقمها طرحت رأسك ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة فى ذلك :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمننه ولا تأمن بوائقه بعد الذى امتل أير العير بالنار
أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

وقالوا : أذل من عير . قيل : المراد به الوتد لأنه يشج رأسه أبدا ، وقيل المراد به الحمار . وقال الشاعر :

ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ثم ها أنا أموت حتف أنفى كما يموت العير لا نامت أعين الجبناء .

﴿ العير ﴾ : بالكسر الإبل التى تحمل الميرة ويجوز أن تجمعه على عيرات ، وفى الحديث « إنهم كانوا يترصدون عيرات قريش » .

(فائدة) قال الله تعالى — واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها — قال ابن عطية : القرية مصر . قاله ابن عباس وغيره وهو مجاز والمراد أهلها ، وكذلك قوله والعير هذا قول الجمهور وهو الصحيح ، وحكى أبو المعالى فى [التلخيص] عن بعض المتكلمين أنه قال : هذا من الحذف وليس من المجاز ، قال : وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ما هى له ، وحذف المضاف هو غير المجاز هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر وليس كل حذف مجازا ، ورجح أبو المعالى فى هذه الآية أنه مجاز ، وحكى أنه قول الجمهور أو نحو هذا . وقالت فرقة : بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة من حيث هو نبى فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة . قال : وهذا وإن جوز فبعيد .

(فائدة أخرى) أول من قال : لا فى العير ولا فى النفير أبو سفيان بن حرب ، وذلك أنه لما أقبل بعير قريش وكان النبى صلى الله عليه وسلم تحين انصرافها من الشأم فندب المسلمين للخروج معه ، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفا شديدا فقال للمجد ابن عمرو : هل أحسست بأحد من أصحاب محمد ؟ فقال : ما رأيت أحدا أذكره إلا راكبين أتيا إلى هذا المكان ، وأشار إلى مكان عديا وبسيسا عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ أبو سفيان أبعارا من أبعار بعيريهما وفركها فإذا فيها نوى ، فقال : علائف يثرب هذه عيون محمد فضرب وجوه عيره عن يسار بدر ، وقد كان بعث إلى قريش يخبرهم بما يخافه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فأقبلت قريش من مكة فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع ، فأبت قريش أن ترجع ومضت إلى بدر ورجع بنو زهرة منصرفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال : يابنى زهرة لا فى العير ولا فى النفير . قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر فأظهر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليهم ، ولم يشهد بدرا من بنى زهرة أحد . قال الأصمعى : يضرب هذا المثل للرجل يحط أمره ويصغر قدره ، والله تعالى أعلم .

﴿ عير السراة ﴾ : طائر كهيئة الحمامة .

﴿ العيس ﴾ : بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة واحدها أعيس والأنثى عيساء ويقال هى كرام الإبل ، وما أحسن قول الأول :

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وفى حديث سواد بن قارب « وشدت العيس بأحلاسها » .

﴿ العيساء ﴾ : بفتح العين الأنثى من الجراد ، وقد تقدم ما فى الجراد فى باب الجيم .

﴿ العيلام ﴾ : والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع ، وفى الحديث « إن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر » والعيلام ذكر الضباع والياء والألف زائدتان . قاله فى نهاية الغريب .

﴿ العيثوم ﴾ : الضبع عن أبى عبيدة ، وقد تقدم قبل ذلك بورقة . وقال الغنوى : والعيثوم الأنثى من الفيلة ، وأنشد الأخطل :

تركوا أسامة فى اللقاء كأنما وطئت عليه بخفها العيثوم

﴿ العين ﴾ : من الألفاظ المشتركة . قال بعض أهل اللغة ممن تتكلم على الألفاظ المشتركة إن العين طائر أصفر البطن والظهر فى حد القمرى .

﴿ العيهل ﴾ : الناقة السريعة ، قال أبو حاتم : ولا يقال جمل عيهل .

﴿ عيجلوف ﴾ : كحيزبون اسم النملة المذكورة فى القرآن ، وسيأتى إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء فى اسمها فى باب النون فى لفظ النمل .

﴿ ابن عرس ﴾ : وكنيته : أبو الحكم وأبو الوثاب ، وهى دابة تسمى بالفارسية راسو وهى بكسر العين وإسكان الراء المهملتين تجمع على بنات عرس وبنى عرس حكاه الأخفش . قال القزوينى : هو حيوان دقيق يعادى الفأر يدخل جحره ويخرجه ، ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها ويخرج ، ويعادى الحية أيضا ويقتلها ، وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه .

وحكى أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق لها مهرب ، فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها بها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته ، فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التى كانت تحت الشجرة .

وقال عبد اللطيف البغدادى : وأظنه الحيوان المسمى بالدلق وإنما يختلف لونه ووبره بحسب البلاد . قال : وفى طبعه أنه يسرق ما وجد من فضة وذهب كما يفعل الفأر ، وربما عادى الفأر فقتله ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه . قال : وهو كثير الوجود فى منازل أهل مصر . قال : وقد حكى من فطنته أن رجلا صاد فرخا منها وحبسه فى قفص بحيث تراه أمه ، فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفى فمها دينار فألقته بين يديه كأنها تفتدى ولدها فلم يتركه لها ، فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمسا ، فلما رأت أنه لا يطلقه ذهبت وعادت بخرقة كأنها تشير إلى فراغ حاصلها فلم يكترث بها ، فلما رأت ذلك منه عادت إلى دينار منها لتأخذه فخشى الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها ، وقد تقدم فى باب الجيم فى الجرذ حديث ضباعة بنت الزبير : أن المقداد بن الأسود ذهب يقضى حاجته فإذا جرذ يخرج من جحره دينارا ثم دينارا ثم لم يزل كذلك إلى أن أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج خرقة حمراء قد بقى فيها دينار واحد فكانت ثمانية عشر ، فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال : خذ صدقتها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هل هويت إلى الجحر بيدك ؟ فقال : لا فقال له عليه الصلاة والسلام : بارك الله لك فيها » قال الجاحظ : ابن عرس نوع من الفأر وأنشد قول الشمقمق :

نزل الفارات بيتى رفقة من بعد رفقه

ثم قال :

وابن عرس رأس بيتى صاعدا فى رأس طبقه

ثم قال يصفه :

صبغة أبصرت منها فى سواد العين زرقه
مثل هذا فى ابن عرس أغبش تعلوه بلقه

فوصفه بكونه أغبش أبلق وأنه من الفأر ، وهو أنواع ثلاثة عشر ستأتى فى أماكنها إن شاء الله تعالى . وقال أرسطاطاليس فى [نعوت الحيوان] و[التوحيد فى الامتناع والمؤانسة] إن الأنثى من بنات عرس تلقح من أفواهها وتلد من أذنابها . وقال فى [كفاية المتحفظ] ابن عرس هو السرعوب ويقال له النمس وهو غلط والذى قبله قريب منه ، والجمع بينه وبين كلام الجاحظ عسر لأن النمس ليس من جنس الفأر ، والصواب ما قاله الجاحظ من أنه نوع من الفأر ، وقال الشيخ قطب الدين السنباطى : بنات عرس هى هذه التى فى بيوت مصر ، وفيما قاله قصور فإن بنات عرس أنواع كما يأتى عن الرافعى قريبا .

(الحكم) قيل يحرم أكله لأنه كالفأر ، والمشهور حله بل قال فى [شرح المهذب] : يحل بلا خلاف ، وفيه وجه حكاه الماوردى أنه يحرم ، وحكى فى [الشرح الصغير] الوجهين

وقال الأظهر الحل ، وهذه المسألة ساقطة من الشرح الكبير والروضة والأشبه أنه من صنيع النساخ وإلا فكلام الشرح لا يستقيم إلا بذكرها ، ولذلك كتبها فيه كما فى الشرح الصغير الشيخ عز الدين الدشائى على حاشية نسخته قال الرافعى فى كتاب [الحج] إن بنات عرس أنواع . والغزالى قال : إنه يشبه الثعلب ، وكلام الغزالى يقتضى أن ابن عرس هو النمس لأنه يشبه الثعلب بأسنانه وطول ذنبه وإن كان أصغر منه جثة . وقال القاضى أبو الطيب : لاأعلم خلافا بين الأصحاب فى حل ابن عرس لأنه لا يتقوى بنابه وكذا ذكر صاحب [البحر] والمشهور الحل كما فى الشرح الصغير والمختصرات المشهورة [كالتنبيه والوجيز والحاوى الصغير] .

(الخواص) دماغه يكتحل به فينفع من ظلمة العين ، وإن جفف وشرب بخل نفع من الصرع ، ولحمه يستعمل ضمادات لوجع المفاصل ، وشحمه يطلى به السن تقع سريعا ، ومرارته إن شربت وهى حارة قتلت من وقتها ، ودمه يطلى به الخنازير يحللها ، وإن خلط دمه بدم الفار ومزج بماء ورش فى بيت وقعت الخصومة بين أهله ، وإن دفن ابن عرس وفأرة فى بيت فعل كما يفعل الدم ، وزبله يجعل على الجراحات يقطع الدم ، وإن أخذ كفاه وعلقتا على امرأة لم تحبل ما دام ذلك عليها ، والله تعالى أعلم .

(وهو فى الرؤيا) يدل على الزواج للأعزب بامرأة صبية ، والله تعالى أعلم .

﴿ أم عجلان ﴾ : طائر . قاله الجوهرى . وقال ابن الأثير : طائر أسود يقال له قوبع ، وقيل طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه يقال له الفتاح .

﴿ أم عزة ﴾ : الظبية وعزة ابنتها .

﴿ أم عويف ﴾ : دويبة صغيرة ضخمة الرأس مخضرة لها ذنب طويل وأربعة أجنحة إذا رأت الإنسان قامت على ذنبها ونشرت أجنحتها ، وهى لا تطير ويقال لها ناشرة برديها يلعب بها الصبيان ويقولون لها :

أم عويف انشرى برديك ثمت طيرى بين صحراويك
إن الأمير خاطب بنتيك بجيشه وناظر إليك

كذا قاله فى [المرصع] وهذه تشبه أن تكون أم حبين المتقدمة فى باب الحاء المهملة .

﴿ أم العيزار ﴾ : السبطر ووقع فى [المهذب] فى باب الهدنة أن عاقر ناقة صالح اسمه العيزار بن سالف وهو تصحيف بلا خلاف ، وإنما عاقر الناقة اسمه قدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ والقصص والأسماء وأهل اللغة كالجوهرى وغيره ونبه عليه النووى رحمه الله تعالى .

باب الغين المعجمة

﴿ الغاق ﴾ : والغاقة نوع من طير الماء معروف مشهور .

﴿ الغداف ﴾ : غراب الغيط وجمعه غدفان بكسر الغين المعجمة ، وربما سموا النسر الكثير الريش غدافا، وكذلك الشعر الأسود الطويل . وقال ابن فارس: الغداف هو الغراب الضخم . وقال العبدرى وغيره من أئمة أصحابنا : هو غراب صغير أسود لونه كلون الرماد .

(الحكم) أباح الشعبى أكل الغراب الأسود الكبير الذى يأكل الحبوب والزرع فأشبه الحجل . وقال أبو حنيفة : الغربان كلها حلال ، وروى هشام بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : إنى لأعجب ممن يأكل الغراب وقد أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتله للمحرم وسماه فاسقا والله ما هو من الطيبات . وأما مذهب الشافعى فحاصل ما فى الروضة أن الغداف يحرم أكله ، والذى فى الرافعى أنه حلال وهذا هو المعتمد فى الفتوى كما نبه عليه شيخنا فى المهمات .

(الخواص) قال القزوينى : إذا أخذت شحم الغداف مع دهن ورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حاجتك .

﴿ الغذى ﴾ : السخلة والجمع غذاء مثل فصيل وفصال ، ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لعامل الصدقة : احتسب عليهم بالغذاء ولا تأخذها منهم وأنشد الأصمعى :

لو أننى كنت من عاد ومن إرم غذى بهم ولقمانا وذا جدن

ورواه خلف الأحمر غذى بالتصغير حكاه الجوهرى وغيره .

﴿ الغراب ﴾ : معروف وسمى بذلك لسواده ، ومنه قوله تعالى — وغرابيب سود — وهما لفظان بمعنى واحد ، ومن أحاديث راشد بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يبغض الشيخ الغربيب» فسره راشد بن سعد بالذى يخضب بالسواد وجمعه غربان وأغربة وأغرب وغرابين وغرب وقد جمعها ابن مالك فى قوله :

بالغرب اجمع غرابا ثم أغربة وأغرب وغرابين وغربان

وكنيته : أبو حاتم وأبو حجادف وأبو الجراح وأبو حذر وأبو زيدان وأبو زاجر وأبو الشؤم وأبو غياث وأبو القعقاع وأبو المرقال الشاعر :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذاك سموه أبا المرقال

ويقال له ابن الأبرص وابن بريح وابن داية ، وهو أصناف : الغداف والزاغ والأكحل

وغراب الزرع والأورق وهذا الصنف يحكى جميع ما يسمعه، والغراب الأعصم عزيز الوجود قالت العرب : أعز من الغراب الأعصم ، وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم فى مائة غراب » رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة ، وفى رواية ابن أبى شيبة « قيل يا رسول الله وما الغراب الأعصم ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء » وروى الإمام أحمد والحاكم فى مستدركه عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » وإسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائى . قال فى الإحياء : الأعصم أبيض البطن ، وقال غيره : الأعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض الرجلين ، أراد عليه الصلاة والسلام قلة الصالحة فى النساء وقلة من يدخل الجنة منهن لأن هذا الوصف فى الغربان عزيز قليل . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة . وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وفى السيرة فى قصة حفر زمزم لما رأى عبد المطلب قائلا يقول له : احفر طيبة . قال : وما طيبة قال : زمزم . قال : وما علامتها؟ قال : بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم . قال السهيلى . فى ذلك إشارة إلى أن الذى يهدم الكعبة صفته كصفة الغراب وهو ذو السويقتين .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة » وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا » وفى حديث حذيفة الطويل « كأنى بحبشى أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر » يعنى الكعبة ذكره أبو الفرج ابن الجوزى ، وذكر الحليمى أن هذا يكون فى زمن عيسى عليه السلام ، وفى الحديث « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » وغراب الليل قال الجاحظ : هو غراب ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق البوم فهو من طير الليل وسمعت بعض الثقاة يقول : إن هذا الغراب يشاهد كثيرا فى الليل ، وقال أرسطاطاليس فى [النعوت] : الغربان أربعة أجناس . أسود حالك وأبلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب وأسود طاوسى براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ ، وفى الغراب كله الاستتار عند السفاد وهو يسفد مواجهة ولا يعود إلى إلى الأنثى بعد ذلك لقلة وفائه ، والأنثى تبيض أربع

بيضات وخمسا ، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحة المنظر جداً إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه فيجعل الله قوته فى الذباب والبعوض الكائن فى عشه إلى أن يقوى وينبت ريشه فيعود إليه أبواه وعلى الأنثى أن تحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم ، وفى طبعه أنه لا يتعاطى الصيد بل إن وجد جيفة أكل منها وإلامات جوعا ويتقمقم كما يتقمقم ضعاف الطير ، وفيه حذر شديد وتنافر والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكله . ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه يحمل الذكر والأنثى فى أرجلهما حجارة ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه . قال الجاحظ ، قال صاحب [منطق الطير] الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات وهو إما حالك السواد شديد الإحتراق ، ويكون مثله فى الناس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيبا ومزاجا كمن بردت بلاده ولم تنضجه الأرحام أو سخنت بلاده فأحرقته الأرحام ، وإنما صارت عقول أهل بابل فوق العقول وكمالهم فوق الكمال لأجل ما فيها من الاعتدال ، فالغراب الشديد السواد ليس له معرفة ولا كمال والغراب الأبقع كثير المعرفة وهو ألأم من الأسود انتهى .

والعرب تتشاءم بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب .

(فائدة أجنبية) اسم الغربة مجموع من أسماء دالة على محصول اسم الغربة فالغين من غدر وغرور وغيبة وغم وغلة وهى حرارة الحزن وغرة وغول وهى كل مهلكة ، والراء من رزء وردع وردى وهو الهلاك ، والباء من بلوى وبؤس وبرح وهو الداهية وبوار وهو الهلاك ، والهاء من هوان وهول وهم وهلك . قاله محمد بن ظفر فى السلوان . وغراب البين الأبقع . قال الجوهرى : هو الذى فيه سواد وبياض . وقال صاحب [المحالسة] سمى غراب البين لأنه بان عن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما وجهه لينظر إلى الماء فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به . وذكر ابن قتيبة : أنه سمى فاسقا فيما أرى لتخلفه حين أرسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره ووقع على جيفة . قال عنترة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع

وقال صاحب [منطق الطير] : الغربان جنس من الأجناس التى أمر بقتلها فى الحل والحرم من الفواسق اشتق لها ذلك الاسم من اسم إبليس لما يتعاطاه من الفساد الذى هو شأن إبليس واشتق ذلك أيضا لكل شىء اشتد أذاه ، وأصل الفسق الخروج عن الشىء وفى الشرع الخرج عن الطاعة اه .

قال الجاحظ : غراب البين نوعان أحدهما غراب صغير معروف باللؤم والضعف ،

وأما الآخر فإنه ينزل فى دور الناس ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها وبانوا منها ؛ قال : وكل غراب غراب البين إذا أرادوا به الشؤم لاغراب البين نفسه الذى هو غراب صغير أبقع ، وإنما قيل لكل غراب غراب البين لأنه يسقط فى منازلهم إذا ساروا منها وبانوا منها ، فلما كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينونتهم عن منازلهم اشتقوا له هذا الاسم من البينونة .

وقال المقدسى فى [كشف الأسرار فى حكم الطيور والأزهار] فى صفة غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب وينعق بين الخلان والأحباب إذا رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته ، وإن شاهد ربعا عامرا بشر بخرابه ودروس عرصاته يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ويحذر الآكل غصة المأكل ويبشر الراحل بقرب المرحل ينعق بصوت فيه تحزين كما يصيح المغلن بالتأذين ، وأنشد على لسان حاله :

أنوح على ذهاب العمر منى ... وحق أن أنوح وأن أنادى
وأندب كلما عاينت ركبا ... حدا بهم لوشك البين حادى
يعنفنى الجهول إذا رآنى ... وقد ألبست أثواب الحداد
فقلت له اتعظ بلسان حالى ... فإنى قد نصحتك باجتهاد
وها أنا كالخطيب وليس بدعا ... على الخطباء أثواب السواد
ألم ترنى إذا عاينت ركبا ... أنادى بالنوى فى كل ناد
أنوح على الطلول فلم يجبنى ... بساحتها سوى خرس الجماد
فأكثر فى نواحيها نواحى ... من البين المفتت للفؤاد
تيقظ يا ثقيل السمع وافهم ... إشارة من تسير به الغوادى
فما من شاهد فى الكون إلا ... عليه من شهود الغيب بادى
وكم من رائح فيها وغاد ... ينادى من دنو أو بعادى
لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادى

فدل قوله وقد ألبست أثواب الحداد وليس بدعا على الخطباء أثواب السواد أنه أسود ، وقوله فلم يجبنى بساحتها سوى خرس الجماد أنه يوجد عند مفارقة أهل المواضع لها . وأما قوله وينعق بين الخلان والأحباب فهو بالغين المعجمة عند جمهور أهل اللغة وهو الذى قاله ابن قتيبة وجعل غيره خطأ ، ونقل البطليوسى عن صاحب المنطق أنه قال : نعق الغراب ونغق : قال : وهو بالغين المعجمة أحسن ، وحكى ابن جنى مثل ذلك ، وقد أحسن الصاحب بهاء الدين زهير وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بقوله فى البين من أبيات :

لقد ظلمتنى واستطالت يد النوى ... وقد طمعت فى جانبى كل مطمع
إلى كم أقاسى فرقة بعد فرقة ... وحتى متى يا بين أنت معى معى
وقالت علمنا ما جرى منك بعدنا ... فلا تظلمينى ما جرى غير أدمعى

وله ملغزا فى قفل وقد أجاد :

وأسود عار أنحل البرد جسمه وما زال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الدهر حارسا وليس له عين وليس له سمع

وله شعر جيد وشعره عند أهل الصناعة يسمى السهل الممتنع : وكان متمكنا من الملك الصالح ولا يتوسط إلا بالخير وكانت وفاته سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى ، ويقال إذا صاح الغراب مرتين فهو شر وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد الحروف ، ولما كان صافى العين حاد البصر سموه أعور . وقال الجاحظ : إنهم إنما سموه بالأعور تطيرا منه وتشاؤما به وليس به عور ؛ وقيل إنما سموه أعور تفاؤلا بالسلامة منه كما سموا البرية بالمفازة واليدالشمال باليسار. والتطير أصله من الطير إذا مر بارحا أو سانحا أو قعيدا أو ناطحا فالبارح ما أتى من ناحية الميامن والسانح بالنون والحاء المهملة ما أتى من ناحية المياسر والناطح ما تلقاك والقعيد ما استدبرك ، وإنما كان الغراب هو المقدم عندهم فى باب الشؤم لأنه لما كان أسود ولونه مختلفا إن كان أبقع ولم يكن على إبلهم شيء أشد من الغراب ، وكان حديد البصر يخاف من عينيه كما يخاف من عين المعيان قدموه فى باب الشؤم انتهى . وقيل : إنما سموه أعور لتغميض إحدى عينيه أبدا من قوة بصره. قاله ابن الأعرابى، وسيأتى فى الأمثال شيء من هذا .

(فائدة) قال صاحب العشرات : إسم الغراب من الأسماء المشتركة يقع على الثلج وعلى الضفيرة من الشعر وعلى المعول وعلى رأس الورك وعلى الغراب نفسه . قال : أنشدنى أبوعبد الله المهلبى يعنى نفطويه كنى عنه لأنه كان فى زمانه عن ثعلب عن ابن الأعرابى:

يا عجبا للعجب العجاب خمسة غربان على غراب

وقال أرسطاطاليس فى [النعوت] : غراب البين جسمه أسود ومنقاره ورجلاه صفر ومأكله من جميع النبات واللحوم ، وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن نقرة الغراب » يريد بذلك تخفيف السجود وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله ، وروى البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب وابن عبد البر وغيرهم عن عبد الله بن الحارث الأموى عن أمه ريطة بنت مسلم عن أبيها أنه قال « شهدت مع النبى صلى الله عليه وسلم حنينا فقال : ما اسمك ؟ قلت : اسمى غراب ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنت مسلم » وإنما غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمه لأنه حيوان خبيث الفعل خبيث المطعم ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بقتله فى الحل والحرم . وفى سنن أبى داود « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : ما اسمك ؟ قال : أصرم . قال : بل أنت زرعة » وإنما غيره لما فيه من معنى الصرم وهو القطع . قال أبو داود : وغير النبى صلى الله

عليه وسلم اسم العاص وعزير وعقلة وشيطان والحكم وحباب وشهاب ، وأرض تسمى عفرة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم خضرة ، فالعاص كرهه لمعنى العصيان وإنما صفة المؤمن الطاعة والاستسلام ، وعزيز إنما غيره لأن العزة لله تعالى وشعار العبد الذلة والاستكانة وقد قال الله تعالى عند ما قرع بعض أعدائه — ذق إنك أنت العزيز الكريم — وعقلة معناه الشدة والغلظة ومن صفة المؤمن اللين والسهولة قال صلى الله عليه وسلم « المؤمنون هينون لينون » والشيطان اشتقاقه من البعد عن الخير . والحكم هو الحاكم الذى لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه وتعالى ، والحباب اسم الشيطان ، والشهاب اسم للشعلة من النار والنار عقوبة الله تعالى وهى محرقة مهلكة نسأل الله النجاة منها . وأما عفرة فهو نعت لأرض لا تنبت شيئا فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتزرع ، وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن شبل وليس له فى الكتب الستة سواه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى المصلى عن نقرة الغراب » ورواه الحاكم بلفظ «نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان كما يوطنه البعير » يريد بنقرة الغراب تخفيف السجود وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله .

وروى أبو يعلى الموصلى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن سلمة بن قيصر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من صام يوما ابتغاء وجه الله باعده الله من النار كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما » وفى إسناده ابن لهيعة وفيه كلام . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه الإمام أحمد فى الزهد والبزار وفيه رجل لم يسم ، وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحية مارواه الدار قطنى عن أبى أمامة قال « دعا النبى صلى الله عليه وسلم بخفيه ليلبسهما فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر ورمى به فخرجت منه حية ، فقال صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما » وفى إسناده هشام بن عمرو ذكره ابن حبان فى الثقات وهو حديث صحيح إن شاء الله تعالى .

وقد تقدم فى الأسود السالخ حديث نظير هذا .

وروى الإمام أحمد فى الزهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان إذا نعب الغراب قال : « اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك » وروينا عن ابن طبرزذ بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن حطان عن الزهرى عن أبى واقد عن روح بن حبيب قال : بينما أنا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه إذ أتى بغراب فلما رآه بجناحين حمد الله تعالى ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماصيد قط صيدا إلا بنقص من تسبيح ، ولا أنبت الله تعالى نابتة إلا وكل بها ملكا يحصى تسبيحها حتى يأتى به يوم القيامة ،

ولا عضدت شجرة ولا قطعت إلا بنقص من تسبيح ، ولا دخل على امرىء مكروه إلا بذنب ، وما عفا الله عنه أكثر ياغراب اعبد الله ثم خلى سبيله » وسيأتى نظير هذا فى لفظ القسورة من كلام عمر رضى الله تعالى عنه .

(فائدة أخرى) قال أبو الهيثم : يقال إن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره ، والحكمة فى أن الله تعالى بعث إلى قابيل لما قتل أخاه هابيل غرابا ولم يبعث له غيره من الطير ولا من الوحش أن القتل كان مستغربا جدا إذ لم يكن معهودا قبل ذلك فناسب بعث الغراب قال الله تعالى — واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا — الآيات . قال المفسرون : كان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل ماعنده وأدناه ، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أفضل كباشه فقربه ، وكان دليل القبول أن تأتى نار تأكل القربان فأخذت النار الكبش الذى قربه هابيل فكان ذلك الكبش يرعى فى الجنة حتى أهبط إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى فداء ولده إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وكان قابيل أسن ولد آدم عليه الصلاة والسلام ؛ وروى أن آدم حج إلى مكة وجعل قابيل وصيا على بنيه فقتل قابيل هابيل ، فلما رجع آدم قال : أين هابيل ؟ فقال : لا أدرى . فقال آدم : اللهم العن أرضا شربت دمه ، فمن ذلك الوقت لم تشرب الأرض دما ، ثم إن آدم بقى مائة عام لايتبسم حتى جاءه ملك الموت فقال له : حياك الله يا آدم وبياك . قال : وما بياك ؟ قال : أضحكك ؛ وروى أن قابيل حمل أخاه هابيل ومشى به حتى أروح ولم يدر مايصنع به ، فبعث الله غرابين فقتل أحدهما الآخر ، ثم بحث فى الأرض بمنقاره ودفنه ، فاقتدى به قابيل ، فكان بعث الغراب حكمة كبرى ليرى ابن آدم كيف المواراة ؛ وهو معنى قوله تعالى : — ثم أماته فأقبره — .

وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « امتن الله تعالى على ابن آدم بالريح بعد الروح ، ولولا ذلك مادفن حبيب حبيبا » . وقابيل أول من يساق إلى النار من ولد آدم . قال الله تعالى : — ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس — وهما قابيل وإبليس .

وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الثلاثاء ؟ فقال : «يوم الدم فيه حاضت حواء ، وفيه قتل ابن آدم أخاه » . قال مقاتل : وكان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم ، فلما قتل قابيل هابيل هربت منه الطير والوحش ، وشاكت الأشجار ، وحمضت الفواكه ، وملحت المياه ، واغبرت الأرض .

وروى أبو داود عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه « أنه قال يارسول الله : إن دخل على إنسان فى الفتنة وبسط إلى يده فقال : كن كخير ابنى آدم وتلا هذه الآية » .

(عجيبة) : نقل القزوينى عن أبى حامد الأندلسى أن على البحر الأسود من ناحية

الأندلس كنيسة من الصخر منقورة فى الجبل عليها قبة عظيمة ، وعلى القبة غراب لايبرح ، وفى مقابل القبة مسجد يزوره الناس يقولون إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على القسيسين ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه فى روزنة على تلك القبة وصاح صيحة ، وإذا قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما وصل زوار صاح على عددهم ، فتخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين ، وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب ، وزعم القسيسون أنهم مازالوا يرون غرابا على تلك القبة ولا يدرون من أين يأكل أو يشرب .

(عجيبة أخرى) : قال أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب [الجليس والأنيس] له : كنا نجلس فى حضرة القاضى أبى الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه ، وإذا أعرابى جالس كانت له حاجة إذ وقع غراب على نخلة فى الدار فصرخ ثم طار . فقال الأعرابى : إن هذا الغراب يقول : إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال : فزجرناه فقام وانصرف ، ثم خرج الإذن من القاضى إلينا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له ما الخبر ؟ فقال : رأيت البارحة فى النوم شخصا يقول :

منازل آل عباد بن زيد على أهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك ، فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دفن . قال القاضى أبو الطيب الطبرى : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا أبى الفرج المذكور .

(عجيبة أخرى) قال يعقوب بن السكيت : كان أمية بن أبى الصلت فى بعض الأيام يشرب فجاء غراب فنعب نعبة . فقال له أمية : بفيك التراب ، ثم نعب أخرى فقال له أمية : بفيك التراب ثم أقبل على أصحابه فقال : أتدرون مايقول هذا الغراب ؟ زعم أنى أشرب هذا الكأس فأموت ، وأمارة ذلك أنه يذهب إلى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت . قال : فذهب الغراب إلى الكوم فابتلع عظما فمات ، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه اه .

قلت : وأمية بن أبى الصلت الكافر مذكور فى مختصر المزنى والمذهب وغيرهما فى كتاب الشهادات ، وسمع النبى صلى الله عليه وسلم شعره الذى فيه حكمه ، وإقراره بالوحدانية و البعث ، واسم أبى الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف ، وكان أمية يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث ، وينشد فى ذلك الشعر الحسن ، وأدرك الإسلام ولم يسلم .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه قال :

« ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم فقال : هيه ، فأنشدته بيتاً ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتا ، فقال : هيه ، حتى أنشدته مائة بيت . فقال صلى الله عليه وسلم : إن كاد ليسلم » . وفى رواية : « لقد كاد أن يسلم بشعره » وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سمع قوله :

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا فلا شىء أعلى منك حمدا وأمجد

وفى مسند الدارمى من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : صدق النبى صلى الله عليه وسلم أمية بن أبى الصلت فى أبيات من شعره فى قوله :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق ، قال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها متورد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق ، قال :

تأبى فما تبدو لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال صلى الله عليه وسلم : صدق .

قال السهيلى فى التعريف والإعلام : قوله تعالى : — واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها — الآية . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إنها نزلت فى بلعام بن باعوراء ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما : إنها نزلت فى أمية ابن أبى الصلت الثقفى ، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل فى الجاهلية ، وكان يعلم أنه سيبعث نبى من العرب فطمع أن يكون هو ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر ، وهو أول من كتب باسمك اللهم ، ومنه تعلمت قريش فكانت تكتب به فى الجاهلية ، ولتعلم أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودى ، وذلك أن أمية كان مصحوبا تبدو له الجن ، فخرج فى عير من قريش فمرت بهم حية فقتلوها ، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها وقالت : قتلتم فلانا ، ثم ضربت الأرض بقضيب فنفرت الابل فلم يقدروا عليها إلا بعد عناء شديد ، فلما جمعوها جاءت فضربت ثانية فنفرت فلم يقدروا عليها إلا بعد نصف الليل ، ثم جاءت فضربت ثالثة فنفرتها فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشا وعناء ، وهم فى مفازة لا ماء فيها فقالوا لأمية : هل عندك من حيلة ؟ قال : لعلها ، ثم ذهب حتى جاوز كثيبا ، فرأى ضوء نار على بعد فأتبعه حتى أتى على شيخ فى خباء ، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه وكان الشيخ جنيا فقال : اذهب فإن جاءتكم فقولوا : باسمك اللهم سبعا ، فرجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة فأخبرهم بذلك ، فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك فقالت :

تبالكم من علمكم هذا ؟ ثم ذهبت وأخذوا إبلهم ، وكان فيهم حرب بن أمية بن عبدشمس جد معاوية بن أبي سفيان فقتله الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة وقالوا فيه :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبي الصلت هذا وأخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب في باب النون في الكلام على النسر ما يوافق ذلك .

(الحكم) يحرم أكل الغراب الأبقع الفاسق ، وأما الأسود الكبير وهو الجبلي فهو حرام أيضا على الأصح وبه قطع جماعة . وغراب الزرع حلال على الأصح ، وقد تقدم حكم العقعق والغداف ، وقال أبو حنيفة : الغربان كلها حلال .

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خمس من الدواب ليس على قاتلهن جناح : الغراب والحدأة والفأرة والحية والكلب العقور » وفي سنن ابن ماجه والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحية فاسقة . والفأرة فاسقة . والغراب فاسق » وفي سنن ابن ماجه أيضا قيل لابن عمر رضي الله تعالى عنهما أيؤكل الغراب ؟ قال : ومن يأكله بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه « إنه فاسق » وهذه الفواسق الخمس لا ملك لأحد فيها ولا اختصاص كذا نقله الرافعي في كتاب [ضمان البهائم] عن الإمام وأقره ، وعلى هذا فلا يجب ردها على غاصبها .

(الأمثال) قال الشاعر :

ومن يكن الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب

وقالوا : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب : أي لا أفعل ذلك أبدا ، لأن الغراب لا يشيب أبدا .

روى الحافظ أبو نعيم في حليته في ترجمة سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام : أن رجلا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم ير أحدا ولم يأكل ولم يشرب فتمثل بقول القائل :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه صوت مجيب لا يراه :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراء فرج قريب

فنظر فإذا سفينة قد أقبلت فلوح إليهم فأتوه فحملوه فأصاب خيرا كثيرا . وقالوا : أبصر من غراب : زعم ابن الأعرابي أن العرب تسمي الغراب الأعور لأنه يغمض أبدا

إحدى عينيه ويقتصر على النظر بإحداهما من قوة بصره . وقال غيره : إنما سموه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل . قال بشار بن برد الأعمى :

وقد ظلموه حين سموه سيدا كما ظلم الناس الغراب بأعورا

وقد تقدم عن أبي الهيثم : أن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره . وقالوا : أخيل من غراب ، وأزهى وأبكر من غراب ، فإنه أشد الطير بكورا . وقالوا : أبطأ من غراب نوح ، وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام أرسله لينظر هل غرقت البلاد ويأتيه بالخبر ، فوجد جيفة طافية على وجه الماء فاشتغل بها ولم يأته بالخبر ، فدعا عليه فعقلت رجلاه وخاف من الناس . وقالوا : كأنهم كانوا غرابا واقعا ، يضرب فيما ينقضي سريعا ، فإن الغراب إذا وقع لايلبث أن يطير . وقالوا : كالغراب والذئب ، يضرب للرجلين بينهما موافقة فلا يختلفان ، لأن الذئب إذا أغار على غنم تبعه الغراب ليأكل مافضل منه . وقالوا : الغراب أعرف بالتمر ، وذلك أن الغراب لايأخذ إلا الأجود منه ، ولذلك يقال وجد تمرة الغراب إذا وجد شيئا نفيسا . وقالوا : أشأم من غراب البين ، وإنما لزمه هذا الإسم لأنه إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتقمقم فيتشاءموا به ويتطيروا منه إذ كان لايعترى منازلهم إلا إذا بانوا فلذلك سموه غراب البين ؛ وقال فيه شاعرهم :

وصاح غراب فوق أعواد بانة بأخبار أحبابي فهيمني الفكر
فقلت غراب باغتراب وبانة ببين النوى تلك العيافة والزجر
وهيت جنوب باجتنابي منهم وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر

وقالوا : أحذر من غراب .

حكى المسعودي عن بعض حكماء الفرس أنه قال : أخذت من كل شيء أحسن مافيه حتى انتهى بي ذلك إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب . قيل له : فما أخذت من الكلب؟ قال : إلفه لأهله وذبه عن صاحبه . قيل : فما أخذت من الهرة ؟ قال : حسن تأنيها وتملقها عند المسئلة . قيل : فما أخذت من الخنزير ؟ قال : بكوره في حوائجه . قيل : فما أخذت من الغراب ؟ قال : شدة حذره . وقالوا : أغرب من غراب ، وأشبه بالغراب من الغراب .

(غريبة) رأيت في كتاب [الدعوات] للإمام أبي القاسم الطبراني ، وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة أبي يعقوب يوسف بن الفضل الصيدلاني ، وفي [الإحياء] في كتاب آداب السفر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بينما عمر رضي الله تعالى عنه جالس يعرض الناس إذ هو برجل معه ابنه فقال له : ويحك مارأيت غرابا أشبه بغراب من هذا بك قط . قال : يا أمير المؤمنين هذا ماولدته أمه إلا وهي ميتة ، فاستوى عمر جالسا وقال له :

حدثنى حديثه . قال : ياأمير المؤمنين خرجت لسفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتتركنى على هذه الحال حاملا مثقلة ؟ فقلت : أستودع الله مافى بطنك ، ثم خرجت فغبت أعواما ثم قدمت فإذا بابى مغلق فقلت : مافعلت فلانة ؟ قالوا : ماتت ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم انطلقت إلى قبرها فبكيت عندها ثم رجعت فجلست إلى بنى عمى ، فبينما أنا كذلك إذ ارتفعت لى نار من بين القبور فقلت لبنى عمى : ماهذه النار ؟ فقالوا : ترى على قبر فلانة كل ليلة ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا إليها ، فانطلقنا فأخرت الناس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هى جالسة وهذا الوليد يدور حولها ، وإذا مناد ينادى : أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها ، فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين . قال أبو يعقوب : فحدثت بهذا الحديث فى الكوفة فقالوا : نعم هذا الرجل كان يقال له خزين القبور .

وقريب من هذا الخبر فى غريب اتفاقه ولطيف مساقه ماحكاه الحافظ المزنى فى تهذيبه فى ترجمة عبيد بن واقد الليثى البصرى أنه قال : خرجت أريد الحج فوقفت على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة وأكثرهم حركة فقلت : من هذا ومن يكون ؟ قال : ابنى ، وسأحدثك عنه : خرجت مرة حاجا ومعى أم هذا الغلام وهى حامل به فلما كنا فى بعض الطريق ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت ، وحضر الرحيل فأخذت الصبى فلففته فى خرقة وجعلته فى غار وبنيت عليه أحجارا ، وارتحلت وأنا أرى أنه يموت من ساعته ، فقضينا الحج ورجعنا ، فلما نزلنا ذلك المنزل بادر بعض أصحابى إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبى يلتقم إبهاميه ، فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما فاحتملته معى هو الذى ترى .

(الخواص) إذا علق منقار الغراب على إنسان حفظ من العين ، وكبده تذهب الغشاوة اكتحالا ؛ وإذا علق طحاله على إنسان هيج الشبق ، وإذا سقى إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لايرجع يشربه ، وبيضه إذا طرح فى النورة نفع مستعمله ، ودمه إذا جفف وحشى به البواسير أبرأها ، وقلبه ورأسه إذا طرحا فى النبيذ وسقى الإنسان منه من يريد محبته فإن الشارب يحب الساقى محبة عظيمة ؛ ولحم المطوق إذا أكل مشويا نفع القولنج ، ومرارة الغراب إذا طلى بها إنسان مسحور بطل عنه السحر ، وإذا غمس الغراب الأسود بريشه فى الخل وطلى به الشعر سوده ، وزبل الغراب الأبلق الذى يسمى اليهودى ينفع الخنازير والخوانيق ، وإن صر فى خرقة وعلق على الصبى الذى لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ؛ وإذا أكل الغراب الكتلة سقط ولم يقدر على الطيران لاسيما فى زمن الصيف .

(التعبير) الغراب فى المنام : يدل على رجل مخامر غدار واقف مع حظ نفسه ؛ وربما دل على الحرص فى المعاش ، وربما كان حفارا وممن يستحل قتل النفس ، وربما دل على الحفر فى الأرض ودفن الأموات لقوله تعالى : — فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض — الآية ، وربما دل الغراب على الغربة والتشاؤم بالأخبار والغموم والأنكاد وطول السفر ، وعلى مايوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه أو سلطانه لسوء تدبيره .

وغراب الزرع : يدل على ولد الزنا والرجل الممزوج بالخير والشر ، والغراب الأبقع يدل على رجل محجب بنفسه كثير الخلاف وهو من الممسوخ ، فمن صاد غرابا نال مالا حراما فى ضيق بمكابدة ولحم كل طير وريشه وعظمه مال لمن حواه فى المنام ، وإذا رأى الغراب على زرع أو شجر فإنه شؤم ، ومن رأى غرابا فى داره فإن فاسقا يخونه فى امرأته ، ومن رأى غرابا يحدثه فإنه يرزق ولدا خبيثا . وقال ابن سيرين : بل يغتم غما شديدا ثم يفرج عنه ، ومن رأى كأنه يأكل لحم غراب فإنه يأخذ مالا من قبل اللصوص ، ومن رأى غرابا على باب الملك فإنه يجنى جناية يندم عليها أو يقتل أخاه ثم يندم على ذلك لقوله تعالى — فأصبح من النادمين — فإن رأى الغراب يبحث فالدليل قوى على قتل الأخ ، ومن رأى غرابا خدشه فإنه يهلك فى البرية أو يناله ألم ووجع ، ومن رأى كأنه أعطى غرابا نال سرورا . وقال أرطاميدورس : الغراب الأبقع يدل على طول الحياة وبقاء المتاع ، وربما دل على العجائز وذلك لطول عمر الغراب وهن رسل النساء ، ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا رأى كأن غرابا سقط على الكعبة فقصها على ابن سيرين فقال : رجل فاسق يتزوج بامرأة شريفة ، فتزوج الحجاج بابنة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

﴿ الغر ﴾ : بضم الغين ضرب من طير الماء أسود الواحدة غرة الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، قاله ابن سيده .

﴿ الغرنيق ﴾ : بضم الغين وفتح النون قال الجوهرى والزمخشرى : إنه طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . وقال فى نهاية الغريب : إنه الذكر من طير الماء ، ويقال له غرنيق وغرنوق ، وقيل هو الكركى ، وعن أبى صبرة الأعرابى : أنه إنما سمى بذلك لبياضه . قال الهذلى يصف غواصا :

أجاز إليها لجة بعد لجة أزل كغرنيق الضحول عموج

وإذ وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وغرنوق بالضم فيهما ، وقيل الغرانيق والغرانقة طيور سود فى قدر البط .

روى الطبرانى بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال : مات ابن عباس رضى الله تعالى

عنهما بالطائف فشهدنا جنازته ، فجاء طائر لم ير مثله على خلقة الغرنيق حتى دخل فى نعشه ثم لم ير خارجا منه ، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لم ندر من تلاها — يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى — ثم روى مسلم عن عبد الله بن ياسين نحوه إلا أنه قال : جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق ، وفى رواية : كأنه قبطية ، والقبطية : ثياب بيض من كتان نسج مصر تنسب إلى القبط بالضم فرقا بين الأيام والثياب والجمع القباطى .

قال القزوينى : الغرنوق من الطيور القواطع ، وهى إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا حارسا ثم تنهض معاً ، فإذا طارت ترتفع فى الهواء حتى لا يعرض لها شىء من السباع ، فإذا رأت غيما أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كى لا يحس بها العدو ، وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه لعلمه أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التى هى أشرف الأعضاء والدماغ الذى هو ملاك البدن ، وينام كل واحد منها قائما على إحدى رجليه حتى لا يكون نومه ثقيلا وأما قائدها وحارسها فلا ينام ولا يدخل رأسه فى جناحه ولا يزال ينظر فى جميع الجوانب فإذا أحس بأحد صاح بأعلى صوته . ثم حكى عن يعقوب بن إسحاق السراج أنه قال : رأيت رجلا من أهل رومية قال : ركبت بحر الزنج فألقتنى الريح إلى بعض الجزائر ، فوصلت منها إلى مدينة أهلها أناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور ، فاجتمع علىّ منهم جمع فأخذونى وانتهوا بى إلى ملكهم ، فأمر بحبسى فحبست فى شبه قفص ، ثم رأيتهم فى بعض الأيام يستعدون للقتال ، فسألتهم فقالوا : لنا عدو يأتينا فى مثل هذه الأيام ، فلم نلبث إلا وقد طلعت عليهم عصابة من الغرانيق وكان عورهم من نقرها أعينهم ، فأخذت عصا وشددت عليها فطارت وهربت فأكرمونى لذلك .

(فائدة) قال القاضى عياض وغيره « إن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال — أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى — قال : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ، فلما ختم السورة سجد وسجد من معه من المسلمين والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم ثم أنزل الله تعالى عليه — وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته — . الآية » وأجابوا عنه بضعف الحديث فإنه لم يخرّجه أحد من أهل الصحيح ولا رواه ثقة بإسناد صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولوعون بكل غريب المتلقفون لكل صحيح وسقيم ، والذى منه فى الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » هذا توهينه من جهة النقل ، وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته

صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذا ، ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه ولا على أحد من الأنبياء سبيلا ؛ وعلى تقدير صحة ماروووه وقد أعاذنا الله من صحته فالراجح فى تأويله عند المحققين أنه عليه الصلاة والسلام كان كما أمره الله تعالى يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآيات تفصيلا فى قراءته ؛ فمن ثم ترصد الشيطان لتلك السكنات ودس كلاما فى تلك الكلمات محاكيا نغمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين بل روى محمد بن عقبة أن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقاها الشيطان فى أسماع الكفار وعقولهم ، وأيضا فمجاهد والكلبى فسر الغرانيق العلا بأنها الملائكة ، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله تعالى كما حكاه جل وعلا عنهم ورده عليهم فى السورة بقوله تعالى — ألكم الذكر وله الأنثى — فأنكر الله تعالى كل ذلك من قولهم ، ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد به ذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه فى قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ماألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة ماحاوله الشيطان كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان فى إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفى نسخه حكم ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء ومايضل به إلا الفاسقين — ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم — .

(فائدة أخرى) روى الإمام محمد بن الربيع الجيزى فى مسنده من دخل مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أنه قال « كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على سول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت إليه فأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم : مالى ولهم يسألونى عما لاأدرى إنما أنا عبد لاعلم لى إلا ماعلمنى ربى عز وجل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أبغنى وضوءا نتوضأ ، ثم قام إلى مسجد فى بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشر ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأدخلهم ومن وجدت من أصحابى بالباب فأدخله معهم . قال : فأدخلتهم ، فلما رفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألونى قبل أن تتكلموا ، وإن شئتم تكلموا به وأخبركم فقالوا : بل أخبرنا قبل أن نتكلم . قال صلى الله عليه وسلم : جئتم تسألونى عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم : إن أول أمره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى بلغ ساحل أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الإسكندرية ، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال له : انظر ماذا ترى تحتك ؟ قال : أرى مدينتى وأرى مدائن معها ، ثم عرج به وقال : انظر ماذا تحتك ؟ قال : قد اختلطت مدينتى مع المدائن

فلا أعرفها ، ثم زاد فقال : انظر . فقال : أرى مدينتى وحدها لاأرى معها غيرها ، فقال له الملك : إنما تلك الأرض كلها والذى ترى محيطا بها هو البحر ، وإنما أراد ربك عز وجل أن يريك الأرض ، وقد جعل لك سلطانا وسوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين وهما جبلان لبنان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم جاء يأجوج ومأجوج ، ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ، ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ، ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض ، فقالوا : نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكرت ، وإنا نجده هكذا فى كتبنا » .

وروى أن ذا القرنين لما بنى السد وأحكمه انطلق يسير حتى وقع على أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون مقتصدة مقتصدة يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ويتراحمون حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مستقيمة ، وطريقتهم مستوية ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ، وليس لبيوتهم أغلاق ، وليس عليهم أمراء ، ولا بينهم قضاة ، ولا بينهم أغنياء ولا فقراء ، ولا أشراف ولا ملوك ، لا يختلفون ولا يتفاضلون ولا يتنازعون ولا يتسابون ولا يقتتلون ولا يضحكون ولا يحزنون ولا تصيبهم الآفات التى يصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ولا فقير ، ولافظ غليظ . فلما رأى ذلك ذو القرنين عجب من أمرهم وقال : خبرونى أيها القوم خبركم ، فإنى قد أحصيت الدنيا كلها ، برها وبحرها ، شرقها وغربها ، فلم أر أحدا مثلكم ، فخبرونى خبركم . قالوا : نعم . فسل عما تريد فقال : خبرونى ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ، ولئلا يخرج ذكره من قلوبنا . قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أغلاق ؟ قالوا : ليس فينا متهم ، وليس منا إلا أمين . قال : فما بالكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لا حاجة لنا بذلك . قال : فما بالكم ليس عليكم حكام ؟ قالوا : لأنا لا نختصم . قال : فما بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لأننا لا نتكاثر بالأموال . قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لأنا لا نرغب فى ملك الدنيا . قال : فما بالكم ليس فيكم أشراف ؟ قالوا ، لأنا لا نتفاخر . قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من صلاح ذات بيننا . قال : فما بالكم لاتقتتلون ؟ قالوا : من أجل أنا أسسنا أنفسنا بالحلم . قال : فما بال كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا . قال : فأخبرونى عن أى شيء تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سرائركم ؟ قالوا : صحت نياتنا ، فنزع بذلك الغل من صدورنا ، والحسد من قلوبنا . قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من

قبل أنا نقتسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ غليظ ؟ قالوا : من قبل الذل والتواضع لربنا . قال : فلأى شيء أنتم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أنا نتعاطى بالحق ونحكم بالعدل . قال : فلأى شيء لا تضحكون ؟ قالوا : لئلا نغفل عن الاستغفار. قال : فما بالكم لا تحزنون ؟ قالوا : من أجل أنا وطنا أنفسنا للبلاء مذ كنا أطفالا فأحببناه وحرصنا عليه ٥ قال : فلأى شيء لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لأنا لا نتوكل على غير الله تعالى ولا نعمل بالأنوار والنجوم . قال : حدثوني هكذا وجدتم آباءكم قالوا: نعم ، وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويواسون فقراءهم ، ويعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلمون على من جهل عليهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدون أمانتهم ، ويحفظون وقت صلواتهم ، ويوفون بعهودهم : ويصدقون في مواعيدهم فأصلح الله بذلك أمرهم وحفظهم ما داموا أحياء ، وكان حقا عليه أن يخلفهم بذلك في عقبهم ، فقال ذو القرنين : لو كنت مقيما عند أحد لأقمت عندكم ولكن لم أومر بالإقامة ، وقد ذكرنا الإختلاف بين العلماء في نسبه واسمه ونبوته في باب السين المهملة في السعلاة .

(الحكم) يحل أكل الغرانيق لأنها من الطيبات .

(الخواص) زبل الغرنيق يسحق بالماء وتبل فيه فتيلة ويجعل في الأنف ينفع من كل فرحة تكون فيها ، والله أعلم .

﴿ الغرغر ﴾ : بالكسر الدجاج البرى الواحد غرغرة ، وأنشد أبو عمرو لابن أحمر :

ألفهم بالسيف من كل جانب كما لفت العقبان حجلى وغرغرا

وفي كتاب [الغريب] قال الأزهري : كانوا بني إسرائيل من أهل تهامة أعز الناس على الله فقالوا قولا لم يقله أحد فعاقبهم الله تعالى بعقوبة ترونها الآن بأعينكم : جعل رجالهم القردة ونساءهم الذرة وكلابهم الأسود ورماتهم الحنظل وعنبهم الأراك وجوزهم السرو ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبش لاينتفع بلحمه لرائحته .

(وحكمه) حل الأكل لأن العرب لا تستخبثه ، والله أعلم ٥

﴿ الغرناق ﴾ : بالكسر طائر : حكاه ابن سيده .

﴿ الغزال ﴾ : ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرناه والجمع غزلة وغزلان مثل غلمة وغلمان والأنثى غزالة كذا قاله ابن سيده وغيره ، واستعمله الحريري في آخر المقامة الخامسة كذلك في قوله : فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة أراد بالأول الشمس وبالثاني الأنثى من أولاد الظباء ، وقد غلطه في ذلك بعضهم والصواب عدم تغليطه فإنه مسموع مستعمل نظما ونثرا . قال الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم وما أحسن قول القائل :

غدوت مفكرا في سر أفق إذا ما العلم مبدؤه الجهاله
فما طويت له سبل الدراري إلى أن أظفرته بالغزاله

قال : وأنشدنى لنفسه العلامة أبو الثناء محمود فى وصف العقاب :

ترى الطير والوحش فى كفها ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها إذا طلعت ما تسمت غزاله

قال : وقد غلطوا الحريرى فى قوله : فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة . قالوا : لم تقل العرب الغزالة إلا للشمس ، فلما أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية ثم هى بعد ذلك ظبية والذكر ظبى قاله فى التحرير وقال : اعتمده فقد وقع فيه تخليط فى كتب الفقهاء . قلت : وقد وقع هو فى ذلك فى باب محرمات الإحرام ووقع للرافعى أيضا بعض اختلاف تقدم التنبيه على بعضه فى الكلام على حكم الظبى وقد تنازع جمال الدين يحيى بن مطروح وأبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة فى بيت كل منهما ادعاه وهو هذا :

وأقول يا أخت الغزال ملاحة فتقول لا عاش الغزال ولا بقى

وبها سميت المرأة غزالة ، وهى امرأة شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجى خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان والحجاج أمير العراق يومئذ ، وخرج بالموصل وهزم عساكر الحجاج وحصره فى قصر الكوفة وضرب باب القصر بعموده فنقبه وبقيت الضربة فيه إلى أن خرب قصر الإمارة ، وكانت زوجته غزالة نذرت أن تصلى فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران ففعلت ، وكانت شجيعة وقيل فيها :

وفت غزالة نذرها يا رب لا تغفر لها

وهرب الحجاج فى بعض حروبه مع شبيب من غزالة فعيره عمران بن قطان السدوسى بقوله :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا كررت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

وحكى أن الحجاج لما برز له شبيب الخارجى فى بعض أيام محاربته أبرز إليه غلاما له ألبسه لباسه المعروف به وأركبه فرسه الذى لم يكن يقاتل إلا عليه ، فلما رآه شبيب غمس نفسه فى الحرب إلى أن خلص إليه فضربه بعمود كان بيده وهو يظنه الحجاج ، فلما أحس الغلام بالضربة قال أخ بالخاء المعجمة فعرف شبيب منه بهذه اللفظة أنه عبد فانثنى عنه وقال : قبح الله ابن أم الحجاج أيتقى الموت بالعبيد . قال الجوهرى : والعرب إنما تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة ، ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث إليه عبدا لملك عساكر كثيرة من الشأم فتكاثروا على شبيب فهرب ، فلما حصل على جسر دجلة بالأهواز نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ونحوه فألقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه : أغرقا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فلما غرق ألقاه دجلة إلى الساحل فحملوه إلى الحجاج فشق

بطنه واستخرج قلبه ، فإذا هو كالحجر إذا ضربت به الأرض نبا عنها فشق ، فكان داخله قلب صغير كالكرة فشق فأصيب فيه علقة من الدم ، وكان شبيب إذا صاح على الجيش لايلوى أحد على أحد ، ولما غرق أحضر عبدالملك عتبان الحرورى وهو يرى رأى الخوارج فقال : يا عدو الله ألست القائل :

فإن يك منكم كابن مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : لم أقل ذلك يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت : ومنا أمير المؤمنين شبيب ، فقبل قوله وعفا عنه ، وهذا الجواب فى نهاية الحسن ، فإنه إذا كان قوله ومنا أمير المؤمنين شبيب مرفوعا كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا نصب كان معناه : ومنا يا أمير المؤمنين شبيب ، ولم يخرج عليهم أحد مثل شبيب ، فإن أيامه طالت وهزم عساكر كثير وجبى الخراج وقال أبو يوسف الجوهرى :

وإذا الغزالة فى السماء ترفعت وبدا النهار لوقته يترجل
أبدت لقرن الشمس وجها مثله تلقى السماء بمثل ما تستقبل

أراد بالغزالة الشمس وقت ارتفاعها فيقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت الغزالة ، وقد أبدع الصفى الحلى فى غلام قلع ضرسه وأجاد حيث قال :

لحى الله الطبيب لقد تعدى وجاء لقطع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه وسلط كلبتين على غزال

وفى سنن أبى داود من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى رواه مسلم « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة قال المشركون : إنه يقدم عليكم غدا قوم وهنتهم الحمى فلما كان الغد جلسوا مما يلى الحجر ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم . فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء كأنهم الغزلان » فإن قيل هذا الحديث يعارضه مافى صحيح مسلم عن ابن عمر وجابر رضى الله تعالى عنهم قالا « إن النبى صلى الله عليه وسلم رمل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه ثلاثة أطواف » فالجواب أن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى عمرة القضاء سنة سبع قبل فتح مكة وكان أهلها مشركون حينئذ ، وحديث ابن عمر وجابر رضى الله تعالى عنهم كان فى حجة الوداع فيكون متأخرا ، فتعين الأخذ به وهو الصحيح من المذهب .

(وحكم الغزال الحل) كما تقدم فى باب الظاء فى لفظ الظبى ، وفيه إذا قتله المحرم أو فى الحرم عنز كذا فى المحرر والمنهاج والتنبيه والمناسك وغيرها ، واستدلوا لذلك بقضاء الصحابة

رضى الله عنهم فيه بذلك ، والذى فى زوائد الروضة وصححه فى شرح المهذب تبعاً للإمام : أن الغزال اسم للصغير من ولد الظباء ذكرا كان أو أنثى إلى أن يطلع قرناه ثم الذكر صبى والأنثى ظبية ، ففى الغزال ما فى الصغار فإن كان ذكر فجدى وإن كان أنثى فعناق .

(الأمثال) قالوا : أنوم من غزال لأنه إذا رضع أمه فروى امتلأ نوما ، وقال : تركت الشىء ترك الغزال لظله ، وظله كناسه الذى يستظل به من شدة الحر ، وهو إذا نفر منه لايعود إليه ألبتة ، وقالوا : أغزل من غزال ، ومغازلة النساء محادثتهن ، ويوصف بالغزل غير الغزال من الحيوان كما قيل :

قد ألبستنى فى الهوى ملابس الصب الغزل
إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عينى بها فبالدموع تغتسل

وقد تقدم فى الظبى قولهم : ترك الغزال لظله ، ومن محاسن شعر المتنبى :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وأنشد الثعالبى لبعض شعراء عصره :

رنا ظبيا وغنى عندليبا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

(الخواص) دماغ الغزال يداف بدهن الفأر ويغلى ثم يؤخذ منه فيداف بماء الكمون ويشرب منه قدر جرعة ينفع للسعال ، ومرارته تخلط بقطران وملح ويشرب منها صاحب السعال الذى يقذف القيح والدم جزءا بماء حار يبرأ بإذن الله تعالى ، وشحمه إذا طلى به إنسان إحليله وجامع امرأته لم تحب سواه ، وقد تقدم فى خواص الظبى أن لحم الغزال حار يابس وأنه ينفع من القولنج والفالج وأنه أصلح لحوم الصيد ، والله أعلم .

﴿ الغضارة ﴾ : القطاة قاله ابن سيده ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف .

﴿ الغضب ﴾ : الثور والأسد ، وقد تقدما فى باب الهمزة والثاء المثلثة .

﴿ الغضف ﴾ : القطا الجونى شكل معروف عند العرب .

﴿ الغضوف ﴾ : الأسد والحية الخبيثة ، وقد تقدما فى باب الهمزة والحاء المهملة .

﴿ الغضيض ﴾ : ولد البقرة الوحشية ، وقد تقدم لفظ البقرة الوحشية فى باب الباء الموحدة .

﴿ الغطرب ﴾ : الأفعى عن كراع ، وقال بعضهم : هذا تصحيف إنما هو بالعين المهملة والظاء المعجمة .

﴿ الغطريف ﴾ : فرخ البازى ، والذباب ، والسيد الشريف ، والسخى . والجمع غطارفة .

﴿ الغطلس ﴾ : كعملس الذئب ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة

﴿ الغطاطا ﴾ : بالفتح ضرب من القطا ، غبر الظهور والبطون والأبدان ، سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق لطاف . لا تجتمع أسرابا وأكثر ما تكون ثلاثا أو اثنتين الواحدة غطاطة كذا قاله الجوهرى . وقال ابن سيده : الغطاط القطا ، وقيل : القطا ضربان فالقصار الأرجل الصفر الأعناق السود القوادم الصهب الخوافى هى الكدرية والجونية ، والطوال الأرجل البيض البطون الغبر الظهور الواسعة العيون هى الغطاط وقيل الغطاط ضرب من الطير ليس من القطا .

﴿ الغفر ﴾ : بالضم ولد الأروية والجمع أغفار ، والغفر بالكسر ولد البقرة الوحشية .

﴿ الغماسة ﴾ : مشددة طائر ينغمس فى الماء كثيراً ، ولذلك عدوه من طير الماء ، والجمع غماس .

﴿ الغنافر ﴾ : بالضم الضبعان الكثير الشعر ، وقد تقدم لفظ الضبع فى باب الضاد المعجمة .

﴿ الغنم ﴾ : الشاء لا واحد له من لفظه ، والجمع أغنام وغنوم وأغانم ، وغنم مغنمة : أى كثيرة : هذه عبارة المحكم : وقال الجوهرى : الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً ، وإذا صغرتها ألحقتها الهاء فقلت غنيمة ، لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم يقال له خمس من الغنم ذكور فتؤنث العدد ، وإن عنيت الكباش إذا كان يليه من الغنم ذكور لأن العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى ، والإبل كالغنم فى جميع ما ذكرناه ، وقد أجاد الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه حيث يقول :

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

روى عبد بن حميد بسنده إلى عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : افتخر أهل الإبل وأهل الغنم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام « السكينة والوقار فى أهل الغنم ، والفخر والخيلاء فى أهل الإبل » وهو فى الصحيحين بألفاظ

مختلفة : منها «السكينة والوقار فى أهل الغنم ، والفخر والرياء فى الفدادين أهل الخيل والوبر» وفى لفظ «الفخر والخيلاء فى أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار فى أصحاب الشاء» أراد بالسكينة السكون ، وبالوقار التواضع ، وأراد بالفخر التفاخر بكثرة المال والجاه وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا ، وبالخيلاء التكبر والتعاظم ومنه قوله تعالى — إن الله لا يحب كل مختال فخور — ومراده بالوبر أهل الإبل لأنه لها كالصوف للضأن والشعر للمعز ، ولذلك قال الله تعالى — ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين — وهذا منه صلى الله عليه وسلم إخبار عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل وأغلبه ، وقيل أراد به عليه الصلاة والسلام أى بأهل الغنم أهل اليمن لأن أكثرهم أهل غنم بخلاف ربيعة ومضر فانهم أصحاب إبل ، وروى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنما بين جبلين فأتى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فوالله إن محمدا ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفقر » وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الكلام على الدجاج الحديث الذى رواه ابن ماجه « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج » وقال « عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى » وقد بينا معناه فى شرح سنن ابن ماجه ، وبينا أن فى إسناده على بن عروة الدمشقى ، وأن ابن حبان قال : كان يضع الحديث والغنم على ضربين ضائنة وماعزة : قال الجاحظ : اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز : قلت : وصرح الأصحاب بذلك فى الأضحية أو غيرها ، واستدلوا على أفضليته بأوجه : منها أن الله تعالى بدأ ذكر الضأن فى القرآن فقال — ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين — ومنها قوله تعالى حكاية عن الخصمين — إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة — ولم يقل تسع وتسعون عنزا ولى عنز واحدة : ومنها قوله تعالى : — وفديناه بذبح عظيم — وأجمعوا كما قال الحافظ أنه كبش وسيأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الكاف . ومنها أن الضأن تلد فى السنة مرة وتفرد غالبا ، والمعز تلد مرتين وقد تثنى وتثلث ، والبركة أكثر فى الضأن : ومنها أن الضأن إذا رعت شيئا من الكلإ فإنه ينبت ، وإذا رعت المعز شيئا لا ينبت ، وقد تقدم لأن المعز تقلعه من أصوله والضأن ترعى ما على وجه الأرض : ومنها أن صوف الضأن أفضل من شعر المعز وأعز قيمة وليس الصوف إلا للضأن . ومنها أنهم كانوا إذا مدحوا شخصا قالوا : إنما هو كبش ، وإذا ذموه قالوا : إنما هو تيس ، وإذا أرادوا المبالغة فى الذم قالوا : إنما هو تيس فى سفينة . ومما أهان الله به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر بخلاف الكبش ، ولهذا شبه النبى صلى الله عليه وسلم المحلل بالتيس المستعار : ومنها أن رءوس الضأن أطيب وأفضل من رءوس الماعز وكذلك لحمها ، فإن أكل لحم الماعز يحرك المرة السوداء ويولد البلغم ويورث النسيان ويفسد الدم ، ولحم الضأن عكس ذلك انتهى :

(فائدة) قال أبو زيد : يقال لما تضعه الغنم من الضأن والمعز حال وضعه سخلة ذكرا كان أو أنثى والجمع سخل بفتح السين وسخال بكسرها، ثم لا يزال اسمه ذلك ما دام يرضع اللبن ، ثم يقال للذكر والأنثى بهمة بفتح الباء والجمع بهم بضمها ، ويقال لولد المعز حين يولد سليل وسليط فإذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأكل من البقل ، فإذا كان من أولاد المعز فهو جفر والأنثى جفرة والجمع جفار . وذكر فى كفاية المتحفظ أن الجفر والجفرة يقعان على الطفل والطفلة من بنى آدم حين يأكلان الطعام انتهى . فإذا قوى وأتى عليه حول فهو عريض بفتح العين المهملة وكسر الراء والياء المثناة التحتية وبالضاد المعجمة فى آخره وجمعه عرضان بكسر العين ، والعتود نوع منه وجمعه أعتدة وعتدان . وقال يونس : جمعه أعتدة وعتدة وهو فى كل ذلك جدى والأنثى عناق إذا كان من أولاد المعز ، ويقال له إذا تبع أمه تلو لأنه يتلو أمه ، ويقال للجدى أمر بضم الهمزة وتشديد الميم وبالراء المهملة فى آخره يقال له هلع وهلعة بضم الهاء وتشديد اللام والبكرة العناق أيضا ، والعطعط الجدى فإذا أتى عليه حول فالذكر تيس والأنثى عنز ثم يكون جذعا فى السنة الثالثة والأنثى جذعة ، فإذا طعن فى السنة الثالثة فهو ثنى والأنثى ثنية ، فإذا طعن فى السنة الرابعة كان رباعيا والأنثى رباعية ثم يكون خماسيا والأنثى خماسية ، ثم يكون سداسيا والأنثى سداسيا ، ثم يكون صالغا والأنثى كذلك ، ويقال صلغ يصلغ صلوغا والجمع الصلغ بتشديد الصاد واللام . قال الأصمعى : الحلان والحلام من أولاد المعز خاصة . وفى الحديث « فى الأرنب يصيبها المحرم حلان » قال الجاحظ : وقد قالوا فى أولاد الضأن كما قالوا فى أولاد المعز إلا فى مواضع . قال الكسائى : هو خروف فى العريض من أولاد المعز والأنثى خروفة ويقال له حمل والأنثى رخل بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة وجمعه رخال بضم الراء المهملة وهو مما جمع على غير قياس كما قالوا فى المرضع ظئر وظؤار ، وفى ولد البقرة الوحشية فرير وفرار ، وللشاة القريبة العهد بالنتاج ربى ورباب ، وللعظم الذى عليه بقية من اللحم عرق وعراق ، وللمولود مع قرينه توأم وتؤام ، والبهمة للذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز جميعا ولا يزال كذلك حتى يأكل ويجتر ، ثم هو قرقر بقافين مكسورتين والجمع قرقار وقرقور وهذا كله حين يأكل ويجتر ، والحلام بكسر الحيم الجدى أيضا ، والبذج بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة وبالجيم فى آخره من أولاد الضأن خاصة والجمع بذجان . روى ابن ماجه وشيخه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن أم هانئ رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها « اتخذى غنما فإن فيها بركة » وشكت إليه امرأة أن غنمها لا تزكو فقال لها صلى الله عليه وسلم « ما ألوانها ؟ قالت : سود ، فقال : عفرى : أى استبدلى أغناما بيضا فإن البركة فيها » وفى الحديث « صلوا فى مرابض الغنم وامسحوا رغامها » والرغام مايسيل من الأنف ، وقد تقدم البهيمة

مارواه أبو داود فى أبواب الطهارة عن لقيط بن صبرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مائة شاة لا يريد أن تزيد ، وكانت كلما ولدت سخلة ذبح مكانها شاة » . وروى مالك والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » شعف الجبال بفتح الشين المعجمة والعين المهملة رءوسها وشعف كل شئ أعلاه : قال ابن بطال : قال أبو الزناد : خص النبى صلى الله عليه وسلم الغنم من بين سائر الأشياء حضا على التواضع وتنبيها على إيثار الخمول وترك الاستعلاء والظهور ، وقد رعى الأنبياء والصالحون الغنم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبيا إلا رعى غنما » وأخبر صلى الله عليه وسلم أن السكينة فى أهل الغنم .

وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه خرج فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا له السفرة فمر بهم راعى غنم فسلم ، فقال له ابن عمر : هلم يا راعى فكل معنا ، فقال : إنى صائم ، فقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : أتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر وأنت فى هذه الجبال ترعى هذه الغنم ؟ فقال له : إنى والله أبادر أيامى هذه الخالية ، فقال له ابن عمر - يريد أن يختبر ورعه - هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فتفطر عليه ؟ فقال : إنها ليست لى إنها غنم سيدى ، فقال له ابن عمر : وما عسى سيدك فاعلا إذا فقدها وقلت أكلها الذئب ، فولى الراعى عنه وهو يقول : فأين الله ، يرفع بها صوته ويشير بأصبعه إلى السماء ، فجعل ابن عمر يردد قول الراعى ذلك ، فلما قدم المدينة اشترى العبد الراعى والغنم ، وأعتق العبد ووهب منه الأغنام .

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبى اليسر عمرو بن كعب رضى الله عنه قال « والله إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر عشية إذ أقبلت غنم لرجل من اليهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يطعمنا من هذه الغنم ؟ قلت : أنا يا رسول الله . قال : فافعل . قال : فخرجت أشتد مثل الدليم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال : اللهم أمتعنا به ، فأدركت الغنم وقد وصل أوائلها الحصن ، فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما وأكلوهما » وكان أبو اليسر رضى الله عنه من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا ، وكان إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : أمتعونى بعمرى حتى صرت آخرهم موتا اهـ . وكان أبو اليسر آخر البدريين موتا رضى الله عنهم .

وفى الاستيعاب وغيره قصة إسلام الأسود الحبشى الذى كان يرعى غنما لعامر اليهودى « أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه الغنم فقال : يارسول الله اعرض علىّ الإسلام ، فعرضه عليه فأسلم ثم قال : يا رسول الله إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع فيها ؟ فقال : اضرب فى وجوهها فسترجع إلى ربها ، فقام الأسود فأخذ حفنة من حصى ورمى بها فى وجوهها وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك بعدها أبدا ، فرجعت الغنم مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم يقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط ، فأتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد سجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ينفضان التراب عن وجهه ويقولان : ترّب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك » قال أبو عمرو : إنما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم إلى الحصن لأن ذلك كان مصالحا عليه أو كان قبل حل الغنائم . وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « ما من نبى إلا وقد رعى الغنم . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

وثبت فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه واللفظ له عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم ، فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط » قال سويد : يعنى كل شاة بقيراط ، وفى غريب الحديث للقعنبى « بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو راعى غنم ، وبعث داود عليه السلام وهو راعى غنم ، وبعثت أنا راعى غنم أهلى بأجياد » وفى الحديث « آجر موسى عليه الصلاة والسلام نفسه بعفة فرجه وشبع بطنه ، فقال له ختنه شعيب عليه السلام : إن لك فى غنمى ما جاءت به قالب لون » جاء تفسيره فى الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها كان لونها قد انقلب . والحكمة فى أن الله تعالى جعل الرعى فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعايا لهم .

وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت غنما سودا دخلت فيها غنم كثير بيض . قالوا : فما أولته يارسول الله؟ قال : العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم . قالوا : العجم يا رسول الله ! قال : لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم » وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم « رأيت فى المنام غنما سودا يتبعها غنم عفر يا أبا بكر عبرها . قال : هى العرب تتبعك ثم يتبعها العجم ، فقال صلى الله عليه وسلم : هكذا عبرها الملك سحرا » وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه ينزع فى قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر ، ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا

ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر فاستحالت غربا يعنى الدلو فلم أر عبقريا يفرى فريه فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولو ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم ، وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الإمام أحمد والبزار فى مسنديهما وبه يصح المعنى .

ودخل أبو مسلم الخولانى على معاوية فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقال لهم معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول ، فقال أبو مسلم : إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وقاك سيدها ، وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها .

وفى رسالة القشيرى فى باب الدعاء « أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى : إلهى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى أنا أرحم به منك ، ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه ، وأنا لا أستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى » فذكر موسى للرجل ذلك فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته .

وفى المجالس للدينورى من حديث حماد بن زيد عن موسى بن أعين الراعى قال : كانت الغنم والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فى موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت — إنا لله وإنا إليه راجعون — ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك : قال : فحسبناه فوجدناه قد مات فى تلك الساعة : وعن عبد الواحد بن زيد قال : سألت الله ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة ، فقيل لى : يا عبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء ، فقلت : وأين هى ؟ فقيل لى : هى فى بنى فلان فى الكوفة ، فذهبت إلى الكوفة أسأل عنها فإذا هى ترعى غنما ، فأتيت إليها فإذا غنمها ترعى مع الذئاب وهى قائمة تصلى ، فلما فرغت من صلاتها قالت : يا ابن زيد ليس هذا الموعد إنما الموعد الجنة ، فقلت لها : وما أدراك أنى ابن زيد ، فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فقلت لها : عظينى ، فقالت : واعجبا لواعظ يوعظ ، فقلت لها : مالى أرى أغنامك ترعى مع الذئاب ؟ قالت : إنى أصلحت ما بينى وبين الله فأصلح ما بينى وبين غنمى والذئاب .

(فائدة) فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وزيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قالا « إن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى عليه وسلم فقال أحدهما : اقض بيننا يارسول الله

بكتاب الله تعالى . وقال الآخر ، وكان أفقههما : أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله. وائذن لى أن أتكلم ، فقال له : تكلم ، فقال : إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته. فأخبرونى أن على ابنى الرجم فافتديته من غنمى بمائة شاة وبجارية لى ، ثم إنى سألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ويجلد ابنك مائة ويغرب عاما ، وأمر صلى الله عليه وسلم أنيسا الأسلمى أن يأتى امرأة الآخر فإن اعترفت فليرجمها ، فاعترفت فرجمها » وهذا الحديث مذكور فى الصحيحين .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه « إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، وأخشى إن طال على الناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف والرجم نسخت تلاوته وبقى حكمه . وقال أبو حنيفة : التغريب منسوخ فى حق البكر وعامة أهل العلم على أنه ثابت لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب ، وأن أبا بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب » والمحصن من اجتمعت فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة فإن زنى فحده الرجم مسلما كان أو ذميا . وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإسلام من شرائط الأحصان فلا رجم على الذمى عندهم . ودليلنا : أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه رجم يهوديين كانا قد أحصنا » وإن كان الزانى غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف الأربعة نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنونا فلا حد عليه ، وإن كان حرا بالغا عاقلا غير أنه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام ، وإن كان عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان ، فإن قلنا يغرب فقولان أصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين ، ولهذه المسئلة تتمات مذكورات فى كتب الفقه .

وذكر المفسرون فى قوله تعالى — وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم — الآية عن ابن عباس وقتادة والزهرى أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الزرع : إن هذا تفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأفسدته ولم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث ، فخرجا من عنده فمرا على سليمان عليه السلام فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه ، فقال سليمان : لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا ، فدعاه داود فقال له : بحق النبوة والأبوة يا بنى

إلا ما حدثتنى بالذى هو أرفق بالفريقين ؟ فقال سليمان : ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود : القضاء كما قضيت ، وكان عمر سليمان يوم حكم بهذا الحكم إحدى عشرة سنة ، والنفش الرعى بالليل ، والهمل الرعى بالنهار ، وهما الرعى بلا راع .

ونختم الكلام على الغنم بما فى أول عجائب المخلوقات عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أنه اجتاز بعين ماء فى سفح جبل فتوضأ منها ، ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم وذهب مارا ، فجاء بعده راعى غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب فوضعها هناك ثم استلقى ليستريح ، فما كان إلا قليلا حتى عاد الفارس يطلب كيسه فلم يجده ، فأقبل على الشيخ يطالبه به فأنكر فلم يزالا كذلك حتى ضربه ولم يزل يضربه حتى قتله ، فقال موسى : يارب كيف العدل فى هذه الأمور ؟ فأوحى الله تعالى إليه إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس ، وكان على الفارس دين لأبى الراعى مقدار مافى الكيس ، فجرى بينهما القصاص وقضى الدين وأنا حكم عدل .

قال فى كتاب المحكم والغايات : قال أصحاب التجارب : ومما يورث الغم المشى بين الأغنام ، والتعمم جالسا ، ولبس السراويل قائما ، وقص اللحية(١) بالأسنان ، والقعود على أسكفة الباب ، والأكل بالشمال ، ومسح الوجه بالأذيال ، والمشى على قشور البيض ، والاستنجاء باليمين ، والضحك فى المقابر .

(الحكم) يحل أكل الغنم وبيعها بالنص والإجماع ، ويجب فى سائمتها الزكاة ففى كل أربعين شاة شاة جذعة ضأن أو ثنية معز ، وفى مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه ، وفى أربعمائة أربع شياه ثم فى كل مائة شاة شاة . والسنة أن تقلد إذا جعلت هديا إلى البيت العتيق لما روى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « كنت أفتل قلائد الهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فقلد الغنم » وهذا الحديث حجة للشافعى وأحمد وإسحاق وأبى ثور فى مشروعية ذلك . وقال مالك وأبو حنيفة : لاتقلد الغنم ، والظاهر أن الحديث لم يبلغهما .

(فرع) فتح إنسان مراح غنم فخرجت ليلا ورعت زرعا ، فإن كان الذى فتحه المالك ضمن الزرع وإن كان غير المالك لم يضمن ، والفرق أن المالك يلزمه حفظها فى الليل فإذ

---

(١) لعلها قص الأظافر اه مصححه .

فتح عليها ضمن ، وغير المالك لايلزمه حفظها فإذا فتح عليها لم يضمن . قاله فى البحر ، وسيأتى فى باب الميم الإشارة إلى إتلاف الماشية .

(وأما الأمثال) فقد تقدم بعضها فى باب الجيم وبعضها فى باب الشين المعجمة وكذلك الخواص ، وسيأتى طرف منها فى المعز فى باب الميم إن شاء الله تعالى .

(التعبير) الغنم فى الرؤيا : رعية صالحة طائعة وتدل على الغنيمة والأزواج والأولاد والأملاك والزرع والأشجار الحافلة بالثمار ، فذوات الصوف نساء كريمات جميلات ذوات مال وعرض مستور ، والشعارى نساء صالحات فقيرات ذوات عرض مبذول بكشف عوراتهن خلافا لذوات الصوف فإن عوراتهن مستورة بالألية . قاله ابن المقرى . وقال المقدسى : من رأى أنه يسوق معزاً وضأنا فإنه يلى على عرب وعجم فإن أخذ من ألبانها وأصوافها فإنه يجنى منهم أموالا ، ومن رأى غنما واقفة فى مكان فإنهم رجال يجتمعون فى ذلك الموضع فى أمر من الأمور ، ومن رأى غنما استقبلته فإنهم أعداء يظفر بهم ، ومن رأى شاة تمشى أمامه وهو يمشى خلفها ولا يدركها تعطلت عليه معيشته وربما تبع امرأة ولا تحصل له وألية الغنم مال المرأة ، ومن رأى كأنه يجز شعر الغنم فليحذر من الخروج من داره ثلاثة أيام . وقال جاماسب : من رأى قطيع غنم سر دائما ، ومن رأى شاة واحدة سر سنة ، والنعجة امرأة فمن ذبح نعجة افتض امرأة مباركة لقوله تعالى — إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة — ومن رأى أن صورته تحولت على صورة غنمة نال غنيمة .

﴿ الغواص ﴾ : طائر تسميه أهل مصر الغطاس ، وهو القرلى الآتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى . قال القزوينى فى الأشكال : هو طائر يوجد بأطراف الأنهار يغطس فى الماء ويصطاد السمك فيتقوت منه ، وكيفية صيده أنه يغوص فى الماء منكوسا بقوة شديدة ويمكث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به . ومن العجائب لبثه تحت الماء ، ويوجد كثيرا بأرض البصرة انتهى . قال بعضهم : رأيت غواصاً غاص فطلع بسمكة فغلبه غراب عليها فأخذها منه ، فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى فأخذها منه الغراب ، ثم الثالثة كذلك ، فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب ثم خرج هو من الماء .

(الحكم) قال القزوينى : إن أكله حلال ، وهو المفهوم من كلام الرافعى وغيره .

(الخواص) دمه يجفف ويسحق مع شعر إنسان فإنه ينفع من الطحال ، وكذلك عظمه يفعل به مثل ذلك ، والله أعلم .

﴿ الغوغاء ﴾ : الجراد إذا احمر وبدت أجنحته ، وهو يذكر ويؤنث ويصرف

ولا يصرف ، واحدته غوغاءة وغوغاوة وبه سميت سفلة الناس المنتسبون إلى الشر المسرعون إليه ، قال أبو العباس الرويانى : الغوغاءة من يخالط المفسدين والمجرمين ويخاصم الناس بلا حاجة ، ولذلك قالوا : أكثر من الغوغاء . وفى تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك قال : قدمت على سفيان الثورى بمكة فوجدته مريضاً شارب دواء ، فقلت له : إنى أريد أن أسألك عن أشياء ؟ قال : قل . قلت : أخبرنى من الناس ؟ قال : الفقهاء . قلت : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قلت : فمن الأشراف ؟ قال : الأتقياء . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : الذين يكتبون الحديث يريدون أن يأكلوا به أموال الناس . قلت : فمن السفلة ؟ قال : الظلمة . انتهى .

والغوغاء أيضا : شىء يشبه البعوض إلا أنه لا يعض ولا يؤذى .

﴿ الغول ﴾ : بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم . قال الجوهرى : هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان ، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول والتغول التلون . قال كعب بن زهير بن أبى سلمى رضى الله تعالى عنه :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

ويقال تغولت المرأة إذا تلونت ، ويقال غالته غول إذا وقع فى مهلكة ، والغضب غول الحلم .

(فائدة) سأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى — طلعها كأنه رءوس الشياطين — وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف ؟ فأجابه بأن الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت امرأ القيس كيف قال :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان يهولهم أوعدوا به . قال أبو عبيدة : ومن يومئذ عملت كتابى الذى سميته [المجاز] ، وأبو عبيدة كنيته ، واسمه معمر بن المثنى البصرى النحوى العلامة كان يعرف أنواعا من العلوم ، وكانت العربية وأخبار العرب وأيامها أغلب عليه ، وكان مع معرفته يكسر الشعر إذا أنشده ويلحن إذا قرأ القرآن ، وكان يرى رأى الخوارج ، وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام ، وأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان . قال الأصمعى دخلت يوما أنا وأبو عبيدة إلى المسجد فإذا على الأسطوانة التى يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب :

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال : فقال لى يا أصمعى امح هذا فركبت ظهره ومحوته ، ثم قلت : قد بقيت الطاء .

فقال : هى شر الحروف الطامة فى الطاء امحها ، وقيل إنه وجدت ورقة فى مجلس أبى عبيدة فيها هذا البيت وبعده :

فأنت عندى بلا شك بقيتهم منذ احتلمت وقد جاوزت تسعينا

وروى أن أبا عبيدة خرج إلى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالى ، فلما قدم عليه قال لغلمانه : احترزوا من أبى عبيدة فإن كلامه كله دق . ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقا ، فقال له موسى : قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشرة أثواب ، فقال أبو عبيدة : لاعليك فإن مرقكم لايؤذى : أى مافيه دهن ، ففطن لها موسى وسكت . توفى أبو عبيدة فى سنة تسع ومائتين وهذا أبو عبيدة بالهاء والقاسم بن سلام أبو عبيد بغير هاء وكلاهما من أهل اللغة ، ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة وآخره راء مهملة ، وكان والد أبى عبيدة من قرية من أعمال الرقة يقال لها باجروان ، وهى القرية التى استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام كذا قاله ابن خلكان وغيره ، وتقدم فى باب الحاء المهملة فى الحوت عن السهيلى أن القرية المذكورة فى القرآن برية والله تعالى أعلم .

وروى الطبرانى فى الدعوات والبزار برجال ثقات من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا الأذان ، فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص » أى ضراط ، قال النووى فى الأذكار : إنه حديث صحيح أرشد صلى الله عليه وسلم إلى دفع ضررها بذكر الله تعالى ، ورواه النسائى فى آخر سننه الكبرى من حديث الحسن عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه بلفظ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ، فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان » .

قال النووى رحمه الله تعالى : ولذلك ينبغى أن يؤذن أذان الصلاة إذا عرض للإنسان شيطان ، لما روى مسلم عن سهيل بن أبى صالح أنه قال : أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا أو صاحب لنا ، فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئا ، فذكرت ذلك لأبى فقال : لو شعرت أنك ترى هذا ما أرسلتك ، ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة ، فإنى سمعت أبا هريرة يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة أدبر » .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا عدوى ولا طيرة ولا غول » قال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات ، وهى جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول تغولا : أى تتلون تلونا ، فتضلهم عن الطريق

وتهلكهم ، فأبطل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال آخرون : ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وإنما معناه إبطال ماتزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها . قالوا : ومعنى لاغول : أى لاتستطيع أن تضل أحدا ويشهد له حديث آخر « لاغول ولكن السعالى» قال العلماء السعالى بالسين المهملة المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن كما تقدم .

ومنه ماروى الترمذى والحاكم عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه، أنه قال «كانت لى سهوة فيها تمر فكانت تجىء الغول كهيئة السنور فتأخذ منه فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب فإذا رأيتها فقل : بسم الله أجيبى رسول الله . قال : فأخذها فحلفت أن لاتعود فأرسلها ، وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مافعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . قال صلى الله عليه وسلم : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود فأرسلها ، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مافعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . قال صلى الله عليه وسلم : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها وقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إنى ذاكرة لك شيئا آية الكرسى اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره ، فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ فأخبره بما قالت ، فقال صلى الله عليه وسلم : صدقت وهى كذوب» .

وقال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، وهذا روى مثله البخارى فقال قال عثمان بن الهيثم : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الزكاة رمضان وذكر القصة وفيها : فقلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله ، فقال صلى الله عليه وسلم ماهى؟ قلت قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى كلها فإنه لايزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال لا . قال صلى الله عليه وسلم : ذلك الشيطان » .

قال النووى رحمه الله : وهذا الحديث متصل فإن عثمان بن الهيثم أحد شيوخ البخارى الذين روى عنهم فى صحيحه ، وأما قول أبى عبد الله الحميدى فى الجمع بين الصحيحين أن البخارى أخرجه تعليقا فغير مقبول ، فإن المذهب الصحيح المختار عند العلماء والذى عليه المحققون أن قول البخارى وغيره قال فلان محمول على سماعه منه واتصاله إذا لم يكن مدلسا وكان قد لقيه وهذا من ذلك ، وإنما المعلق ما أسقط البخارى فيه شيخه أو أكثر بأن يقول فى مثل هذا الحديث قال عوف أو قال محمد بن سيرين أو قال أبو هريرة .

وروى الحاكم فى المستدرك وابن حبان عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه كان له

جرين تمر وكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم . قال : فسلمت فرد على السلام ، فقلت : من أنت ؟ ناولنى يدك فناولنى فإذا يد كلب وشعر كلب ، فقلت : أجنى أم إنسى ؟ فقال : بل جنى ، فقلت : إنى أراك ضئيل الخلقة أهكذا خلق الجن ؟ قال : لقد علمت الجن أن ما فيهم أشد منى ، فقلت : ما حملك على ما صنعت؟ قال : بلغنى أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك ، فقلت : فما يجيرنا منكم ؟ قال : تقرأ آية الكرسى فإنك إن قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسى ، وإن قرأتها حين تمسى أجرت منا حتى تصبح . قال : فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : «صدقك الخبيث » ثم قال : صحيح الإسناد .

وروى الحاكم أيضا عن أبى الأسود الدؤلى قال : قلت لمعاذ بن جبل حدثنى عن قصة الشيطان حين أخذته فقال « جعلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين فجعلت التمر فى غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذا الشيطان يأخذ منه . قال : فدخلت الغرفة وأغلقت الباب علىّ ، فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور فى صورة أخرى ثم دخل إلى من شق الباب ، فشددت إزارى علىّ ، فجعل يأكل من التمر ، فوثبت عليه فضبطته فالتفت يداى عليه فقلت : يا عدو الله ما جاء بك ها هنا ؟ فقال : خل عنى فإنى شيخ كبير ذو عيال ، وأنا فقير وأنا من جن نصيبين ، وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخل عنى فلن أعود إليك ، فخليت عنه وجاء جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما قال : قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم نادى مناديه أين معاذ ؟ فقمت إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : مافعل أسيرك يامعاذ ؟ فأخبرته فقال : أما إنه سيعود . قال : فعدت فدخلت الغرفة وأغلقت على الباب ، فجاء الشيطان فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر ، فصنعت به كما صنعت فى المرة الأولى فقال : خل عنى فإنى لن أعود إليك ؟ فقلت : يا عدو الله ألم تقل فى المرة الأولى لن أعود ثم عدت ؟ قال : فإنى لن أعود وآية ذلك أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة فيدخل أحد منا فى بيته تلك الليلة » ثم قال : صحيح الإسناد .

وفى مسند الدارمى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له : هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان . فصارعه فصرعه الإنسى أوقال : إنى أراك ضئيلا شخيتا كأن ذراعيك ذراع كلب ، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم ؟ فقال : إنى منهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية فإن صرعتنى علمتك ، فصرعه الإنسى ، فقال : تقرأ آية الكرسى فإنها لا تقرأ فى بيت إلا خرج منه الشيطان له حيح كحيح الحمار ثم لايدخله

حتى يصبح ، فقيل لعبد الله : أهو عمر ؟ قال : ومن عسى أن يكون إلا عمر قوله الضئيل: معناه الدقيق النحيف ، والشخيت : الهزيل الخسيس المجفر الجنبين ، والضليع : الوافر الأضلاع ، والحيح : الضراط ، وقوله إلا عمر بالرفع بدل من محل من ومحله الرفع بالابتداء ، وقد تقدم فى باب الجيم فى الكلام على لفظ الجن حديث فى مسند الدارمى بهذا المعنى ، والذى ذهب إليه المحققون أن الغول شىء يخوف به ولا وجود له كما قال الشاعر :

الغول والخل والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعورا وهو كل شىء لايدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب ، وكالذى ينزل من الكوى فى شدة الحر كنسج العنكبوت : قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب حبها خيتعورا

وقال قوم : الغول ساحرة الجن وهى تتصور فى صور شتى ، وأخذوا ذلك من قول كعب بن زهير بن أبى سلمى رضى الله تعالى عنه :

فما تكون على حال تدوم بها كما تلون فى أثوابها الغول

وقد تقدم ذلك قريبا . وفى دلائل النبوة والبيهقى فى أواخره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال « إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره » وتزعم العرب أنه إذا انفرد الرجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة الإنسان ، فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق فتدنو منه وتتمثل له فى صور مختلفة فتهلكه روعا . وقالوا : إذا أرادت أن تضل إنسانا أوقدت له نارا فيقصدها فتفعل به ذلك . قالوا : وخلقتها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار : قال القزوينى : ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضى الله تعالى عنه حين سافر إلى الشأم قبل الإسلام فضربها بالسيف . وذكر عن ثابت بن جابر الفهرى أنه لقى الغول وذكر أبياته النونية فى ذلك .

(الأمثال) قالت العرب : فلان أقبح من الغول ومن زوال النعمة ومن قول بلافعل ، والله تعالى أعلم .

﴿ الغيداق ﴾ : بفتح الغين ولد الضب وهو أكبر من الحسل ، وقال خلف الأحمر : الغياديق الحيات .

﴿ الغيطلة ﴾ : بالفتح أيضا البقرة الوحشية : قاله ابن سيده . ويقال لجماعة البقر الوحشى الربرب بباءين موحدتين وراءين مهملتين ، وكذلك الإجد بكسر الهمزة والجيم قاله فى الكفاية .

﴿ الغيلم ﴾ : كديلم ذكر السلاحف ، وقد تقدم ذكر السلاحف فى باب السين المهملة .

﴿ الغيهب ﴾ : ذكر النعام ، والغيهب الذى لاعقل له . قاله السهيلى فى تفسير شعر مكرز ابن حفص فى أوائل غزوة بدر ، والله تعالى أعلم.

باب الفاء

﴿ الفاختة ﴾ : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق وهى بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة وبالتاء المثناة فى آخرها قاله فى الكفاية ، ويقال للفاختة الصلصل أيضا بضم الصادين المهملتين انتهى ، وزعموا أن الحيات تهرب من صوتها . ويحكى أن الحيات كثرت فى أرض فشكوا ذلك إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليها ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنها ، وهى عراقية وليست بحجازية ، وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها يشبه المثلث ، وفى طبعها الأنس بالناس وتعيش فى الدور ، والعرب تصفها بالكذب فإن صوتها عندهم هذا أوان الرطب ، وتقول ذلك والنخل لم يطلع . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

قلت : ويحتمل أنها إنما وصفت بالكذب لما قاله الغزالى رحمه الله تعالى فى الإحياء فى أواخر كتاب الصبر والشكر : إن كلام العشاق الذين أفرط حبهم يستلذ بسماعه ولا يعول عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فمنعته نفسها فقال لها : ما الذى يمنعك عنى ولو أردت أن أقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لأجلك ؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا نبى الله إنى محب والمحب لا يلام وكلام العشاق يطوى ولا يحكى ؛ وهو كما قال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقد تقدم فى العصفور نظير هذا .

(فائدة) اعلم أن الناس قد كثر كلامهم فى وصف المحبة ونعت العشق فسلك كل منهم مذهبا أداه إليه نظره واجتهاده ، وسأختصر من أقوالهم قدرا يسيرا كافيا .

قال عبد الرحمن بن نصر : إن أهل الطب يجعلون العشق مرضا يتولد من النظر والسماع ويجعلون له علاجا كسائر الأمراض البدنية وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ، فأول مرتبة منه تسمى الاستحسان وهى المتولدة من النظر والسماع ، ثم تقوى هذه المرتبة بطول الذكر فى محاسن المحبوب وصفاته الجميلة فتصير مودة وهى الميل إليه والتألف بشخصه ، ثم تتأكد المودة فتصير محبة والمحبة هى الائتلاف الروحانى ، فإذا قويت هذه المرتبة صارت

خلة والخلة من الآدميين هى تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى تسقط بينهما السرائر ، فإذا قويت هذه المرتبة صارت هوى والهوى هو أن المحب لا يخالطه فى محبة محبوبه تغير ولا يداخله تلون ، ثم يزيد الحال فيصير عشقا والعشق هو إفراط المحبة حتى لايخلو المعشوق من تخيل العاشق وفكره وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن تنبه القوى الشهوانية فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال النفس عن تنبه القوى الشهوانية ، ويمتنع من الفكر والذكر والتخيل والنوم لاستضرار الدماغ ، فإذا قوى العشق صار تتيما وفى هذه الحالة لا يوجد فى قلبه فضل لغير صورة المعشوق ولا ترضى نفسه سواها فإذا تزايد الحال صار ولها والوله هو الخروج عن الحدود والترتيب فتتغير صفاته ولا تنضبط أحواله ويصير موسوسا لايدرى ما يقول ولا أين يذهب فحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته وتقصر آراؤهم عن معالجته لخروجه عن الحد الضابط ، وقد أجاد القائل حيث قال :

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ... ووالله ماأدرى لهم كيف أنعت
فليس لشىء منه حد أحده ... وليس لشىء منه وقت موقت
إذا اشتد مابى كان آخر حيلتى ... لهوضع كفى فوق خدى وأصمت
وأنضح وجه الأرض طورا بعبرتى ... وأقرعها طورا بظفرى وأنكت
وقد زعم الواشون أنى سلوتها ... فمالى أراها من بعيد فأبهت

قال جالينوس : العشق من فعل النفس وهو كامن فى الدماغ والقلب والكبد ، وفى الدماغ ثلاثة مساكن : التخيل فى مقدمه والفكر فى وسطه والذكر فى مؤخره ، فلا يكون أحد عاشقا إلا إذا كان بحيث إذا فارق معشوقه لم يخل منه تخيله وفكره وذكره ، فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال قلبه وكبده ، ومن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل ، والفكر للمعشوق فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به ومتى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا ، فإذا لها العاشق خلت هذه المساكن فرجع إلى حال الاعتدال .

وقال أبو على الدقاق : العشق تجاوز الحد فى المحبة ولهذا لايوصف الله تعالى بالعشق لأنه لايوصف بأن يجاوز الحد فى محبة العبد ، وإنما يوصف بالمحبة كما قال تعالى — يحبهم ويحبونه — فمحبة الله تعالى للعبد هى إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته إرادة الإنعام . وقال قوم محبة الله تعالى للعبد مدحه وثناؤه عليه ، وقيل بل محبة الله لعبده صفة من صفات فعله فهى إحسان مخصوص يليق بالعبد . وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها فى قلبه يحصل منها التعظيم له وإيثاره رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه والاستئناس بذكره .

وقد اختلف فى اشتقاق المحبة والعشق ، فقال بعضهم : الحب اسم لصفاء المودة ، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : حبب ، وقيل هو مشتق من حباب الماء

بفتح الحاء وهو معظمه لأن المحبة معظم ما فى القلوب من المهمات ، وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقال أحب البعير إذا برك فلم يقم فكأن المحب لا ينزع قلبه عن ذكر محبوبه . وأما العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبات يلتف بأصول الشجر التى يقاربها فى منبتها فلا تكاد تتخلص منه إلا بالموت ، وقيل إن العشقة نبات أصفر متغير الأوراق فسمى العاشق به لاصفراره وتغير حاله . وقيل أعم حالات الحب وأشهرها وأعظم صفات الهوى وأظهرها ثلاثة أوصاف : ملازمة لا يستطيعون دفعها وهى النحول والسقم والذبول والله أعلم .

وهذا الطائر يعمر كثيرا وقد ظهر منه ماعاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة كما حكاه أبو حيان التوحيدى وأرسطو قبله .

(الحكم) يحل أكلها وبيعها بالاتفاق .

(الأمثال) قالوا أكذب من فاختة ، وقالوا فلان الفاختة عنده أبو ذر .

(الخواص) دمها ودم الحمام الأسود إذا طلى بهما البرص غير لونه ؛ وزبلها إذا علق على صبى يصرع أبرأه ، ودمها إذا قطر فى العين أذهب الآثار المزمنة من ضربة أو قرحة أو غيرهما .

(التعبير) قال ابن المقرى : الفواخت والقمارى والدبسى وما أشبهها يدل ملكها فى الرؤيا على العز والجاه وظهور النعم لأنها لا تكون فى الغالب إلا عند المتنعمين ، وربما دلت على أهل العبادة والانقطاع والقراءة والتسبيح والتهليل . قال الله تعالى — وإن من شىء إلا يسبح بحمده — وربما دلت على المطربين وأصحاب اللهو والغناء والرقص ، وربما دلت على الزوجات والإماء ، وقال المقدسى : الفاختة فى المنام ولد كذاب ، وقيل الفاختة امرأة كذابة غير ألفة وفى دينها نقص . وقال أرطاميدورس : الفاختة امرأة صاحبة مروءة وشكل والله أعلم .

﴿ الفأر ﴾ : بالهمز جمع فأرة ومكان فئر أى كثير الفأر وأرض فئرة أى ذات فأر ، وكنية الفأرة : أم خراب وأم راشد ، وهى أصناف : الجرذ والفأر المعروفان وهما كالجاموس والبقر والبخاتى والعراب ، ومنها اليرابيع والزباب والخلد ، فالزباب أصم والخلد أعمى وفأرة البيش وفأرة الإبل وفأرة المسك وذات النطاق وفأرة البيت وهى الفويسقة التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمى العاصى فاسقا ، وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن ، وقيل لخروجهن عن الحرمة فى الحل والحرم أى لا حرمة لهن بحال ، وقيل سميت بذلك لأنها عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه الصلاة والسلام فقطعتها .

وروى الطحاوى فى أحكام القرآن بإسناده عن يزيد بن أبى نعيم أنه سأل أبا سعيد

الخدرى رضى الله تعالى عنه : لم سميت الفأرة الفويسقة؟ فقال « استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد أخذت فأرة فتيلة السراج لتحرق على رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، فقام إليها وقتلها وأجل قتلها للحلال والمحرم » . وفى سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « جاءت فأرة فأخـذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التى كان قاعدا عليها فأحرقت منها موضع درهم» الخمرة : السجادة التى يسجد عليها المصلى سميت بذلك لأنها تخمر الوجه أى تغطيه . ورواه الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فذهبت الجارية تزجرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «دعيها فجاءت بها فألقتها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم على الخمرة التى كان قاعدا عليها فأحرقت منها موضع درهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : إذا نمتم فأطفئوا سراجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم» ثم قال : صحيح الإسناد .

وفى صحيح مسلم وغيره « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بإطفاء النار عند النوم » وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم نارا ، وفى الصحيح أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون حتى تطفئوها » . قال النووى رحمه الله تعالى : هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيرها . وأما القناديل المعلقة فى المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت فى الأمر بالإطفاء ، وإن أمن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بتركها لانتفاء العلة التى علل بها النبى صلى الله عليه وسلم وإذا انتفت العلة زال المنع ، وقد تقدم فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصيد الكلام على الفواسق الخمس وما ألحقت بها مما يباح قتله للمحرم وفى الحرم ، والفأر نوعان : جرذان وفئران ، وكلاهما له حاسة السمع والبصر ، وليست الحيوانات أفسد من الفأر ولا أعدم أذى منه لأنه لا يبقى على حقير ولا جليل ولا يأت على شىء إلا أهلكه وأتلفه ، ويكفيه ما يحكى عنه فى قصة سد مأرب وقد تقدمت فى باب الخاء المعجمة فى لفظ الخلد . ومن شأنه أنه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل فيها ذنبه فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فيها شيئا ، ولا يخفى ما بين الفأر والهر من العداوة ، والسبب فى ذلك ما تقدم فى أول خواص الأسد من حديث زيا ابن أسلم رضى الله تعالى عنه أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما حمل فى السفينة من كل زوجين اثنين شكى أهل السفينة الفأرة وأنها تفسد طعامهم ومتاعهم ، فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس فخرجت منه الهرة فتخبأت الفأرة منها .

(تذنيب) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : اتخذ نوح السفينة فى سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب

الساج ، وجعل لها ثلاث بطون . فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام ، وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام ، وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد . وروى أن الطبقة السفلى كانت للدواب والوحوش : والوسطى للإنس ، والعليا للطير ، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل ففعل فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحرف السفينة جعل يقرضها وحبالها فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عينى الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر . وعن الحسن قال : كان طول السفينة ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، والمعروف ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن طولها ثلثمائة ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وقال قتادة رضى الله تعالى عنه : كان بابها فى عرضها ، وقال زيد بن أسلم : مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة عام يعمل الفلك . وقال كعب الأحبار : مكث نوح عليه السلام فى عمل السفينة ثلاثين سنة ، وقيل غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة . وزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يضعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله ومن خارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا ، والذراع إلى المنكب ، وأن يجعله ثلاث أطباق سفلى ووسطى وعليا ، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمر الله تعالى .

(وأما الزباب والخلد) فتقدما .

(وأما اليربوع) فسيأتى فى بابه ، وقد تقدم فى باب العين المهملة فى لفظ العقعق عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس شىء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنملة والفأرة والعقعق وبه جزم فى الإحياء فى باب التوكل ، وعن بعضهم قال : رأيت البلبل يحتكر ، ويقال إن للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها ، وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « فقدت أمة من بنى إسرائيل ولا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ، ألا تراها إذا وضع لها لبن الإبل لم تشربه وإذا وضع لها لبن الشاء شربته » قال النووى وغيره : ومعنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بنى إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها ، فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل دون لبن الغنم على أنها مسخ من بنى إسرائيل .

(وأما فأرة البيش) وهو بكسر الباء الموحدة وبالياء المثناة تحت وبالشين المعجمة فى آخره وهو السم فدويبة تشبه الفأرة وليست بفأرة ولكن هكذا تسمى ، وتكون فى الغياض والرياض وهى تتخللها طلبا لمنابت السموم فتأكلها فلا تضرها ، وكثيرا ما تطلب البيش وهو سم قاتل كما تقدم هنا وفى باب السين المهملة فى لفظ السمندل . قاله القزوينى فى الأشكال .

(وأما ذات النطاق) فهى فأرة منقطة ببياض وأعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهى التى تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل . قاله القزوينى أيضا .

(وأما فأرة المسك) فهى غير مهموزة لأنها من فار يفور وهى النافجة كذا قاله الجوهرى . وفى التحرير : فأرة المسك مهموزة كفأر الحيوان ويجوز ترك الهمزة كما فى نظائره وقال الجوهرى وابن مكى : ليست مهموزة وهو شذوذ منهما ، وقول الشاعر :

كأن بين فكها والفك فأرة مسك ذبحت فى سك

مراده شقت والذبح أصله الشق والقطع والسك ضرب من الطيب يركب من مسك وغيره . وقال الجاحظ : فأرة المسك نوعان : النوع الأول دويبة تكون فى بلاد التبت تصاد لنوافجها وسررها ، فإذا صيدت شدت بعصائب وتبقى متدلية فيجتمع فيها دمها ، فإذا أحكم ذلك ذبحت ، فإذا ماتت قورت السرة التى عصبت ثم تدفن فى الشعير حينا حتى يستحيل ذلك الدم المختنق هناك الجامد بعد موتها مسكا ذكيا بعد أن كان لايرام نتنا ، وما أكثر من يأكلها أى الفأرة عندنا

قلت : وتعجبه من كثرة آكليها يدل على استطابتها والفقهاء لم يتعرضوا لهذا النوع ، ثم قال : والنوع الثانى جرذان سود تكون فى البيوت ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمة ، وهذا النوع رائحته كرائحة المسك إلا أنه لايؤخذ منه المسك ، وقد تقدم فى باب الظاء المشالة فى لفظ الظبى ذكر المسك وحكمه . قلت : والمشهور أن فأرة المسك سرر الظباء كما تقدم .

(وأما فأرة الإبل) فقال فى الصحاح : هى أن تفوح منها ريح طيبة ، وذلك إذا رعت العشب وزهره ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك الرائحة فأرة الإبل ، عن يعقوب قال الراعى يصف إبلا :

لها فأرة ذفراء كل عشية كمافتق الكافور بالمسك فاتقه

(وأما الفأرة التى خربت سد مأرب) فهى الخلد ، وقد تقدم ذكر قصتها فى باب الخاء المعجمة ، وروى الحاكم والبيهقى عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى — حتى تضع الحرب أوزارها — يعنى حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيسلم كل يهودى وكل نصرانى وكل صاحب ملة وتأمن الفأرة الهر والشاة الذئب ولا تقرض فأرة جرابا ؛ وتذهب العداوة من الأشياء كلها ، وذلك ظهور الإسلام على الدين كله .

(الحكم) يحرم أكل جميع أنواع الفأر إلا اليربوع كما سيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى .

ويكره أكل سؤر الفأر. وقال ابن وهب عن الليث : كان ابن شهاب يعنى الزهرى يكره أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ويقول إنهما يورثان النسيان ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يورث الذكاء ، وقد جمع الشيخ علم الدين السخاوى مايورث النسيان فى أبيات فقال :

توق خصالا خوف نسيان مامضى ... قراءة ألواح القبور تديمها
وأكلك للتفاح ماكان حامضا ... وكزبرة خضراء فيها سمومها
كذا المشى مابين القطار وحجمك الـ ... قفاء ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا ... كذلك نبذ القمل لست تقيمها
ولا تنظر المصلوب فى حال صلبه ... وأكلك سؤر الفأر وهو تميمها

(تتمة) روى البخارى عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت « إن فأرة وقعت فى سمن فماتت فسئل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألقوها وما حولها وكلوه » ورواه أبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه ورواه الترمذى عنه ثم قال : وهو غير محفوظ سمعت البخارى يقول إنه خطأ يعنى من طريق أبى هريرة.

(قلت) والصواب أنه صحيح ، ورواه الطحاوى فى بيان المشكل عنه بلفظ « إن كان جامدا فخذوها وما حولها فألقوه وإن كان ذائبا فاستصبحوا به » وإنما لم يدخل البخارى فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « وإن كان مائعا فأريقوه » لأنه من رواية معمر عن الزهرى فاستراب بانفراد معمر بها ، والعلماء مجمعون على أن حكم السمن الجامد تقع فيه الميتة أنها تلقى وما حولها ويؤكل بقيته ، وأما المائع كالخل والزيت والسمن المائع واللبن والشيرج والعسل المائع فلا خلاف أنه لايؤكل ، والمشهور جواز الاستصباح به لكن يكره ، وقيل لايجوز لقوله تعالى — والرجز فاهجر — قال أبو العالية والربيع : الرجز بالضم والكسر النجاسة والمعصية ، وكل هذا فى غير المساجد فأما المساجد فلا يستصبح به فيها جزما ، ويحل دهن السفن به وأن يتخذ صابونا يغسل به ولا يباع . وقال أبو حنيفة والليث : يجوز بيع الدهن النجس إذا بين نجاسته . وقال أهل الظاهر : لايجوز بيع السمن ولا الإنتفاع به إذا وقعت فيه الفأرة ، ويجوز بيع الزيت والخل والعسل وجميع المائعات إذا وقعت فيها . قالوا : لأن النهى إنما ورد فى السمن دون غيره .

(الأمثال) قالوا : ألص من فأرة ، وأكسب من فأرة ، وأسرق من زبابة ، وهى الفأرة البرية تسرق كل ماتحتاج إليه وما تستغنى عنه .

(الخواص) قال فى كتاب [عين الخواص] رأس الفأرة يشد فى خرقة كتان ويعلق على رأس صاحب الصداع الشديد يزول صداعه وينفع من الصرع ، وعين الفأر تشد فى قلنسوة

إنسان يسهل المشى عليه ، وإن بخر البيت بزبل ذئب أو زبل كلب هربت منه الفيران ، وإن خلط العجين بزبل حمام وأكله الفأر أو أى حيوان كان مات ، وإن دق بصل الفأر وجعل على أبواب حجرتهن فأى فأر شم رائحته مات ، وإن جعل على باب جحر الفأر ورق الدفلى مع القلقند لم تبق فيه فأرة ، وإن دق عظم ساق الجمل دقا ناعما وديف بماء وسكب فى حجرة الفئران فإنه يقتلهن ، وإن أخذت فأرة وقطع ذنبها ودفنت وسط البيت لم يدخل ذلك البيت فأر مادامت فيه ، وإذا بخر بكمون ولوز ونطرون عند جحرتهن متن من ساعتهن ، وإن بخر البيت بحافر بغل أسود هرب منه الفأر ، وإن علقت عين فأرة على من به حمى الربع أبرأته ، وذنب الفأر إذا جعل فى جلد حمار وجعلا فى خرقة حرير وعلق على اليد اليسرى فمن يكون له حاجة فإنها تقضى عند الملوك وغيرهم ، وبول الفأر يقلع الكتابة من الورق وطريق أخذ بوله أن يصاد فى مصيدة بحديدة ويوضع إناء وتجعل المصيدة من ناحية الحديدة على فم الإناء ويرى الفأر والسنور فإنه يبول من ساعته لشدة خوفه ، ويكتب للفأر على أربع صفائح قصدير وتجعل فى أوكار الفأر وهو هذا ياربيق ياسلويرا .

(قلت) وقد أذكرنى هذا مايقلع الزيت وغيره من الأدهان من القرطاس والجلد والريش وغير ذلك أن يؤخذ التراب الذى يجعله النساء فى رءوسهن فى الحمام الأزرق المحترق فيدق ناعما كالكحل ويوضع على القرطاس الذى أصابه الزيت أو غيره وتنقيلا جيدا يوما وليلة ثم يرفع فإن القرطاس يصير نقيا ليس به أثر وهو سر عجيب مجرب ، وأما سم الفأر فهو التراب الهالك عند أهل العراق وهو السلك يؤتى به من خراسان من معادن الفضة ، وهو نوعان أبيض وأصفر إن جعل فى عجين وطرح فى البيت وأكل منه الفأر مات ، وكذلك كل فأرة تجد ريح تلك الفأرة حتى يموت الجميع .

(التعبير) قال المعبرون : الفأرة فى الرؤيا امرأة فاسقة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الفويسقة » وقيل الفأرة امرأة يهودية نائحة ملعونة أو رجل يهودى فاسق أو لص نقاب ، وربما دل الفأر على الرزق فمن رأى فأرا فى بيته كثيرا كثر رزقه لأنه لا يكون إلا فى مكان فيه رزق ، ومن خرج الفأر من منزله قلت بركته ونعمته ، ومن ملك فأرا ملك خادما لأن الفأر يأكل مما يأكل الإنسان وكذلك الخادم يأكل مما يأكل سيده ، ومن رأى فأرا يلعب فى داره نال خصبا فى تلك السنة لأن اللعب لا يكون إلا من الشبع ، وأما الفأر الأبيض والأسود فإنه يدل على الليل والنهار فمن رآه يغدو ويروح فإنه يدل على طول حياته ، ومن رأى الفأر كأنه يقرض فى ثيابه فهو معلن بما يمر من أجله ، ومن رأى فأرا ينقب فإنه لص نقاب فليحذره والله تعالى أعلم .

﴿ الفادر ﴾ : المسن من الأوعال .

﴿ الغازر ﴾ : بالزاى قبل الراء نمل أسود فيه حمرة .

﴿ الفاشية ﴾ : الماشية وجمعها فواش وهى التى تفشو من المال كالإبل والبقر والغنم السائمة لأنها تفشو أى تنتشر فى الأرض ، ويقال أفشى الرجل إذا كثرت مواشيه روى مسلم فى الأشربة وأبو داود فى الجهاد من حديث أبى خيثمة عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء » زاد أبوداود : فإن الشياطين تعبث إذا غابت الشمس وفحمة العشاء ظلمتها واسوداده شبه سوادها بالفحم ، وفسرها بعضهم بإقبال أول ظلامه ، وفى الحديث « ضموا مواشيكم إذا دخل الليل » وسيأتى فى باب الميم إن شاء الله تعالى ذكر هذا الكلام .

﴿ الفاعوس ﴾ : كجاموس الحية والوعل والأفعى قاله ابن الأعرابى ، وأنشد فى ذلك :

قد يهلك الأرقم والفاعوس والأسد المدرع النهوس

قال : ولم يأت فى الكلام فاعول لام الفعل منه سين إلا الفاعوس وهو الحية والوعل والبابوس وهو الصبى الرضيع ، والراموس وهو القبر ، والقاموس وهو وسط البحر ، والقابوس وهو الجميل الوجه ، والعاطوس وهو دابة يتشاءم بها ، والفانوس وهو التمام ، والجاموس وهو ضرب من البقر ، والجاروش وهو الكثير الأكل . وقال ابن دريد : والكابوس وهو الذى يقع على الإنسان فى نومه ، والناموس وهو صاحب سر الخير ، والجاسوس وهو صاحب سر الشر . وفى الصحيحين أن ورقة بن نوفل قال : هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . قال النووى وغيره : اتفقوا على أن المراد به هنا جبريل عليه الصلاة والسلام ، وسمى بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحى وعلم الغيب ، وسيأتى هذا أيضا فى باب النون إن شاء الله تعالى فى لفظ الناموس ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفاطوس ﴾ : سمكة عظيمة تكسر السفن ، والملاحون يعرفونها فيتخذون خرق الحيض يعلقانها على السفينة فإنها تهرب منهم . قال القزوينى . ولعل هذا هو حوت الحيض ، وقد تقدم ذكره فى باب الحاء المهملة .

﴿ الفالج ﴾ : بالجيم فى آخره الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من الهند وهو الدهابج بفتح الدال وبالجيم فى آخره كما تقدم فى باب الدال المهملة ، وفى الحديث أن فالجا تردى فى بئر .

﴿ فالية الأفاعى ﴾ : بنات وردان ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى آخر باب الواو ، وقيل هى ضرب من الخنافس رقط تألف العقارب فى جحرة الضب .

(الأمثال) قالت العرب : آياتكم فالية الأفاعى وجمعها الفوالى لأنها إذا خرجت يعلم أن الضب خارج لامحالة ، وإذا رؤيت فى الجحر علم أن وراءها العقارب والحيات والأفاعى يضرب لأول شر ينتظر بعده شر منه ، والله تعالى أعلم .

﴿ فتاع ﴾ : كصياح طائر يكنى أم عجلان تقدم فى آخر باب العين المهملة .

﴿ الفتع ﴾ : دود أحمر يأكل الخشب . قال الشاعر :

غداة غادرتهم قتلى كأنهم خشب تقصف فى أجوافها الفتع

الواحدة فتعة قاله ابن سيده .

﴿ الفحل ﴾ : الذكر من ذى الحافر والظلف والخف وغير ذلك من ذى الروح وجمعه أفحل وفحول وفحولة وفحال وفحالة . قال البخارى فى الجهاد : وقال راشد بن سعد : كان السلف يستحبون الفحولة من الخيل لأنها أجرى وأجرأ أى أسرع وأجسر . وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فرأينا منه عجبا جاء رجل فقال : يا رسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فحلان ، وقد منعانى أنفسهما وحائطى وما فيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما ، فنهض نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقال لصاحبه : افتح ، فقال إن أمرهما عظيم فقال صلى الله عليه وسلم افتح فلما حرك الباب أقبلا ولهما رغاء وجابة ، فلما انفرج الباب ونظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بركا ثم سجدا ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برءوسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال : استعملهما وأحسن علفهما ، فقال القوم ، نسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا بالسجود لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن السجود لاينبغى إلا للحى القيوم الذى لايموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ورجاله ثقات .

وروى الحافظ الدمياطى فى كتاب [الخيل] عن عروة البارقى أنه قال : كانت لى أفراس وفيها فحل شراؤه عشرون ألف درهم فنقأ عينه دهقان ، فأتيت عمر رضى الله تعالى عنه فأخبرته فكتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : أن خير الدهقان بين أن يعطيه عشرين ألفاً ويأخذ الفحل وبين أن يغرم ربع الثمن ، فقال الدهقان : ما أصنع بالفحل ؟ وغرم ربع الثمن ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى لفظ الحيوان ، وفى الصحيحين وغيرهما « يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل » وفى السنن « يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل » .

وروى الشافعى رحمه الله تعالى فى مسنده بإسناد على شرط مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إن لبن الفحل لا يحرم ومعناه أن حرمة الرضاع لا تثبت بين

المرتضع وبين زوج المرضعة الذى اللبن منه وإنما تنتشر الحرمة إلى أقارب المرضعة لا غير ، وروى هذا عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ، وبه قال داود الأصم وهو اختيار عبد الرحمن ابن بنت الشافعى ، والذى ذهب إليه الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة : أن حرمة الرضاع تثبت بين المرتضع وبين المرضعة وبين زوجها الذى منه اللبن فتكون المرضعة أما له وزوجها أبا له كما إذا ولدته من مائه وكانا أبوين له لحديث عائشة رضى الله تعالى عنها المتفق على صحته فى قصة أفلح بن أبى القعيس ، وحديثها أيضا المتفق عليه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما : أن يكون قبل المولود حولين لقوله تعالى — والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين — ولقوله صلى الله عليه وسلم « لا يحرم من الرضاع إلا ما يفتق الأمعاء » وفى رواية « لا رضاع إلا ما أنشر العظم وأنبت اللحم » وإنما يكون هذا فى حال الصغر وعند أبى حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى — وحمله وفصاله ثلاثون شهرا — والشرط الثانى : أن يكون خمس رضعات متفرقات كل رضعة إلى الشبع ، روى ذلك عن عائشة وعبد الله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ، وبه قال مالك والشافعى ، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم . وروى عن سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثورى ومالك فى إحدى الروايات ، والأوزاعى وعبد الله ابن المبارك وأبو حنيفة . فإن كان للرجل خمس بنات أو زوجات أو أمهات أولاد فأرضعت كل واحدة رضعة واحدة جنينا واحدا ففيه ثلاثة أوجه : أحدها لا يقع التحريم ، والثانى يصير ابنا للمرضعات ، والثالث يصير ابنا له وللمرضعات ، فإن وصل اللبن إلى جوفه بحقنه ففيه قولان ، وإن اختلط اللبن بمائع ووصل إلى جوفه ثبتت الحرمة وإن كان مغلوبا على أصح القولين ، وللمسألة فروع مبسوطة فى كتب الفقه .

(قلت) وقد أذكرنى اللبن حديثا رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أخاف على أمتى إلا اللبن فإن الشيطان بين الرغوة والضرع » .

وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيهلك من أمتى أهل اللبن . قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : أناس يحبون اللبن فيخرجون من الجماعات ويتركون الجمعات » قال الحربى : أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعة ويطلبون مواضع اللبن فى المراعى والبرارى والبوادى . وقال غيره : أراد قوما أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وفى صحيح البخارى من حديث عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن عسب الفحل » والأشهر فى تفسيره أنه ضراب الفحل كما

قال الشاعر :

ولولا عسبه لرددتموه وشر منيحة فحل يعار

وقيل المراد ثمن مائه ففى رواية الشافعى وأحمد وأبى داود فى بعض نسخه « نهى عن ثمن عسب الفحل » وقيل العسب أجرة ضرابه فيحرم ثمن مائه وكذا أجرته فى الأصح .

(الأمثال) قال العسكرى : ومن الأمثال المستحسنة قولهم ذلك الفحل لايقدع أنفه ، وقد تمثل به ورقة بن نوفل فى النبى صلى الله عليه وسلم حين خطب خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ، ويقال بل تمثل به أبو سفيان بن حرب حين خطب النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة رضى الله تعالى عنها . قال : وأصحاب الحديث يروونه الفحل : لايقرع أنفه بالراء اه . قال الشماخ :

إذا ما استافهن ضربن منه مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعنى حمارا يستاف أنثى فيرمحنه إذا استافهن ، والسوف الشم ، وقوله مكان الرمح من أنف القدوع أراد بالقدوع المقدوع ، وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب إذا كانت تركب ، ورجل ركوب للدواب إذا كان يركبها ، وناقة رغوث إذا كانت ترضع ، وحوار رغوث إذا كان يرضع ، وشاة حلوب إذا كانت تحلب ، ورجل حلوب إذا كان يحلب الشاة ، والقدوع هنا البعير قدع أنفه وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدع أنفه عن كذا أى منع عنه ، وأنشد الشيخ شرف الدين الدمياطى فى أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب لعبد الله بن يزيد الهلالى :

ما أنجبت نجيبة من فحل بجبل نعلمه أو سهل
كسته من بطن أم الفضل زوجة عم المصطفى ذى الفضل
خاتم الأنبيا وخير الرسل أكرم بها من كهلة وكهل

وقالوا : الفحل يحمى شوله معقولا ، والشول تقدم فى باب الشين المعجمة أنها النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة والشول جمع على غير قياس ، ومعقولا نصب على الحال أى أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ أهله وحريمه وإن كانت به علة ، وقد تمثل بذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص أخى سعد ابن أبى وقاص حين فقئت عينه باليرموك ، وهو الذى افتتح جلولا من بلاد فارس وهزم الفرس ، وكانت جلولا تسمى فتح الفتوح وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف ؛ وشهد صفين مع على رضى الله عنه وكانت معه الراية وهو على الرجالة ، وقتل يومئذ وهو يقول :

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا

فقطعت رجله يومئذ وهو يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول : الفحل يحمى شوله معقولا وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن وائلة رضى الله عنه :

ياهاشم الخير جزيت الجنة قاتلت فى الله عدو السنة

ومن أحكام الفحل : أن من غصب فحلا وأنزاه على شاته فالولد للغاصب ولا شىء عليه للإنزاء لكن إذا نقص الفحل بذلك غرم أرش نقصه ، وإن غصب شاة وأنزى عليها فحلا فالولد لصاحب الشاة .

(تذنيب) قال يونس : جميع الألبان معتدلة . وقال الرازى : الحلو حار وأجوده ما كان من ضأن فتى ، وهو ينفع الصدر والرئة ويضر أصحاب الحيات ، وهو يولد غذاء جيدا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والصبيان وأجود أكله فى الربيع ، وأما اللبن الحامض فبارد رطب وأجود الكثير الزبد ، وهو ينفع لتسكين العطش ويضر بالأسنان واللثة ويدفع ضره التمضمض بماء العسل ، ويولد خلطا محمودا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والغلمان وأجود استعماله فى الصيف ، ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوما ويختلف بحسب صفته فالمطبوخ مع الحنطة والأرز يوافق أصحاب الأمزجة الحارة ، وما نزع زبده ومائيته ويقال له الودع ينفع الأمزجة الحارة ، وإذا ألقى فى اللبن الحصا المحمى حتى تذهب مائيته نفع من الذرب ، والذى أخرج غلظه بالأنفحة إذا خلط بالسكنجبين السكرى نفع من الحكة والجرب ، ولبن الأتن ينفع من السل والدق ، ولبن اللقاح نافع من الاستسقاء إذا خلط مع أبوالها ، وما خثر من اللبن فهو بارد يمسك الطبع ويولد خلطا غليظا وسددا وحجارة فى الكلى انتهى .

(تتمة) اللبن فى المنام : فطرة الإسلام ، وهو مال حلال يناله بلا تعب لقوله تعالى : — لبنا خالصا سائغا للشاربين — وأما الرائب فهو مال حرام لحموضته وخروج دسومته ، ولبن الغنم مال شريف ، ولبن البقر غنى ، ولبن الخيل ثناء حسن ، ولبن الثعلب شفاء من مرض ولبن البغل عسر وهول ، ولبن النمر عدو يظهر ، ولبن الأسد مال من سلطان ، ولبن حمار الوحش شك فى الدين ، ولبن الخنزير مصيبة فى العقل ومال لمن شربه فى المنام ، وقيل إصابة مال عظيم لكن يخشى على عقل شاربه ، ولبن ابن آدم زيادة فى المال إذ هو زاد فى الثدى ولا يحمد لمن رضعه فإنه يدل على داء مكروه . قال محمد بن سيرين : لا أحب الراضع ولا المرضع ، فإن شربه المريض شفى من مرضه لأن به كان نشؤه وقوته ، ومن بدد اللبن فقد ضيع دينه ومن رأى اللبن يخرج من الأرض فإنها فتنة يراق فيها الدم على قدر ذلك اللبن ولبن الكلاب والذئاب والسنانير خوف أو مرض ، وقيل إن لبن الذئب مال من سلطان ورياسة على قوم ، ولبن الهوام من شربه فإنه يصالح أعداءه ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفدس ﴾ : بالضم العنكبوت والجمع فدسة كقردة .

﴿ الفرا ﴾ : الحمار الوحشى والجمع الفراء مثل جبل وجبال وفى المثل « كل الصيد فى جوف الفرا » قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان بن الحرث ، وقيل لأبى سفيان بن حرب كذا قاله أبو عمر بن عبد البر ، وقال السهيلى : الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله لابن حرب يتألفه به ، وذلك أنه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فحجب قليلا ثم أذن له فلما دخل قال : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين ، وهما جانبا الوادى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا سفيان أنت كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا » قال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك يتألفه على الإسلام يعنى إذا حجبتك منع كل محجوب ، وقال فى كلامه على فتح مكة : الأصح أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله لأبى سفيان بن الحرث ، وكان رضيع النبى صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أبعد الناس وأهجاهم له إلى أن أسلم فكان أصح الناس إيمانا وألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل هذا المثل أن جماعة ذهبوا إلى الصيد فصاد أحدهم ظبيا والآخر أرنبا والآخر حمار وحش ، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا على الثالث : فقال الثالث كل الصيد فى جوف الفرا : أى الذى رزقت وظفرت به مشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس فيما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش ، ثم اشتهر ذلك المثل واستعمل فى كل حاو لغيره وجامع له قال الشاعر :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هى إلا واحد غير ممترى
إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد فى جوف الفرا

﴿ الفراش ﴾ : دواب مثل البعوض واحدتها فراشة وهى التى تطير وتتهافت فى السراج لضعف إبصارها فهى بسبب ذلك تطلب ضوء النهار ، فإذا رأت فتيلة السراج بالليل ظنت أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى بنفسها إلى النار ، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة بعد مرة حتى تحترق . قال الإمام حجة الإسلام الغزالى : ولعلك تظن أن هذا لنقصان فهمها وجهلها ، ثم قال : فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ، بل صورة الإنسان فى الإكباب على الشهوات والتهافت فيها أعظم جهالة منها لأنه لا يزال يرمى بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكا مؤبدا ، فليت جهل الآدمى كان كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال ، والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم » انتهى . ولقد أجاد مهلهل بن يموت فى قوله :

جلت محاسنه عن كل تشبيه وجل عن واصف فى الحسن يحكيه

انظر إلى حسنه واستغن عن صفتى سبحان خالقه سبحان باريه
النرجس الغض والورد الجنى له والأقحوان النظير الغض فى فيه
دعا بألحاظه قلبى إلى عطبى فجاءه مسرعا طوعا بلبيه
مثل الفراشة تأتى إذ ترى لهبا إلى السراج فتلقى نفسها فيه

وقال عون الدين العجمى :

لهيب الخد حين بدا لطرفى هوى قلبى عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا وها أثر الدخان على الحواشى

(فائدة) قال الله تعالى — يوم يكون الناس كالفراش المبثوث — شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش. روى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفلتون من يدى » .

وروى مسلم أيضا عن ابن مسعود قال : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى مايعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال تبارك وتعالى — إذ يغشى السدرة مايغشى — قال : فراش من ذهب . وروى البيهقى فى الشعب عن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب إلا الكذب فى الحرب ، والكذب فى إصلاح ذات البين ، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها » .

(الحكم) تحريم الأكل .

(الأمثال) قالوا : أطيش من فراشة وأضعف وأذل وأجهل وأخف وأخطأ من فراشة لأنها تلقى نفسها فى النار، كما قالوا : أخطأ وأجهل من ذباب ، لأنه يلقى نفسه فى الطعام الحار وفيما يهلكه . قال الشاعر :

سفاهة سنور وحلم فراشة وإنك من كلب المهارش أجهل

(التعبير) الفراش فى المنام : عدو ضعيف مهين عظيم الكلام : وقال ارطاميدورس : الفراش للفلاحين يدل على البطالة ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرافصة ﴾ : بالضم إسم للأسد وبالفتح إسم لرجل ، وقيل كل فرافصة فى العرب فهو بالضم إلا فرافصة أبا نائلة صهر عثمان رضى الله تعالى عنه فإنه بالفتح، وهو الذى ذكره مالك فى الموطأ فى أبواب الصلاة عن يحيى بن سعيد عن ربيعة بن عبدالرحمن عن القاسم بن محمد

أن الفرافصة بن عمير الحنفى قال : ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إياها فى الصبح من كثرة ما كان يرددها .

﴿ الفرخ ﴾ : ولد الطائر هذا هو الأصل وقد استعمل فى كل صغير من الحيوان والنبات والأنثى فرخة ، وجمع القلة أفرخ وأفراخ والكثرة فراخ .

روى أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن جعفر « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمهل آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى بنى أخى ، فجيء بنا كأننا أفرخ فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا إلى الحلاق ، فأمره فحلق رؤوسنا » وروى البزار عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بعض مغازيه فبيناهم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه حتى سقط على أيدى الذين أخذوا الفرخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط فى أيديهم؟ قالوا : بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : والله لله أرحم بعباده من هذا الطير بفرخه » .

وفى سنن أبى داود فى أوائل كتاب [الجنائز] من حديث عامر الرام أخى الخضر بضم الخاء وإسكان الضاد المعجمتين وهو فرد فى الأسماء قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفى يده شيء قد لف عليه طرف كسائه فقال : يارسول الله إنى لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتها معهن وهاهن فيه معى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ضعهن عنك فوضعهن وأبت أمهن إلا لزومهن ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أتعجبون لرحمة أم الفراخ فراخها ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فوالذى بعثنى بالحق نبيا لله أرحم بعباده من أم هؤلاء الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن ، فرجع بهن وأمهن ترفرف عليهن » .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة فى دار الدنيا فبها يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق » قال أبو أيوب السجستانى : إن رحمة الله قسمها فى دار الدنيا وأصابنى منها الإسلام ، وإنى لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك .

وروى مسلم أيضا والنسائى والترمذى عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت » وفى رواية الترمذى « قد جهد فصار

مثل الفرخ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال : نعم كنت أقول : اللهم ماكنت معاقبي به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه : أفلا قلت : اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال : فدعا الله به فشفاه » ومعنى قوله مثل الفرخ أنه ضعف ونحل جسمه وخفى كلامه ، وتشبيهه له بالفرخ يدل على أنه تناثر أكثر شعره ، ويحتمل أن يكون شبهه به لضعفه والأول أوقع فى التشبيه ، ومعلوم أن مثل هذا المرض لا يبقى معه شعر ولا قوة ، وفى هذا الحديث النهى عن الدعاء بتعجيل العقوبة وفيه فضل الدعاء « باللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وفيه جواز التعجب بقول « سبحان الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « إنك لا تطيقه » يعنى أن عذاب الآخرة لايطيقه أحد فى الدنيا لأن نشأة الدنيا ضعيفة لا تحتمل العذاب الشديد والألم العظيم بل إذا عظم على الإنسان هلك ومات ، وأما الآخرة فهى للبقاء إما فى النعيم أو العذاب إذ لا موت كما قال الله تعالى فى حق الكفار — كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا للعذاب — نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى أحسن ما يقال لأنها من الدعوات الجوامع التى تتضمن خير الدنيا والآخرة ، وذلك أن النكرة فى سياق الطلب عامة فكأنه يقول : اعطنى كل حالة حسنة فى الدنيا والآخرة ، وقد اختلفت أقوال المفسرين فى الآية اختلافا يدل على عدم التوفيق وعلى قلة التأمل لوضع الكلمة فقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة والمغفرة ، وقيل العافية ، وقيل المال وحسن المآل ، وقيل المرأة الصالحة والحور العين ، والصحيح الحمل على العموم .

قال النووى : وأظهر الأقوال فى تفسير الحسنة أنها فى الدنيا العبادة والعافية وفى الآخره الجنة والمغفرة ، وقيل الحسنة نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ، وفى تاريخ ابن النجار وعوالى أبى عبدالله محمد بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك الأنصارى قاضى البصرة وعالمها ومسندها ، وهو من كبار شيوخ البخارى من حديث الحسن بن أبى الحسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ أحد فراخه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه ، فلما أفرخ ذلك الطير خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فبينما هو فى بعض الطريق سأله سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه فقالا : ربنا إنك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد وأخذ فرخينا ولم تهلكه ، فأوحى الله إليهما ألم تعلما أنى لا أهلك أحد تصدق بصدقة فى يومه بموتة سوء وقد تصدق » .

(فائدة) كانت رؤية فرخ الطائر سببا لتمنى حنة امرأة عمران الولد وذلك أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هى فى ظل شجرة إذ رأت طائرا يزق فرخا فتحركت نفسها للولد ونمنته فقالت — رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم — أى السميع لدعائى العليم بضميرى فنذرت أن تتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته ، وكان ذلك فى شريعتهم جائزا فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل — فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا — ووصفها بأنها أحصنت فرجها .

قال الزمخشرى : إحصانا كليا عن الحلال والحرام جميعا كما قال تعالى — ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا — وقال السهيلى : أحصنت فرجها يريد فرج القميص أى لم يتعلق بثوبها ريبة فهى طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن فكرك إلى غير هذا ، وهذا من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظا وألطف إشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل لا سيما النفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس وبالله التوفيق .

(فرع) ومن أحكام الفرخ أنه إذا غصب إنسان بيضا فحضنه دجاجة كانت الفراخ لصاحب البيض لأنها من عين المغصوب . وقال أبوحنيفة رضى الله تعالى عنه . يضمن البيض ولا يرد الفراخ واستدل على ذلك بأنه خلق سوى البيض قال تعالى فى سورة المؤمنون — ثم أنشأناه خلقا آخر — وفى التحفة المكية للقاضى نصر العمادى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : بلغنى أنه كان رجل من بنى إسرائيل ذبح عجلا بين يدى أمه فأيبس الله يده ، فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بفرخ طائر سقط من وكره فجعل ينظر ويبصبص إلى أبويه وأبواه ينظران ويبصبصان إليه ، فأخذه ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له فرحمه الله لرحمته لذلك الفرخ ورد عليه يده بما صنع ، والله تعالى أعلم .

(التعبير) الفراخ المشوية فى المنام : مال ورزق يتعب لمسه النار ، فمن رأى أنه أكل لحم فراخ نيأ يغتاب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وأشراف الناس ، ومن أكل لحم فراخ السباع من الطير كالشاهين والصقر والعقاب ونحوها فإنه يغتاب أولاد الملوك أو ينكحهم ، ومن اشترى فرخا مشويا فإنه يستأجر أجيرا ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرس ﴾ : واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث وحكى ابن جنى والفراء فرسة ، وقال الجوهرى : هو اسم يقع على الذكر والأنثى ولا يقال

للأنثى فرسة وتصغير الفرس فريس ، وإن أردت الأنثى خاصة لم تقل إلا فريسه بالهاء ، ولفظها مشتق من الافتراس لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها ، وراكب الفرس فارس وهو مثل لابن وتامر : أى صاحب لبن وصاحب تمر ، وفارس : أى صاحب فرس ، ويجمع على فوارس وهو شاذ لايقاس عليه . روى أبوداود والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأنثى من الخيل فرسا» قال ابن السكيت : يقال لراكب ذى الحافر من فرس أو بغل أو حمارة فارس . قال الشاعر :

وإنى امرؤ للخيل عندى مزية على فارس البرذون أو فارس البغل

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير : لا أقول لصاحب البغل فارس ولكن أقول بغال ، ولا أقول لصاحب الحمار فارس ولكن أقول حمار وكنية الفرس : أبو شجاع وأبو طالب وأبو مدرك وأبو مضى وأبو المضمار وأبو المنجى ، والفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة ، وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلله وركبه إسماعيل عليه السلام ، ومن الخيل مالا يبول ولا يروث ما دام راكبه عليه ، ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من الركوب عليه ، وكان لسليمان عليه السلام خيل ذوات أجنحة ، والخيل نوعان : هجين وعتيق ، والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس ، وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون ، والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من البرذون ، والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق من الخيل ما أبواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة ، والعتيق الكريم من كل شىء والخيار من كل شىء التمر والماء والبازى والشحم ، وسميت الكعبة البيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنها لم يملكها ملك من الملوك الجبابرة قط ، وسمى أبوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه عتيقا لجماله ، ويقال لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق الرحمن من النار ولم يزل بعين الرضا من الله ، ويقال لأن أمه كان لايعيش لها ولد ، فلما عاش سمته عتيقا لأنه عتق من الموت .

(فائدة) قال الزمخشرى فى تفسيره سورة الأنفال : وفى الحديث « إن الشيطان لايقرب صاحب فرس عتيق ولا دارا فيها فرس عتيق » وروى الحافظ شرف الدين الدمياطى فى كتاب [الخيل] حديثا عزاه إلى ابن منده فى كتاب [الصحابة] وإلى ابن سعد فى [الطبقات] وإلى ابن قانع فى [معجم الصحابة] من حديث عبد الله بن عريب المليكى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان لايخبل أحدا فى دار فيها فرس عتيق » انتهى . وكذلك رواه الحرث بن أبى أسامة عن المليكى عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورواه الطبرانى فى معجمه ، وابن عدى فى كامله فى ترجمة سعيد بن سنان ثم ضعفه .

وروى القاضى أبو القاسم على بن محمد النخعى فى كتاب [الخيل] وهو كتاب لطيف نسخته موقوفة بالفاضلية قال : حدثنا الحسن بن على بن عفان قال : حدثنا الحسن بن عطية عن طلحة بن زيد عن الوضين بن عطاء عن سليمان بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية — وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم — قال : هم الجن لايدخلون دارا فيها فرس عتيق . وقال مجاهد فى تفسير هذه الآية : هم بنو قريظة . وقال السدى : هم أهل فارس . وقال الحسن : هم المنافقون ، وقيل هم كفار الجن كما تقدم . قال ابن عبد البر فى [التمهيد] : الفرس العتيق هو الفاره عندنا ، وقال صاحب [العين] هو السابق ، وفى [المستدرك] من حديث معاوية بن حديج بالحاء المهملة المضمومة والدال المهملة المفتوحة وبالجيم فى آخره ، وهو الذى أحرق محمد بن أبى بكر بمصر رضى الله تعالى عنه عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن فرس عربى إلا يؤذن له كل يوم بدعوتين يقول : اللهم كما خولتنى من خولتنى فاجعلنى من أحب ماله إليه » ثم قال : صحيح الإسناد ، ولهذا الحديث قصة ذكرها النسائى فى كتاب [الخيل] من سننه فقال : قال أبو عبيدة : قال معاوية بن خديج : لما افتتحت مصر كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها دوابهم ، فمر معاوية بأبى ذر رضى الله تعالى عنهما وهو يمرغ فرساً له فسلم عليه ثم قال : يا أبا ذر ماهذا الفرس ؟ فقال : هذا فرس لا أراه إلا مستجاب الدعاء . قال : وهل تدعو الخيل وتجاب ؟ قال : نعم ، ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول : رب إنك سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى فى يده اللهم فاجعلنى أحب إليه من أهله وولده ، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب ولا أرى فرسى هذا إلا مستجابا . وروى الحاكم عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال : إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أدهم محجلا طلق اليمين فإنك تغنم وتسلم ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، والهجين الذى أبوه عربى وأمه عجمية ، والمقرف وهو بضم الميم وإسكان القاف وبالراء المهملة والفاء فى آخره عكسه وكذلك فى بنى آدم ، وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام لهند ابنة النعمان بن بشير :

وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل
فإن نتجت مهرا كريماً فبالحرى وإن يك إقراف فمن قبل الفحل

قال البطليوسى فى شرحه : هكذا رويناه : فمن قبل الفحل ، والرواية الأخرى .

وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

وقال : وقد روى هذا الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير وأنها قالته فى الفيض بن عقيل الثقفى ، فمن رواه لحميدة روى :

وما أنا إلا مهرة عربية

وكانت حميدة فى أول أمرها تحت الحرث بن خالد المخزومى فتركته وقالت فيه :

فقدت الشيوخ وأشياعهم وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومة وتمسى لصحبته قاليه

فطلقها الحرث وتزوجها روح بن زنباع فتركته وقلته وهجته فقالت فيه :

بكى الخزمن روح وأنكر جلده وعجت عجيجامن جذام المطارف
وقال العباء نحن كنا ثيابهم وأكسية مطروحة وقطائف

فطلقها روح وقال : ساق الله إليك فتى يسكر ويقىء فى حجرك ، فتزوجها الفيض ابن عقيل الثقفى فكان يسكر ويقىء فى حجرها فكانت تقول : أجيبت فى دعوة روح ابن زنباع ، وكانت تهجوه وتقول :

سميت فيضا وما شىء تفيض به إلا بسلحك بين الباب والدار
فتلك دعوة روح الخير أعرفها ستى الإله ثراه الأوطف السارى

قال البطليوسى : قد أنكر كثير من الناس رواية بغل بالباء لأن البغل لاينتج ، قالوا : والصواب نغل بالنون وهو الخسيس من الدواب . وفى سنن البيهقى فى كتاب البيوع « أن عبد الرحمن بن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما فرساً بأربعين ألفا ، والفرس الذى اشتراه النبى صلى الله عليه وسلم من الأعرابى وشهد له به خزيمة اسمه المرتجز واسم الأعرابى سواد بن الحرث المحاربى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ابتاعه منه فاستتبعه ليقبض ثمنه منه فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم المشى وأبطأ الأعرابى فساومه رجال لايشعرون أن النبى صلى الله عليه وسلم ابتاعه منه ، فنادى الأعرابى إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أو ليس قد ابتعته منك ؟ فقال الأعرابى : لا والله ، وطفق الأعرابى يقول : هلم بشهيد ، فقال خزيمة : أنا أشهد ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يارسول الله ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين » أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم ، وفى رواية فى الحديث « هل حضرتنا ياخزيمة ؟ قال : لا . قال : فكيف تشهد بذلك ؟ فقال خزيمة : بأبى أنت وأمى يارسول الله أصدقك على أخبار السماء ومايكون فى غد ولا أصدقك فى ابتياعك هذا الفرس ! فقال عليه الصلاة والسلام : إنك لذو الشهادتين ياخزيمة » وفى رواية صحيحة عند الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه » قال السهيلى : وفى مسند الحرث زيادة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم رد الفرس على ذلك الأعرابى وقال « لا بارك الله لك فيها » فأصبحت من الغد شاتلة برجليها : أى ماتت ، ومن أغرب ما اتفق لخزيمة رضى الله تعالى عنه مارواه الإمام

أحمد من عدة طرق برجال ثقات : أنه رأى فى النوم أنه سجد على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فاضطجع له النبى صلى الله عليه وسلم فسجد خزيمة على جبهته . وفى مسند الإمام أحمد عن روح بن زنباع أنه روى عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من نقى لفرسه شعيرا ثم جاءه حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة » ورواه ابن ماجه بمعناه .

وفى كتب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل يحب الرجل القوى المبدى المعيد على الفرس » أى المبدى المعيد الذى أبدى فى غزوه وأعاد فغزا مرة بعد مرة أى جرب الأمور طورا بعد طور ، والفرس المبدى المعيد الذى غزا عليه صاحبه مرة بعد أخرى ، وقيل هو الذى قد ريض وأدب وصار طوع راكبه .

وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب فرسا معرورا لأبى طلحة وقال « إن وجدناه لبحرا » وفى الفائق إن أهل المدينة فزعوا مرة فركب صلى الله عليه وسلم فرسا مقرفا وركض فى آثارهم فلما رجع قال « إن وجدناه لبحرا » قال حماد بن سلمة : كان هذا الفرس بطيئا فلما قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا القول صار سابقا لا يلحق .

وروى النسائى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى الجعد أخى سالم بن أبى الجعد عن جعيل الأشجعى رضى الله تعالى عنه قال « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : سر يا صاحب الفرس فقلت : يارسول الله إنها فرس عجفاء ضعيفة . قال : فرفع صلى الله عليه وسلم مخفقة كانت معه فضربها بها وقال : اللهم بارك له فيها ، فلقد رأيتنى ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا » .

وروى عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه : أنه كان لا يركب فى القتال إلا الإناث لقلة صهيلها . قال ابن محيريز : كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وأناث الخيل عند البيات والغارات .

روى البخارى عن سعيد المقبرى أنه قال : سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا فى سبيل الله تعالى إيمانا بالله عز وجل واحتسابا وتصديقا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » يعنى حسنات .

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ، فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله تعالى فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك

من المرج أو الروضة كانت له حسنات ؛ ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت أبوالها وأرواثها له حسنات ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى منه كان ذلك له حسنات فهى لذلك أجر ؛ ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله تعالى فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك سترا ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهى على ذلك وزر » .

« وسئل صلى الله عليه وسلم عن الخمر فقال : ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة — فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره — وقد تقدم قريب من ذلك .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى عامر الهوزنى عن ابن كبشة الأنمارى واسمه عمرو بن سعد أنه أتاه فقال : اطرقنى فرسك ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أطرق فرسا فعقب له كان له كأجر سبعين فرسا حمل عليها فى سبيل الله تعالى : وإن لم يعقب كان كأجر فرس حمل عليها فى سبيل الله » .

وفى طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ، ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره ، ومن علو همته أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه إلا بإذن وهو أن يحرك له الخلاة فإن حمحم دخل وإن دخل ولم يحمحم شد عليه والأنثى من الخيل ذات شق شديد ولذلك تطيع الفحل من غير نوعها وجنسها . قال الجاحظ والحيض يعرض للأناث منهن لكنه قليل ، والذكر ينزو إلى تمام أربعين سنة وربما عمر إلى تسعين ، والفرس يرى المنامات كبنى آدم ، وفى طبعه أنه لا يشرب الماء إلا كدرا فإذا رآه صافيا كدره ، ويوصف بحدة البصر ، وإذا وطئ على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده .

قال الجوهرى : ويقال إن الفرس لا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته ، كما يقال البعير لا مرارة له أى لا جسارة له .

وأفاد الإمام أبو الفرج ابن الجوزى : أن من واظب على البداءة فى لبس النعل باليمين والخلع باليسار أمن من وجع الطحال .

وأفاد غيره : أن سورة الممتحنة إذا كتبت وغسلت وسقى المطحول ماءها فإنه يبرأ بإذن الله تعالى .

ومما جرب أيضا فوجد نافعا أن تكتب هذه الحروف على قطعة فروة وتعلق على الجانب الأيسر وتترك بطول الجمعة وهذه صورة ما تكتب :

اداح ح هم مامل ملما	محد إلى راى	٨٩٧٣

صالح صبح وصبح م له صالح دومانع من إلى أن تنصره ومره

ومما جرب للطحال أيضا أن يكتب ويعلق على العضد الأيسر وهو هذا :

٢٥٩٤٨١٩٢٣ ح ح د د ص و ع

ومما جرب للطحال أيضا أن يكتب فى ورقة ويحرق فى ملعقة على الطحال : وعلم تضميرهم

ومما جرب أيضا أن يكتب فى يوم السبت قبل طلوع الشمس ويربط بخيط صوف ويعلق على الجانب الأيمن مثل تعليق السيف ، وهو هذا كما ترى :

ح ح ه د م ص ها ا ص
ا خ ا ا ح ماتت إلى الأبد

وروينا فى كتاب [المجالسة] للدينورى المالكى فى آخر الجزء العاشر عن إسماعيل بن يونس قال : سمعت الرياشى يقول : عن أبى عبيدة وأبى زيد أنهما قالا : الفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ له. قال أبو زيد : وكذلك طير الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدمغة والسمك لا رئة له ولذلك لا يتنفس وكل ذى رئة يتنفس .

وروى الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك عن الزهرى عن سالم وحمزة ابنى عبد الله ابن عمر عن أبيهما رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن يكن الخير فى شىء ففى ثلاث : المرأة والدار والفرس » وفى رواية « الشؤم فى ثلاث : المرأة والدار والفرس » وفى رواية « الشؤم فى أربع ، المرأة والدار والفرس والخادم » .

(قلت) وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث ، فقيل معناه على اعتقاد الناس فى ذلك لا أنه خبر من النبى صلى الله عليه وسلم عن إثبات الشؤم .

وروى ذلك عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، ففى مسند أبى داود الطيالسى عنها أنه قيل لها : إن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشؤم فى ثلاث : المرأة والدار والفرس ، فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاث : المرأة والدار والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله اهـ . قال البطليوسى : وهذا غير منكر أن يعرض لأنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر فى مجالسه الأخبار حكاية ويتكلم بما لا يريد به أمرا ولا نهيا ولا أن يجعله أصلا فى دينه ، وذلك معلوم من فعاله مشهور من قوله وهذا نظير ما اتفق فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وهو فى الصحيحين لكن قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية وهم يبكون عليها فقال عليه الصلاة والسلام « إنهم يبكون وإنها لتعذب ببكاء أهلها عليها » وقال مالك وطائفة قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم فى ثلاث » الحديث على ظاهره

فإن الدار قد يجعل الله سكناها سببا للضرر والهلاك ، وكذلك المرأة والفرس والخادم يجعل الله الهلاك أو الضرر عند وجودهم بقضاء الله وقدره. وقال ابن القاسم : سئل مالك عن هذا فقال : كم من دار سكنها قوم فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا يعنى أنه عام على ظاهره . وقال الخطابى وكثيرون : هو فى معنى الاستثناء من الطيرة : أى إن الطيرة منهى عنها إلا أن يكون له دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم يكره إقامتهما ، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة وقال آخرون : شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها ، وقيل حرانها وغلاء ثمنها ، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه ، وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة .

واعترض بعض الملحدة بحديث لا طيرة على هذا وأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث لاطيرة أى لا طيرة إلا فى هذه الثلاثة . قال الحافظ الدمياطى : ومن أغرب ماوقع لى فى تأويله مارويناه بالإسناد الصحيح عن يوسف بن موسى القطان عن سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « البركة فى ثلاث فى الفرس والمرأة والدار » قال يوسف : سألت سفيان بن عيينة عن معنى هذا الحديث ، فقال سفيان : سألت عنه الزهرى ، فقال الزهرى : سألت عنه سالما ، فقال سالم : سألت عنه أبى عبد الله بن عمر ، فقال عبد الله بن عمر : سألت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال « إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم ، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا غير زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهى مشؤومة ، وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد فلا يسمع فيها الأذان والإقامة فهى مشؤومة ، وإذا كن بغير هذه الصفات فهن مباركات ، « وفى الموطأ أن رجلا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنهم سكنوا دارا وعددهم كثير ومالهم وافر فقل العدد وذهب المال فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « دعوها ذميمه » وأمرهم صلى الله عليه وسلم بالخروج منها لاعتقادهم ذلك فيها وظنهم أن الذهاب للعدد والنفاد للمال إنما كان منها وليس كما ظنوا ، ولكن البارى سبحانه وتعالى جعل ذلك وقتا لظهور قضائه وقدره فيجهل الخلق ذلك فينسبونه إلى الجماد الذى لاينفع ولا يضر وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عدو ولا طيرة ولا يورد ممرض على مصح » لأن الله تعالى يخلق الجرب فى الصحيح فيعتقد المصح أن ذلك من الجرب فيتأذى قلبه ودينه ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ، وهذه الدار كانت دار الأسود بن عوف أخى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو السائل .

وفى سنن أبى داود من حديث فروة بن مسيك رضى الله تعالى عنه قال : « قلت : يارسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة أو قال وباؤها شديد ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعها عنك فإن من القرف التلف» قال ابن الأثير : القرف ملابسة الداء ومداناة المرض والتلف الهلاك ، وهذا ليس من باب العدوى وإنما هو من باب الطب فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان ، وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام .

(فائدة) قال النهيلى فى الكلام على غزوة ذى قرد : فى الفرس عشرون عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر فمنها النسر والنعامة والهامة والباز والسمامة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والخرب وهو ذكر الحبارى ، والناهض وهو فرخ العقاب والخطاف ذكرها وبقيتها الأصمعى وروى فيها شعرا لجرير .

(تتمة) روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى الطفيل « أن رجلا ولد له غلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عليه الصلاة والسلام ببشرة جبهته ودعا له بالبركة فنبتت شعرة جبهته كهيئة غرة الفرس وشب الغلام ، فلما كان زمن الخوارج أحبهم فسقطت الشعرة من جبهته فأخذه أبوه فقيده وحبسه مخافة أن يلحق بهم قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : ألم تر إلى بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف وقعت من جبهتك ؟ فما زلنا به حتى رجع عن رأيهم فرد الله عز وجل الشعرة بعد فى جبهته وتاب ولم تزل إلى أن مات » .

وروى الطبرانى عن عائذ بن عمرو رضى الله تعالى عنه قال «أصابتنى رمية وأنا أقاتل مع رسول الله عليه وسلم يوم خيبر فى وجهى ، فلما سالت الدماء على وجهى ولحيتى وصدرى سلت رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء عنى ثم دعا لى فكان ذلك الموضع الذى أصابته يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدرى له غرة سائلة كغرة الفرس » .

وذكر ابن ظفر فى [أعلام النبوة] أن حبرا يهوديا أوطن مكة فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملأ من بنى عبد مناف وبنى مخزوم فقال : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ فقالوا : مانعلمه فقال : أما إذا أخطأكم فاحفظوا ماأقول لكم : ولد الليلة نبى هذه الأمة الآخرة ، وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء حولها شعرات متتابعات كأنهن عرف فرس يمتنع من الرضاع ليلتين فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبرهم نساؤهم أنه قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فلما التقوا فى ناديهم تحدثوا بذلك ، وجاءهم اليهودى فأخبروه فقال : اذهبوا بى إليه حتى أراه ، فخرجوا به فدخلوا على آمنة وقالوا : اخرجى إلينا ابنك ، فأخرجته لهم فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة فأغمى على اليهودى ، فلما أفاق سألوه فقال : خرجت النبوة من بنى إسرائيل ، ثم قال : لاتفرحوا به فوالله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها إلى المشرق والمغرب .

وذكر الكلبي فى تفسير قوله تعالى : — وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم — الآية : أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد مارفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب ، وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولس ، وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام فقال يوما لليهود : إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار ، وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب ، فقالت له النصارى : من أنت ؟ فقال : بولس عدوكم ، وقد نوديت من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت ، فأدخلوه الكنيسة فدخل بيتا فيها فأقام سنة لايخرج منه لا ليلا ولا نهارا حتى تعلم الإنجيل ثم خرج فقال : نوديت إن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم : لم يكن عيسى بإنس ولا بجن ولكنه ابن الله ، وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب ، ثم دعا رجلا يقال له ملكان وقال له : إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى ، فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم : أنت خالصتى وقد رأيت عيسى فى المنام فرضى عنى ، وقال لكل واحد منهم : إنى غدا أذبح نفسى فادع الناس إلى نحلتك ، ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى ، فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية ، فاختلفوا واقتتلوا فقال الله تعالى — وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم — الآية . قال أهل المعانى : لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زورا.

وذكر الإمام ابن بليان والغزالى وغيرهما : أن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثورى فإنه لم يأته ، وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون أمير المؤمنين إلى أخيه فى الله سفيان بن سعيد الثورى ، أما بعد ياأخى فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك فى الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك ، وإنى منطو لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، وإنه لم يبق أجد من إخوانى وإخوانك إلا زارنى وهنأنى بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من المواهب السنية مافرحت به نفسى وقرت به عينى ، وقد استبطأتك ، وقد كتبت كتابا منى إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت ياأبا عبد الله ماجاء فى فضل

زيارة المؤمن ومواصلته فإذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل ، ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بإيصاله إليه وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به .

قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده فلما رآنى على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير . قال : فنزلت عن فرسى بباب المسجد فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلىّ . قال : فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض علىّ الجلوس وقد علتنى من هيبتهم الرعدة فرميت بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعدوتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم ، وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه وقال : ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده .

قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له ياأبا عبد الله ، إنه خليفة فلو كتبت إليه فى بياض نقى لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا ، فقيل له مانكتب إليه ؟ قال اكتبوا له : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هرون الذى سلب حلاوة الإيمان ولذة قراءة القرآن ، أما بعد فإنى كتبت إليك أعلمك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته بغير حكمة ، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك ، فأما أنا فإنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة غدا بين يدى الله الحكم العدل . ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم ؟ يعنى العاملين ، أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل ؟ أم رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد ياهرون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فاتق الله فى نفسك إذا سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ، ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ، ويشربون الخمر ويحدون الشارب ، ويزنون ويحدون الزانى ، ويسرقون ويقطعون السارق ، ويقتلون ، ويقتلون القاتل ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل

أن يحكموا بها على الناس ؟ فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدى الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لايفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار ؟ وكأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة ، فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإياك ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا فإنى لاأجيبك والسلام ، وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم ، فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبى ، فناديت ياأهل الكوفة من يشترى رجلا هرب إلى الله ؟ فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير ، فقلت : لاحاجة لى بالمال ، ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية ، فأتيت بذلك فنزعت ماكان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى إلى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا ، فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى ، فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا والملك يزول عنى سريعا ، فألقيت الكتاب إليه مثل مادفع إلى ، فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشهق ، فقال بعض جلسائه : ياأمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه بالسجن فجعلته عبرة لغيره ، فقال هرون : اتركوا سفيان وشأنه ، ياعبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى والله حقا من جالستموه إن سفيان أمة وحده ، ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكى حتى توفى رحمه الله تعالى .

وذكر ابن السمعانى وغيره أن المنصور كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه فى عدم إقامة الحق فتطالبه المنصور فهرب إلى مكة ، فلما حج المنصور بعث بالخشابين أمامه وقال : حيثما وجدتم سفيان فاصلبوه ، فوصل الخشابون ونصبوا الخشب ، فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم ورأسه فى حجر الفضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة ، فقالا له خوفا عليه وشفقة : لاتشمت بنا الأعداء ، فقام ومشى إلى الكعبة والتزم أستارها عند الملتزم ثم قال : ورب هذه البنية لايدخلها : يعنى المنصور ، فزلقت راحلته فى الحجون فوقع من على ظهرها فمات لوقته ، فخرج سفيان وصلى عليه ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر شىء من مناقبه ووفاته فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار .

(الحكم) قال الشافعى رضى الله تعالى عنه : مالزم اسم الخيل من العراب والمقاريف

والبراذين فأكلها حلال ، وهو قول القاضى شريح والحسن وابن الزبير وعطاء وسعيد بن جبير وحماد بن زيد والليث بن سعد وابن سيرين والأسود بن يزيد وسفيان الثورى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن وابن المبارك وأحمد وإسحاق وأبى ثور وجماعة من السلف . وقال سعيد بن جبير : ما أكلت أطيب من معرفة برذون ودليل هذا ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث جابر رضى الله تعالى عنه قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، وأرخص فى لحوم الخيل» .

وذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعى إلى أنها مكروهة ، إلا أن كراهتها عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم ، واستدلوا بما فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه «أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير لقوله تعالى — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — » .

وقال صاحب الهداية من الحنفية : فإن قلت الآية خرجت مخرج الإمتنان والأكل من أعلى منافعها ، والحكيم لا يترك الإمتنان بأعلى النعم ويمتن بأدناها .

(قلت) الجواب أن الآية خرجت مخرج الغالب : لأن الغالب فى الخيل إنما هو الزينة والركوب دون الأكل كما خرج قوله صلى الله عليه وسلم «وليستنج بثلاثة أحجار» مخرج الغالب لأن الغالب أن الاستنجاء لا يقع إلا بالأحجار انتهى .

وقال الشافعى ومن وافقه : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته ، وأما الحديث الذى استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما فقال الإمام أحمد ليس له إسناد جيد ، وفيه رجلان لا يعرفان ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث .

وقد روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى لحوم الخيل» وفى لفظ «أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر الأهلية » رواه الترمذى وصححه ، وفى لفظ « سافرنا يعنى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكنا نأكل لحوم الخيل ونشرب ألبانها » وفى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما أنها قالت « نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناها » وفى رواية « ونحن بالمدينة » وفى مسند الإمام أحمد « نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناها نحن وأهل بيته » وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إن الفرس إذا التقت الفئتان تقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ولذلك كان له من الغنيمة سهمان ، وكذلك رواه عبد الله بن عمر ابن حص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

« ولا يعطى إلا لفرس واحد عربيا كان أو غير عربى ، لأن الله سبحانه وتعالى قال : — وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل — » ولم يفرق بين عربى وغيره ، ولم يرد فى شىء من الأحاديث تفرقة بل الجمع مثل قوله صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » .

وقال الإمام أحمد : لما سوى العربى سهم للعربى سهمان ، لأثر ورد فى ذلك عن عمر رضى الله تعالى عنه لكنه لم يصح عنه ، ولا يعطى لفرس أعجف وما لا غناء به لأنه كل على صاحبه .

ويتعهد الإمام الخيل إذا دخل دار الحرب ، ولا يدخل إلا فرسا شديدا ، ويسهم للفرس المستعار والمستأجر ، ويكون ذلك للمستعير والمستأجر ، والأصح أنه يسهم للفرس المغصوب لحصول النفع به والأصح أنه للراكب ، وقيل للمالك ، ولو كان القتال فى ماء أو حصن وأحضر فرس أسهم له لأنه قد يحتاج إليه ، ولو أحضر اثنان فرسا مشتركا بينهما فقيل لا يعطيان سهم الفرس لأنه لم يحضر واحد منهما بفرس تام ، وقيل يعطى كل واحد منهما سهم فرس لأن معه فرسا قد يركبها ، وقيل يعطيان سهم فرس مناصفة ولعل هذا هو الأصح ، ولو ركب اثنان فرسا وشهدا الوقعة فعن بعض الأصحاب أنهما كفارسين لهما ستة أسهم ، وعن بعضهم أنهما كراجلين لتعذر الكر والفر ، وقيل لهما أربعة أسهم سهمان لهما وسهمان للفرس ، واختار ابن كج وجها رابعا حسنا وهو أنه إن كان فيه قوة الكر والفر مع ركوبهما فأربعة أسهم وإلا فسهمان .

(فائدة أجنبية) قال فى شرعة الإسلام : إن مقدم العسكر ينبغى له أن يتشبه بأصناف من الخلق فيكون فى قلب الأسد لا يجبن ولا يفر ، وفى كبر النمر لا يتواضع للعدو ، وفى شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه ، وفى الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل ، وفى الغارة كالذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه ، وفى حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها ، وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه ، وفى الصبر كالحمار إذا أثقله ضرب السيوف وطعن الرماح ونصول السهام ، وفى الوفاء كالكلب إذا دخل سيده النار تبعه ، وفى التماس الفرصة كالديك ، وفى الحراسة كالكركى ، وفى التعب كاليعر : وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والكد والشقاء كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء .

(فرع) حمار نزا على فرس فأحبلها يكون لبن الفرس حلالا طاهرا ، ولا حكم للفحل فى اللبن فى هذا الموضع بخلاف الأناسى ، لأن لبن الفرس حادث من العلف فهو تابع للحمها ولم يسر وطء الفحل إلى هذا اللبن فإنه لا حرمة هناك تنتشر من جهة الفحل إلا إلى الولد خاصة ، فإنه يكون منه ومن الأم فغلب عليه التحريم ، وأما اللبن فلم يتكون بوطئه وإنما تكون من العلف فلم يكن حراما .

(فائدة) كان للنبي صلى الله عليه وسلم أفراس (السكب) اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشرة أواق بالمدينة، وكان أدهم، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس فسماه النبي صلى الله عليه وسلم السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل، والسكب أيضا شقائق النعمان، وهو أول فرس غزا عليه النبي صلى الله عليه وسلم (وسبحة) وهو الذي سابق عليه صلى الله عليه وسلم فسبق ففرح بذلك (والمرتجز) الذي تقدم ذكره سمي بذلك لحسن صهيله. (ولزاز) قال السهيلي: ومعناه أنه لا يسابق شيئا إلا لزه، أي أثبته. (الظرب واللخيف) قال السهيلي: كأنه يلحف الأرض بجريه، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخاري في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (والورد) أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحمل عليه في سبيل الله تعالى، وهو الذي وجده يباع برخص هذه السبعة متفق عليها وقيل كان له صلى الله عليه وسلم غيرها: وهي الأبلق، وذو العقال، والمرتجل، وذو اللمة، والسرحان، واليعثوب، والبحر، وكان كميتا، والأدهم، وملاوح، والطرف بكسر الطاء المهملة، والسحا، والمراوح والمقدام، ومندوب والضرير، ذكره السهيلي في أفراسه صلى الله عليه وسلم، فهذه خمسة عشر فرسا مختلف فيها وقد بسط الكلام عليها الحافظ الدمياطي وغيره.

(الأمثال) قال صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كفرسي رهان كادت تسبق إحداهما الأخرى بأذنها» وقالوا: هما كفرسي رهان يضرب للاثنين يستويان في الشيء، وهذا التشبيه يقع في الإبتداء لا في الإنتهاء، لأن النهاية تجلي عن سبق أحدهما لا محالة، وقالوا: أبصر من فرس وأطوع وأشد، وقالوا: فلان كالأشقر إن تقدم نحر وإن تأخر عقر، لأن العرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر.

(تتمة) ذكر في [الإحياء] في الباب الثالث من كتاب أحكام الكسب: روى عن بعض الغزاة في سبيل الله قال: حملت على فرسي لأقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت، ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر بي فرسي، ثم حملت الثالثة فقصر بي فرسي وكنت لا أعتاد منه ذلك، فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم، فرأيت في المنام كأن الفرس يخاطبني ويقول لي: بالله عليك أردت أن تأخذ العلج على ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا، فانتبهت فزعا وذهبت إلى العلاف وأبدلت له ذلك الدرهم اه.

(تتمة أخرى) روى ابن بشكوال في كتاب [المستغيثين بالله عز وجل] عن عبد الله ابن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه أنه قال: خرجت إلى الجهاد ومعي فرس، فبينا

أنا فى بعض الطريق إذ صرع الفرس ، فمر بى رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال : تحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم . فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره وقال : أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا إله إلا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة إلا بالله ، ألا انصرفت . قال : فانتفض الفرس وقام ، فأخذ الرجل بركابى وقال : اركب ، فركبت ولحقت بأصحابى ، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا فقلت : ألست صاحبى بالأمس ؟ قال : بلى ، فقلت : سألتك بالله من أنت؟ فوثب قائما فاهتزت الأرض تحته خضراء، فإذا هو الخضر عليه السلام. قال ابن المبارك رضى الله تعالى عنه : فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفى بإذن الله تعالى .

(الخواص) إذا علقت سن الفرس العربى على صبى سهل طلوع أسنانه بلا ألم ، وإن وضعت سنه تحت رأس من يغط فى النوم انقطع غطيطه ، ولحمه يطرد الرياح ، وعرقه يطلى به عانة الصبى وإبطه فلا ينبت فيهما شعر ، وهو سم قاتل للسباع والثعابين جميعا ، وإذا أخذت شعرة من ذنب فرس وجعلت على باب بيت ممدودة لم يدخل ذلك البيت بق مادامت الشعرة كذلك ، وإن شربت امرأة دم برذون لم تحبل أبدا ، ورماد حافر الفرس إذا خلط بزيت وجعل على الخنازير أبرأها ، وإذا سقيت امرأة لبن فرس وهى لا تعلم أنه لبن فرس وجامعها زوجها من ساعتها حملت منه بإذن الله تعالى ، وإن شربته بالعسل صارت مجامعتها لذيذة ، وإذا سحق بصل الفأر ومسح به أسنان الفرس الحرون لان وذهبت صعوبته ، وزبل الفرس إذا جفف وسحق وذر على الجراحات قطع دمها ، وإن كحل به البياض العارض فى العين أزاله ، وإن دخل به أخرج الولد من البطن .

(فصل فى صبغ البراذين) قال صاحب عين الخواص : إذا سخن الماء تسخينا شديدا بحيث يذهب الشعر وصب على البرذون فإنه يحلق شعره ذلك وينبت له شعر مخالف لما ذهب عنه من اللون . قال : ومما يصير الأشهب أدهم أن يؤخذ مرداسنج وعفص وذنجار ونورة وزاج الأساكفة وطين خورى بالسوية يدق الجميع ويعجن بماء حار ويصبغ به الفرس والبرذون ويترك يوما وليلة ثم يغسل من الغد فيصير أدهم ، وإن طلى بعض جسده بذلك وترك بعضه كان أبلق ، ومما يصير به الأدهم أبرش الحرض إذا طبخ مع ورق الدفلى وصفى ماؤه ثم طبخ أيضا مع القلى ومخ جوز سائل ثم يغسل به البراذين فتصير شهباء ، ومما يصير الأشهب أدهم أيضا أن يؤخذ قشور الجوز الرطب وتطبخ مع الآس ووسخ الحديد ، ثم يغسل به البرذون غسلا نقيا ويطلى بذلك فيصير أدهم ويبقى سواده ستة أشهر ، والله أعلم .

(التعبير) الفرس فى الرؤيا تعبر للحامل بولد ذكر فارس ، وتعبر برجل وتجارة وشريك وامرأة ، فمن رأى فرسا مات فى يده فذلك موت من ينسب إليه الفرس من الولد أو المرأة أو الشريك ، والفرس الأبلق فى الرؤيا أمير مشهور ، وقد تقدم ذكره فى باب الخاء المعجمة فى لفظ الخيل ، والفرس الأسود والأدهم يدلان على المال ، والأصفر والمريض يدلان على المرض لمن ركب أحدهما أو كليهما ، والأشقر يدل على دين وحزن ، وقيل فتنة .

وقال ابن سيرين رحمه الله : لا أحب الأشقر لشبهه بالدم والأشهب يعبر برجل صاحب قلم كذا عبره ابن سيرين وقال : ألا تراه سوادا فى بياض؟ والكميت يدل على القوة واللهو ، وربما دل على الحرب والضرب ، ومن ركب فرسا وأجراه حتى عرق فإنه يركب أمرا فيه هوى نفس وتلف مال لمكان العرق والعرق أيضا تعب ، وأما الركض فإنه ارتكاب هوى لقوله تعالى — لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه — ومن نزل عن فرسه ولم يكن له نية فى الرجوع فإنه يعزل إن كان واليا ، والفرس الجموح رجل مجنون ، والحرون متهاون بطىء بطر ، ومن رأى شعر ذنب فرسه كثيرا زاد ماله وأولاده ، وإن كان سلطانا كثر جيشه ، ومن قطع ذنب فرسه فإنه لايخلف ولدا وإن كان له أولاد فإنهم يموتون ، وإن كان سلطانا ذهب جيشه ، وكذلك إذا كان منتوفا تفرق الجيش الذى يتبع صاحب الفرس ، ومن ركب فرسا وكان ممن يليق به ركوب الخيل نال عزا وجاها ومالا لقوله عليه الصلاة السلام « الخيل معقود فى نواصيها الخير » وربما صادف رجلا جوادا وربما سافر لأن السفر مشتق من الفرس ، فإذا كان حصانا تحصن من عدوه ، وإن كان مهرا رزق ولدا جميلا ، وإن كان أكديشا ربما عاش زمانا ، وإن كان برذونا توسط حاله وعاش لا يستغنى ولا يفتقر ، وإن كان الفرس حجرا تزوج إن كان أعزب امرأة ذات جمال ومال ونسل ، والأصيل شريف بالنسبة إلى غير الأصيل ، وربما دلت الفرس على الدار الحسنة البناء .

وقال ابن المقرى : من رأى أنه ركب فرسا أشهب نال عزا ونصرا على العدو لأنه من خيل الملائكة ، والأدهم هم ، والأغر المحجل علم وورع ودين لقوله صلى الله عليه وسلم « إنكم سترودون على يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء » ومن ركب كميتا ربما شرب خمرا لأنه من أسمائها ، ومن ركب فرسا لغيره نال منزلته أو عمل بسنته خصوصا إن كان مركوبا معروفا ويليق به انتهى ، ومن رأى أنه يقود فرسا فإنه يطلب خدمة رجل شريف ، ولا خير فى ركوب الفرس فى غير محل الركوب كالسطح والحائط والحبس ، وربما دل الفرس الخصى على خادم ، واعتبر بكل مركوب ما يليق فالسرج للفرس والكور للجمل وكذلك المحمل والهودج والمحفة للبغال والبراذع للحمير ، فمن ركب حيوانا بما يليق به من العدة تكلف أو كلف غيره مالا يليق ، والدابة بلا لجام ولا مقود امرأة زانية لأنها كيفما

أرادت مشت ، وكذلك الفرس العاثر ، ومن رأى أنه يأكل لحم فرس نال ثناء حسنا واسما صالحا ، وقيل إنه مرض لصفرته ، ومن نازعه فرسه خرج عليه عبده وإن كان تاجرا خرج عليه شريكه .

ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه فقال : رأيت كأنى راكب على فرس قوائمه من حديد؟ فقال له ابن سيرين رحمه الله : توقع الموت ، والله تعالى أعلم .

﴿ فرس البحر ﴾ : حيوان يوجد فى نيل مصر له ناصية كناصية الفرس ورجلاه مشتوقتان كالبقر ، وهو أفطس الوجه له ذنب قصير يشبه ذنب الخنزير ، وصورته تشبه صورة الفرس إلا أن وجهه أوسع وجلده غليظ جدا ، وهو يصعد إلى البر فيرعى الزرع ، وربما قتل الإنسان وغير .

(وحكمه) حل الأكل لأنه كالخيل المتوحشة التى تعدو فى غالب أحيانها .

(الخواص) إذا أحرق جلده وخلط بدقيق كرسنة وطلى به داء السرطان أبرأه فى ثلاثة أيام ، ومرارته إذا تركت فى الماء ثلاثين يوما ثم سحقت واكتحل بها أربعة عشر يوما أو أربعة وعشرين بعسل لم تصبه النار أذهبت الماء الأسود من العين ، وسنه نافعة لوجع البطن إذا علقت على من أشرف على الموت من وجع المعدة من التخمة والامتلاء يبرأ بإذن الله تعالى ، وجلده إذا دفن فى وسط قرية لم يقع فيها شىء من الآفات ، وإذا أحرق وجعل على الورم أذهبه وسكن وجعه .

(التعبير) الفرس البحرى فى الرؤيا يدل على كذب وأمر لا يتم .

(فصل) والبحر فى الرؤيا يعبر بملك ، وحبس لمن وقع فيه ولم يمكنه الخروج منه ، وبرجل علم وكريم فيقال بحر علم وبحر كرم ، ويعبر بالدنيا فمن رأى كأنه قاعد على متن البحر أو مضطجع عليه فإنه يداخل ملكا ويكون منه على خطر لأن الماء لا يؤمن من الغرق فيه ، ومن رأى أنه شرب من ماء البحر نال مالا من الملك فإن شربه كله نال مال الملك كله ، ومن رأى البحر من بعيد ولم يخالطه فإن ذلك أمر يفوته ، ومن رأى أنه يشرب من مائه وله شريك فإنه يفارقه لقوله تعالى — وإذ فرقنا بكم البحر — ومن رأى كأنه يمشى فى البحر فى طريق يابس فإنه يأمن من الخوف لقوله تعالى — فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى — ومن رأى أنه غاص فى البحر ليخرج شيئا من الدر فإنه يدخل فى غامض العلم ، ومن قطع البحر سبحا إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هول وغم ، ومن سبح فى البحر فى زمن الشتاء ناله هم من قبل ملك أو أصابه مرض أو يحبس أو يناله وجع من الرياح ، وإذا دخل البحر إلى درب الناس وبل القماش أو أكل وحشه طعام الناس

فإن الملك يظلم أهل تلك الناحية ، وربما دل على طول الشقاء فى تلك السنة لاسيما إذا كان مضطربا كثير الموج فإنه يدل على مضار كثيرة .

والبحيرة فى الرؤيا تدل على القضاة والولاة والموالى الذين يفعلون الأشياء بالأمر ، والبحيرة الصغيرة تدل على امرأة غنية . والبحر إذا كان هادئا دل على البطالة ، والبحيرة للمسافر تدل على تعذر السفر .

(تتمة) وأما النهر فى الرؤيا فإنه يدل على رجل جليل ، فمن دخل فى نهر فإنه يخالط رجلا من الأكابر ، ولا يحمد الشرب من النهر ، وقيل إنه يدل على سفر لمن دخله لأن ماءه متنقل مسافر ، ومن رأى أنه وثب من النهر إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هم وينصر على عدوه ، والدخول فى النهر دخول فى عمل السلطان ، وإذا جرى الماء فى الأسواق والناس يتوضئون منه وينتفعون به فذلك عدل من السلطان ، فإن جرى فوق الأسطحة وبل قماش الناس فى دورهم فذلك جور من السلطان أوعدو يطغى على الناس ، ومن رأى نهرا خرج من داره ولم يضر أحدا فإنه معروف منه يصل إلى الناس ، ومن رأى أنه صار نهرا فإنه يموت بنزف الدم .

(فصل) وأما رؤية عين الماء فإنها كرامة ونعمة وبلوغ أمنية إذا كان الرائى مستورا ، ومن رأى كأن عينا نبعت من داره دل على مشترى جارية ، فإن خرجت من الدار إلى ظاهرها فإنه مال قد ذهب ، والماء الراكد فى الدار هم باق فإن كان صافيا فهم مع صحة جسم ، ولا يكره من العيون إلا ما ركد ماؤه ولم يجر ، ومن شرب من ماء عين أصابه هم ، فإن كان باردا فلا بأس به ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرسه ﴾ : صغار الإبل ، وقيل هو من الإبل والبقر والغنم مالا يصلح إلا للذبح ، ومنه قوله تعالى — حمولة وفرشا — قدم الحمولة على الفرش لأنها أعظم فى الانتفاع إذ ينتفع بها فى الأكل والحمل. قال الفراء : ولم أسمع للفرش بجمع .قال : ويحتمل أن يكون مصدرا سمى به من قولهم : فرشها الله تعالى فرشا : أى بثها بثا .

﴿ الفرانق ﴾ : بضم الفاء البريد وهو الذى ينذر بالأسد ، وقد تقدم فى باب الباء الموحدة .

﴿ الفرفر ﴾ : كهدهد طير من طيور الماء صغير الجثة على قدر الحمام .

﴿ الفرفور ﴾ : كعصفور طائر . قاله الجوهرى : ولعله الذى قبله .

﴿ الفرع ﴾ : بفتح الفاء الراء المهملة وبالعين المهملة فى آخره أول نتاج البهيمة ، ثبت

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لافرع ولا عتيرة » وذلك أنهم كانوا يذبحونه ولا يأكلونه رجاء البركة فى الأم وكثرة نسلها ، والعتيرة بفتح العين المهملة : ذبيحة كانوا يذبحونها فى اليوم الأول من شهر رجب ويسمونها الرجبية .

(الحكم) فى كراهتهما وجهان ، الصحيح الذى نص عليه الشافعى واقتضته الأحاديث أنهما لا يكرهان بل يستحبان .

وروى أبو داود باسناد حسن « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن معاقرة الأعراب » وهى مفاخرتهم ، فإنهم كانوا يتفاخرون بأن يعقر كل واحد منهم عددا من إبله فأيهم كان عقره أكثر كان غالبا ، فكره النبى صلى الله عليه وسلم لحمها لئلا يكون مما أهل به لغير الله تعالى .

وروى أبو داود أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين .

(فائدة) حكى الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهانى وغيره : أن الفرزدق الشاعر المشهور واسمه همام بن غالب كان أبوه غالب رئيس قومه ، وأن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فعقر غالب أبو الفرزدق المذكور لأهله ناقة وصنع منها طعاما ، وأهدى إلى قوم من بنى تميم جفانا من ثريد ، ووجه جفنة منها إلى سحيم بن وثيل الرياحى رئيس قومه ، وهو القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

وقد تمثل بذلك الحجاج فى خطبته يوم قدم الكوفة أميرا ، فكفأها سحيم وضرب الذى أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب إذا نحر هو ناقة نحرت أنا أخرى ، فوقعت المعاقرة بينهما فعقر سحيم لأهله ناقة فلما أن كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين ، فعقر سحيم لأهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب لأهله ثلاثا ، فعقر سحيم لأهله ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة ، فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا وأسرها فى نفسه ، فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ، فاعتذر بأن إبله كانت غائبة ثم عقر ثلثمائة ناقة ، وقال للناس : شأنكم والأكل ، وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ، فاستفتى فى حل الأكل منها فقضى بحرمتها وقال : هذه ذبحت لغير مأكلة ، ولم يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة ، فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها الكلاب والعقبان والرخم .

﴿ الفرعل ﴾ : كقنفذ ولد الضبع والجمع الفراعل .

روى البيهقى عن عبد الله بن زيد قال : سألت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه عن ولد الضبع ؟ فقال : ذاك الفرعل فيه نعجة من الغنم . قال أبو عبيد : الفرعل عند العرب ولد الضبع ، والذى يراد من هذا الحديث قوله نعجة من الغنم يعنى أنها حلال بمنزلة الغنم . قال الكميت :

وتسمع أصوات الفراعل حوله يعاون أولاد الذئاب الهقالسا

يعنى حول الماء الذى وردوه .

(الأمثال) قالوا : أغزل من فرعل ، وهو من الغزل والمراودة .

وقال الميدانى : هو من الغزل بمعنى الخرق ، يقال غزل الكلب إذا تبع الغزال فإذا أدركه ثغا الغزال فى وجهه ففتر ودهش ، ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده فقالوا : أغزل من فرعل انتهى .

وقال ابن هشام : إن عكرمة بن أبى جهل ألقى رمحه يوم الخندق وانهزم ، فقال فيه حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

وفر وألقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
وولیت تعدو كعدو الظلیـ م ما أن يجوز عن المعدل
ولم تبق ظهرك مستأنسا كأن قفاك قفا فرعل

﴿ الفرقد ﴾ : ولد البقرة ، وأبو فرقد كنية الثور الوحشى .

﴿ الفرنب ﴾ : بكسر الفاء قال ابن سيده : هو الفأر ، وقيل ولد الفأر من اليربوع .

﴿ الفرهود ﴾ : كجلمود ولد السبع ، وقيل ولد الوعل ، ويقال أيضا للغلام الغليظ . وصرفوه فقالوا : تفرهد إذا سمن .

﴿ الفروج ﴾ : الفتى من الدجاج ، والضم فيها لغة حكاها اللحيانى ، والجمع الفراريج . أنشد الجوهرى عن الأصمعى :

أقبلن من بئر ومن سواج والقوم قد ملوا من الإدلاج
يمشون أفواجا على أفواج مشى الفراريج مع الدجاج

(وحكمه وخواصه) كالدجاج .

(وأما تعبيره) فالفراريج فى الرؤيا هى أولاد السبى لأن الدجاج جوار ، ومن سمع أصوات الفراريج فإنه يسمع كلام قوم فسقة ، ومن أكل لحم الفراريج أكل مالا من رجل كريم ، والفراريج تدل على أمر يتألف عاجلا بلا تعب لأن الفراريج لا تحتاج إلى كافة التربية ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفرير والفرار ﴾ : ولد النعجة والماعزة والبقرة ، ويقال هو من أولاد المعز ماصغر جسمه ، وقيل الفرير واحد والفرار جمع قاله ابن سيده .

﴿ فافس ﴾ : كخنافس حيوان كالقراد شديد النتن قاله ابن سينا . وقال القزوينى : يشبه أن يكون البق إذا سحقت وجعلت فى ثقبة الإحليل نفعت من عسر البول ، وقد تقدم فى باب الباء الإشارة إلى هذا .

﴿ الفصيل ﴾ : ولد الناقة إذا فصل عن رضاع أمه ، وهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول ، والجمع فصلان بضم الفاء وفصال بكسرها .

روى الإمام أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال « خرج النبى صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى ، فقال صلى الله عليه وسلم : صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » وهى أن تحمى الرمضاء وهو الرمل فتبرك الفصال من شدة حرها وإحراقها أخفافها .

وروى الإمام أحمد أيضا وأبو داود من حديث دكين بن سعيد الخثعمى قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام ، فقال عليه الصلاة والسلام : ياعمر اذهب فأطعمهم ، فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح ففتح الباب فإذا فى الغرفة من التمر شبه الفصيل الرابض فقال : شأنكم ، فأخذ كل منا ماشاء من ذلك التمر ثم التفت وإنى لمن آخرهم فكأنما لم نرزأ منه تمرة » .

وقال ابن عطية فى تفسير سورة الفلق : حدثنى ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع أمهاتهن ، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فى الحين فرضع .

(فرع) دخل فصيل رجل فى بيت رجل ولم يمكن إخراجه إلا بنقض البناء فإن كان بتفريط صاحب البيت بأن غصبه وأدخله نقض ولم يغرم صاحب الفصيل شيئا ، وإن كان بتفريط صاحب الفصيل نقض البناء ولزمه أرش النقض ، وإن دخل بنفسه نقض أيضا ولزم صاحب الفصيل أرش النقض على المذهب ، وبه قطع العراقيون ، وقيل وجهان ثانيهما لا أرش عليه .

(الأمثال) قالوا : أتخم من فصيل ، لأنه يرضع أكثر مما يطيق ثم يتخم ، وقالوا : كفضل ابن الخاص على الفصيل : أى الذى بينهما من الفضل قليل ، يضرب للمتقاربين فى رجوليتهما ، وقالوا : استنت الفصال حتى القرعى ، يضرب للذى يتكلم مع الذى لاينبغى له أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره ، والقرعى جمع قريع كمريض ومرضى ،

وهو الذى به قرع بالتحريك ، وهو بثر أبيض يطلع فى الفصال ، ودواؤه الملح وحباب ألبان الإبل ، والله تعالى أعلم .

(التعبير) الفصيل فى المنام : ولد شريف ، وكل صغير من الحيوان إذا مسه الإنسان فهو هم ، والله أعلم .

﴿ الفلحس ﴾ : كجعفر الدب والكلب المسن ، وفلحس رجل من رؤساء بنى شيبان كان إذا أعطى سهمه من الغنيمة سأل سهما لامرأته وسهما لناقته فقيل أسأل من فلحس .

﴿ الفلو ﴾ : والفلو والفلو بضم الفاء وفتحها وكسرها المهر الصغير والجمع أفلاء . قال سيبويه : لم يكسروه على فعل كراهة الإخلال ، ولا كسروه على فعلان كراهة الكسرة قبل الواو ، وإن كان بينهما حاجز لأن الساكن ليس بحاجز حصين . قاله ابن سيده ، وقال الجوهرى : الفلو بتشديد الواو المهر لأنه يفتلى عن أمه أى يفطم ، وقد قالوا للأنثى فلوة كما قالوا عدو وعدوة والجمع أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى مثل خطايا وأصله فعائل . وقال أبو زيد : إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرت خففت فقلت فلو مثال جرو وفلوته عن أمه وافتليته إذا فطمته ، وفرس مفل ومفلية ذات فلو اه .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماتصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كان تمرة فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » . وفى رواية « فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل » .

قال الماوردى وغيره : هذا الحديث وشبهه إنما عبر به النبى صلى الله عليه وسلم على ما اعتاده فى خطابهم ليفهموا ، فكنى هنا عن قبول الصدقة بأخذها بالكف وعن تضعيف أجرها بالتربية . قال القاضى عياض : لما كان الشىء الذى يرتضى ويعز يتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل فى مثل هذا واستعير للقبول والرضا إذ الشمال بضد ذلك فى هذا قال ، وقيل المراد بكف الرحمن هنا وبيمينه كف الذى يدفع إليه الصدقة ويمينه ، وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لتوضع هذه الصدقة فيها لله عز وجل . قال : وقد قيل فى تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل إن المراد بذلك تعظيم ذاتها ، ويبارك الله تعالى فيها ويزيدها من فضلها حتى تثقل فى الميزان .

وهذا الحديث نحو قوله تعالى : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

وفى سنن أبى داود : من حديث الزبير بن العوام أنه حمل على فرس يقال له غمر

أو غمرة ، فرأى مهرا أو مهرة من أفلائها تباع تنسب إلى فرسه فنهى عنها أى نهى عن ابتياعها وعن إدخالها فى ملكه بعد أن تصدق بها ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفناة ﴾ : البقرة والجمع فنوات .

﴿ الفنك ﴾ : كالعسل دويبة يؤخذ منها الفرو . وقال ابن البيطار : إنه أطيب من جميع الفراء يجلب كثيرا من بلاد الصقالبة ، ويشبه أن يكون فى لحمه حلاوة ، وهو أبرد من السمور وأعدل وأحر من السنجاب يصلح لأصحاب الأمزجة المعتدلة .

(وحكمه) الحل لأنه من الطيبات ، ونقل الإمام أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن أبى يوسف أنه قال فى الفنك والسنجاب والسمور : كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس .

﴿ الفنيق ﴾ : الفحل الكريم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم ، وجمعه فتق وأفناق ، ومنه حديث الحجاج لما حصر ابن الزبير بمكة ونصب المنجنيق عليها ، وقال : حظاؤه كالجمل الفنيق .

﴿ الفهد ﴾ : واحد الفهود ، وفهد الرجل أشبه الفهد فى كثرة نومه وتمرده ، وفى حديث أم ذرع « إن دخل فهد » وزعم أرسطو : أنه يتولد بين نمر وأسد ومزاجه كمزاج النمر ، وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب فى أدوائه ودوائه ، ويقال إن الفهدة إذا أثقلت بالحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده ، فإذا أرادت الولادة هربت إلى موضع قد أعدته لذلك .

ويضرب بالفهد المثل فى كثرة النوم ، وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان فى ركوبه ، ومن خلقه الغضب ، وذلك أنه إذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلى رئته من الهواء الذى حبسه ، فإذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه .

قال ابن الجوزى : إن الفهد يصاد بالصوت الحسن : قال : ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات ولم يدركه غضب ، ومن خلقه أنه يأنس لمن يحسن إليه ، وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها ، وأول من اصطاد به كليب بن وائل ، وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان ، وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى .

(فائدة) سئل الكيا الهراسى الفقيه الشافعى عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة أم لا ؟ وهل يجوز لعنه أم لا ؟ فأجاب إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى أيام عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبى حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح ، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح ، وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر ، ومن شعره فى الخمر قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعى صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم

وكتب فصلا طويلا أضربنا عن ذكره ، ثم قلب الورقة وكتب : ولو مددت ببياض لأطلقت العنان وبسطت الكلام فى مخازى هذا الرجل .

وقد أفتى الغزالى فى هذه المسألة بخلاف ذلك ، فإنه سئل عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصا فيه؟ وهل كان يريد قتل الحسين أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل ؟ فأجاب لايجوز لعن المسلم أصلا ومن لعن المسلم فهو الملعون . وقد قال عليه الصلاة والسلام « المسلم ليس بلعان » وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهى عن ذلك ؟ وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويزيد صح إسلامه وماصح قتله للحسين رضى الله تعالى عنه ولا أمره ولا رضاه بذلك ، ومهما لم يصح ذلك عنه لم يجز أن يظن ذلك به ، فإن إساءة الظن أيضا بالمسلم حرام قال الله تعالى : — يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم — وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه ، وأن يظن به ظن السوء » ومن أراد أن يعلم حقيقة من الذى أمر بقتله لم يقدر على ذلك ، وإذا لم يعلم وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به ، ومع هذا لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلما فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية ، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب من قتل ؟ ولم يعرف أنه قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، فإذا لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقا عاصيا لله عز وجل ، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالإجماع بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لايقال له فى القيامة لم لم تلعن إبليس ، ويقال للاعن لم لعنت ومن أين عرفت أنه ملعون؟ والملعون هو المبعد من الله عز وجل ، وذلك لايعرف إلا فيمن مات كافرا فإن ذلك علم بالشرع ، وأما الترحم عليه فجائز بل مستحب بل داخل فى قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنه كان مؤمنا اهـ .

والكيا الهراسى هو أبو الحسن عماد الدين على بن محمد الطبرى كان من رءوس معيدى إمام الحرمين وثانى الغزالى ، وتوفى فى المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد ، وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبى وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى مقدما الطائفة الحنفية ، وكان بينهما وبينه فى حال الحياة منافسة ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الدامغانى :

وما تغنى النوادب والبواكى وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبى :

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمام ذكر شىء من مناقب الإمام الغزالى ، ووفاته رحمه الله تعالى .

وذكر ابن خلكان : أن الرشيد خرج مرة إلى الصيد فانتهى به الطرد إلى موضع قبر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الآن ، فأرسل فهودا على صيد فتبعت الصيد إلى موضع قبره ووقفت الفهود عند موضع القبر الآن ، ولم تتقدم على الصيد ، فتعجب الرشيد من ذلك فجاءه رجل من أهل الخبرة ، وقال : يا أمير المؤمنين أرأيتك إن دللتك على قبر ابن عمك على بن أبى طالب مالى عندك ؟ قال : أتم مكرمة . قال : هذا قبره ، فقال له الرشيد : من أين علمت ذلك ؟ قال : كنت أجىء مع أبى فيزور قبره ، وأخبرنى أنه كان يجىء مع جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه فيزوره ، وأن جعفرا كان يجىء مع أبيه محمد الباقر فيزوره ، وإن محمدا كان يجىء مع أبيه على زين العابدين فيزوره ، وأن عليا كان يجىء مع أبيه الحسين فيزوره ، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر ، فأمر الرشيد أن يحجر الموضع فكان أول أساس وضع فيه ، ثم تزايدت الأبنية فيه فى أيام السامانية وبنى حمدان وتفاقم فى أيام الديلم : أى أيام بنى بويه ، قال : وعضد الدولة هو الذى أظهر قبر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعمر المشهد هناك وأوصى أن يدفن فيه . وللناس فى هذا القبر اختلاف متباين حتى قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة الثقفى رضى الله تعالى عنه ، وأصح ما قيل إنه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة انتهى .

قلت : وعلى رضى الله تعالى عنه لا يعرف قبره على الحقيقة .

وعضد الدولة اسمه فناخسرو أبو شجاع بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى وكان عضد الدولة أعظم بنى بويه مملكة دانت له العباد والبلاد وأطاعه كل صعب القياد ، وهو أول من خوطب بالملك فى الإسلام كما تقدم ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ويلقب بتاج الملة أيضا ، وكان محبا للعلوم وأهلها ، وكان يحسن إليهم ويجلس معهم ويفاوضهم ، فقصده العلماء والشعراء من كل بلد وصنفوا له الكتب وامتدحوه ، وقد تقدم ذكر وفاته فى باب الهمزة فى لفظ الإوز .

(الحكم) يحرم أكله لأنه ذو ناب فأشبه الأسد لكنه يجوز بيعه للصيد ولا خلاف فى جواز إجارته .

(الأمثال) قالوا : أثقل رأسا من الفهد ؛ وأنوم من فهد ، وأوثب من فهد ، وأكسب

من فهد ، وذلك أن الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتى فيصيد لها فى كل يوم شبعها .

(الخواص) أكل لحمه يورث حدة الذهن وقوة البدن ، ومن سقى من دمه غلبت عليه البلاهة ، وبرثنه إذا ترك فى موضع هرب منه الفأر . وقال صاحب عين الخواص : قرأت فى بعض الكتب أن بول الفهد إذا تحملت به امرأة لم تحبل : وربما تصير عاقرا .

(التعبير) الفهد فى المنام عدو مذبذب لا يظهر العداوة ولا الصداقة فمن نازعه نازع إنسانا كذلك . وقال ابن المقرى : إن رؤيته تدل على العز والرفعة والدلال مع الصخب والعياط ، وربما دل على ما يدل عليه الجارح من الوحش ، والله تعالى أعلم .

﴿ الفور ﴾ : بالضم الظباء وهو جمع لا واحد له من لفظه ، يقال لا أفعل كذا مالألأت الفور بأذنابها أى حركتها ، ويروى مالألأت العفر بأذنابها وهى الظباء أيضا .

﴿ الفولع ﴾ : طائر أحمر الرجلين كأن رأسه شيب مصبوغ ، ومنها مايكون أسود الرأس وسائر خلقه أغبر حكاه ابن سيده .

﴿ الفيصور ﴾ : كقيطون الحمار النشيط .

﴿ الفويسقة ﴾ : الفأرة . روى البخارى وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «خمروا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب وكفوا صبيانكم فإن للجن سيارة خطفة ، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما أخذت الفتيلة وأحرقت أهل البيت» .

قيل سميت فويسقة لخروجها على الناس واغتيالها إياهم فى أموالهم بالفساد وأصل الفسق الخروج ومن هذا سمى الخارج عن الطاعة فاسقا ، يقال فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عنه .

﴿ الفياد ﴾ : كصياد ذكر البوم ، ويقال الصدى .

﴿ الفيل ﴾ : معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة . قال ابن السكيت ، ولا تقل أفيلة وصاحبه فيال . قال سيبويه . يجوز أن يكون أصل فيل فعل فكسر من أجل الياء كما قالوا أبيض وبيض ، وكنيته أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو دغفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم والفيلة أم شبل ، وفى ربيع الأبرار كنية فيل أبرهة ملك الحبشة أبو العباس واسمه محمود وقد ألغز بعضهم فى اسمه فقال :

ما اسم شئ تركيبه من ثلاث ... وهو دون أربع تعالى الإله
قيل تصحيفه ولكن إذا ما ... عكسوه يصير لى ثلثاه

والفيلة ضربان فيل وزندبيل وهما كالبخاتى والعراب والجواميس والبقر والخيل والبراذين والجرذ والفأر والنمل والذر ، وبعضهم يقول : الفيل الذكر والزندبيل الأنثى ، وهذا النوع لايلاقح إلا فى بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وإن صار أهليا ، وهو إذا اغتلم أشبه الجمل فى ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه وربما جهل جهلا شديدا ، والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين وزمان نزوه الربيع ، والأنثى تحمل سنتين وإذا حملت لايقربها الذكر ولايمسها ولاينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين ؛

وقال عبد اللطيف البغدادى . إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لأنها لا تلد إلا وهى قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات ، ويقال إن الفيل يحقد كالجمل فربما قتل سائسه حقدا عليه ، وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة من وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التى يوصل بها الطعام والشراب إلى فمه ويقاتل بها ويصيح وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبى وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها ، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر فى حالتى السلم والحرب ، وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضا والمقهور منهما يخضع للقاهر ، والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنيه وثقل حمله وخفة وطئه فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته ، ويطول عمره . فقد حكى أرسطو أن فيلا ظهر أن عمره أربعمائة سنة واعتبر ذلك بالوسم ، وبينه وبين السنور عداوة طبيعية حتى إن الفيل يهرب منه كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت ؛

وذكر القزوينى : أن فرج الفيلة تحت إبطها فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إتيانها فسبحان من لا يعجزه شىء ، وفى الحلية فى ترجمة أبى عبد الله القلانسى أنه ركب البحر فى بعض سياحاته فعصفت عليهم الريح فتضرع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور إن نجاهم الله تعالى ، وألحوا على أبى عبد الله فى النذر فأجرى الله على لسانه أن قال : إلى خلصنى الله تعالى مما أنا فيه لا آكل لحم الفيل ، فانكسرت السفينة وأنجاه الله تعالى وجماعة من أهلها إلى الساحل فأقاموا به أياما من غير زاد ، فبينما هم كذلك إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه سوى أبى عبد الله فلم يأكل منه وفاء بالعهد الذى كان منه . قال : فلما نام القوم جاءت أم ذلك الفيل تتبع أثره وتشم الرائحة فكل من وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله . قال : فقتلت الجميع ثم أتت إلى فلم تجد

منى رائحة اللحم ، فأشارت إلىّ أن اركبها فركبتها فسارت بى سيرا شديدا الليل كله ، ثم أصبحت فى أرض ذات حرث وزرع ، فأشارت إلىّ أن انزل فنزلت عن ظهرها ، فحملنى أولئك القوم إلى ملكهم فسألنى ترجمانه فأخبرته بالقصة ، فقال لى : إن الفيلة قد سارت بك فى هذه الليلة مسيرة ثمانية أيام . قال : فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلى .

وفى كتاب [الفرج بعد الشدة] للقاضى التنوخى قال : حدثنى الأصبهانى من حفظه قال : قرأت فى بعض الأخبار الأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى الصين ونازلها أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره فقال له : إن رسول ملك الصين بالباب يستأذن بالدخول عليك ، فقال : ائذن له ، فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض ثم قال : إن رأى الملك أن يخلينى فليفعل ، فأمر الإسكندر من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق سوى حاجبه ، فقال له الرسول : إن الذى جئت له لا يحتمل أن يسمعه أحد غير الملك ، فأمر الإسكندر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شىء من السلاح ، فوضع الإسكندر بين يديه سيفا مصلتا وقال له : قف مكانك وقل ماشئت وأمر حاجبه بالانصراف ، فلما خلا المكان قال له الرسول : اعلم أنى أنا ملك الصين لا رسول له ، وقد حضرت بين يديك لأسألك عما تريد منى ، فإن كان مما يمكن الانقياد له ولو على أصعب الوجوه أجبت إليه واغتنيت أنا وأنت عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما آمنك منى ؟ قال : علمى بأنك رجل عاقل وأنه ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل ، ولعلمى أيضا أنك تعلم أن أهل الصين متى قتلتنى لا يسلمون إليك ملكهم ولا يمنعهم عدمهم إياى أن ينصبوا لأنفسهم ملكا غيرى ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم ، فأطرق الإسكندر مفكرا فى مقالته ثم رفع رأسه إليه وقد تبين له صدق قوله وعلم أنه رجل عاقل ، فقال له : أريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه فى كل سنة ، فقال له ملك الصين : هل غير هذا شىء ؟ قال : لا . قال : قد أجبتك إلى ذلك ، قال : فكيف يكون حالك حينئذ ؟ قال : أكون قتيل أول محارب وأكلة أول مفترس . قال : فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك ؟ قال : أصلح ما يكون ذلك مذهبا لجميع لذاتى . قال : فإن قنعت منك بالسدس ؟ قال : يكون السدس موفرا والباقى للجيش ولأسباب الملك . قال : قد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف .

فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض كثرة وأحاط بجيش الإسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا إلى خيولهم فركبوها واستعدوا ، فبيناهم كذلك إذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعليه التاج ، فلما رأى الإسكندر ترجل ومشى إليه وقبل الأرض بين يديه ، فقال له الإسكندر : أغدرت ؟ فقال : لا والله ، فقال : ما هذا

الجيش ؟ قال : أردت أن أعلمك أنى لم أطعك من قلة ولا ضعف وأن ترى هذا الجيش وما غاب عنك أكثر منه ، لكنى رأيت العالم الأكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منى ومنك وأكثر عددا ، فعلمت أنه من حارب الإله غلب وقهر فأردت طاعته بطاعتك والذلة لأمره بالذلة لك ، فقال له الإسكندر : ليس ينبغى أن يؤخذ من مثلك شىء ، وما رأيت أحدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك ، فقال له ملك الصين : أما إذ فعلت ذلك فإنك لا تخسر ، ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف والألطاف أضعاف ما قرره معه ، ورحل الإسكندر عنه .

قلت : وقد أذكرتنى هذه الحكاية ماحكاه صاحب [ابتلاء الأخيار] عن الإسكندر مع ملكة الصين الأقصى قال : إن الإسكندر لما سار فى الأرض وفتح البلاد سمعت به ملكة الصين فأحضرت من أبصر صورة الإسكندر ممن يعرف التصوير وأمرتهم أن يصوروا صورته فى جميع الصنائع خوفا منه ، فصوروه فى البسط والأوانى والرقوم ثم أمرت بوضع ما صنعوه بين يديها وصارت تنظر لذلك حتى أثبتت معرفته ، فلما قدم عليها الإسكندر ونازل بلدها قال الإسكندر للخضر يوما : قد خطر لى شىء أقوله لك ، قال : وما هو ؟ قال : أريد أن أدخل هذه البلدة متنكرا وأنظر كيف يعمل فيها ؟ قال : افعل ما بدا لك ، فلما دخلها الإسكندر نظرت إليه الملكة من حصنها فعرفته للصور التى عندها فأمرت بإحضاره ، فلما مثل بين يديها أمرت به فوضع فى مطمورة لا يعرف الليل فيها من النهار ، فبقى فيها ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى كادت قوته أن تسقط ، واختبط عسكره لأجل غيبته والخضر يسكنهم ويسليهم ، فلما كان اليوم الرابع مدت ملكة الصين سماطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه أوانى الذهب والفضة والبلور ، وملأت أوانى الذهب باللؤلؤ والزبرجد ، وأوانى الفضة بالدر والياقوت الأحمر والأصفر ، وأوانى البلور بالذهب والفضة ، وما فى ذلك شىء يؤكل إلا أنه مال لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، وأمرت فوضع فى أسفل السماط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء ، وأمرت بإخراج الإسكندر وأجلسته على رأس السماط فنظر إليه فأبهره ذلك وأخذت تلك الجواهر ببصره ولم يرفيه شيئا للأكل ، ثم نظر فرأى فى أدنى السماط إناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى إليه وجلس عنده وسمى وأكل ، فلما فرغ من أكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولا ، فخرجت عليه فقالت له : يا سلطان بعد ثلاثة أيام ماصد عنك هذا الذهب والفضة والجوهر سلطان الجوع وقد أغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد : فمالك والتعرض إلى أموال الناس وأنت بهذه المثابة ؟ فقال لها الإسكندر : لك بلادك وأموالك ولا بأس عليك بعد اليوم ، فقالت له : أما إذ فعلت هذا فإنك لا تخسر ، ثم إنها قدمت له جميع ما كانت قد

أحضرته وكان شيئا يحير الناظر ويذهل الخاطر ومن المواشى شيئا كثيرا ، فنزل إلى عسكره وقبل هديتها ورحل عنها .وذكر غيره أنه كان فى الهدية ثلثمائة فيل ، وأنه دعاها إلى الله تعالى فآمنت وآمن أهل مملكتها .

(غريبة) ذكر صاحب النشوان أن خارجيا خرج على ملك الهند فأنفذ إليه الجيوش فطلب الأمان فأمنه فسار الخارجى إلى الملك ، فلما قرب من بلد الملك أمر الملك الجيش بالخروج إلى لقائه فخرج الجيش بآلات الحرب وخرجت العامة تنتظر دخوله ، فلما أبعدوا فى الصحراء وقف الناس ينتظرون قدوم الرجل فأقبل وهو راجل فى عدة رجال وعليه ثوب ديباج ومئزر فى وسطه جريا على زى القوم، فتلقوه بالإكرام ومشوا معه حتى انتهى إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه ويركبه فى بعض الأوقات ، فقال له الفيال لما قرب منه : تنح عن طريق فيل الملك ، فلم يبد له جوابا، فأعاد عليه القول فلم يبد له جوابا ، فقال له : يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجى : قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى ، فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به ، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجى ولف خرطومه عليه وشاله الفيل شيلا عظيما والناس يرونه ثم خبط به الأرض ، فإذا هو قد وقع منتصبا على قدميه قابضا على خرطوم الفيل ، فزاد غضب الفيل فشاله الثانية أعظم من الأولى وعدا ثم رمى به الأرض فإذا هو قد حصل مستويا على قدميه منتصبا قابضا على الخرطوم ولم ينح يده عنه ، فشاله الفيل الثالثة وفعل به مثل ذلك فحصل على الأرض منتصبا قابضا على الخرطوم وسقط الفيل ميتا لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفس فقتله ، فأخبر الملك بذلك فأمر بقتله ، فقال له بعض وزرائه : يجب أيها الملك أن تستبقى مثل هذا ولا يقتل فإن فيه جمالا للمملكة . ويقال إن للملك خادما قتل فيلا بقوته وحيله من غير سلاح فعفا عنه واستبقاه .

وذكر الطرطوشى وغيره : أن الفيل دخل دمشق فى زمن معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فخرج أهل الشأم لينظروه لأنهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك ، وصعد معاوية سطح القصر للفرجة فلاحت منه التفاتة فرأى رجلا مع بعض حظاياه فى بعض حجر القصر فنزل مسرعا إلى الحجرة فطرق بابها فقيل : من ؟ قال : أمير المؤمنين، ففتح الباب إذ لابد من فتحه طوعا أو كرها، فدخل أمير المؤمنين معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه وقد خاف خوفا عظيما ، فقال له معاوية : يا هذا ما الذى حملك على ما صنعت من دخولك قصرى وجلوسك مع بعض حرمى ؟ أما خفت نقمتى ؟ أما خشيت سطوتى ؟ أخبرنى يا ويلك ما الذى حملك على ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين حملنى على ذلك حلمك ، فقال له معاوية : أرأيت إن عفوت عنك تسترها على فلا تخبر بها أحدا ؟ قال : نعم ! فعفا عنه

ووهب له الجارية ومافى حجرتها وكان شيئا له قيمة عظيمة ، قال الطرطوشى : فانظر إلى هذا الدهاء العظيم والحلم الواسع كيف طلب الستر من الجانى ! انتهى .

(فائدة) لما كان أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حملا بطن أمه حضر أبرهة الأشرم ملك الحبشة يريد هدم الكعبة وكان قد بنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف إليها الحاج ، فخرج رجل من بنى كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وحلف ليهدمن الكعبة ، فخرج ومعه جيش عظيم ومعه فيله محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره ، وقيل ثمانية ، فلما بلغ المغمس وهو على ثلثى فرسخ من مكة مات دليله أبو رغال هناك ، فرجمت العرب قبره والناس يرجمونه إلى الآن .

وروى أبو على بن السكن فى سننه الصحاح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا كان بمكة وأراد أن يقضى حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » ثم إن أبرهة بعث خيلا له إلى مكة فأخذت مائتى بعير لعبد المطلب ، فهم أهل الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به فتركوه وبعث أبرهة إلى أهل مكة يقول لهم : إنى لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فقال عبد المطلب للرسول له : والله لا نريد حربه وما لنا به من حاجة ، هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فهو يحميه ممن يريد هدمه ، ثم خرج عبد المطلب إلى أبرهة ، وكان عبد المطلب جسيما وسيما ما رآه أحد إلا أحبه وكان مجاب الدعوة ، فقيل لأبرهة هذا سيد قريش الذى يطعم الناس فى السهل ويطعم الوحش والطير فى رءوس الجبال : فلما رآه أجله وأجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه : قل له سل حاجتك ؟ فقال : حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال ذلك قال له أبرهة : قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ؟ قد جئت لهدمه فلم تكلمنى فيه ، فقال عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه منك ، قال أبرهة : ماكان ليمتنع منى ؟ فقال عبد المطلب : أنت وذاك ، فرد أبرهة على عبد المطلب إبله ، ثم انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله تعالى ثم قال :

لاهم إن المرء يمـــنع رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك

ثم أرسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ؟ فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر ، فأصبح أبرهة متهيئا

لدخول مكة وهدم البيت وقدم فيله محمودا أمام جيشه ، فلما وجه الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب كذا فى سيرة ابن هشام. وقال السهيلى : نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك فأخذ بأذن الفيل وقال : ابرك محمود أو ارجع راشدا فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه له فبرك الفيل فضربوه بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول فوجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه إلى مكة فبرك . فعند ذلك أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل ، وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ، وإلى هذه القصة أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : « إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين » .

وفى صحيح البخارى وسنن أبى داود والنسائى من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضى الله تعالى عنهما يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس حل حل فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » الخلاء فى الإبل كالحران فى الخيل ، والمعنى فى التمثيل بحبس الفيل أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لو دخلوا مكة لوقع بينهم وبين قريش قتال فى الحرم وأريق فيه دماء وكان منه الفساد ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد سبق فى علمه ومضى فى قضائه أنه سيسلم جماعة من أولئك الكفار ، وسيخرج من أصلابهم قوم مؤمنون ، فلو استبيحت مكة لا نقطع ذلك النسل وتعطلت تلك العواقب ، والله أعلم .

قيل : كان أبرهة المذكور جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوما ، قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة .

وروى أن عبد الملك بن مروان قال لقباث بن أشيم الكنانى : ياقباث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى ، وأنا أسن منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روث الفيل ، وهو أخضر وأنا أعقله .

قال السهيلى : قوله فبرك الفيل فيه نظر لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذى يلزم وضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه

إلى الأرض لما دهمه من أمر الله سبحانه وتعالى : قال : وقد سمعت من يقول : إن فى الفيلة صنفا يبرك كما يبرك الجمل فإن صح وإلا فتأويله كما قدمناه . قال : وقول عبد المطلب لا هم الخ إن العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى ، والحلال متاع البيت وأراد به سكان الحرم ، ومعنى محالك كيدك وقوتك ، والكنيسة التى بناها أبرهة بصنعاء تسمى القليس مثل القبيط سميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرءوس يقال تقلس الرجل وتقلنس إذا لبس القلنسوة ، وتقلس طعاما إذا ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنائها وكلفهم فيها أنواعا من السخر : وكان ينقل إليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس صاحبة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان يشرف منها على عدن ، وكان حكمه فى العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يعمل قطع يده ، فنام رجل من العمال ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت أمه معه وهى امرأة عجوز فتضرعت إليه تستشفع لابنها فأبى إلا قطع يده ، فقالت : اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك ، فقال : ويحك ! ما قلت ؟ قالت : نعم ، كما صار هذا الملك من غيرك إليك فهو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك ، فأخذته موعظتها وعفا عن ولدها وأعفى الناس من السخر فيها ، فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق أقفر ما حول هذه الكنيسة وكثر حولها السباع والحيات ، وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير مقنطرة من الأموال إلى زمن أبى العباس السفاح فذكروا له أمرها وما يتهيب من جنها ، فلم يرعه ذلك وبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن ومعه أهل الحزم والجلادة فخربها واستأصلها وحصل منها مالا كثيرا ، وباع منها ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فخفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذى يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كعيب وامرأته وهما صنمان كانت الكنيسة بنيت عليهما فلما كسر كعيب وامرأته أصيب الذى كسرهما بالجذام ، فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم . وذكر أبو الوليد الأزرقى أن كعيبا كان من خشب ، وأن طوله كان ستين ذراعا ، وإلى قصة أبرهة أشرت بقولى فى المنظومة فى أول كتاب السير :

فجاءهم أبرهة بالفيله ... وبجيوش أقبلت محتفله
وأمهم فى عسكر كالليل ... مستظهرا برجله والخيل
وقد أتى الأسود نحو الحرم ... واستاق ماكان به من نعم
فأم ذاك الوقت عبد المطلب ... أبرهة والسعى فى الخير طلب

فلما رأى أبرهة وجها سما مهابة عظمه رب السما
انحط عن سريره منهبطا وقعدا على بساط بسطا
وقال سل ماشئت من أمور فقال رد مائتى بعير
قد أخذت من جملة الأموال فقال قد هونت فى السؤال
لو قلت لى لا تهدمن البيتا وارجع وعد من حيثما أتيتا
قابلت ماقلت بالامتثال من غير إمهال ولا إهمال
فقال هدى إبلى وهذا بيت له خالقه أعاذا
لأأسأل اليوم سواه فيه إن له ربا علا يحميه
ثم أتى شيبة باب الكعبه فقال إذ يسأل فيه ربه
يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع عنهم حماك
إن عدو البيت من عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا
فأجلبوا برجلهم والخيل وأقبلوا كقطع من ليل
محموده من فوقه مذموم بهيمة سواده بهيم
يروم هدم البيت ذى الأركان وقتل من فيه من السكان
ويستحل الحرم المعظما ويستبيح البلد المحرما
فقام يدعو الله عبد المطلب بدعوات جيشهن ماغلب
فى يده حلقته الوثقى التى خاب من أمسكها فى أزمة
فأنجز الله له ما طلبه وأنجح الرب العظيم مطلبه
وفيلهم محمود ليل داجى وكان بكنى بأبى الحجاج
وقال قوم بأبى العباس وكان معروفا بعظم الباس
أمسكه بأذنه نفيل قال له وشاع هذا القيل
ابرك وارجع راشدا محمود فإن هذا بلد محمود
فأوجعوه بالحديد ضربا للسير نحو البيت وهو يأبى
وإن يوجه لسواه يبتدر ثم عليه أحد لم يقتدر
فأرسل الله على الذى فجر طير أبابيل رمت جنس الحجر
مهيأ للقوم من سجيل فهم كعصف بعدها مأكول
والملك المطاع عضوا عضوا مزق ثم لم ينل مرجوا
وكان عام الفيل عام المولد لأحمد خير الورى محمد

(فائدة أخرى) إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ : « كهيعص — حم عسق »

وعدد حروف الكلمتين عشرة يعقد لكل حرف أصبعا من أصابعه يبدأ بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهام يده اليسرى ، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل فإذا وصل إلى قوله تعالى : — ترميهم — كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة أصبعا من الأصابع المعقودة فإذا فعل ذلك أمن شره ، وهو عجيب مجرب .

(ومن الفوائد المجربة) ما أفادنيه بعض أهل الخير والصلاح أن من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم مائة مرة عشرة أيام متوالية ويقصد من يريده بالضمائر ، وفى اليوم العاشر يجلس على ماء جار ويقول : اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر ، اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم ، اللهم إن فلانا ظلمنى وآذانى ولا يشهد بذلك غيرك ، اللهم إنك مالكه فأهلكه ، اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى ، اللهم اقصفه يكرر هذه اللفظة عشر مرات ، ثم يقول — فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق — فإن الله يهلكه ويكفيه شره ، وهو سر لطيف مجرب .

وروى أن عمرو بن معد يكرب رضى الله تعالى عنه حمل يوم القادسية على رستم ، وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين ، فاستقبل عمرو رستم وكان رستم على فيل عظيم فحذف عمرو قوائمه بضربة فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم ، وهذه الضربة لم يسمع بمثلها فى الجاهلية ولا فى الإسلام .

وروى أن الروم حملت القوائم المذكورة وعلقوها فى كنيسة لهم فكانوا إذا عيروا بانهزام يقولون : لقينا قوما هذه ضربتهم ، فيترجل أبطال الروم فيرونها ويتعجبون من ذلك.

وذكر أبو العباس المبرد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قال يوما : من أجود العرب ؟ قيل له حاتم : قال : فمن فارسها ؟ قيل عمرو بن معد يكرب . قال : فمن شاعرها ؟ قيل امرؤ القيس قال : فأى سيوفها أمضى ؟ قيل صمصامة عمرو بن معديكرب رضى الله عنه فأفاد النهيلى أن صمصامة عمرو بن معديكرب كانت حديدة وجدت عندالكعبة من دفن جرهم أوغيره ، وأن ذا الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من تلك الحديدة أيضا . قال : وإنما سمى ذا الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر ، وكان قبله صلى الله عليه وسلم للعاص بن منبه سلبه منه يوم بدر .

(الحكم) يحرم أكل الفيل على المشهور ، وعلله فى الوسيط بأنه ذوناب مكادح أى مغالب مقاتل ، وفى وجه شاذ حكاه الرافعى عن أبى عبد الله البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا أنه حلال ، وقال الإمام أحمد : ليس الفيل من أطعمة المسلمين ، وقال الحسن : هومنسوخ وكرهه أبو حنيفة ، ورخص فى أكله الشعبى ، ويصح بيعه لأنه يحمل عليه ويقاتل به وعليه ، وراكبه يرضخ له من الفئ أكثر من راكب البغل ، ولا يطهر الفيل عندنا

بالذبح ولا يطهر عظمه بالتنقية سواء أخذ منه بعد ذكاته أو بعد موته . ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة وهو قول أبي حنيفة ومن وافقه لكن المذهب نجاستها مطلقا ، وعندمالك أن عظمه يطهر بصقله كما تقدم فى باب السين المهملة فى لفظ السلحفاة . ولا يجوز بيعه ولا يحل ثمنه وبهذا قال طاوس وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبدالعزيز ومالك وأحمد ، وقال ابن المنذر : رخص فيه عروة بن الزبير وابن سيرين وابن جريج . وفى الشامل أن جلد الفيل لايؤثر فيه الدباغ لكثافته . وفى صحة المسابقة على الفيل وجهان ، وقيل قولان أصحهما أنها تصح لما روى الشافعي وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « قال لا سبق إلا فى خف أوحافر أو نصل » والسبق بفتح الباء ما يجعل للسابق على سبقه من جعل وجمعه أسباق ، وأما السبق بإسكان الباء فهو مصدر سبقت الرجل سبقة ، والرواية الصحيحة فى هذا الحديث لا سبق بفتح الباء وأراد به أن الجعل والعطاء لايستحق إلا فى سباق الخيل والإبل والنصال لأن هذه الأمور عدة فى قتال العدو ، وفى بذل الجعل عليها ترغيب فى الجهاد ، ولم يذكر الشافعي الفيل . وقال أبو إسحاق : تجوز المسابقة عليه لأنه يلقى عليه العدو كما يلقى على الخيل ولأنه ذو خف . والصورة النادرة تدخل فى العموم على الأصح عند الأصوليين ، ومن الأصحاب من قال لا تصح المسابقة عليه . وبه قال أحمد وأبو حنيفة لأنه لايحصل الكر والفر عليه فلا معنى للمسابقة عليه . فإن قال قائل فالإبل كالفيل فى هذا المعنى ؟ فالجواب أن العرب تقاتل على الإبل أشد القتال وذلك لهم عادة غالبة والفيل ليس كذلك ، ومن قال بالأول قال إنه يسبق الخيل فى بلاد الهند ، والله أعلم .

(تذنيب) فى سنة تسعين وخمسمائة سار نيارس أكبر ملوك الهند وقصد بلاد الإسلام ، فطلبه الأمير شهاب الدين الغورى صاحب غزنة فالتقى الجمعان على نهر ماجون . قال ابن الأثير : وكان مع الهندى سبعمائة فيل ومن العسكر ألف ألف نفس فصبر الفريقان وكان النصر لشهاب الدين الغورى ، وكثر القتل فى الهنود حتى جافت منهم الأرض ، وأخذ شهاب الدين تسعين فيلا وقتل ملكهم نيارس ، وكان قد شد أسنانه بالذهب فما عرف إلا بذلك ، ودخل شهاب الدين بلاد نيارس وأخذ من خزائنه ألفا وأربعمائة حمل من المال وعاد إلى غزنة . قال : وكان من جملة الفيلة التى أخذها شهاب الدين الغورى فيل أبيض حدثنى بذلك من رآه اهـ .

(الأمثال) قالوا : آكل من فيل وأشد من فيل وأعجب من خلق فيل . روى أنه كان فى مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى جماعة يأخذون عنه العلم ، فقال قائل : قد حضر الفيل ، فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثى الأندلسى فإنه

لم يخرج ، فقال له مالك : لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك ؟ فقال : إنما جئت من بلدى لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك رضى الله عنه وسماه عاقل أهل الأندلس ، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة بها ، وبه اشتهر مذهب مالك فى تلك البلاد ، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى ، وكان معظما عند الأمراء ، وكان مجاب الدعوة ، توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وقبره بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة يستسقى به . ونظير هذه الحكاية ما اتفق لأبى عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك ، فإنه كان بالبصرة فقدمها فيل فذهب الناس ينظرون إليه ، فقال له ابن جريج : مالك لاتخرج تنظر إلى الفيل ؟ فقال : لأنى لا أجد منك عوضا ، فقال له : أنت النبيل ، فكان إذا أقبل يقول ابن جريج جاء النبيل . قال البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدا قط . وقالوا : أثقل من فيل . قال الشاعر :

أنت يا هذا ثميل وثقيـــل وثقيل
أنت فى المنظر إنسا ن وفى الميزان فيل

(الخواص) من سقى من وسخ أذن الفيل ينام سبعة أيام ، ومرارته يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام فإنه يذهب ، وعظمه يعلق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع ، وإذا علق العاج الذى هو عظمه على شجرة لم تثمر تلك السنة ، وإذا بخر الكرم والزرع والشجر بعظمه لم يقرب ذلك المكان دود ، وإن دخن به فى بيت فيه بق مات البق ، ومن سقى من نشارة العاج فى كل يوم وزن درهمين بماء وعسل جاد حفظه ، وإن شربتها المرأة العاقر سبعة أيام ثم جومعت بعد ذلك حبلت بإذن الله تعالى ، وجلده إذا شدمنه قطعة على من به حمى نافض تزول عنه ، وإذا نام عليه صاحب التشنج يزول عنه ، وإذا أحرق زبله وسحق بعسل وطلى به الأجفان التى سقط شعرها نبت ، وإذا شربت المرأة بوله وهى لا تعلم ثم جومعت لم تحبل ، وزبله إذا علق عليها لم تحبل أيضا ما دام عليها ، ودخان جلده يبرئ البواسير .

(التعبير) الفيل فى المنام : ملك أعجمى مهاب بليد القلب حامل الأثقال عارف بالحرب والقتال . فمن ركب فيلا أو ملكه أو تحكم عليه اتصل بسلطان ونال منه منزلة سنية وعاش عمرا طويلا فى عز ورفعة . وقيل إن الفيل رجل ضخم أعجمى فمن ركب فيلا وكان ذا طوع له فإنه يقهر رجلا ضخما أعجميا شحيحا ، ومن ركب فيلا فى نومه بالنهار فإنه يطلق زوجته لأنه كان فى الزمن المتقدم فى بلاد الفيلة من طلق زوجته أركب فيلا وطيف به حتى يعلم الناس ، ومن ركب من الملوك فيلا وهو فى حرب فإنه يهلك لقوله تعالى : — ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل — إلى آخر السورة ، ومن ركب فيلا بسرج تزوج بنت رجل

ضخم أعجمى ، وإن كان تاجرا عظمت تجارته ، ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان ، وإن كان مريضا مات ، ومن رعى فيلة فإنه يواخى ملوك العجم وينقادون له ، ومن حلب فيلة فإنه يمكر برجل أعجمى وينال منه مالا . وقالت اليهود : الفيل فى المنام ملك كريم لين الجانب ذو مداراة صبور ، ومن ضربه فيل بخرطومه نال خيرا ، ومن ركبه نال وزارة وولاية ، ومن أخذ شيئا من روثه استغنى ، ويدل أيضا على قوم صالحين ، وقيل من يرى الفيل يرى أمرا شديدا ثم ينجو منه . وقالت النصارى : من رأى فيلا ولم يركبه أصابه نقصان فى بدنه أو خسران فى ماله ، ومن رأى فيلا مقتولا فى بلدة مات ملكها أو يقتل رجل مذكور ، ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا ، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه فإنه يموت ، وإذا رؤى الفيل فى غير بلاد النوبة فإنه يدل على فتنة وذلك لقبح لونه وسماجته ، وإن رؤى فى البلاد التى يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس ، والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد لها ذلك على أى صفة رأته ، وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر ، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم ، وإذا ركب الفيل فى بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينه ، والله أعلم .

(فصل فى فضل العقل وزينه وقبح الجهل وشينه)

قال بعض الحكماء : العقل ما عقل به عن السيئات وحض القلب على الحسنات ، والعقل معقل عن الدنيات ونجاة من المهلكات والنظر فى العواقب قبل حلول المصائب والوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا لقوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل » وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء أن جميع الأمور كلها قليلها وجليلها محتاجة إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجربة ، وقالوا : العقل سلطان وله جنود ؛ فرأس جنوده التجربة ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح ، لأن به ثبات الجسم ، والروح سراج نوره العقل ، وفى الحديث « ما قسم الله لعباده خيرا من العقل » .

وروى أن جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام فقال إنى أتيتك بثلاث فاختر واحدة منها . فقال : وما هى ؟ فقال : الحياء والعقل والدين ، فقال آدم عليه السلام : قد اخترت العقل ، فخرج جبريل عليه السلام إلى الحياء والدين فقال : ارجعا فقد اختار العقل عليكما ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان . وقال بعضهم : من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب ، والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة ويبصر به الفضل من الضلالة ، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل ، وما شىء أحسن من عقل زانه أدب ، ومن علم زانه ورع ، ومن حلم زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى .

وروى «أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها فى الدنيا والآخرة ، فقال: وما هى ؟ فقال – خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين – وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك ، وإعطاء من حرمك ، وصلة من قطعك ، وإحسانك إلى من أساء إليك ، واستغفارك لمن اغتابك ، ونصحك لمن غشك ، وحلمك عمن أغضبك» فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق فى الدنيا والآخرة ، وأنشد بعضهم فى معنى ذلك فقال :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لكل الأنام فستحسن من ذوى الجاهلين

ومن طرق العمل الحميدة : القناعة كنز لا يفنى ، والصدقة وهى عز باق ، وتمام عز الرجل استغناؤه عن الناس ، ومن طرقه أيضا الحياء ، وقد قيل :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه

ومن طرقه أيضا حسن الخلق : روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» وروى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقى عيسى بن مريم عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجهه ، فقال يحيى : مالى أراك لاهيا كأنك آمن ؟ فقال عيسى : مالى أراك عابسا كأنك آيس ؟ فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا وحى ، فأوحى الله تعالى إليهما : أحبكما إلى أحسنكما خلقا .

(تتمه) ذكر الغزالى وابن بلبان وغيرهما أن أبا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت ، فخرج ذات ليلة سحرا ، فبينما هو يطوف إذ سمع قائلا يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه ، ثم رجع لدار الندوة وقال لصاحب الشرطة : إن بالبيت رجلا يطوف فائتنى به ، فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال : أجب أمير المؤمنين ، فلما دخل عليه قال : ما الذى سمعتك آنفا تشكو إلى الله من ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ! فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت ، فقال المنصور : ما هذا أو قال ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الأرض فى قبضتى ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! وهل دخل أحدا من مطمع ما دخلك ؟ استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح ، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان

نفرا استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فمالنا لا نخونه ، فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أمور الناس إلا ما أرادوا ، فصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل عنهم ، فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك قد أوقفت ببابك رجلا ينظر فى مظالم الناس فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوّف به من وقت إلى وقت، فإذا جهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنى أمية إذا انتهت إليهم الظلامة أزيلت فى الحال ، ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين ، فقدمته مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكى ، فقال له وزراؤه : ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عينا ؟ فقال : والله ما بكيت لمصيبة نزلت بى وإنما أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال : إن كان سمعى قد ذهب فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس أن لا يلبس أحد ثوبا أحمر إلا مظلوما ، وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أجدا لابسا ثوبا أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه ، هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين فكيف لا تغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا أمير المؤمنين إنما تجمع المال لإحدى ثلاث : إن قلت إنما أجمع المال للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنه بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا، إذ قد يسقط الطفل من بطن أمه وليس له مال ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فلم يزل يلطف الله تعالى بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس فيه ويحوى ما حوته تلك اليد الشحيحة ، ولست بالذى تعطى وإنما الله المعطى ؛ وإن قلت إنما أجمعه لمصيبة تنزل بى ، فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة فى الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك، ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع حين أراد الله بهم ما أراد وإن قلت إنما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فوالله مافوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح ، فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال : كيف أعمل والعلماء قد فرت منى والعباد لم تقرب منى والصالحون لم يدخلوا علىّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم ، وخذ من المال ماحل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك . فقال المنصور : نفعل إن شاء الله تعالى ، وجاءه المؤذنون فأذنوه بالصلاة فقام وصلى، فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده، فقال لصاحب الشرطة : علىّ بالرجل الساعة ، فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليمانى ، فقال له : أجب

أمير المؤمنين ، فقال له : ليس إلى ذلك سبيل ، فقال : إذن يضرب عنقى ، فقال : لاولا إلى ضرب عنقك من سبيل ، ثم أخرج من مزود كان معه ورقا مكتوبا فقال خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ، ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا ، وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا ، فأخذه صاحب الشرطة وأتى المنصور ، فلما رآه قال له : ويلك أو تحسن السحر ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قص عليه القصة ، فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار ، وهو هذا : اللهم كما لطفت فى عظمتك وقدرتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ماتحت أرضك كعلمك مافوق عرشك فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك ، فانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لى من كل غم وهم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك مما قصرت فيه فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فإنك المحسن إلىّ وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلىّ بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصى ، فلم أجد كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى ، ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك ، فجد اللهم بفضلك وإحسانك علىّ إنك أنت الرءوف الرحيم .

وروى أن الرجل المذكور كان الخضر عليه السلام .

﴿ الفينة ﴾ : طائر يشبه العقاب إذا خاف البرد انحدر إلى اليمن قاله ابن سيده : والفينات الساعات يقال لقيته الفينة بعد الفينة أى الحين بعد الحين ، وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت لقيته فينة فكأن هذا الطائر لما كان فى حين ينحدر إلى اليمن وفى حين آخر ينحدر عنها سمى باسم الزمان .

﴿ أبو فراس ﴾ : كنية الأسد يقال فرس الأسد فريسته يفرسها فرسا وافترسها أى دق عنقها وأصل الفرس هذا ثم كثر حتى قيل لكل قتل فرس ، وبه سمى أبو فراس بن حمدان أخو سيف الدولة ابن حمدان ، وكان ملكا جليلا وشاعرا مجيدا حتى قيل بدىء الشعر بملك وختم بملك بدىء بامرىء القيس واسمه حندج وختم بأبى فراس ، ونظير ذلك قولهم بدئت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، والله تعالى أعلم .

باب القاف

﴿ القادحة ﴾ الدودة ، يقال قدح الدود فى الأسنان والشجر قدحا قاله الجوهرى .

﴿ القارة ﴾ : الدبة .

﴿ القارية ﴾ : كسارية ، هذا الطائر القصير الرجلين الطويل المنقار الأخضر الظهر تحبه العرب وتتيمن به ويشبهون به الرجل السخى وهى مخففة : قال الشاعر :

أمن ترجيع قارية تركتم سبايا كم وأبتم بالعناق

قال ابن الأعرابى : معنى البيت أفزعتم لما سمعتم ترجيع هذا الطائر وتركتم سبايا كم ورجعتم بالخيبة ، فالعناق هنا الخيبة والجمع القوارى . قال يعقوب : والعامة تقول قارية بالتشديد كذا قاله الجوهرى . وقال البطليوسى فى الشرح : العرب تتيمن بالقوارى وتتشاءم بها ، فأما تيمنهم بها فإنها تبشر بالمطر إذا جاءت والسماء خالية من السحاب . قال النابغة الجعدى :

ولا زال يسقيها ويسقى بلادها من المزن زحاف يسوق القواريا

وأما تشاؤمهم بها فإن أحدهم إذا لقى منها واحدة من غير غيم ولا مطر خاف ورجع . وقال ابن سيده : القارية طير أخضر يحبها الأعراب ، ويشبهون الرجل السخى بها ، وذلك لأنها تنذر بالمطر . قال بعضهم : ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « الناس قوارى الله فى الأرض » أى شهوده ، لأن بعضهم يتبع أحوال بعض فإذا شهدوا لإنسان بخير أو شر فقد وجب ، والقوارى واحدها قار وهو جمع شاذ .

(قلت) ويدل لصحة هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم شهداء الله فى الأرض » .

(وحكمها) الحل لأن العرب كانت تأكلها قاله الصيمرى وغيره . وقالوا فى كتاب الحج : الحمام يفدى بشاة وما دونه من القوارى وغيرها يفدى بالقيمة ، وهذا دليل على حل أكلها وتصريح بأن القارية ليست من الحمام ، وكلام أهل اللغة لا يساعده . فقد قال ابن السكيت فى إصلاح المنطق : القوارى طيور خضر لها ترجيع وقد تقدم تفسير هدير الحمام بالترجيع فى صوته ، وتقدم أن غير الحمام يشاركه فى العب ، وإذا كان الحمام يشاركها فى العب ألغى اعتباره ووجب اعتبار الهدير وهو الترجيع ، فوجب أن تكون القارية من الحمام تفدى بشاة دون القيمة كسائر الحمام ، وللنظر فى هذا التعارض مجال .

﴿ القاق ﴾ : طائر مائى طويل العنق .

(وحكمه) حل الأكل كما تقدم .

﴿ القاقم ﴾ : دويبة تشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب ولهذا هو أبيض يقق ، ويشبه جلده جلد الفنك وهو أعز قيمة من السنجاب .

(وحكمه) الحل لأنه من الطيبات .

﴿ القانب ﴾ : الذئب العواء والمقانب الذئاب الضارية ، وقد تقدم لفظ الذئب فى باب الذال المعجمة .

﴿ القاوند ﴾ : طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضن بيضه سبعة أيام فى الرمل ويخرج أفراخه فى اليوم السابع ثم يزقها سبعة أيام أيضا ، والمسافرون فى البحر يتيمنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الوقت وحلول أوان السفر ، وقيل إن الله تعالى إنما يمسك البحر عن هيجانه فى زمن الشتاء عن بيض هذا الطائر وفراخه لبره بأبويه عند كبرهما ، وذلك أنهما إذا كبرا حمل إليهما قوتهما وعالهما حياتهما إلى أن يموتا .

وهذا الطائر المتخذ منه شحم القاوند معروف ، وهو يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة ؛ وفى المفردات : دهن القاوند معروف كالسمن يؤتى به من بلاد اليمن ومن الحبشة والهند ، ويقال إنه يستخرج من ثمر شجرة كالجوز ويطحن فى المعاصر ويستخرج ينفع الأمراض الباردة وأوجاع الأعصاب .

﴿ القبيج ﴾ : بفتح القاف وإسكان الباء الموحدة وبالجيم فى آخره واحده قبجة الحجل ، والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى حتى تقول يعقوب فيختص بالذكر ، وكذلك الدارجة حتى تقول حيقطان ، والبومة حتى تقول صدى أوفبادو الحبارى حتى تقول خرب ، وكذا النعامة حتى تقول ظليم ، والنحلة حتى تقول يعسوب ومثله كثير . وقال كراع فى المجرد : القبج فارسى معرب لأن القاف والجيم أو الكاف لا يجتمعان فى كلام العرب كالجوالق وجلق والقبيج والكيلجة وهو مكيال صغير وما كان نحو ذلك ، وفراخ القبج تخرج كما تخرج الفراريج كما تقدم ، وإناثه تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر يوصف بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والعصفور ، ولكثرة سفاده يقصد موضع البيض فيكسره لئلا تشتغل الأنثى بحضنه عنه ، ولهذا الأنثى إذا أتى أوان بيضها تهرب وتختبئ رغبة فى الفراخ ، وهى إذا هربت بهذا السبب ضاربت الذكور بعضها بعضا وكثر صياحها ثم إن المقهور يتبع القاهر ويسفد القوى الضعيف ، والقبيج يغير أصواته بأنواع شتى بقدر حاجته إلى ذلك ، ويعمر خمس عشرة سنة ، ومن عجيب أمرها ماحكاه القزوينى : أنها إذا قصدها الصياد خبأت رأسها تحت الثلج وتحسب أن الصياد لا يراها ، وذكورها شديدة الغيرة على إناثها ،

والأنثى تلقح من رائحة الذكر، وهذا النوع كله يحب الغناء والأصوات الطيبة، وربما وقعت من أوكارها عند سماع ذلك فيأخذها الصياد.

(وحكمها) حل الأكل لأنها من الطيبات.

(الخواص) قال عبد الملك بن زهر: مرارة الذكر منها إذا اكتحل بها تنفع من نزول الماء وإن خلطت مع ماء الرازيانج واكتحل بها أبرأت من العشا بالليل، وشحمه ينفع السكتة واللوقة سعوطا. وقال أرسطو: مرارة القبج إذا خلطت بدهن زئبق وسعط بها المحموم ساعة يحم فإنه يبرأ. قال: وصفة صيدهن أن يعجن لهن دقيق الشعير بالخمر ويوضع لهن حتى يأكلن فإذا أكلنه سكرن فيصدن.

﴿ القبرة ﴾: بضم القاف وتشديد الباء الموحدة واحدة القبر. قال الجوهري: وقد جاء في الشعر قنبرة كما تقوله العامة، وقال البطليوسي في شرح أدب الكاتب: وقنبرة أيضا بإثبات النون. قال: وهي لغة فصيحة وهو ضرب من الطير يشبه الحمرة، وكنية الذكر منه أبو صابر وأبو الهيثم، والأنثى أم العلل. قال طرفة وكان يصطادها:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
قد رفع الفخ فماذا تحذري ونقري ماشئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فأبشري لابد من أخذك يوما فاحذري

والسبب في قوله ذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ فنصبه للقنابر وبقي عامة يومه لم يصد شيئا، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه فحملوا ورحلوا من ذلك المكان فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك. قال أبو عمرو: والمراد بالجو هنا ما اتسع من الأودية، وحذف طرفة النون من قوله: فماذا تحذري لوفاق القافية أو لالتقاء الساكنين. قال أبو عبيدة: يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لابن الزبير حين خرج الحسين رضي الله تعالى عنه إلى العراق:

* خلا لك الجو فبيضي واصفري *

ولطرفة بن العبد قصة عجيبة مع عمرو بن المنذر بن امرئ القيس لما كتب له وللمتلمس صحيفتين ويقال له عمرو بن هند، وكان لا يتبسم ولا يضحك، وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه فإنه ملك ثلاثا وخمسين سنة، وكانت العرب تهابه هيبة شديدة، وقال السهيلي: إنه هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهند أمه، وسمي أبوه المنذر بابن ماء السماء لشدة جماله وهو المنذر بن الأسود ويعرف عمرو بمحرق لأنه حرق مدينة يقال لها ملهم وهي عند اليمامة، وقال العتبي والمبرد: سمي محرقا لأنه حرق مائة من بني تميم ملك ثلاثا وخمسين سنة وكان طرفة غلاما معجبا فجعل يتخلج في مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تبتلعه من

مجلسه ، فقال له المتلمس حين قاما : يا طرفة إنى أخاف عليك من نظرته إليك ، فقال طرفة : كلا ، ثم إنه كتب لهما كتابين إلى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده وسارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة ، فإذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها وهو يتبرز ويقصع القمل ، فقال له المتلمس : بالله ما رأيت شيخا أحمق وأضعف وأقل عقلا منك ! فقال له : وما الذى أنكرت على ؟ فقال : تتبرز وتأكل وتقصع القمل ؟ قال : إنى أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا ، ولكن أحمق منى وألأم حامل حتفه بيمينه لايدرى ما فيه . فتنبه المتلمس وكأنما كان نائما ، فإذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقى غنيمة له من نهر الحيرة فقال له المتلمس : ياغلام أتقرأ ؟ قال : نعم . قال : اقرأ هذه ، فإذا فيها : باسمك اللهم ، من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا أتاك كتابى هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا ، فألقى الصحيفة فى النهر وقال : يا طرفة معك والله مثلها ؟ فقال : كلا ، ما كان ليكتب لى مثل ذلك ، ثم أتى طرفة إلى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ، فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى فى حتفه بنفسه ويغرر بها ، وستأتى الإشارة إلى هذه القصة فى باب الكاف فى لفظ مكروان ، وكان سبب إحراق عمرو بن هند لبنى تميم كما قاله العتبى والمبرد : أن عمرا كان له أخ وهو أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم ، فانصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فمر بابل لسويد بن ربيعة التميمى فنحر منها بكرة فرماه سويد بسهم فقتله فلما سمع عمرو ابن هند بقتل أخيه حلف ليحرقن منهم مائة رجل فأخذ منهم تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ، ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم ليكمل العدد فقالت : هلا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات صارت الفتيان حمما ، ومر وافد البراجم فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك قد اتخذ طعاما ، فعرج إليه فأتى به إليه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا وافد البراجم فقال له عمرو : إن الشقى وافد البراجم . فذهبت مثلا ، ثم أمر به فقذف فى النار ، وقد أشار إلى ذلك ابن دريد فى مقصورته بقوله :

ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أورات تميما بالصلى

وأورات موضع وهو جمع واحده أوارة ، وتميم قبيلة ، والصلى وهج النار والقبرة غبراء كبيرة المنقار كأنما على رأسها قبرة ، وهذا الضرب من العصفور قاسى القلب وفى طبعه أنه لا يهوله صوت صائح ، وربما رمى بالحجرة فاستخف بالرامى ولطئ بالأرض حتى يتجاوزه الحجر ، وبهذا السبب لايزال مأخوذا أو مقتولا لأن الرامى يحمله الحنق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه ، وهو يضع وكره على الجادة حبا للأنس .

روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى بإسناد عن داود بن أبى هند قال : صاد رجل قبرة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بى ؟ قال : أذبحك وآكلك ، فقالت : والله إنى

لا أسمن ولا أغنى من جوع وما أشفى من قرم ، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى : أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك ، والثانية إذا صرت على الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل . قال : نعم ، فقالت وهى على يده : لاتأسفن على مافاتك ، فخلى عنها ، فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدقن بما لا يكون ، فلما صارت على الجبل قالت : يا شقى لو ذبحتنى لوجدت فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ، قال : فعض على شفتيه وتلهف ثم قال : هاتى الثالثة ، فقالت : قد نسيت الثنتين الأوليين فكيف أعلمك الثالثة ؟ قال : وكيف ؟ قالت : ألم أقل لك لاتأسفن على ما فاتك وقد تأسفت على ، وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون وقد صدقت ، فإنه لو جمعت عظامى وريشى ولحمى لم تبلغ عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ؟ . وحكى القشيرى فى رسالته عن ذى النون المصرى رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى بعض الصحارى ، ثم فتحت عينى فإذا أنا بقبرة عمياء سقطت من وكرها فانشقت لها الأرض وخرج منها سكرجتان إحداهما فضة والأخرى ذهب فى إحداهما سمسم والأخرى ماء فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه . قال : فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى ، وعلمت أن من لم يضيع القبرة لا يضيعنى .

(وحكمها) حل الأكل بالإجماع ، ووجوب الجزاء على المحرم بقتلها .

(الخواص) لحمها يحبس البطن ويزيد فى الباه ، وبيضها يفعل ذلك ، وإذا ديف زبلها بريق إنسان وطلى به الثآليل قطعها ، وإذا كرهت المرأة زوجها فليطل ذكره بشحمها ويجامعها فإنها تحبه .

(تتمة : فى الأسماء) قنبر بضم القاف وإسكان النون وفتح الباء الموحدة جد سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر وسيبويه لقب له ، وهى لفظة أعجمية معناها رائحة التفاح ، وقنبر بضمتين جد إبراهيم بن على بن قنبر البغدادى بن نصر الله القزاز ، وجد أبى الفتح محمد بن أحمد ابن قنبر البزاز وغيرهما . وأما قنبر بفتح القاف والباء فأبو الشعثاء قنبر ، وهو يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقنبر مولى على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه . قال ابن أبى حاتم : روى عن على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان حاجبه . قال الشيخ فى المهذب فى كتاب القضاء : ولا يكره للإمام أن يتخذ حاجبا لأن يرفأ كان حاجب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، والحسن كان حاجب عثمان رضى الله تعالى عنه ، وقنبر كان حاجب على رضى الله تعالى عنه . قال محمد بن السماك : من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ما راهم ورأس المداراة ترك المماراة . قيل : جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوما مع المتوكل وكان يؤدب أولاده ، فجاءه المعتز والمؤيد

ولدا المتوكل فقال له : يا يعقوب أيما أحب إليك ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله إن قنبرا خادم على بن أبى طالب خير منك ومن ابنيك ، فقال المتوكل للأتراك : سلوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، ثم إن المتوكل أرسل لولده عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك كذا حكاه ابن خلكان فى ترجمته. ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير أنشد لولدى المتوكل وهو يعلمهما :

يصلب الفتى من عثرة باسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ومن محاسن شعر ابن السكيت :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت ... وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك عفو ... يمنّ به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها فرج قريب

وعرف أبوه بالسكيت لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت ، وكل ما كان على فعيل أو فعليل فإنه مكسور الأول ، وكان ابن السكيت رحمه الله إماما فى اللغة مكثرا من نقل الغريب ، وله تصانيف مفيدة .

﴿ القبعة ﴾ : بضم القاف وتخفيف الباء الموحدة والعين المهملة المفتوحتين طير أبقع مثل العصفور يكون عند جحرة الجرذان فإذا فزع أو رمى بحجر انقبع فيها ذكره ابن السكيت المذكور قبله ، وقوله انقبع فيها أى دخل الجحر التجأ فيه .

﴿ القبيط ﴾ : كحمير طائر معروف .

﴿ القتع ﴾ : بفتح القاف والتاء المثناة والعين المهملة دود يكون فى الخشب يأكله ، الواحدة قتعة ينزو ثم يقع .

﴿ ابن قترة ﴾ : ضرب من الحيات لا يسلم من لدغته ، وقيل هو ذكر الأفعى وهو نحو من الشبر ، وأبو قترة كنية إبليس قاله ابن سيده وغيره .

﴿ القدان ﴾ : بكسر القاف وبالدال المهملة المشددة البراغيث قاله ابن سيده ، وقال غيره : هو دويبة تقرب من البرغوث تقرص . قال الراجز :

يا أبتا أرقنى القــذان ... فالنوم لا تطعمه العينان

قاله أبو حاتم فى كتاب الطير. وقيل القدان يوجد كثيرا بالبلاد والطرق الرملية، والناس يسمونه الدلم يقرص الإبل وغيرها.

﴿ القراد ﴾ : واحد القردان يقال قرّد بعيرك أى انزع منه القراد : وقد تقدم الكلام عليه فى الحلم. وقد ذكرنا أن مذهبنا استحباب قتل القراد فى الإحرام وغيره. وقال العبدرى يجوز للمحرم عندنا أن يقرد بعيره ، وبه قال ابن عمر وابن عباس وأكثر الفقهاء، وقال مالك لا يقرده . قال ابن المنذر : وممن أباح تقريد البعير عمر وابن عباس وجابر بن زيد وعطاء والشافعى وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأى ، وكرهه ابن عمر ومالك .

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال فى المحرم يقتل قرادة يتصدق بتمرة أو تمرتين. قال ابن المنذر : وبالأول أقول ، وتقريد البعير أن ينزع القراد منه ، وفسره ابن الأثير وغيره بأنه الطبوع الذى يلصق بجسمه ، وفى قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه :

يمشى القراد عليها ثم يزلقه عنها لبان وأقراب زهاليل

اللبان الصدر ، والأقراب الخواصر ، والزهاليل الملس : وفى حديث أبى جهل : إن محمدا نزل يثرب وإنه حنق علينا نفيتمونه نفى القراد عن المسامع يعنى الآذان : أى أخرجتموه من مكة إخراج استئصال لأن أخذ القراد عن الدابة قلعه بالكلية ، والأذن أخف الأعضاء شعرا بل أكثرها شعرا عليه فيكون النزع منها أبلغ .

(الأمثال) قالوا : أسمع من قراد ، وذلك أنه يسمع وطء أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها . قال أبو زياد الأعرابى : ربما رحل الناس عن ديارهم بالبادية وتركوها قفارا والقردان منتشرة فى أعطان الإبل ، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ولا يخلفهم فيها أحد سواهم ، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان فى تلك المواضع أحياء وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافى فتتحرك لها ، ولذلك قالت العرب : أعمر من قراد . وقال حمزة : العرب تزعم أن القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من أكاذيبهم ، وإنما الضجر منهم به دعاهم إلى هذا القول فيه .

(وهو فى الرؤيا) يدل على الأعداء والحساد الأخساء ، وإن رأى الدلم منتشرا فى الأرض والرمل فهو كذلك أيضا ، والله تعالى أعلم .

﴿ القرد ﴾ : حيوان معروف ، وكنيته : أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبو ربة وأبو قشة ، وهو بكسر القاف وسكون الراء وجمعه قرود ، وقد يجمع على قردة بكسر القاف وفتح الراء المهملة والأنثى قردة بكسر القاف وإسكان الراء وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء مثل قربة وقرب ، وهو حيوان قبيح مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة .

(حكى) أن ملك النوبة أهدى إلى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا، وأهل اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه ، ويعلم السرقة فيسرق .

نقل الشيخان عن القاضى حسين أنه قال : لو علم القرد النزول إلى الدار وإخراج المتاع فنقب وأرسل القرد فأخرج المتاع ينبغى أن لا يقطع لأن للحيوان اختيارا . ونقل البغوى فى حد باب الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قردا فوطئها فعليها ما على واطئ البهيمة ، فتعزر فى الأصح وتحد فى قول وتقتل فى قول .

(فائدة) قال ابن عباس وعكرمة رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى : — الذى أحسن كل شىء خلقه — أى أتقنه ، وقالا ليست است القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة ، فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن قال الله تعالى : — لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم — والقردة تلد فى البطن الواحد العشرة والاثنى عشر ، والذكر ذو غيرة شديدة على الإناث ، وهذا الحيوان شبيه بالإنسان فى غالب حالاته ، فإنه يضحك ويطرب ويقعى ويحكى ويتناول الشىء بيده ، وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظافر ، ويقبل التلقين والتعليم ويأنس بالناس ، ويمشى على أربع مشية المعتاد ويمشى على رجليه حينا يسيرا ، ولشفر عينيه الأسفل أهداب وليس ذلك لشىء من الحيوان سواه وهو كالإنسان ، وإذا سقط فى الماء غرق كالآدمى الذى لا يحسن السباحة ، ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الإناث وهما خصلتان من مفاخر الإنسان ، وإذا زاد به الشبق استمنى بفيه ، وتحمل الأنثى أولادها كما تحمل المرأة . ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة من هذا النوع إذا أرادت النوم ينام الواحد فى جنب الآخر حتى يكونوا سطرا واحدا ، وإذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الأيسر فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه ويفعل كفعله حتى يكون هذا إلى آخرهم يفعلون ذلك فى الليل كله مرارا . وسبب ذلك أنه يبيت فى أرض ويصبح فى أخرى ، وفيه من قبول التأديب والتعليم مالا يخفى ، ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار وسابق به مع الخيل ، وفيه يقول يزيد لما سبق بأتان ركبها فارسا :

من مبلغ القرد الذى سبقت به ... جواد أمير المؤمنين أتان

تعلق أباقش بها إن ركبتها ... فليس عليها إن هلكت ضمان

روى ابن عدى فى كامله عن أحمد بن طاهر بن حرملة ابن أخى حرملة بن يحيى أنه قال : رأيت بالرملة قردا يصوغ فإذا أراد أن ينفخ أشار إلى رجل حتى ينفخ له ، وفيه فى ترجمة محمد بن يوسف المنكدر عن جابر رضى الله تعالى عنه . قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى القرد خر ساجدا » وهو فى المستدرك قبيل كتاب الجمعة ذكره شاهدا ، وفيه

فى ترجمة ضمام بن إسماعيل أنه روى عن أبى قنبل أن معاوية صعد المنبر يوم جمعة ، فقال فى خطبته : أيها الناس إن المال مالنا والفىء فيؤنا من شئنا أعطينا ومن شئنا منعنا فلم يجبه أحد ، فلما كان فى الجمعة الثانية قال كذلك فلم يجبه أحد ، فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك ، فقام إليه رجل فقال : كلا يامعاوية ، ألا إن المال مالنا والفىء فيؤنا من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا ، فنزل معاوية وأرسل إلى الرجل فأدخل عليه فقال القوم : هلك الرجل ، ثم فتح معاوية الأبواب فدخل عليه الناس فوجدوا الرجل معه على السرير ، فقال معاوية : أيها الناس إن هذا الرجل أحيانى أحياه الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستكون أئمة من بعدى يقولون فلا يردّ عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة » وإنى تكلمت أول جمعة فلم يرد علىّ أحد شيئا فخشيت أن أكون منهم ، ثم تكلمت فى الجمعة الثانية فلم يرد على أحد شيئا فقلت فى نفسى : أنت من القوم ، فتكلمت فى الجمعة الثالثة فقام إلىّ هذا الرجل فرد علىّ فأحيانى أحياه الله فرجوت أن يخرجنى الله منهم ثم أعطاه وأجازه ؛ ورواه ابن سبع فى شفاء الصدور كذلك . ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط . ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلى ورجاله ثقات .

وذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن من تصبح بوجه قرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء حبا شديدا وأعجبن به ، وفيما قال نظر ظاهر .

(فائدة أخرى) روى الإمام أحمد عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن رجلا حمل معه خمرا فى سفينة ليبيعه ومعه قرد . قال : فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه . قال : فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل فجعل يطرح دينارا فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمه » . ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا بمعناه ولفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تشوبوا اللبن بالماء فإن رجلا فيمن كان قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى إذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها ، وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ دينارا فرمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين ، فألقى ثمن الماء فى البحر وثمن اللبن فى السفينة » . قال : ومر أبو هريرة رضى الله تعالى عنه بإنسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة : كيف بك يوم القيامة حيث يقال لك : خلص الماء من اللبن ؟ وقد تقدم فى باب الهمزة فى لفظ الأسود السالخ حديث يتعلق بهذا ، والله تعالى أعلم .

(فائدة أخرى) روى الحاكم فى المستدرك عن الأصم عن الربيع عن الشافعى عن يحيى ابن سليم عن ابن جريج عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو

يقرأ فى المصحف قبل أن يذهب بصره ويبكى ، فقلت له : ما يبكيك جعلنى الله فداءك ؟ فقال هذه الآية : — واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر — الآية ، ثم قال أتعرف أيلة ؟ قلت : وما أيلة ؟ قال : قرية كان بها أناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت ، فكانت الحيتان تأتيهم فى يوم سبتهم شرعا بيضا سمانا كأمثال المخاض ، فإذا كان غير يوم السبت لا يجدونها ولا يدركونها إلا بمشقة ومؤنة ، ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا يوم السبت فربطه إلى وتد فى الساحل وتركه فى الماء حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ، ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء ففعلوا كفعلهم ، وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقا فرقة أكلت وفرقة نهت وفرقة قالت — لم تعظون قوما الله مهلكهم — فقالت الفرقة التى نهت : إنا نحذركم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب والله ما نساكنكم فى مكان أنتم فيه ، وخرجوا من السور ثم غدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد ، فتسور إنسان منهم السور فقال : قردة والله لها أذناب تتعاوى ثم نزل ففتح الباب ودخل الناس عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة . قال : فيأتى القرد إلى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلصق إليه ، فيقول الإنسى : أنت فلان فيشير برأسه أن نعم ويبكى ، وتأتى القردة إلى نسيبها وقريبها الإنسى فيقول أنت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكى . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فأسمع الله يقول — أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون — فلا أدرى ما فعلت الفرقة الثالثة فكم قد رأينا من منكر ولم ننه عنه . قال عكرمة : فقلت ماترى جعلنى الله فداك إنهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا — لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا — فأعجبه قولى ذلك وأمر لى ببردين غليظين فكسانيهما ، ثم قال : هذا صحيح الإسناد . وأيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر . وقال الزهرى : القرية طبرية . وفى معالم التنزيل . قال عكرمة : فقلت له جعلنى الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا — لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا — وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولى ورضى به ، وأمر لى ببردين غليظين فكسانيهما وقال : نجت الساكتة .

(وفى المستدرك أيضا) عن مسلم الزنجى عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى منامى كأن بنى الحكم بن أبى العاص ينزون على منبرى كما تنزو القردة ، فما رؤى النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى مات » ثم قال : صحيح الإسناد على شرط مسلم . وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى آخر الزمان تأتى المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا لأنه لا يؤمن بالقدر » .

(فائدة أخرى) اختلف العلماء فى الممسوخ هل يعقب أم لا ؟ على قولين : أحدهما نعم وهو قول الزجاج والقاضى أبى بكر بن العربى المالكى . وقال الجمهور : لا يكون ذلك . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب . واحتج الأولون بقوله صلى الله عليه وسلم : « فقدت أمة من بنى إسرائيل لا أدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربها وإذا وضع لها ألبان غيرها شربتها » خرّجه مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وبحديث الضب الذى رواه مسلم عن أبى سعيد وجابر قالا « إن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بضب فأبى أن يأكله وقال : لا أدرى لعله من القرون التى مسخت » قال أبو بكر بن العربى المالكى : وفى البخارى عن عمرو بن ميمون أنه قال : رأينا فى الجاهلية قردة قد زنت فرجموها ورجمتها معهم ، ثبت فى بعض نسخ البخارى وسقط من بعضها . والجواب عن ذلك أن الحميدى فى الجمع بين الصحيحين قال : حكى أبو مسعود الدمشقى أن لعمرو بن ميمون الأزدى فى الصحيحين حكاية من رواية حصين عنه قال : رأيت فى الجاهلية قردة قد زنت اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم كذا حكاه أبو مسعود ولم يذكر فى أى موضع أخرجه البخارى ، فبحثنا عن ذلك فوجدناه فى بعض النسخ لا فى كلها مذكورا فى كتاب أيام الجاهلية ، وليس فى رواية الفربرى أصلا شىء من هذا الخبر فى القردة ولعلها من المقحمات فى كتاب البخارى والذى قاله البخارى فى التاريخ الكبير قال : قال لى نعيم بن حماد : أخبرنا هشيم عن أبى المليح وحصين عن عمرو بن ميمون الأزدى قال : رأيت فى الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم ، وليس فيه قد زنت فلئن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخارى دليلا على أن عمرو ابن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذى ظنه ، وذكر أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب عمرو بن ميمون وقال : إنه معدود من التابعين من الكوفيين . قال : وهو الذى رأى الرجم فى الجاهلية بين القردة إن صح ذلك لأن رواته مجهولون ، وذكر البخارى عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأزدى مختصرا قال : رأيت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها فذكره ثم قال : والقصة بطولها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليسا ممن يحتج بهما ، وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحدود على البهائم ، ولو صح لكانوا من الجن لأن العبادات والتكليفات فى الجن والإنس دون غيرهما اه . وعمرو بن ميمون المذكور خرّج له أصحاب الكتب الستة وحج ستين حجة ، توفى فى سنة سبع وخمسين وكان من الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى . وأما حديث الضب والفأر فكان ذلك قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلا ، فلما أوحى إليه زال عنه ذلك المتخوف وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهى مما مسخ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لم يهلك قوما

أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » وهذا نص صريح رواه عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وقد أخرجه مسلم فى كتاب القدر ، وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته صلى الله عليه وسلم وعلى مائدته فلم ينكره فدل ذلك على صحة ما قلناه . وعن مجاهد فى تفسير آية المسخ فى بنى إسرائيل : إنما مسخت قلوبهم فقط وردت أفهامهم كأفهام القردة ، وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين .

(الحكم) أكل القرد حرام عندنا وبه قال عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية ، وقال مالك وجمهور أصحابه : ليس بحرام . وأما بيعه فيجوز لأنه يقبل التعليم فيمسك الشمعة ويحفظ الأمتعة . وقال ابن عبد البر فى أوائل التمهيد : لا أعلم بين علماء المسلمين خلافا فى أن القرد لا يؤكل ولا يجوز بيعه لأنه مما لا منفعة فيه وما علمت أحدا رخص فى أكله والكلب والفيل وذو الناب كله عندى مثله ، والحجة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى قول غيره ، وما يحتاج القرد ومثله إلى النهى عنه لأنه ينهى عن نفسه بزجر الطباع والنفوس عنه ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله ، وروى عن الشعبى قال : « إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لحم القرد لأنه سبع » فيدخل فى عموم الخبر .

(الأمثال) منها قوله :

واسجد لقرد السوء فى زمانه ... وداره ما دمت فى سلطانه

وقالوا : أزنى من قرد ، وأحكى من قرد ، لأنه يحكى الإنسان فى أفعاله سوى المنطق قال أبو الطيب :

يرومون شاوى فى الكلام وإنما ... يحاكى الفتى فيها خلا المنطق القرد

وقالوا : أقبح من قرد وأولع من قرد ، لأنه إذا رأى الإنسان تولع بفعل شىء أخذ يفعله مثله .

(الخواص) قال الجاحظ : لحم القرد شبيه لحم الكلب بل هو شر منه وأخبث . قال ابن السويدى : إذا علق سنه على إنسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل ، وأكل لحمه يمنع من الجذام ، وجلده إذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد وإذا اتخذ من جلده غربال وغربل به الزريعة وزرعت فإنها تسلم من آفات الجراد ، وإذا ستى إنسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته وإذا رأى القرد طعاما مسموما خاف وصاح ، وإذا جعل شعره تحت رأس نائم رأى أهوالا تفزعه .

(التعبير) القرد فى المنام رجل فيه كل عيب مخالف لأن الله تعالى نهاه فلم ينته فمسخه ، ومن رأى قردا يقاتله وغلب القرد فإن الرائى يمرض ويبرأ فإن غلبه القرد فلا يرجى برؤه ، ومن رأى أنه أكل لحم قرد فإنه يعالج داء لا يرجى برؤه منه . وقالت النصارى : من أكل لحم قرد لبس جديدا ومن وهب قردا فى منامه انتصر على عدوه ، ومن رأى قردا عضه

خاصم إنسانا ، ومن رأى قردا فى فراشه فإن يهوديا يفجر بامرأته وكذا إذا أكل على مائدته والقرد رجل زالت نعمته لكبيرة ارتكبها ، ومن نكح قرداً ارتكب فاحشة أو خاصم إنسانا وقال أرطاميدورس : القرد رجل مكار خداع ويدل على مرض المريض وما يحدث من القمر لأن القرد من حيوان القمر . وقال جاماسب : من صاد قردا انتفع من جهة السحرة والكهنة والله تعالى أعلم .

﴿ القردوح ﴾ : الضخم من القردان ، قاله ابن سيده .

﴿ القرسه ﴾ : بكسر القاف وإسكان الراء المهملة وبالشين المعجمة فى آخره دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير فى البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرها . قال الزمخشرى : سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة وهو يصف لى القرش ، فقال : هو مدور الخلقة وعظمه كما من مقامنا هذا إلى الكعبة ، ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شىء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه مثل البرق ، ولا يهاب شيئا إلا النار وبه سميت قريش قريشا . قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحـــر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـــرك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم والخموشا

الخموش الخدوش وأكلا كميشا أى سريعا . وقال ابن سيده : قريش دابة فى البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها ، ثم أنشد البيت الأول . وقال المطرزى : هى سيدة الدواب البحرية وأشدها وكذلك قريش سادات الناس ، وحكى أبو الخطاب بن دحية فى تسمية قريش وفى أول من تسمى به عشرين قولا .

(فائدة أجنبية) قريش بن مالك بن النضر بن كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى تنسب إليه قريش ، ومن ولده بدر بن قريش الذى سميت به بدر بدراً ، وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة تزوجها كنانة بعد موت أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله إذا مات الرجل خلفه على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها كذا قاله السهيلى رحمه الله تعالى تبعا للزبير بن بكار ، قال : ولذلك قال الله عز وجل : — ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف — أى من تحليل ذلك قبل الإسلام ، وفائدة الاستثناء هنا لئلا يعاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم . وليعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فى أجداده نكاح سفاح ، ألا ترى أنه لم يقل فى شىء نهى عنه فى القرآن نحو — ولا تقربوا

الزنا – ولا تقتلوا النفس – ولا فى شىء من المعاصى التى نهى عنها – إلا ما قد سلف – إلا فى هذه الآية ، وفى الجمع بين الأختين فإن الجمع بينهما كان مباحا فى شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين الأختين وهما راحيل وليا ، فقوله تعالى : – إلا ما قد سلف – التفات إلى هذا المعنى . قال : وهذه النكتة من الإمام بن أبى بكر العربى . قال الحاحظ قطب الدين عبد الكريم : ولما وقفت على هذا أقمت مفكرا مدة لكون أن برة المذكورة كانت زوجا لخزيمة فحلف عليها كنانة بن خزيمة فجاء له منها النضر بن كنانة ، وأن هذا وقع فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شىء إنما ولدت من نكاح كنكاح الإسلام » إلى أن رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال فى كتاب له سماه بكتاب الأصنام : وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى برة بنت أدّ بن طابخة جد كنانة بن خزيمة ، ولم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مر بن أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة . قال : وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلفه على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما ، وهذا الذى عليه مشايخنا وأهل العلم والنسب ، قال : ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم نكاح مقت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من بين أبى وأمى » ثم قال : ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك فى هذا الخبر . قال : والحمد الذى نزهه عن كل وصم وطهره تطهيرا اهـ.

قلت : وهذا أرجو به الفوز للجاحظ فى منقلبه ، وأن يتجاوز الله عنه ما سطره فى كتبه وأشرت إلى ذلك فى أول كتاب السير من المنظومة بقولى :

محمد خير جميع الخلق جاء من الحق لنا بالحق
دعوة إبراهيم الخليل بشارة المسيح فى التنزيل
الطيب الأصول والفروع الطاهر المحتد والينبوع
آباؤه قد طهرت أنسابا وشرفت بين الورى أحسابا
نكاحهم مثل نكاح الإسلام كذا رواه النجبا الأعلام
ومن أبى أو شك فى هذا كفر وذنبه بما جناه ما اغتفر
نقل ذا الحافظ قطب الدين عن صاحب البيان والتبيين

(الحكم) أفتى شيخنا جمال الدين الأسنوى رحمه الله تعالى بحل أكل القرش ، وبه صرح الشيخ محب الدين الطبرى شارح التنبيه فى الكلام على التمساح ، ثم استشكل به تحريم التمساح وهذا يدل على أنه لا خلاف فيه ، وفى نهاية ابن الأثير التصريح بحله ، لكن قال ابن عباس

رضى الله تعالى عنهما : إنه يأكل ولا يؤكل ، ولعل مراده أنه يأكل الحيوانات البحرية ولا يستطيع أحد منها أن يأكله . والقرش يوجد ببحر القلزم الذى غرق فيه فرعون ، وهو عند عقبة الحاج كما تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السقنقور ، وإطلاق الجمهور ونص الإمام الشافعى والقرآن العزيز يدل على جواز أكل القرش لأنه من السمك ومما لا يعيش إلا فى الماء ، وقد ذكر النووى فى شرح المهذب أن الصحيح أن كل ما فى البحر حلال ، ويحمل ما استثناه الأصحاب على ما يعيش فى غير الماء .

(التعبير) رؤيته فى المنام تدل على علو الهمة والشرف فى النسب فإنه يعلو ولا يعلى عليه والله تعالى أعلم .

﴿ القرقس ﴾ : بكسر القافين البعوض . قال الأصحاب : يستحب قتل المؤذيات للمحرم وغيره كالحية والعقرب والخنزير والكلب العقور والغراب والحدأة والذئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور والقراد والحلمة والقرقس وما أشبهها .

﴿ القرشام ﴾ : والقرشوم والقراشم القراد الضخم .

﴿ القرعبلانة ﴾ : دويبة عريضة محبنطئة الظهر والبطن وأصله قرعبل فزيدت فيه ثلاثة أحرف لأن الاسم لايكون على أكثر من خمسة أحرف وتصغيره قريعبة قاله الجوهرى .

﴿ القرعوش ﴾ : القراد الغليظ .

﴿ القرقف ﴾ : كهدهد طير صغير .

﴿ القرقفنة ﴾ : بالنون المشددة كذا ضبطه فى العباب . روى الدينورى فى المجالسة وابن الأثير من حديث وهب : إذا كان الرجل لاينكر عمل السوء على أهله طار طائر يقال له القرقفنة فيقع على مشريق بابه فيمكث هناك أربعين يوما ، فإن أنكر طار وذهب وإن لم ينكر مسح بجناحيه على عينيه فصار قندعا ديوثا ، فلو رأى الرجال مع امرأته لم ير ذلك قبيحا ، فذلك القندع الديوث الذليل لاينظر الله تعالى إليه .

قال إبراهيم الحربى : مشريق الباب مدخل الشمس ، والقندع الديوث الذليل الذى لايغار ولا يفهم ، وذكره الهروى بمعناه .

﴿ القرلى ﴾ : بضم القاف وكسرها وفتحها ملاعب ظله ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم . قال الجواليقى : هو فارسى معرب . وقال الميدانى : إنه طائر صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف ، لايرى إلا فرقا على وجه الماء على جانب كطيران الحدأة يهوى

بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى إلى الهواء حذرا ، فإن أبصر فى الماء مايستقل بحمله من السمك أو غيره انقض عليه كالسهم المرسل فأخرجه من قعر الماء ، وإن أبصر فى الهواء جارحا مر فى الأرض . ومن أسجاع ابنة الخس : كن حذرا كالقرلى إن رأى خيرا تدلى أو رأى شرا تولى . وقال حمزة : قد خالف رواة النسب هذا التفسير فقالوا : إن قرلى اسم رجل من العرب كان لايتخلف عن طعام أحد ولا يترك موضع طعم إلاقصد إليه ، وإن صادف فى طريق قد سلكه خصومة ترك ذلك الطريق ولم يمر به فلذلك قالوا فيه : أطمع من قرلى ، فهذا ماحكاه النسابون فى تفسير هذا المثل ، ثم قال : وأنا أقول إنه خليق أن يكون هذا الرجل تشبه بهذا الطائر وتسمى باسمه . قال الشاعر :

يا من جفانى وملا نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما رأيت مالى قلا
إنى أظنك تحكى بما فعلت القرلى

(الحكم) يحل أكله لأنه من طير الماء .

(الأمثال) قالوا : أخطف وأطمع من قرلى ، وأحذر وأحزم من قرلى .

﴿ القرمل ﴾ : ولد البختى والقرامل الإبل ذوات السنامين . وفى الحديث « تردى قرمل بعض الأنصار على رأسه فى بئر فلم يقدروا على نحره فسألوه صلى الله عليه وسلم فقال : حرفوه ثم قطعوا أعضاءه » وأما قولهم فى المثل : ذليل عاذ بقرملة فهى شجرة ضعيفة لاشوك لها . قال جرير :

كأن الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرمل

يضرب لمن استعان بضعيف لانصرة له ، لأن القرملة شجرة على ساق لاتكن ولاتظل .

﴿ القرميد ﴾ : الأروية .

﴿ القرمود ﴾ : بفتح القاف ذكر الوعول حكاه ابن سيده .

﴿ القرنبى ﴾ : مقصور دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء أو أعظم منها بيسير ، وقال الميدانى فى قولهم : ألزق من القرنبى إنها الجعل ، وقال فى موضع آخر : مثل الخنفس منقطعة الظهر طويلة القوائم ، وفى أدب الكاتب إنها أكبر من الخنفساء . قال الأخطل يصف جارية وبعلها :

ألا ياعباد الله قلبى متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا
ينام إذا نامت على عكناتها ويلثم فاها كالسلافة أو أحلى
يدب إلى أحشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يعلو نقاسها

قال الجاحظ : إنها تقتات الروث وتطلبه كما يطلبه الجعل .

(الأمثال) قالوا : القرنبى فى عين أمها حسناء . وقالوا : ألزق من قرنبى ، لأن كل من بات بالصحراء وكل من قام إلى الغائط تتبعه لأنها نوع من الجعل . قال الشاعر :

ولا أطرق الجار بالليل قابعا قبوع القرنبى أخلفته مجاحره

﴿ القرهب ﴾ : كثعلب الثور المسن قاله الجوهرى رحمه الله تعالى وغيره .

﴿ القزر ﴾ : بكسر القاف وبالراء نوع من السباع . قال الحطيئة لما حبسه عمر رضى الله تعالى عنه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ خمص الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت لها الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح يغشاها بها القزر
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض دوية يفنى بها الخبر

﴿ القرم ﴾ : الفحل الكريم من الإبل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للقحة . والجمع قروم والقرم من الرجال السيد العظيم المجرب للأمور ، وعلى المثل من ذلك قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم

عطف صفة على صفة لشىء واحد كقولك جاءنى الظريف والعاقل وأنت تريد شخصا واحدا روى مسلم والنسائى وأبو داود من حديث ابن شهاب أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال « اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب وقالا : لو بعثنا هذين الغلامين عبد المطلب بن ربيعة والفضل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا مايؤدى الناس وأصابا مما أصاب الناس ، فبينما هما فى ذلك إذ جاء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال : لا تفعلا فوالله ما هو بفاعل ، وألقى على رداءه ، ثم اضطجع عليه وقال : أنا أبو حسن القرم والله لاأبرح من مكانى حتى يرجع إليكما ابناكما ، فلما رجعا قالا ذهبنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح وقد جئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك ما يؤدى الناس ونصيب مما يصيبون ، فسكت صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال : إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس ادعوا محمية بن جزء ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . قالا : فجاآه فقال لمحمية : أنكح الفضل ابنتك فأنكحه ، وقال لنوفل بن

الحارث : أنكح عبد المطلب ابنتك فأنكحه ، وقال لحمئة أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على الأخماس » انتهى ملخصا . قوله وأنا أبو حسن القرم هو بتنوين حسن والقرم مرفوع قال ذلك لأجل الذى كان عنده من علم ذلك ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول هذه الكلمة عند الأخذ فى بيان قضية تشكل على غيره وهو يعرفها ، ولذلك جرى كلامه هذا مجرى المثل حتى قالوا : قضية ولا أبا حسن لها : أى هذه قضية مشكلة وليس هناك من بينها كما كان يفعل أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الذى هو على بن أبى طالب .

﴿ القرة ﴾ : بالضم الضفدعة ، قاله الجوهرى رحمه الله تعالى .

﴿ القسورة ﴾ : الأسد . قال الله تعالى — كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة — .
روى البزار بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « القسورة الأسد » قال الشاعر :

مضمر يحذره الأبطال كأنه القسورة الرئبال

وروى ابن طبرزذ بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن خطاب عن الزهرى عن أبى واقد قال : لما نزل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الجابية أتاه رجل من بنى تغلب يقال له روح ابن حبيب بأسد فى تابوت حتى وضعه بين يديه فقال رضى الله عنه : أكسرتم له نابا أو مخلبا؟ قالوا : لا . قال : الحمد لله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما صيد مصيد إلا بنقص فى تسبيحه يا قسورة اعبد الله ثم خلى سبيله » وقد تقدم فى باب الغين المعجمة أنه روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مثل ذلك فى الغراب . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى القسورة : هو بلسان العرب الأسد وباسان الحبشة القسورة وباسان فارس سير وبلسان النبط أرنا ، وقيل القسورة فعولة من القسر وهو القهر سمى الأسد بذلك لأنه يقهر السباع . وقال ابن جبير : القسورة رجال القنص ، وقيل القسورة الرجال الشداد . وقال ثعلب : القسورة سواد أول الليل خاصة لا آخره ، والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شىء أشد نفارا من حمر الوحش ، واللفظة مأخوذة من القسر الذى هو الغلبة والقهر .

﴿ القشعمان ﴾ : كالعقربان والثعلبان النسر . قال الشاعر :

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القشعمان من النسور

يقال أطلى الرجل أى مالت عنقه للموت أو لغيره .

﴿ القشبة ﴾ : القردة قاله الجوهرى رحمه الله تعالى . وقال الأصمعى : هى الصغيره من أولادها .

(الأمثال) قالوا : أكيس من قشبة ، يضرب مثلا للصغار خاصة .

﴿القصيرى﴾ مقصورا مصغرا ضرب من الأفاعى .

﴿القط﴾ : السنور والأنثى قطة والجمع قطاط وقططة . قال ابن دريد : لا أحسبها عربية صحيحة . قلت : وهو محجوج بقوله صلى الله عليه وسلم « عرضت على جهنم فرأيت فيها المرأة الحميرية صاحبة القط الذى ربطته فلم تطعمه ولم تسرحه » كذا رواه الربيع الجيزى فيمن ورد مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، ولما اتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية بمعاوية وكانت ذات جمال باهر وحسن غامر أعجب بها معاوية رضى الله عنه وهيأ لها قصرا مشرفا على الغوطة وزينه بأنواع الزخارف ووضع فيه من أوانى الفضة والذهب ما يضاهيه ، ونقل إليه من الديباج الرومى الملون والموشى ما هو لائق به ، ثم أسكنها مع وصائف لها كأمثال الحور العين ، فلبست يوما أفخر ثيابها وتزينت وتطيبت بما أعد لها من الحلى والجوهر الذى لا يوجد مثله ثم جاست فى روشنها وحولها الوصائف فنظرت إلى الغوطة وأشجارها وسمعت تجاوب الطير فى أوكارها وشمت نسيم الأزهار وروائح الرياحين والنوار فتذكرت نجدا وحنت إلى أترابها وأناسها ، وتذكرت مسقط رأسها فبكت وتنهدت ، فقالت لها بعض حظاياها : ما يبكيك وأنت فى ملك يضاهى ملك بلقيس ؟ فتنفست الصعداء ثم أنشدت :

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى ... أحب إلى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلى من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دونى ... أحب إلى من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب ... أحب إلى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف ... أحب إلى من علج عنوف

فلما دخل معاوية عرفته الحظية بما قالت ، وقيل إنه سمعها وهى تنشد ذلك فقال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنوفا هى طالق ثلاثا مروها فلتأخذ جميع ما فى القصر فهو لها ، ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته بالبادية وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية رضى الله عنه منها بعد ذلك . والأرواح جمع ريح . قال ذو الرمة :

إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به أهل حبى هاج قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فقد أبدع وأحسن فمن قال : هبت الأرياح فقد أخطأ ووهم ، والصواب هبت الأرواح كما قال ذو الرمة ، وقد تقدم عن ميسون ، والعلة فى ذلك أن أصل ريح روح لاشتقاقها من الروح .

وروى هذا الخبر على غير هذا الوجه فأوردته لتحصل منه الفائدة ، وهو : قيل لما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها ، فاستمع عليها معاوية ذات يوم وهى تنشد الأبيات المتقدمة ، فلما سمع معاوية الأبيات قال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنوفا هى طالق .

وحكى ابن خلكان وغيره فى ترجمة الإمام أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى : أنه كان يوما على سطح جامع مصر يأكل شيئا وعنده بعض أصحابه فحضرهم قط فرموا له لقمة فأخذها فى فيه وغاب عنهم ، ثم عاد إليهم فرموا له لقمة ثانية فأخذها وذهب ، ثم عاد فرموا له شيئا فأخذه وذهب ، ثم عاد ففعل ذلك مرارا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذ ويغيب ثم يعود من فوره فتعجبوا منه فتبعوه ، فإذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربة فيها شبه البيت الخراب ، وفى سطح ذلك البيت قط أعمى ، فإذا هو يضع الطعام بين يديه فتعجبوا من ذلك ، فقال الشيخ : يا بشاذ إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى ، ثم قطع الشيخ علائقه وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكلا على الله تعالى إلى أن مات فى شهر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة ، وبابشاذ كلمة أعجمية يتضمن معناها الفرح والسرور .

(وحكمه) تقدم بعضه فى باب السين المهملة فى لفظ السنور ، وسيأتى إن شاء الله تعالى بعضه فى باب الهاء فى لفظ الهر .

(وتعبيره) سيأتى إن شاء الله تعالى أيضا فى باب الهاء .

﴿ القطا ﴾ : طائر معروف واحده قطاة والجمع قطوات وقطيات . وممن ذكر أن القطا من الحمام الرافعى فى كتاب الحج والأطعمة ومن أهل اللغة ابن قتيبة ، وأنشد قول النابغة الذبيانى :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد

قال الأصمعى : هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا . قال البطليوسى فى الشرح : وليس فى بيت النابغة دليل على أنه أراد بالحمام القطا ، وإنما علم ذلك بالخبر المروى عن زرقاء اليمامة أنها نظرت إلى قطا فقالت :

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه
إلى قطاة أهلنا إذا لنا قطا مائه

قال : وقوله : واحكم كحكم فتاة الحى : أى أصب فى أمرك كإصابة فتاة الحى ، فهو من الحكم الذى يراد به الحكمة لامن الحكم الذى يراد به القضاء . قال الله تعالى : — ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما — أى حكمة . قال : وكان الأصمعى يروى شراع بالشين المعجمة يريد الذى شرع فى الماء .

وروى غيره سراع بالسين المهملة . والثمد الماء القليل اه وكانت عدة الحمام الذى رأته ستاوستين فتمنت أن يكون لها هذا الحمام ومثل نصفه وهو ثلاثة وثلاثون ومجموع ذلك تسعة وتسعون فإذا ضم إلى حمامتها كان مائة ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى باب الحاء المهملة فى الحمام .

ويقال للقطاة أم ثلاث لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات . قال الشاعر :

وأم ثلاث إن شبن عققنها وإن متن كان الصبر منها على نصب

يقول : إن شبت فراخها فارقتها فكان ذلك عقوقا لها ، وإن متن لم تصبر إلا وهى حزينة قلقة ، والنصب التعب والبلاء .

ويقال للقطا والحمام وأنواعها أمهات الجوازل ، والجوازل فراخها الواحد جوزل ، قال ذو الرمة :

سوى ما أصاب الذئب منه وسربه أطافت به من أمهات الجوازل

وقد تقدم قريب من هذا فى باب الجيم .

وسميت القطا بحكاية صوتها فإنها تقول ذلك ، ولذلك تصفها العرب بالصدق . قال الكميت فى وصفها :

لاتكذب القول إن قالت قطا صدقت إذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وأنشد أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد قول الشاعر ، قال المبرد وأظنه توبة بن الحمير :

كأن القلب حين يقال يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
فلا فى الليل نالت ما ترجى ولا فى الصبح كان لها براح

ثم قال : وقوله . غرها قد تصحف عليه ، فقال غرها من الغرور وليس كذلك إنما هو عزها أى غلبها كما قالت العرب : من عز بز ، ومن غلب سلب . وغلق الجناح بالغين المعجمة من قولهم لا يغلق الرهن على راهنه ، وقد تصحف بالعين المهملة اه .

(نكتة) ذكر الحريرى فى الدرة أن ليلى الأخيلية وهى المذكورة فى الشعر كانت تتكلم بلغة بهرا ، وذلك أنهم يكسرون حرف المضارعة فيقولون أنت تعلم ، وإنها استأذنت على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبى فقال له : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أضحكك

عنها ؟ فقال افعل ، فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي : يا ليلى ما بال قومك لايكتنون ؟ فقالت له : ويحك مانكتني بكسر حرف المضارعة فقال لها : لا والله لو فعلت لاغتسلت ، فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك

وفى غير رواية ابن هشام فى أبيات هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهم :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
مشى القطا النوائق

كما ذكره الزبير بن بكار وقاله السهيلى فى الروض الأنف ، والمراد بالطارق النجم تريد إن أبانا نجم فى شرفه وعلوه : قال الله تعالى : — والسماء والطارق — يعنى النجم يطرق ليلا ويخفى نهاراً . قال الثعلبى : أنشد أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر. قال : أنشدنى أبو الحسن الكازرونى قال : أنشدنى ابن الرومى :

يا راقد الليـــل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تفرحنّ بليـل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا

ثم فسره تعالى بأنه النجم الثاقب أى المضىء . قال أبو زيد : كانت العرب تسمى الثريا النجم الثاقب ، وقيل هو زحل سمى به لارتفاعه .

وروى ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : الطارق نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم ، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط وكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين يصعد ، والنواتق : الكثيرات الأولاد كأنها ترمى بالأولاد رميا ، والنتق : الرمى والنفض والحركة ، والقطا نوعان : كدرى وجونى ، وزاد الجوهرى نوعا ثالثا وهو الغطاط ، فالكدرى غير اللون رقش البطون والظهور صفر الحلوق قصار الأذناب ، وهى ألطف من الجونية ، والجونية سود بطون الأجنحة والقوادم . وظهرها أغبر أرقط تعلوه صفرة ، وهى أكبر من الكدرى تعدل جونية بكدريتين ، وإنما سميت الجونية لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت ، وإنما تغرغر بصوت فى حلقها ، والكدرية فصيحة تنادى باسمها ، ولا تضع القطاة بيضها إلا أفرادا ، وفى طبعها أنها إذا أرادت الماء ارتفعت من أفاحيصها أسرابا لا متفرقة عند طلوع الفجر فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل فحينئذ تقع على الماء فتشرب نهلا ، والنهل : شرب الإبل والغنم أول مرة ، فإذا شربت أقامت حول الماء متشاغلة إلى مقدار ساعتين أو ثلاث ثم تعود إلى الماء ثانية . وهذا يبعد ماحكاه الواحدى المفسر فى شرحه لديوان أبى الطيب المتنبى فى قوله :

وإذا المكارم والصوارم والقنا وبنات أعوج كل شىء بجمع

إن أعوج فحل كريم كان لبنى هلال بن عامر ، وإنه قيل لصاحبه ما رأيت من شدة عدوه ؟ فقال : ضللت فى بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وأنا أغض من لجامه حتى توافينا الماء دفعة واحدة اه .

قلت : وهذا أغرب شىء يكون فإن القطا شديد الطيران ، وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها أكثر ، ثم ما كفاه حتى قال : وأنا أغض من لجامه ، ولولا ذلك لكان سبق القطا .

وتوصف القطا بالهداية ، والعرب تضرب بها المثل فى ذلك لأنها تبيض فى القفر ، وتسقى أولادها من البعد فى الليل والنهار ، فتجىء فى الليلة المظلمة وفى حواصلها الماء ، فإذا صارت حيال أولادها صاحت قطا قطا ، فلم تخط بلا علم ولا إشارة ولا شجرة ، فسبحان من هداها لذلك قال الشاعر :

والناس أهدى فى القبيح من القطا وأضل فى الحسنى من الغربان

وقال أبو زياد الكلابى : إن القطا تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة وفوقها ودونها ، والجونية منها تخرج إلى الماء قبل الكدرية ؛ قال عنترة :

وأنت التى كلفتنى دلج السرى وجون القطا بالجهلتين جثوم

وقال الشاعر فى وصفها :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق معنى بعض ما فيها
سكاء مخضوبة فى ريشها طرف سود قوادمها صهب خوافيها

وقال مزاحم العقيلى فى القطاة وفرخها :

فلمـــا دعته بالقطاة أجابها بمثل الذى قالت له لم تبدل

وأنشد ياقوت فى معجم البلدان لأبى العباس الصيمرى :

كم مريض قد عاش من بعد يأس بعد موت الطبيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليما ويحـــل القضاء بالصيـــاد

ذكر أنه كان بين أبى الفضل المعروف بابن القطا الشاعر المشهور بالبغدادى وبين الحيص بيص التميمى الشاعر مناظرات : منها أنهما حضرا على سماط الوزير فأخذ أبو الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى الحيص بيص ، فقال الحيص بيص للوزير : يا مولاى هذا الرجل يؤذينى ، قال : كيف ؟ قال : يشير إلى قول الشاعر :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى جـــلال المخازى عن تميم تجلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على صفى تميم لولت

ولأبى الفضل نوادر منها أنه قعد يوما يأكل مع زوجته طعاما فقال لها : اكشفى رأسك ففعلت فقرأ سورة الإخلاص ، فقالت : ما الخبر ؟ فقال : إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .

(فائدة) : العرب تصف القطا بحسن المشى لتقارب خطاها ، ومشيها يشبه مشى النساء الخفرات بمشيتهن ، ومن أحسن ما رأيت فى ذلك قول هند بنت عتبة يوم أحد فى غير رواية ابن هشام :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
مشى القطا النواتق

إلى آخر الرجز كما رواه الزبير بن بكار كما سبق . قال السهيلى فى الروض : يقال إنها تمثلت بهذا الرجز وإنه لهند بنت طارق بن فياض الأودية قالته فى حرب الفرس لإياد ، فعلى هذا يكون إنشاده بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما قال : نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ، وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لأنه خبر مبتدأ : أى نحن شريفات رفيعات كالنجوم . قال : وهذا التأويل عندى بعيد لأن طارقا وصف للنجم لطروقه فلو أرادته لقالت : نحن بنات الطارق ، إلا أنى رأيت الزبير بن بكار قال فى كتاب أنساب قريش : حدثنى يحيى بن عبد الملك الهرمزى قال : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد : نحن بنات طارق . ثم قالوا : ما طارق ؟ فقلت : النجم ، فالتفت الضحاك وقال : يا أبا زكريا كيف ذلك ؟ فقلت : قال الله تعالى — والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب — كأنها قالت : نحن بنات النجم ، فقال : أحسنت انتهى . ومرادها بالقطا النواتق الكثيرات الأولاد . قال الجوهرى : نتقت المرأة إذا كثر ولدها فهى ناتق ومنتاق ، ومن هذا الحديث الذى رواه ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » .

(وحكمها) حل الأكل بالإجماع ، وعد الرافعى والأصحاب فى كتاب الحج القطا من الحمام فأوجبوا على المحرم إذا قتل الواحدة شاة وإن كان لا مثل لها من النعم : قال الشيخ محب الدين الطبرى : وكذلك عدها من الحمام الجوهرى والمشهور خلافه .

(الأمثال) قالوا : أنسب من قطاة وهو من النسبة ، وذلك أنها إذا صوتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها فتقول : قطا قطا . وقالوا : أصدق من القطاة وأقصر من لبهام القطاة . وقالوا : لو ترك القطا ليلا لنام . وسببه أن عمر بن أمامة نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة طائرة فنبهت زوجها فقال : إنما هذه القطا

فقالت : لو ترك القطا ليلا لنام ، يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته ، وقيل قالته امرأة يقال لها حذام لما رأت القطا طار ليلا قالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما

فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم ، فقام فيهم رجل وقال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

فنفر القوم وارتحلوا والتجأوا إلى واد قريب منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم ، يضرب هذا البيت لمن ظهر منه الصدق ، وحذام ، مبنى على الكسر مثل أمس . وقالوا : بيض القطا يحضنه الأجدل وقد تقدم . وقالوا : ليس قطا مثل قطى : أى ليس الأكابر مثل الأصاغر .

(الخواص) إذا أحرقت عظام القطا وأخذ من رمادها وأغلى بزيت الحار وطلى به رأس الأقرع وموضع الثعلب أنبت الشعر ، وقال ابن زهر إنه جرّبه ، ولحمها عسر الهضم ردىء الغذاء وإذا أخذ رأسها ويبس وصر فى خرقة كتان جديدة وعلق على فخذ امرأة وهى نائمة أخبرت بجميع ما فى نفسها وبما فعلته ، فإن خلطت فى الكلام فارم به عنها لئلا تتوسوس ، وإذا شق بطن قطاتين ذكر وأنثى وطبخ بطنهما وأخذ دسمهما وجعل فى قارورة ودهن به إنسان وهو لا يعلم أحب الداهن حبا شديدا .

(خاتمة) روى ابن حبان وغيره من حديث أبى ذر رضى الله عنه وابن ماجه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله تعالى له فى الجنة بيتا » وفى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة مثله » مفحص القطاة : بفتح الميم موضعها الذى تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب : أى تكشفه ، والفحص ، البحث والكشف وخصت القطاة بهذا لأنها لا تبيض فى شجر ولا على رأس جبل إنما تجعل مجثمها على بسيط الأرض دون سائر الطيور فلذلك شبه به المسجد ، ولأنها توصف بالصدق كما تقدم فكأنه أشار بذلك إلى الإخلاص فى بنائه كما قال سيدى الشيخ العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى : خالص العبودية الاندماج فى طى الأحكام من غير شهوة ولا إرادة وهذا شأن هذا الطائر وقيل إنما شبه بذلك لأن أفحوصها يشبه محراب المسجد فى استدارته وتكوينه وقيل خرج ذلك مخرج الترغيب بالقليل عن الكثير كما خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير ، قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » ولأن الشارع يضرب المثل فى الشىء بما لا يكاد يقع كقوله صلى الله عليه وسلم « ولو سرقت فاطمة بنت محمد » وهى رضوان الله عليها لا يتوهم منها سرقة ،

وكقوله صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا ولو عبدا حبشيا » يعنى فأطيعوه ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأئمة من قريش » وقيل المراد طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشيا .

(التعبير) القطا فى المنام يدل على الصدق والفصاحة والألفة والأنس ، وربما دلت القطاة على امرأة معجبة بنفسها وهى ذات جمال غير ألفة ، والله تعالى أعلم .

﴿ القطا ﴾ : بتشديد الطاء ، قال القزوينى : سمكة عظيمة ذكروا أن عظم ضلعها يتخذ منه قنطرة يعبر الناس عليها وشحمه إذا طلى به البرص يزول .

﴿ القطامى ﴾ : الصقر تضم قافه وتفتح ، وهو من أعظم الطيور التى يصاد بها وهو عزيز الوجود .

﴿ قطرب ﴾ : طائر يجول الليل كله لاينام ، وقالوا : أجول من قطرب وأسهر من قطرب وقطرب لقب محمد بن المستنير النحوى صاحب المثلث وغيره كان من أهل العربية ، وكان حريصا على الاشتغال والتعلم فكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل ، فبقى عليه هذا اللقب توفى سنة ست ومائتين .

والقطرب والقطروب قال ابن سيده : إنه الذكر من السعالى وقيل هما صغار الجن وقيل القطارب صغار الكلاب واحدها قطرب ، والقطرب دويبة لا تستريح نهارها سعيا . وقال الإمام محمد بن ظفر : القطرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعا وإلا لم ينته حتى ينكحه فإذا نكحه هلك ، وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا : أمنكوح أم مروّع ؟ فإن قال : منكوح أيسوا من حياته وإن قال مروّع عالجوه . قال : وقد رأيت أهل مصر يلهجون بذكره انتهى .

والقطرب : الفأر والذئب الأمعط والسفيه ونوع من الماليخوليا . وفى الحديث : « لايلفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار » وهذا من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، رواه عنه آدم ابن أبى إياس العسقلانى فى كتاب الثواب موقوفا عليه ، وقيل مرفوعا ، وقالوا فى معناه : إن القطرب لا يستريح فى النهار ، والمراد : لا ينامن أحدكم الليل كله كأنه جيفة ثم يكون بالنهار كأنه قطرب ، لكثرة جولانه وطوفانه فى أمر دنياه ، فإذا أمسى كان كالا تعبا فينام ليله كله حتى يصبح كالجيفة لايتحرك .

﴿ القشعبان ﴾ : كمهرجان : دويبة كالخنفساء قاله فى العباب .

﴿ القعود ﴾ : من الإبل ما اتخذه الراعى للركوب وحمل الزاد والجمع أقعدة وقعد وقعدان

وقعائد ، وقيل القعود القلوص ، وقيل البكر قبل أن يثنى ثم هو جمل والقعود الفصيل .

﴿ القعيد ﴾ : بفتح القاف الجراد الذى لم يستو جناحاه ، والقعيد من الوحش الذى يأتيك من ورائك وهو خلاف النطيح .

﴿ القعقع ﴾ : كفلفل طائر أبلق ضخم من طير الماء طويل المنقار قاله الجوهرى رحمه الله تعالى ، زاد ابن سيده وفيه بياض وسواد .

﴿ القلو ﴾ : بالكسر الحمار الخفيف فى السير .

﴿ القلقانى ﴾ : طائر كالفاختة قاله الجوهرى وغيره .

﴿ القلوص ﴾ : من النوق الشابة وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قلص وقلائص مثل قدوم وقدم وقدائم . قال الراجز :

متى تقول القلص الرواسما يحملن أم قاسم وقاسما

نصب القلص كما ينصب بالظن وهى لغة سليم ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

وقال العدوى : القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى فإذا أثنت فهى ناقة . وقد تقدم فى باب العين المهملة فى الكلام على العير قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

روى ابن المبارك فى الزهد والرقائق عن القاسم مولى معاوية قال : « أقبل أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم ، فجعل كلما دنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله نفر به القلوص وجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يضحكون ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله ، فقيل يا رسول الله إن الأعرابى قتله قلوصه حين صرعه ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم وأفواهكم ملآى من دمه » كذا رواه ابن المبارك مرسلا ، وهو فى الإحياء فى الآفة العاشرة من آفات اللسان .

وفى سنن أبى داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث مرسلا « أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى ببضعة وعشرين قلوصا حلة فأهداها إلى ذى يزن » .

وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عمارة بن زاذان الصيدلانى عن ثابت عن أنس بن مالك « أن ذا يزن أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم حلة قومت بعشرين بعيرا فلبسها صلى الله عليه وسلم ، ثم كساها عمر رضى الله تعالى عنه ، ثم قال : إياك أن تخدع عنها » .

وروى الحاكم عن أبى الزبير عن جابر قال : « استأجرت خديجة رضى الله تعالى عنها

رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص » ثم قال صحيح الإسناد ، والمعروف من ذلك ما فى طبقات ابن سعد قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشأم : وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك ، وبلغ ذلك خديجة فأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك ، وفى رواية : أن أبا طالب أتاها فقال : هل لك أن تستأجرى محمدا ، فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات ؟ فقالت خديجة رضى الله عنها : لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب ؟ فقال أبو طالب : هذا رزق ساقه الله إليك ، فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدموا بصرى من الشأم فنزلا فى ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، قال السهيلى : يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبى لبعد العهد بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك ، والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل إلا أن تصح رواية من قال فى هـذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام فتكون الشجرة على هذا مخصوصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وذكر أبو عمر بن عبد البر أن نسطورا رآه وقد أظلته غمامة فقال : هذا نبى وهو آخر الأنبياء . ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال : أحلف باللات والعزى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط وإنى لأمر بهما فأعرض عنهما ، فقال الرجل : القول قولك ، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، وكان الله تعالى قد ألقى عليه المحبة من ميسرة رضى الله عنه فكان كأنه عبد له ، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون ، فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر خديجة رضى الله عنها بالربح ، ثم قدم ميسرة رضى الله عنه فأخبرها بذلك وبما شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما قاله الراهب ، فأضعفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمت له .

وقد تقدم للقلوص ذكر فى لفظ الفلو فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يربى لصدقة للمتصدق كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه » والقلوص أيضا : الأنثى من النعام .

﴿ القليب ﴾ : كالسكين الذئب وكذلك القلوب كالخنوص قال الشاعر :

أيا أمنا أبكى على أم واهب أكيلة قلوب بإحدى المذانب

﴿ القمرى ﴾ : طائر مشهور كنيته أبو ذكرى وأبو طلحة وهو حسن الصوت والأنثى قمرية ، والذكر ساق حر والجمع قمارى غير مصروف ، قال ابن السمعانى فى الأنساب : القمرة بلدة تشبه الجص لبياضها وأظنها بمصر منها الحجاج بن سليمان بن أفلح القمرى مصرى ، روى عن مالك بن أنس والليث بن سعد وغيرهما مات فجأة سنة ثمان وتسعين ومائة ، وروى عنه محمد بن سلمة المرادى وغيره. قال : والقمرى طائر منسوب إلى هذه البلدة هكذا ذكره صاحب المجمل . وقال ابن سيده : القمرى طائر صغير من الحمام والأنثى قمرية وجمعها قمارى وقمر انتهى .

وكان عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما لما طلق زوجته عاتكة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ينشد :

أعاتك لا أنساكِ ماذر شارق وما ناح قمرى الحمام المطوق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم يطلق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة إليك بما تخفى النفوس معلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوىّ فى الحياة ومنطق

فرق له أبوه وأمره أن يراجعها ، والقصة فى ذلك حسنة طويلة جدا مذكورة فى الاستيعاب والتمهيد وغيرهما . وقال القزوينى : إذا ماتت ذكور القمارى لم تتزاوج إناثها بعدها وتنوح عليها إلى أن تموت .

ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت ، وبيض الفواخت تحت القمارى ، وذكر أن الهوام تهرب من صوت القمارى . روى أبو المظفر بن السمعانى عن والده قال : أنشدنا سعيد بن المبارك النحوى لنفسه :

أرى الفضل مناح التأخر أهله وجهل الفتى يسعى له فى التقدم
كذاك أرى الخفاش ينجيه قبحه ويحتبس القمرى حسن الترنم

(فائدة) كان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه جالسا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل فقال لمالك : إنى رجل أبيع القمارى وإنى بعت فى يومى هذا قمريا ، فرده علىّ المشترى وقال : قمريك لا يصيح ، فحلفت له بالطلاق إنه لا يهدأ من الصياح ، فقال له الإمام مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها ، وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، فقال لذلك الرجل : أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته ؟ فقال لا بل صياحه فقال لا طلاق عليك ، فعلم بذلك الإمام مالك فقال : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال : لأنك

حدثنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة « أن فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطبانى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يضع عصاه على الحجاز ، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ، ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائما ، فتعجب الإمام مالك رضى الله تعالى عنه من احتجاجه وقال له : أفت فقد آن لك أن تفتى : فأفتى من ذلك السن .

(غريبة) ذكر ابن خلكان وابن الأثير فى تاريخهما : أن بعض الملوك بقلاع الهند أهدى للسلطان محمود بن سبكتكين هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمرى ، من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر فإذا حك ووضع على الجراحات الواسعة يختمها ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وذكره ابن خلكان فى ترجمة السلطان المذكور ، ثم ذكر ابن خلكان فى ترجمته عن إمام الحرمين عبد الملك ابن الشيخ أبى محمد عبد الله الجوينى : أن السلطان المذكور كان حنفى المذهب ، وكان مولعا بعلم الحديث ، وكان يسمع عنده الحديث ، وكان يسأل عن معناه فيجد أكثره موافقا لمذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ، فجمع فقهاء المذهبين والتمس منهما الكلام فى ترجيح أحد المذهبين ، فوقع الاتفاق على أن يصلى بين يديه ركعتان على مذهب الإمام الشافعى ، ثم على مذهب الإمام أبى حنيفة ركعتان ، فينظر السلطان إلى ذلك ويختار الأحسن ، فصلى القفال المروزى بطهارة سابغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالأركان والهيئات والسنن والأبعاض والآداب على وجه الكمال وكانت صلاة لايجوّز الشافعى دونها ، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضى الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر ، وكان ذلك فى صميم الصيف فاجتمع عليه الذباب والبعوض ، وكان وضوءه منكسا منعكسا : ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية فى الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ بها دوبرك سبز ثم نقر كنقرات الديك من غير فصل بينها ومن غير طمأنينة ، وتشهد وضرط فى آخرها وخرج من غير نية السلام وقال : أيها السلطان هذه صلاة أبى حنيفة ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه صلاة أبى حنيفة لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذودين ، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه الصلاة جائزة عند أبى حنيفة ، فطلب القفال كتب أبى حنيفة فأمر السلطان باحضارها وأمر نصرانيا أن يقرأ كتب المذهبين جميعا فوجدت الصلاة التى صلاها القفال جائزة عند أبى حنيفة ، فأعرض السلطان عن مذهب أبى حنيفة وتمسك بمذهب الشافعى رضى الله عنهما : وتوفى السلطان بغزة

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وتفسير دوبرك سبز ورقتان خضراوتان وهو معنى قوله تعالى — مدهامتان — قلت وقد ذكر أنه أتى بالسنن والأبعاض والآداب والهيئات ، فقوله لايجوز الشافعى دونها غير مستقيم ، والمشهور أنه أتى بما لا تصح الصلاة إلا به .

(وحكمه) حل الأكل بالإجماع كالحمام لأنه نوع منه كما تقدم .

(التعبير) القمرية فى المنام : امرأة دنية ، وقيل القمرىّ رجل قارئ لقصائد الشعر طيب الحنجرة ، وقالت اليهود : من رأى قمريا أو بلبلا أو ما أشبه ذلك نال خيرا وإن كان له مسافر قدم عليه وإن كان ن غم فرج الله تعالى عنه وإن كانت له حاجة بعيدة قربت ، ومن رأى هذه الأشياء فى زمن الربيع قضيت حاجته وإن رآها فى غير زمن الربيع تأخرت حاجته إلى زمن الربيع ، وتدل رؤيتها للحامل على وضع ذكره ، والله تعالى أعلم .

﴿ القمعة ﴾ : بالتحريك ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ، يقال الحمار يقمع أى يحرك رأسه ، وقال الجاحظ : هو ضرب من ذباب الكلاب . قال فى الكفاية : القمع ذباب أزرق عظيم .

﴿ القمعوط والقمعوطة ﴾ : دويبة حكاه ابن سيده .

﴿ القمل ﴾ : معروف واحدته قملة ويقال لها أيضا قمال قاله ابن سيده ، والقمل جمع قملة وقد قمل رأسه بالكسر قملا ، وكنية القملة أم عقبة وأم طلحة ، ويقال للذكر أبو عقبة والجمع بنات عقبة وبنات الدروز ، والدروز الخياطة سميت بذلك لملازمتها إياها ، وقملة الزرع دويبة تطير كالجراد فى خلقة الحلم وجمعها قمل قاله الجوهرى ، والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ إذا أصاب ثوبا أو بدنا أو ريشا أو شعرا حتى يصير المكان عفنا . وقال الجاحظ : ربما كان الإنسان قمل الطباع وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبدالرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه ، والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه حتى استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لبس الحرير فأذن لهما فيه ، ولولا أنهما كانا فى حد الضرورة لما أذن لهما فيه مع ما قد جاء فى ذلك من التشديد ، فلما كان فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه رأى على بعض بنى المغيرة من أخواله قميص حرير فعلاه بالدرة ، فقال المغيرى : أو ليس عبد الرحمن بن عوف لبس الحرير ؟ قال عمر رضى الله تعالى عنه : وأنت مثل عبد الرحمن ابن عوف لا أم لك . قال : ومن طبع القمل أن يكون فى شعر الرأس الأحمر أحمر وفى الشعر الأسود أسود وفى الشعر الأبيض أبيض ، ومتى تغير الشعر تغير إلى لونه . قال : وهو من الحيوان الذى إناثه أكبر من ذكوره ، وقيل إن ذكوره الصئبان ، وقيل الصئبان بيضه كما تقدم فى باب الصاد المهملة . روى الحاكم فى أوائل المستدرك من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه

أنه قال : « يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الأنبياء قال : ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : العلماء . قال : ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العباءة يلبسها ، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء » ثم قال صحيح الإسناد على شرط مسلم .

والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام ويعرض للقردة .

وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل وتسمى بالفارسية دره ، وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القمل وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه .

(فائدة) اختلف العلماء فى القمل المرسل على بنى إسرائيل فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هو السوس الذى يخرج من الحنطة ، وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى رضى الله تعالى عنهم : هو الجراد الطيار الذى له أجنحة ، وقيل الدبا وهو الجراد الصغار الذى لا أجنحة له ، وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه : بنات الجراد ، وقال أبو عبيد : هو الحمان وهو ضرب من القراد ، وقال أبو زيد : البراغيث ، وقال الحسن وسعيد بن جبير دواب سود صغار ، وقال عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه : هو القمل المعروف بإسكان الميم .

روى أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فضربه بعصاه فانتشر كله قملا فى مصر ، فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا ، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من ذلك القمل فإنه أخذ بشعورهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم عيونهم وجلودهم كأنه الجدرى فمنعهم النوم والقرار ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء ، فدعا لهم موسى عليه الصلاة والسلام فرفع الله القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، والقمل هو أحد الآيات الخمس قال الله تعالى — فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات — يتبع بعضها بعضا ، وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعا وبين كل عذابين شهر .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية : لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ، فلما أتاهم موسى بالآيات الأربع اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات أبوا أن يؤمنوا وأصروا على كفرهم ، فدعا عليهم

موسى عليه الصلاة والسلام فقال : رب إن عبدك فرعون علا فى الأرض وبغى وعتا ، وإن قومه قد نقضوا عهدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم ولقومى ولمن بعدهم آية وعبرة ، فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم السماء ، وكانت بيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة ومختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل من الماء قطرة ، وركد الماء على أراضيهم لا يقدرون على حرث ولا غيره من الأعمال أسبوعا من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء رضى الله تعالى عنهما : الطوفان الموت ، وقال وهب : الطوفان الطاعون بلغة اليمن ، وقال أبو قلابة : الطوفان الجدرى وهو أول ماعذب به فبقى فى الأرض. قال نحاة الكوفة : الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان ، وقال أهل البصرة : هو جمع واحده طوفانة ، فقالوا لموسى عليه السلام : ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فلئن كشف عنا هذا البلاء لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان وأنبت لهم فى تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلإ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم ، فقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا فى عافية فبعث الله تعالى عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى وقعت دورهم وابتلوا بالجوع فكانوا لا يشبعون ، ولم يصب بنى إسرائيل من ذلك شىء ، فعجوا وضجوا إلى موسى عليه السلام وسألوه رفع ذلك عنهم ، فدعا لهم فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام أسبوعا من السبت إلى السبت .

روى أن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا مصرين على كفرهم شهرا فى عافية ، ثم بعث الله تعالى عليهم القمل وقد تقدم ذكره فعجوا وضجوا وسألوا رفع ذلك عنهم وقالوا إنا نتوب فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه أن يرفع ذلك القمل ، فرفع الله تعالى عنهم القمل بعد ما أقام عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت ، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم فأقاموا شهرا فى عافية ، فبعث الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم ، وكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد منهم طعاما ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع ، وكان الرجل يجلس فى الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع فى فيه ، وكانت تلقى نفسها فى القدر وهى تغلى فتفسد طعامهم وتطفىء نيرانهم ولا يعجنون عجينا إلا انشدخت فيه ، وإذا اضطجع أحدهم تركبه الضفادع حتى تكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ، فلقوا منها أذى شديدا فضجوا وصرخوا وصاحوا وسألوا موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك يكشفها عنا ، فدعا ربه فرفع الله تعالى عنهم الضفادع بعد

ماأقامت عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت ، فأقاموا شهرا فى عافية ثم نقضوا العهود وعادوا لكفرهم ، فأرسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم دما فما يستقون من الآبار إلا دما عبيطا أحمر ، فشكوا إلى فرعون فقال ليس لنا شراب فقال إنه قد سحركم ، وكان فرعون يجمع بين القبطى والإسرائيلى على الإناء الواحد فيكون مايلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود فى الإناء دما ، حتى كانت تقول اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فمى فتأخذ فى فيها ماء فإذا مجته فى فيها صار دما ، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها فى فيه ملحا أجاجا ، فمكثوا كذلك أسبوعا من السبت إلى السبت لايشربون إلا الدم . وقال زيد بن أسلم : الدم الذى سلط عليهم كان الرعاف ، فأتوا موسى عليه السلام وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا لهم فرفع عنهم الدم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل — فلما كشفنا عنهم الزجز — وهو ما ذكره الله من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . وقال ابن جبير : الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفا فى يوم واحد .

روينا عن عامر بن سعد بن أبى وقاص أنه سمع أباه يسأل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الطاعون شيئا ؟ فقال أسامة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الطاعون رجز أرسل على بنى إسرائيل أو على من قبلكم فإذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » فسألوا موسى عليه السلام فدعا ربه فكشفه عنهم ، فتمادوا فى كفرهم وطغيانهم إلى أن أغرق الله تعالى فرعون وملأه فى اليم ، وقد تقدم ذكر غرقه فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحصان .

قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر : كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لايرى مكروها ، ولو حصل له فى تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط .

وقد ظفرت بهذه القصة مختصرة فأوردتها عقب هذا لتحصل الفائدة . وهو أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل فضربه فانتشر كله قملا فى مصر ، ثم إنهم قالوا ادع لنا ربك فى كشف هذا عنا فدعا فكشف عنهم فرجعوا إلى طغيانهم ، فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم وإذا هم الرجل أن يتكلم دخلت الضفادع فى فيه ، وتلقى نفسها فى القدر وهى تغلى ، فقالوا ادع لنا ربك يكشفها ، فكشف عنهم

فرجعوا إلى كفرهم ، فبعث الله تعالى عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى كانوا يشربونه دما فكان الرجل منهم إذا استقى من البئر وارتفع إليه الدلو عاد دما ، وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف .

(فائدة أخرى) نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن تقصع القملة بالنواة أى تقتل ، والقصع الدلك بالظفر وإنما خص النوى لأنهم كانوا يأكلونه عند الضرورة ، وقيل لأن النواة كانت مخلوقة من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام . وفى الحديث « أكرموا النخلة فإنها عمتكم وفى حديث آخر « نعمت العمة لكم النخلة » وقيل لأن النوى قوت الدواب ، وقال الجوهرى فى الحديث : « إنه نهى عن قصع الرطبة » وهو عصرها لتقشر .

(الحكم) يحرم أكل القمل بالإجماع ، وإذا ظهر على بدن المحرم أو ثيابه لم يكره له تنحيته ، فإن قتله لم يلزمه شىء لكن يكره أن يفلى رأسه أو لحيته فإن فعل وأخرج منهما قملة فقتلها تصدق ولو بلقمة . قال الأكثرون : هذا التصدق مستحب ، وقيل واجب لما فيه من إزالة الأذى عن الرأس واللحية ، وليس هذا التصدق فداء للقملة حتى يدل ذلك على حل الأكل ، وإنما التصدق فى مقابلة الترفه الحاصل للمحرم . وأفاد الترمذى الحكيم أنه إذا وجد الجالس على الخلاء قملة لا يقتلها بل يدفنها ، فقد روى أنه من قتل قملة وهو على رأس خلائه بات معه فى شعاره شيطان فينسيه ذكر الله أربعين صباحا ، وقيل من قتل قملة على رأس خلائه لن يكفى الهم ماعاش ، وفى فتاوى قاضى خان : لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها .

(فرع) يجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية ، ولذلك رخص النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنهما فى لبسه لذلك كما تقدم ورواه الشيخان ، والأصح أنه لا يختص بالسفر ، وفى وجه اختاره الشيخ أبو محمد الجوينى ، وابن الصلاح يختص به لأن الرواية مفيدة بذلك ، وقال مالك : لا يجوز لبسه مطلقا لأن وقائع الأحوال عنده لا تعم ، وهو وجه بعيد عندنا .

(فرع) إذا رأى المصلى فى ثوبه قملة أو برغوثا قال الشيخ أبو حامد الأولى أن يتغافل عنها فإن ألقاها بيده وأمسكها حتى يفرغ فلا بأس ، فإن قتلها فى الصلاة عفى عن دمها دون جلدها وإن قتلها وتعلق جلدها بظفره أو بثوبه بطلت صلاته . قال : ولا بأس بقتلها فى الصلاة كما لا بأس بقتل الحية والعقرب ، فإن ألقى القملة بيده فلا بأس . قال القاموسى : وينبغى أن يختص جواز إلقائها بغير المسجد ، والذى قاله صحيح متعين لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليصرها فى ثوبه حتى يخرج من المسجد » رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح ؛ وفى المسند أيضا عن شيخ من أهل مكة من قريش قال « وجد رجل فى ثربه قملة فأخذها

ليطرحها فى المسجد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفعل ردها فى ثوبك حتى تخرج من المسجد » وإسناده أيضا صحيح ، وقال البيهقى إنه مرسل حسن ، ثم روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه رأى قملة على ثوب رجل فى المسجد فأخذها فدفنها فى الحصى ثم قال — ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا — قال : ويذكر نحو هذا عن مجاهد وعن ابن المسيب أنه يدفنها كالنخامة . قال : وروينا عن مالك بن عامر أنه قال : رأيت معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه يقتل البراغيث والقمل فى الصلاة ، وفى رواية : رأيت معاذا يقتل القمل فى الصلاة ، ولكن لايعبث .

وروى البزار والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليدفنها » . وقال أبو عمر ابن عبد البر فى التمهيد : وأما القملة والبرغوث فأكثر أصحابنا يقولون لا يؤكل طعام مات فيه شىء منهما لأنهما نجسان ، وهما من الحيوان الذى عيشه من دم حيوان لاعيش لهما غير الدم ولهما دم فهما نجسان . وكان سليمان بن سالم القاضى الكندى من أهل أفريقية يقول : إن ماتت القملة فى ماء طرح ولا بشرب ، وإن وقعت فى دقيق ولم تخرج فى الغربال لم يؤكل الخبز ، وإن ماتت فى شىء جامد طرحت وما حولها كالفأرة . وقال غيره من أصحابنا وغيرهم : إن القملة كالذباب سواء . وقال فى التمهيد أيضا : ذكر نعيم بن حماد عن المبارك عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلاة أو قتل القمل فى الصلاة » قال نعيم : هذا أول حديث سمعته من ابن المبارك .

(الأمثال) قالت العرب : غل قمل : يضرب للمرأة السيئة الخلق ، قال ابن سيده فى الحديث : « النساء غل قمل يقذفها الله فى عنق من يشاء ثم لايخرجها إلا هو » وهذا بعض أثر . وفى الفائق فى آخر باب الهاء مع الباء : أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : النساء ثلاث هينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويكفه عمن يشاء . والرجال ثلاثة : رجل ذو رأى وعقل ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأى فاستشاره ، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشيدا ولا يطيع مرشدا . وقال الأصمعى : كانوا يغلون الأسير بالقد وعليه الوبر ، فإذا طال الغل عليه قمل فيلقى منه جهدا . يضرب لكل من يلقى فى شدة ، قال : وهذا هو السبب فى قول حاتم الطائى : لو غير ذات سوار لطمتنى :

وذلك أنه مر ببلاد نميرة فى بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم ياأبا سفانة أكانى الإسار والقمل . فقال : ويحك أسأت إذ نوهت باسمى فى غير بلاد قومى ، فساوم القوم به ثم قال :

أطلقوه واجعلوا يدى فى الغل مكانه ففعلوا ، فجاءته امرأة ببعير لتفديه ، فقام فنحره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتنى ، يعنى إنى لا أقتص من النساء فعرف ففدى نفسه .

(الخواص) : قال الجاحظ : القمل يعترى ثياب غير المجذومين . قال ابن الجوزى : والحكمة فى ذلك أنه لما تولع الجذام بأطرافهم صعب عليهم الحك فمنع الله عنهم ذلك لطفا بهم ، كما أنه منع عن الأخرس السمع لطفا به ، وإذا ألقيت القملة وهى حية أورثت النسيان كذا رواه ابن عدى فى كامله فى ترجمة أبى عبد الله الحكم بن عبد الله الأيلى أنه روى بإسناد صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر ، وإلقاء القملة وهى حية ، والبول فى الماء الراكد ، وقطع القطار ، ومضغ العلك ، وأكل التفاح الحامض » وبضد ذلك اللبان الذكر » ، وأشار إلى ذلك الجاحظ بقوله : وفى الحديث «إن أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ونبذ القملة يورث النسيان » قال : وفى حديث آخر « إن الذى يلقى القملة لايكفى الهم » . وقيل إن قراءة ألواح القبور والمشى بين المرأتين والنظر إلى المصلوب وأكل الكزبرة الخضراء وأكل الخبز الحار يورث النسيان . وأكل الحلوى وشرب العسل وأكل الخبز البارد يورث الذكاء ، والعامة تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان . وإذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل بذكر أم بأنثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها فى كف إنسان ، فإن خرجت القملة من اللبن فهى حامل بجارية وإن لم تخرج فهى حامل بذكر . وإن احتبس على إنسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها فى إحليله فإنه يبول من وقته . وإن غسلت المرأة أصول شعرها بماء السلق منع القمل . ودهن القرطم إذا دهن به إنسان مات قمله ، وإن غسل البدن بخل وماء البحر قتل القمل . وإذا مسح الرأس والبدن بزئبق مقتول بدهن سمسم منع القمل من الرأس والثياب .

(التعبير) القمل فى المنام على وجوه : فإذا كان فى قميص جديد فإنه مال ، وهو للسلطان جند وأعوان وللوالى زيادة فى ماله . ومن رأى القمل فى ثوب خلق فهو دين يخشى زيادته ، والقمل على الأرض قوم ضعاف فإن دب إلى جانب إنسان فإنه يخالطهم . ومن رأى القمل وكرهه فإنه يرى أعداء ولا يقدرون له على مضرة . ومن رأى أنه قرصه القمل فإن قوما ضعفاء يرمونه بكلام ، ومن حكه القمل فلا بد أن يطالب بدين ، والقملة تعبر بامرأة لأن ابن سيرين أتاه رجل فقال رأيت كأن إنسانا أخذ من كمى قملة فألقاها ، فقال ابن سيرين : تطلق زوجتك على يده فكان كذلك . ومن رأى قملة طارت من صدره فإن أجيره أو غلامه أو ولده قد هرب ، والقمل الكثير مرض أو حبس لأنها أكثر ماتحدث على هؤلاء القوم ، وربما دلت رؤية القمل على العيال ، وتعبر رؤية القمل للملك بجيشه وأعوانه وللوزير

بشرطته وللقاضى بالمتوصلين إليه . ومن رأى أنه رمى قملة فإنه مخالف لسنة من السنن لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن رمى القمل ، ومن أكل قملة فإنه يغتاب إنسانا فإن وجد لها دما فإنه يغتاب رجلا ذا مال ، والقمل يعبر بأقوام يمشون بالنميمة بين الأقرباء، وقتل القمل فى المنام قهر الأعداء . وقال جاماسب : من التقط القمل فإنه يكذب عليه كذب فاحش ، والله أعلم .

﴿ القمقام ﴾ : صغار القردان ، ضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر الواحدة قمقامة وتسميه العامة الطبوع وقد تقدم .

(الأمثال) قالت العرب :

* قمقامة حكت بجنب البازل *

البازل من الإبل ما دخل فى السنة التاسعة كما تقدم وهو أقواها ، يضرب للضعيف الذليل يحتك بالقوى العزيز .

﴿ قندر ﴾ : قال القزوينى : هو حيوان برى بحرى يكون فى الأنهار العظام يتخذ فى البر إلى جانب البحر بيتا له بابان يأكل لحم السمك ، وخصيته تسمى الجندبادستر ، وقد تقدم فى باب الجيم الكلام على ذلك .

﴿ القندس ﴾ : قال ابن دحية : إنه كلب الماء ، وفسر به حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الجماعة غير النسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تقاتلون بين يدى الساعة قوماً نعالهم الشعر » وفى رواية : « يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر وجوههم كالمجان المطرقة حمر الوجوه ، صغار الأعين ، ذلف الأنوف » قال ابن دحية : قوله يلبسون الشعر إشارة إلى الشرابيشى التى يدار عليها بالقندس ، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز وذوات الصوف الضأن وذوات الوبر الإبل انتهى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف حكم الكلب المائى . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : بحثنا عن القندس فلم يتبين لنا أنه مأكول أو غيره ، فينبغى أن يتورع عن الصلاة فيه ، ولنا وجهان فيما أشكل من الحيوان فلم يعلم أنه مأكول أو غيره .

﴿ القنعاب ﴾ : كسنجاب : العظيم من الوعول السمين .

﴿ القنفذ ﴾ : بالذال المعجمة وبضم الفاء وفتحها البرى منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك ، والأنثى أم دلدل والجمع القنافذ ، ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل ، ويقال القنفذ أنقد . وهو صنفان : قنفذ يكون بأرض مصر قدر الفأر ، ودلدل يكون بأرض الشأم

والعراق فى قدر الكلب القلطى ، والفرق بينهما كالفرق بين الجرذ والفأر . قالوا : إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسا فيقطع العناقيد ويرمى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق ، فإن كان له فراخ تمرغ فى الباقى ليستبك فى شوكه ويذهب به إلى أولاده وهو لا يظهر إلا ليلا . قال الشاعر :

قنافذ هداجون حول بيوتهم بما كان إياهم عطية عودا

وهو مولع بأكل الأفاعى ولا يتألم بها ، وإذا لدغته الحية أكل السعتر البرى فيبرأ ، وله خمسة أسنان فى فيه ، والبرية منها تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى .

روى الطبرانى فى معجمه الكبير والحافظ ابن منير الحلبى وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال « كانت ليلة شديدة الظامة والمطر فقلت لو أنى اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ، فلما رآنى قال صلى الله عليه وسلم : قتادة ؟ قلت : لبيك يارسول الله ، ثم قلت : علمت أن شاهد الصلاة هذه الليلة قليل فأحببت أن أشهدها معك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرفت فائتنى ، فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأعطانى عرجونا كان فى يده وقال : هذا يضىء أمامك عشرا ومن خلفك عشرا ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان قد خلفك فى أهلك فاذهب بهذا العرجون فاستضىء به حتى تأتى بيتك فتجده فى زاوية البيت فاضربه بالعرجون . قال : فخرجت من المسجد فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به وأتيت أهلى فوجدتهم قد رقدوا ، فنظرت إلى الزاوية فإذا فيها قنفذ ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج » رواه الإمام أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(فائدة) روى البيهقى فى أواخر دلائل النبوة عن أبى دجانة واسمه سماك بن خرشة قال « شكوت إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنى نمت فى فراشى فسمعت صريرا كصرير الرحى ودويا كدوى النحل ولمعا كلمع البرق ، فرفعت رأسى فإذا أنا بظل أسود يعلو ويطول فى صحن دارى فمسست جلده فإذا هو كجلد القنفذ فرمى فى وجهى مثل شرر النار ، فقال صلى الله عليه وسلم : عامر دارك يا أبا دجانة ، ثم طلب صلى الله عليه وسلم دواة وقرطاسا وأمر عليا رضى الله تعالى عنه أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من يطرق الدار من العمار والزوار إلا طارقا يطرق بخير ، أما بعد : فإن لنا ولكم فى الحق سعة ، فإن كنت عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون ، اتركوا صاحب كتابى هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر ، لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون . حم لا ينصرون . حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم — فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم — قال أبو دجانة رضى الله عنه : فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى دارى وجعلته تحت رأسى فبت ليلتى ، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول : يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات ، فبحق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات فلا عود لنا فى دارك ولا فى جوارك ولا فى موضع يكون فيه هذا الكتاب . قال أبو دجانة : فقلت والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو دجانة : فلقد طالت على ليلتى بما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتى وما قلت لهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذى بعثنى بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة » قال البيهقى : وقد ورد فى حرز أبى دجانة رضى الله عنه حديث طويل غير هذا موضوع لا تحل روايته ، وهذا الذى رواه البيهقى رواه الديلمى الحافظ فى كتاب الإنابة والقرطبى فى كتاب التذكار فى أفضل الأذكار .

(الحكم) قال الشافعى : يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه . وقد أفتى ابن عمر بإباحته . وقال أبو حنيفة والإمام أحمد : لا يحل لما روى أبو داود وحده أن ابن عمر رضى الله عنهما سئل عنه فقرأ — قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما — الآية ، فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول « ذكر القنفذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خبيث من الخبائث » فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : إن كان قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كما قال . قلت : والجواب أن رواته مجهولون . قال البيهقى : ولم يرو إلا من وجه واحد ضعيف لا يجوز الاحتجاج به ، وما روى عن سعيد بن جبير أنه قال « جاءت أم حفيد رضى الله عنها بقنفذ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته بين يديه فنحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأكله » فهو مرسل ، وقد روى مسندا وليس فيه ذكر القنفذ ، وقيل أراد أنه خبيث الفعل دون اللحم لما فيه من إخفاء رأسه عند التعرض لذبحه وإبداء شوكه عند أخذه . وسئل مالك عنه فقال : لا أدرى ، وقال القفال : إن صح الخبر فهو حرام وإلا رجعنا إلى العرب هل تستطيبه أم لا ؟ وقال الرافعى : يقال إن له كرشا ككرش الشاة .

(الأمثال) قالو : أسرى من قنفذ ، وقالوا : ذهبوا أسراء قنفذ يعنى ذهبوا ليلا لأن القنفذ يسرى فى الليل كثيرا ، وقد تقدم هذا فى باب الهمزة فى لفظ أنقد .

(الخواص) مرارة البرى منه إذا طلى بها موضع الشعر المنتوف لاينبت فيه شعر أبدا ، وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين ، وإذا خلطت بشىء من الكبريت وطلى بها البهق أزالته ، وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير ، وإن خلطت بدهن ورد وقطر فى أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياما ، ولحمه إذا أكل نفع من السل

والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى ، وإن مسح بشحمه ودمه وبراثنه المعقود عن النساء حله ، وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال بشراب العسل فإنه يبرئه ، وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم مسحوقا بماء الحمص الأسود من به عسر البول فيبرأ سريعا ، وإن قتل قنفذ وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان وعلق على المجنون والمصروع والمخبل أبرأه ، وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حى وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة من غير أن يعلم ماهو مربوط فى خرقة كتان أبرأه ، وعينه اليمنى تغلى بشيرج وتجعل فى إناء نحاس فمن اكتحل به لم يخف عليه شىء فى الليل بل يراه كأنه نهار وشطار العيارين يفعلون ذلك ، وعينه اليسرى تغلى بزيت وترفع فى قارورة فإذا أردت أن تنوم إنسانا فخذ منه بطرف الميل وأدنه إلى أنفه فإنه ينام من ساعته ، وأظفار يده اليمنى يبكر بها المحموم فتذهب حماه ، وطحاله إذا شوى وأكله من به وجع الطحال أبرأه والأول أسرع وهو ماتقدم ، ومرارته تعجن بسمن عتيق وتتحمل بها المرأة فى قبلها فإنها تلقى ما فى جوفها ، ودمه يطلى به على عضة الكلب يسكن ألمها ، ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام وهو جيد لمن يبول فى فراشه ، وجميع أصناف القنافذ بيضها أصفر جدا لا يؤكل ، وإذا أخذ بول القنفذ وسقى بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه ، وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه ، وإذا طلى المجذوم بشحمه نفعه .

(وأما رؤيته فى المنام) فإنه يدل على المكر والخداع والتجسس والاحتقار والشر وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة ، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح ، والله تعالى أعلم .

﴿ القنفذ البحرى ﴾ : قال القزوينى : مقدمه يشبه مقدم القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك طيب اللحم جدا . قال ابن زهر : ويعالج به عسر البول وريشه لين يشبه الشعر .

﴿ القنفشة ﴾ : دويبة معروفة عند أهل البادية حكاه ابن سيده .

﴿ القهبى ﴾ : بالفتح اليعقوب ، وقيل العنكبوت .

﴿ القهيبة ﴾ : طائر يكون بتهامة فيه بياض وخضرة ، وهو نوع من الحجل قاله ابن سيده أيضا .

﴿ القوافر ﴾ : الضفادع ، وقد تقدم مافيها فى باب الضاد المعجمة .

﴿ القواع ﴾ : بضم القاف الذكر من الأرانب .

﴿ القوب ﴾ : الفرخ ، ومنه قولهم فى المثل : تخلصت قائبة من قوب ، فالقائبة قشر البيضة قال الكميت :

لهن وللمشيب ومن علاها من الأمثال قائبة وقوب

وقال أعرابى من بنى أسد لتاجر استخفره : إذا بلغت بك مكان كذا وكذا فبرئت قائبة من قوب : أى أنا برىء من خفارتك .

﴿ القوبع ﴾ : بضم القاف وفتح الباء الموحدة طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه وقد تقدم فى آخر باب العين المهملة .

﴿ القوثع ﴾ : بفتح الثاء المثلثة الظليم ، وقد تقدم فى باب الظاء المعجمة .

﴿ القوق ﴾ : بالضم طائر مائى طويل العنق قاله فى العباب .

﴿ قوقيس ﴾ : قال القزوينى : إنه طائر بأرض الهند من شأنه أنه عند التزاوج يجمع حطبا كثيرا فى عشه ، ولا يزال الذكر منه يحك منقاره بمنقار الأنثى حتى تأجج النار من حكها فى ذلك الحطب وتشتعل ويحترقان فيها ، فإذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له أجنحة ثم يصير طيرا ثم يفعل كفعل الأول من الحك والاحتراق .

﴿ قوقى ﴾ : بضم القاف الأولى وكسر الثانية صنف من السمك عجيب جدا على رأسه شوكة قوية يضرب بها . حكى الملاحون أن هذه السمكة إذا جاعت رمت نفسها إلى شىء من الحيوان فيبتلعها ، ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه ، وربما تخرج من شق بطنه تتغذى منه هى وغيرها ، وإذا قصدها قاصد فى الماء تضربه بالشوكة فيهلك ، ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتخرقها وتغرق أهلها وتأكل منهم ، والملاحون يعرفون ذلك فيجعلون على السفينة جلد تلك السمكة فإن شوكتها لا تعمل فيه كذا قاله القزوينى .

﴿ قيد الأوابد ﴾ : الفرس الجواد ، قيل له ذلك لأنه يمنع الوحش الفوات لسرعته ، والأوابد الوحوش . قال امرؤ القيس :

* بمنجرد قيد الأوابد هيكل *

﴿ قيق ﴾ : بكسر أوله طائر على قدر اليمامة ، وأهل الشأم يسمونه أبا زريق ، وهو ألوف للناس ، فيه قبول للتعلم وسرعة إدراك لما يعلم ، وقد تقدم فى باب الزاى .

﴿ أم قشعم ﴾ : بفتح القاف النسر والعنكبوت والضبع واللبوة والمنية والداهية والحرب والدنيا أيضا . قال زهير :

فشدّ ولم ينظر بيوتا كثيرة إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم

قيل أراد أحد هذه الأشياء . وقال آخر :

فخر صريعا لليدين وللفم إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم

﴿ أبو قير ﴾ : طائر معروف قاله ابن الأثير وغيره وقد تقدم .

﴿ أم قيس ﴾ : هى بقرة بنى إسرائيل ، وقد تقدم ذكرها فى باب الباء وفى باب العين المهملة فى العجل .

باب الكاف

﴿ الكاسر ﴾ : العقاب يقال كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا : إذا ضم جناحيه يريد الوقوع وعقاب كاسر . قال الشاعر :

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

ويعدى فيقال كسر جناحيه قاله ابن سيده .

﴿ كاسر العظام ﴾ : المكلفة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم .

﴿ الكبش ﴾ : فحل الضأن فى أى سن كان ، وقيل إذا أثنى وقيل إذا أربع والجمع أكبش وكباش .

روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال « ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما » .

وروى أبو داود وابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال « ذبح النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوءين فلما وجههما قال صلى الله عليه وسلم : إنى وجهت وجهى الذى فطر السموات والأرض حنيفا — إلى قوله — وما أنا من المشركين — اللهم منك وإليك عن محمد وأمته ، بسم الله والله أكبر ثم ذبح » قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

قوله أملحين : الأملح الذى بياضه أكثر من سواده ، وقيل هو النقى البياض ، وفى الحديث الآخر فى صحيح مسلم « يطأ فى سواد ويبرك فى سواد وينظر فى سواد » ومعناه : أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود ، ونقل عن أصحاب الحديث أن معنى كونه ينظر فى سواد ويبرك فى سواد ويطأ فى سواد أن ذلك يكون فى ظل نفسه لسمنه .

وروى ابن سعد فى طبقاته « أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى له ترس فيه تمثال كبش فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال » وفى رواية « أنه كان له صلى الله عليه وسلم ترس فيه تمثال كبش » وفى رواية « تمثال عقاب فكره النبى صلى الله عليه وسلم مكانه فأصبح وقد أذهبه الله تعالى » .

وفى سنن أبى داود وابن ماجه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون للناس صوف الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزءون لأتيحن لهم فتنة تدع الحكيم حيرانا».

وروى البيهقى فى الشعب عن عمر رضى الله تعالى عنه قال «نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال صلى الله عليه وسلم: انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة اشتريت بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون» انتهى.

وفى الصحيحين عن خباب بن الأرت قال «هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله عز وجل فوقع أجرنا على الله فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم نجد له ما نكفنه به إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطينا بها رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطى رأسه وأن نجعل على رجليه من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها» أى يجتنيها وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والكبش هو الذبح العظيم الذى فدى الله به إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وإنما سمى عظيما لأنه رعى فى الجنة أربعين عاما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما. قال: وهو الكبش الذى قرّبه هابيل فتقبل منه. قال: ولو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة ولذبح الناس أبناءهم. واستشهد أبو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه القصة على أن من نذر ذبح ولده يلزمه ذبح شاة، ومنع الجمهور ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم «لا نذر فى معصية الله ولا نذر لابن آدم فيما لا يملك».

وقد اختلف العلماء فى الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق عليهما الصلاة والسلام، فذهب قوم إلى أنه إسحاق منهم عمر وعلى وابن مسعود والعباس وكعب وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء والزهرى والسدى، قالوا كانت هذه القصة بالشأم.

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: أرى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح إسحاق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة حتى أتى به المنحر فى منى، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت لهما الأودية والجبال. واحتجوا أيضا بقوله تبارك وتعالى — فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك — قالوا: وليس فى القرآن أنه بشر بولد سوى ماقال فى سورة هود — وبشرناه

بإسحاق – وممن ذهب إلى أنه إسحاق شيخ التفسير محمد بن جرير الطبرى رحمة الله عليه وروى عن مالك.

وقالت فرقة : الذبيح إسماعيل، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح قال – وبشرناها بإسحاق ومن راء إسحاق يعقوب – فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه . قال محمد بن كعب القرظى : سأل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجلا من علماء يهود وكان قد أسلم وحسن إسلامه أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى أمر الله تعالى بذبحه ويزعمون أنه إسحاق أبوهم ، ومن الدليل عليه أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة فى أيدى بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج . قال الشعبى رحمه الله : رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : والذى نفسى بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة قد وخش يعنى قد يبس. وقال الأصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل ؟ فقال : يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه . قال محمد بن إسحاق : كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام ويقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ ينفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام أن يذبحه ، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له : إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا ، فلما أصبح روى فى نفسه أى فكر أمن الله هذا أم من الشيطان ؟ فمن ثم سمى يوم التروية، فلما أمسى رأى مارأى فى المنام ثانيا ، فلما أصبح عرف أنه من الله تعالى فمن ثم سمى يوم عرفة فهم بنحر ابنه ففداه الله تعالى بالكبش .

روى البيهقى فى البعث والنشور من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما فدى إسحاق بالكبش قال الله عز وجل : إن لك دعوة مستجابة ، فقال له إبراهيم : تعجل دعوتك لايدخل الشيطان فيها شيئا . قال إسحاق : اللهم من لقيك من الأولين والآخرين لايشرك بك شيئا فاغفر له » .

وكنية جماعة من الصحابيات رضى الله تعالى عنهن أم كبشة منهن أم كبشة بنت معد يكرب عمة الأشعث بن قيس .

روى الدارقطنى عن معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم فى آخره « أن أم كبشة هذه سألت النبى صلى الله عليه وسلم أنها آلت أن تطوف بالبيت

الحرام حبوا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوفى على رجليك سبعين سبعا عن يديك وسبعا عن رجليك قلت: والحكم المذكور غريب لم أر من صرح به من الفقهاء فلذلك ذكرته هنا وإن لم يكن له تعلق بالكتاب، ثم رأيته بعد ذلك فى آخر باب النذر من المحرر لمجد الدين بن تيمية من الحنابلة فقال: ومن نذر أن يطوف على أربع لزمه أن يطوف طوافين نص عليه يعنى الإمام أحمد، ثم رأيته فى تاريخ مكة لأبى الوليد الأزرقى مرويا من حديث عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن امرأة نذرت أن تطوف على أربع قال: تطوف عن يديها سبعا وعن رجليها سبعا.

(فائدة) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جىء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر» وفى رواية الترمذى «فيقال هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجع فيذبح، فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحا» وإنما جىء بالموت على هيئة كبش لما أن ملك الموت عليه السلام أتى آدم عليه الصلاة والسلام فى صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعمائة جناح.

قال ابن عباس والكلبى ومقاتل فى قوله تعالى — الذى خلق الموت والحياة — خلقهما جسمين جعل الموت فى هيئة كبش أملح لا يمر على شىء ولا يجد ريحه شىء إلا مات، والحياة على هيئة فرس أنثى بلقاء، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر على شىء ولا تطأ شيئا ولا يجد ريحها شىء إلا حيى، وهى التى أخذ السامرى من ترابها فألقاه على العجل انتهى. وهذه هى الحكمة فى فداء الذبيح بكبش ليكون فدى من الموت بشكل الموت، ولما سر بذبحه سر أهل الجنة أيضا بذبحه منة عليهم. ونقل القرطبى عن كتاب خلع النعلين: أن الذابح للكبش بين الجنة والنار يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فى اسمه إشارة إلى الحياة الأبدية، وذكر صاحب كتاب الفردوس أن الذى يذبحه جبريل عليه السلام.

(فائدة أخرى) قال ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير والضحاك والحسن رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى — قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم — أن الذى يكبر فى صدورهم الموت. قال السهيلى: وهو تفسير يحتاج إلى تفسير. قال: وقال

بعض المتأخرين: إن الموت الذى يستعظمونه سيفنى حين يذبح بين الجنة والنار فكذلك أنتم تفنون. ورأيت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة وهب بن منبه أنه قال: إن لله تعالى فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

(فائدة أخرى) قال البونى فى اللمعة النورانية من السر البديع: إذا كان الإنسان يخاف على نفسه من قتل أو عذاب أو غيره فليذبح كبشا سمينا سليما من العيوب كما فى الأضحية يذبحه فى موضع خال ذبحا سريعا موجها إلى القبلة، ويقول عند الذبح: اللهم هذا لك ومنك اللهم إنه فدائى فتقبله منى، ويحفر لدمه حفرة ويردمها بالتراب حتى لا يطأ أحد على دمه، ويبضعه ستين جزءا الجلد جزء والرأس جزء والبطن جزء إلى أن يأتى على الستين جزءا، ولا يأكل منه شيئا لاهو ولا من تجب عليه نفقته ويفرقه على الفقراء والمساكين فإنه يكون فداء له ولا يناله مكروه من جهة الأمر الذى يخشاه، وهو متفق عليه مجرب معمول به والله تعالى المحسن لعبيده المنعم عليهم، قال: وإن كان يخاف من أمر دون ذلك فليطعم ستين مسكينا من أفضل الطعام ويشبعهم ويقول: اللهم إنى أستكفى هذا الأمر الذى أخافه بهم هؤلاء، وأسألك بأنفسهم وأرواحهم وعزائمهم أن تخلصنى مما أخاف وأحذر فإنه يفرج عنه، وهذا أيضا متفق عليه معمول به مستفيض عند أهل الطريقة.

(وحكم الكبش) تقدم، ومنه أنه تحرم المناطحة بالكباش، لما روى أبوداود والترمذى من حديث مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما «أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحريش بين البهائم» والتحريش الإغراء وتهييج بعضها على بعض كما يفعل بين الكباش والديوك وغيرهما. وفى الكامل فى ترجمة غالب بن عبد الله الجزرى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى لعن من يحرش بين البهائم» قال الحليمى: وهو حرام ممنوع منه لا يؤذن لأحد فيه، لأن كل واحد من المتحارشين يؤلم صاحبه ويجرحه، ولو أراد المحرش أن يفعل ذلك بيده ما حل له، وعن الإمام أحمد فى ذلك روايتان: التحريم والكراهة.

(الأمثال) قالوا: عند النطاح يظهر الكبش الأجم، وهو الذى لا قرن له. يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له. وكان الحسن يقول: يا ابن آدم السكين تحد والتنور يسجر والكبش يعتلف.

روى السهيلى وغيره «أن عبد الله بن الزبير لما ولد قال النبى صلى الله عليه وسلم: هو هو، فلما سمعت بذلك أمه أسماء بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما أمسكت عن إرضاعه،

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أرضعيه ولو بماء عينيك، كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه» .

ومما قيل فى ليالى صفين :

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسد ما أراها تصطلح
فمن يقاتل فى وغاها مانجا ومن نجا برأسه فقد ربح

(الخواص) خصية الكبش تشوى وتطعم لمن يبول فى الفراش يبرأ من ذلك إذا داوم عليه . وإن تعسر على المرأة الولادة فليؤخذ شحم كبش وشحم بقر وماء الكراث وتخلط جميعا وتتحمل به المرأة فإنها تلد بسهولة ، وكليته إذا نزعت بعروقها وجففت فى الشمس وأذيبت بدهن الزئبق وطلى به مكان نبت فيه الشعر ، ومرارته إذا طلى بها الثديان انقطع اللبن .

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أنس رضى الله تعالى عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصف من عرق النسا ألية كبش عربى أسود ليس بالعظيم ولا بالصغير تجزأ ثلاثة أجزاء فيذاب ويشرب منه كل يوم جزء» ورواه الحاكم وابن ماجه ولفظهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « شفاء عرق النسا أن يؤخذ ألية كبش فتذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق ثلاثة أيام فى كل يوم جزء» قال عبد اللطيف البغدادى : هذه المعالجة تصلح للأعراب الذين يعرض لهم هذا المرض من يبس .

(التعبير) الكبش فى الرؤيا : رجل شريف القدر لأنه أشرف الدواب بعد ابن آدم لأنه كان فداء لإسماعيل عليه السلام ، ومن رأى كبشا ينطح فرج امرأة فإنها تأخذ بالمقراض ما على فرجها من الشعر ، ومن رأى أنه أخذ ألية كبش أخذ مال رجل شريف القدر ويتزوج بابنته لأن ألية الكبش مال الرجل ومن يتبعه من عقبه ، ومن ذبح كبشا لغير الأكل فإنه يقتل رجلا عظيما ، وإن ذبحه للأكل نجا من هم على يد رجل عظيم القدر ، وإن كان مريضا يبرأ من مرضه . وقال أرطاميدورس : الكبش يدل على رجل رئيس لتقدمه على الغنم ، وهو دليل خير لمن يركبه إذا كان الموضع مرتفعا ، والكبش الأجم وال معزول ورجل ذليل أو خصى ، ومن نكح كبشا فرق بينه وبين ماله رجل عظيم ، ومن ركب كبشا فى مكان مستو من الأرض وكان من الأوباش الخداعين الذين يحبون الفتن والكلام فإنه يصلب لأن هذا الحيوان من حيوان عطارد ، ومن حمل كبشا على ظهره فإنه يتقلد مؤنة رجل ضخم . ومن رأى نعجته صارت كبشا فإن زوجته لاتحمل ، فإن لم تكن له زوجة نال قوة ونصرة على عدوه ، وكبش الإنسان سلطانه وأميره وقد يكون كبشه كيسه فإذا حدث فيه شىء فانسبه إلى الكيس .

أتى شخص إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال : رأيت كبشين يتناطحان على فرج امرأتى، فقال له : إن امرأتك قد أخذت بالمقراض شعر فرجها لتعذر الموسى ، ومن ضحى بكبشين فإنه ينجو من جميع الهموم ، وإن كان مسجونا خرج من السجن ، وإن كان فى حرب سلم ، وإن كان عليه دين قضى ، وإن كان مريضا شفى . ومن رأى كبشين يتناطحان فإنهما ملكان يقتتلان فأيهما هزم صاحبه فهو الغالب، وتنسب السود من الكباش إلى العرب والبيض إلى العجم ، وإن تساويا فى الألوان فانظر إلى الجهة التى كان الثابت فيها كان أهلها منصورين ، ومهما أخذ الإنسان من أصوافها أو قرونها فهو مال يناله وقس على هذا والله تعالى أعلم .

﴿ الكبعة ﴾ : بفتح الكاف وإسكان الباء الموحدة دابة من دواب البحر قاله ابن سيده .

﴿ الكتفانه ﴾ : بضم الكاف وإسكان التاء المثناة فوق وبعدها فاء الجراد أول ما يطير الواحد كتفانة ، ويقال هو الجراد بعد الغوغاء أوله السر ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان .

﴿ الكتع ﴾ : كرطب أردأ ولد الثعلب ، والجمع كتعان بكسر الكاف .

﴿ الكدر ﴾ : بضم الكاف وإسكان الدال المهملة طير فى ألوانها كدرة .

روى ابن هشام وغيره « أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا قرقرة الكدر فى النصف من المحرم على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم » وهى ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة وحمل لواءه صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فأخذ صلى الله عليه وسلم نعمهم وقسم غنائمهم وهى خمسمائة بعير فأخرج صلى الله عليه وسلم خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل واحد منهم بعيرين وكانوا مائتى رجل ، وصار يسار رضى الله عنه فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه حين رآه يصلى ، وغاب صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة ، وقرقرة بفتح القافين أرض ملساء . وقال البكرى : هى بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف فى ضبطهما الفتح .

﴿ الكركر ﴾ : كجعفر طائر ببحر الصين يطير تحت طائر يقال له خرشنة يتوقع ذرقه لأن غذاءه منه ، وخرشنة طائر أكبر من الحمام وهو لا يذرق إلا وهو طائر كذا ذكره القزوينى .

﴿ الكركند ﴾ : رأيت بخط إسماعيل بن محمد الأمير ما مثاله : روى أنه فى جزائر الصين والهند الكركند حيوان طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك، له ثلاثة قرون : قرن بين

عينية وقرنان على أذنيه ، يطعن الفيل فيأخذه فى قرنه ويبقى بين عينيه مدة ، ويبقى ولد الكركند فى بطن أمه أربع سنين ، وإذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى الشجر مما يصل إليه ، وإذا تم له أربع سنين وقع من بطن أمه وفر كالبرق حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها ، لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ إذا لحسته أزالت لحمه عن عظمه فى لحظة واحدة ، وملوك الصين إذا عذبوا أحدا سلموه إلى الكركند يلحسه فيبقى عظاما ليس عليه من اللحم شىء انتهى .

وسماه الجاحظ الكركدن ويسمى الحمار الهندى ويسمى الحريش كما تقدم ، وهو عدو الفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس ، ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل وله قرن واحد عظيم فى رأسه لايستطع لثقله أن يرفع رأسه ، وهذا القرن مصمت قوى الأصل حاد الرأس يقاتل به الفيل فلا يفيد معه نابا ، وإذا نشر قرنه طولا تخرج منه الصور المختلفة بياض فى سواد كالطاوس والغزال وأنواع الطير والشجر وصور بنى آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم ويتغالون فى أثمانها ، وزعم أهل الهند أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوان إلا ما كان بينه وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ، ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه على قرنه ، ويقال إن الأنثى من هذا النوع تحمل كأنثى الفيل ثلاث سنين أو سبع سنين ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون قوى الحوافر . وقيل إذا قاربت الأنثى أن تضع يخرج الولد رأسه منها فيرعى أطراف الشجر ثم يرجع ، وقد أنكر الجاحظ هذا ، وليس فى الحيوان ذو قرن مشقوق الطرف غيره ، وهو يجتر كالبقر والغنم والإبل ويأكل الحشيش لكنه شديد العداوة للإنسان إذا شم رائحته أو سمع صوته طلبه فإذا أدركه قتله ولا يأكل منه شيئا . ويقال للأنثى كركندة قاله الزمخشرى .

(وأما حكمه) فلم أر أحدا تعرض له مع التتبع الشديد والسؤال العديد ، والظاهر حله لأكل الشجر ولكونه يجتر ولا يمنع من ذلك كونه يعادى الإنسان فالضبع يعاديه ويؤكل فإن ثبت أنه متولد من الفرس والفيل حرم وهو بعيد .

(الخواص) على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن وهى لها خواص عجيبة . وعلامة صحتها أن يرى منها شكل فارس ، ولا توجد تلك الشعبة إلا عند ملوك الهند . ومن خواصها حل كل عقد ، فلو أخذها صاحب القولنج بيده شفى فى الحال ، والمرأة التى ضربها الطلق إن أمسكتها بيدها تلد فى الحال ، وإن سحق منها شىء يسير وسقى المصروع أفاق ، وحاملها يأمن من عين السوء ولا يكبو به الفرس ، وإذا تركت فى الماء الحار عاد باردا ، وعينه اليمنى تعلق

على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات واليسرى تنفع من النافض والحمى ، ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف .

(خاتمة) قال ابن عمر بن عبد البر فى [كتاب الأمم] : أشرف حلى أهل الصين من قرن الكركند ، فإن قرونها متى قطعت ظهر منها صور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعه آلاف مثقال ذهبا ، والذهب عندهم هين عليهم حتى يتخذوا منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم . قال : وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس الأنوف يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئا منه ، ويورثون الأنثى أكثر من الذكر ، ولهم عيد عند نزول الشمس الحمل يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام ، وإقليمهم واسع فيه نحو ثلثمائة مدينة وفيه عجائب كثيرة . قال ، والأصل فى ذلك أن عامور بن يافث بن نوح عليه السلام نزلها وابتنى بها المدائن هو وأولاده وعملوا فيها العجائب ، وكانت مدة ملك عامور ثلاث مائة سنة ثم ملك بعده ابنه صاين بن عامور مائتى سنة وبه سميت الصين فجعل حينئذ تمثالا من ذهب على صورة أبيه على سرير من ذهب وعكف هو وقومه على عبادته وفعلوا بجميع ملوكهم ذلك وهم على دين الصابئين . قال : ووراء الصين أمم عراة منهم أمة يلتحفون بشعورهم ، وأمم لا شعر لهم ، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور ، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون إليها إلى أن تغرب الشمس ، وأكثر ما يأكلون نبات يشبه الكمأة وسمك البحر ، ثم ذكر بعد هؤلاء يأجوج ومأجوج . قال : وأجمعوا على أنهم من ولد يافث بن نوح ، ثم ختم الكتاب بأن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « مررت بهم ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا » .

(وأما تعبير رؤياه فى المنام) فإنه ملك عظيم جائر ، وقيل إن رؤياه تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة أصله ، وربما كان مسلطا بماله وولده .

﴿ الكركى ﴾ : طائر كبير معروف والجمع الكراكى ، وكنيته أبو عريان وأبو عيناء وأبو العيزار وأبو نعيم وأبو الهيصم ؛ وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق وهو أغبر طويل الساقين والأنثى منه لاتقعد للذكر عند السفاد وسفاده سريع كالعصفور ، وهو من الحيوان الذى لايصلح إلا برئيس لأن فى طبعه الحذر والتحارس بالنوبة ، والذى يحرس يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذى كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل ما يلزمه من الحراسة ولها مشتات ومصايف ، ومنها ما يلزم موضعا واحدا ومنها ما يسافر بعيدا ، وفى طبعه التناصر ، ولا تطير الجماعة منه متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد كالرئيس لها وهى تتبعه يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان

مقدما مؤخرا، وفى طبعه أن أبويه إذا كبرا عالجا ، ومدح هذا الخلق أبو الفتح كشاجم حيث يقول مخاطبا لولده :

اتخـذ فىّ خلة فى الـكراكى أتخذ فيك خلة الوطواط
أنا إن لم تبرنى فى عناء فبرى ترجو جواز الصراط

ومعنى قوله : خلة الوطواط أنه يبر ولده فلا يتركه بمضيعة بل يحمله معه حيثما توجه ، وقد كذب المحدثون جميع بن عمير التيمى فى قوله : إن الـكراكى تفرخ فى السماء ولا تقع فراخها وله فى السنن الأربعة ثلاثة أحاديث، وحسن له الترمذى لـكنه من عتق الشيعة .قال القزوينى والـكوكى لايمشى على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى، وإن وضعها وضعها وضعا خفيفا مخافة أن تخسف به الأرض ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى مالك الحزين طرف من هذا وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لا يدرك حده وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده فلذلك علت مملـكتهم على كثير من الممالك ، ولن يهلك على الله إلا هالك أو متهالك . وفى مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وأبى موسى أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان نقش خاتمه كركى له رأسان . قال ابن بطال : وهذا إن كان صحيحا فلا حجة فيه لإباحة ذلك لترك الناس العمل به ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن التصوير .

(فائدة) ذكر السهيلى عن رواية ابن إسحاق : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما كان فى بنى سعد نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فى فيه بمنقاره ثلجا أو بردا أو نحو هذا . قال : وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه .

وفى أوائل المجالسة للدينورى « أنه أقبل عليه صلى الله عليه وسلم طيران أبيضان كأنهما نسران إلى آخره » .

وفى المستدرك « فأقبل عليه صلى الله عليه وسلم طيران أبيضان كأنهما نسران » وذكر الحديث بطوله .

وروى ابن أبى الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبى ذر رضى الله عنه قال « قلت : يارسول الله كيف علمت أنك نبى وبم علمت حتى استيقنت ؟ قال صلى الله عليه وسلم . يا أبا ذر أتانى ملـكان فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال : هوهو . قال : فزنه برجل فوزننى برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزننى فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزننى فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزننى فرجحتهم ، ثم قال أحدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطنى فأخرج قلبى فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ، ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خط بطنه ، فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو

الآن وولياً عنى فكأنى أعاين الأمر معاينة » اهـ . قلت : وفى هذا الحديث من الفوائد أن خاتم النبوة لم يكن قبل ذلك ، واختلف العلماء فى صفته على عشرين قولا حكاها الحافظ قطب الدين . ففى سيرة ابن هشام أنه كأثر المحجمة القابضة على اللحم ، وفى الحديث أنه كان حوله خيلان فيهما شعرات سود .

وروى أنه كان كالتفاحة وكزر الحجلة مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد تقدم فى باب الحاء المهملة ما وقع فيه للترمذى . وروى أنه كان كبيضة الحمامة .

وروى الحاكم والترمذى فى المناقب عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشأم وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا سيد الخلق أجمعين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش : ما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا لله تعالى وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يفعل ذلك إلا لنبى وإنى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به لم يجده ، وكان صلى الله عليه وسلم فى رعية الإبل فقال : أرسلوا إليه فأرسلوا إليه فأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة ، فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فئ الشجرة عليه . قال : فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم وقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : أخبرنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه أناس ، وإنا قد أخبرنا يقينا أنه فى طريقك هذا ، فقال : هل خلفتم أحدا هو خير منكم ؟ قالوا : لا ، وإنما اخترنا طريقك هذا لأجلك قال : أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس أن يرده ؟ قالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه ثم قال : أنشدكم بالله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت : قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب اهـ ورجال سنده جميعهم مخرج لهم فى الصحيح . قال الحافظ الدمياطى : فى هذا الحديث وهمان : الأول قوله فبايعوه وأقاموا معه ، والثانى قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر بعد بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشرين سنة ، ولم يملك بلالا إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما . قال السهيلى : والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه حكمة ويقينا ختم عليه كما يختم على

الوعاء المملوء مسكا أودرا . وأما وضعه أسفل من غضروف الكتف فلأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم لما روى ميمون ابن مهران عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى « أن رجلا سأل ربه سنة أن يريه موضع الشيطان منه فأرى جسدا كالبلور يرى داخله من خارجه والشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه يحاذى قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة قد أدخله إلى قلبه يوسوس له فإذا ذكر الله العبد خنس » وقد تقدم هذا فى باب الضاد المعجمة من الضفدع منقولا عن الزمخشرى . قلت : وانشقاق الصدر حصل له صلى الله عليه وسلم مرتين إحداهما فى صغره وهى هذه ، والأخرى فى كبره ليلة الإسراء ، ففى الصحيحين من حديث أنس وأبى ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال « فرج عنى سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه » .

وقال أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة إنه صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا فى الحطيم ، وربما قال فى الحجر بين النائم واليقظان ، إذ نزل علىّ رجلان فأتيت بطشت من ذهب مملوء حكمة وإيمانا فشق صدرى من النحر إلى مراق البطن واستخرج قلبى فغسل ثم حشى ثم أعيد » وقال سعيد بن هشام « ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق فركبته » الحديث بطوله . وقال قوم : عرج به صلى الله عليه وسلم من دار أم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

(الحكم) يحل أكله بلا خلاف ، وما أوهمه كلام العبادى من جريان خلاف طير الماء الأبيض فيه شاذ مردود . وقال الأصحاب : ما كان من الطيور المأكولة أكبر من الحمام كالبط والكركى إذا قتلها المحرم أو قتلت فى الحرم فيه قولان : أحدهما : إيجاب الشاة إلحاقا بالحمام من باب أولى لأنه أكبر شكلا من الحمام ، ويشهد له قول عطاء فى عظام الطير شاة كالكركى والحبارى والإوز . والقول الثانى : اعتبار القيمة وهو القياس فإن الشاة فى الحمام لاتباع النقل ، ويشهد له قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما كان سوى حمام الحرم ففيه ثمنه إذا أصابه المحرم .

(الأمثال) قال : فلان أحرس من الكركى لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجليه كما تقدم . ومن أحسن مايحكى عن الإمام الزاهد القدوة أبى سليمان الدارانى أنه قال : اختلفت إلى مجلس قاض فتكلم فأحسن فى كلامه فأثر كلامه فى قلبى ، فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شىء فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقى فى قلبى أثر كلامه فى الطريق ثم زال ، ثم عدت ثالثا فبقى فى قلبى أثر كلامه حتى رجعت إلى منزلى فلزمت الطريق ، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى فقال : عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاضى وبالكركى أبا سليمان .

(الخواص) لحم الكركى باردیابس لادسم له أجوده صيد البازى ينفع أصحاب الكد لكنه سيء الهضم ؛ ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة ، وهو يولد دما غليظا ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة لاسيما الشباب وأجود أكله فى الشتاء ، ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية فإنها مما يسهل خروجه ، ويجب أن لايؤكل إلا بعد يوم أو يومين ، وتشد فى أرجلها الحجارة وتعلق ليرخص لحمها وتنضج فى طبخها وتستمرأ عند أكلها ، وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك غليظ عسر الاستمراء لاسيما إناثها . ومرارته تنفع من القرع ، وإذا خلصت مع دماغه بزئبق وسعط بها الذى ينسى فإنه يذكر ماينساه ، ومن أحب أن لاينبت فى بدنه شيء من الشعر فليأخذ جزءا من الذراريح ومثله مخ كركى ويدقهما جميعا ويطلى بهما أى موضع اختاره من بدنه فإنه لايطلع فيه شعر .

(التعبير) الكركى فى المنام : تدل رؤيته على رجل مسكين غريب ؛ ومن رأى كأنه راكب كركيا فإنه يفتقر . ومن رأى أنه ملك كثيرا منها أو وهب له فإنه ينال رياسة ومالا ، ولحم الكركى لمن أراد المشاركة أو الزواج دليل خير لأنها لاتفترق فى طيرانها ، وقيل إن من رأى أنه أخذ كركيا صاهر قوما سيئة أخلاقهم . وقالت النصارى والروم : من رأى كركيا سافر سفرا بعيدا ، وإن رآه مسافر رجع إلى بلده . وقال أرطاميذورس : الكراكى فى الشتاء تدل على اللصوص وقطاع الطريق ، وهى دليل خير لمن أراد الأولاد لأنها تعين آباءها عند الكبر ، والله أعلم .

﴿ الكروان ﴾ : بفتح الكاف والراء المهملة : طائر يشبه البط لاينام الليل سمى بضده من الكرى والأنثى كروانة ، وجمع كروان كروان بكسر الكاف كورشان وورشان على غير قياس قال بكر بن سوادة فى خالد بن صفوان :

عليم بتنزيل الكتاب ملقن ذكور بما أسداه أول أولا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عاين أجدلا

وقال طرفة فى أبياته التى كانت سبب قتله :

لنا يوم والكروان يوم تطير اليابسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء تطاردهن بالحرب الصقور
وأما يومنا فنظل ركبا وقوفا مانحل ولا نسير

فكتب له عمرو بن هند وللمتلمس كتابين إلى عامله المكعبر بقتلهما فقتل طرفة وسلم المتلمس لما قرئت عليه الصحيفة ، والقصة فى ذلك مشهورة وتقدمت الإشارة إليها فى القبرة ووقع ذكر هذه الصحيفة فى سنن أبى داود فى آخر كتابه الزكاة . وذلك أن عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس التميمى قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه فأمر لهما عليه

الصلاة والسلام بما سألاه وأملى عليه الصلاة والسلام معاوية رضى الله عنه فكتب لهما بما سألاه ، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه فى عمامته وانطلق إلى قومه ، وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد أترانى حاملا إلى قومى كتابا لاأدرى مافيه كصحيفة المتلمس فقال صلى الله عليه وسلم : «من سأل وعنده مايغنيه فإنما يستكثر من النار . قالوا : يارسول الله وما الذى يغنيه ؟ قال صلى الله عليه وسلم قدر مايغديه أو يعشيه » اه .

(وحكمه) حل الأكل بالإجماع .

(الأمثال) قالوا : أجبن من كروان لأنه إذا قيل : أطرق كرا إن النعام فى القرى ، التصق بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد ، وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه ، قال الشاعر :

أمير أبى موسى يرى الناس حوله كأنهم الكروان أبصر بازيا

وقالوا فيه :

شهدت بأن الخبز باللحم طيب وأن الحبارى خالة الكروان

يضرب عند الشىء يتمنى ولا يقدر عليه .

(الخواص) قال القزوينى : إن لحمه وشحمه يحركان الباه تحريكا عجيبا .

﴿ الكسعوم ﴾ : كحلقوم الحمار لغة حميرية والميم زائدة فيه ، وكسع حى من حمير باليمن رماة ، ومنه قولهم : ندمت ندامة الكسعى ، وهو رجل من كسع مجاور بن قيس رأى نبعة فرماها حتى اتخذ منها قوسا فرمى الوحش عنها ليلا فأصاب وظن أنه أخطأ فكسر القوس ، فلما أصبح رأى ما أصمى من الصيد فندم . قال الشاعر :

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ماصنعت يداه

روى الطبرانى وغيره من حديث عبد الرحمن بن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لازكاة فى الكسعة والجبهة والنخة » فسر أبو عبيدة وغيره بأن الكسعة الحمير والجبهة الخيل والنخة العبيد . وقال الكسائى : إنما هو النخة بضم النون وهى البقر العوامل .

﴿ الكعيت ﴾ : البلبل جاء مصغرا كما تقدم وجمعه كعنات .

(عجيبة) ذكر الأزرقى فى تاريخ مكة أن طائرا أصغر من الكعيت لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما له عنق طويل دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر ، أقبل يوم السبت يوم سبع وعشرين من ذى العقدة سنة ست وعشرين ومائتين حين طلعت الشمس والناس إذ ذاك فى الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، وعبر من ناحية أجياد حتى وقع فى المسجد الحرام قريبا من زمزم مقابل الحجر الأسود ، فمكث ساعة طويلة ثم طار حتى صدم الكعبة فى نحو وسطها بين الركن اليمانى والحجر الأسود وهو إلى الحجر

الأسود أقرب ، ثم وقع على منكب رجل فى الطواف عند الحجر الأسود من الحاج من أهل خراسان محرم فلبى وهو على منكبه الأيمن فطاف به الرجل أسابيع والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير مستوحش منهم ، والرجل الذى هو عليه يمشى فى الطواف وسط الناس وهم ينظرون إليه ويتعجبون وعينا الرجل تدمعان على خديه ولحيته . قال عبد الله بن ربيعة : رأيته على منكبه الأيمن والناس يدنون منه وينظرون إليه فلا ينفر منهم ولا يطير فطفت أسابيع ثلاثة كل ذلك أخرج من الطواف فأركع خلف المقام ثم أعود وهو على منكب الرجل . قال ثم جاء إنسان من أهل الطواف فوضع يده عليه فلم يطر ، وطاف به بعد ذلك ثم طار هو من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ، ومكث ساعة طويلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه والناس ينظرون إليه ، فأقبل فتى من الحجبة فضرب بيده فيه فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام . فصاح الطير فى يده أشد صياح بصوت لايشبه أصوات الطيور ففزع منه وأرسله من يده فطار حتى أتى بين يدى دار الندوة خارجا من الظلال قريبا من الأسطوانة الحمراء ، واجتمع الناس ينظرون إليه وهو مستأنس فى ذلك كله غير مستوحش من الناس ، ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان ، وقد تقدم فى باب الهمزة فى الأيم ماذكره الأزرقى مما يشبه هذا .

﴿ الكركم ﴾ : طائر بأرض طبرستان حسن موشى حسن العينين جدا سمى باسم صياحه الذى يصيحه وربما اصطاد العصافير وصغار الطير مما يكون فى الآجام والمياه وغيرها ، لكن لافى جميع السنة بل فى فصل الربيع ، فإذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون فى الآجام والمياه وغيرها فتزقه من أول النهار ، فإذا كان آخر النهار أخذ واحدا منها فأكله فذلك فعله فى كل يوم إلى أن ينقضى فصل الربيع ، فإذا انقضى انعكست عليه فلا تزال تجتمع عليه وتطرده وتضربه وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت إلى فصل الربيع الآخر . وذكر على بن زيد الطبرى صاحب فردوس الحكمة أن هذا الطائر لايكاد يرى قدماه على الأرض بل يطأ على إحدى رجليه على البدل . وذكر الجاحظ أن الكركم من عجائب الدنيا وأنه لايطأ على الأرض بقدميه جميعا خشية أن تنخسف من تحته كما تقدم فى الكركى ، ومثل هذا يأتى إن شاء الله تعالى فى مالك الحزين والنعام .

﴿ الكلب ﴾ : حيوان معروف ، وربما وصف به فقيل للرجل كلب وللمرأة كلبة والجمع أكلب وكلاب وكليب مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز والأكالب جمع أكلب : قال ابن سيده : وقد قالوا فى جمع كلب كلابات . قال الشاعر :

أحب كلب فى كلابات الناس إلىّ نهجا كلب أم عباس

وكلاب اسم رجل من أجداد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وكلاب إما منقول من المصدر الذى هو فى معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا وإما جمع كلب ، وسموه بذلك طلبا للكثرة كما سموا سباع وأنمار. قيل لأبى الدقيس الأعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح؟ فقال : إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا وكأنهم قصدوا بذلك التفاؤل بمكالبة العدو وقهره ، والكلبة أنثى الكلاب وجمعها كلبات ولا تكسر .والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء وهو لا سبع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب ، لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمية ما أكل لحم الحيوان لكن فى الحديث إطلاق البهيمة عليه . روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينما امرأة تمشى بفلاة من الأرض اشتد عليها العطش فنزلت بئرا فشربت ثم صعدت فوجدت كلبا يأكل الثرى من العطش ، فقالت : لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بلغ بى ، فنزلت البئر فملأت خفها وأمسكته بفيها ثم صعدت فسقته فشكر الله لها ذلك وغفر لها . قالوا : يا رسول الله أولنا فى البهائم أجر ؟ قال : نعم فى كل كبد رطبة أجر » .

وهو نوعان أهلى وسلوقى نسبة إلى سلوق وهى مدينـــة باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية ، وكلا النوعين فى الطبع سواء ، وفى طبعه الاحتلام ، وتحيض إناثه وتحمل الأنثى ستين يوما ومنها ما يقل عن ذلك وتضع جراها عميا فلا تفتح عيونها إلا بعد اثنى عشر يوما ، والذكور تهيج قبل الإناث وهى تنزو إذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك وإذا سفد الكلبة كلاب مختلفة الألوان أدت إلى كل كلب شبهه ، وفى الكلب من اقتفاء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات ، والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع فى قيئه ، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة. وذلك أنه إذا كان فى مكان عال أو موضع مرتفع ووطئت الضبع ظله فى القمر رمى بنفسه عليها مخذولا فتأخذه فتأكله ، وإذا دهن كلب بشحمها جن واختلط ، وإذا حمل الإنسان لسان ضبع لم تنبح عليه الكلاب . ومن طبعه أنه يحرس ربه ويحمى حرمه شاهدا وغائبا ذاكرا وغافلا نائما ويقظانا ، وهو أيقظ الحيوان عينا فى وقت حاجته إلى النوم وإنما غالب نومه نهارا عند الاستغناء عن الحراسة ، وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق ، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه ، وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة إلى دماغ الإنسان . ومن عجيب طباعه أنه يكرم الجلة من الناس وأهل الوجاهة ولا ينبح أحدا منهم وربما حاد عن طريقه وينبح الأسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال .ومن طباعه البصبصة والترضى والتودد والتألف

بحيث إذا دعى بعد الضرب والطرد رجع، وإذا لاعبه ربه عضه العض الذى لا يؤلم وأضراسه لو أنشبها فى الحجر لنشبت ، ويقبل التأديب والتلقين والتعليم، حتى لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له مأكول لم يلتفت إليه مادام على تلك الحالة فإذا أخذت المسرجة عن رأسه وثب إلى مأكوله ، وتعرض له أمراض سوداوية فى زمن مخصوص ، ويعرض له الكلب بفتح اللام وهو داء يشبه الجنون . وعلامة ذلك أن تحمر عيناه وتعلوهما غشاوة ، وتسترخى أذناه ، ويندلع لسانه، ويكثر لعابه وسيلان أنفه ، ويطأطئ رأسه وينحدب ظهره، ويتعوج صلبه إلى جانب ، ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ، ويمشى خائفا مغموماً كأنه سكران ، ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت منه خوفا ، وإذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فإن دنا منها غفلة بصبصت له وخضعت وخشعت بين يديه . فإذا عقر هذا الكلب إنسانا عرض له أمراض رديئة : منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشا ولا يزال يستقى حتى إذا سقى الماء لم يشربه فإذا استحكمت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شىء على هيئة الكلاب الصغار .

قال صاحب الموجز فى الطب : الكلب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب . ثم ذكر غالب ماتقدم . وقال غيره : الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شىء عضته إلا الإنسان فإنه قد يعالج فيسلم ، قال : وداء الكلب يعرض للحمار ويقع فى الإبل أيضا فيقال كلبت الإبل تكلب كلبا وأكلب القوم إذا وقع فى إبلهم ، ويقال كلب الكلب واستكلب إذا ضرى وتعود أكل الناس انتهى .

وذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن بقرية من أعمال حلب بئرا يقال لها بئر الكلب إذا شرب منها من عضه الكلب برئ وهى مشهورة ؛ قال : وقد أخبرنى بعض أهل القرية أن المكلوب إذا لم يجاوز أربعين يوما وشرب منها برئ ، أما إذا جاوز الأربعين فإنه يموت ولو شرب منها . وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين شربوا منها فسلم اثنان وكانا لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين ، وهذه البئر يشرب منها أهل الضيعة .

وأما السلوقى فمن طباعه أنه إذا عاين الظباء قريبة منه أو بعيدة عرف المقبل من المدبر ومشى الذكر من مشى الأنثى ، ويعرف الميت من الناس والمتماوت، حتى إن الروم لا تدفن ميتا حتى تعرضه على الكلاب فيظهر لهم من شمها إياه علامة تستدل بها على حياته أو موته، ويقال إن هذا لايوجد إلا فى نوع منها يقال له القلطى وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصينى ، وإناث السلوقى أسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس كما تقدم، والسود من الكلاب أقل صبرا من غيرها .

وفى كتاب [فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب] لمحمد بن خلف المرزبانى عن

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قتيلا فقال صلى الله عليه وسلم : ماشأنه ؟ قالوا : إنه وثب على غنم بنى زهرة فأخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله ، فقال صلى الله عليه وسلم : قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه وخان أخاه ، وكان الكلب خيرا منه» . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كلب أمين خير من صاحب خئون. قال : وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديدالمحبة لهم ، فخرج فى بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما ، فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما قتيلين فعرف الأمر فأنشأ يقول :

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى ويحفظ عرسى والخليل يخون
فياعجبا للخل يهتك حرمتى وياعجبا للكلب كيف يصون

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى بعض مصنفاته : أن رجلا خرج فى بعض أسفاره فمر على قبة مبنية أحسن بناء بالقرب من ضيعة هناك وعليها مكتوب : من أحب أن يعلم سبب بنائها فليدخل القرية ، فدخل القرية وسأل أهلها عن سبب بناء القبة فلم يجد عند أحد خبرا من ذلك إلى أن دل على رجل قد بلغ من العمر مائتى سنة ، فسأله فأخبره عن أبيه أنه حدثه أن ملكا كان بتلك الأرض وكان له كلب لا يفارقه فى سفر ولا حضر ولا نوم ولا يقظة ، وكانت له جارية خرساء مقعدة فخرج ذات يوم إلى بعض متنزهاته وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه ، وأمر طباخه أن يصنع له طعاما من اللبن كان يهواه ، وأن الطباخ صنعه وجاء به فوضعه عند الجارية والكلب وتركه مكشوفا وذهب ، فأقبلت حية عظيمة إلى الإناء فشربت من ذلك الطعام وردته وذهبت ، ثم أقبل الملك من متنزهه وأمر بالطعام فوضع بين يديه فجعلت الجارية تصفق بيديها وتشير إلى الملك أن لا يأكله فلم يعلم أحد ما تريد ، فوضع الملك يده فى الصحفة وجعل الكلب يعوى ويصيح ويجذب نفسه من السلسلة حتى كاد أن يقتل نفسه ، فتعجب الملك من ذلك وأمر بإطلاقه فأطلق فغدا إلى الملك وقد رفع يده باللقمة إلى فيه فوثب الكلب وضربه على يده فأطار اللقمة منها ، فغضب الملك وأخذ طبرزا كان بجنبه وهم أن يضرب به الكلب ، فأدخل الكلب رأسه فى الإناء وولغ من ذلك الطعام فانقلب على جنبه وقد تناثر لحمه ، فعجب الملك ثم التفت إلى الجارية فأشارت إليه بما كان من أمر الحية ، ففهم الملك الأمر وأمر بإرلقة الطعام وتأديب الطباخ على كونه ترك الإناء مكشوفا ، وأمر بدفن الكلب وببناء القبة عليه وبتلك الكتابة التى رأيتها . قال : وهى من أغرب ما يحكى .

وفى كتاب [النشوان] عن أبى عثمان المدينى أنه قال : كان فى بغداد رجل يلعب

بالكلاب فخرج يوما فى حاجة له وتبعه كلب كان يختصه من كلابه فرده فلم يرجع فتركه ومشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة فصادفوه بغير عدة فقبضوا عليه والكلب يراهم فأدخلوه الدار ودخل الكلب معهم فقتلوا الرجل وألقوه فى بئر وطموا رأس البئر وضربوا الكلب فأخرجوه وطردوه فخرج يسعى إلى بيت صاحبه فعوى فلم يعبئوا به ، وافتقدت أم الرجل ابنها وعلمت أنه قد تلف فأقامت عليه المأتم وطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد فاجتاز يوما بعض قتلة صاحبه بالباب والكلب رابض ، فلما رآه وثب عليه فخمش ساقه ونهشه وتعلق به واجتهد المجتازون فى تخليصه منه فلم يمكنهم وارتفعت للناس ضجة عظيمة وجاء حارس الدرب وقال : لم يتعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قصة ولعله هو الذى جرحه ، وسمعت أم القتيل الكلام فخرجت فحين رأت الكلب متعلقا بالرجل تأملت فى الرجل فتذكرت أنه كان أحد أعداء ابنها وممن يتطلبه فوقع فى نفسها أنه قاتل ابنها فتعلقت به فرفعوهما إلى أمير المؤمنين الراضى بالله فادعت عليه القتل فأمر بحبسه بعد أن ضربه فلم يقر فلزم الكلب باب الحبس ، فلما كان بعد أيام أمر الراضى بإطلاقه ، فلما خرج من باب الحبس تعلق به الكلب كما فعل أولا ، فتعجب الناس من ذلك وجهدوا على خلاصه منه فلم يقدروا على ذلك إلا بعد جهد جهيد ، فأخبر الراضى بذلك فأمر بعض غلمانه أن يطلق الرجل ويرسل الكلب خلفه ويتبعه فإذا دخل الرجل داره بادره وأدخل الكلب معه ففهما رأى الكلب يعمل يعامه بذلك ففعل ما أمره به . فلما دخل الرجل داره بادره غلام الخليفة ودخل وأدخل الكلب معه ففتش البيت فلم ير أثرا ولا خبرا وأقبل الكلب ينبح ويبحث عن موضع البئر التى طرح فيها القتيل فتعجب الغلام من ذلك وأخبر الراضى بأمر الكلب فأمر بنبش البئر فنبشوها فوجدوا الرجل قتيلا فأخذوا صاحب الدار إلى بين يدى الراضى فأمر بضربه فأقر على نفسه وعلى جماعته بالقتل فقتل وطلب الباقون فهربوا .

وفى [عجائب المخلوقات] أن شخصا قتل شخصا بأصبهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك ، فكان يأتى كل يوم إلى رأس البئر وينحى التراب عنه ويشير إليها . وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا القتيل بها ثم أخذوا الرجل وقرروه فأقر فقتلوه به .

وفى الإحياء عن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد ، فلما بلغنا باب الجهاد وإذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال فقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد ومعه نحو من عشرين كلبا ، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة فما زالت تأكل إلى أن شبعت وذلك الكلب قاعد ينظر إلى الميتة حتى أكلت وبقيت العظام ، فلما رجعت الكلاب إلى البلد قام ذلك الكلب إلى العظام فأكل ما بقى عليها من اللحم ثم انصرف .

وفى الشعب للبيهقى وغيرها عن الفقيه منصور اليمنى الشافعى الضرير وله مصنفات فى المذهب وشعر حسن أنه كان ينشد لنفسه :

الكلب أحسن عشره وهو النهاية فى الخساسه
ممن ينازع فى الريا سة قبل إبان الرياسه

ثم قال البيهقى : وكان الشيخ الإمام القاضى أبو الطيب الطبرى يقول : من تصدر قبل أوانه ، فقد تصدى لهوانه . وقال شعيب بن حرب : من رضى أن يكون ذنبا أبى الله إلا أن يجعله رأسا . ومن محاسن شعر الفقيه منصور اليمنى المتقدم ذكره ووفاته فى سنة ست وخمسين وثلثمائة قوله :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

ولقد أجاد على بن عبد الواحد البغدادى المعروف بصريع الدلاء فى قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حد سوا

وهذا البيت آخر قصيدة له فى المجون ذكر فيها من صنعة الغزل فنونا ولو لم يكن له سواها لكفاه ، وهى طويلة طنانة عجز فحول الشعراء أن يزيدوا فيها بيتا واحدا ، وتوفى فى رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة فجأة بشرقة لحقته عند الشريف البطحاوى . وذكر ابن خلكان أن الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجاج الشاعر المشهور لما حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن عند رجلى الإمام موسى بن جعفر أحد الأئمة الاثنى عشر رضى الله عنهم على رأى الإمامية وأن يكتب على قبره — وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد — . قال : وابن الحجاج ذو خلاعة ومجون ، قيل إنه دعى إلى دعوة وتأخر الطعام عنه فقال :

يا ذاهبا فى داره جائيا من غير معنى بل ولا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

ودعوة الطعام بفتح الدال ، وأما قول قطرب فى مثلثته فقلت عندى دعوة بضم الدال فمردود عليه انتهى .

(فائدة) ذكر ابن عبد البر فى كتاب [بهجة المجالس وأنس المجالس] أنه قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه وهو أحد الأئمة الاثنى عشر : كم تتأخر الرؤيا؟ فقال : خمسين سنة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كأن كلبا أبقع ولغ فى دمه ، فأوله بأن رجلا يقتل الحسين ابن بنته رضى الله تعالى عنه ، فكان الشمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص ، فتأخرت الرؤيا بعده خمسين سنة كما تقدم فى باب الهمزة فى الإوز .

وفى هذا الكتاب أشياء تصلح للمذاكرة .

« منها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقا مدلى فأعجبه فقال : لمن هذا ؟ فقيل هذا لأبى جهل ، فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : ما لأبى جهل والجنة ! والله لا يدخلها أبدا فإنه لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة ابن أبى جهل رضى الله تعالى عنه مسلما فرح به وقام إليه ، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه ».

ومنها : أن بعض الشاميين كان عاملا لعمر رضى الله عنه فقال له : يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فرقة من النجوم ، فقال له : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر . قال : مع الآية الممحوة لا عملت لى عملا أبدا فعزله ، وقتل ذلك الرجل مع معاوية رضى الله تعالى عنه بصفين .

ومنها : أن عائشة رضى الله تعالى عنها رأت ثلاثة أقمار سقطن فى حجرها ، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن صدقت رؤياك فإنه يدفن فى بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض ، فلما دفن صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : هذا أحد أقمارك وهو خيرها ، وفيه أشياء كثيرة . وكان الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى إمام عصره فى الحديث والأثر وهو أحد نقلة المذاهب ، وتوفى هو والإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادى الشافعى حافظ المشرق فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ومما ينشد للشافعى رحمه الله تعالى :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ... وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا
إن الكلاب لتهدا فى مرابضها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وفى الميزان للذهبى فى ترجمة أحمد بن زرارة المدنى بسند مظلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنتم إذا كان زمن يكون الأمير فيه كالأسد ، والحاكم فيه كالذئب الأمعط ، والتاجر فيه كالكلب الهرار ، والمؤمن بينهم كالشاة الوطفاء بين الغنم ليس لها مأوى ، فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلب؟ » .

وفى أمالى أبى بكر القطيعى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى مات ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال : من الداعى على هذا الكلب آنفا ؟ فقال رجل من القوم . أنا يارسول الله ، فقال : ماقلت ؟ قال : قلت اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام اكفنى هذا الكلب بما شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » والحديث فى السنن الأربعة . وفى مسند الإمام أحمد وكتابى الحاكم وابن حبان بعير قصة الكلب : وأفاد الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن هذه الصلاة كانت

صلاة العصر يوم الجمعة ، وأن الرجل المذكور الداعي على هذا الكلب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا سعد لقد دعوت يوم وساعة بكلمات لو دعوت بهن على من في السموات والأرض استجيب لك فأبشر يا سعد » .

وروى الإمام أحمد في الزهد عن جعفر بن سليمان قال : رأيت مع مالك بن دينار رضي الله عنه كلبا ، فقلت : ما تصنع بهذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هذا خير من جليس السوء .

وفي مناقب الإمام أحمد أنه بلغه أن رجلا من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية ، فرحل الإمام أحمد إليه فوجد شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل الشيخ باطعام الكلب ، فوجد الإمام نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه ، فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال له : كأنك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة » وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب ، فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي منه يوم القيامة ، فقال الإمام أحمد هذا الحديث يكفيني ثم رجع .

ويقرب من هذا ما في رسالة القشيري في باب الجود والسخاء : أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما خرج إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بغدائه وهي ثلاثة أقراص فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله ، ثم رمى إليه الثاني فأكله والثالث فأكله ، وعبد الله بن جعفر ينظر ، فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ فقال إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده ، فقال له عبد الله : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوى يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه : ألام على السخاء وهذا أسخى مني ، ثم إنه اشترى الغلام وأعتقه واشترى الحائط وما فيه ووهب ذلك له .

وتقدم في باب الحاء المهملة في الحمار : أن الحاكم روى عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى مالا ترون ، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث في الليل من خلقه ما شاء » .

(غريبة) في كتاب [البشر بخير البشر] عن مالك بن نفيع أنه قال : ند بعير لي فركبت نجيبة لي وطلبته حتى ظفرت به فأخذته وانكفأت راجعا إلى أهلي ، فأسريت ليلتي حتى كدت أصبح فأنخت النجيبة والبعير وعلفتهما واضطجعت في ذرى كثيب رمل فلما كحلني الوسن

سمعت هاتفا يقول : يا مالك يا مالك لو فحصت عن مبرك القعود البارك لسرك ما هنالك .
قال : فثرت وأثرت البعير عن مبركه وحفرت فعثرت على صنم فى صورة امرأة من صفاة صفراء كالورس مجلو كالمرآة فأخرجته ومسحته بثوبى ونصبته قائما فما تمالكت أن خررت له ساجدا ، ثم قمت فنحرت البعير له ورششته بدمه وسميته غلابا ، ثم حملته على النجيبة وأتيت به أهلى فحسدنى عليه كثير من قومى وسألونى نصبه لهم ليعبدوه معى فأبيت عليهم وانفردت بعبادته وجعلت على نفسى كل يوم عتيرة ، وكانت لى ثلة من الضأن فأتيت على آخرها فأصبحت يوما ليس لى ما أعتره ، وكرهت الإخلال بنذرى فأتيته فشكوت إليه ذلك فإذا هاتف من جوفه يقول : يا مال يا مال لا تأس على مال سر إلى طوى الأرقم فخذ الكلب الأسحم الوالغ فى الدم ثم صد به تغنم : قال مالك : فخرجت من فورى إلى طوى الأرقم فإذا كلب أسحم هائل المنظر قد وثب على قرهب يعنى ثورا وحشيا فصرعه وأنا أنظر إليه ، ثم بقر بطنه وجعل يلغ فى دمه ، فتهيبته ثم تجاسرت فتقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته لم يلتفت إلى فشددت فى عنقه حبلا ثم جذبته فتبعنى فأتيت راحلتى فأثرتها وقدتها إلى القرهب وأنختها فجزرته وحملته عليها ثم قدتها وسرت قاصدا إلى الحى والكلب يلوذ بى ، فعنت لى ظبية فجعل الكلب يثب ويجاذبنى الحبل فترددت فى إرساله ثم أرسلته فمر كالسهم حتى اختطفها فأتيته فجاذبته إياها فأرسلها من يديه فاستقر بى السرور ، وأتيت أهلى فعترت الظبية لغلاب ووزعت لحم القرهب وبت بخير ليلة ، ثم باكرت به الصيد ، فلم يفته حمار ولا ماطله ثور ولا اعتصم منه وعل ولا أعجزه ظبى فتضاعف سرورى به وبالغت فى إكرامه وسميته سحاما فلبثت كذلك ما شاء الله ، فإنى لذات يوم أصيد به إذ بصرت بنعامة على أدحيها وهى قريبة منى فأرسلته عليها فأجفلت أمامه واتبعتها على فرس جواد ، فلما كاد الكلب أن يثب عليها انقضت عليه عقاب من الجو فكر راجعا نحوى فصحت به فما كذب ، وأمسكت الفرس فجاء سحام حتى دخل بين قوائمها ونزلت العقاب أمامى على شجرة وقالت : سحام . قال الكلب لبيك ؟ قالت : هلكت الأصنام وظهر الإسلام فأسلم تنج بسلام وإلا فليست بدار مقام ، ثم طارت العقاب وتبصرت سحاما فلم أره وكان آخر عهدى به .

قوله ظوى الأرقم الطوى : بئر مطوية بالحجارة ، والأسحم : الأسود وبه سمى الكلب سحاما فهو فعال من ذلك ، وقوله بنعامة على أدحيها : أى الموضع الذى فيه بيضها ، وقوله ما كذب : أى ماتوقف ولا انثنى .

(فائدة) روى الحاكم فى المستدرك عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت : قدمت امرأة من أهل دومة الجندل على تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته بيسير تسأله عن شىء دخلت فيه من أمر السحر لم تعلم به . قالت : فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم حتى إنى لأرحمها من كثرة بكائها ، وهى تقول : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ، فسألتها عن قصتها ؟ فقالت : كان لى زوج قد غاب عنى ، فدخلت على عجوز فشكوت لها حالى فقالت : إن فعلت ما أمرك به يأتيك فإنه بعلك فقلت : - إنى أفعل ، فلما كان الليل جاءتنى بكلبين أسودين فركبت أحدهما وتركت الآخر ، فلم يكن بأسرع حتى وقفنا ببابل فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا : ما حاجتك وما جاء بك؟ فقلت : أتعلم السحر ؟ فقالا : إنما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى ، فأبيت وقلت : لا أرجع قالا : فاذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ، فذهبت إليه فاقشعر جلدى ففزعت منه ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا لى : فعلت ؟ قلت : نعم ؛ قالا : هل رأيت شيئا ؟ قلت : لم أر شيئا ، فقالا : لم تفعلى ، ارجعى إلى بلادك لا تكفرى ، فأبيت فقالا : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ، فذهبت إليه فاقشعر جلدى وخفت ، ثم رجعت إليهما فقالا لى : ما رأيت ؟ إلى أن قالت : فذهبت فى الثالثة فبلت فيه فرأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء ، فأتيتهما فأخبرتها فقالا : صدقت ذاك إيمانك خرج منك اذهبى ، فقلت للمرأة : والله ما علمت شيئا ولا قال لى شيئا ، فقالت لى : بلى لن تريدى شيئا إلا كان خذى هذا القمح فابذريه ، فأخذته فبذرته وقلت له : اطلع فطلع ، ثم قلت : استحصد فاستحصد ، ثم قلت انطحن فانطحن ، ثم قلت : انخبز فانخبز ، فلما رأيت أنى لا أقول شيئا إلا كان سقط فى يدى فندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا ، فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما دروا مايقولون لها وكلهم هاب أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا لها : لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكان يكفيانك ، ثم قال الحاكم حديث صحيح انتهى ؛ قال هشام بن عروة وهو راوى الحديث عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أنهم كانوا أى الصحابة رضى الله عنهم أهل ورع وخشية لله وبعد من التكلف والجراءة على الله فلذلك أمسكوا عن الفتيا لها ، ولو جاءتنا اليوم لوجدت الأمر بخلاف ذلك . قال بعض الحنابلة : قلت فقد بان بهذا أن السحر والإيمان لا يجتمعان فى قلب ولا يصير ساحرا وفى قلبه إيمان ، فاعتبر بحال هذه المرأة المسكينة كيف ألقاها الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء فى ورطه هلكة لاتجبر مصيبتها ، وهذا دأب المعاصى تنكس الرءوس وتوجب الحبوس وتضاعف البؤوس ، ولقد أحسن القائل حيث قال :

إذا ما دعتك النفس يوما لحاجة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها مااستطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق

(تذنيب) للسحر حقيقة وتأثير وقيل لا ، والصحيح أن الصواب الأول دل عليه ظاهر القرآن والسنة . قال المازرى : اختلف العلماء فى القدر الذى يقع به السحر ولهم فيه اضطراب

فقال بعضهم : لا يزيد تأثيره على قدر التفريق بين المرء وزوجه ، لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيما لما يكون عنده وتهويلا له فى حقنا فلو وقع به أعظم منه لذكره ، لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلا بأعلى أحوال المذكور ، ومذهب الأشعريين أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك . قال : وهذا هو الأصح لأنه لا فاعل إلا الله تعالى ، وما وقع من ذلك فهو عادة جراها الله تعالى ، ولا تفترق الأفعال فى ذلك وليس بعضها أولى من بعض ، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير إليه ولكن لا يوجد شرع قاطع بوجوب الاقتصار على ما قاله القائل الأول ، وذكر التفرقة بين الزوجين فى الآية ليس بنص فى منع الزيادة ، وإنما النظر فى أنه ظاهر أم لا ؟ فإن قيل : إذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر فبما يتميز عن النبى ؟ فالجواب : أن العادة تنخرق على يد النبى والولى والساحر ، لكن النبى يتحدى الخلق بها ويستعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذبا لم تنخرق على يديه ، ولو خرقها الله تعالى على يد كاذب لخرقها على يد المعارضين للأنبياء . وأما الولى الساحر فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ، ولو ادعيا شيئا من ذلك لم تنخرق العادة لهما ، وأما الفرق بين الولى والساحر فمن وجهين : أحدهما وهو المشهور إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على يد فاسق ، والكرامة لا تظهر إلا على يد ولى ولا تظهر على يد فاسق ، وبهذا جزم إمام الحرمين وأبو سعيد المتولى وغيرهما . والثانى أن السحر يكون ناشئا بفعل ومزج ومعاناة وعلاج والكرامة لا تفتقر إلى ذلك ، وفى كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقا من غير أن يستدعيه أو يشعر به ، والله تعالى أعلم وأما ما يتعلق بالمسألة من فروع الفقه فتعلم السحر وتعليمه حرام على الصحيح ، والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلمه . وقال القاضى حسين وإبراهيم المروزى : إن كان فى تعليمه ترك طاعة لله عز وجل لا يجوز ، وإن لم يكن فإن قصد بتعلمه قصد ضرر سحر الناس عن نفسه جاز وإن قصد تعلمه ليسحر الناس لم يجز انتهى .

والخلاف فيما إذا كان لا يتوقف على اعتقاد كفر أو مباشرة محظور كترك صلاة وغيرها أما إذا توقف على ذلك فتعلمه حرام بالإجماع ، والسحر من الكبائر ، ومذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد أن الساحر يكفر لقوله تعالى — وما كفر سليمان — لأنهم إنما نسبوا سليمان عليه السلام إلى السحر لا إلى الكفر ، ولقوله تعالى حكاية عن الملكين — إنما نحن فتنة فلا تكفر — ومذهب الشافعى أنه لا يكفر إلا أن يكون فيه قول أو فعل يقتضى الكفر ، قال الرافعى : ومن اعتقد إباحته فهو كافر ، وقال ابن الصباغ : إن اعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تجيب إلى ما يقترح منها فهو كافر ، وعن القفال أنه لو قال : أنا أفعل السحر بقدرتى دون قدرة الله تعالى فهو كافر ، ولو تاب الساحر قبلت توبته عند الشافعى رحمه

الله ، وقال مالك رحمه الله : السحر زندقة ، فإن قال : أنا أحسن السحر قتل ، ولا تقبل توبته كما لا تقبل توبة الزنديق . وعن أبى حنيفة رحمه الله مثله . وعن الإمام أحمد رحمه الله روايتان كالمذهبين . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إن المرأة الساحرة تحبس ولاتقتل وأما الساحر الذمى فلا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل لنقضه العهد ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : يقتل مطلقا ، ويقال للرجل المسحور مطبوب يقال طب الرجل إذا سحر فكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم عن اللديغ . قال ابن الأنبارى : الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب وللسحر طب وهو من أعظم الأدواء ، ورجل طبيب أى حاذق سمى طبيبا لحذقه وفطنته ، والله تعالى أعلم .

(فائدة أدبية) دخل أبو العلا المعرى يوما على الشريف المرتضى فعثر برجل فقال له الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلا : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، فقربه المرتضى واختبره فوجده علامة ، ثم جرى ذكر المتنبى يوما فتنقصه الشريف المرتضى وذكر معايبه فقال المعرى : لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله :

* لك يامنازل فى القلوب منازل *

لكفاه فضلا وشرفا ، فغضب الشريف المرتضى وأمر بسحبه برجله وإخراجه من مجلسه ، ثم قال لمن يحضر مجلسه : تدرون أى شىء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة وللمتنبى أجود منها ولم يذكره ؟ قالوا : لا . قال : إنما أراد أن يذمنى بقوله فيها :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وسئل شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد عن أبى العلا المعرى فقال : هو فى حيرة ، وهذا أحسن ماقيل فيه

(فائدة أخرى) قال أبو نواس الحسن بن هانئ فى طريدته :

أتعب كلبا أهله فى كده قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده وكل رفد ناهم من رفده
يظل مولاه له كعبده يبيت أدنى صاحب من فهده
إذا عرى جلله ببرده ذا غرة محجلا بزنده
يلذ منه العين حسن قده يا حسن شدقيه وطول خده

قيل : دخل أبو بكر الخالدى على الخليفة فأنشده قصيدة امتدحه بها فأجازه وكان بين يديه صحن يشم أزرق فلمحه أبو بكر فأعطاه الخليفة إياه فخرج من عنده وهو مسرور فمر على أبى الفتح ابن خالويه فهنأه أبو الفتح بذلك ، فلما أصبح جاء إلى الخدمة فقال له الخليفة :

كيف حالك وكيف كان مبيتك ؟ قال : بخير ، ودعا له وقال : بتنا ندعو لمولانا أمير المؤمنين وبت أتفنن فى الصحن وأتملى بحسنه فأضفته إلى صدقات مولانا ورفده وكل خير عندنا من عنده ، فتنمر أمير المؤمنين واستشاط غضبا وزجره ، فخرج من عنده حزينا كئيبا فمر على ابن خالويه فسأله عن السبب وما الخبر ؟ فأخبره بما قال . فقال له أبو الفتح : أو قلتها ؟ فقال : نعم . فقال : أين أنت ؟ أتجعل أمير المؤمنين كلبا ، أين ذهب عقلك أو ماسمعت قول أبو نواس فى طريدته :

فكل خير عندهم من عنده وكل رفد نالهم من رفده

فكاد الخالدى أن يموت فزعا ، ثم قال له : عرفنى كيف المخلص ؟ قال : تمارض مدة ثم أظهر أنك شفيت ثم تأتى أمير المؤمنين ، فإذا سألك عن سبب مرضك فقل له : طالعت طريدة أبى نواس ، فلما فعل ذلك رضى عنه أمير المؤمنين .

(فائدة أخرى) اختلفوا فى قوله تعالى — وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا — أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب .

وروى عن ابن جريج أنه قال : كان أسدا ويسمى الأسد كلبا لأن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فأكله الأسد . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان كلبا أغبر ، وفى رواية عنه أحمر واسمه قطمير ، وقال مقاتل : كان أصفر ، وقال القرطبى : صفرته تضرب إلى الحمرة ، وقال الكلبى : كان خلنجى اللون وقيل كان لونه لون السماء ، وقيل كان أبلق أبيض وأسود وأحمر . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : اسمه ريان ، وقال الأوزاعى : مشير ، وقال سعيد الحمال : حران ، وقال عبد الله بن سلام : بسيط ، وقال كعب الأحبار : صيها ، وقال وهب : نقيا .

وقصة الإمام مالك فى ذلك مشهورة معروفة . وقال فرقة : كان رجلا طباخا لهم حكاه الطبرى ، وقال فرقة كان أحدهم ، وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم ، فسمى باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس كما سمى النجم التابع للمجوزاء كلبا لأنه منها كالكلب من الإنسان وهذا القول يضعفه بسط الذراعين فإنه فى العرف من صفة الكلب .

وحكى أبو عمرو المطرزى فى كتاب اليواقيت وغيره أن جعفر بن محمد الصادق قرأ — وكالبهم — ، فيحتمل أنه يريد هذا الرجل .

وقال خالد بن معدان : ليس فى الجنة من الدواب سوى كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح ، وقد تقدم فى أوائل باب السين المهملة فى السبع الكلام على قوله تعالى : — سبعة وثامنهم كلبهم — ونزيد هنا أن قوله تعالى : — قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل —

أن المثبت فى حق الله تعالى الأعلمية ، وفى حق القليل العالمية ، فلا تعارض بينهما . قال ابن عطية المفسر : حدثنى أبى أنه سمع أبا الفضل بن الجوهرى فى سنة تسع وستين وأربعمائة يقول : إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم ، كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله فى القرآن معهم .

وأما الوصيد فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الوصيد فناء الكهف ، وهو قول مجاهد رضى الله تعالى عنه . وقال سعيد بن جبير : الوصيد التراب وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أيضا . وقال السدى : الباب ، وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ، وأنشد فى ذلك :

بأرض فضاء لايشد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر

أى بابها ، وقال عطاء : الوصيد عتبة الباب . وقال العتبى : هو البناء الذى من فوقه ومن تحته مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وأصدته أى أغلقته وأطبقته : لو اطلعت عليهم يامحمد لوليت منهم فرارا : أى هربا ، ولملئت منهم رعبا لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لايصل إليهم واصل منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد ، وقيل إنما ذلك من وحشة المكان الذى هم فيه .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم ، فقلت له : ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال تعالى : — لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا — فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، ثم بعث ناسا لينظروا فقال : اذهبوا فادخلوا الكهف فذهبوا ، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم .

وذكر الثعلبى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه إياهم فقال تعالى : إنك لن تراهم وقال ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل : كيف أبعث إليهم ؟ فقال له جبريل عليه السلام : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الثانى عمر وعلى الطرف الثالث عثمان وعلى الطرف الرابع عليا ، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله يأمرها أن تطيعك ، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل عليهم الكلب ، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص إليهم وأومأ إليهم برأسه أن ادخلوا ، فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد الله إلى الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقالوا : معشر الفتية إن النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ، فقالوا : وعلى

محمد السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما أبلغتم ، وقبلوا دينه ثم قالوا : اقرءوا على محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى . فيقال : إن المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله ويردون عليه السلام ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة ، ثم ردتهم الريح فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : كيف وجدتموهم ؟ فأخبروه الخبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم لاتفرق بينى وبين أصحابى وأنصارى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وخاصتى .

واختلف فى سبب مصيرهم إلى الكهف ؟ فقال محمد بن إسحاق : مرح أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وأطغتهم الجن حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكانت فيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله ، وكان ملكهم اسمه دقيانوس ، وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فهرب منه أهل الإيمان ، وكان حين قدمها أمر أن يجمع له أهل الإيمان فمن وقع به خيره بين القيل وعبادة الأصنام فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى فيقتل ، ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب ، فحزن هؤلاء الفتية وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء ، وكانوا ثمانية من أشراف القوم فعثر عليهم الملك فقال لهم : اختاروا إما أن تعبدوا آلهتنا وإما أن أقتلكم ، فقال مكسلمينا وهو أكبرهم : إن لنا إلها هو ملك السموات والأرض وهو أعظم وأجل من كل شىء وهو المعبود فلن ندعوا من دونه إلها ، فقال الملك ما يمنعنى أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب وأحب أن أجعل لكم أجلا لعلكم تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم ، فأخذوا من بيوتهم نفقة وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله ، فاتبعهم كلب كان لهم .

وقال كعب : بل مروا بكلب فنبح بهم فطردوه فعاد فطردوه مرارا وهو يعود ، فقام الكلب على رجليه ، ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعى ونطق فقال : لا تخافوا منى فإنى أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هربوا ليلا وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله فى الكهف ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة ، وكان من أجملهم وأجلدهم ، وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار ، فلبثوا كذلك زمانا ثم أخبرهم تمليخا أن الملك يتطلبهم ففزعوا لذلك وحزنوا ، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ماأصابهم ، فسمع الملك أنهم فى جبل فألقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف

فيسد عليهم حتى يموتوا جوعا وعطشا وهو يظنهم أيقاظا أراد الله بذلك أن يكرمهم وأن يجعلهم آية لخلقه ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، ثم عمد رجلان مؤمنان كانا فى بيت الملك فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم فى لوح من رصاص وجعلاه فى تابوت من نحاس وجعلاه فى البنيان .

وقال عبد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مسورين ذى ذوائب ، وكان معهم كلب صيد فخرجوا فى عيد لهم وأخرجوا آلهتهم التى كانوا يعبدونها فقذف الله فى قلوبهم الإيمان ، وكان أحدهم وزير الملك ، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة ، ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره وجاء من غير أن يظهر له ذلك ، ثم خرج الآخرون واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم هاهنا ، ثم قالوا : ليخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفشى كل واحد منهما أمره إلى صاحبه ، فخرج فتيان فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره فأقبلا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد ، ثم فعلوا جميعا كذلك فإذا هم جميعا على الإيمان ، فقال بعضهم لبعض — ائتوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا — فدخلوا الكهف ومعهم كلبهم فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ، ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا : ليكونن لهذا شأن .

وقال السدى : لما خرجوا مروا براع معه كلب ، فقال الراعى : إنى أتبعكم على أن أعبد الله معكم ؟ قالوا : سر فسر معهم وتبعهم الكلب ، فقالوا : يا راعى هذا الكلب ينبح علينا وينبه بنا فما لنا به من حاجة فطردوه فأبى إلا أن يلحق بهم فرجموه فرفع يديه كالداعى ، وأنطقه الله تعالى فقال : يا قوم لم تطردوننى لم تضربوننى لم ترجموننى ، فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة ، فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى .

وقال محمد الباقر : كان أصحاب الكهف صياقلة ، واسم الكهف حاوم ، والقصة طويلة مشهورة فى كتب التفاسير ، والقصص مطولة ومختصرة ، وقد وقفت على جمل من ذلك .

فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو إسحق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى الثعلبى فى كتابه [الكشف والبيان فى تفسير القرآن] وربما يتكرر شىء مما تقدم فيما آتى به ، قال : قوله تعالى — أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا — يعنى ليسوا من أعجب آياتنا فإن فيما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم ، والكهف : هو الغار فى الجبل . واختلفوا فى الرقيم ؟ فقال وهب : حدثنى النعمان بن بشير الأنصارى

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال : إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهليهم فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء فأووا إلى كهف فانحطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف فأوصد عليهم . فقال قائل منهم : اذكروا أيكم عمل عملا حسنا لعل الله برحمته أن يرحمنا ، فقال رجل منهم : إنى قد عملت حسنة مرة ، كان لى أجراء يعملون عملا لى استأجرت كل رجل منهم فى نهاره بأجرة معلومة ، فجاءنى رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرت بشطر أجرة أصحابه فعمل فى بقية نهاره كما عمل رجل منهم فى نهاره كله ، فرأيت على من الذمام أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه لما رأيت من جهده فى عمله . فقال رجل منهم : أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل إلا وسط النهار فقلت : يا عبدالله لم أبخسك شيئا من شرطك وإنما هو مالى أحكم فيه بما شئت فغضب وترك أجره ، فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ثم مرت بى بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر فبلغت ما شاء الله ، فمر بى بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه فقال لى : إن لى عندك حقا أذكرنيه حتى عرفته ، فقلت له : إياك أبغى وهذا حقك وعرضتها عليه جميعا ، فقال : يا عبد الله لا تسخر بى إن لم تصدق على فأعطنى حقى . قلت : والله ما أسخر بك إنها لحقك مالى فيها شىء فدفعتها إليه جميعا ، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا . وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة : كان لى فضل وأصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا ، فقلت لها : والله ما هو دون نفسك ، فأبت على وذهبت ثم رجعت فذكرتنى الله عز وجل والله مطلع عليها ، فأبيت عليها وقلت لها : والله ما هو دون نفسك ، فأبت على وذهبت وذكرت لزوجها فقال لها : أعطيه نفسك وأغيثى عيالك ، فرجعت إلى ونشدتنى بالله فأبيت عليها وقلت لها ، والله ما هو دون نفسك ، فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها ، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت : إنى أخاف الله رب العالمين ، فقلت لها : خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء ، وتركتها وأعطيتها ما يحق على بما كشفتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع حتى عرفوا وتبين لهم . وقال الآخر : وقد عملت حسنة مرة : كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكان لى غنم فكنت أطعم والدى وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمى : فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت ، فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة ومضيت إلى أبوى فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى ، فما برحت جالسا ومحلبى على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا . قال النعمان بن بشير :

لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا » .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الرقيم : واد بين عمان وأيلة دون فلسطين ، وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف .

وقال كعب : هى قريتهم ، وهو على هذا التأويل من رقمة الوادى وهو موضع الماء منه تقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة ، والضفتان : جانبا الوادى .

وقال سعيد بن جبير : الرقيم لوح من حجارة ، وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف ، وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أى الكتاب المرقوم ، والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة .

ثم ذكر صفتهم فقال تعالى — إذ أوى الفتية إلى الكهف — أى رجعوا وصاروا إليه .

واختلفوا فى سبب مصيرهم إلى الكهف ؟ فقال محمد بن إسحاق : مرح أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام متمسكين بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم يقال له دقيانوس كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين المسيح ، وكان ينزل قرى الروم فكان لايترك فيها أحدا مؤمنا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس ، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه ، وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتتبع أهل الإيمان فى أماكنهم فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار من أهلها فجعلوا يتتبعون أهل الإيمان فى أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى فيقتل ، فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة فى الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقطعون ويعلق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، منهم من أقر فترك ، ومنهم من صلب على دينه فقتل ، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديدا فصلوا وصاموا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى ، وكانوا من أشراف الروم ، وكانوا ثمانية فتفرقوا وتضرعوا وجعلوا يقولون — ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا — اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك الذين آمنوا بك حتى يعلنوا عبادتهم إياك ، فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرطة ، وكانوا قد

دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجدا على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته ، فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع ، وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون بك ويعصون أمرك ، فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع معفرة وجوههم فى التراب . فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى تعبد فى الأرض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس وإما أن أقتلكم ، فقال مكسلمينا وكان أكبرهم : إن لنا إلهاً ملأت السموات والأرض عظمته — لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا — ولن نقر بهذا الذى تدعو إليه أبدا ولكنا نعبد الله ربنا له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا إياه نسأل النجاة والخير .

أما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبدا اصنع ما بدا لك ، ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له ، فلما قالوا ذلك أمر فنزع منهم الملبوس الذى كان عليهم من لبوس عظمائهم وقال : إن فعلتم ما فعلتم فإنى سأؤخركم وأفرغ لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة و وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم إلا أنى أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم ، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده ، وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره ، فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم ، فائتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ثم يتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له منحلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم ، وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى الجبل فلبثوا فيه .

وقال كعب الأحبار : مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا ، فقال لهم الكلب : ما تريدون منى لا تخشوا جانبى فأنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هربوا ليلا من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم إلى عبادة الأصنام وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ، فخرجوا من البلد فأووا إلى الكهف وهو قريب من البلدة فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تمليخا فكان على

طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم ، فكان تمليخا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويلبس ثيابا كثياب المساكين الذين يطعمون فيها ثم يأخذ ورقه ثم ينطلق إلى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل ذكر أصحابه بشى أم لا ، ثم يرجع إلى أصحابه ، فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع لذلك أهل الإيمان . وكان تمليخا بالمدينة يشترى لأصحابه الطعام والشراب فرجع لأصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت ، فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة ، ثم إن تمليخا قال لهم : يا إخوتاه ارفعوا رءوسكم واطعموا من رزق الله وتوكلوا عليه ، فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وخوفا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا .

فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ماأصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رءوسهم ، فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم ، فقال لبعض أصحابه : قد ساءنى هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا بى غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى وما كنت لأجهل عليهم ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهى ، فقال له عظماء المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلتهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا . فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم ثم قال : أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى : فقالوا له : أما نحن فلن نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس . فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدرى ما يفعل بالفتية فألقى الله فى نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم ، وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية ويستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ويدعوهم كما هم فى الكهف يموتون عطشا وجوعا ، وليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما كان اسم أحدهما مندروس والآخر دوماس ، ائتمرا أن يكتبا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم فى لوح رصاص

ويجعلاه فى تابوت من نحاس ثم يجعلا التابوت فى البنيان ، وقالا : لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب ، ففعلا ثم بنيا عليهم فبقى دقيانوس ما بقى ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة وخلفاء الملوك بعد الملوك .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسوّرين ذوى ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى يعبدونها من دون الله ، وقد قذف الله فى قلوب الفتية الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن أخيه ، فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهروا بعضهم على بعض : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر له ذلك فجلس إليه ، ثم خرج الآخرون فجاءوا وجلسوا إليهما واجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم ؟ وقال آخر : ما حملكم ؟ وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منهما لصاحبه أمره ، فخرج فتيان منهم فتواقفا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على أمر واحد وهو الإيمان ، وإذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض — فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا — فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا ، وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح من رصاص فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان ، ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا : ليكونن لهذا شأن ، ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن .

وقال وهب بن منبه : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له : إن على بابها صنما لايدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها وأتى حماما قريبا من تلك المدينة فكان فيه ، وكان يؤاجر نفسه من الحمامى فى حمامه ويعمل فيه ، ورأى الحمامى فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بالله وصدقوه وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة ، وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لايحول بينى وبينه أحد ولا بين الصلاة ، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فعيره الحمامى وقال له : أنت

ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعا فماتا معا فى الحمام ، فأتى الملك فقيل له صاحب الحمام قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية فالتمسوا ، فخرجوا من المدينة فمروا على صاحب لهم فى زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا له أنهم التمسوا ، فانطلق معهم وكان معه كلب حتى آواهم الليل إلى كهف فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح فترون رأيكم ، فضرب الله على آذانهم ، فخرج الملك فى أصحابه يطلبهم فتبعوهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد الرجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد منهم أن يدخله ، فقال قائل من أصحاب الملك : أليس لو كنت تقدر عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى . قال : فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا وعطشا ففعل ذلك . قال وهب : فمكثوا بعد ماسد عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال فى نفسه : لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت فيه غنمى من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتحه ، ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا .

قال محمد بن إسحاق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تاودوسيوس ، فلما ملك بقى فى ملكه ثمانيا وثمانين سنة فتحزب الناس فى ملكه وكانوا أحزابا ، فمنهم من يؤمن بالله تعالى ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها ، فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، ويقولون لاحياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فأما الجسد فتأكله الأرض ، ونسوا مافى الكتاب فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيرا وأنه معه على الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين .

فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ليلا ونهارا يتضرع إلى الله ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول : أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم من يبين لهم ، ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يستجيب لعبده الصالح تاودوسيوس وأن يتم نعمته عليه وأن لاينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذى أعطاه وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئا وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين ، فألقى الله عز وجل فى نفس رجل من أهل ذلك الجبل الذى به أهل الكهف أن يبنى فيه حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الأحجار ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى فرغ ما على فم الكهف وفتح عليهم باب

الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم من يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف قائما .

فلما نزعت الحجارة وفتح عليهم باب الكهف أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون فيها ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا فى أبشارهم ولا ألوانهم شىء يكرهونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار فى طلبهم ، فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم : ائتنا يا أخى بالذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض — كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم — وكل ذلك فى أنفسهم يسير ، فقال لهم تمليخا : افتقدتم والتمستم بالمدينة وهو يريد أن يأتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل ، فقال لهم مكسلمينا : يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غدا ، ثم قال لتمليخا : انطلق إلى المدينة فتسمع مايقال لنا بها اليوم وما الذى نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بنا أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذى تجيئنا به العادة فإنه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ، ففعل تمليخا كما كان يفعل وخرج ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ، وأخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع ، فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ، ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصدعن الطريق تخوفا من أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ، ولم يشعر بالعبد الصالح وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة ، فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان ، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ممن يعرفه ثم ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتى كان يعرفها ، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك ، فجعل يمشى ويتعجب منهم ومن نفسه ويخيل إليه أنه حيران ، ثم رجع إلى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب منه ومن نفسه ويقول : ياليت شعرى أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة لعلى حالم ، ثم يرى أنه ليس بنائم ،

فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهرانى سوقها فيسمع ناسا كثيرين يحلفون بالله ثم بعيسى ابن مريم فزاده عجبا ورأى كأنه حيران ، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة ويقول فى نفسه : والله ما أدرى ماهذا ! أما عشية أمس فليس على وجه الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى بن مريم ولا يخاف ، ثم قال فى نفسه : لعل هذه ليست المدينة التى أعرفها أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا ، ثم قام كالحيران لايتوجه وجها ثم لقى فتى من أهل المدينة فقال : يافتى ما اسم هذه المدينة ؟ فقال . أفسوس ، فقال فى نفسه : لعل بى مسا أو أمرا أذهب عقلى ، والله يحق لى أن أسرع الخروج منها قبل أن أخرج منها ويصيبنى سوء فأهلك .

هذا الذى حدث به تمليخا أصحابه حين تبين له حالهم ، ثم إنه أفاق فقال : والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس بى ، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال : ياعبد الله يعنى بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها وعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل وهم يعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا فى الأرض منذ زمان ودهر طويل ، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وحزن حزنا عظيما وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس ، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه ، فقال لهم وهو شديد الفرق : اقضونى حاجتى فقد أخذتم ورقى وإلا فأمسكوا طعامكم فلا حاجة لى فيه ، فقالوا له : من أنت يافتى وماشأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخف عليك ماوجدت فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك ، فلما سمع قولهم عجب فى نفسه وقال : قد وقعت فى كل شىء أحذر منه ، ثم قالوا : يافتى والله إنك لاتستطيع أن تكتم شيئا وجدته ولا تظن فى نفسك أن سنخفى عليك ، فجعل تمليخا لايدرى مايقول وما يرجع إليهم وفرق حتى مايحير إليهم جوابا ، فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطوقوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مكبلا حتى سمع به كل من فيها ، فقيل أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا مايدرى مايقول لهم مع ماسمع منهم ، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت ولم يتكلم ، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وأن حسبه فى أهل

المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وأنه لايعرف اليوم من أهلها أحدا ، فبينما هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه من بعض أهله إما أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه ، فانطلقوا به إلى رئيسى المدينة ومدبريها اللذين يديران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس والآخر اصطفوس ، فلما انطلق به إليهما ظن تمليخا أنما ينطاق إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذى هربوا منه فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون به كما يسخرون من المجنون والحيران ، وجعل تمليخا يبكى ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علىّ اليوم صبرا وأولج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار ، وجعل يبكى ويقول فى نفسه : فرق بينى وبين إخوتى ياليتهم يعلمون مالقيت وأين يذهب بى فلو أنهم يعلمون فيأتونى فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار ، فإنا كنا توافقنا لنكونن معا لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل فرق بينى وبينهم فلم أرهم ولم يرونى وقد كنا توافقنا أن لانفترق فى حياة ولا موت أبدا ، ياليت شعرى ماهو فاعل بى أقاتلى أم لا ؟

هذا ماحدّث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع إليهم ثم انتهى به إلى الرجلين الصالحين أرموس واصطفوس ، فلما رأى تمليخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أرموس وأصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما : أين الكنز الذى وجدته يافتى فهذا الورق يشهد عليك أنك قدوجدت كنزاً ؟ فقال له تمليخا : ما وجدت كنزا ولكن هذا الورق ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكنى والله ما أدرى ما شأنى وما أدرى ما أقول لكم ، فقال أحدهما : من أنت ؟ فقال له تمليخا ، أما ما أرى فإنى كنت أرى أنى من أهل هذه المدينة ، فقالوا له : من أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه ، فقال له أحدهما : أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير أنه نكس رأسه إلى الأرض ، فقال بعض من حوله : هذا الرجل مجنون ، وقال بعضهم : ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكى يفلت منكم ، فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا شديدا : أتظن أنا نرسلك ونصدقك أن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب ، تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار ، وإنى لأظننى سآمر بك فتضرب وتعذب عذابا شديداً ثم أوثقك حتى تقر بهذا الكنز الذى وجدت ، فلما قال له ذلك قال له تمليخا : أنبئونى عن شىء أسألكم عنه ، فإن فعلتم صدقتكم ما عندى ، قالوا : سل لا نكتمك شيئا : قال فما فعل

الملك دقيانوس ؟ فقالوا له : ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملكا قد هلك منذ زمان ودهر طويل وقد هلكت بعده قرون كثيرة ، فقال لهم تمليخا : فوالله ما يصدقنى أحد من الناس بما أقول ، لقد كنا فتية الملك وإنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا ، فلما انتبهنا خرجت لأشترى لأصحابى طعاما وأتجسس لهم الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معى إلى الكهف الذى فى جبل منجلوس أريكم أصحابى ، فلما سمع أرموس وأصطفوس ما يقول تمليخا قالا : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل جعلها الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه كما قال ، فانطلق معه أرموس وأصطفوس وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم .

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتيهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس الذى هربوا منه ، فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم ، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وقالوا : انطلقوا بنا إلى أخينا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبار دقيانوس ينتظر متى نأتيه ، فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف فلم يروا إلا أرموس وأصحابه وقوما وقوفا على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكى ، فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسئلة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله ، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ، ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ودعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أن مكسلمينا وأمليخا أو (تمليخا) ومرطوكش ونواس وسانيوس وبطنيوس وكشفوطط كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا فى هذا الكهف ، فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم ، فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله عز وجل الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيه ووجوههم مشرقة لم تبل ثيابهم ، فخر أرموس وأصحابه سجدا لله تعالى وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار .

ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس أن عجل لعلك تنظر

إلى آية من آيات الله تعالى جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نورا وضياء وتصديقا بالبعث ، فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة ، فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التى كان عليها ورجع إليه عقله وذهب عنه همه ورجع إلى الله تعالى وقال : أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى كنت جعلته لآبائى وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما أنبئ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه ، فلما رأى الفتية تاودوسيوس فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم ، وقام تاودوسيوس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ، ثم قال الفتية لتاودوسيوس : نستودعك الله ونقرأ عليك السلام حفظك الله ومد ملكك ونعيذك بالله من شر الجن والإنس . فبينما الملك قائم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب ، فلما أمسوا ونام أتوه فى المنام وقالوا : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير ، فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم ، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة .

وقيل إنهم لما أتوا باب الكهف قال لهم تمليخا : دعونى حتى أدخل على أصحابى فأبشرهم فإنهم إن رأوكم معى أرعبتموهم ، فدخل فبشرهم وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم فلم يهتدوا إليهم ، فهذا حديث أصحاب الكهف . ويقال إن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يريه إياهم ؟ فقال تعالى : إنك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : كيف أبعث إليهم ؟ فقال : ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر ، وعلى الثالث عليا ، وعلى الرابع أبا ذر ، ثم دع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام فإن الله تعالى أمرها أن تطيعك ، ففعل النبى صلى الله عليه وسلم ما أمر به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف ، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجرا فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم ، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف ، فدخلوا فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا : وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم ، ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الإسلام وقالوا أقرئوا محمدا منا السلام، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عندخروج المهدى، ويقال إن المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة.

وقد رأيت فى كتاب [الشفاء] للإمام أبى الربيع سليمان بن سبع مانصه : روى أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة ، ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه لأنهم لم يحجوا. انتهى ما نقله ابن سبع.

ثم نرجع إلى سياق الثعلبى قال : ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح فهبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان منهم ، فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم : كيف وجدتموهم وما الذى أجابوا ؟ فقالوا : يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا أنك رسول الله حقا ، وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم، وهم يقرءونك السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم لا تفرق بينى وبين أصهارى وأحبابى ، واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأحب أصحابى ، فذلك قوله تعالى: — إذ أوى الفتية إلى الكهف — أى صار يضم الفتية. قال الثعلبى : كان أصحاب الكهف صيارفة.

قوله عز وجل : — إلى الكهف — هو غار بجبل منخلوس ، وقيل بناجيوس ، واسم الكهف حرم ، وقيل خدم.

قوله تعالى : — فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا — أى يسر لنا ما نلتمس من رضاك ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : رشداً أى مخرجا من الغار فى سلامة وقيل صوابا.

قوله تعالى : — فضربنا على آذانهم فى الكهف — وهذا من فصاحات القرآن التى أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله ، ومعناه : أنمناهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم ، كما يقال ضرب الله فلانا بالفالج أى ابتلاه به وأرسله عليه ، وقيل معناه : حجبناهم عن السمع وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم ، وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب : هو كقول العرب : ضرب الأمير على يد الرعية إذا منعهم من العبث والفساد ، وضرب السيد على يد عبده المأذون له فى التجارة إذا منعه من التصرف. وقال الأسود بن يعفر وكان ضريرا فى ذلك :

ومن الحوادث لا أبالى أننى ضربت على الأرض بالأسداد

قوله عز وجل : — سنين عددا — أى معدودة وهى نعت السنين ، والعدّ المصدر والعدد

اسم المعدود كالنقض والنقض والقص والقصص والخبط والخبط ، وقال أبو عبيدة : هو تصب على المصدر .

قوله تعالى : — ثم بعثناهم — يعنى من بعد موتهم — لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا — وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك ، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف فى قدر مدة لبثهم فى الكهف ، فقال المسلمون الأولون : لبثوا فى الكهف ثلثمائة سنين وتسع سنين ، وقال المسلمون الآخرون : بل لبثوا كذا وكذا ، فقال الأولون : الله أعلم بما لبثوا ، فذلك قوله تعالى : — ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين — أى أى الفريقين — أحصى — أى أضبط وأحفظ — لما لبثوا — أى مكثوا فى كهفهم نياما — أمدا — غاية . وقال مجاهد : عددا ، وفى نصبه وجهان : أحدهما على التفسير والثانى مفعول لبثوا .

قوله عز وجل : — نحن نقص عليك — أى نقرأ وننزل عليك — نبأهم بالحق — أى خبر أصحاب الكهف — إنهم فتية — أى شباب وأحداث — آمنوا بربهم — حكم الله لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة لذلك . قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى . وقيل الفتوة شيئان : اجتناب المحارم واستعمال المكارم . وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يزكى نفسه بعد الفعل . وقيل ليس الفتى من يصبر على السياط إنما الفتى من يجوز على الصراط ، وليس الفتى من يصبر على السكين إنما الفتى من يطعم المسكين .

قوله تعالى : — وزدناهم هدى — أى إيمانا وبصيرة وإيقانا — وربطنا — أى شددنا — على قلوبهم — بالصبر وألهمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ، وفروا بدينهم إلى الكهف إذ قاموا بين يدى دقيانوس ، فقالوا حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم — ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها — أى لا نعبد من دونه إلها — لقد قلنا إذا شططا — . قال ابن عباس ومقاتل رضى الله تعالى عنهم : جورا ، وقال قتادة رحمه الله تعالى : كذبا : وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط — هؤلاء قومنا — بمعنى أهل بلدهم — اتخذوا — أى عبدوا — من دونه آلهة — يعنى من دون الله الأصنام يعبدونها — لولا — هلا — يأتون عليهم — على عبادتهم — بسلطان بين — أى حجة واضحة — فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا — ويزعم أن له شريكا وولدا ، ثم قال بعضهم لبعض — وإذ اعتزلتموهم — يعنى قومهم — وما يعبدون إلا الله — أى واعتزلتم أصنامهم التى يعبدونها من دون الله ، وكذلك هو فى مصحف عبد الله «ومايعبدون من دون الله» .

— فأووا إلى الكهف — أى صيروا إليه — ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من

أمركم مرفقا — أى رزقا رغدا . والمرفق : ما يرتفق به الإنسان ، وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء وهى قراءة أهل المدينة والشام وعاصم فى بعض الروايات ، ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهى قراءة الباقين .

قوله تعالى : — وترى الشمس إذا طلعت — أى وترى يا محمد الشمس إذا طلعت — تزاور — أى تتزاور . قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين ، وقرأ أهل الشأم ويعقوب تزور على وزن تحمر وكلها بمعنى واحد أى تميل وتعدل — عن كهفهم ذات اليمين — أى جانب اليمين — وإذا غربت تقرضهم — . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تدعهم . وقال مقاتل بن حيان : تجاوزهم ، وأصل القرض القطع — ذات الشمال وهم فى فجوة منه — أى متسع من الكهف ، وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء ، أخبرنا الله بحفظه إياهم فى مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد ، فأعلمنا أنه يراهم فى فضاء من الكهف مستقبلا بنات نعش تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغير من ألوانهم وتبلى ثيابهم ، وإنهم فى متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ، وتنئى عنهم كربة الغار وغمومه — ذلك — ماذكرنا من أمر الفتية — من آيات الله — أى من عجائب صنع الله ودلالات قدرته .

قوله عز وجل : — من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا — لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل — وتحسبهم — يا محمد — أيقاظا — منتبهين جمع يقظ ويقظ مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد — وهم رقود — يعنى نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود — ونقلبهم — بالتخفيف والتشديد — ذات اليمين وذات الشمال — مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم ، ويقال إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم . وقال أبو هريرة : كان لهم فى السنة تقليبتان — وكلبهم — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان أحمر ، وقال مقاتل : كان أصفر ، وقال القرطبى : من شدة صفرته يضرب إلى الحمرة ، وقال الكلبى : لونه كالخلنج ، وقيل لون الحجر ، وقيل لون السماء ، وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كان اسمه ريان ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قطمير ، وقال الأوزاعى : مشير ، وقال سعيد الحمال : حران ، وقال عبد الله بن كثير : إن اسم كلبهم قطمور ، وقال السدى : اسمه تون ، وقال عبد الله بن سلام : بسيط ، وقاله كعب صبهان ، وقال وهب : اسمه نقيا ، وقيل قطفير ، وقيل قطيفير ، وقال عروة : مما أخذ على العقرب أن لا يضر بأحد فى ليل ولا نهار . قال — سلام على نوح — قال : ومما أخذ على الكلب أن لا يضر بأحد ممن حمل عليه إذا قال — وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد —

وقرأ جعفر الصادق «وكالبهم» يعنى صاحب الكلب — باسط ذراعيه بالوصيد — وقال مجاهد والضحاك : والوصيد فناء الكهف ، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وقال سعيد بن جبير : الوصيد الصعيد وهو التراب ، وهى رواية عطية العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . وقال السدى : الوصيد الباب ، وهى رواية عكرمة عن ابن عباس ، وأنشد قول الشاعر :

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علىّ ومعروفى بها غير منكر

أى بابها . وقال عطاء : الوصيد عتبة الباب . وقال العتبى : الوصيد البناء ، وأصله من قول العرب : صدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته .

قوله تعالى : — لو اطلعت عليهم — يا محمد — لوليت منهم فراراً — لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة ، حتى لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن شاء من خلقه — ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها — ولملئت منهم رعبا — أى خوفا ، وقرأ أهل الكوفة لملئت بالتشديد ، قيل إنما قال ذلك لوحشة المكان الذى هم فيه . وقال الكلبى وغيره : لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد أن يتكلم وهم نيام ، وقيل إن الله منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم ، فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك . قال الله تعالى : — لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا — فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، فبعث ناسا فقال اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا ، ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم .

قوله عز وجل — وكذلك بعثناهم — يعنى كما أنمناهم فى الكهف ومنعنا من الوصول إليهم وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان وثيابهم من العفن على ممر الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من النومة التى تشبه الموت — ليتساءلوا بينهم — أى ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضا — قال قائل منهم — يعنى رئيسهم مكسلمينا — كم لبثتم — فى نومكم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم ، ويقال إنهم راعهم مافاتهم من الصلاة فقال ذلك — قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم — لأنهم دخلوا الكهف غدوة فلما رأوا الشمس قالوا — أو بعض يوم — توقيا من الكذب وكان قد بقيت من الشمس بقية . ويقال كان بعد زوال الشمس فلما نظروا

إلى أظفارهم وأبشارهم تيقنوا أن لبثهم كان أكثر من يوم فـ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم — ويقال: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك — فابعثوا أحدكم — يعنى تمليخا — بورقكم هذه إلى المدينة — والورق الفضة المضروبة مضروبة كانت أو غير مضروبة . والدليل عليه أن عرفجة بن سعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق ، وفيه لغات بورقكم ساكنة الراء وهى قراءة أبى عمرو وحمزة وخلف وأبى بكر ، وتورقكم بكسر الراء وإدغام القاف وهى قراءة بعض ، وبورقكم بفتح الواو وكسر الراء وهى قراءة أكثر القراء ، وورق وورق مثل كبد وكبد وكلم وكلم ، والمدينة أفسوس ، وقيل طرسوس ويقال أرسوس كان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام سموها طرسوس — فلينظر أيها أزكى طعاما — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوسا ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم ؛ وقال الضحاك : أطيب ، وقال مقاتل وابن حيان : أجود وقال ابن شهاب أرخص ، وقال قتادة : أخير ، وقال عكرمة : أفضل وأكثر ، وأصل الزكاة الزيادة والنماء . قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة كذا السبع أزكى من ثلاث وأطيب

— فليأتكم برزق منه — أى قوت وطعام — وليتلطف — أى وليرفق فى الشراء وفى طريقه وفى دخوله المدينة — ولا يشعرن — بكم أحدا — من الناس — إنهم إن يظهروا عليكم — فيعلموا بمكانكم — يرجموكم — قال ابن جريج : يشتموكم ويؤذوكم بالقول ، ويقال يقتلوكم ، ويقال كان من عادتهم القتل بالرجم وهو من أخبث القتل ، ويقال يضربوكم — أو يعيدوكم فى ملتهم — أى دينهم الكفر — ولن تفلحوا إذا أبدا — إن عدتم إليهم .

قوله عز وجل — وكذلك أعثرنا عليهم — أى أطلعنا عليهم يقال عثرت على الشىء اطلعت عليه وأعثرت غيرى أطلعته عليه — ليعلموا أن وعد الله حق — يعنى قوم تاودوسيوس — وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يتنازعون فى البنيان والمسجد ، فقال المسلمون : نبنى عليهم مسجدا لأنهم على ديننا ، وقال المشركون : نبنى عليهم بنيانا لأنهم من أهل نسبنا . وقال عكرمة يتنازعون فى الأرواح والأجساد فقال المسلمون : البعث للأجساد والأرواح ، وقال المشركون : البعث للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى من رقادهم وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح : وقيل يتنازعون فى عددهم — فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم — تاودوسيوس الملك وأصحابه — لنتخذن عليهم مسجداً — .

قوله عز وجل — سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم — وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أهل الكهف ، فقال السيد :

كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وكان السيد يعقوبيا ، وقال العاقب : كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعد ما حكى قول النصارى فقال ـ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ـ أى قذفا بالظن من غير يقين كقول الشاعر :

* وأجعل قولى الحق قولا مرجما *

ـ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ـ قال بعضهم : هذه واو والثمانية ، وذلك أن العرب تقول : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية ، لأن العقد عندهم كان سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ، ونظيره قوله تعالى ـ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ـ وقوله تعالى لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ـ ثيبات وأبكارا ـ وقال بعضهم : هذه واو الحكم والتحقيق فإن الله حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله ـ ويقولون سبعة ـ ثم حكى أن ثامنهم كلبهم والثامن لايكون إلا بعد السبع فهذا تحقيق قول المسلمين ـ قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ـ قال مجاهد وقتادة : قليل من الناس ، وقال عطاء وقتادة أيضا : يعنى بالقليل أهل الكتاب ، وقال ابن عباس فى قوله ـ ما يعلمهم إلا قليل ـ قال : أنا من أولئك القليل ، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبنيونس وساربونس ودوانوانس وكندسلططنوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطى ودون الكردى ، والقلطى كلب صينى .

قال محمد بن المسيب : وما بقى بنيسابور محدّث إلا كتب عنى هذا الحديث إلا من لم يقدّر له ، وكتبه على أبو عمر والجبرى . زاد الإمام أبو الحسن فى روايته فقال : قلت وصدق ابن المسيب فقد رأيت فى تفسير أبى عمر والجبرى هذا الحديث مرويا عن ابن المسيب ، ثم قال أعنى الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إن الله عز وجل عدهم حتى انتهى إلى السبعة ، وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعنى أصحاب الكهف .

قال الثعلبى : قوله تعالى ـ فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ـ وهو مانص عليه فى كتابه العزيز من خبرهم يقول تعالى حسبك ما قصصت عليك ـ فلا تمار فيهم ـ ولا تستفت فيهم منهم أحداً ـ من أهل الكتاب .

وقوله تعالى ـ ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ـ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يعنى إن عزمت على أن تفعل غدا شيئا أن تحلف على شىء أنت فاعله غدا فقل إن شاء الله ، فإن نسيت الاستثناء ثم ذكرته فقله ولو بعد سنة ، وهذا تأديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن المسائل الثلاثة : أهل الكهف والروح وذى القرنين

فوعدهم أن يجيبهم عنهم غدا ولم يقل إن شاء الله ولم يستثن. روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم إيمان العبد حتى يستثنى فى كل كلامه » .

وقوله عز وجل — واذكر ربك إذا نسيت — قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن رضى الله تعالى عنهم : معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثن .

وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه : معناه واذكر ربك إذا غضبت . فقد روى وهب ابن منبه قال : مكتوب فى الإنجيل : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وإلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك .

وقال الضحاك والسدى : هذا فى الصلاة لقوله صلى الله عيه وسلم « من نسى صلاة أونام عنها فليصلها متى ذكرها » وقال أهل الإشارة : معناه واذكر ربك إذا نسيت غيره ويؤيده قول ذى النون المصرى رحمه الله تعالى : من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شيء فإذا نسى فى جنب ذكره كل شيء حفظ الله له كل شيء وكان له عوضا من كل شيء ، وقيل معناه : واذكر ربك إذا تركت ذكره ، والنسيان هو الترك .

قوله عز وجل — وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا — أى يثبتنى على طريق هو أقرب إليه وأرشد ، وقيل معناه : لعل الله يهدينى فيرشدنى لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون إن هو شاء ، وقيل إن الله أمره أن يذكره إذا نسى شيئا ويسأله أن يذكره فيذكره ويهديه لما هو خير له من تذكره ما نسيه ، ويقال إن هؤلاء القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته وما دعاهم إليه من الحق زيادة على ما سألوه ، ثم إن الله تعالى فعل ذلك به حيث آتاه من علم غيوب المسلمين وخبرهم ما كان أوضح الحجج وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف . وقال بعضهم : هذا شيء أمر صلى الله عليه وسلم أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد ما نسيه ، فإذا نسى الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك وكفارته أن يقول — عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا — .

وقوله تعالى — ولبثوا — يعنى أصحاب الكهف — فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا — قال بعضهم : هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك ، وقالوا لو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله : — قل الله أعلم بما لبثوا — وجه مفهوم فقد أعلم الله خلقه قدر لبثهم ، وهذا القول قول قتادة يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود فقالوا لبثوا فى كهفهم . وقال مطر الوراق فى هذه الآية : هذا شيء قالته اليهود فرد الله عليهم فقال — قل الله أعلم بما لبثوا — .

وقال آخرون : هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ، وقالوا معنى قوله تعالى - قل الله أعلم بما لبثوا - أن أهل الكتاب على عهد رسول الله صلى الله عيه وسلم قالو . إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم ذلك قال صلى الله عليه وسلم «الله أعلم بما لبثوا» بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لايعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك . وقال الكلبى : قالت النصارى : أهل نجران أما الثلثمائة فقدعرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت - قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض - أى يعلم ماغاب فيهما عن العباد. واختلفوا فى قوله عز وجل «ثلثمائة سنين» فقرأ أهل الكوفة بغير تنوين بمعنى فلبثوا فى كهفهم سنين ثلثمائة . وقال الضحاك ومقاتل : نزلت - ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة - فقالوا أياما أو شهرا أوسنين فلذلك قال سنين ولم يقل سنة ، انتهى ماساقه الإمام أبو إسحاق محمد ابن أحمد الثعلبى من قصة أصحاب الكهف ، وقد ذكرها الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير ابن يزيد الطبرى فى تاريخه الكبير ، وفيها زيادة فوائد فلنأت بها .

قال : ومما كان فى أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله فى كتابه العزيز من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم قال : وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم كما وصفهم الله به فى تنزيله فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - والرقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية كتبوه فى لوح بذكر خبرهم وقصصهم ثم جعلوه على باب الكهف الذى أووا إليه أو نقروه فى الجبل الذى أووا إليه أو كتبوه فى لوح وجعلوه فى صندوق خلفوه عندهم - إذ أوى الفتية إلى الكهف - وكان عدد الفتية فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سبعة وثامنهم كلبهم .

قال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من ذلك القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، وكان اسم أحدهم يمليخا وهو الذى كان يلى شراء الطعام لهم الذى ذكر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا ذهبوا من رقدتهم - فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه - قال مجاهد فى قوله تعالى - فابعثوا أحدكم بورقكم هذه - اسمه يمايخ . وأما ابن إسحاق فإنه قال : اسمه يمليخا ، وكان ابن إسحاق(١) يقول : عدد الفتية ثمانية ، فعلى قوله كان تاسعهم كلبهم ، وأنه كان يسميهم فيقول ، كان أحدهم وهو أكبرهم والذى كلم الملك عن سائرهم مكسلمينا ، والآخر مجسلمينا ، والثالث يمليخا ، والرابع مرطوس ، والخامس كفشطيوس ، والسادس يليوس ، والسابع ميموس ،

(١) (قوله : وكان ابن إسحاق الخ) فيه نظر فإنه جعل العدد ثمانية وعد تسعا إلا أن يكون الكلب اسم من التسعة المذكورة اه مصححه .

والثامن بطنيوس ، والتاسع طالوس : وكانوا أحداثا ، وعن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق ، وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فى قول جماعة من سلف علمائنا .

وعن عمر يعنى ابن قيس الملائى فى قوله تعالى — أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا — قال : كانت الفتية على دين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وكان ملكهم كافرا ، وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، وأن الله عز وجل بعثهم من رقدتهم بعد مارفع المسيح عليه السلام فى الفترة التى بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم أىّ ذلك كان ؟ فأما الذى عليه علماء الإسلام فإن أمرهم كان بعد المسيح ، وأما أنه كان فى أيام ملوك الطوائف فإن ذلك لا يرفعه رافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة ، وكان لهم فى ذلك الزمن ملك يقال له دقيانوس يعبد الأصنام فيما ذكر فبلغه عن الفتية خلافهم إياه فى دينه فطلبهم فهربوا منه بدينهم حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له منحلوس ، وكان سبب إيمانهم وخلافهم لقومهم ما ذكر عن وهب بن منبه أنه قال : جاء حوارى عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له إن على بابها صنما لا يدخل أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها ، فأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، فرأى الرجل فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يعرض عليه الإسلام وجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بما يقوله وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بينى وبينه أحد ولا بين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فعيره الحوارى وقال له : أنت ابن الملك وتدخل معك هذه التى هى كذا وكذا ، فاستحيا وذهب ، فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخل ودخلت معه المرأة فماتا فى الحمام جميعا ، فأتى الملك فقيل له إن صاحب الحمام قد قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب كل من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة ، فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل أمرهم فذكروا له أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه الكلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم ، فضرب على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟

قال : بلى . قال : فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتون عطشا وجوعا ففعل ، فغبر بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمى من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح فأدخل فيه غنمه ، ورد الله تعالى إليهم أرواحهم فى أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاما ، فلما أتى باب مدينتهم لم ير شيئا ينكره حتى دخل على رجل فقال : بعنى بهذه الدراهم طعاما ؟ فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس فآوانا الليل حتى أصبحوا فأرسلونى فقال : هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنى لك بها ؟ فرفعه إلى الملك وكان ملكا صالحا فقال : من أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس حتى أدركنا الليل فى كهف كذا وكذا ، فلما أصبحوا أمرونى أن أشترى لهم طعاما . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضرب الله على آذانهم وآذانهم فجعلوا كلما دخل رجل أرعب فلم يقدروا أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عنده كنيسة واتخذوها مسجدا يصلون فيه .

وعن قتادة عن عكرمة قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام فتعوذوا بدينهم واغتالوا قومهم حتى انهوا إلى الكهف فضرب الله على صماخهم ، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما ، واختلفوا فى الروح والجسد فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعا ، وقال قائل : تبعث الروح لاغير فأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئا ، فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله فقال : أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم مايبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطريق ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشترى منه الطعام ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها . قال : حسبت أنه قال : كأنها خفاف الربع يعنى الإبل الصغار ، فقال الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : لا بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله الملك فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس فجمعهم فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ، فهذا الرجل من قوم فلان يعنى ملكهم الذى مضى ، فقال الفتى : انطلقوا معى إلى أصحابى ، فركب الملك وركب معه الناس ، فلما انتهى إلى الكهف قال الفتى : دعونى أدخل إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضرب على آذانه وآذانهم ، فلما استبطئوه دخل الملك ودخل معه الناس فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها ، فقال الملك هذه آية بعثها الله لكم .

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بالكهف فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أهل الكهف ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة ، وقاله وهب والسدى وغيرهما ، وأسماؤهم : مكسلمينا وهو أكبرهم ورئيسهم ، وإمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم ، ومرطونس ويوانس وساربنوس وبطنيوس وكندسلطنوس ، وكلبهم قطمير : يكتب ذلك للنوم ولبكاء الأطفال .

ومما يكتب لنوم الصبيان وبكائهم : أعوذ بكلمات الله التامات التي نام بها أصحاب الكهف والرقيم — الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى — اللهم ألق النوم والسكينة على حامل هذا الكتاب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(فائدة أخرى) وقد تقدمت قبل ذلك وهى عن عمرو بن دينار أنه قال : مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحدا فى ليل أو نهار يصلى على نوح صلى الله عليه وسلم ، ومما أخذ على الكلب أن لا يضر أحدا حمل عليه فى ليل أو نهار إذا قرأ — وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد — إلى هنا انتهى ما تقدم .

وقال القرطبى فى كتاب [التذكار فى أفضل الأذكار] بلغنا عمن تقدم أن فى سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان وهى قوله تعالى — يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان — فإنه لا يؤذيه بإذن الله تعالى ، وفى تاريخ الإسلام للذهبى فى سنة ثلثمائة : أن ممشاد الدينورى رحمه الله تعالى خرج من داره فنبحه كلب فقال : لا إله إلا الله ، فمات الكلب مكانه .

(الحكم) يحرم أكل الكلاب بجميع أنواعها إلا ابن آوى فإنه من جنس الكلاب وفيه خلاف سبق فى باب الهمزة ، وروى ابن عبد البر فى التمهيد عن الشعبى أنه سئل عن رجل يتداوى بلحم الكلاب فقال : لا شفاه الله ، وعلى مقتنى الكلب المباح اقتناؤه أن يطعمه أو يرسله أو يدفعه لمن يريد الانتفاع به ، ولا يحل حبسه ليهلك جوعا .

(فرع) لو كان لإنسان كلب محترم مضطر ومع غيره شاة جاز له مكالبته عليها لإطعامه ويضمنها له .

(فرع) لو عض كلب كلب شاة فكلبت نحرت ولا يؤكل لحمها . قال أبو حيان التوحيدى من أصحابنا فى كتاب [الإمتاع] : إذا كلب الجمل نحر ولا يؤكل لحمه انتهى . والظاهر أن ذلك خشية الإيذاء .

(فرع) لو غصب نجاسة تنفع ككلب معلم وجلد ميتة وسرجين فهل له كسربابه

ونقب جداره إذا لم يصل إليها إلا بذلك ؟ الظاهر أنه يجوز له ذلك كالمال لأنها حق ، ويجوز الدفع عنها كالمال ، والله أعلم .

(تنبيه) الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير ، وبه قال الأوزاعى وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد ، ولا فرق بين الكلب المأذون فى اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوى والحضرى لعموم الأدلة . وفى مذهب مالك رحمه الله تعالى أربعة أقوال : طهارته ونجاسته وطهارة سؤر المأذون فى اتخاذه دون غيره ، وهذه الثلاثة عن مالك ، والرابع عن عبد الملك بن الماجشون أنه يفرق بين البدوى والحضرى ، وقال الزهرى ومالك وداود : إنه طاهر وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبدا ويحكى هذا عن الحسن البصرى وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى — فكلوا مما أمسكن عليكم — ولم يذكر غسل موضع إمساكها ، وبحديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « كانت الكلاب تقبل وتدبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك » ذكره البخارى فى صحيحه ، واحتج أصحابنا بحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب قالوا : ولو لم يكن نجسا لما أمر باراقته لأنه حينئذ يكون إتلاف مال ، وأما حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فقال البيهقى : أجمع المسلمون على أن بول الكلاب نجس ، وعلى وجوب الرش من بول الصبى والكلب أولى ، فكان حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قبل الأمر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفى مكانه فمن تيقنه لزمه غسله .

(فرع) اختلف الأصحاب فى موضع عض الكلب من الصيد . والأصح أنه لا يعفى عنه كما لو أصاب ثوبا أو إناء فلابد من غسله وتعفيره ، والثانى يعفى عنه ، والثالث يكفى غسله بالماء مرة ، والرابع أنه طاهر ، والخامس يجب تقويره ، والسادس إن أصاب عرقا نضاخا بالدم حرم أكله ، والنضاخ الفوار قال الله عز وجل — فيهما عينان نضاختان — وأحكام التتريب وشروطه مبسوطة فى كتب الفقه .

روى مسلم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود ، قيل لأبى ذر رضى الله عنه : مابال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر ؟ قال : يا ابن أخى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماسألتنى فقال : الكلب الأسود شيطان » فحمله بعض العلماء على ظاهره ، وقال الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اقتلوا منها كل أسود بهيم » وقيل لما كان الكلب الأسود أشد ضررا من غيره وأشد ترويعا كان المصلى إذا رآه اشتغل عن صلاته فانقطعت عليه لذلك ، ولذلك تأول الجمهور قوله صلى الله عليه وسلم

يقطع الصلاة المرأة والحمار بأن ذلك مبالغة فى الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات ، وذلك لأن المرأة تفتن والحمار ينهق والكلب الأسود يروّع ويشوش الفكر ، فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع جعلها قاطعة . وذهب ابن عباس وعطاء رضى الله تعالى عنهم إلى أن المرأة التى تقطع الصلاة إنما هى الحائض لما تستصحبه من النجاسة . واحتج أحمد رحمه الله بحديث الكلب الأسود على أنه لايجوز صيده ولا يحل لأنه شيطان ، واختاره أبو بكر الصيرفى من أصحابنا ، وقال الشافعى رحمه الله ومالك وأبو حنيفة وجماهير العلماء رحمة الله تعالى عليهم : يحل صيده كغيره وليس المراد بالحديث إخراجه عن جنس الكلاب ولهذا إذا ولغ فى إناء أو غيره وجب غسله وتعفيره كولوغ الكلب الأبيض .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابالهم وبال الكلاب . ثم رخص صلى الله عليه وسلم فى كلب الصيد وكلب الغنم » فحمل الأصحاب الأمر بقتلها على الكلب الكلب والكلب العقور . واختلفوا فى قتل مالا ضرر فيه منها ؟ فقال القاضى حسين وإمام الحرمين والماوردى فى باب بيع الكلاب ، والنووى فى أول البيع من شرحى المهذب ، ومسلم : لايجوز قتلها ، وقال فى باب محرمات الإحرام إنه الأصح وإن الأمر بقتلها منسوخ ، وعلى الكراهة اقتصر الرافعى فى الشرح ، وتبعه فى الروضة وزاد أنها كراهة تنزيه لاتحريم ، لكن قال الشافعى فى الأم فى باب الخلاف فى ثمن الكلاب : واقتلوا الكلاب التى لانفع فيها حيث وجدتموها ، وهذا هو الراجح فى المهمات ، ولا يجوز اقتناء الكلب الذى لامنفعة فيه ، وذلك لما فى اقتنائها من مفاسد الترويع والعقر للمار ، ولعل ذلك لمجانبة الملائكة لمحلها ومجانبة الملائكة أمر شديد لما فى مخالطتهم من الإلمام إلى الخير والدعاء إليه ، واختلف الأصحاب فى جواز اتخاذ الكلب لحفظ الدرب والدور على وجهين أصحهما الجواز . واتفقوا على جواز اتخاذه للزراعة والماشية والصيد ، لكن يحرم اقتناء كلب الماشية قبل شرائها وكذلك كلب الزرع والصيد لمن لايزرع ولا يصيد فلو خالف واقتنى نقص من أجره كل يوم قيراطان ، وفى رواية قيراط وكلاهما فى الصحيح وحمل ذلك على نوع من الكلاب إذ بعضها أشد أذى من بعض ، أو لمعنى فيها ، أو يكون ذلك مختلفا باختلاف المواضع فيكون القيراطان فى المدائن ونحوها والقيراط فى البوادى ، أو يكون ذلك فى زمنين فذكر القيراط أولا ثم زاد فى التلغيظ فذكر القيراطين ، والمراد بالقيراط مقدار معلوم عند الله عز وجل ينقص من أجر عمله . واختلفوا فى المراد بما نقص منه ، فقيل مما مضى من عمله ، وقيل من مستقبله ، وقيل قيراط من عمل الليل وقيراط من عمل النهار ، وقيل قيراط من عمل الفرض وقيراط من عمل النفل ، وأول من اتخذ الكلب للحراسة ح عليه السلام .

روى القاسم بن سلمة بإسناده عن علقة عن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال : أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام . وذلك أنه قال : يارب أمرتنى أن أصنع الفلك وأنا فى صناعته أصنع أياما فيجيئون فى الليل فيفسدون كل ماعملت ، فمتى يلتئم لى ماأمرتنى به فقد طال على أمدى ؟ فأوحى الله إليه ، يانوح اتخذ كلبا يحرسك ، فاتخذ نوح عليه السلام كلبا وكان يعمل بالنهار وينام بالليل ، فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل عمله نبحهم الكلب فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب لهم فيهربون منه فالتأم له ماأراد .

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح فى مناسكه فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » فإن وقع ذلك من جهة غيره ولم يستطيع إزالته فليقل اللهم إنى أبرأ إليك مما فعله هؤلاء فلاتحرمنى ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم ومعونتهم أجمعين . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » فقال العلماء : سبب امتناعهم من البيت الذى فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها فى صورة ما يعبد من دون الله تعالى ، وسبب امتناعهم من البيت الذى فيه الكلب كثرة أكله النجاسات ، ولأن بعض الكلاب يسمى شيطانا كما جاء فى الحديث ، والملائكة ضد الشياطين ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة الخبيثة ، ولأنها منهى عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبركها عليه فى بيته ودفعها أذى الشياطين ، والملائكة الذين لايدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة هم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار ، وأما الحفظة والموكلون بقبض الأرواح فيدخلون فى كل بيت ولا تفارق الحفظة بنى آدم فى حال من الأحوال لأنهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها .

قال الخطابى : وإنما لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور ، فأما ما ليس اقتناؤه بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية ، والصورة التى تمتهن فى البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه ، وأشار القاضى إلى نحو ما قال الخطابى .

قال النووى : والأظهر أنه عام فى كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ، ولأن الجرو الذى كان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت بسببه ، فلو كان العذر فى وجود الكلاب والصورة لايمنعهم لم يمتنع جبريل عليه السلام .

قال الجاحظ : روى أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ذهبوا إلى بيت رجل من الأنصار ليعودوه فى مرض فهرت فى وجوههم كلاب من دار الأنصارى ، فقال الصحابة لا تدع هؤلاء من أجر فلان شيئا كل كلب من هؤلاء ينقص من أجره كل يوم قيراطا ، فدل

هذا على أن القيراط يتعدد بتعدد الكلاب ، وقد سئل الشيخ الإمام تقى الدين السبكى عن ذلك : فأجاب بأنه لايتعدد كما لو ولغت الكلاب فى الإناء فإن الأصح عدم تعدد الغسلات ، وقد قالوا بتعدد القيراط إذا صلى على جنائز دفعة واحدة .

وقال الغزالى فى منكرات الشرع من الإحياء : من كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس يجب منعه منه ، وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع ، ولا يصح بيع جميع الكلاب عندنا خلافا لمالك فإنه أباح بيعها حتى قال سحنون ويحج بثمنها .

وقال أبو حنيفة : يجوز بيع غير العقور ، والأصح عدم صحة إجارة الكلاب المعلمة لأن اقتناءها لهذه المنافع إنما جوز لأجل الحاجة ، وما جوز للحاجة لايجوز أخذ العوض عليه ، لأنه لا قيمة لعينه فكذلك منفعته .

وقال صاحب التلخيص : لاتجوز لأنها منفعه مقصودة ، واختاره الرويانى وابن أبى عصرون ، وبناهما الماوردى على اختلاف أصحابنا فى أن منفعة الكلب هل هى مملوكة أو مستباحة ؟ وفيها وجهان : فعلى الأول تجوز إجارته وعلى الثانى لا ، ومن أحكامه أن من كان فى داره كلب عقور فاستدعى إنسان فعقره وجب عليه ضمانه على الأصح فى تصحيح النووى ، وقيل لا قطعا وهو المجزوم به فى أصل الروضة لأن للكلب اختيارا ويمكن دفعه بعصا وغيرها إذا لم يعلم الداخل أنه عقور فإن علم ذلك فلا ضمان جزما ، وكذلك لوكان مربوطا فسار إليه المستدعى جاهلا بحاله فلا ضمان أيضا ، ومن له كلب عقور ولم يحفظه فقتل إنسانا فى ليل أو نهار ضمنه لتفريطه ، وفى معناه الهرة المملوكة التى تأكل الطيور كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء ، وقيل لا ضمان فيها لأن العادة لم تجر بربطها .

(فرع) لو سرق قلادة من عنق كلب أو سرقها مع الكلب قطع وحرز الكلب كحرز الدواب ، وإذا وقع فى الغنيمة كلب ينتفع به للاصطياد أو للماشية والزرع حكى الإمام عن العراقيين أن للإمام أن يسلمه إلى واحد من المسلمين لعلمه بحاجته إليه ولا يحسب عليه ، واعترض بأن الكلب منتفع به فليكن حق اليد فيه لجميعهم ، كما لو مات وله كلب لايستبد به بعض الورثة ، والموجود فى كتب العراقيين أنه إن أراده بعض الغانمين أو أهل الخمس ولم ينازعه غيره سلم إليه وإن تنازعوا ، فإن وجدنا كلابا وأمكنت القسمة عددا قسم وإلا أقرع بينهم ، وهذا هو المذهب وهاهنا المعتبر قيمتها عند من يرى لها قيمة ويعتبر منافعها كما فى الوصية من الروضة .

(تتمة) قوله تعالى — تعلمونهن مما علمكم الله — أى من العلم الذى كان علمكم الله ، دل

على أن للعالم فضيلة ليست للجاهل ، لأن الكلب إذا علم تحصل له فضيلة على غير المعلم ، والإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على غيره كالجاهل لاسيما إذا عمل بما علم ، كما قال على رضى الله تعالى عنه : لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه . وقال لقمان لابنه واسمه ثاران وقيل أنعم : يابنى لكل قوم كلب فلا تكن كلب قومك . وروى الإمام أحمد فى مسنده والبزار والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ضاف رجل رجلا من بنى إسرائيل وفى داره كلبة مجحّ ، فقالت الكلبة لا والله لا أنبح ضيف أهلى . قال : فعوت جراؤها فى بطنها ، فقيل ماهذا ؟ فأوحى الله إلى رجل منهم : هذا مثل أمة تكون من بعد يقهر سفهاؤها حلماءها » والمجح بالجيم المكسورة قبل الحاء المهملة قيل هى الحامل التى قرب ولادتها ، وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بامرأة مجح على باب فسطاط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لعله يريد أن يلمّ بها ، فقالوا : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له ؟ » .

(الأمثال) قال الله تعالى — واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث — قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين : هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء ، وقيل بلعام بن باعر . وقال عطية عن ابن عباس : أصله من بنى إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين . وقال مقاتل : هو من مدينة بلقاء . وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدى وغيرهما أن موسى صلى الله عليه وسلم لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم وكانوا كفارا ، وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم وكان مجاب الدعوة ، فقالوا له : إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى إسرائيل ، وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أنّ يردهم هنا ، فقال : ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، وإنى إن فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى ، فراجعوه وألحوا عليه فقال : حتى أؤامر ربى ، وكان لايدعو بشيء حتى ينظر مايؤمر به فى المنام فوامر بالدعاء عليهم ، فقيل له فى المنام لا تدع عليهم ، فقال لهم : إنى قد وامرت ربى وإنى نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقال ، حتى أوامر ربى ، فوامره فلم يجز إليه بشيء فقال : قد وامرت فلم يجز إلىّ بشيء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن وركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلع

منه على عسكر بنى إسرائيل يقال له حسان ، فما سار عليها غير كثير حتى ربضت به ، فنزل عنها وضربها حتى إذا أذلقها الضرب قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ، ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به حتى ربضت ، فضربها حتى أذلقها فأذن الله تعالى لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يابلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامى يردوننى عن وجهى هذا ؟ أتذهب إلى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذى كان عنده ، فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل فى التيه ، فقال موسى : يارب بأى ذنب أوقعتنا فى التيه ؟ قال تعالى : بدعاء بلعام . قال موسى عليه السلام : يارب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائى عليه ، فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم ، فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء ، قاله مقاتل .

وقال ابن عباس والسدى : لما دعا بلعام على موسى وقومه قلب الله لسانه فجعل لايدعو عليهم بشىء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو بشى من الخير إلا صرف الله به لسانه إلى بنى إسرائيل ، فقال لقومه : يا بلعم أتدرى ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وعلينا فقال : هذا ماأملك هذا شىء قد غلب الله عليه ، فنسى الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره فقال لهم : قد ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة فسأمكر لكم وأحتال عليهم ، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرساوهن إلى العسكر يبتعنها فيه ومروهن أن لاتمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما أتى النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بنى إسرائيل يقال له زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إليها فأخذها بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام فقال : إنى أظنك ستقول هذه حرام على ، فقال موسى : أجل هى حرام عليك لا تقربنها . قال : فوالله لا أطيعك فى هذا ، ثم دخل بها قبة فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل فى الوقت ، وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر موسى عليه السلام ، وكان رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش ، وكان غائبا حين صنع زمرى بن شاوم ماصنع ، فجاء والطاعون يجوس بنى إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحييه وكان بكر العيزار فجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون ، فحسب من هلك من بنى إسرائيل بالطاعون فيما بين إصابة زمرى المرأة إلى أن قتلهما فنحاص فوجد قد هلك منهم سبعون ألفا فى ساعة

من النهار ، فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحييه . والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر العيزار ، ويقال إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كانا فى الحربة كحالها فى حالة الزنا فكان ذلك آية .

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن المسيب وزيد ابن أسلم : أن هذه الآية نزلت فى أمية بن أبى الصلت ، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل ، وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولا من العرب فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به ، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم من قتلهم فقيل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال : لو كان نبيا ما قتل أقرباءه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى له ذكر فى الوعل أيضاً . وقالت فرقة : إنها نزلت فى رجل من إسرائيل كان قد أعطى ثلاث دعوات مستجاباب وكانت له امرأة له منها ولد فقالت : اجعل لى منها دعوة ؟ فقال : لك منها واحدة فما تريدين قالت : ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى إسرائيل ؟ فدعا لها فكانت كذلك ، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان ، فجاء بنوها وقالوا : ليس لنا على هذا قرار وقد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التى كانت عليه؟ فدعا الله لها فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها ، والقولان الأولان أظهر . وقال الحسن وابن كيسان : نزلت فى منافقى أهل الكتاب الذين يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله قال الله تعالى — ولو شئنا لرفعناه بها — أى وفقناه للعمل بها فكنا نرفع بذلك منزلته فى الدنيا والآخرة — ولكنه أخلد إلى الأرض — أى ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها . قال الزجاج : خلد وأخلد واحد وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال أخلد فلان بالمكان إذا أقام به ، والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض — واتبع هواه — انقاد إلى مادعاه إليه من الهوى فعوقب فى الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة . قال العتبى : كل شىء فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث فى حال التعب وحال الراحة وفى حال الرى وحال العطش ، فضربه الله مثلا لمن كذب بآيات الله فقال : إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى . واللهث تنفس بسرعة وتحرك أعضاء الفم معه وامتداد اللسان ، وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال . قال الواحدى وغيره : وهذه الآية من أشد الآى على ذوى العلم ، وذلك أن الله

تعالى أخير أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذى يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصمه الله تعالى نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه ، وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الذى يعود فى هبته كالكلب يرجع فى قيئه » وفى رواية : « كمثل الكلب يقيء ثم يعود فى قيئه فيأكله » قال عمر رضى الله تعالى عنه « حملت على فرس فى سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده فأردت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص ، فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا تشتره ولو باعكه بدرهم ولاتعد فى صدقتك فإن العائد فى صدقته كالعائد فى قيئه » وقال الجاحظ : لكل جيفة كلب، ولكل قدر طالب، ولكل نحور راغب ، ولكل وسخ حامل ، ولكل سم جارع ، ولكل طعام آكل ، ولكل ساقط لاقط ، ولكل ثوب لابس ، ولكل فرج ناكح انتهى .

وقالت العرب : آلف من كلب وأبصر وأبخل وأطوع وأفحش وألأم وأبول ، فيجوز أن يراد به البول نفسه ويجوز أن يراد به كثرة الجراء ، فإن البول فى كلام العرب يكنى به عن الولد ، وبذلك عبر ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه رؤيا عبد الملك بن مروان لما رأى أنه بال فى محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مرات ، فكتب إليه إن صدقت رؤياك فسيقوم من أولادك أربعة فى المحراب ويتقلدون الخلافة بعدك ، فوليها أربعة خلفاء من صلبه الوليد وسليمان وهشام ويزيد، وقالوا : سمن كلبك يأكلك ،وهو قريب من قولهم : اتق إساءة من أحسنت إليه ؛ وقالوا جوّع كلبك يتبعك ، يضرب فى معاشرة اللئام ، وقالوا الكلاب على البقر برفعها ونصبها ، فالنصب على إضمار فعل تقديره خل كلاب الصيد أودع الكلاب على بقر الوحش لتصطادها ، والرفع على الابتداء وما بعده خبره ، ومعنى المثل : إذا أمكنتك الفرصة فاغتنمها ، ويقال معناه خل بين الناس خيرهم وشريرهم واغتنم أنت طريق السلامة ، وقد سئلت عن قول الأخطل :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولى على النار
فتمسك البول بخلا أن تجود به ... وما تبول لهم إلا بمقدار
والخبز كالعنبر الوردى عندهم ... والقمح سبعون إردبا بدينار

فقلت : هذا عكس قول شاعر الأنصار حيث يقول :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ومن شعر العتابى رحمه الله تعالى :

طاف الخيال بنا ليلا فحيانا أهلا به من ملمّ زار عجلانا
ما ضر زائرنا المهدى تحيته فى النوم إذ زارنا لو زار يقظانا
إنى أهتدى وسواد الليل معتكر على تباعد مسراه ومسرانا
إن الأمانى قد خيلن لى سكنا ردت تحيته قلبى كما كانا
حتى إذا هو ولى وانتبهت له هاجت زيارته شوقا وأحزانا

وقال على بن محمد بن نصير فى المغنى بيتا مفردا :

وكان خيالها يشفى سقاما فضنت بالخيال على الخيال

وقالوا : أشكر من كلب .

(وحكى) محمد بن حرب قال : دخلت على العتابى فوجدته جالسا على حصير وبين يديه شراب فى إناء وكلب رابض بالفناء بحياله يشرب كأسا ويولغه أخرى ، فقلت له : ما الذى أردت بما اخترت ؟ فقال : اسمع إنه يكف عنى أذاه ويكفينى أذى من سواه ، ويشكر قليلى ويحفظ مبيتى ومقيلى ، وهو من بين الحيوان خليلى . قال ابن حرب : فتمنيت والله أن أكون كلبا له لأحوز هذا النعت منه .

(الخواص) لحمه يعلو شحمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها ، فإذا ارتضعت الشاة من كلبة كان لحمها على صفة لحم الكلاب ، وفى ذلك قصة شهيرة لربيعة ومضر وأنمار وإياد تقدمت فى باب الهمزة فى الأفعى . قال السهيلى : وفى الحديث « لاتسبوا ربيعة ومضر فإنهما كانا مؤمنين » قال : وإنما سمى ربيعة الفرس لأنه أعطى من ميراث أبيه الخيل وأعطى أخوه الذهب فسمى مضر الحمراء ولا تقول العرب إلا ربيعة ومضر ، ولا يقولون مضر وربيعة أصلا . ومن خواص الكلب العجيبة : أنه لا يلغ فى دم مسلم . قال القاضى عياض فى الشفاء : أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاوى ، وكان شاعرا ماهرا متفننا فى كثير من العلوم ، وكان يحضر مجلس القاضى أبى العباس بن أبى طالب طلبا للمناظرة ، فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقتل ثم صلب منكسا وأنزل وأحرق بالنار ، ولما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدى استدارت وتحولت عن القبلة وجاء كلب فولغ فى دمه ، فقال يحيى بن عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال « لايلغ الكلب فى دم مسلم » وإذا قطع لسان كلب أسود وأخذه إنسان فى يده لم تنبح عليه الكلاب ، وإن أخذت قرادة من أذن كلب وأمسكها إنسان فى يده

خضعت له الكلاب كلها حتى ذلك الكلب المأخوذة منه ، وإن علقت أسنانه على صبى خرجت أسنانه من غير تعب ، وأنيابه إذا علقت على من به عضة الكلب الكلب سكن عنه وجعها وإذا علقت على من به اليرقان الظاهر نفعه ، وإن حمل إنسان معه ناب الكلب لم تنبحه الكلاب وذكره إذا جفف وعلق على الفخذ هيج الباه ، ومن كان يلقى من القولنج شدة فليقم كلبا نائما وليبل فى مكانه فإنه يزول عنه من وقته ويموت الكلب ، ونابه إذا علق على من يتكلم فى نومه سكن ، ولبن الكلبة إذا طلى به الشعر حلقه ، وإن شرب بالماء سكن من وقته السعال ، وبوله إذا طلى به على الثآليل قلعها ، وقراده إذا نقع فى نبيذ وشربه شارب سكر من وقته ، وشعر الكلب الأسود البهيم إذا علق على المصروع نفعه ، ومن كان عنده عبد آبق وأحب أن لا يأبق فليأخذ جرو كلب صغير فيحرقه ثم يسحقه بزيت ويطلى به رأسه فإنه لا يأبق مجرب قاله القزوينى وغيره ، ولبن الكلبة إذا شرب نفع من السموم القاتلة ويخرج الأجنة والمشيمة ، ومن اكتحل بلبن كلبة سهر ليله كله ، وزبله إذا سحق وعجن بماء الكزبرة وطلى به الأورام الحادة نفعها بإذن الله تعالى .

(التعبير) الكلاب فى الرؤيا عند المسلمين عبيد ، وفى الحديث أن الكلب من الممسوخ وأوله المعبرون برجل سفيه مجترئ على المعاصى ، وإذا نبح فهو سفيه مشنع طمع ، فمن رأى كلبا عضه أو خدشه ناله من عدوه هم بقدر الألم وربما مرض ، وربما دلت رؤية الكلب على الانكلاب على الدنيا مع عدم الادخار ، ورؤية كلب أهل الكهف فى المنام تدل على الخوف أو السجن أو الهرب أو الاختفاء ، ورؤيته فى البلد دليل على تجديد ولاية ، وربما دل الكلب على الكفر والإياس من رحمة الله تعالى لقوله تعالى — فمثله كمثل الكلب — الآية وكلب الصيد عز ورفعة ورزق ، وكلب الماشية رجل صالح غيور على الأهل والجار قاله ابن المقرى ، ومن رأى كلبا مزق ثيابه فإن سفيها يغتابه ، وإن لم يسمع نباحه فهو عدو وتزول عداوته بشىء يسير ، والكلب يعبر برجل من الأهل فمن نازعه كلب نازعه رجل من أهله ، وربما عبر بالمشنع إذا نبح أو بسماع نواح أو بفتح بيت الخلاء ، والكلبة امرأة دنيئة من قوم معاندين ، والجرو ولد محبوب فإن كان أبيض فهو مؤمن وإن كان أسود فهو يسود قومه ، وقيل جرو الكلب لقيط سفيه ، والكلب الكلب سفيه أيضا ، ورؤية كلب الراعى تدل على فائدة من ملك أو وال ، والكلب الذى يصاد به ملك وولاية لمن رآه إذا كان أهلا لذلك أو يصير إليه شىء يستغنى به لقوله تعالى — وما علمتم من الجوارح مكلبين — والكلب الصينى يدل على مخالطة قوم من الأعجام غير مسلمين ، ومن رأى أنه يصيد بالكلاب فإنه يعطى بغيته وينال مناه ، وقال أرسطاميدورس : من رأى كلاب الصيد خارجة فهى دليل خير لطالب الرزق والخدمة ، وإذا رآها داخلة من الصيد فإنها تدل على البطالة ، والكلب

الحارس فى المنام يدل على صيانة الزوجة والمال ، وقيل الكلاب فى المنام تدل على قوم أذلة ومن رأى أنه صار كلبا فإن الله تعالى قد آتاه علما فنسيه لقوله تعالى — واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها — إلى قوله تعالى — فمثله كمثل الكلب — الآية ، وقيل الكلاب تعبر بغلمان الشرطة ، والكلب عدو ضعيف لتحوله عن جوهر السباع ثم يصير صديقا بعد العداوة لقصة آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض ، وقد تقدم طرف منها فجعل فى التأويل عدوا ثم يرجع صديقا. ومن الرؤيا المعبرة أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رأى كأن كلبة من مكة تهر على الناس ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ودرت ثدياها لبنا ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «ذهب كلبهم وأقبل درهم وستلقونهم بعد ويسألونكم أرحامهم فإذا لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه » فلما قدم المسلمون لفتح مكة قاتل بعضهم ، وكان ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم . ومن الرؤيا المعبرة أيضا أن رجلا أتى ابن سيرين فقال رأيت كلبين يقتتلان على فرج زوجتى ؟ فقال : إنها أخذت المقراض وجزت شعر فرجها ؛ والله تعالى أعلم .

(خاتمة) ومن الفوائد المجربة : أن يكتب فى إناء جديد ويمسح بزيت ويسقى للمكلوب فإنه يشفى بإذن الله تعالى ، وهى هذه الأحرف (ا ب ج ه ا ع ه دباب اللد) ويكتب أيضا للحامل فى إناء جديد ويغسل بماء ويسقى فإنه نافع إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ كلب الماء ﴾ : تقدم فى القاف أنه القندس ، وقال فى عجائب المخلوقات : كلب الماء معروف وهو حيوان مشهور يداه أطول من رجليه يلطخ بدنه بالطين فيحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه فيقطع أمعاءه ويأكلها ثم يمزق بطنه ويخرج ؛ قال : ومن خواصه أن من كان معه شحم كلب الماء أمن من غائلة التمساح ، وذكر بعضهم : أن جلد الجندبادستر خصية هذا الحيوان ، وقد تقدمت صفة ذلك فى باب الجيم .

(الحكم) سئل الليث بن سعد عن أكل لحم كلب الماء فقال لا بأس به ، وقد تقدم فى عموم السمك أنها تحل إلا أربعة ليس هذا منها ، وقيل لا يؤكل لأن شبهه فى البر لا يؤكل .

(الخواص) دم كلب الماء يخلط بماء الكمون الكرمانى ويشرب فى الحمام ينفع من تقطير البول وعسره ، ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالا ، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل ، وقال ابن سينا : إن خصيته تنفع من نهش الحيات ، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يذهب عنه ذلك ويبرأ .

﴿ الكلثوم ﴾ : الفيل قاله ابن سيده ، وقد تقدم حكمه فى باب الفاء .

﴿ الكلكسة ﴾ : قال قوم إنه ابن عرس ، وقال قوم إنه حيوان آخر غير ابن عرس ،

وزبله إذا سحق وديف بالخل وطلى به مواضع النملة الظاهرة نفع نفعا بينا ، وفى كتاب دمقراطيس أن الكلكسة تبيض من فيها .

﴿ الكميت ﴾ : الفرس الشديد الحمرة ، ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وغرته وذنبه سوداوات ، وإن كانت حمرا فهو أشقر ، والورد فيما بين الكميت والأشقر والجمع وردان ، والكميت من أسماء الخمر . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى وفيه تورية :

وحمراء لما ترشفتها جنيت بها اللهو فيما جنيت
ونلت المسرات دون الورى لأنى سبقتهم بالكميت

﴿ الكندارة ﴾ : سمكة لها سنام معروفة عند أهل البحر .

﴿ الكنعبة ﴾ : الناقة العظيمة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى حكم الناقة فى باب النون :

﴿ الكنعد والكعند ﴾ : كجعفر ضرب من السمك قاله الجوهرى ، وأنشد لجرير :

قوم إذا جعلوا فى صيرهم بصلا ثم اشتووا كنعدا من مالح جدفوا

﴿ الكندش ﴾ : العقعق : قال أبو المغطش الحنفى يصف امرأة :

منيت بزمردة كالعصا ألص وأخبث من كندش

ولفظ زمردة فارسى معرب : أى امرأة الرجل .

﴿ الكهف ﴾ : الجاموس المسن ، وقد تقدم حكمه فى باب الجيم :

﴿ الكودن ﴾ : البرذون البطىء ، وقال الجوهرى : وهو البرذون يوكف ويشبه به البليد وقال ابن سيده : الكودن البرذون ، وقيل البغل ، وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعط الكودن شيئا ، وفى رواية أعطاه دون سهم العراب رواه الطبرانى ، وفى إسناده أبو بلال الأشعرى وهو ضعيف .

﴿ الكوسج ﴾ : سمكة فى البحر لها خرطوم كالمنشار تفترس ، وربما التقمت ابن آدم وقصمته نصفين ، وهى القرش ويقال لها اللخم أيضا . ويقال إنها إذا صيدت بالليل وجدوا فى جوفها شحمة طيبة ، وإن صيدت نهارا لم يجدوها ، وقال القزوينى : الكوسج نوع من السمك ، وهو فى الماء شر من الأسد فى البر يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه كما يقطع السيف الماضى . قال : ورأيته وهو سمكة مقدار ذراع أو ذراعين ؛ وأسنانه كأسنان الناس تنفر منه الحيوانات البحرية ، وله أوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة .

(وحكمه) عند الإمام أحمد تحريم الأكل ، وقال أبو حامد من أصحابه : لايؤكل التمساح ولا الكوسج لأنهما يأكلان الناس ولأنه ذو ناب انتهى .

ومقتضى مذهبنا أنه حلال ، ومن ألحقه بالقرش أجرى عليه حكمه الذى تقدم فى باب القاف .

﴿ الكهول ﴾ : قال الأزهرى : وهو بفتح الكاف وضم الهاء العنكبوت ، ومنه قول عمرو لمعاوية رضى الله تعالى عنهما : أتيتك وأمرك كحق الكهول : أى ضعيف كبيت العنكبوت ، وضبطها الخطابى والزمخشرى بغير ذلك لكن قالا : إنها العنكبوت أيضا .

باب اللام

﴿ لأى ﴾ : على وزن لعى هو الثور الوحشى والجمع آلاء على وزن ألعاء مثل جبل وأجبال والأنثى لآة ، وقال الفارسى ، يجوز أن تكون ألفه منقلبة عن ياء من اللأى ، وقال فى المحكم : ويجوز أن تكون منقلبة عن واو من اللاو لأن الثور يوصف بالقوة كما قال ابن عقيل :

يمشى بها دب الزناد كأنه فتى فارسى من سراويل رامح

وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى ذكر أدم أهل الجنة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إدامهم بالام ونون قالوا ما هذا ؟ قال ثور وحوت . قال السهيلى : فى أول الروض فى لؤى اسم جد النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن الأنبارى : إنه تصغير اللأى وهو الثور الوحشى ، وقال أبو حنيفة : اللأى البقرة . قال : وسمعت أعرابيا يقول : بكم لآك هذه ؟

﴿ اللباد ﴾ : بضم اللام قاله الزبيدى فى الأبنية اسم طائر يلبد فى الأرض ولايكاد يطير إلا أن يطار ، ولبد آخر نسور لقمان وهو ينصرف لأنه ليس بمعدول ، وخبره يأتى فى باب النون فى النسر إن شاء الله تعالى .

(الأمثال) قالوا : أهرم من لبد : قال الشاعر :

إن معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الد هر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به قد ضج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة باليد
مصححا كالظليم ترفل فى رديك مثل السعير تتقد

صاحبت نوحا ورضت بغلة ذى القـ ـرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا فإن غايتك الـ ـموت وإن شد ركنك الجلد

﴿ اللبؤة ﴾ : بضم الباء وبعدها همزة أنثى الأسد، واللبأة واللبوة ساكنة الباء غير مهموزة لغتان فيها حكاهما ابن السكيت ، ويقال لها العرس أيضا . قال عون بن أبى شداد العبدى : بلغنى أن الحجاج بن يوسف الثقفى لما ذكر له سعيد بن جبير رحمة الله تعالى عليه بعد قتل عبد الرحمن بن الأشعث أرسل إليه قائداً من أهل الشام يسمى المتلمس بن الأحوص ، وكان معه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه ، فبينما هم يطلبونه إذ هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه ؟ فقال الراهب : صفوه لى ، فوصفوه له فدلهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى ربه تعالى بأعلى صوته ، فدنوا منه وسلموا عليه ، فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام، فقالوا له : إن الحجاج أرسل إليك فأجبه ، فقال. ولا بد من الإجابة؟ فقالوا لابد ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قام يمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب ، فقال الراهب : يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟ قالوا نعم فقال لهم : اصعدوا الدير فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير فعجلوا الدخول قبل المساء، ففعلوا ذلك وأبى سعيد رضى الله عنه أن يدخل الدير ، فقالوا : ما نراك إلا تريد الهرب منا. قال : لا ولكنى لا أدخل منزل مشرك أبدا ، فقالوا : إنا لا ندعك فإن السباع تقتلك . قال سعيد . فإن معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى تحرسنى من كل سوء إن شاء الله تعالى . قالوا : فأنت من الأنبياء ؟ قال : ما أنا من الأنبياء ولكنى عبد من عباد الله خاطئ مذنب . قالوا له فاحلف لنا أنك لا تبرح فحلف لهم ، فقال لهم الراهب : اصعدوا الدير وأوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فإنه كره الدخول على فى الصومعة ، فدخلوا وأوتروا القسى فإذا هم بلبوة قد أقبلت ، فلما دنت من سعيد بن جبير تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه ، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك ، فلما رأى الراهب ذلك دخلت له فى قلبه هيبة ، فلما أصبحوا نزلوا إليه فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم فقرر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن إسلامه ، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل يصلون عليه ويقولون : يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فمرنا بما شئت ، فقال سعيد : امضوا لشأنكم فإنى لائذ بخالق ولا راد لقضاء ربى ، فساروا حتى وصلوا إلى واسط ، فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد رضى الله عنه : يامعشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد قرب وحضر وأن المدة قد انقضت ودنت ، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر ومايحثى

علىّ من التراب ، فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون . فقال بعضهم : لانريد أثرا بعد عين ، وقال بعضهم : إنكم قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه . وقال بعضهم : هو علىّ أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى ، فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه وكان لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه ، فقالوا بأجمعهم : يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك الويل لنا كيف ابتلينا بك ، فاعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فانه القاضى الأكبر والعادل الذى لا يجور ، فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة له ولهم قال كفيله : أسألك بالله يا سعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك فإنا لن نلقى مثلك أبدا فدعا لهم سعيد رضى الله تعالى عنه ، ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت ليله كله وهم مختفون الليل كله .

فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير رضى الله عنه فقرع الباب ، فقالوا صاحبكم ورب الكعبة ، فنزلوا إليه فبكى وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج ، فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير ، فلما مثل بين يديه قال له : ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير ؛ فقال : بل أنت شقى بن كسير . قال سعيد : بل أمى كانت أعلم باسمى منك فقال الحجاج : شقيت أنت وشقيت أمك ، فقال سعيد : الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها . قال : فما قولك فى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نبى الرحمة . قال : فما قولك فى علىّ أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال : لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما . قال : فما قولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالقه . قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، قال : فما بالك لا تضحك ؟ قال : أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار ؟ قال : فما بالنا نضحك ؟ قال : لم تستو القلوب . قال : ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدى سعيد ، فقال سعيد رضى الله عنه : إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، لا خير فى شىء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدى سعيد فبكى سعيد ، فقال الحجاج : ويلك يا سعيد ، فقال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : يا سعيد ، أى قتلة تريد أن أقتلك بها ؟ قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة . قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو من الله فنعم وأما منك أنت فلا ، فقال : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج من الباب ضحك

فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده فقال : ما أضحكك وقد بلغنى أن لك أربعين سنة لم تضحك؟ قال : ضحكت عجبا من جراءتك على الله ومن حلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال : اقتلوه ، فقال سعيد — كل نفس ذائقة الموت — ثم قال — وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين قال : وجهوه لغير القبلة فقال سعيد — فأينما تولوا فثم وجه الله — فقال : كبوه لوجهه ، فقال — منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى — فقال الحجاج : اذبحوه ، فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم قال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فذبح على النطع رحمة الله تعالى عليه ، فكان رأسه يقول بعد قطعه : لا إله إلا الله مرارا ، وذلك فى شعبان سنة خمس وتسعين ، وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة ، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ولم يسلط على قتل أحد بعده .

ولما بلغ الحسن البصرى رضى الله عنه قتل سعيد بن جبير قال : اللهم أنت على فاسق ثقيف رقيب والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله تعالى فى النار ، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى علمه .

ونقل أن سعيداً رضى الله عنه كان يقول : وشى بى واش وأنا فى بلد الله الحرام أكله إلى الله يعنى خالد القسرى .

وروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغيب ثم يفيق ويقول : مالى ولسعيد ابن جبير .

وقيل : إنه كان فى مدة مرضه كلما نام رأى سعيد بن جبير آخذا بثوبه وهو يقول : يا عدو الله فيم قتلتنى ، فيستيقظ مذعورا .

وروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رآه بعد موته فى المنام وهو جيفة منتنة وأنه قال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتانى الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة ، وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة .

(فإن قيل) ما الحكمة فى أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتلة وقتله بسعيد سبعين قتلة وقد قتل ما هو أفضل من سعيد وهو عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ، لأنه صحابى وسعيد بن جبير تابعى والصحابى أفضل من التابعى ؟

(فالجواب) أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كان له نظراء فى العلم من الصحابة كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهم ، ولما قتل سعيدا لم يكن له نظير فى العلم فضوعف عليه العذاب بسبب ذلك ، ويشهد لهذا القول ما تقدم عن الحسن البصرى لا لكونه أفضل من ابن الزبير والله أعلم .

(التعبير) اللبوة فى المنام : بنت ملك ، فمن رأى أنه جامع لبوة نجا من شدة عظيمة ويعلو شأنه ويظفر بأعدائه ، فإن رأى ذلك هلك وكان فى حرب فإنه يظفر بمن يحاربه ويملك بلادا كثيرة ، وقيل إن اللبوة تعبيرها كالسبع ، والله أعلم .

﴿ اللجأ ﴾ : بالجيم نوع من السلاحف يعيش فى البر والبحر ، ولها حيلة عجيبة وتوصل فى صيد ما تصيده من طائر وغيره ، وذلك أنها تغوص فى المـاء ثم تتمرغ فى التراب ثم تكمن للطير فى مواضع شربها فيختفى عليه لونها فتمسكه وتغوص به فى الماء حتى يموت .

ويقال إن اللجأ تضع بيضها فى البر وإنها تحضنـه بالنظر إليه . وقال أرسطاطاليس فى النعوت : ما خرج من بيض اللجأة مستقبل البحر صار إلى البحر وما خرج منه مستقبل البر صار إلى البر ، وكلهن يردن المـاء لأنهن من خلق المـاء . قال : وهى تأكل الثعابين ، واللجأة البحرية لها لسان فى صدرها من أصابته به من الحيوان قتلته ، وقد تقدم ذكرها فى باب السين .

(الحكم) صرح بتحريمها وبعدم جواز أكلها البغوى والنووى فى شرح المهذب .

(الخواص) قال أرسطو : كبدها إذا أكل طريا نفع من داء الكبد ، ولحمها إذا طبخ بخل صفة السكباج وشرب من مرقته من به استسقاء نفعه وأدبل بطنه ، وهو يشد الفؤاد ويذهب الرياح السوداوية ، والله أعلم .

(التعبير) اللجأة فى المنام : امرأة عفيفة وسنة مقبلة ذات مال ، وربما دلت على الوقاية من الأعداء لاتخاذ الناس من ظهرها تجافيف يدفع الإنسان بها عن نفسه .

﴿ اللحكاء ﴾ : قال الأزهرى : هى بضم اللام وفتح الحاء المهملة والكاف وبالألف والمد ، ويقال لها اللحكة على مثال الهمزة واللمزة ، وحكى ابن قتيبة فى أدب الكاتب : الحلكاء بفتح الحاء وإسكان اللام وبالمد ، وحكى فى المقصور والممدود : اللحكا بضم الحاء وفتح اللام المشددة وبالقصر شحمة الأرض تغوص فى الرمل كما يغوص طير الماء فى الماء ، وقال غيره : الحلكة بالهاء وهى فيما ذكروا دويبة كأنها سمكة تكون فى الرمل ، فإذا أحست بالإنسان دارت فى الرمل وغاصت فيه ، وقال غير الأزهرى : الحلكة بتقديم الحاء على اللام ، وكذلك الحلكاء على مثال العنقاء ، وحكى صاحب جامع اللغة فيها القصر أيضا ، وقال الجوهرى : اللحكة أظنها مقلوبة من الحلكة . قال ابن الصلاح فى مشكل الوسيط الذى ضبطناه عن الأزهرى صاحب كتاب تهذيب اللغة الموثوق به أنها مقصورة ، وهى دويبة ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة ويقال لها الحلكة مثل الهمزة انتهى . وقال الماوردى فى الحاوى : اللحكا تشبه السمك وهى عريضة من أعلى دقيقة من أسفل . وقال ابن السكيت

فى إصلاح المنطق : اللحكة دويبة شبيهة بالعظاة زرقاء تبرق وليس لها ذنب طويل كالعظاءة وقوائمها خفية ؛ وهذا القول أحسن من الذى نقله ابن الصلاح عن تهذيب الأزهرى ، وقد تقدم فى حرف الحاء الحلكة ، وقال الصيدلانى والرويانى : إنها دويبة مثل الأصبح تجرى فى الرمل ثم تغوص فيه ، وهذا يقوى قول الجوهرى أنها مقلوبة من الحلكة لأنه فسرها بهذا ، فعلى ما قاله الأزهرى من كونها ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة حسن تشبيه العرب أصابع النساء بها ، إلا أن الاشتقاق لا يساعده لأن الحلكة فيما يظهر شدة السواد مأخوذ من قولهم أسود حالك ولما كانت زرقاء لشدة سوادها سموها بهذا الاسم ، والعرب تسميها بنات النقا لأنها تسكن نقيات الرمل .

(الحكم) لا يحل أكلها لأنها من أنواع الوزغ .

﴿ اللخم ﴾ : بضم اللام وإسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش كما تقدم ، وأنشد ابن سيده لبعض الأدباء :

لصيد اللخم فى البحر وصيد الأسد فى البر
وقضم الثلج فى القر ونقل الصخر فى الحر
وإقدام على الموت وتحويل إلى القبر
لأشهى من طلاب العز ممن عاش فى الفقر

(وحكمه) حل الأكل فيما يظهر ، وقد قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير فى كتابه نهاية غريب الحديث ما نصه فى حديث عكرمة رضى الله عنه اللخم حلال ، وهو ضرب من سمك البحر يقال اسمه القرش اه ؛ وقد تقدم الكلام على القرش فى باب القاف .

﴿ اللعوس ﴾ : الذئب سمى بذلك لسرعة أكله .

﴿ اللعوة ﴾ : بفتح اللام الكلبة ؛ قالت العرب : أجوع من لعوة .

﴿ اللقحة ﴾ : بالكسر والفتح لغتان مشهورتان والكسر أشهر والجمع لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك ، وهى الناقة ذات اللبن وقيل القريبة العهد من النتاج ، وناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يليط حوضه فما يصدر حتى تقوم الساعة » وفيه من حديث النواس بن سمعان فى صفة الدجال « ويبارك فى الرسل يعنى اللبن حتى إن

اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس » الفئام : الجماعة الكثيرة مأخوذ من الكثرة ، والفخذ بالذال المعجمة : الجماعة من الأقارب وهم دون البطن ، والبطن : دون القبيلة . قال ابن فارس : الفخذ هنا باسكان الخاء المعجمة لا غير بخلاف الفخذ التى هى العضو فإنها تكسر وتسكن ، وكان للنبى صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة ، وهى على بريد من المدينة بطريق الشام كان يراح إليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن ، وكان أبو ذر رضى الله تعالى عنه فيها ، وكان صلى الله عليه وسلم يفرقها على نسائه ، وهى التى استاقها العرنيون وقتلوا راعيها يسارا ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ما فعل .

وروى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن رجلا أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم لقحة فأثابه منها ست بكرات فتسخطها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يعذرنى من فلان ؟ أهدى إلى لقحة فأثبته منها ست بكرات فتسخطها ، لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشى أو أنصارى أو ثقفى أو دوسى » ثم قال صحيح الاسناد ، وروى هو وأحمد والبيهقى عن ضرار بن الأزور رضى الله تعالى عنه قال « أهديت إلى النبى صلى الله عليه وسلم لقحة فأمرنى أن أحلبها فحلبتها فجهدت حلبها ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل دع داعى اللبن » .

وروى البزار عن بريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بحلاب لقحة فقام رجل ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ فقال : مرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : اقعد ، فقام آخر فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : يعيش ، فقال صلى الله عليه وسلم له : احلب » ورواه مالك عن يحيى بن سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « للقحة تحلب من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال له الرجل : مرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : حرب . قال : اجلس ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : يعيش ، فقال له صلى الله عليه وسلم : احلب » ثم روى عن يحيى بن سعيد أن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب . قال : ممن ؟ قال : من الحرقة . قال : أين مسكنك ؟ قال : بحرة النار . قال : أيها ؟ قال : بذات لظى ، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : أدرك أهلك فقد احترقوا . قال : فكان كما قال عمر رضى الله تعالى عنه .

وفى السيرة « أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر مر برجلين فسأل عن اسمهما فقال

له أحدهما مسلخ والآخر مخذل ، فعدل عن طريقهما» وليس هذا من الطيرة التى نهى صلى الله عليه وسلم عنها بل من باب كراهة الاسم القبيح ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أمرائه إذا أبردتم إلى بريدا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه ، وفى حديث البزار ومالك زيادة رواها ابن وهب وهى « فقام عمر فقال : لا أدرى أقول أم أسكت ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل. قال : فكيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكنى آثرت الاسم الحسن » وروى أبو داود والترمذى والحاكم وقال صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الطيرة شرك وما منا إلا من تطير ، ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل » قال الخطابى : معناه وما منا إلا من يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه ، فحذفه اختصارا للكلام واعتمادا على فهم السامع. قال البخارى : كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول : هذا ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه من كلام ابن مسعود رضى الله عنه . قال الإمام عبد الصمد : لما رأيت فى أطواق الذهب لجار الله العلامة أبى القاسم محمود الزمخشرى قوله : رزق مبسوط ومقدر وشرب صاف ومكدر ، ورجل يحسو الماء القراح وآخر درت له اللقاح ، وما أوتى هذا من عجز ووهن وما أوتى ذاك من فضل وذكاء ذهن ، لكن تقدير من بيده الملكوت وإليه الكتاب الموقوت ذكرت هذين البيتين :

لم أوت من طلب ولا جد ولا هم شريف
لكنه قدر يزو ل من القوى إلى الضعيف

وما أحسن قول القائل حيث قال :

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

﴿ اللقوة ﴾ : العقاب الأنثى واللقوة بالكثر مثله . قال أبو عبيدة : سميت لقوة اسعة أشداقها ، وقيل لاعوجاج منقارها ، واللقوة فرض يميل به الوجه إلى جانب ، واللقوة الناقة السريعة اللقاح ، ولقوة لقب الحجاج بن يوسف الثقفى البغدادى المعروف بابن الشاعر روى عنه مسلم وأبو داود ، ووفاته سنة تسع وخمسين ومائتين .

﴿ اللقاط ﴾ : بالتشديد طائر معروف سمى بذلك لأنه يلقط الحب .

(وحكمه) الحل . قال العبادى : اللقاط حلال إلا ما استثناه النص . قال فى شرح المهذب : يعنى به ذا المخلب : وفيما قاله نظر لأن المراد به ما يلقط الحب : وذو المخلب لم يدخل فى اسم اللقاط حتى يصح استثناؤه منه ، لكن يحتمل أنه أراد بالمستثنى الغراب

الزرعى ، والاستثناء المنقطع لا تصح إرادته هنا لأن الرافعى رحمه الله قد نقل بعد ذلك عن البوشنجى أن اللقاط حلال بغير استثناء ، ولعل أبا عاصم أراد بالمستثنى بالنص غراب الزرع والغداف الصغير فإنهما يلقطان الحب ويأكلان الزرع كما قاله الماوردى فى الحاوى ، وفيهما وجهان أصحهما فى الروضة تحريم الغداف وحل الزرعى ، وقد تقدم طرف من هذا فى أحكام الغراب لكن كلام الرافعى يقتضى حلهما ، فمن قال بتحريمهما استثناهما من اللقاط ولم يحمل الأمر الوارد بقتل الغراب على الأبقع وحده بل عليه وعلى غيره ، ونقل الجاحظ هذا الاحتمال عن صاحب المنطق فقال : قال صاحب المنطق : الغراب جنس من الأجناس التى أمر بقتلها فى الحل والحرم ، وهذا صريح فى أن الجميع فواسق وأن قتل جميعها مستحب ، وقد صرح فى الحاوى باستحباب قتل الغراب الأسود الكبير وألحقه بالأبقع وجعل النهى علة تحريمه ، ومن قال يحل اللقاط مطلقا لم يستثن شيئا ، وحمل الأمر بقتل الغراب على الأبقع لأنه قد ورد التقييد فى بعض الروايات بالغراب الأبقع ، وهذا إنما يستقيم إذا قلنا إن ذكر بعض أفراد العموم تخصيص والصحيح أنه ليس بتخصيص ، والغراب الأبقع وإن كان يلقط الحب فهو غير وارد على البوشنجى لأن غالب أكله الخبائث بخلاف الزرعى والغداف الصغير ، والله تعالى أعلم .

﴿ اللقلوه ﴾ : طائر أعجمى طويل العنق وكنيته عند أهل العراق أبو خديج ، وعبر عنه الجوهرى بالقاف وهو اسم أعجمى . قال : وربما قالوا اللغلغ والجمع اللقالق ، وهو يأكل الحيات وصوته اللقلقة وكذلك كل صوت فيه حركة واضطراب ويوصف بالفطنة والذكاء . قال القزوينى فى الأشكال ، قال الرئيس : من ذكاء هذا الطائر أنه يتخذ له عشين يسكن فى كل واحد منهما بعض السنة ، وأنه إذا أحس بتغير الهواء عند حدوث الوباء ترك عشه وهرب من تلك الديار وربما ترك بيضه أيضا . قال : ومما يتوصل به إلى طرد الهوام اتخاذ اللقلق ، فإن الهوام تهرب من مكان هو فيه لفزعها منه وإذا ظهرت قتلها .

(الحكم) فى حله وجهان : أحدهما وبه قال الشيخ أبو محمد يحل كالكركى ورجحه الغزالى ، والثانى يحرم وصححه البغوى وجزم به العبادى واحتج بأنه يأكل الحيات ويصف فى الطيران ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل مادف ودع ماصف » يقال دف الطائر فى طيرانه إذا حرك جناحيه كأنه يضرب بها وصف إذا لم يتحرك كما تفعل الجوارح ، ومنه قوله تعالى — أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات — والأصح فى شرح المهذب والروضة أنه حرام ، واللقلق من طير الماء وقد تقدم استثناؤه .

(الخواص) إذا ذبح فرخ من فراخه وطلى به بدن المجذوم نفعه نفعا بينا ، وإذا أخذ

من دماغه وزن دانق ومن أنفحة الأرنب مثله وأذيبا على النار فمن طعم منه باسم آخر هيج روحانية المحبة فى قلبه ، وقال هرمس : من حمل عظم اللقلق معه زال همه وإن كان عاشقا سلا ، ومن حمل حبة عينه اليمنى لم ينم ومن حمل حبة عينه اليسرى نام ولم يتنبه مالم تحل عنه ، ومن حمل عينه ودخل الماء لم يغرق وإن لم يحسن السباحة .

(التعبير) اللقلق فى المنام : يدل على قوم يحبون المشاركة ، فإذا رآها إنسان مجتمعة فى مكان فإنهم لصوص وقطاع طريق وأعداء محاربة ، وقيل رؤية اللقلق تدل على تردده ، ومن رأى اللقالق متفرقة فإنها ذليل خير إن كان مسافرا أو أراد السفر ، لأنها تظهر فى الصيف وتدل رؤياها على قدوم المسافر إلى وطنه والمقيم على سفره والله أعلم .

﴿ اللهوم ﴾ : الثور الأبيض ، وقد تقدم فى الثور فى باب الثاء المثلثة .

﴿ اللهيم ﴾ : الثور المسن ، وقد تقدم والجمع لهوم .

﴿ اللوب والنوب ﴾ : الأول بضم اللام والثانى بضم النون جماعة النحل ، ومنه حديث ريان بن قسور رضى الله تعالى عنه قال « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت : يا رسول الله إن معنا لوبا لنا يعنى نحلا كانت فى غيلم لنا فيه طرم وشمع ، فجاء رجل فضرب ميتين فأنتج حيا وكفنه بالثمام يعنى قدح نار بالزندين ، ونحسه يعنى دخنه ، فطار اللوب هاربا وأدلى مشواره فى الغيلم فاشتار العسل فمضى به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ملعون ملعون من سرق شرو قوم فأضر بهم ، أفلا تبعتم أثره وعرفتم خبره ؟ قال : قلت : يا رسول الله إنه دخل فى قوم لهم منعة هم جيرتنا من هزيل ، فقال صلى الله عليه وسلم : صبرك صبرك ترد نهر الجنة ، وإن سعته كما بين العقيقة والسحيقة يتسبسب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لوب ولا مجه نوب » انتهى .

﴿ الغيلم ﴾ : البئر وأراد بها ههنا الخلية .

﴿ الطرم ﴾ : العسل ذكره السهيلى فى مقتل خبيب وأصحابه بعد أحد ، وذكره أبو عمر ابن عبد البر وابن الأثير وأبو السعادات ، ونقلا عن ابن ماكولا أنه قال : ذكره عبد الغنى ابن سعيد وغيره بإسناد ضعيف .

﴿ اللوشب ﴾ : كـكوكب : الذئب ، وقد تقدم مافى الذئب فى باب الذال المعجمة .

﴿ اللياء ﴾ : سمكة فى البحر يتخذ من جلدها الترسة فلا يحيك فيها شىء من السلاح ولا يقطع ، وفى الحديث أن فلانا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بودان لياء مقشى ، ومنه حديث معاوية رضى الله تعالى عنه أنه دخل عليه وهو يأكل لياء مقشى .

﴿ الليث ﴾ : الأسد وجمعه ليوث ، وهو أيضا ضرب من العناكب يصطاد الذباب وهو أصغر من العنكبوت ، والليث من الرجال الشجاع ، وبنوليث بطن من العرب ، وبه سمى ليث بن سعد بن عبد الرحمن بن الحرث إمام أهل مصر فى الفقه ، ولد بقلقشندة وهى قرية فى أسفل مصر سنة أربع وتسعين . قال الشافعى : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وقال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان رضى الله عنه فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون عليا رضى الله تعالى عنه حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل على رضى الله تعالى عنه فكفوا عن ذلك ، وحج الليث فقدم المدينة فبعث إليه الإمام مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه ، وكان الليث رحمه الله يستغل فى كل سنة عشرين ألف دينار فينفقها وماوجبت عليه زكاة قط ، وقالت له امرأة : ياأبا الحرث إن لى ابنا عليلا وأشتهى عسلا ، فقال : ياغلام أعطها مطرا من عسل ، والمطر مائة وعشرون رطلا ، فقيل له فى ذلك فقال : سألت على قدر حاجتها ونحن أعطيناها على قدر نعمتنا ، واشترى قوم منه ثمرة ثم استقالوه فأقالهم وأعطاهم خمسين دينارا وقال : إنهم كانوا قد أملوا فيها أملا فأحببت أن أعوضهم عن أملهم ، وكان رضى الله عنه حنفى المذهب(١) وولى القضاء بمصر وتوفى بها فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وقبره فى القرافة الصغرى مشهور ، وقلقشندة بفتح القاف ولام وقاف وشين معجمة مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة وهاء آخرها بينها وبين مصر مقدار ثلاثة فراسخ كذا قاله ابن خلكان .

(وحكى) عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلى : وكان شاعرا فحلا فاتكا قد أمر على أهل حجر ومايليها ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عامله على اليمامة يوبخه ويلومه على تغلب جحدر فى ولايته ويأمره بالتجرد فى طلبه والبعث به إليه إن ظفر به ، فلما أتى العامل كتابه دس إليه فتية من قومه ووعدهم أن يوفدهم معهم ، فمكثوا لذلك أياما حتى إذا أصابوا منه غرة شدوا عليه فأوثقوه وقدموا به على العامل فبعث به إلى الحجاج ، فلما جاوزوا بجحدر حجرا أنشأ يقول :

لقدما هاجنى فازددت شوقا ... بكاء حمامتين تغردان
تجاوبتا بلحن أعجمى ... على غصنين من غرب وبان
فقلت لصاحبى وكنت أحزو ... ببعض القول ماذا تحزوان
فقالا الدار جامعة قريبا ... فقلت وأنتما متمنيان
فكان البان أن بانت سليمى ... وفى الغرب اغتراب غير دان

(١) قوله : وكان رضى الله عنه حنفى المذهب ، لعل ذلك كان فى ابتداء أمره اهـ .

إذا جاوزتما نخلات حجر وأندية اليمامة فانعيانى
وقولا جحدر أمسى رهينا يعالج وقع مصقول يمانى
كذا المغرور بالدنيا سيردى وتهلكه المطامع والأمانى

فلما قدم به على الحجاج قال له: أنت جحدر ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير . قال : فما حملك على ماصنعت ، قال : جراءة الجنان وكلب الزمان وجفوة السلطان . قال : وماالذى بلغ من أمرك فيجرؤ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال : لو بلانى الأمير لوجدنى من صالح الأعوان وأهم الفرسان ، وأما جراءة جنانى فإن لم ألق فارسا قط إلا كنت عليه فى نفسى مقتدرا ، فقال له الحجاج بن يوسف : إنا قاذفون بك فى جب ليث فإن هو قتلك كفانا مؤنتك وإن أنت قتلته خلينا عنك وأحسنا جائزتك . قال : نعم أصلح الله الأمير قربت المحنة وأعظمت المنة أنت أهل ذلك إذا شئت : فأمر به فقيد وحبس وكتب إلى عامله على كسكر يأمره بالبعثة إليه بأسد ضار ، فبعث إليه بأسد قد أضر بأهل كسكر فى صندوق يجره ثوران ، فلما قدم به على الحجاج أمر به فأدخل فى جب وسد بابه وجوعه ثلاثة أيام : ثم أتى بجحدر وأمكن من سيف قاطع ، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما ، فلما نظر الأسد إلى جحدر وقد أقبل ومعه السيف يرسف فى قيوده تهيأ وتمطى ، فأنشد جحدر يقول :

ليث وليث فى مجال ضنك كلاهما ذو أنف وفتك
وسورة فى صولة ومحك إن يكشف الله قناع الشك
من ظفرى بحاجتى ودركى فذاك أحرى منزل بترك

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها حتى خالط مذباب السيف لهواته وتخضبت ثيابه من دمه ، فوثب وهو يقول :

ياجمل إنك لو رأيت كريهتى فى يوم هيج مسدف وعجاج
وتقدمى لليث أرسف موثقا كيما أكابره على الإحراج
جهم كأن جبينه لما بدا طبق الرحا متعجر الإثباج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما لما أجالهما شعاع سراج
فكأنما خيطت عليه عباءة برقاء أو قطع من الديباج
قرنان مختصران قد مخضتهما أم المنية غير ذات نتاج
ففلقت هامته فخر كأنه أطم تساقط مائل الأبراج
ثم انثنيت وفى ثيابى شاهد مما جرى من شاخب الأوداج
أيقنت أنى ذو حفاظ ماجد من نسل أملاك ذوى أتواج
ممن يغار على النساء حفيظة إذ لايثقن بغيرة الأزواج

فقال له الحجاج : ياجحدر إن أحببت المقام معنا فأقم وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف ، فقال : بل أختار صحبة الأمير والكينونة معه ففرض له فى شرف العطاء وأقام ببابه فكان من خواص أصحابه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء فى الهزبر ماقاله بشر ابن أبى عوانة لما قتل الأسد ، وقد أحسن إبراهيم بن محمد المغربى رحمه الله حيث قال :

حملنا من الأيام ما لانطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا
وليل رجونا أن يهب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

﴿ الليل ﴾ : ولد الكروان . قالوا : فلان أجبن من ليل ، وقال ابن فارس فى المجمل : يقال إن بعض الطير يسمى ليلا ولا أعرفه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى حرف النون أن النهار ولد الحبارى ، والله أعلم .

باب الميم

﴿ مارية ﴾ : بتشديد المثناة التحتية القطاة الملساء وبالتخفيف البقرة الوحشية ، وأما قولهم : خذه ولو بقرطى مارية فهى مارية بنت ظالم بن وهب ، وقيل أم ولد جفنة .

قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها وعليهما درتان كبيضتى الحمام لم ير الناس مثلهما ولم يدروا قدرهما ولا قيمتهما ، يضرب فى الشىء الثمين أى لايفوتنك بأى ثمن يكون ، وسيأتى إن شاء الله تعالى بعد هذا بأوراق يسيرة فى ترجمة المقوقس ذكر مارية القبطية أم ولد النبى صلى الله عليه وسلم وقريبها مابور .

﴿ المازور ﴾ : طائر مبارك ببحر المغرب يتيامن به أصحاب السفن يبيض عند سكون البحر على السواحل فإذا رأوا بيضه عرفوا أن البحر قد سكن ، وهذا الطائر إذا كانت السفن قريبة من مكان مخوف أو دابة مضرة يأتى فيطير أمام المركب فيصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم ، والملاحون يعرفونه ذكره فى تحفة الغرائب .

﴿ الماشية ﴾ : الإبل والبقر والغنم والجمع المواشى سميت ماشية لرعيها وهى تمشى . وقيل لكثرة نسلها يقال أمشى الرجل إذا كثرت ماشيته ، وفيه يقول الشاعر :

وكل فتى وإن أثرى وأمشى ستخلفه عن الدنيا المنون

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لاترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء » ، وفى سنن

أبى داود والترمذى عن الحسن ، عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه فإن أذن له فليحتلب وليشرب ، وإن لم يكن فيها أحد فليصوت ثلاثا فإن أجابه أحد فليستأذنه فإن لم يجبه أحد فليحتلب وليشرب ولا يحمل » . قال الترمذى حسن صحيح والعمل عليه عند بعض أهل العلم وبه قال أحمد وإسحاق . وقال على بن المدينى : سماع الحسن من سمرة صحيح ، وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه » ومن أحكام الماشية أنها إذا أفسدت زرعا لغير مالكها ولم يكن معها فإن كان ذلك بالنهار لم يضمن وإن كان بالليل ضمن لما روى أبو داود وغيره ، عن حرام بن سعيد بن محيصة قال : إن ناقة للبراء بن عازب رضى الله عنه دخلت حائط قوم فأفسدت فقضى النبى صلى الله عليه وسلم إن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار وعلى أهل المواشى ما أصابته مواشيهم بالليل ، وقد تقدم فى الغنم فرع له تعلق بهذا .

(تذنيب) إذا اشترك أهل الزكاة فى ماشية زكوا زكاة الرجل الواحد فلو كان أحدهم كافرا أو مكاتبا فلا أثر لخلطته ، وهى تسمى خلطة ملك وخلطة أعيان وخلطة اشتراك ، وإذا خلطا مجاورة فكذلك الحكم لقوله صلى الله عليه وسلم « لايجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة » رواه البخارى ، ويشترط فى هذه أن لاتتميز فى المشرع والمسرح والمراح وهو موضع الحلب بفتح اللام وكذا الراعى والفحل على الصحيح ، ولا تشترط النية على الصحيح لأن خفة المؤنة واتحاد المرافق لايختلف بالقصد وعدمه ، والله تعالى أعلم .

﴿ مالك الحزين ﴾ : قال الجوهرى : إنه من طير الماء . وقال ابن برى فى حواشيه : إنه الباشون . قال : وهو طائر طويل العنق والرجلين اه . قال الجاحظ : من أعاجيب الدنيا أمر مالك الحزين ، لأنه لايزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الأنهار وغيرها ، فإذا أنشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزينا كئيبا ، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشا خوفا من زيادة نقصها بشربه منها . قال : وقريب من هذا دودة تضىء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار فيرى لها أجنحة ، وهى خضراء ملساء غذاؤها التراب لم تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعا . قال : وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة ، وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التى انقطعت عن الجرى وصارت مخزونة سمى مالكا ، ولما كان يحزن على ذهابها سمى بالحزين ، وهو عطف بيان لمالك كما يقال أبو حفص عمر .

وقال التوحيدى فى كتاب الامتناع والمؤانسة : مالك الحزين ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهى طعامه ، وهو لايحسن السباحة فإن أخطأه الانتشال وجاع طرح نفسه على شاطئ البحر وفى بعض ضحضاحاته ، فإذا اجتمع إليه السمك الصغار أسرع إلى خطف ما استطاع منها ، ولا يحتاج إلى تزاوج ولا سفاد .

(وحكمه) حل الأكل .

(ومن خواصه) أن لحمه غليظ بارد يولد إدمان أكله البواسير ، وقد تقدم فى خطبة الكتاب أن ضبط هذا كان من جملة الأسباب الباعثة على تأليفه خوفا من تصحيف لفظه وتحريفه ، والله تعالى الموفق .

﴿ المتردية ﴾ : هى التى وقعت فى بئر أو من مكان عال فماتت ، ولا فرق بين أن تقع بنفسها أو بسبب آخر فإنها متردية .

(وحكمها) تحريم الأكل بالإجماع .

﴿ المجثمة ﴾ : بفتح الجيم وتشديد الثاء المثلثة هى التى تلقى على الأرض مربوطة وتترك حتى تموت . قال القزوينى : الجثوم للطير والناس بمنزلة البروك للبعير ، ومنه قوله تعالى — جاثمين — أى بعضهم على بعض ، وجاثمين باركين على الركب أيضا .

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلالة وعن المجثمة وعن الخطفة .

﴿ المثا ﴾ : الفراش ، وقد تقدم مافيه فى باب الفاء .

﴿ المربح ﴾ : طائر من طير الماء قبيح الهيئة قاله ابن سيده .

﴿ المرء ﴾ : الرجل : تقول : هذا مرء صالح ، ورأيت مرءا صالحا ، ومررت بمر صالح ، ولا يجمع على لفظه ، وبعضهم يقول : المرؤن ، وربما سموا الذئب مرأ وذكر يونس أن قول الشاعر :

وأنت امرؤ تعدو على كل غرة فتخطئ فيها تارة وتصيب

يعنى به الذئب ، والله تعالى أعلم .

﴿ المرزم ﴾ : من طير الماء ، طويل الرجلين والعنق ، أعوج المنقار فى أطراف جناحيه سواد ، أكثر أكله السمك .

(وحكمه) حل الأكل .

﴿ المرعة ﴾ : بضم الميم وفتح الراء والعين المهملتين كالهمزة : طائر حسن اللون طيب الطعم على قدر السمانى ، وجمعها مرع بضم الميم وفتح الراء قاله ثعلب وابن السكيت ، وهى تشبه الدراجة .

(وحكمها) حل الأكل .

(الخواص) قال ابن زهر : إذا شق جوفها ووضع على الشوك والنصل الغائص فى اللحم أخرجه من غير مشقة .

﴿ مسهر ﴾ : قال هرمس : إنه طائر لاينام الليل كله وهو فى النهار يطلب معاشه ، وله فى الليل صوت حسن يكرره ويرجعه يلتذ به كل من يسمعه ، ولا يشتهى النوم سامعه من لذة سماعه .

(ومن خواصه) أنه إذا جفف دماغه فى ظل وأخذ منه وزن درهم وسعط به إنسان مع دهن اللوز لاينام أصلا ويصيبه من الكرب أمر عظيم حتى يظنه من يراه أنه شارب خمر ، ومن أمسك رأس هذا الطائر فى يده أو علقه عليه أذهب الوحشة والوسواس عنه ، وأورثه من الطرب مايخرجه إلى حد الرعانة .

﴿ المطية ﴾ : الناقة التى يركب مطاها : أى ظهرها ، وجمعها مطايا ومطى . وقال الجوهرى : المطى واحد وجمع يذكر ويؤنث ، والمطايا فعالى وأصله فعائل إلا أنه فعل به مافعل بخطايا . قال أبو العميثل : المطية تذكر وتؤنث ، ولما رأى الشيخ أبو الفضل الجوهرى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم أنشد يقول :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قد زورتنا خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

الذمام بالذال المعجمة : الحرمة . وقال السهيلى فى غزوة مؤتة : * وإذا المطى بنا بلغن محمدا * هو من شعر أبى نواس . قال : وقد أحسن فى ذلك ، وقد أساء الشماخ حيث قال :

إذا بلغتنى وحملت رحلى عـرابة فاشرقى بدم الوتين

وعرابة هذا رجل من الأنصار وكان من الأجواد . قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : رأيت رجلا طائفا بالبيت الحرام حاملا أمه على ظهره وهو يقول :

أنى لهـا مطية لا تذعر إذا الركاب نفرت لاتنفر
ماحملت وأرضعتنى أكثر الله ربى ذو الجلال أكبر

وذكر ابن خلكان وغيره : أن أمدح بيت قالته العرب قول جرير لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جزيرا :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأحمق بيت قالته العرب قول القائل وهو الأعشى أبو محجن الثقفى :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنى فى الفلاة فإننى أخاف إذا مت أن لا أذوقها

وروى فى حديث معاوية رضى الله تعالى عنه أنه قال لابن أبى محجن الثقفى : أبوك الذى يقول : إذا مت فادفنى . . . البيتين ، فقال أبى الذى يقول :

وقد أجود وما مالى بذى قنع وأكتم السر فيه ضربة العنق

وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم تحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

(فائدة) روى الطبرانى فى الدعوات من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الجنة وبها ينجو من النار » وقال على رضى الله تعالى عنه : لاتسبوا الدنيا ففيها تصلون وفيها تصومون وفيها تعملون . فإن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما » فالجواب ماقاله شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام فى آخر الفتاوى الموصلية : أن الدنيا التى لعنت هى المحرمة التى أخذت بغير حقها أو صرفت إلى غير مستحقها . وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى ذكر البعوض ماقاله الشيخ أبو العباس القرطبى فى ذلك وهو حسن فراجعه .

وفى الحديث « بئس مطية الرجل زعموا » شبه مايقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله : زعموا كذا وكذا بالمطية التى يتوصل بها إلى الحاجة ، وإنما يقال زعموا فى حديث لاسند له ولا ثبت فيه وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ فذم من الحديث ماهذا سبيله ، وفى الكشاف وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « زعموا مطية الكذب » وقال ابن عمر وشريح : لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا . قال ابن عطية : ولايوجد زعم مستعملة فى فصيح الكلام إلا عبارة عن الكذب أو قول انفرد به قائله وتبقى عهدته على الزاعم ففى ذلك ماينحو إلى تضعيف الزعم ، وقول سيبويه : زعم الخليل كذا إنما يجىء فيما تفرد الخليل به .

(تتمة) قال شيخ الإسلام النووى : روينا بالإسناد الصحيح فى جامع الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » قال الترمذى : حديث حسن . قال : وقد روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس انتهى . والحديث المذكور رواه النسائى والحاكم فى أوائل المستدرك من حديث ابن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن تضربوا أكباد الإبل فلا تجدوا عالما أعلم من عالم المدينة » ثم قال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه انتهى .

قلت : إنما لم يخرجه مسلم لأنه سأل البخارى عنه فقال له علة ، وهى أن أبا الزبير لم يسمع من أبى صالح ، ولما روى النسائى فى السنن الكبرى هذا الحديث من رواية ابن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزناد عن أبى هريرة عقبه بقوله هذا خطأ ، والصواب عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة ، وقيل عالم المدينة عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب العمرى المدنى الزاهد روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما ، وكان من أزهد أهل زمانه وأشدهم تخليا للعبادة .

وروى أن الرشيد قال : والله إنى أريد الحج كل سنة مايمنعنى من ذلك إلا رجل من ولد عمر رضى الله عنه يسمعنى ما أكره : يعنى العمرى ، توفى العمرى سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين وهو ابن ست وستين سنة . قال عمرو بن شبة : حدثنا أبو يحيى الزهرى قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العمرى عند موته : بنعمة ربى أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمى لايمنعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها ما أزلتها ، وكتب العمرى إلى مالك وابن أبى ذئب وابن دينار وغيرهم بكتب أغلظ لهم فيها فجاوبه مالك جواب فقيه : قال ابن عبد البر فى التمهيد : كتب العمرى العابد إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ويرغبه به عن الاجتماع عليه فى العلم ، فكتب إليه مالك : إن الله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم ، وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصيام ، وآخر فتح له فى الجهاد ولم يفتح له فى الصلاة ، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح الله لى فيه من ذلك ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر ، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام .

(وفى الإحياء) فى الباب السادس من أبواب العلم : يحكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد فى الأولين والآخرين ،

من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس ، أما بعد : فقد بلغنى أنك تلبس الرقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطاء ، وتجعل على بابك حجابا ، وقد جلست مجلس العلم وضربت إليك آباط المطى وارتحل إليك الناس فاتخذوك إماما ورضوا بقولك ، فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه إلا الله والسلام .

فكتب إليه مالك بن أنس : بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد ، سلام عليك ، أما بعد : فقد وصل إلى كتابك فوقع منى موقع النصيحة من المشفق ، أمتعك الله بالتقوى وجزاك وخولك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله التوفيق ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأما ماذكرت من أنى آكل الرقاق وألبس الرقاق وأجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى ، وقد قال سبحانه — قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق — وإنى لا أعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، فلا تدعنا من كتابك فإنا ليس ندعك من كتابنا والسلام .

وفيه أيضا : وروى أن الرشيد أعطاه ثلاثة آلاف دينار فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك : ينبغى أن تخرج معنا فإنى عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن ، فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، فإن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ، قال صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وقال صلى الله عليه وسلم « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد » وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها : يعنى إنما تكلفنى الخروج معك ومفارقة المدينة بما اصطنعته لدى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على زهده فى الدنيا رحمه الله .

وفيه أيضا : أن الشافعى رحمه الله قال : شهدت مالكا رحمه الله وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى ، وهذا يدل على أنه كان يريد بعلمه وجه الله تعالى فإن من يريد غير وجه الله بعلمه لاتسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لايدرى ، ولذلك قال الشافعى : إذا ذكر العلماء فمالك البحر وما أحد أمنّ علىّ من مالك .

وقيل إن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ، ثم دس عليه من سأله فروى عن ملأ من الناس ليس على مكره طلاق فضربه بالسياط ، فانظر كيف اختار ضرب السياط ولم يترك رواية الحديث .

وفى الحلية : أن الشافعى رحمه الله قال : قالت لى عمتى ونحن بمكة : رأيت فى هذه الليلة

عجبا ، فقلت لها : وما هو ؟ قالت : رأيت كأن قائلا يقول لى : مات الليلة أعلم أهل الأرض . قال الشافعى : فحسبنا ذلك ، وإذا هى ليلة مات مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : لا أقدم على مالك أحدا .

وكان مالك يقول : إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير .

وفى الحلية أيضا قال مالك : مابت ليلة إلا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى .

وكان مالك رحمه الله إماما عالما عابدا زاهدا ورعا عارفا بالله تعالى ، وكان مبالغا فى تعظيم علم الدين لاسيما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يقول : العلم نور يجعله الله حيث شاء ، وليس هو بكثرة الرواية .

وقد مدحه بعض العلماء فقال :

يدع الكلام فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
سيما الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

توفى الإمام مالك رحمه الله تعالى فى سنة تسع وسبعين ومائة .

﴿ المعراج ﴾ : دابة عظيمة عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود ، لم يرها شىء من السباع والدواب إلا هرب ، ذكرها القزوينى فى جزائر البحار .

﴿ المعز ﴾ : بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان : نوع من الغنم خلاف الضأن ، وهى ذوات الشعور والأذناب القصار ، وهو اسم جنس ، وكذلك المعيز والأمعوز والمعزى ، وواحد المعز ماعز مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر ، والأنثى ماعزة والجمع مواعز ، وأمعز القوم كثرت معزاهم ، وكنيتها : أم السخال .

وفى حديث على رضى الله عنه : وأنتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوعة الأسد : أى صوته ، وعوعة الناس : ضجتهم .

وروى البزار وابن قانع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة » .

وفى الحديث « استوصوا بالمعزى خيرا فإنه مال رقيق وأنقوا عطنه » أى نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغير ذلك ، وهى مع ذلك موصوفة بالحمق ، وتفضل على الضأن بغزارة اللبن وتخانة الجلد ، وما نقص من ألية المعز زاد فى شحمه ، ولذلك قالوا : ألية المعز

فى بطنه ، ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ، ولما خلق جلد الماعز تخينا قلل شعره فسبحان اللطيف الخبير .

(الخواص) لحمه يورث الهم والنسيان ويولد البلغم ويحرك السوداء ، لكنه نافع جدا لمن به الدماميل ، وقرن المعز الأبيض يسحق يشد فى خرقة ويجعل تحت رأس النائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه ، ومرارة التيس تخلط بمرارة البقر وتلطخ بها فتيلة وتجعل فى الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء ، وإذا اكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر الذى فى باطن الجفن منع من نباته ، ويمنع أيضاً من الغشاوة اكتحالا ، ومن العشا ، ويقلع اللحمة الزائدة التى يقال لها التوتة ، وينفع طلاء من الورم الذى يقال له داء الفيل ، وأكل مخه يورث الهم والنسيان ويحرك السوداء . قال الرئيس ابن سينا : بعر المعز يحلل الخنازير بقوة فيه ، وإذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الفرج ويقطع النزيف .

﴿ ابن مقرض ﴾ : بضم الميم وكسر الراء وبالضاد المعجمة : دويبة كحلاء اللون طويلة الظهر ذات قوائم أربع أصغر من الفأر ، تقتل الحمام وتقرض الثياب ، ولذلك قالوا : ابن مقرض .

(الحكم) حكى الرافعى فى حله الوجهين فى ابن عرس ، وقال إنه الدلق . قال فى المهمات : الصحيح على مايقتضيه كلام الرافعى الحل ، وقد وقعت المسألة فى الحاوى الصغير على الصواب فأباح ابن مقرض وحرم ابن عرس ، وقد تقدم فى باب الدال المهملة الكلام على الدلق مستوفى ، والله الموفق .

﴿ المقوقس ﴾ : المقوقس طائر معروف مطوق سواده فى البياض كالحمام ، وهو لقب لجريج بن مينا القبطى ملك مصر ، وكان من قبل هرقل ، ويقال إن هرقل عزله لما رأى ميله للإسلام ، وأهدى لرسول الله فرساً يقال له لزاز وبغلته الدلدل وحمارا وغلاما خصياً إسمه مابور . وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم فى أصحاب رسول الله وغلطا فى ذلك فإنه لم يسلم ومات على نصرانيته ، ومنه فتح المسلمون مصر فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ، ومابور المذكور كان ابن عم مارية القبطية وكان يأوى إليها ، فقال الناس : علج يدخل على علجة ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليا ليقتله فقال : يا رسول الله أقتله أم أرى رأيى فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل ترى رأيك فيه ، فلما رأى الخصى عليا رأى السيف فى يده تكشف فإذا هو مجبوب ممسوح ، فرجع على إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، وروى مسلم فى آخر باب التوبة بعد حديث الإفك عن أنس رضى الله تعالى عنه : أن رجلا كان متهما بأم ولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : اذهب فاضرب عنقه ، فأتاه على فإذا هو على ركى يتبرد فيها ، فقال له : اخرج فناوله يده ، فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف على عنه ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنه لمجبوب» .

والذى رواه الطبرانى فى هذه القصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما : «أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مارية القبطية أم ولده إبراهيم وهى حامل به فوجد عندها نسيبا لها كان قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يدخل عليها وأنه رضى من مكانه من أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجب نفسه ، فقطع مابين رجليه حتى لم يبق لنفسه قليلا ولا كثيرا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أم ولده إبراهيم فوجد قريبها عندها فوقع فى نفسه من ذلك شىء كما يقع فى أنفس الناس ، فرجع متغير اللون فلقى عمر رضى الله تعالى عنه فأخبره بما وقع فى نفسه من قريب أم إبراهيم ، فأخذ عمر رضى الله تعالى عنه السيف وأقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد قريبها ذلك عندها فأهوى إليه بالسيف ليقتله ، فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه ، فلما رأى ذلك عمر رضى الله تعالى عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك يا عمر إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع فى نفسى ، وبشرنى أن فى بطنها غلاما منى وأنه أشبه الخلق بى وأمرنى أن أسميه إبراهيم ، ولولا أنى أكره أن أحول كنيتى التى عرفت بها لتكنيت بأبى إبراهيم كما كنانى جبريل » ثم مات الخصى فى زمن عمر فجمع الناس لشهود جنازته وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع .

وأهدى المقوقس أيضا للنبى صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير كان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ، وثيابا من قباطى مصر ومطرفا من مطرفاتهم وطرفا من طرفهم ، وألف مثقال ذهبا ، وعسلا من عسل بنها ، فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم العسل ودعا فى عسلها بالبركة ، ووصلت الهدايا إلى النبى صلى الله عليه وسلم سنة سبع وقيل سنة ثمان ، وهلك المقوقس فى ولاية عمرو بن العاص ودفن فى كنيسة أبى يحنس على نصرانيته ، وكان الرسول إليه من قبل النبى صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله تعالى عنه الذى شهد الله له بالإيمان ، وكان حاطب عاقلا لبيبا حازما لا يخدع ، باع بعض أصحابه بيعة غبن فيها لغيبة حاطب فقال : صفقة لم يحضرها حاطب ، فضرب ذلك مثلا فى شراء كل صفقة ربح بائعها . قال حاطب : لما بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس جئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلنى فى منزله وأقمت عنده ليالى ، ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته فقال :

إنى سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه منى : قال : فقلت : هلم ، فقال : أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبيا ؟ قال : قلت بلى . قال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فما باله حيث كان هكذا لم يدع على قومه لما أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ فقلت له : فعيسى ابن مريم أنشهد أنه رسول الله ؟ قال : كذا . قلت : فما باله حيث أخذه قومه وأرادوا صلبه لم يدع عليهم بأن يهلكهم الله بل رفعه الله إليه فى سماء الدنيا ؟ قال : أحسنت أنت حكيم من حكيم .

﴿ المكاء ﴾ : بضم الميم وبالمد والتشديد : طائر يصوت فى الرياض يسمى مكاء لأنه يمكو : أى يصفر كثيرا ، ووزنه فعال كخطاف ، والأصوات فى الأكثر تأتى على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجؤار ونحوه ، وجمعه المكاكى ، وهذا الطائر يصفر ويصوت كثيرا . قال البغوى فى تفسيره : المكاء الصفير ، وهو فى اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير ، وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق : يقال مكا الطائر ومكا الرجل يمكو مكوا إذا جمع يديه وصفر فيهما ، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح وجمعه المكاكى ، والمكاء الصفير قال الله تعالى — وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية — أى صفيرا وتصفيقا ، وقال ابن قتيبة : المكاء الصفير أى بالتخفيف ، والمكاء بالتشديد طائر يصفر فى الرياض ، يمكو : أى يصفر .

قال الشاعر :

إذا غرد المكاء فى غير روضة فويل لأهل الشاء والحمرات

قال البطليوسى فى الشرح : إن المكاء إنما يألف الرياض فإذا غرد فى غير روضة فإنما يكون ذلك لإفراط الجدب وعدم النبات وعند ذلك يهلك الشاء والحمير ، فالويل لمن لم يكن له مال غيرهما ، والحمرات فى البيت جمع حمر بضم الميم وحمر جمع حمار بمنزلة كتاب وكتب ويجوز أن يكون جمع حمير كقضيب وقضب ، وقولهم حمير ليس بجمع ولكنه اسم للجمع بمنزلة العبيد والكثيب . قال ابن عطية : الذى مر بى من أمر العرب فى غير ماديوان أن المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع . قال : ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال انتهى وكذلك كان مخرمة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء ، وكان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون . وقال القزوينى : المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصا عجيبا وبينه وبين الحية عداوة فإن الحية تأكل بيضه وفراخه . وحدث هشام بن سالم : أن حية أكلت بيض مكاء

فجعل المكاء يشرشر : أى يرفرف على رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت فاها ألقى فى فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت .

﴿ المكلفة ﴾ : طائر . قال الجاحظ : لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتلقى واحدا منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلف به قيل له المكلفة ويسمى كاسر العظام فيربيه كما تقدم اه .

واختلفوا فى سبب فعل العقاب ذلك ، فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين : وقال بعضهم : بل تحضن الثلاثة لكنها ترمى بفرخ من فراخها استثقالا للكسب على الثلاثة . وقال آخرون : ليس كذلك إلا لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعترى النفساء من الوهن ، وقيل لأنها سيئة الخلق كما تقدم ، ولا يستعان على تربية الولد إلا بالصبر ، وقيل لأنها كثيرة الشره ، وإذا لم تكن أم الفراخ تؤثر أولادها على نفسها ضاعت أولادها ، قال هؤلاء : والفرخ الذى ترمى به العقاب من الثلاثة يحضنه طائر يقال له المكلفة ويسمونه كاسر العظام أيضا فيربيه كما تقدم ، والله تعالى أعلم .

﴿ الملكة ﴾ : كالسمكة : حية طولها شبر أو أكثر على رأسها خطوط بيض تشبه التاج ، فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها سقط عليها ، وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ، ومن أكل تلك الحية من السباع أو غيرها مات ، وهى قليلة الظهور للناس .

(ومن خواصها الغريبة) أن من قتلها فقد حاسة الشم فى الحال ولا يمكن بعد ذلك علاجه .

﴿ المنارة ﴾ : سمكة تخرج من البحر على شكل المنارة فترمى بنفسها على السفينة فتكسرها وتغرق أهلها ، فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطسوس والبوقات لتبعد عنهم ، وهى محنة عظيمة فى البحر ، قاله أبو حامد الأندلسى .

﴿ المنخنقة ﴾ : هى البهيمة المأكولة تنخنق بحبل حتى تموت ، وكانت العرب تفعله حرصا على الدم لأن العرب كانوا يأكلون الدم ويسمونه الفصيد ، ويقولون : إن اللحم دم جامد ، فحرم الله تعالى المنخنقة لما ينجس فيها من الدم . قال الرافعى : ويستثنى من المنخنقة الجنين فإنه مات بقطع النفس عنه ، وهو حلال .

(فرع) لو ذبح بهيمة وقطع أوداجها ثم خنقها ، ومنع خروج الدم حتى ماتت بقطع النفس فيحتمل حلها لأنها لما قطعت أوداجها حصلت الذكاة الشرعية ولا أثر لحبس الدم كما لا أثر له فى مصيد الجوارح إذا مات الصيد بالمثقل ولم تدرك ذكاته أو رماه بسهم فمات

فإنه حلال وإن انحبس فيه الدم ، ويحتمل التحريم وهو ما أجاب به شيخنا الأسنوى رحمه الله تعالى لأن الحكمة فى الذكاة خروج الدم ولم يوجد فأشبهت المختنقة ، وبالقياس على ما لو خنقها أولا ثم أسرع فقطع الأوداج والحياة مستقرة ثم ماتت بقطع النفس ، والفرق بين هذا وبين مصيد الجوارح أن الذبح هناك غير مقدور عليه فانتفت حكمته لعدم القدرة عليه والقدرة هاهنا موجودة فافترق البابان ، ولأنا لو قلنا بحلها لم يكن لتحريم الخنق معنى لأنه يمكن التوصل إليه بهذا الطريق ، والله أعلم .

﴿ المنشار ﴾ : سمكة فى بحر الزنج كالجبل العظيم من رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود كالأبنوس كل سن منها كذراعين ، وعند رأسها عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع ، تضرب بالعظمين ماء البحر يمينا وشمالا فيسمع له صوت هائل ، ويخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء ثم يعود إلى المركب رشاشه كالمطر ، وإذا دخلت تحت سفينة كسرتها ، فإذا رآها أهل السفن ضجوا إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم كذا ذكره فى عجائب المخلوقات ، وهى داخلة فى عموم السمك ، والله أعلم .

﴿ الموقوذة ﴾ : قال الزجاج : هى التى تقتل ضربا ، يقال وقذتها أقذها وقذا ، وأوقذتها أوقذها إيقاذا إذا أثخنتها ضربا اه . قال الفرزدق يهجو جريرا :

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علىّ عشارى
سعارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبكار

قوله : فدعاء هى التى أصابها الفدع : وهو ورم فى القدم ، والعشار : النوق واحدها عشراء وهى التى مضى عليها تسعة أشهر وطعنت فى العاشر وهى حامل ، وقوله : تقذ الفصيل أى تضربه إذا دنا منها عند الحلب ، وفطارة : مأخوذ من الفطر وهو الحلب بأطراف الأصابع فإن كان بجميع الأصابع فهو الصب ، وهو إنما يكون فى الكبار من النوق : وأما الصغار من النوق فإنما تحلب بأطراف الأصابع لصغر ضروعها ، وفى معنى الموقوذة ما يرمى من الطير بالسنهام التى لا نصل لها أو بحجر ونحوه فتموت ، وقد سئل ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن الطير يموت بالبندقة فقال : هو وقيذ . قلت : الظاهر عدم جواز رمى الطائر بالبندق إذا علم أنه يقتل غالبا ، وكذلك الطومار والحجر لأنه من باب إتلاف الحيوان بغير منفعة ، والله تعالى أعلم .

﴿ الموه ﴾ : بالضم نمل له أجنحة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما فى النمل فى باب النون .

﴿ المول ﴾ : العنكبوت الواحدة مولة وأنشدوا :

حاملة ذلول لا محموله ملأى من الماء كعين المولة

﴿ المها ﴾ : بالفتح جمع مهاة : وهى البقرة الوحشية والجمع مهوات ، وقيل المها نوع من البقر الوحشى إذا حملت الأنثى من المها هربت من البقر ، ومن طبعها الشبق ، والذكر لفرط شهوته يركب ذكرا آخر ، وهى أشبه شىء بالمعز الأهلية ، وقرونها صلاب جدا ، وبها يضرب المثل فى سمن المرأة وجمالها ، قال الشاعر :

خليلىّ إن قالت بثينة ماله ... أتانا بلا وعد فقولا لها لها
سها وهو مشغول لعظم الذى به ... ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى ... إذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة نجلاء كحلاء خلقة ... كأن أباها الظبى أو أمها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى ... وكم قتلت بالود من ودها دها

(فائدة) روى الطبرانى فى معجمه الكبير بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبى قبيس كأنه مهاة بيضاء فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم » وروى فى الأوسط والكبير أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الحجر الأسود من حجارة الجنة ، ما فى الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة ، ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برئ » وفى إسناده محمد بن أبى ليلى وفيه كلام . وروى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف بالبيت إذا هو برجل يطوف وعلى عنقه مثل المهاة يعنى حسنا وجمالا ، وهو يقول :

عدت لهذى جملا ذلولا ... موطأ أتبع السهولا
أعدلها بالكف أن تميلا ... أحذر أن تسقط أو تزولا
أرجو بذاك نائلا جزيلا

فقال له عمر رضى الله عنه : يا عبد الله من هذه التى وهبت لها حجلك ؟ قال : امرأتى يا أمير المؤمنين وإنها لحمقاء مرغامة أكول قمامة لا تبقى لها خامة ، فقال رضى الله عنه : مالك لا تطلقها ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنها لحسناء لا تفرك وأم صبيان لا تترك . قال : فشأنك بها .

(وحكى) الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الأذكياء قال : قعد رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة من جهة الرصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب فقال لها : رحم الله على بن الجهم ، فقالت المرأة : رحم الله أبا العلاء المعرى ، وما وقفا ومرا مشرقا ومغربا . قال : فتبعت المرأة ، وقلت لها : إن لم تقولى لى ما قلتما فضحتك ؟ فقالت : أراد قول على بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا قول أبى العلاء المعرى :

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركتها وانصرفت .

وقد تقدم حكمها وأمثالها فى باب الباء الموحدة فى الكلام على البقر الوحشى .

(الخواص) مخها يطعم لصاحب القولنج ينفعه نفعا بينا ، ومن استصحب معه شعبة من قرن المهاة نفرت منه السباع ، وإذا بخر بقرنه أو جلده فى بيت نفرت منه الحيات ، ورماد قرنه يذر على السن المتأكلة يسكن وجعها ، وشعره إذا بخر به البيت هرب منه الفأر والخنافس ، وإذا أحرق قرنه وجعل فى طعام صاحب الحمى الربع فإنها تزول عنه بإذن الله تعالى ، وإذا شرب فى شىء من الأشربة زاد فى الباه وقوى العصب وزاد فى الإنعاظ ، وإذا نفخ فى أنف الراعف قطع دمه ، وإذا أحرق قرناه حتى يصيرا رمادا وديفا بخل وطلى به موضع البرص مستقبل الشمس فإنه يزول بإذن الله تعالى ، وإذا استف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدا إلا غلبه .

(التعبير) المهاة فى الرؤيا : رجل رئيس كثير العبادة معتزل عن الناس ، ومن رأى عين المهاة نال رياسة أو امرأة سمينة جميلة قصيرة العمر ، ومن رأى رأسه تحول كرأس مهاة نال رياسة وغنيمة وولاية على ناس غرباء ، ومن رأى كأنه مهاة فإنه يعتزل الجماعة ويدخل فى بدعة ، والله الموفق .

﴿ المهر ﴾ : ولد الفرس والجمع أمهار ومهار ومهارة ، والأنثى مهرة بالضم والجمع مهر ومهرات ؛ قال الربيع بن زياد العبسى :

ومجنبات ما يذقن عذوفا يقذفن بالمهرات والأمهار

وقد أحسن مهيار الديلمى فى وصف المهرة حيث قال :

قال لى العاذل تسلو قلت مه إن أسباب هواها محكمه

مهرة تسمع فى السرج لها تحت من يعلو عليها حمحمه

وقيل لبعض الحكماء : أى المال أشرف ؟ قال : فرس يتبعها فرس فى بطنها فرس .

وقال الجوهرى : فى الحديث « خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة » أى كثيرة النتاج والنسل . والسكة الطويلة المصطفة من النخل . والمأبورة الملقحة ، ومعنى الكلام : خير المال نتاج أو زرع .

وملخص هذا : أن الجوهرى رحمه الله جعله فى موضع حديثا وفى موضع من كلام الناس . كذا قاله الإمام الحافظ شرف الدين الدمياطى فى كتاب الخيل فى آخر الباب الأول .

قلت : وهذا عجيب من الجوهرى مع سعة حفظه وغزارة علمه ، والصواب أنه حديث رواه أحمد والطبرانى ، والله أعلم .

(إشارة) كان أبو عبد الله محمد بن حسان البسرى من الأولياء ذوى الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، وإنه خرج للغزاة مرة فبينما هو فى فلاة من الأرض إذ مات مهره الذى كان يركبه فقال : اللهم أعرنا إياه فقام المهر حيا بإذن الله تعالى ، فلما وصل إلى بسر أخذ السرج عنه فسقط ميتا ، وكان رحمه الله إذا كان شهر رمضان دخل بيتا وقال لامرأته : طينى على الباب وألقى إلى كل ليلة رغيفا من الكوة ، فإذا كان يوم العيد فتحت الباب ودخلت فتجد الثلاثين رغيفا فى زاوية البيت فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام رضى الله عنه . وفى الأنساب لابن السمعانى : أن أبا عبد الله المذكور منسوب إلى بصرى قرية من قرى الشام فأبدلت الصاد سينا على قياس قولهم فى السويق الصويق والسراط الصراط . انتهى . وقال ابن الأثير : هذا كله خطأ فى النقل والنحو : أما النقل فإنه منسوب إلى بسر قرية معروفة ، وأما النحو فابدال الصاد سينا ليس على إطلاقه إنما ذلك مع حروف معلومة ، وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى تاريخ دمشق وقال : إنه من قرية بسر وهذا هو الصواب والله تعالى أعلم .

قلت : والحروف التى تبدل معها السين صادا هى : الجاء والطاء والغين والعين والقاف بشرط أن تكون السين متقدمة وأحد هذه الحروف متأخرا ، والله تعالى أعلم .

﴿ ملاعب ظله ﴾ : القرلى المتقدم ذكره فى باب القاف ، وربما قيل له خاطف ظله . قال الكميت :

وريطة فتيان كخاطف ظله جعلت لهم منها خباء ممددا

كذا قاله الجوهرى قال : قال ابن سلمة : هو طائر يقال له الرفراف إذا رأى ظله فى الماء أقبل إليه ليخطفه .

﴿ أبو مزينة ﴾ : سمك فى البحر على صورة الرجال يقال إنهم يظهرون بالإسكندرية والبرلس ورشيد على صورة بنى آدم بجلود لزجة وأجسام متشاكلة لهم بكاء وعويل إذا وقعت فى أيدى الناس ، وذلك أنهم ربما برزوا من البحر إلى البر ينمشون فيقع بهم الصيادون فإذا بكوا رحموهم وأطلقوهم كذا ذكره القزوينى .

﴿ ابنة المطر ﴾ : قال فى المرصع : إنها دويبة حمراء تظهر عقب المطر ، فإذا نضب الثرى عنها ماتت .

﴿ ابو المليح ﴾ : الصقر ، وحكمه تقدم فى باب الصاد المهملة.

﴿ ابن ماء ﴾ : قال فى المرصع : إنه نوع من طير الماء ، ويجمع على بنات ماء ، فإذا عرفته قلت ابن الماء ، بخلاف ابن عرس وابن آوى لأنه لا يقع على أنواع من طير الماء ، ويطلق على كل ما يألف الماء من أجناس الطير ، وذلك يدل كل واحد منها على جنس مخصوص ، والله أعلم .

باب النون

﴿ الناب ﴾ : المسنة من النوق والجمع النيب ، وفى المثل : لا أفعل ذلك ما حنت النيب ، سميت بذلك لطول نابها ، ولا يقال للجمل ناب ، وناب القوم سيدهم قاله الجوهرى .

﴿ الناس ﴾ : جمع إنسان ، قال الجوهرى : والناس قد يكون من الإنس والجن ، وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى — لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس — معناه أعجب من خلق المسيح الدجال ، ولم يذكر المسيح الدجال فى القرآن إلا فى هذه الآية على هذا القول ، وقيل ذكره فى قوله تعالى — يوم يأتى بعض آيات ربك — والمشهور أنه طلوع الشمس من مغربها .

(فرع) إذا حلف لا يكلم الناس حنث إذا كلم واحدا كما لو قال لا آكل الخبز فإنه يحنث بما أكل منه ، ولو حلف لا يكلم ناسا حمل على ثلاثة كذا صرح به الشيخان وفاقا لابن الصباغ وغيره ، وقال الماوردى والرويانى : إذا حلف على معدود فى نفى أو إثبات كالنساء والمساكين ، فإن كانت يمينه على الإثبات كقوله لأكلمن الناس ولأتصدقن على المساكين لم يبر إلا بثلاثة اعتبارا بأقل الجمع ، وإن كانت يمينه على النفى كقوله لا أكلم الناس حنث بالواحد اعتبارا بأقل العدد وهو واحد ، والفرق أن نفى الجمع ممكن وإثبات الجمع متعذر فاعتبر أقل الجمع فى الإثبات وأقل العدد فى النفى ، والله تعالى أعلم .

﴿ الناضح ﴾ : البعير الذى يستقى عليه ، سمى بذلك لأنه ينضح الماء : أى يصبه ، والأنثى ناضحة وسانية والجمع نواضح ، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أو عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه شك الأعمش قال : «لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم : افعلوا فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك غنى ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ،

فدعا صلى الله عليه وسلم بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال: خذو فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى محمد رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فرأينا منه عجبا ؟ جاء رجل فقال : يارسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فمنعانى أنفسهما وحائطى وما فيه ، ولا أقدر على الدنو منهما ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أتى الحائط ، فقال لصاحبه : افتح الباب ، فقال : إن أمرهما عظيم ، فقال صلى الله عليه وسلم : افتح الباب ، فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبة فلما انفرج الباب نظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبركا ثم سجدا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برءوسهما ، ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال : استعملهما وأحسن علفهما ، فقال القوم : تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا فى السجود لك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن السجود ليس إلا للحى الذى لا يموت ، ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهانى وأبو بكر البيهقى من حديث يعلى بن مرة قال « بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مررنا بناضح يستقى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه وخطامه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أين صاحب هذا ؟ فجاءه فقال صلى الله عليه وسلم : بعينه ؟ فقال : بل نهبه لك ، وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه شكا إلى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه » وذكر نحوه الحاكم فى المستدرك من طريق يعلى وقال صحيح ولم يخرجاه ، وفى رواية « أنه جاء وعيناه تذرفان » وفى رواية « أنه سجد للنبى صلى الله عليه وسلم » وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون مايقول زعم أنه خدم مع مواليه أربعين سنة » وفى رواية « عشرين سنة حتى كبر فنقصوا من علفه وزادوا فى عمله حتى إذا كان لهم غرض أرادوا أن ينحروه غدا » وفى رواية يعلى « فى طريق مكة » وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « لاتنحروه وأحسنوا إليه حتى يأتى أجله » .

﴿ الناقة ﴾ : الأنثى من الإبل ، قال الجوهرى : الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لأنها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لاتجمع على ذلك ، وقد جمعت فى القلة على أنوق ثم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق ، حكاها يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق ثم جمعوه على أيانق ، وقد تجمع الناقة على

نياق مثل ثمرة وثمار ، إلا أن الواو صارت ياء لكسرة ماقبلها ، وأنشد أبو زيد للقلاخ ابن حزن .

أبعدكن الله من نياق إن لم تنجين من الوثاق

وبعير منوق : أى مذلل مروّض ، وناقة منوقة اه .

وكنية الناقة : أم بوّ وأم حائل وأم حوار وأم السقب وأم مسعود ، ويقال لها بنت الفحل وبنت الفلاة وبنت النجائب .

روى الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يسير فى سفر فلعن رجل ناقة فقال صلى الله عليه وسلم : أين صاحب هذه الناقة ؟ فقال الرجل أنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : أخرها فقد أجبت فيها » .

وروى مسلم وأبو داود والنسائى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال « بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خذوا ماعليها ودعوها فإنها ملعونة » قال عمران : فكأنى أراها الآن ورقاء تمشى فى الناس مايعرض لها أحد ، وفى رواية « لاتصحبنا ناقة عليها لعنة الله » قال ابن حبان : إنما أمر صلى الله عليه وسلم بإرسالها لأنه عليه الصلاة والسلام تحقق إجابة الدعوة فيها فمتى علم استجابة الدعاء من لاعن أمرناه بإرسال دابته ، ولا سبيل إلى علم هذا لانقطاع الوحى فلا يجوز استعمال هذا الفعل لأحد أبدا ، وقيل إنما قال صلى الله عليه وسلم هذا زجرا لها ولغيرها ، وقد كان سبق نهيها ونهى غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة ، والمراد النهى عن مصاحبته لتلك الناقة فى الطريق : وأما بيعها وذبحها وركوبها فى غير تلك الطريق وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا فهى باقية على الجواز لأن النهى إنما ورد فى المصاحبة فيبقى الباقى كما كان والورقاء بالمد التى يخالط بياضها سوادا والذكر أورق وقد ورد فى النهى عن اللعن أحاديث منها ماروى مسلم فى صحيحه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاينبغى لصديق أن يكون لعانا » وفى رواية الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

وفى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها فتهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن فإن كان أهلا لذلك نزلت عليه وإلا رجعت إلى قائلها » وفى شعب البيهقى أن عبد الله بن أبى الهذيل كان إذا لعن شاة لم يشرب من لبنها وإذا لعن دجاجة لم يأكل من بيضها .

(فائدة) وأما قوله تعالى — ناقة الله — فهو إضافة خلق إلى خالق تشريفا وتخصيصا ؛ قيل إن صالحا عليه الصلاة والسلام أتى بالناقة من قبل نفسه . وقال الجمهور بل سألوه أن يدعو ربه أن يخرج لهم آية من صخرة يقال لها الكاثبة ناقة عشراء ، فدعا الله فانشقت عن ناقة عظيمة . يروى أنها كانت حاملا فولدت وهم ينظرون إليها سقبا قدرها فعقرها قدار ابن سالف وهو أشقى الأولين تعاطى فعقر : أى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه فضربها . روى أن سيد ثمود جندع بن عمرو قال : ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء ، فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت فانصدعت عن ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها عظما إلا الله تعالى وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثالها فى العظم ، فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه ، فقال لهم صالح عليه السلام : هذه ناقة الله لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم ، فمكثت الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء ، وكانت ترد الماء غبا فإذا كان يوم شربها وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة لاترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع فيها قطرة ، ثم ترفع رأسها فتتفحج لهم فيحلبون منها ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون ويملأون أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذى وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث جاءت فإذا كان الغد كان يومهم فيشربون من الماء ما شاءوا ويدخرون ما شاءوا فهم من ذلك فى بر ودعة ، وكانت الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى إلى بطن الوادى فى حره وجدبه وتشتو إذا كان الشتاء ببطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار ، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فعقرها قدار بن سالف وهو أشقى الأولين ، وكان أحمر أزرق قصيرا ملتزق الخلق واسم أمه قديرة . روى أنه ولد على فراش سالف ولم يكن من ظهره فدعته امرأة يقال لها عنيزة وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم ، وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه ، فقالت له : أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة ، فانطلق قدار فكمن لها فى أصل شجرة على طريقها ، فلما مرت به شد عليها بالسيف فعقرها فذلك قوله تعالى — فتعاطى فعقر — أى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه فضربها فجرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقبها ، فانطلق السقب حتى أتى جبلا منيعا يقال له صنو ، وأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك الناقة ، فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه ويقولون يانبى الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا ، فقال : انظروا هل تدركون فصيلها ؟ فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا

يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما يناله الطير .

وقدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ وغيرهم . ووقع فى المهذب فى باب الهدنة أن اسمه العيزار بن سالف وهو وهم بلا خلاف ، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب ، وكان صالح عليه السلام قد أخبرهم بذلك وخرج هاربا منهم فشغلهم عنه ما نزل بهم من عذاب الله فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم أن قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا يوم الجمعة إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل ، فلما أصبحوا يوم السبت إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى الأجل وحضركم العذاب ، فلما كان يوم الأحد لما اشتد الضحى أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت يصوت به فى الأرض ، فقطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، وكان الذى آمن بصالح عليه الصلاة والسلام من ثمود أربعة آلاف فخرج بهم صالح إلى حضرموت ، فلما حضرها صالح مات فسميت حضر موت ، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضور كذا قاله محمد بن إسحاق ووهب وجماعة. وقال قوم من أهل العلم : توفى صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام فى قومه عشرين سنة .

وروى أحمد والطبرانى والبزار بإسناد صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تسألوا نبيكم الآيات فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروا الناقة فقيل لهم تمتعوا فى دياركم ثلاثة أيام أو قيل لهم إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام ، ثم جاءتهم الصيحة فأهلكت من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله تعالى فمنعه من عذاب الله عز وجل ، قالوا : يارسول الله من هو ؟ قال : أبو رغال . قيل : ومن هو أبو رغال ؟ قيل : قال : جد ثقيف » . وفى رواية « فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم صلى الله عليه وسلم قبر أبى رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن » .

وروى الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أشقى الناس ثلاثة : عاقر ناقة ثمود ، وابن آدم الأول الذى قتل أخاه ماسفك على الأرض

دم إلا لحقه منه إثم لأنه أول من سن القتل ، وقاتل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه » وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر فى غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا : قد عجنا منها واستيقنا ، فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة » وفى رواية جابر « أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم » .

وروى مسلم عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال « جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : لك بها يوم القيامة سبعمائة مخطومة » .

وروى أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبى بن كعب قال « بعثنى رسول الله صلى عليه وسلم عاملا فمررت برجل ، فلما جمع لى ماله لم أجد عليه فيه إلا ابنة مخاض ، فقلت له : أد ابنة مخاض فإنها صدقتك ، فقال : ذاك مالا لبن فيه ولا ظهر ، ولكن هذه ناقة فتية سمينة فخذها فامتنع أبى بن كعب ، وترافعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ذاك الذى عليك ، فإن تطوعت فخير أجرك لله فيه وقبلناه منك . قال : ها هى يا رسول الله قد جئتك بها فخذها ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبضها ودعا له فى ماله بالبركة » .

وفى كامل ابن عدى وسنن البيهقى وشعب الإيمان عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال « إن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرسل ناقتى وأتوكل أم أعقلها وأتوكل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل اعقلها وتوكل » .

وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « إن رجلا ادعى عليه عند النبى صلى الله عليه وسلم بسرقة ناقة فقال ما سرقتها ، فقال صلى الله عليه وسلم : احلف ، فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما سرقتها : فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنه سرقها ولكن غفر الله له كذبه بصدقه بلا إله إلا هو ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أخذتها فردها إليه » وفى رواية قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله غفر لك كذبك بصدقك بلا إله إلا الله » .

وروى الحاكم عن النعمان بن سعد قال « كنا جلوسا عند على رضى الله تعالى عنه فقرأ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا فقال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يساقون سوقا ، ولكن يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة » ثم قال صحيح الإسناد .

وروى الحاكم أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل أعرابى جهورى الصوت بدوى على ناقة حمراء ، فأناخها بباب المسجد ودخل فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قعد ، فلما قضى نحبه قالوا : يارسول الله إن الناقة التى تحت الأعرابى سرقة ، قال صلى الله عليه وسلم : أثم بينة ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا على خذ حق الله من الأعرابى إن قامت عليه البينة وإن لم تقم فرده إلى ، فأطرق الأعرابى ساعة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قم يا أعرابى لأمر الله وإلا فأدل بحجتك ، فقالت الناقة من خلف الباب : والذى بعثك بالحق والكرامة يا رسول الله إن هذا ماسرقنى وما ملكنى أحد سواه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أعرابى بالذى أنطقها بعذرك ما الذى قلت ؟ قال : قلت : اللهم إنك لست برب استحدثناك ، ولا معك إله أعانك على خلقنا ، ولا معك رب فنشك فى ربوبيتك ، أنت ربنا كما نقول وفوق مايقول القائلون ، أسألك أن تصلى على محمد وأن ترينى براءتى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : والذى بعثنى بالكرامة يا أعرابى لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك فأكثر الصلاة على » ثم قال الحاكم : رواته ثقات لكن فيهم يحيى بن عبد الله المصرى لست أعرفه بعدالة ولا جرح ، وقد تقدم فى البعير حديث رواه الطبرانى قريب من هذا .

وفى المستدرك أيضا فى ترجمة صهيب رضى الله تعالى عنه عن كعب الأحبار عن صهيب ابن سنان قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو : اللهم إنك لست بإله استحدثناه ، ولا برب ابتدعناه ، ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ إليه ونذرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه معك تباركت وتعاليت » قال كعب الأحبار : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يدعو به ، ثم قال صحيح الإسناد .

وفى المستدرك أيضا من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بأعرابى فأكرمه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أعرابى سل حاجتك ؟ فقال : يا نبى الله ناقة نرحلها وعنزا يحلبها أهلى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل ؟ قالوا : يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فضلوا الطريق وأظلم عليهم ، فقالوا : ما هذا ؟ قال علماؤهم : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لانخرج حتى ننقل عظامه معنا ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : فمن يعلم موضع قبره ؟ قالوا : عجوز لبنى إسرائيل ، فبعث إليها فأتته فقال : دلينى على قبر يوسف ؟ قالت : وتعطينى ما أسألك ؟ قال : وما سؤالك ؟ قالت : أكون معك فى الجنة

فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها ففعل » ورواه الطبرانى وأبو يعلى الموصلى بنحوه .

وفى رواية فى غير المستدرك «أنها كانت مقعدة عمياء ، وأنها قالت لموسى : ألا أخبرك عن موضع قبره حتى تعطينى أربع خصال : تطلق رجلىّ وبصرى وشبابى وأكون معك فى الجنة ، فأوحى الله إليه أن أعطها ماسألته فإنما تعطى علىّ ففعل فانطلقت بهم إلى مستنقع ماء فاستخرجته من شاطىء النيل فى صندوق من مرمر ، فلما فكوا تابوته طلع القمر وأضاءت الطريق مثل النهار فاهتدوا ، وحملوه معهم إلى الشام فدفنه موسى عليه السلام عند آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليه وسلم » وعاش يوسف بعد أبيه يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ، وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وفى المستدرك وغيره عن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قاتل فى سبيل الله قدر فواق ناقة وجبت له الجنة » . وفواق الناقة : ما بين الحلبتين من الراحة ، وتضم فاؤه وتفتح . وفى الحديث أيضا « عيادة المريض قدر فواق الناقة » .

(وفى أخبار معن بن زائدة الشيبانى) أن رجلا قال له : احملنى أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله خلق مركوبا يحمل عليه غير هذا لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخزّ بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ، ولو علمنا شيئا آخر يتخذ من الخز غير هذا لأعطيناك إياه . قال بعضهم : رحم الله معنا لو كان يعلم أن الغلام يركب لأمر له به ولكنه كان عربيا محضا لم يتدنس بقاذورات العجم ، وذكر ابن خلكان فى ترجمته : أنه جلس يوما فرأى راكبا فقال : ما أحسب هذا يريد غيرى ، فلما وصل أنشد قائلا :

أصلحك الله قلّ ما بيدى فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهر رمى بلكلكله فأرسلونى إليك وانتظروا

فقال : يا فلان ناقتى الفلانية وألف دينار فدفعهما إليه وهو لا يعرفه ، ومحاسن معن كثيرة . وتولى الولايات العظيمة وتولى فى آخر عمره سجستان ، فبينما هو ذات يوم فى داره والصناع يعملون بين يديه اندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم وهربوا ، فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم عن آخرهم ، وكان قتله فى سنة إحدى أو اثنتين أو ثمان وخمسين ومائة رحمه الله ، ورثاه الشعراء بمراث كثيرة ، فمن المراثى النادرة أبيات الحسن ابن مطر الأزدى وهى فى الحماسة ، منها :

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مربعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وحكمها) كالإبل.

(الأمثال) قالوا: لا ناقتى فيها ولا جمل، وأصل المثل للحارث بن عبادة، وقيل أول من قاله صدوف بنت حليس العذرية وخبرها مشهور فى الأمثال، ومما أنشد فى ذلك قول الراعى:

وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لى فى هذا ولا جمل

وقال الطغرائى فى لاميته:

فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى

يضرب عند التبرى من الظلم والإساءة، وأطال فيه أصحاب الأمثال وقالوا: استنوق الجمل: أى صار ناقة. يضرب للرجل يكون فى حديث أو صفة شىء ثم يخلطه بغيره وينتقل منه إليه. قال الجوهرى: وأصله أن طرفة بن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس ينشد شعرا فى وصف جمل ثم حوّله إلى نعت ناقة، فقال طرفة: قد استنوق الجمل.

(وخواصها) كالإبل أيضا.

(التعبير) الناقة فى الرؤيا: امرأة، فإن كانت من البخت فهى أعجمية، وإن كانت غير بختية فهى امرأة عربية، فمن رأى كأنه حلب ناقة تزوج امرأة صالحة، ومن كان متزوجا وحلب ناقة رزق ولدا ذكرا وربما رزق بنتا، ومن رأى ناقة ومعها فصيلها فإنه يدل على ظهور آية وفتنة عامة. وقال ابن سيرين: الناقة المحدوجة سفر فى بر، ومن ركب ناقة مهرية فى منامه سافر وقطع عليه الطريق، ومن حلب النوق فى منامه فإنه يلى ولاية يجمع فيها الزكاة. ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين رحمه الله أتاه رجل فقال له: رأيت رجلا يحلب من النوق البخت لبنا ثم حلبها دما؟ فقال ابن سيرين: هذا رجل يتولى على الأعاجم ويجبيهم الزكاة وهى اللبن، ثم يظلمهم ويأخذ أموالهم غصبا وهو الدم. فكان كذلك، ولحم النوق يدل على وفاء النذر لقول الله تعالى: — كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه — وهو لحم الجزور، وقيل لحم الجزور فى الرؤيا مصيبة، وقيل مرض وقيل رزق لقول الله تعالى: — والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم — ومن عقر ناقة فى منامه ندم على أمر فعله ونال منه مصيبة

لقول الله تعالى — فعقروها فأصبحوا نادمين — وقيل ركوب الناقة نكاح امرأة فإن ركبها مقلوبا أتى امرأة فى دبرها ، ومن رأى ناقة صارت بغلة أو بعيرا فإن زوجته لا تحمل أبدا ، ومن ماتت ناقته ماتت امرأته أو بطل سفره ، وربما دلت الناقة على امرأة كثيرة الخصام لكثرة زغائها ، ومن رأى ناقة دخلت مدينة فإنها فتنة لقوله تعالى : — إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم — فإذا عقرت ناقة فى مدينة أصاب أهلها نكبة ، والله أعلم .

﴿ الناموس ﴾ : البعوض ، وقد تقدم فى باب الباء الموحدة . وقال أبو حامد الأندلسى : الناموس دويبة تلسع الناس . وقال الجوهرى ، وناموس الرجل صاحب سره والذى يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره . قال الزبيدى : وهو مشتق من نمس بالكلام إذا أخفاه يقال نمس الصائد اذا اختفى فى الدريئة اه . وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام الناموس الأكبر لأنه يخفى الكلام حين يلقيه إلى الرسل عن الحاضرين وفى الحديث « أن ورقة بن نوفل قال لخديجة رضى تعالى عنها وهو ابن عمها وكان نصرانيا : لئن كان ماتقولين حقا إنه ليأتيه الناموس الذى كان يأتى موسى » وقد تقدم هذا فى باب الفاء فى الفاعوس وتقدم فى الناموس الكلام على لفظ الناموس ، وماجاء على وزن فاعول ولام الفعل منه سين .

﴿ الناهض ﴾ : فرخ العقاب ، وقد تقدم ما فى العقاب فى باب العين المهملة .

﴿ النباج ﴾ : كرمان : الهدهد الكثير القرقرة ، وسيأتى ما فيه فى باب الهاء .

﴿ النبر ﴾ : بالكسر دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه إذا دبت على البعير تورم مدبها والجمع نبار وأنبار .

قال الراجز شبيب بن البرصاء :

كأنها من بدن وأبقار دبت عليها ذربات الأنبار

ويروى عاربات الأنبار والأنبار أيضا ضرب من السباع قاله ابن سيده . قال البطليوسى فى الشرح : ويروى هذا البيت بالفاء وهو إفعال من الشىء الوافر ، ويروى بالقاف يريد أنها أوقرت بالشحوم . ومعنى الرواية الأولى : أن هذه من سمنها ووفورها دبت عليها الأنبار فلسعتها ، وقوله : ذربات فى معناها وجهان . أحدهما أنها الحديدة اللسع مأخوذة من قولهم سكين ذرب ومذرب : أى حادة ، والثانى أنها مسمومة يقال ذربت السهم إذا سقيته السم ، ويقال للسم الذرب اه .

﴿ النجيب ﴾ : من الإبل والخيل ، ومن الرجال الكريم ، والجمع نجباء وأنجاب ، والنجائب جمع نجيبة . روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « إن عمر رضى

الله تعالى عنه أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال : بل انحرها » وكذلك رواه الإمام أحمد والبخارى فى تاريخه . وفى المثل : أنجبت المرأة إذا ولدت النجباء ، والمنتجب : المختار من كل شىء .

روى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : لقد حج الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه .

وفى الحاية : سئل محمد بن على بن الحسين المعروف بالباقر أحد الأئمة الاثنى عشر على رأى الإمامية عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال : أما علمت أن لكل قوم نجيبة ، وإن نجيبة بنى أمية عمر بن عبد العزيز ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وروى الإمام أحمد والبزار والطبرانى وابن عدى وغيرهم باختصار عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه لم يكن نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وإنى أعطيت أربعة عشر : حمزة وجعفرا وعليا وحسنا وحسينا وأبا بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبا ذر والمقداد وعمارا وسلمان وبلالا » .

وفى بعض طرق الطبرانى مصعب بن عمير وفيه كثير الشوّاه وهو من صغار التابعين ، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات .

وفى الحديث « إن الله يحب التاجر النجيب » أى الفاضل الكريم السخى . وقال ابن مسعود : سورة الأنعام من نجائب القرآن : أى من أفاضل سوره .

﴿ النحام ﴾ : طائر على خلقة الإوز واحدته نحامة يكون آحادا وأزواجا فى الطيران ، وإذا أراد المبيت اجتمع رفوفا فذكوره تنام وإناثه لا تنام وتعد لها مبايت فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى آخر ، ويقال إن الأنثى تبيض من زرق الذكر من غير سفاد فإذا باضت نفرت وبقى الذكر عند البيض يذرق عليه فيقوم الذرق مقام الحضن ، فإذا تمت مدته خرجت الفراخ لاحراك بها فتأتى الأنثى فتنفخ فى مناقيرها حتى تجرى الريح فيها روحا ثم يتعاون الذكر والأنثى على التربية ، وفى الذكر غلظ طبع وقلة وفاء ، فإنه إذا رأى فراخه قد قويت على الطعم ضربها وطردها فتذهب الأم معها فلا تقرب الذكر إلى وقت السفاد .

(الحكم) يحل أكله لأنه من الطيبات ولأن النبى صلى الله عليه وسلم أكله .

روى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فى ترجمة سهل بن عبيد بن سورة الخراسانى الأصبهانى أنه حدث عن إسماعيل بن هرون عن الصعق بن حزن عن مطر الوراق قال « أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طير يقال له النحام فأكله واستطابه وقال : اللهم أدخل إلىّ أحب خلقك

إليك ، وأنس رضى الله تعالى عنه بالباب ، فجاء على رضى الله تعالى عنه فقال : يا أنس استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنه على حاجة ، فدفع صدره ودخل فقال رضى الله تعالى عنه : يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم وال من والاه » وفى الكامل لابن عدى فى ترجمة جعفر ابن سليمان الضبعى : أن الطير المسوى كان حجلا ، وفيه فى ترجمة جعفر بن ميمون : أنه كان حبارى . وفى المستدرك : « أن التى أهدته للنبى صلى الله عيه وسلم أم أيمن رضى الله عنها .

قلت : حديث الطير أخرجه الترمذى وقال : غريب ، والبغوى فى حسان المصابيح ، وأخرجه الحربى وزاد بعد قوله «أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طير وكان مما يعجبه أكله » وزاد بعد قوله «فجاء على بن أبى طالب فقال استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما عليه إذن ولكن أحب أن يكون رجلا من الأنصار» ورواه الطبرانى وأبو يعلى والبزار من عدة طرق كلها ضعيفة ، وخرجه عمر بن شاهين ولم يذكر زيادة الحربى ، وقال بعد قوله فجاء على فرددته ثم جاء فرددته فدخل فى الثالثة أو فى الرابعة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم «ماحبسك عنى أو ما أبطأك عنى ياعلى؟ قال : جئت فردنى أنس ثم جئت فردنى أنس ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أنس ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رجوت أن يكون رجلا من الأنصار ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أنس أو فى الأنصار خير من على أو أفضل من على » وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أهدت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمتهما إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك وإلى رسولك» ثم ذكر معنى الحديث . قال الحاكم : وقد رواه عن أنس جماعة أكثر من ثلاثين نفساً ثم صحت الرواية عن على وأبى سعيد وسفينة ، وهو من الأحاديث المستدركة على المستدرك . قال الذهبى فى تلخيصه : لقد كنت زمنا طويلا أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه فى مستدركه ، فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التى فيه ، والله أعلم .

﴿ النحل ﴾ : ذباب العسل ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذباب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى تفسير سورة النساء «الذباب كله فى النار إلا النحل» وواحدة النحل نحلة كنخل ونخلة . وقرأ يحيى بن وثاب — وأوحى ربك إلى النحل — بفتح الحاء والجمهور بالإسكان . قال الزجاج : سميت نحلا لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذى يخرج منها إذ النحلة العطية ، وكفاها شرفاً قول الله تعالى — وأوحى ربك إلى النحل — فأوحى سبحانه إليها وأثنى عليها فعلمت مساقط الأنواء من وراء البيداء فتقع هناك على كل حرارة عبقة وزهرة آنقة ثم تصدر عنها بما تحفظه رضابا ، وتلفظه شرابا .

قال القزوينى فى عجائب المخلوقات : يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذ فيه أوحى الله إلى النحل صنعة العسل فبين سبحانه أن فى النحل أعظم اعتبار ، وهو حيوان فهيم ذو كيس وشجاعة ونظر فى العواقب ومعرفة بفصول السنة وأوقات المطر وتدبير المرتع والمطعم والطاعة الكبيرة والاستكانة لأميره وقائده ، وبديع الصنعة وعجيب الفطرة .

قال أرسطو : النحل تسعة أصناف : منها ستة يأوى بعضها إلى بعض، قال : وغذاؤها من الفضول الحلوة والرطوبات التى يرشح بها الزهر والورق ، ويجمع ذلك كله ويدخره وهو العسل وأوعيته ، ويجمع مع ذلك رطوبات دسمة يتخذ منها بيوت العسل ، وهذه الدسومات هى الشمع ، وهو يلقطها بخرطومه ويحملها على فخذيه وينقلها من فخذيه إلى صلبه هكذا قال . والقرآن يدل على أنها ترعى الزهر فيستحيل فى جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير المقنطرة قال الله تعالى - ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - وقوله - من كل الثمرات - المراد به بعضها ، نظيره قوله تعالى - وأوتيت من كل شئ - يريد البعض ، واختلاف الألوان فى العسل بحسب اختلاف النحل والمرعى . وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى ، ومن هذا المعنى قول زينب رضى الله تعالى عنها للنبى صلى الله عليه وسلم «جرست نحله العرفط» حين شبهت رائحته برائحة المغافير ، والحديث مشهور فى الصحيحين وغيرهما .

ومن شأنه فى تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعا نقيا بنى فيه بيوتا من الشمع أولا ثم بنى البيوت التى تأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التى لا تعمل شيئا ، والذكور أصغر جرما من الإناث وهى تكثر المادة داخل الخلية ، وإن طارت فهى تخرج بأجمعها وترتفع فى الهواء ثم تعود إلى الخلية ، والنحل تعمل الشمع أولا ثم تلقى البزر لأنه لها بمنزلة العش للطير ، فإذا ألقته قعدت عليه وحضنته كما يحضن الطير فيكون من ذلك البزر دود أبيض ثم ينهض الدود وتغذى نفسها ثم تطير ، وهى لا تقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد ، وتملأ بعض البيوت عسلا وبعضها فراخا . ومن عادتها أنها إذا رأت فسادا من ملك إما أن تعزله وإما أن تقتله وأكثر ما تقتل خارج الخلية ، والملوك لا تخرج إلا مع جميع النحل فإذا عجز الملك عن الطيران حملته وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى آخر الكتاب فى لفظ اليعسوب .

ومن خصائص الملك أنه ليس له حمة يلسع بها ، وأفضل ملوكها الشقر وأسوؤها الرقط بسواد ، والنحل تجتمع فتقسم الأعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يستقى الماء وبعضها يبنى البيوت ، وبيوتها من أعجب الأشياء لأنها مبنية على الشكل المسدس الذى لا ينحرف كأنه استنبط بقياس هندسى ثم هو فى دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة ، وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر إذا جمع

كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وجاءت بينها فروج إلا الشكل المسدس فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة ، وكل هذا بغير مقياس منها ولا آلة ولا بيكار بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها كما قال ـ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ـ الآية ، فتأمل كمال طاعتها وحسن امتثالها لأمر ربها كيف اتخذت بيوتا فى هذه الأمكنة الثلاثة الجبال والشجر وبيوت الناس حيث يعرشون أى حيث يبنون العروش فلا ترى للنحل بيتا فى غير هذه الأمكنة الثلاثة البتة ، وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها فى الجبال وهى المتقدمة فى الآية ثم الأشجار وهى دون ذلك ثم فيما يعرش الناس وهى أقل بيوتها . فانظر كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهى تتخذها أولا ، فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولا ثم الأكل بعد ذلك . وقال فى الإحياء : انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء . ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها من النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملتها وهو أكبرها شخصا وهو أميرها ، ثم ما سخر الله لأميرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة إخوانك ، ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنيانها بيتا من الشمع واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدس فلا تبنى بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندس عن درك ذلك . وهو أن أوسع الأشكال وأحواها المستدير وما يقرب منه فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة ، فإن الإشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل ، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ذلك لطفا به وعناية بوجوده فيما هو محتاج إليه ليهنأ عيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه .

وفى طبعه أنه يهرب بعضه من بعض ويقاتل بعضه بعضا فى الخلايا ويلسع من دنا من الخلية وربما هلك الملسوع ، وإذا هلك شىء منها داخل الخلايا أخرجته الأحياء إلى خارج . وفى طبعه أيضا النظافة فلذلك يخرج رجيعه من الخلية لأنه منتن الريح ، وهو يعسل زمانى الربيع والخريف والذى يعسله فى الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير ، وهو يشرب من

من الماء ما كان صافيا عذبا يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه ، وإذا قل العسل فى الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاده لأنه إذا نفد أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور وربما قتلت ما كان منها هناك .

قال حكيم من اليونان لتلامذته : كونوا كالنحل فى الخلايا ؟ قالوا : وكيف النحل فى الخلايا ؟ قال : إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته وأبعدته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل ويعلم النشيط الكسل ، والنحل يسلخ جلده كالحيات وتوافقه الأصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس ، ودواؤه أن يطرح له فى كل خلية كف ملح وأن يفتح فى كل شهر مرة ويدخن بأخثاء البقر . وفى طبعه أنه متى طار من الخلية يرعى ثم يعود فتعود كل نحلة إلى مكانها لا تخطئه ، وأهل مصر يحولون الخلايا فى السفن ويسافرون بها إلى مواضع الزهر والشجر ، فإذا اجتمع فى المرعى فتحت أبواب الخلايا فيخرج النحل منها ويرعى يومه أجمع ؛ فإذا أمسى عاد إلى السفينة وأخذت كل نحلة منها مكانها من الخلية لا تتغير عنه .

روى الإمام أحمد والحاكم والترمذى والنسائى من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى سمع عنده دوى كدوى النحل ، فنزل عليه صلى الله عليه وسلم يوما فمكثنا ساعة ثم سرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لقد أنزل الله علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ الآيات ، ثم قال صحيح الإسناد ، قال النحاس : معنى أقامهن عمل بهن ولم يخالف ما فيهن كما يقال فلان يقوم بعمله .

وروى البيهقى من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعا « لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

وروى ابن ماجه عن أبى بشر بكر بن خلف قال : حدثنى يحيى بن سعيد عن موسى ابن أبى عيسى الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل تذكر بصاحبها . أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به » ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، والدوىّ : صوت ليس بالعالى . وفى حديث الإيمان « يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول » .

وفى المستدرك عن أبى سبرة الهذلى قال : قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فحدثنى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهمته وكتبته بيدى (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا

ما حدث به عبد الله بن عمرو عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ولا سوء الجوار ولا قطيعة الرحم» ثم قال صلى الله عليه وسلم «إنما مثل المؤمن كمثل النحلة وقعت فأكلت طيبا ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر، ومثل المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر أدخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص فذلك مثل المؤمن» ثم قال صحيح الإسناد.

وفى المعجم الأوسط للطبرانى بإسناد حسن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله».

وروى الإمام أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «المؤمن كالنحلة تأكل طيبا وتضع طيبا وقعت فلم تكسر ولم تفسد».

وفى شعب البيهقى عن مجاهد قال: صاحبت عمر رضى الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث «إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك وإن شاورتا نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع، وكذلك النحلة كل شأنها منافع» قال ابن الأثير: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة: حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وخفارته ومنفعته وقنوعه وسعيه فى النهار وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله، فإنه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لأميره، وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله: منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفتر به عن عمله: منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السعة ونار الهوى انتهى.

وفى مسند الدارمى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال «كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير، إنه ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها، ولو تعلم الطير ما فى أجوافها من البركة ما فعلت ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب».

وفيه أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة ويكون ملكه بالشام، ليس بفحاش ولا صخاب فى الأسواق ولا يكافىء بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء وضراء، يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم، يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم، دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء.

(غريبة) ذكر ابن خلكان فى ترجمة عبد المؤمن بن على ملك الغرب أن أباه كان يعمل الطين فخارا، وأنه كان فى صغره نائما فى دار أبيه وأبوه يعمل فى الطين فسمع أبوه دويا

فى السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فاجتمعت كلها على ولده وهو نائم فغطته وأقامت عليه مدة ثم ارتفعت عنه وما تألم منها ، وكان بالقرب منهم رجل يعرف الزجر فأخبره أبوه بذلك ، فقال : يوشك أن يجتمع على ولدك جميع أهل المغرب فكان كذلك ، وكان من أمر ولده ما اشتهر من ملك المغرب الأعلى والأدنى ، ومات عبد المؤمن فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر موته فى باب الجيم فى الجفرة ، وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل .

وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال تحقيراً للدنيا : أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة ، وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير الفم كذا نقله عنه ابن عطية . والمعروف عنه أنه قال : إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فأشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب ، وأشرف المشروب الماء ويستوى فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوس الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوب الفرس وعليه تقتل الرجال ، وأشرف المشموم المسك وهو دم حيوان ، وأشرف المنكوح المرأة وهو مبال فى مبال . والمحقق أن العسل يخرج من بطونها لكن لا يدرى أمن فمها أو من غيره لكن لا يتم صلاحه إلا بحمى أنفاسها ، فقد صنع أرسطاط ليس بيتا من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع فأبت أن تعمل حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين كذا قاله الغزنوى وغيره .

وروينا فى تفسير الكواشى الأوسط : أن العسل ينزل من السماء فيثبت فى أماكن من الأرض فيأتى النحل فيشربه ثم يأتى الخلية فيلقيه فى الشمع المهيأ للعسل فى الخلية لا كما يتوهمه بعض الناس من أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحال فى المعدة عسلا هذه عبارته ، والله أعلم .

(لطيفة) اعلم أن الله تعالى جمع فى النحلة السم والعسل دليلا على كمال قدرته ، وأخرج منها العسل ممزوجا بالشمع . وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء . وفى العسل ثلاثة أشياء : الشفاء والحلاوة واللين ، وكذلك المؤمن قال الله تعالى — ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله — ويخرج من الشاب خلاف مايخرج من الكهل والشيخ ، وكذلك حال المقتصد والسابق ، وأمرها الله تعالى بأكل الحلال حتى صار لعابها شفاء ودواء ، وكل الذباب فى النار إلا النحل ، ودواء الأطباء مر ودواء الله حلو وهو العسل ، وهى تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلوا ولا يغيرها اختلاف مأكلها — والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه — وقوله تعالى — فيه شفاء للناس — لايقتضى العموم لكل علة وفى كل إنسان لأنه نكرة فى سياق الإثبات بل هو خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من الأدوية فى حال دون حال .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان لا يشكو شيئا إلا تداوى بالعسل حتى كان يدهن به الدمل والقرحة والقرصة ويقرأ هذه الآية ، وهذا يقتضى أنه كان يحمله على العموم .

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل» .

وروى ابن ماجه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من لعق من العسل ثلاث غدوات من كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » .

وحكى النقاش عن أبى وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم .

وروى أيضاً عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه مرض فقال : ائتونى بماء فإن الله تعالى يقول ـ وأنزلنا من السماء ماء مباركا ـ ثم قال : وائتونى بعسل وقرأ الآية ، ثم قال : ائتونى بزيت فإنه من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفى .

وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخى استطلق بطنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال : يا رسول الله إنى قد سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال عليه الصلاة والسلام : اسقه عسلا فسقاه ثم جاء الرابعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلا . قال : قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال عليه الصلاة والسلام : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ » .

(فائدة) قد اعترض فى هذا الحديث وفى قوله صلى الله عليه وسلم « عليكم بهذا العود الهندى يعنى الكست فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب » وقوله صلى الله عليه وسلم «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن فى الحبة السوداء الشفاء من كل داء إلا السام يعنى الموت » وقوله صلى الله عليه وسلم « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» من فى قلبه مرض من الملحدة فقال : الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ، ومجمعون أيضا على أن استعمال المحموم الماء البارد مخاطرة وقرب من الهلاك لأنه يجمع المسام ويحقن البخار المتحلل ويعكس الحرارة إلى داخل الجسم فيكون سببا للتلف وينكرون أيضا مداواة ذات الجنب بالقسط مع ما فيه من الحرارة الشديدة ويرون ذلك خطرا. وهذا الذى قاله المعترض الملحد جهالة بينة وهو فيها كما قال الله تعالى : ـ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ـ ونحن نشرح الأحاديث المذكورة فى هذا الموضع ونذكر ما قاله الأطباء فى ذلك ليظهر جهل هذا المعترض .

اعلم أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجا إلى التفصيل حتى إن المريض يكون الشى

الواحد دواء له فى ساعة ثم يصير داء له فى الساعة التى تليها بعارض يعرض له من غضب يحمى مزاجه فيتغير علاجه أو هواء يتغير أو غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، فإذا وجد الشفاء بشيء فى حالة مّا لشخص مّا لم يلزم منه الشفاء به فى سائر الأحوال ، وجميع الأشخاص والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتدبير المألوف وقوة الطباع . فإذا عرفت هذا فاعلم أن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والهيضات . وقد أجمع الأطباء فى مثل هذا على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها فإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، وأما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون هذا الإسهال لهذا الشخص المذكور فى الحديث كان من امتلاء أو من هيضة فدواؤه ترك الإسهال على ما هو عليه أو تقويته فأمره صلى الله عليه وسلم بأن يسقيه عسلا فزاده إسهالا فزاده عسلا إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ، أو يكون الخلط الذى به كان يوافقه شراب العسل . فثبت بما ذكرناه أن العسل جار على صناعة الطب ، وأن المعترض عليه ملحد جاهل بصناعة الطب ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم فلو وجدنا المشاهدة تصدق دعواهم لتأولنا كلامه صلى الله عليه وسلم حينئذ وخرجناه على مايصح . قد ذكرنا هذا الجواب وما بعده عدة للحاجة وإن اعتضدوا بمشاهدة وليظهر جهل المعترض وأنه لايحسن الصناعة التى اعترض بها وانتسب إليها ، وكذلك القول فى الماء البارد للمحموم فإن المعترض تقوّل على النبى صلى الله عليه وسلم مالم يقل ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل أكثر من قوله « أطفئوها بالماء » ولم يبين صفته وحاله ، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها بسقى الماء البارد الشديد البرودة ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد فلا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم أراد هذا النوع من الحمى .

وأما إنكاره الشفاء من ذات الجنب بالقسط فباطل أيضا ، فقد قال بعض الأطباء : إن ذات الجنب إذا حدثت من البلغم كان القسط من علاجها . وقد ذكر جالينوس وغيره من حذاق الأطباء : أنه ينفع من وجع الصدر . وقال بعض قدماء الأطباء : إنه يستعمل حيث يحتاج إلى إسخان عضو من الأعضاء ، وحيث يحتاج إلى جذب الخلط من باطن البدن إلى ظاهره ، وهكذا قال الرئيس ابن سينا وغيره من فحول الأطباء ، وهذا يبطل ما زعمه هذا المعترض الملحد .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « فيه سبعة أشفية » لقد أطبق الأطباء فى كتبهم على أنه يدر الطمث والبول ، وينفع من السموم ، ويحرك شهوة الجماع ، ويقتل الدود وحب القرع الذى فى الأمعاء إذا شرب بعسل ، ويذهب الكلف إذا طلى عليه ، وينفع من برودة المعدة

والكبد ، ومن الحمى الورد والربع وغير ذلك . وهو صنفان : بحرى وهندى ، فالبحرى هو القسط الأبيض ، وقيل هو أكثر من صنفين ، ونص بعضهم على أن البحرى أفضل من الهندى وأقل حرارة منه ، وقيل هما حاران يابسان فى الدرجة الثالثة ، والهندى أشد حرارة منه فيها . وقال الرئيس ابن سينا : القسط حار فى الثالثة يابس فى الثانية . وقد اتفق الأطباء على هذه المنافع التى ذكرناها فى القسط وهو العود الهندى المذكور فى الحديث فصار ممدوحا شرعا وطبا ، وإنما عددنا منافع القسط من كتب الأطباء لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر منها عددا مجملا .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » فيحمل أيضا على العلل الباردة على نحو ما سبق فى القسط ، وهو صلى الله عليه وسلم قد يصف بحسب ماشاهده من غالب حال أصحابه قاله الإمام المازرى . وقال شيخ الإسلام محيى الدين النووى ، وذكر القاضى عياض كلام المازرى الذى قدمناه ثم قال : وذكر الأطباء فى منفعة الحبة السوداء التى هى الشونيز أشياء كثيرة وخواص عجيبة يصدّقها قوله صلى الله عليه وسلم ، فذكر جالينوس أنها تحلل النفخ وتقتل ديدان البطن إذا أكلت أو وضعت على البطن ، وتنفع الزكام إذا قليت وصرّت فى خرقة وشمت ، وتزيل العلة التى ينقش منها الجلد ، وتقطع الثآليل لمعلقة والمنكسة والخيلان ، وتدر الطمث المنحبس إذا كان احتباسه من أخلاط غليظة لزجة ، وتنفع الصداع إذا طلى بها الجبين ، وتقطع البثور والجرب ، وتدر البول واللبن ، وتحلل الأورام البلغمية إذا تضمد بها مع خل ، وتنفع من الماء العارض فى العين إذا سعط بها مسحوقة بدهن ، وهى تنفع من انصباب المواد أيضا ، ويتمضمض بها من وجع الأسنان ، وتنفع من نهش الرتيلاء ، وإذا بخر بها طردت الهوام . قال القاضى : وذكر جالينوس أن من خاصيتها إذهاب حمى البلغم والسوداء وتقتل حب القرع ، وإذا علق الشونيز فى عنق المزكوم ينفعه ، وينفع من حمى الربع . قال : ولا تبعد منفعته من أدوية حارة لخواص فيها فقد نجد ذلك فى أدوية كثيرة فيكون الشونيز منها لعموم الحديث ، ويكون استعماله أحيانا منفردا وأحيانا مركبا .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى الكمأة وهى بفتح الكاف وإسكان الميم ويعدها همزة مفتوحة « وماؤها شفاء للعين » قيل هو نفس الماء مجردا ، وقيل معناه أن يخلط ماؤها بدواء يعالج به العين . وقيل إن كان لتبريد ما فى العين من حرارة فماؤها مجردا شفاء ، وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره . قال الإمام النووى : والصحيح بل الصواب أن ماءها مجرداً شفاء للعين مطلقا فيعصر ماؤها ويجعل فى العين منه . قال : وقد رأيت أنا وغيرى فى زماننا من كان أعمى وذهب بصره حقيقة فكحل عينيه بماء الكمأة مجردا فبرئ وعاد بصره إليه ،

وهو الشيخ العدل الإمام الكمال الدمشقى صاحب فقه ورواية للحديث ، وكان استعماله ماء الكمأة اعتقادا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وتبركا به فشفاه الله لذلك ، ففى هذا الحديث والأحاديث المتقدمة بيان لما حواه النبى صلى الله عليه وسلم من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب فى الجملة واستحبابه لما ذكر فى الأحاديث الصحيحة من الحجامة وشرب الأدوية والسعوط وقطع العروق والرقى وغير ذلك من الأدوية ، ولا خفاء أن لله تعالى فى مخلوقاته حكما وأسراراً ، ولم يخلق جل جلاله داء إلا وخلق له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والله أعلم . وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية : — وأوحى ربك إلى النحل — إنما يراد بها أهل البيت من بنى هاشم وأنهم المنحل وأن الشراب هو القرآن ، وقد ذكر بعضهم هذا فى مجلس أبى جعفر المنصور ، فقال له رجل : جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل .

(فائدة أخرى) اعلم أن للعسل أسماء كثيرة : منها السنوت كسفود وسنور ، وفى الحديث « عليكم بالسنا والسنوت » ومنها السلوى لأنه يسلى عن كل حلو ، قال خالد ابن زهير الهذلى :

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ومن أسمائه : الحافظ والأمين ، لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبدا واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر . روى أصحاب الكتب الستة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء ويشرب العسل » قال العلماء : المراد بالحلواء هنا كل حلو ، وذكر العسل بعدها تنبيها على شرفه ومزيته ، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام ، والحلواء بالمد. وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق ، وأن ذلك لا ينافى الزهد والمراقبة لاسيما إذا حصل ذلك اتفاقا . وفى تاريخ أصبهان فى ترجمة أحمد بن الحسن عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أول نعمة ترتفع من الأرض العسل » وكان مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى الكوفى المعروف بالأشتر من شيعة أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه ، وكان تابعيا رئيس قومه وله بلاء حسن فى وقعة اليرموك وذهبت عينه يومئذ ، وكان فيمن شهد حصار عثمان رضى الله تعالى عنه وشهد وقعة الجمل وصفين ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رآه صرف نظره عنه وقال : كفى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم شره . ولاه على رضى الله عنه مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة بن ديلم ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات ، فلما بلغ ذلك عليا رضى الله عنه قال : لليدين وللفم . وقال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه حين بلغه ذلك : إن لله جنودا منها العسل . وقيل إن الذى قال ذلك معاوية بن أبى سفيان

رضى الله عنهما وهو الذى سمه ، وقيل إن الذى سمه كان عبدا لعثمان رضى الله تعالى عنه ، وكانت وفاته فى شهر رجب سنة سبع وثلاثين. روى له النسائى حديثين ، وفى أخبار الحجاج ابن يوسف أنه كتب إلى عامله بفارس : أرسل إلىّ من عسل خلار من النحل الأبكار ومن الدستفشار الذى لم تمسه النار ، يريد بالأبكار فراخ النحل لأن عسلها أطيب وأصفى ، وخلار موضع بفارس مشهور بجودة العسل ، والدستفشار كلمة فارسية معناها ما عصرته الأيدى .

(الحكم) كره مجاهد قتل النحل ويحرم أكلها على الأصح ، وإن كان عسلها حلالا كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام ، وأباح بعض السلف أكلها كالجرادة وهو وجه ضعيف فى المذهب ، ويحرم قتلها. والدليل على الحرمة نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتلها ، وفى الإبانة فى كتاب الحج يكره قتلها ، وما ذكره الفورانى فى الإبانة من الكراهة وذكره غيره من التحريم مفرع على منع الأكل فإن أبحناه جاز قتله كالجراد وكان القياس جواز قتل النحل لأنه من ذوات الإبر ، وما فيه من المنفعة يعارض بالضرر لأنه يصول ويلدغ الآدمى وغيره ، وقد ذكر الرافعى فى كتاب الحج أنه يجوز قتل الصقر والبازى من الجوارح ونحوها كما تقدم فى الكلام عليها فى أماكنها . وعلله بأن المنفعة فيها معارضة بالمضرة وهو اصطيادها طيور الناس فجعلوا المضرة التى فيها مبيحة لقتلها ولم يجعلوا المنفعة التى فيها عاصمة من القتل إلا أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النحل كما تقدم ، ولا شىء فى قوله صلى الله عليه وسلم إلا طاعة الله بالتسليم لأمره صلى الله عليه وسلم . وأما بيع النحل وهو فى الكوارة فصحيح إن رؤى جميعه وإلا فهو بيع غائب ، فإن باعها وهى طائرة ففى التتمة يصح وفى التهذيب عكسه. وصورة المسئلة أن تكون الأم فى الكوارة كما قاله ابن الرفعة ، والأصح من الوجهين الصحة . والفرق بينها وبين باقى الطير من وجهين : أحدهما أنها لا تقصد بالجوارح بخلاف غيرها . والثانى أنها لا تأكل فى الغالب والعادة إلا مما ترعاه ، فلو توقف فى صحة البيع على حبسها لربما أضرّ بها أو تعذر بسببه بيعها بخلاف غيرها من الطيور . وقال أبو حنيفة : لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات ، واحتج أصحابنا بأنه حيوان طاهر منتفع به فجاز بيعه كالشاء والحمام بخلاف الزنبور والحشرات فإنه لا منفعة فيها كدود القز ويبقى لها فى الكوارة شيئا من العسل ، فإن كان الاشتيار فى الشتاء وتعذر الخروج يكون المبقى أكثر فإن أغنى عن العسل غيره لم يتعين إبقاء العسل ، وقد قيل تشوى دجاجة وتعلق على باب الكوارة لتأكل منها .

(الأمثال) قالوا : أنحل من نحلة ، أخوذ من النحول وهو الهزال ، وقالوا : أهدى من نحلة ، وقالوا : كلام كالعسل وفعل كالأسل وهى الرماح . يضرب فى اختلاف القول والفعل .

(الخواص) العسل حار يابس جيده الشهد ، وهو مدر للبول مسهل يهيج القيء وهو معطش ويستحيل إلى الصفراء يولد دما حارا ، فإن طبخ بالماء ونزعت رغوته ذهبت حدته وقلت حلاوته ونفعه وكثر غذاؤه وإدراره للبول وإطلاقه ، وأجوده الحريفي الصادق الحلاوة والكثير الربيعي المائل إلى الحمرة . ويدفع مضرته التفاح المز ، وكل ما أسرع إليه الفساد من لحم وغيره إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه ، وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين ، والتلطخ به يقتل القمل والصئبان ، ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب ، والمطبوخ منه نافع من السموم . ومن خاصية الشمع أن من استصحبه ، وقيل أكله أورثه الغم لكن لا يصيبه الاحتلام .

(التعبير) النحل في الرؤيا : خصب وغنى لمن قناه مع خطر ، ومن رأى كوارة نحل واستخرج منها عسلا نال مالا حلالا ، فإن أخذ العسل كله ولم يترك للنحل شيئا فإنه يجور على قوم ، فإن ترك للنحل شيئا فإنه يعدل إن كان واليا أو طالب حق ، ومن رأى النحل يقع على رأسه نال ولاية ورياسة ، وإن رأى ذلك ملك نال ملكا وكذلك إذا حل بيده ، والنحل للفلاحين دليل خير ، وأما الجندي وغير الفلاحين فدليل مخاصمة وذلك لصوته ولدغه ، والنحل يدل على العسكر لأنه يتبع أميره كما يتبع العسكر أميره ، ومن قتل في منامه نحلا فهو عدو ، ولا يحمد قتل النحل للفلاح لأنه رزقه ومعاشه ، والنحل يدل على العلماء وأصحاب التصنيف ، وربما دل على الكد والكسب والجباية ، وأما العسل فإنه في المنام مال حلال بلا تعب وهو شفاء من المرض لقوله تعالى — يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس — ومن رأى أنه يطعم الناس العسل فإنه يسمعهم الكلام الحسن والقرآن بلحن طيب ، ومن رأى كأنه يلعق عسلا فإنه يتزوج لقوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة رضي الله عنهما « حتى تذوقي عسليته ويذوق عسيلتك » وأكل العسل عناق حبيب وتقبيله ، وأما الشهد فإنه ميراث من حلال أو مال من شركة . وقال ابن سيرين : الشهد رزق حلال لأن النار لا تمسه ، ومن رأى بين يديه شهدا موضوعا فإن عنده علما عزيزا والناس يريدون سماعه منه ، والشهد إذا كان وحده فهو مال من غنيمة ، فإن كان في وعاء فهو رجل صاحب علم ومال حلال ، وهو للزاهد الغني مال وبر ودين ، ومن رأى كأنه يأكل الشهد وفوقه العسل فإنه ينكح أمة والله تعالى أعلم .

﴿ النحوص ﴾ : بفتح النون وضم الحاء والصاد المهملتين : الأتان الحائل والجمع نحص ونحاص .

﴿ النسر ﴾ : طائر معروف وجمعه في القلة أنسر وفي الكثرة نسور ، وكنيته : أبو الأبرد

وأبو الإصبع وأبو مالك وأبو المنهال وأبو يحيى والأنثى يقال لها أم قعشم ، وسمى نسرا لأنه ينسر الشيء ويبتلعه ، وهو عريف الطير ، ويقول فى صياحه : ابن آدم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك ، كذا قاله الحسن بن على رضى الله عنهما .

قلت : وفى هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر ، يقال إنه من أطول الطير عمرا وإنه يعمر ألف سنة ، وقصة لبد تأتى إن شاء الله تعالى فى الأمثال ، والنسر ذو منسر وليس بذى مخلب وإنما له أظفار حداد كالمخالب ، والبازى والنسر يسفدان كما يسفد الديك ، وزعم قوم أن الأنثى من هذا النوع تبيض من نظر الذكر إليها ، وهى لا تحضن وإنما تبيض فى الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن ، وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ ، وكذلك حاسة شمه فى النهاية لكنه إذا شم الطيب مات لوقته ، وهو أشد الطير طيرانا وأقواها جناحا حتى إنه ليطير ما بين المشرق والمغرب فى يوم واحد ، وإذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت ولم تأكل مادام يأكل منها ، وكل الجوارح تخافه ، وهو شره نهم رغيب إذا وقع على جيفة وامتلأ منها لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة بعد طبقة فى الهواء حتى يدخل تحت الريح وربما صاده الضعيف من الناس فى هذه الحالة ، والأنثى منه تخاف على بيضها وفراخها الخفاش فتفرش فى وكرها ورق الدلب لينفر منه ، وهو من أشد الطير حزنا على فراق إلفه فإذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا وكمدا . ومن غريب ما ألهم أنه إذا حملت أنثاه ذهب إلى الهند فأخذ من هناك حجرا كهيئة الجوزة إذا حرك سمع له حس حجر آخر متحرك كصوت الجرس فإذا جعله عليها أو تحتها أذهب عنها العسر ، وهذا بعينه قاله القزوينى فى العقاب ، وقد تقدم فى باب العين وليس فى سباع الطير أكبر جثة منه ، ويقال للنسر أيضا أبو الطيرة قال الشاعر :

فلا وأبى الطير المربة فى الضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

والنسر سيد الطير . روى اليافعى فى كتاب [نفحات الأزهار ولمحات الأنوار] عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : سمعت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هبط علىّ جبريل فقال : يا محمد إن لكل شيء سيدا فسيد البشر آدم ، وسيد ولد آدم أنت ، وسيد الروم صهيب ، وسيد فارس سليمان ، وسيد الحبش بلال ، وسيد الشجر السدر ، وسيد الطير النسر ، وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الكلام العربية ، وسيد العربية القرآن ، وسيد القرآن سورة البقرة » .

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن عائشة رضى الله تعالى عنها «أن النبى صلى الله قال : يارب أخبرنى بأكرم خلقك عليك ؟ فقال جل وعلا : الذى يشرع إلى هواى إسراع النسر إلى هواه » والحديث يأتى إن شاء الله تعالى بتمامه فى النمر ، وفى شعب الإيمان للبيهقى

عن على بن هرون العبدى قال : سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول : حق الشكر أن لا يعصى الله فيما أنعم ، ومن كان لسانه رطبا بذكر الله تعالى دخل الجنة وهو يضحك ، وقال : إن لله عبادا يأوون إلى ذكر الله كما يأوى النسر إلى وكره. وفى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه وغيرها عن وهب بن منبه قال : إن بختنصر مسخ أسدا فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسرا فكان ملك الطير ، ثم مسخ ثورا فكان ملك الدواب ، وكان مسخه سبع سنين ، وقلبه فى ذلك كله قلب إنسان ، وهو فى ذلك كله يعقل عقل الإنسان ، وكان ملكه قائما ثم رده الله إلى بشريته ورد عليه روحه فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا الله إله السماء ، فقيل لوهب أمات مسلما ، فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء وخرب بيت الله المقدس وأحرق كتبه فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة انتهى .

قال السدى : إن بختنصر لما رجع إلى صورته ورد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه من أكرم الناس عليه فحسدتهم المجوس وقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا ، فجعل لهم طعاما فأكلوا وشربوا وقال للبواب : انظر أول من يخرج للبول فاضربه بالطبرزذ ، فإن قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرنى بقتلك فكان أول من قام للبول بختنصر ، فلما رآه البواب شد عليه فقال : أنا بختنصر ، فقال البواب كذبت بختنصر أمرنى بقتلك ثم ضربه فقتله هكذا قال أصحاب المبتدإ .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن نمروذ الجبار لما حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى ربه قال : إن كان مايقوله إبراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد إلى السماء فأعلم مافيها ، فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور فربيها حتى شبت واتخذ تابوتا فجعل له بابا من أعلاه وبابا من أسفله ، وقعد نمروذ مع رجل فى التابوت ونصب خشبات فى أطراف التابوت وجعل على رءوسها اللحم ، وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى مضى يوم وأبعدت فى الهواء ، فقال نمروذ لصاحبه : افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ؟ ففتح ونظر فقال : إن السماء كهيئتها ، ثم قال له : افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها ؟ ففعل وقال : أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان ، فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران ، فقال لصاحبه : افتح البابين وانظر ففتح الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ، ونودى أيها الطاغية إلى أين تريد . وقال عكرمة : كان معه فى التابوت غلام قد حمل قوسا ونشابا فرمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر فى الهواء وقيل بدم طائر أصابه السهم فقال : كفيت إله السماء . قال : ثم إن النمروذ أمر صاحبه أن

يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل ، فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى — وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال — قرأ ابن مسعود رضى الله عنه إن كاد بالدال المهملة ، وقرأ العامة بالنون ، وقرأ ابن جريج والكسائى لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، وقرأ العامة بكسر اللام الأولى ونصب الثانية : قال الجوهرى : نسر صنم لذى الكلاع بأرض حمير ، وكان يغوث لمذحج ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح عليه السلام قال الله تعالى — ولا يغوث ويعوق ونسرا — انتهى .

وإلى هذا أشار العباس رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى النبى منصرفه من تبوك فقال : يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لايفضض الله فاك » فأنشد العباس رضى الله تعالى عنه يقول :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لابشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

وردت نار الخليل مكتتما ... فى صلبه أنت كيف يحترق

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق

(تتمة) روى الدار قطنى عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بى إلى السماء الدنيا دخلت جنة عدن فوقعت فى يدى تفاحة فلما وضعتها فى يدى انقلبت حوراء عيناء مرضية أشفار عينيها كمقادم النسور ، فقلت لها : لمن أنت ؟ فقالت : للخليفة من بعدك » .

(الحكم) يحرم أكله لاستخباثه وأكله الجيف .

(الأمثال) قالوا : أعمر من نسر ، وقالوا : أتى الأبد على لبد ، وهذا لبد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وكان لقمان بن عاد الأصغر قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله فى كتابه العزيز إلى الحرم يستسقى لهم ومعه رهط من قومه ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية ابن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا وكان مسيرهم شهرا ، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه فقال : هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى ، والله ماأدرى كيف أصنع بهم ، فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه

الجرادتين فقالتا: قل شعرا لايدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال شعرا يؤنبهم فيه ويذكرهم الأمر الذى وفدوا لأجله ، فلما غنتهم الجرادتان شعره قال بعضهم لبعض : إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثدبن سعد وكان قد آمن بهود عليه الصلاة والسلام سرا : إنكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم ، فأظهر إسلامه عند ذلك وقال شعرا يذكر فيه إسلامه ، فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد ، فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له ، فلما انتهى إليهم قام يدعو الله ووفد عاد يدعون فقال : اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شيء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قيل بن عتر رأس وفد عاد ، فقال وفد عاد : اللهم أعط قيلا ماسألك واجعل سؤلنا مع سؤله ، فقال قيل : ياإلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم ناداه مناد من السحاب : ياقيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب ؟ فقال قيل : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحائب ماء ، فناداه مناد: اخترت رمادا رمددا لايبقى من آل عاد أحدا وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا — هذا عارض ممطرنا — يقول الله عز وجل — بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم — الآية ، وكان أول من أبصر مافيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت مافيها صاحت ثم صعقت ، فلما أفاقت قالوا لها : ماذا رأيت؟ قالت : رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا إلا أهلكته ، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة مايصيبه ومن معه من الريح إلا مايلين عليهم ويلذ الأنفس ، وإنها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا عن آخرهم ، فلما هلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع بقرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لايمسها القطر أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف من بعده نسر ، وكان قد سأل الله تعالى طول العمر فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة وهكذا حتى هلك منها ستة فسمى السابع لبدا ، فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان : انهض لبد ، فلما هلك لبد مات لقمان .

وروى أن الله تعالى أمر الريح فهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل ؛ ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وأرسل الله طيرا أسود فنقلتهم

إلى البحر فألقتهم فيه ، ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها . وفى الحديث « إنها خرجت على قدر خرم الخاتم » .

وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن قبر نبى الله هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت فى كثيب أحمر . وقال عبد الرحمن بن سابط : بين الركن والمقام وزمزم أقبر تسعة وتسعين نبيا منهم هود وشعيب وصالح وإسماعيل صلى الله عليهم وسلم ، وقد ذكرت العرب لبدا فى أشعارها كثيرا ، فمن ذلك قول النابغة الذبيانى :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقد تقدم ماقاله الشاعر فى ذكر لبد فى باب اللام .

(الخواص) إذا جعل قلب النسر فى جلد ذئب وعلق على إنسان كان محبوبا مهابا مقضى الحاجة عند السلطان وغيره ولا يضره سبع أبدا ، وإن عسر وضع امرأة فوضع تحتها ريشة من ريشه أسرعت الولادة ، وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وعلق على من يخدم الملوك والسلاطين أمن غضبهم وكان محبوبا عندهم ، وعظم فخذه الأيسر إن علق على من به سحج قديم نفعه وأبرأه ، وعقب ساقه إن علق على من به النقرس أبرأه ، الأيمن للأيمن والأيسر للأيسر ، وإن دخن بريشة من ريشه فى بيت فيه هوام طردها ولم يبق فيه شىء منها ، وكبده إذا شويت واحترقت وشربت نفعت للباه منفعة عظيمة ، وإن أخذ بيضه وضرب بعضه ببعض حتى يختلط ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوى قوة عجيبة ، ومرارته تنفع من الماء النازل فى العين إذا اكتحل بها سبع مرات بماء بارد وطلى بها حول العين ، وإذا علق فكه الأعلى على عنق إنسان فى خرقة لم يقربه شىء من الهوام .

(التعبير) النسر فى المنام : ملك ، فمن رأى نسرا نازعه فإن سلطانا يغضب عليه ويوكل به ظالما لأن سليمان عليه الصلاة والسلام وكل النسر على الطير فكانت تخافه ، ومن ملك نسرا مطاعا أصاب ملكا عظيما ، ومن ملك نسرا فطار به وهو لا يخافه فإنه يعلو أمره ويصير جبارا عنيدا لما تقدم عن النمروذ ، ومن أصاب فرخ نسر ولد له ولد يكون عظيما هاديا فإن رأى ذلك نهارا فإنه يمرض فإن خدشه ذلك الفرخ طال مرضه ، ورؤية النسر المذبوح تدل على موت ملك من الملوك ، ومن رأى النسر من النساء الحوامل فإنها ترى المراضع والدايات . وقالت اليهود : النسر يفسر بالأنبياء والصالحين لأن فى التوراة شبه الصالحين بالنسر الذى يعرف وطنه ويرفرف على فراخه ويزقها . وقال إبراهيم الكرمانى : النسر يعبر بأكبر الملوك لأن الله تعالى خلق ملكا على صورته وهو موكل بأرزاق الطير . وقال جاماسب : من رأى نسرا أو سمع صياحه خاصم إنسانا . وقال ابن المقرى : من ملك نسرا أو تحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على أعدائه وعاش عمرا طويلا ، فإن كان الرائى من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن

الناس واعتزلهم وعاش منفردا لايأوى إلى أحد ، وإن كان ملكا انتصر على أعدائه وربما صالحهم وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال ، وإن كان من عوام الناس نال منزلة تليق به أو مالا وانتصر على أعدائه ، وربما دلت رؤية النسر على البدعة والضلالة عن الهدى نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى — ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا — ورؤية المؤنث منها نساء خواطئ وصغار أولاد زنا وكذلك العقاب ، قال : وربما دلت رؤيتها على الموت لاقتناصها الأرواح وأكلها الميتة والجيفة ، وربما دل النسر على الغيرة على العيال ، والله تعالى أعلم .

﴿ النساف ﴾ : بفتح النون وتشديد السين : طائر له منقار كبير قاله ابن سيده .

﴿ النسناس ﴾ : قال فى المحكم : هو خلق فى صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم ؛ وقال فى الصحاح : هو جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة اه . وقال المسعودى فى مروج الذهب : إنه حيوان كالإنسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالإنسان قتله . وفى كتاب القزوينى قال فى الأشكال : إنه أمة من الأمم لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنه إنسان شق نصفين يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا ويعدو عدوا شديدا منكرا ، ويوجد فى جزائر بحر الصين . وفى المجالسة للدينورى عن ابن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله أنه قال : قال ابن إسحاق : النسناس خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها ، وأهل اليمن يصطادونهم فخرج قوم لصيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحدا منهم فعقروه وتوارى اثنان فى الشجر فذبح الذى عقر ، فقال أحدهم لصاحبه : إنه لسمين ، فقال أحد الاثنين : إنه كان يأكل الضرو ، فأخذوه فذبحوه ، فقال الذى ذبحه : ما أنفع الصمت ، فقال الثالث : فأنا الصميت ، فأخذوه فذبحوه . قال ابن سيده : الضرو البطم وهو شجر الحبة الخضراء كذا يسميه أهل اليمن . وقال الميدانى فى باب الهمزة من الأمثال : قال أبو الدقيس : إن الناس كانوا يأكلون النسناس وهم قوم لكل منهم يد ورجل ونصف رأس ونصف بدن يقال إنهم من نسل إرم بن سام أخى عاد وثمود ، ليست لهم عقول ، يعيشون فى الآجام على ساحل بحر الهند ، والعرب يصطادونهم ويأكلونهم ، وهم يتكلمون بالعربية ويتناسلون ويتسمون بأسماء العرب ويقولون الأشعار . وفى تاريخ صنعاء أن رجلا تاجرا سافر إلى بلادهم فرآهم يثبون على رجل واحدة ويصعدون الشجر ، ويفرون من الكلاب خوفا أن تأخذهم ، وسمع واحدا منهم يقول :

فررت من خوف الشراة شدا إذا لم أجد من الفوار بدا
قد كنت قدما فى زمانى جلدا فها أنا اليوم ضعيف جدا

وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : ذهب الناس وبقى النسناس . قيل : ما النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس . وفى المجالسة للدينورى من كلام الحسن البصرى أنه قال : ذهب الناس وبقى النسناس، لو تكاشفتم ماتدافنتم ، وهو فى الفائق ونهاية ابن الأثير وغريب الهروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وقيل النسناس يأجوج ومأجوج ، وقيل خلق على صورة الناس أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم ، ومنه الحديث « إن حيا من عاد عصوا نبيهم فمسخهم الله نسناسا لكل واحد منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطير ويرعون كما ترعى البهائم » ونونها الأولى مكسورة وقد تفتح .

وروى أحمد فى الزهد عن مطرف بن عبد الله أنه قال : عقول الناس على قدر زمانهم ، وقال : هم الناس والنسناس وأناس غمسوا فى ماء الناس . قال الكريمى : سمعت أبا نعيم يقول كثيرا مايعجبنى قول عائشة رضى الله تعالى عنها :

* ذهب الذين يعاش فى أكنافهم *

لكن أبا نعيم يقول :

ذهب الناس فاستقلوا وصاروا ... خلفا فى أراذل النسناس
فى أناس نعدهم من عديد ... فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغى النيل منهم ... بدرونى قبل السؤال بياس
وبلونى حتى تمنيت أنى ... منهم قد أقلت رأسا براس

(الحكم) قال القاضى أبو الطيب والشيخ أبو حامد : لايحل أكل النسناس لأنه على خلقة الناس ، ولذلك قال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه : وأما هذا الحيوان الذى تسميه العامة بالنسناس فهو نوع من القردة لايعيش فى الماء ، فينبغى تحريم أكله لأنه يشبه القردة فى الخلقة والخلق والذكاء والفطنة ، وأما الحيوان البحرى منه ففى حكمه وحل أكله وجهان : أحدهما يحل كغيره من السمك واختاره الرويانى وغيره . والثانى يحرم كما تقدم وبه قال الشيخ أبو حامد والقاضى أبو الطيب ، وهو عندهما مستثنى مما عدا السمك مما لايعيش إلا فى الماء ، وترتيب الخلاف فيه أنا إذا قلنا بتحريم ماعدا الحوت حرم النسناس ، وإن قلنا بإباحته ففى النسناس وجهان : أحدهما التحريم كالضفدع والسرطان والتمساح ، والثانى الحل كالكلب الماء وإنسانه ، وهذا هو الأقرب إلى نص الشافعى ، ويشهد له قول صاحب المحكم وقول كراع فى البحر المتقدم . والنسناس فيما يقال دابة فى عداد الوحش تصاد وتؤكل ، وهو على شكل الإنسان بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة يتكلم كالإنسان اهـ. فأفاد قوله إنها تصاد وتؤكل أنها مستطابة ، وقد تقدم عن الدينورى عن أبى إسحاق أن النسناس يصاد ويؤكل وقاله الميدانى أيضا كما تقدم .

(التعبير) هو فى الرؤيا : رجل قليل العقل يهلك نفسه ويفعل فعلا يسقطه من أعين الناس ، والله أعلم .

﴿ النسنوس ﴾ : طائر يأوى الجبال له هامة كبيرة .

﴿ النضو ﴾ : بالكسر البعير المهزول والناقة نضوة والجمع فيهما أنضاء ، وقد أنضتها الأسفار فهى منضاة ، وأنضى فلان بعيره أى أهزله ، وقد أحسن الوزير مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن على الطغرائى صاحب لامية العجم وكان من أفراد الدهر وحامل لواء النظم والنثر فى قوله :

يقتلن أنضاء حب لاحراك به ويتحرون كرام الخيل والإبل

وأحسن الشارح لكلامه الشيخ صلاح الدين الصفدى فى ذكره العددين المتحابين هنا وهما المائتان والعشرون فإنه عدد زائد أجزاؤه أكثر منه لأنها إذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان ، والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه لأنها إذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر . بيان ذلك أن العدد التام هو الذى إذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ؛ والعدد الناقص ما إذا جمعت أجزاءها البسيطة الصحيحة كانت أقل منه كالثمانية فإن أجزاءها النصف والربع والثمن وهى سبعة ؛ والعدد الزائد ما إذا جمعت أجزاؤه زادت عليه كالاثنى عشر فمجموع أجزائها ستة عشر وهى تزيد على الأصل ، والمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة ، وربع وهو خمسة وخمسون ، وخمس وهو أربع وأربعون ، وعشر وهو اثنان وعشرون ، ونصف عشر وهو أحد عشر ، وجزء من أحد عشر وهو عشرون ، وجزء من اثنين وعشرين وهو عشرة ، وجزء من أربع وأربعين وهو خمسة ، وجزء من خمسة وخمسين وهو أربعة ، وجزء من مائة وعشرة وهو اثنان ، وجزء من مائتين وعشرين وهو واحد ، وجملة ذلك مائتان وأربعة وثمانون ، والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف وهو مائة واثنان وأربعون ، وربع وهو أحد وسبعون ، وجزء من أحد وسبعين وهو أربعة ، وجزء من مائة واثنين وأربعين وهو اثنان ، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد ، وجملة ذلك من الأجزاء الصحيحة مائتان وعشرون ، فقد ظهر بهذا المثل تحاب العددين ؛ وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة إذا جعل العدد الأقل والعدد الأكثر فى شىء من المأكول وأطعم لمن يريد محبته ويجمع هذين العددين قولك (فردكر) قال الشارح : وكنت بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم رأيت إثباتها فيه ، والله أعلم .

﴿ النعاب ﴾ : فى فتاوى ابن الصلاح أنه اللقق .

(وحكمه) تحريم الأكل على الأصح كما تقدم ، والمعروف أنه الغراب ، يقال نعب الغراب وغيره ينعب نعبا ونعيبا ونعابا وتنعابا ونعبابا إذا صوت ، وقيل إذا مد عنقه وحرك رأسه وصوت . وفى المجالسة للدينورى فى أول الجزء العاشر عن الأخوص بن حكيم قال : كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام : يارازق النعاب فى عشه . قال : وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضا ، فإذا رآها كذلك نفر عنها فيفتح أفواهها فيرسل الله تبارك وتعالى لها ذبابا يدخل فى أجوافها فيكون ذلك غذاء لها حتى تسود ، فإذا اسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله تعالى الذباب عنها ، وكذا ذكره صاحب كتاب المحجة لبيان المحجة وغيره عن مجاهد وغيره ، وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار الوحشى أن الحريرى أشار إلى ذلك فى المقامة الثالثة عشرة بقوله :

يارازق النعاب فى عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقى رحيض

والذى رويناه فى كتاب الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسى ومن أهلى ومن الماء البارد » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود عليه السلام يقول « كان أعبد البشر » قال الترمذى هذا حديث حسن . وروينا فى كتاب [حلية الأولياء] عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال : « قال داود عليه السلام : إلهى كن لابنى سليمان كما كنت لى ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ياداود قل لابنك سليمان يكن لى كما كنت لى حتى أكون له كما كنت لك » وهذا الدعاء الذى رواه الترمذى عن داود عليه السلام روى أيضا نحوه عن نبينا صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال « احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعا فثوّب بالصلاة فصلى وتجوّز فى صلاته ، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما أنتم ، ثم انفتل إلينا فقال : أما إنى سأحدثكم ماحبسنى عنكم الغداة . إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ماقدّر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فإذا أنا بربى تعالى فى أحسن صورة فقال : ياحمد ، فقلت : لبيك ربى . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : رب لا أدرى . قال تعالى : فى الكفارات والدرجات » وفى رواية « قلت : فى الكفارات والدرجات . قال : فما هن ؟ قلت : مشى الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء على المكروهات . قال : ثم فيم ؟

قلت : فى إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . قال : سل ؟ قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها » قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

﴿ النعام ﴾ : معروف ، يذكر ويؤنث وهو اسم جنس مثل حمام وحمامة وجراد وجرادة وتجمع النعامة على نعامات ، ويقال لها أم البيض وأم ثلاثين وجماعتها بنات الهيق والظليم ذكرها . قال الجاحظ : والفرس يسمونها أشتر مرغ ، وتأويله بعير وطائر . قال الشاعر :

ومثل نعامة تدعى بعيرا تعاصينا إذا ماقيل طيرى
فإن قيل احملى قالت فإنى من الطير المرفه فى الوكور

قال : ويقال لقدم البعير خف والجمع خفاف ومنسم والجمع مناسم وكذلك يقال فى النعامة . ويقال لأنثى النعام قلوص كما يقال ذلك فى الإبل وإنما قالوا ذلك لما رأوا فيها من شبه الإبل . قال : وتزعم الأعراب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فلذلك سميت بالظليم انتهى . وكأنهم إنما سموها ظليما لأنهم ظلموها حين قطعوا أذنيها ولم يعطوها ماطلبت وهذا بناء على اعتقادهم الفاسد ، والنعامة صمعاء يقال خرج السهم متصمعا إذا ابتلت قذذه من الدم ويقال أتانا بثريدة متصمعة إذا دققها وحدد رأسها ، وصومعة الراهب منه لأنها دقيقة من أعلى الرأس ، ورجل أصمع القلب إذا كان حديدا ماضيا ، ويقال للرجل أيضا إذا كان قصير الأذنين لاصقتين بالرأس أصمع والمرأة صمعاء ، وبنو أصمع قبيلة من العرب منهم الأصمعى واسمه عبد الملك بن قريب ، وهو صاحب لغة ونحو وشعر ونوادر ، فمن نوادره أنه قال : مررت فى بعض سكك الكوفة فإذا برجل قد خرج من حش على كتفه جرة وهو يقول :

وأكرم نفسى إننى إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له : أتكرمها بمثل هذا ؟ قال : نعم ، وأستغنى عن سفلة مثلك إذا سألته قال صنع الله بك وترك ، فقلت : تراه عرفنى فأسرعت ، فصاح بى ياأصمعى فالتفت فقال :

لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إلى من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار وكل العار فى ذل السؤال

وقال الأصمعى : سألت أعرابية عن ولد لها كنت أعرفه فقالت : مات ، وأنسى المصائب . ثم قالت :

وكنت أخاف الدهر ماكان آمنا فلما تولى مات خوفى من الدهر

وقال : قلت لرجل من الأعراب أعرفه بالكذب : أصدقت قط ؟ فقال : لولا أنى

أصدق فى هذا لقلت لا . وقال الأصمعى للكسائى وهما عندالرشيد مامعنى قول الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال الكسائى : كان محرما بالحج ، فقال الأصمعى : فما أراد عدى بن زيد بقوله :

قتلوا كسرى بليل محرما فمضى فلم يمتع بكفن

فهل كان محرما بالحج وأى إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد للكسائى : ياعلى إذا جاء الشعر فإياك والأصمعى .

وروى أن الرشيد قال للأصمعى : ما أحسن مامر بك من تقويم اللسان . قال : أوصى رجل بعض بنيه فقال : يابنى أصلحوا من ألسنتكم ، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه ولا يجد من يعيره لسانه ، وأنشد فى ذلك :

وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان

كفى بالمرء عيبا أن تراه له وجه وليس له لسان

ويروى عن الأصمعى أنه قال : وجدنى أبو عمرو بن العلاء ماراً فى بعض أزقة البصرة فقال إلىّ : أين ياأصمعى ؟ فقلت : لزيارة بعض إخوانى ، فقال : ياأصمعى إن كان لفائدة أو عائدة وإلا فلا ؛ وقد أنشدنى فى ذلك يوسف الحلبى :

ياأيها الإخوان أوصيكم وصية الوالد والوالده

لاتنقلوا الأقدام إلا إلى من لكم عنده فائده

إما لعلم تستفيدونه أو لكريم عنده مائده

وكان من كلام الأصمعى : خير العلم ماأطفأت به الحريق وأخرجت به الغريق . وكان يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة فيها ماعدد أبياتها المائة والمائتان . ومن عجيب مايحكى قال أبو العيناء : كنا فى جنازة الأصمعى فحدثنى أبو قلابة الشاعر وأنشدنى لنفسه :

لعن الله أعظما حملوها نحو دار البلى على خشبات

أعظما تبغض النبى وأهل البيت والطيبين والطيبات

قال : ثم حدثنى أبو العالية الشاعر وأنشدنى لنفسه أيضا :

لادر در بنات الأرض إذ فجعت بالأصمعى لقد أبقت لنا أسفا

عش مابدالك فى الدنيا فلست ترى فى الناس منه ولا من علمه خلفا

وكانت وفاة الأصمعى فى سنة ست عشرة ومائتين بالبصرة . والنعام عند المتكلمين على طبائع الحيوان ليست بطائر وإن كانت تبيض ولها جناح وريش ، ويجعلون الخفاش طيراً وإن كان يحبل ويلد ، وله أذنان بارزتان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى — وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى — وهم يسمون الدجاجة طيرا وإن

كانت لا تطير ، وظن بعض الناس أن النعامة متولدة من جمل وطائر ، وهذا لا يصح ؛ ومن أعاجيبها أنها تضع بيضها طولا بحيث لو مد عليها خيط لا شتمل على قدر بيضها ولم تجد لشيء منه خروجا عن الآخر ، ثم إنها تعطى كل بيضة منه نصيبها من الحضن إذ كان كل بدنها لا يشتمل على عدد بيضها ، وهى تخرج لعدم الطعم ، فإن وجدت بيض نعامة أخرى تحضنه وتنسى بيضها ، ولعلها أن تصاد فلا ترجع إليه ولهذا توصف بالحمق ، ويضرب بها المثل فى ذلك ؛ قال ابن هرمة :

فإنى وتركى ندى الأكرمين وقدحى بكفى زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

ويقال إنها تقسم بيضها أثلاثا . فمنه ما تحضنه ، ومنه ما تجعل صفاره غذاء ، ومنه ما تفتحه وتجعله فى الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود فتغذى به فراخها إذا خرجت . قال فى الكفاية : يقال عار الظليم إذا صاح والزمار صياح الأنثى . وقال ابن قتيبة : يقال عر يعر للذكر والأنثى زمر زماراً اه ؛ وقد سمى الحريرى فى المقامات النعامة باسم صوتها ؛ فقال : ما تقول فيمن أتلف زمارة فى الحرم ؟ فقال : عليه بدنة من النعم .

روى عن كعب الأحباز قال : لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام جاءه ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال : هذا رزقك ورزق أولادك من بعدك ، قم فاحرث الأرض وابذر الحب ؛ قال : ولم يزل الحب من عهد آدم عليه السلام إلى زمن إدريس عليه السلام كبيضة النعامة ، فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة ، وكان فى زمن العزيز على قدر الحمصة ؛ والنعام من الحيوان الذى يزاوج ويعاقب الذكر الأنثى فى الحضن ، وكل ذى رجلين إذا انكسرت له إحداهما استعان بالأخرى فى نهوضه وحركته ما خلا النعامة فإنها تبقى فى مكانها جاثمة حتى تهلك جوعا ؛ قال الشاعر :

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد على أختها نهضا ولا باستها حبوا

وليس للنعام حاسة السمع ولكن له شم بليغ فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع فربما شم رائحة القناص من بعد ، ولذلك تقول العرب : هو أشم من نعامة كما تقول : هو أشم من ذرة . قال ابن خالويه فى كتابه : ليس فى الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب الماء أبدا إلا النعام ولا مخ له ، ومتى دميت رجل واحدة له ينتفع بالباقية ، والضب أيضا لا يشرب ولكنه يسمع ؛ ومن حمقها أنها إذا أدركها القناص أدخلت رأسها فى كثيب رمل تقدر أنها قد استخفت منه ، وهى قوية الصبر على ترك الماء ، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح وكلما اشتد عصوفها كانت أشد عدوا ، وتبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه كالماء . قال الجاحظ : من زعم أن جوف النعام إنما

يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لا بد مع الحرارة من غرائز أخر بدليل أن القدر يوقد عليها الأيام ولا تذيب الحجارة ، وكما أن جوف الكلب والذئب يذيبان العظم ولا يذيبان نوى التمر ، وكما أن الإبل تأكل الشوك وتقتصر عليه وإن كان شديداً كالسمر وهو شجر أم غيلان وتلقيه روثا وإذا أكلت الشعير ألقته صحيحا اهـ . وإذا رأت النعامة فى أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها وتبتلع الجمر فيكون جوفها هو العامل فى إطفائه ولا يكون الجمر عاملا فى إحراقه : وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التغذى بما لا يتغذى به ، والثانية الاستمراء والهضم ، وهذا غير منكر لأن السمندل يبيض ويفرخ فى النار كما تقدم ، وأما قول الحريرى فى المقامة السادسة : فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فأبو نعامة هو قطرى بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن المازنى الخارجى . خرج زمن مصعب بن الزبير فبقى عشر بن سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان كلما سير إليه الحجاج جيشا يستظهر قطرى عليه . ويروى أن شخصا قال للحجاج : أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنما الأمير قطرى ابن الفجاءة الذى إذا ركب ركب لركوبه عشرون ألفا لا يسألونه أين يريد ، وكان قطرى مقداما لا يهاب الموت ، وفى ذلك يقول مخاطبا لنفسه وهى من أبيات الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لا تراعى
لأنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى ... وداعية لأهل الأرض داعى
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

وهذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله ، ثم توجه إلى قطرى سفيان بن الأبرد الكلبى فظهر على قطرى وقتله ، ولا عقب لقطرى ، وإنما قيل لأبيه الفجاءة لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمى بها كذا قاله ابن خلكان وغيره .

(الحكم) يحل أكل النعام بالإجماع لأنه من الطيبات ، ولأن الصحابة رضى الله عنهم قضوا فيه إذا قتله المحرم أو فى الحرم ببدنة . روى ذلك عن عثمان وعلى وابن عباس وزيد بن ثابت ومعاوية رضى الله عنهم . رواه الشافعى والبيهقى . ثم قال الشافعى : هذا غير ثابت عند أهل العلم بالحديث وهو قول الأكثر ممن لقيت ، وإنما قلنا فى النعامة بدنة بالقياس لا بهذا . واختلفوا فى بيض النعام إذا أتلفه المحرم أو فى الحرم . فقال عمر وابن مسعود والشعبى والنخعى والزهرى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى : تجب فيه القيمة . وقال أبو عبيدة وأبو موسى الأشعرى : يجب فيه صيام يوم أو إطعام مسكين .

وقال مالك: يجب فيه عشر ثمن البدنة كما فى جنين الحرة غرة من عبد أو أمة قيمة عشر دية الأم دليلنا أنه جزء من الصيد لامثل له من النعم فوجبت قيمته كسائر المتلفات التى لامثل لها ، وأما حديث أبى المهزم الذى رواه ابن ماجه والدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى بيض النعامة يصيبه المحرم ثمنه» فهو ضعيف باتفاق المحدثين وبالغوا فى تضعيفه حتى قال شعبة أعطوه فلسا يحدثكم سبعين حديثا ، وقد تقدم ذكر المهزم فى الجراد أيضا ، لكن فى مراسيل أبى داود من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم حكم فى بيض النعام فى كل بيضة صيام يوم ثم قال أبو داود أسند هذا الحديث والصحيح إرساله ، واستدل له فى المهذب بأنه خارج من الصيد يخلق منه مثله فضمن بالجزاء كالفرخ ، فإن كسر بيضا لم يحل له أكله بلا خلاف . وفى تحريمه على الحلال طريقان أصحهما أنه لا يحرم لأنه لا روح فيه ولا يحتاج إلى ذكاة ، فإن كسر بيضا مذرا لم يضمنه من غير النعامة لأنه لا قيمة له ويضمنه من النعامة لأن لقشره قيمة ، وقال الشافعى : أكره لمن يعلم من نفسه فى الحرب بلاء أن يعلم ، والمراد بالإعلام أن يجعل فى صدره ريش نعام كما فعله حمزة رضى الله تعالى عنه يوم بدر فإنه غرز ريش النعام فى صدره . وفى كتاب مناقب الشافعى للحاكم أبى عبد الله بإسناده عن محمد بن إسحق عن المزنى قال : سئل الشافعى عن نعامة ابتلعت جوهرة لرجل آخر ؟ فقال : لست آمره بشىء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيساعدا على النعامة فذبحها واستخرج جوهرته ثم ضمن لصاحب النعامة ما بين قيمتها حية ومذبوحة .

(الأمثال) قالوا : * مثل النعامة لا طير ولا جمل *

يضرب لمن لم يحكم له بخير ولا شر ، وقالوا : أروى من النعامة لأنها لا تشرب الماء فإن رأته شربته عبثا ، وقالوا : ركب جناح نعامة ، يضرب لمن جد فى أمر كانهزام أو غيره ، وقد تقدم فى باب السين قول الشماخ فى أبياته التى رثى بها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين رضى الله عنهن بالمحصب فسمعت رجلا على راحلة قد رفع عقيرته فقال :

جزى الله خيراً من إمام وباركت ... يد الله فى ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق فى أكمامها لم تفتق

فلم يدر ذلك الراكب من هو وكنا نتحدث بأنه من الجن ، فرجع عمر رضى الله عنه من تلك الحجة فطعن فمات . وقالوا : تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعامة إذا تكلم بكلمتين مختلفتين لأن الأروى يسكن الجبال والنعامة تسكن الفيافى فلا يجتمعان ، وقالوا : أحمق من نعامة وأجبن من نعامة ، وذلك أنها إذا خافت شيئا لا ترجع إليه بعد ذلك أبدا .

(الخواص) مرارته سم ساعة ، ومخ عظامه يورث آكله السل ، وذرقه إذا أحرق وسحق وطلى به على السعفة أبرأها من وقته ، وقشر بيض النعام إذا طرح فى الخل بعد ما يخرج جميع ما فيه تحرك فى الخل وزال من موضعه إلى موضع آخر ، وإذا عمل من الحديد الذى يأكله النعام ويخرج منه سكين أو سيف لم يكل أبدا ولم يقم له شىء .

(التعبير) النعامة فى المنام امرأة بدوية ، وقيل النعامة نعمة ، فمن ركب نعامة فى منامه فإنه يركب خيل البريد ، وقيل من ركب نعامة فإنه ينكح خصيا ، والنعامة تدل على الأصم لأنها لا تسمع ، وقيل تدل على النعى لأنه مشتق من اسمها ، وربما دلت على النعمة والنعامات على نعمتين والثلاث نعامات على نعى الرائى وموته للاشتقاق ، والله أعلم .

﴿ النعثل ﴾ : كجعفر الذكر من الضباع ، وكان أعداء عثمان رضى الله تعالى عنه يسمونه نعثلا .

﴿ النعجة ﴾ : الأنثى من الضأن والجمع نعاج ونعجات . قال الشاعر :

من كان ذا بت فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست سود نعاج من نعاج الدست

والدست : الصحراء . وكنيتها : أم الأموال وأم فروة ، وتطلق على الأنثى من الظباء والبقر الوحشية . روى أحمد بن صالح السهمى عن ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : «مرت بالنبى صلى الله عليه وسلم نعجة فقال : هذه التى بورك فيها وفى خروفها» لكنه حديث منكر جدا وربما كنى بالنعجة عن المرأة قال الله تعالى — إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة — قرأ الحسن نعجة بكسر النون ؛ قال فى التمهيد : سئل المبرد عن قول الله تعالى — إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة — وهم الملائكة والملائكة لا أزواج لهم ، فقال : نحن طول الزمان نفعل مثل هذا ، نقول : ضرب زيد عمرا وإنما هذا تقدير كأن المعنى إذا وقع هكذا فكيف الحكم فيه ، ومثله قول عدى بن زيد للنعمان : أتدرى ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ فقال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حال بعد حال

وقال آخر :

شكا إلى جملى طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال الزمخشرى : فإن قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه «ولى نعجة أنثى ؟» قلت : يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ، والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الأنوثة وفتورها ،

وذلك أصلح وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال ، وقوله :

* تمشى رويدا وتكاد تنعسف *

وفى مسند أبى محمد الدارمى فى باب سخاء النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبى بكر عن رجل من العرب قال « زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفحنى نفحة بسوط كان فى يده وقال بسم الله أوجعتنى . قال : فبت لنفسى لائما أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبت بليلة كما يعلم الله ، فلما أصبحنا إذا برجل يقول : أين فلان ؟ قال : فقلت والله هذا الذى كان منى بالأمس . قال : فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها » .

(الأمثال) قالوا : أعجل من نعجة إلى حوض وأحمق من نعجة على حوض ، لأنها إذا رأت الماء أكبت عليه تشرب فلا تنثنى عنه إلا أن تزجر أو تطرد .

(الخواص) قرن النعجة إذا أخذ وقرئ عليه ثلاث مرات — يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا — ووضع تحت رأس امرأة نائمة من غير أن تعلم وسئلت عن شىء أخبرت به ولا تكاد تكتم شيئا مما تعلم ، ومرارتها إذا أحرقت وخلطت بزيت وطلى بها الحواجب كثرت شعرها وسودته ، ولبن النعاج إذا كتب به على قرطاس فلا تظهر عليه فإذا طرح فى الماء ظهرت عليه كتابة بيضاء ، وإن تحملت امرأة بصوف نعجة قطعت الحبل وقد تقدم .

(التعبير) النعجة فى المنام : امرأة شريفة غنية إذا كانت سمينة لأنه قد كنى عن النساء بالنعاج كما تقدم ، ومن أكل لحم نعجة ورث امرأة ، وصوفها ولبنها مال ، ومن رأى نعجة دخلت منزله نال خصبا فى تلك السنة ، والنعجة الحامل خصب ومال يرتجى ، ومن صارت نعجته كبشا فإن زوجته لا تحمل أبدا وقس على هذا فى جميع الإناث ، والنعاج الكثيرة نساء صالحات ، وربما دلت رؤيتهن على الهموم والأفكار وفقد الأزواج وزوال المنصب لقوله تعالى — إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة — الآية .

﴿ النعبول ﴾ : بضم النون طائر ، قاله ابن دريد وغيره .

﴿ النعرة ﴾ : مثال الهمزة ذباب ضخم أزرق العين له إبرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة ، سميت نعرة بضم النون وفتح العين المهملة لنعيرها وهو صوتها . قال ابن مقبل :

ترى النعرات الخضر حول لبانه آحاد ومثنى أضعفتها صواهله

وربما دخلت فى أذن الحمار فركب رأسه ولا يرده شىء، تقول منه نعر الحمار بالكسر ينعر نعرا فهو نعر .

(الحكم) يحرم أكله .

(الأمثال) قالوا : فلان فى أنفه أو أذنه نعرة ، يضرب للجامح الذى لايستقر على شىء .

﴿النعم﴾ : عند اللغويين الإبل والشاة يذكر ويؤنث قال الله تعالى — نسقيكم مما فى بطونها — وقال تعالى فى موضع آخر — مما فى بطونه — والجمع أنعام وجمع الجمع أناعيم، وعند الفقهاء النعم يشمل الإبل والبقر والغنم : وقال ابن الأعرابى : النعم الإبل خاصة والأنعام الإبل والبقر والغنم .

وحكى القشيرى فى تفسير قوله تعالى — أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون — أنها الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير — فهم لها مالكون — أى ضابطون مطيعون كما قال الشاعر :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

أى لا أضبطه وقوله تعالى — والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام — قال ثعلب : معناه لايذكرون الله على طعامهم ولا يسمون كما أن الأنعام لاتفعل ذلك :

روى الشيخان وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إنه إذا اهتدى به رجل واحد لايعلم العلم كان ذلك خيرا له من حمر النعم ، وهى خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدى به كل يوم طوائف من الناس :

والنعم كثيرة الفائدة سهلة الانقياد ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع ، ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحا شديدا كأنياب السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها ، وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش ، وخلقها ذلولا تقاد بالأيدى كما قال تعالى — وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون — وجعل الله تعالى قرنها سلاحا لتأمن به من الأعداء ، ولما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن جعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى :

(فائدة) جعل الله تعالى الأنعام رفقا بالعباد ونعمة عدّدها عليهم ومنفعة بالغة قال الله تعالى — وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون —

فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع ويذهبون نعمة الله فيها ويزيلون المنفعة والمصلحة التى للعباد فيها بفعلهم الخبيث قال الله تعالى — ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام — فلفظ جعل فى الآية لايتجه أن يكون بمعنى خلق لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها ، ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثانى ، وإنما هو بمعنى ماسن ولا شرع ولذلك تعدت إلى مفعول واحد .

والبحيرة هى الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها أى شقوها وحرّموا ركوبها والحمل عليها ولم يجزوا وبرها وتركوها تأكل حيث شاءت لاتطرد عن ماء ولا كلإ ، ثم نظروا إلى خامس ولدها ، فإن كان ذكرا نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أى شقوها وتركوها وحرموا على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فإذا ماتت حلت للرجال والنساء ، وقيل كانت الناقة إذا تابعت اثنتى عشرة أتانا سيبت فلم تركب ظهورها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى بحر أذنها أى شق ثم خلى سبيلها مع أمها فى الإبل فلم تركب ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة بنت السائبة ، والبحر : الشق . قيل : ومنه سمى البحر بحرا لشقه الأرض ، والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة .

والسائبة : الناقة التى سيبت ، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية إذا مرض أو غاب قريبه نذر فقال : إن شفانى الله أو شفى مريضى أو أو رد غائبى فناقتى هذه سائبة ثم يسيبها كالبحيرة فلا تحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبها أحد . وقال علقمة : هى العبد يسيب أى لاولاء عليه ولا عقل ولا ميراث ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما الولاء لمن أعتق » وقال سعيد بن المسيب : السائبة الناقة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها شىء ، والبحيرة : الناقة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، وقيل السائبة الناقة إذا ولدت اثنتى عشرة أنثى سيبت ، والسائبة فاعلة بمعنى مفعولة كقوله : — ماء دافق — أى مدفوق ، و — عيشة راضية — أى مرضية .

روى محمد بن إسحق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكثم بن الجون الخزاعى رضى الله تعالى عنه « يا أكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا بك منه ، ولقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار بريح قصبه . قال أكثم : أيضرنى شبهه يارسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر » وعمرو بن لحى هو أول من غير دين إسمعيل عليه الصلاة والسلام ، ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحام .

والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت ثلاثة بطون أو خمسة وقيل سبعة ، فإن كان

آخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وأكل منه الرجال والنساء ، وإن كانت عناقا استحيوها ، فإن كان جديا وعناقا استحيوا الذكر من أجل الأنثى وقالوا : هذه العناق وصلت أخاها فلم يذبحوه ، وكان لبن الأنثى حراما على النساء فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا .

والحامى هو الفحل من الإبل إذا لقح من صلبه عشرة أبطن ، وقيل إذا ضرب عشر سنين ، وقيل إذا ولد من ولد ولده ، وقيل إذا ركب من ولد ولده . قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء ولا تمنع من كلإ ولا ماء فإذا مات أكله الرجال والنساء ، فأعلم الله تعالى أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئا بقوله عز وجل — ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام — وإنما هذه كلها من أفعال الجاهلية التى نهى الله عنها .

﴿ النغر ﴾ : بضم النون وفتح الغين المعجمة . قال الجوهرى : إنه طير كالعصافير حمر المناقير والجمع نغران كصرد وصردان . قال الخطابى : أنشدنى أبو عمرو فقال :

يحملن أوعية السلاح كأنما يحملنـــه بأكارع النغران

ومؤنثه نغرة كهمزة ، وأهل المدينة يسمونه البلبل .

وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، وكان لى أخ لأمى فطيم يقال له عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا قال : يا أبا عمير ما فعل النغير » وعمير تصغير عمر أو عمرو ، والفطيم بمعنى المفطوم قال شيخ الإسلام النووى رحمه الله تعالى : فى الحديث فوائد كثيرة منها جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الطفل وأنه ليس كذبا ، وفى الحديث « بادروا بكنى أولادكم لا تسبق إليها ألقاب السوء » وفيه جواز المزاح فيما ليس بإثم وجواز تصغير بعض المسميات وجواز التسجيع فى الكلام الحسن بلا كلفة وملاطفة الصبيان وتأنيسهم ، وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وزيادة أهل الفضل لأن أم سليم والدة أبى عمير وأنس رضى الله تعالى عنهما هى من محارمه صلى الله عليه وسلم ، واستدل به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدينة ولا دلالة فيه لذلك لأنه ليس فى الحديث أنه من حرم المدينة بل نقول إنه صيد من الحل وأدخل الحرم ، ويجوز للحلال أن يفعل ذلك ولا يجوز له أن يصيد من الحرم فيفرق بين ابتداء صيده وبين استصحاب إمساكه ، وقد صحت أحاديث كثيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تحريم صيد حرم المدينة فلا يجوز تركها بمثل هذا الاحتمال ومعارضتها به ، وفى الحديث أيضا دليل على جواز لعب الصغير بالطير الصغير . قال العلامة أبو العباس القرطبى : لكن الذى أجاز العلماء أن يمسك له وأن يلهو بحبسه ، وأما تعذيبه والعبث به فلا يجوز لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تعذيب الحيوان إلا لمأكله . وقال

غيره : معنى قوله يلعب به يتلهى بحبسه وإمساكه ، وفيه دليل على جواز حبس الطير فى القفص والتلهى به لهذا الغرض وغيره ، ومنع ابن عقيل الحنبلى من ذلك وجعله سفها وتعذيبا لقول أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه : تجىء العصافير يوم القيامة تتعلق بالعبد الذى كان يحبسها فى القفص عن طلب أرزاقها وتقول : يارب هذا عذبنى فى الدنيا . والجواب : أن هذا فيمن منعها المأكول والمشروب . وقد سئل القفال عن ذلك فقال : إذا كفاها المؤنة جاز بل فى الحديث دليل على جواز قنصها للعب الصبيان بها ، وكان بعض الصحابة يكره ذلك ورأيت لأبى العباس أحمد بن القفاص مصنفا حسنا على هذا الحديث ، وذكر فيه أن أبا حنيفة سمع صوت امرأة يضربها بعلها وهى تصيح فقال : صدقة مقبولة وحسنة مكتوبة ، فقال له رجل من أصحابه : كيف ذاك يا أستاذ ؟ فقال : لقوله صلى الله عليه وسلم « أدب الجاهل صدقة عليه » وأنا أعرفها جاهلة .

(وحكمه) حل الأكل لأنه من جنس العصافير .

﴿ النغض ﴾ : بكسر النون وفتحها الظليم سمى بذلك لأنه يحرك رأسه قال الله تعالى — فسينغضون إليك رؤوسهم — أى يحركونها استهزاء . قال الشاعر :

أنغض نحوى رأسه وأقنعا كأنه يطلب شيئا أنفعا

﴿ النغف ﴾ : بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة قاله الأصمعى ، وقال أبو عبيدة : هو أيضا الدود الأبيض يكون فى النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف ، وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحرث فى بطون الأرض .

روى مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه فى حديثه الذى رواه فى الدجال « ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة » قوله فرسى ، معناه قتلى الواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها .

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات فى باب ما ذكر فيه الكف عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما أنه قال « لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام نفضه نفض المزود فخرج منه مثل النغف فقبض قبضتين فقال جل وعلا لما فى اليمين هذه إلى الجنة ولا أبالى ، ولما فى الأخرى هذه إلى النار ولا أبالى » ثم قال هذا موقوف ، وروى بعده بأسطر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « إن أخذ الميثاق على بنى آدم كان بأرض عرفات » .

﴿ النفار ﴾ : بالفاء كجفار العصفور سمى بذلك لنفوره .

﴿ النقاز ﴾ : بالقاف والزاى طائر من صغار العصافير كأنه مشتق من النقز وهو الوثب .

﴿ النقاقة ﴾ : الضفدع والنقيق صوتها . وقالوا : أعطش من النقاقة ، وذلك أنها إذا فارقت الماء ماتت .

﴿ النقد ﴾ بفتح النون والقاف صغار الغنم واحدتها نقدة وجمعها نقاد . وقال الجوهرى : النقد بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين الواحدة نقدة .

(الأمثال) قالوا : أذل من النقد . قال الأصمعى : أجود الصوف صوف النقد . قال الكذاب الحرمازى :

ففيم باشرتم محتدا لو كنتم شاء لكنتم نقدا
أو كنتم قولا لكنتم فندا أو كنتم ماء لكنتم زبدا
أو كنتم صوفا لكنتم قردا

﴿ النكل ﴾ : الفرس القوى المجرب ، وفى الحديث « إن الله تعالى يحب النكل على النكل » بالتحريك يعنى الرجل القوى المجرب على الفرس القوى المجرب ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر « إن الله يحب الرجل القوى المبدئ المعيد على الفرس القوى المبدى المعيد » وقد تقدم ذكر هذا الحديث فى باب الفاء فى الفرس .

﴿ النمر ﴾ : بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها كنظائره : ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه وهو منقط الجلد نقطا سودا وبيضا : وهو أخبث من الأسد لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أن يقتل نفسه ، والجمع أنمار وأنمر ونمور ونمار ، والأنثى نمرة وكنيته أبو الأبرد وأبو الأسود وأبو جعدة وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهل وأبو عمرو وأبو المرسال ، والأنثى أم الأبرد وأم رقاش . قال الأصمعى : يقال تنمر فلان أى تنكر وتغير لأن النمر لا تلقاه أبدا إلا متنكرا غضبان . قال عمرو بن معد يكرب :

قوم إذا لبسوا الحديـ ـد تنمروا حلقا وقد

يريد تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد ، ومزاج النمر كمزاج السبع ، وهو صنفان صنف عظيم الخلقة صغير الذنب وبالعكس ، وكله ذو قهر وقوة وسطوات صادقة ووثبات شديدة ، وهو أعدى عدو للحيوانات لا تروعه سطوة أحد ، وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ، ورائحة فيـه طيبة بخلاف السبع ، وإذا مرض وأكل الفأر زال مرضه .

وذكر الجاحظ : أن النمر يحب شرب الخمر ، فإذا وضع له فى مكان شربه حتى يسكر فعند ذلك يصاد .

وزعم قوم أن النمرة لا تضع ولدها إلا مطوقا بحية وهى تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل ، ومنزلته من السباع فى الرتبة الثانية من الأسد وهو ضعيف الحزم شديد الحرص يقظان الحراك وفى طبعه عداوة الأسد والظفر بينهما سجال ، وهو نهوش خطوف بعيد الوثبة فربما وثب أربعين ذراعا صعودا ومتى لم يصعد لم يأكل شيئا ولا يأكل من صيد غيره وينزه نفسه عن أكل الجيف .

روى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه السلام قال : يا رب أخبرنى بأكرم خلقك عليك ؟ فقال : الذى يشرع إلى هواى إسراع النسر إلى هواه ، والذى يألف عبادى الصالحين كما يألف الصبى الناس ، والذى يغضب إذا انتهكت محارمى كغضب النمر لنفسه » فإن النمر إذا غضب لا يبالى أقل الناس أم كثروا وفى إسناده محمد بن عبد الله بن بحيى بن عروة وهو متروك ، وقد تقدم فى النسر الإشارة إلى بعضه .

(الحكم) يحرم أكله لأنه سبع ضار .

روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر » وفى رواية « رقعة » قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى الفتاوى : جلد النمر نجس كله قبل الدباغ سواء كان مذكى أم لا فيمتنع استعماله امتناع نجس العين ، ومعنى هذا أنه يحرم استعماله قطعا فيما يجب فيه مجانبة النجاسة من صلاة وغيرها ، وهل يحرم على الإطلاق ؟ فيه وجهان : وأما بعد الدباغ فنفس الجلد طاهر والشعر الذى عليه نجس تبعا لأصله ولأجل أنه غالب ما يستعمل منه ، ورد الحديث بالنهى عنه مطلقا ، وفى حديث آخر « لا تركبوا النمور » وفى حديث آخر « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع أن تفترش » ولاشك أن النمر من السباع فهذه الأحاديث قوية معتمدة والتأويل المتطرق إليها غير قوى ، وإذا وجد الموفق مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا المضطرب فهو ضالته ومستروحه لا يرى عنه معدلا .

(الأمثال) قالوا : شمر واتزر والبس جلد النمر ، يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد ، وقالوا : لبس فلان لفلان جلد النمر يضرب فى العداوة وكشفها .

(الخواص) إذا دفن رأسه فى موضع اجتمع فيه من الفأر شىء كثير ، ومرارته يكتحل بها تزيد فى ضوء البصر وتمنع نزول الماء فى العين وهى سم قاتل إن سقى منها أحد دانقا لا يتخلص منها إلا أن يشاء الله تعالى ، ودماغه إذا أنتن لا يشم أحد من الناس رائحته إلا مات

هكذا حكاه أرسطاطاليس فى كتاب طبائع الحيوان، وقيل إن النمر يهرب من جمجمة الإنسان وشعره إذا بخر به البيت هربت العقارب منه، وشحمه إذا أذيب وجعل فى الجراحات العتيقة نظفها وأبرأها، ولحمه من أكل منه خمسة دراهم لايضره سم الحيات والأفاعى. وقال القزوينى: إن جميع أجزائه تفعل فعل السم القاتل وخاصة مرارته وهذا هو الصواب، وقصيبه يطبخ ويشرب من مرقته ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة، وجلده إذا أدمن الجلوس عليه بلا حائل صاحب البواسير نفعه ومن حمل معه شيئا من جلده يصير مهابا عند الناس، ويده وبرائنه إذا دفنت فى موضع لايعيش فيه فأر، وإذا نهش النمر إنسانا طلبه الفأر ليبول عليه فإن فعل ذلك مات، وينبغى أن يحترس من ذلك ويصان قاله صاحب عين الخواص وقال بعضهم: من مسح جلده بشحم الضبع ودخل على النمر فر النمر منه.

(التعبير) النمر فى المنام: سلطان جائر أو عدو مجاهر شديد الشوكة فمن قتله قتل عدوا بهذه الصفة، ومن أكل من لحمه نال مالا وشرفا، ومن ركبه نال سلطانا عظيما فإن رأى النمر ركبه ناله ضرر من سلطان أو عدو، ومن نكح نمرة تسلط على امرأة من قوم ظلمة، ومن رأى نمرا فى داره هجم على داره رجل فاسق، ومن رأى أنه صاد نمرا أو فهدا نال منفعة بقدر ضرر غضبه. وقال أرطاميدورس: النمر يدل على رجل ويدل على امرأة وذلك بسبب تغير لونه، وهو ذو مكر وخديعة وربما دل على مرض ووجع العينين، ولبنه عداوة تضر شاربه، والله تعالى أعلم.

﴿النمس﴾: بنون مشددة مكسورة وبالسين المهملة فى آخره: دويبة عريضة كأنها قطعة قديد تكون بأرض مصر يتخذها الناظر إذا اشتد خوفه من الثعابين لأن هذه الدويبة تقتل الثعبان وتأكله قاله الجوهرى وقاله قوم: وهو حيوان قصير اليدين والرجلين وفى ذنبه طول يصيد الفأر والحيات ويأكلها. وقال المفضل بن سلمة: هو الظربان. وقال الجاحظ يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس تنقبض وتنطوى إلى أن تصير كالفأر فإذا انطوى عليها الثعبان زفرت وانتفخت فيتقطع الثعبان. وقال ابن قتيبة النمس ابن عرس وتسميته نمسا يحتمل أن يكون مأخوذا من قولهم نمس بالكلام أى أخفاه ونمس الصائد إذا اختفى فى الدريئة، ولأنه لما كان يتماوت وتسكن أطرافه حتى تعضه الحية فيأكلها أشبه الصائد فى اختفائه فى الدريئة.

(وحكمه) تحريم الأكل لاستخباثه، والرافعى فى كتاب الحج قال: إن النمس أنواع وبهذا يجمع بين هذه الأقوال المتباينة.

(الخواص) إذا بخر برج الحمام بذنب النمس هرب الحمام منه، ومرارته تداف ببياض البيض ويضمد بها العين فتلقط الحرارة وتقطع الدمعة، ودمه يسعط منه المجنون وزن قيراط

مع لبن امرأة ويبخر به يفيق ، وذكره يطبخ ويشرب من مرقته من كان به تقطير البول ووجع المثانة يبرئه ، وعينه اليمنى إذا علقت فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع أبرأته وإن علقت عليه اليسرى عادت إليه ، ودماغه إذا هرس بماء الفجل ودهن ورد ودهن به إنسان به جرب ومرض مكانه من وقته وحله أن يسحق خرؤه بدهن الزئبق ويطلى به ، وخرؤه إن غرق فى ماء وسقى منه إنسان خاف الليل والنهار ويرى كأن الشياطين فى طلبه .

(التعبير) النمس فى الرؤيا : يدل على الزنا لأنه يسرق الدجاج ، والجماعة منه فى التعبير نساء فمن نازع نمسا أو رآه فى منزله فإنه ينازع إنسانا زانيا ، والله أعلم .

﴿ النمل ﴾ : معروف الواحدة نملة والجمع نمال وأرض نملة ذات نمل وطعام منمول إذا أصابه النمل ، والنملة بالضم النميمة يقال رجل نمل أى نمام وماأحسن قول الأول :

اقنع بما تلقى بلا بلغة فليس ينسى ربنا النمله
إن أقبل الدهر فقم قائما وإن تولى مدبرا نم له

وكنيته أبو مشغول والنملة أم نوبة وأم مازن ، وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها ، والنمل لايتزاوج ولا يتناكح إنما يسقط منه شىء حقير فى الأرض فينمو حتى يصير بيضا حتى يتكون منه ، والبيض كله بالضاء المعجمة الساقطة إلا بيض النمل فإنه بالظاء المشالة ، والنمل عظيم الحيلة فى طلب الرزق فإذا وجد شيئا أنذر الباقين ليأتوا إليه ويقال إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ، ومن طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل مالإنه إذا احتكر مايخاف إنباته قسمه نصفين ماخلا الكسفرة فإنه يقسمها أرباعا لما ألهم من أن كل نصف منها ينبت ، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره وأكثر مايفعل ذلك ليلا فى ضوء القمر ، ويقال إن حياته ليست من قبل مايأكله ولا قوامه وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين ، وإنما قوته إذا قطع الحب فى استنشاق ريحه فقط وذلك يكفيه ، وقد تقدم فى العقعق والفأر عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس شىء يحتكر لقوته إلا الإنسان والعقعق والنمل والفأر وبه جزم فى الإحياء فى كتاب التوكل ، وعن بعضهم أن البلبل يحتكر الطعام ، ويقال إن للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها ، والنمل شديد الشم ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته فإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير لأنها تصيدها فى حال طيرانها ، وقد أشار إلى ذلك أبو العتاهية بقوله :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وكان الرشيد كثيرا ماينشد ذلك عند نكبة البرامكة ، وقد تقدمت الإشارة إليها فى باب العين المهملة فى لفظ العقاب ، وهو يحفر قريته بقوائمه وهى ست فإذا حفرها جعل فيها تعاريج

لئلا يجرى إليها ماء المطر ، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك وإنما يفعل ذلك خوفا على مايدخره من البلل .

قال البيهقى فى الشعب : وكان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار . وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الوحش عن الفتح بن سخرب الزاهد أنه كان يفت الخبز لهن فى كل يوم ، فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله ، وليس فى الحيوان مايحمل ضعف بدنه مرارا غيره على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف لحمل نوى التمر وهو لا ينتفع به وإنما يحمله على حمله الحرص والشره ويجمع غذاء سنين لو عاش ولا يكون عمره أكثر من سنة ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء ، ومنه مايسمى الذر الفارسى وهو من النمل بمنزلة الزنابير من النحل ؛ ومنه أيضاً مايسمى بنمل الأسد سمى بذلك لأن مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل .

(فائدة) فى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة » قال عبد الله النرمذى فى نوادر الأصول : لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرىء بغير البرىء . وقال القرطبى : هذا النبى هو موسى بن عمران عليه السلام وإنه قال يارب : تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع ، فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم ، فلما وجد لذة النوم لدغته نملة فدلكهن بقدمه فأهلكن وأحرق مسكنهن ، فأراه الله تعالى الآية فى ذلك عبرة لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعقوبتها يريد تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابا على العاصى ، وعلى هذا ليس فى الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر فى قتل النمل فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ، ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن ، وقد أبيح لك دفعه عنك بضرب أو قتل على ماله من المقدار فكيف بالهوام والدواب التى قد سخرت للمؤمن وسلط عليها وسلطت عليه فإذا آذته أبيح له قتلها ، وقوله فهلا نملة واحدة دليل على أن الذى يؤذى يقتل وكل قتل كان لنفع أو دفع ضر فلا يأس به عند العلماء ، ولم يخص تلك النملة التى لدغته من غيرها لأنه ليس المراد القصاص لأنه لو أراده لقال فهلا نملتك التى لدغتك ، ولكن قال فهلا نملة فكأن نملة تعم البرىء والجانى ، وذلك ليعلم أنه أراد تنبيهه لمسئلة ربه تعالى فى عذاب أهل قرية فيهم المطيع والعاصى ،

وقد قيل إن فى شرع هذا النبى عليه السلام كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جائزة فلذلك إنما عاتبه الله تعالى فى إحراق الكثير لا فى أصل الإحراق ، ألا ترى قوله فهلا نملة واحدة وهو بخلاف شرعنا فإن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تعذيب الحيوان بالنار . قال : ولا يعذب بالنار إلا الله تعالى فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالاحراق فلوارثه الاقتصاص بالإحراق للجانى . وأما قتل النمل فمذهبنا لا يجوز لحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد » رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين ، والمراد النمل الكبير السليمانى كما قاله الخطابى والبغوى فى شرح السنة . وأما النمل الصغير المسمى بالذر فقتله جائز . وكره مالك رحمه الله قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل ، وأطلق ابن زيد جواز قتل النمل إذا آذت ، وقيل إنما عاتب الله هذا النبى عليه السلام لانتقامه لنفسه بإهلاك جمع آذاه واحد منهم وكان الأولى به الصبر والصفح ، لكن وقع للنبى عليه السلام أن هذا النوع مؤذ لبنى آدم وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان ، فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم إليه التشفى الطبيعى لم يعاتب فعوتب على التشفى بذلك ، والله أعلم .

روى الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر دبيب النمل على الصفا فى الليلة المظلمة من مسيرة عشرة فراسخ » .

وروى الترمذى الحكيم فى نوادره عن معقل بن يسار قال : قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم ، يقولها ثلاث مرات » .

وروى أيضا عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال « ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير » . قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وسمعت أبا عثمان الحسين بن حريث الخزاعى يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : عالم عامل معلم يدعى كبيرا فى ملكوت السموات .

وروى أن النملة التى خاطبت سليمان عليه الصلاة والسلام أهدت إليه نبقة فوضعتها فى كفه وقالت :

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره لقصر عنه البحر حين يسائله
ولكننا نهدى إلى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقال سليمان عليه السلام : بارك الله فيكم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله توكلا على الله تعالى .

روى أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له فقال : يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها ، وما أنا عند الله بأحقر من نملة ، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان ، فقال له المأمون : صدقت ، ووقف له وسمع له وقضى حاجته .

ومن شعر الإمام تاج الدين اليمنى فى منزل فيه نمل قوله :

مالى أرى منزل المولى الأديب به نملا تجمع فى أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزلنا فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

(فائدة أخرى) قال الإمام العلامة فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى : — حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم — الآية ، وادى النمل بالشأم كثير النمل ، فإن قيل : لم أتى بعلى ؟ قلت : لوجهين : أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء . الثانى أنه يراد به قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشىء إذا بلغ آخره ، فتكلمت النملة بذلك وهذا غير مستبعد فإن حصول العلم والنطق لها ممكن فى نفسه والله سبحانه قادر على كل الممكنات .

(وحكى) عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال : سلوا عما شئتم ؟ وكان أبو حنيفة حاضرا وهو يومئذ غلام حدث ، فقال : سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى ؟ فسألوه فأفحم ، فقال أبو حنيفة : كانت أنثى ، فقيل له كيف عرفت ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى — قالت — ولو كانت ذكراً لقال قال نملة لأن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى . قال : ورأيت فى بعض الكتب أن تلك النملة إنما أمرت رعيتها بالدخول فى مساكنها لئلا ترى النعم التى أوتيها سليمان وجنوده فتقع فى كفران نعمة الله عليها ، وفى هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة . يروى أن سليمان قال لها : لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم؟ أخفت علينا منى ظلما ؟ قالت : لا ، ولكنى خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى .

قال الثعلبي وغيره : إنها كانت مثل الذئب فى العظم وكانت عرجاء ذات جناحين ؛ وذكر عن مقاتل أن سليمان عليه السلام سمع كلامها من ثلاثة أميال . وقال بعض أهل التذكير : إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع : قولها «يا» نادت «أيها» نبهت ، «النمل» سمت ، «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نعتت ، «لايحطمنكم» حذرت «سليمان» خصت «وجنوده» عمت «وهم» أشارت «لايشعرون» اعتذرت ، والمشهور أنه النمل الصغار ، واختلف فى اسمها فقيل كان اسمها طاخية وقيل كان اسمها حرمى . قيل كان نمل الوادى كالذئاب ، وقيل كالبخاتى .

قال السهيلى فى [التعريف والأعلام] : ولا أدرى كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمى بعضه بعضا ، ولا الآدمى يمكنه تسمية واحدة منها باسم علم لأنه لا يتميز للآدميين بعضه من بعض ، ولاهم أيضا واقعون تحت ملك بنى آدم كالخيل والكلاب ونحوهما لأن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب . فإن قلت : إن العلمية موجودة فى الأجناس كثعالة وأسامة وجعار فى الضبع ونحو هذا كثير ؟ فالجواب : أن هذا ليس من أمر النمل لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل ، وثعالة ونحوه غير مختص بواحد من الجنس بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة ، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك . فإن صح ما قالوا وله وجه فهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم فى التوراة أو فى الزبور أو فى بعض الصحف أو سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به جميع الأنبياء قبل سليمان أو بعده ، وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها ، ومعنى قولنا وإيمانها أنها قالت للنمل — وهم لايشعرون — أو هو التفاتة مؤمن أى أن سليمان عليه السلام من عدله وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها وهم لا يشعرون . وقد قيل إنما كان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم بقوله — ضاحكا — إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ، ألا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ وتبسم تبسم الضحك ، وتبسم الضحك إنما هو من سرور ولا يسرنى من أمر دنيا وإنما يسر بما كان من أمر الدين ، فقولها — وهم لا يشعرون — إشارة إلى الدين والعدل اه .

(فائدة أخرى) روى أبو داود والحاكم وصححه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للشفاء بنت عبد الله « علمى حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » .

وفى صحيح مسلم « أن النبى صلى الله عليه وسلم أرخص فى الرقية من النملة » والنملة قروح تخرج فى الجنب من البدن ورقيتها شىء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ، وهو أن يقال العروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شىء تفتعل غير أن لاتعصى الرجل ، أراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المقال تأنيب حفصة لأنه ألقى إليها سرا فأفشته فكان هذا من لغو الكلام ومزاحه كقوله صلى الله عليه وسلم للعجوز « لا تدخل الجنة عجوز » .

ورأيت فى بعض الكتب بخط بعض الأئمة الحفاظ : أن رقية النملة أن يصوم راقيها ثلاثة أيام متوالية ثم يرقيها بكرة كل يوم من الثلاثة عند طلوع الشمس ، فيقول : افسطرى وانبرجى فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ويكون فى أصبعه زيت طيب يمسح به عليها ، ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم .

روى الدارقطنى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقتلوا النملة فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول : اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن فضلك ، اللهم لاتؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً وتطعمنا به ثمرا ، فقال سليمان لقومه : ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم » .

(فوائد) قال الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنا أبى قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبو عبد الله الكواز قال : حدثتنى حبيبة مولاة الأحنف بن قيس أن الأحنف بن قيس رآها تقتل نملة فقال : لا تقتليها ، ثم دعا بكرسى فجلس عليه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إنى أخرج عليكن إلا خرجتن من دارى فاخرجن فإنى أكره أن تقتلن فى دارى . قال : فخرجن فما رؤى فيه منهن بعد ذلك اليوم واحدة . قال عبد الله الإمام أحمد : رأيت أبى فعل ذلك حرج على النمل ، وأكثر علمى أنه جلس على كرسى كان يجلس عليه لوضوء الصلاة ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك نمل كبار سود فلم أرهن بعد ذلك .

ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أن يكتب فى إناء نظيف هذه الأسماء وتغسل بماء وترش فى بيت النمل فإنه يذهب ولا يطلع وهو : الحمد لله باهيا شراهيا سأريكم باهيا شراهيا . ورأيت أيضا فى بعض المصنفات أن يكتب على أربع شقف نيئات وتجعل فى أربع أركان المكان الذى فيه النمل فإن النمل يرحل وربما مات وهو : — وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا — لا تسكنوا فى منزلنا فتفسدوا و — الله لا يصلح عمل المفسدين — ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا — فماتوا كذلك يموت النمل من هذا المكان ويذهب بقدرة الله .

ومما جرب أيضا فوجدناه نافعا أن يكتب على لوح ماعز ويوضع على قرية النمل فإنه يرحل وهو : ق و ل ه ا ل ح ق و ل ه ا ل م ل ك الله الله — ومالنا أن لانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون — قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون — أهياشراهيا أدونائى آل شدائى

ارحل أيها النمل من هذا المكان بحق هذه الأسماء وبألف لا حول ولاقوة إلى بالله العلى العظيم ف ق ج م خ م ت .

ومن المجربات أيضا أنك إذا كان لك حلواء أو عسل أو سكر أوما هو شبيه بذلك وكان فى إناء ومررت بيديك على شفته وقلت : هذا الوكيل القاضى أو هذا الرسول القاضى أوهذا الغلام القاضى فإن النمل لا يقربه ، وقد فعل ذلك مرارا وشوهد فلا يصل الذر إليه .

(الحكم) يكره أكل ماحملته النمل بفيها وقوائمها لما روى الحافظ أبو نعيم فى الطب النبوى عن صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يؤكل ما حملت النمل بفيها وقوائمها » ويحرم أكل النمل لورود النهى عن قتله وقد تقدم. ونقل الرافعى فى البيع وجها عن أبى الحسن العبادى أنه يجوز بيع النمل بعسكر مكرم لأنه يعالج به السكر ، وبنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة ، وعسكر مكرم : قرية من قرى الأهواز ، والسكر بفتح السين والكاف ، ومراده بالعقارب الطيارة : الجراد.

(الأمثال) قالوا : ما عسى أن يبلغ عض النمل ، يضرب لمن لايبالى بوعيده . وقالوا : أحرص من نملة ، وأروى من نملة لأنها تكون فى الفلوات فلا تشرب ماء . وقالوا : أضعف وأكثر وأقوى من النمل .

(وحكى) أن رجلا قال لبعض الملوك : جعل الله قوتك مثل قوة النمل فأنكر عليه ، فقال : ليس من الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة ، وقد أهلك الله بالنمل أمة من الأمم وهى جرهم .

وفى سيرة ابن هشام فى غزوة حنين عن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه أنه قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل النجاد الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا هو نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة ولم تكن إلا هزيمة القوم .

(الخواص) بيظ النمل وهو بالظاء المشالة كما تقدم إذا أخذ وسحق وطلى به موضع منع إنبات الشعر فيه ، وإذا نثر بيظه بين قوم تفرقوا شذر مذر ، ومن سقى منه وزن درهم لم يملك أسفله بل يغلبه الحبق أى الضراط ، وإن سدت قريته بأخشاء البقر لم يفتكها بل يهرب من مكانه وكذلك يفعل روث القط ، وإذا سد جحر النمل بحجر المغناطيس مات ، وإذا دقت الكراويا وجعلت فى حجر النمل منعتهن الخروج وكذلك الكمون ، وإذا صب ماء السذاب فى قرية النمل قتله ، وإذا رش به بيت هربت البراغيث منه وكذلك يفعل ماء السماق فى البراغيث ، وإذا قطر شىء من القطران فى قرية النمل متن ، والكبريت إذا دق ونثر فى قريتها هلكت ، وإن علقت خرقة امرأة حائض حول شىء لم يقربه النمل ، وإذا أخذت سبع نملات طوال وتركتها فى قارورة مملوءة بدهن الزئبق وسدت رأسها ودفنتها

فى زبل يوما وليلة ثم أخرجتها وصفيت الدهن عنها ثم مسحت به الإحليل و ما فوقه هيج الباه وأكثر العمل وقوى الإنعاظ مجرب .

(التعبير) النمل فى الرؤيا يعبر بناس ضعفاء أصحاب حرص ، والنمل يعبر أيضا بالجند والأهل ويعبر بالحيات ، فمن رأى النمل دخل قرية أو مدينة فإنه جند يدخلها ، ومن سمع كلام النمل نال خصبا وخيرا ، ومن رأى النمل دخل منزله ومعه أحمال ثقيلة فإن الخصب والخير يدخل داره ، ومن رأى النمل على فراشه كثرت أولاده ، ومن رأى النمل خرج من داره نقص عدد أهله ، ومن رأى النمل يطير من مكان وفيه مريض فإن المريض يهلك أو يسافر من ذلك المكان قوم ويلقون شدة ، والنمل يدل على خصب ورزق لأنه لايكون إلا فى مكان فيه الرزق ، وإذا رأى المريض كأن النمل يدب على جسده فإنه يموت لأن النمل حيوان أرضى بارد . وقال جاماسب : من رأى النمل يخرج من مكان ناله هم والله تعالى أعلم .

﴿ النهار ﴾ : ولد الحبارى . قالت العرب : أحمق من نهار . وقال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب : وقد اختلف اللغويون فى النهار ، فقال قوم هو فرخ القطاة ، وقال قوم إنه ذكر اليوم والأنثى صيف ، وقيل إنه ذكر الحبارى والأنثى ليل ، وقيل إنه فرخ الحبارى قال الشاعر :

ونهار رأيت منتصف الليـ ـل وليل رأيت وسط النهار اهـ

وهذا القول هو الصواب ، والله أعلم .

﴿ النهاس ﴾ : بتشديد النون وبالسين فى آخره : الأسد .

﴿ النهس ﴾ : طائر يشبه الصرد إلا أنه غير ملمع يديم تحريك ذنبه ويصيد العصافير وجمعه نهسان كصرد وصردان . وقال ابن سيده : النهس ضرب من الصرد وسمى بذلك لأنه ينهس اللحم ، والنهس أصله أكل اللحم بطرف الأسنان ، والنهش بالشين المعجمة أكله بجميعها ، والطير إذا أكل اللحم إنما يأكله بطرف منقاره فذلك سمى نهسا .

وفى مسند أحمد ومعجم الطبرانى أن زيد بن ثابت قال : رأيت شرحبيل بن سعد وقد صاد نهسا بالأسواق فأخذه من يده وأرسله . والأسواق : اسم موضع بحرم المدينة الذى حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكره فى الدبسى . وإنما أرسله لأن صيد المدينة حرام كمكة .

(الحكم) قال الشافعى : النهس حرام كالسباع التى تنهس اللحم .

﴿ النهام ﴾ : بضم النون طائر ، قاله السهيلى فى إسلام عمر رضى الله تعالى عنه ، وقال الجوهرى : هو ضرب من الطير .

﴿ النهسر ﴾ : كجعفر الذئب ، وقيل ولد الأرنب ، وقيل الضبع .

﴿ النهشل ﴾ : الذئب والصقر أيضا ، وقد تقدم كل منهما فى بابه .

﴿ النواج ﴾ : طائر كالقمرى وحاله حاله إلا أنه أحر منه مزاجا وأدمث صوتا ، ولقد كاد أن يكون للأطيار الدمثة الشجية الأصوات ملكا وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجاها صوتا وأطيبها نغما وجميعها تهوى استماع صوته وهو يطرب لغناء نفسه .

﴿ النوب ﴾ : بضم النون النحل لا واحد له من لفظه ، وقيل واحدها نائب . قال أبو عبيدة سميت نوبا لأنها تضرب إلى السواد . وقال أبو عبيد : سميت به لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها : قال أبو ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عواسل

أى لم يخف ولم يبال فاستعمل الرجاء بمعنى الخوف ، ومنه قوله تعالى — مالكم لا ترجون لله وقارا — أى لا تخافون عظمة الله ، وقوله تعالى — وقال الذين لا يرجون لقاءنا — الآية ، أى لا يخافون . قال ابن عطية : والذى يظهر لى أن الرجاء فى الآية وفى البيت على بابه لأن خوف لقاء الله مقترن أيضا برجائه ، فإذا نفى سبحانه الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه بأن يكذب بالبعث لنفى الخوف والرجاء انتهى .

﴿ النورس ﴾ : طير الماء الأبيض وهو زمج الماء ، وقد تقدم فى باب الزاى .

﴿ النوص ﴾ : بفتح النون الحمار الوحشى .

﴿ النون ﴾ : الحوت وجمعه نينان وأنوان كما قالوا حوت وحيتان وأحوات ، وقد تقدم فى أول الكتاب فى باب الباء الموحدة فى لفظ بالام ما رواه مسلم والنسائى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم سأله بعض اليهود عن تحفة أهل الجنة ؟ فقال : زيادة كبد الحوت » وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول : سبحان من يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات . وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال « أول شىء خلقه الله القلم فقال له اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : القدر ، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى يوم الساعة . قال : وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء فتفتقت منه السموات ، ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه فالأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض » .

وقال كعب الأحبار : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها فوسوس إليه وقال : أتدرى ما على ظهرك يالوتياء من الأمم والدواب والشجر والجبال وغير ذلك

فلو نفضتهم فألقيتهم عن ظهرك أجمع لاسترحت ، فهم لوتياء أن يفعل ذلك ، فبعث الله إليه دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن الله لها فخرجت ؛ قال كعب : فوالذى نفسى بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه ، إنهم بشىء من ذلك عادت إليه كما كانت . وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : اسم الحوت يهموت . قال الراجز :

مالى أراكم كلكم سكوتا والله ربى خالق يهموتا

وفى مسند الدارمى عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم تلا هذه الآية — إنما يخشى الله من عباده العلماء — ثم قال إن الله وملائكته وأهل سمواته وأرضه والنون فى البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير »

وفى شعب البيهقى عن خولة بنت قيس امرأة حمزة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة فى الجنة ، ولا غريم يلوى غريمه وهو قادر إلا كتب الله عليه فى كل يوم إثما » .

وروى أبو بكر البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وينبت له بكل خطوة شجرة فى الجنة وذنب يغفر » .

وروى الدينورى فى المجالسة فى أول الجزء السادس عن الأوزاعى رحمه الله أنه قال : كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج إلى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة عن الخروج ، فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت به بغلته فى الأرض فلم يبق منها إلا أذناها وذنبها .

وفيها أيضا فى أول الجزء العشرين عن زيد بن أسلم قال : جلس إلى رجل قد ذهبت يمينه من عضده فجعل يبكى ويقول : من رآنى فلا يظلمن أحدا ، فقلت له : ما حالك ؟ قال : بينا أنا أسير على شط البحر إذ مررت بنبطى قد اصطاد سبعة أنوان فقلت : أعطنى نونا فأبى فأخذت منه نونا وهو كاره فانقلب إلى النون وهو حى فعض إبهامى عضة يسيرة فلم أجد لها ألما فانطلقت به إلى أهلى فصنعوه وأكلنا فوقعت الأكلة فى إبهامى ، فاتفق الأطباء على أن أقطعها فقطعتها ثم عالجتها حتى قلت قد برئت ، فوقعت الأكلة فى كفى ثم فى ساعدى ثم فى عضدى فمن رآنى فلا يظلمن أحدا .

وذو النون لقب نبى الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام لأنه ابتلعه الحوت — فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين — .

روى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص المجاب الدعوة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « إنى لأعلمكم كلمة ما قالها مكروب إلا فرج الله كربه عنه ،

ولا دعا بها عبد مسلم إلا استجيب له ، دعوة أخى يونس : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

وجمعت الظلمات لشدة تكاثفها عليه فإنها ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ، وقيل ظلمة حوت التقم الحوت الأول .

واختلفوا فى مدة مكثه فى بطنه فقيل سبع ساعات ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل سبعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوما . وقال السهيلى : أقام فى بطنه أربعين يوما يتردد به فى ماء الدجلة . ونقل الإمام أحمد فى كتاب الزهد أن رجلا قال للشعبى : مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما ، فقال الشعبى : ما مكث إلا أقل من يوم التقمه ضحى فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغروب تثاءب الحوت فرأى يونس ضوء الشمس فقال — لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين — قال : فنبذه وصار كأنه فرخ ، فقال رجل للشعبى : أتنكر قدرة الله ؟ قال : ما أنكر قدرة الله ولو أراد الله تعالى أن يجعل فى بطنه سوقا لفعل .

وروى البزار باسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لما أراد الله تعالى حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن لا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما ، فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه فى البحر ، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت : إن هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : ربنا إننا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة ، فقال تعالى : ذاك عبدى يونس حبسته فى بطن الحوت فى بطن البحر ، فقالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال عز وجل : نعم ، فشفعوا له عند ذلك فأمر الله تعالى الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى — فنبذناه بالعراء وهو سقيم — »وروى أن الحوت مشى به فى البحار كلها حتى ألقاه فى نصيبين من ناحية الموصل فنبذه الله تعالى فى عراء وهى الأرض الفيحاء التى لا شجر فيها ولا معلم ، وهو سقيم كالطفل المنفوس مضغة لحم إلا أنه لم ينقص من خلقه شىء فأنعشه الله فى ظل اليقطينة بلبن أروية تغاذيه وتراوحه ، وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة فيجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته .

والحكمة فى إنبات الله اليقطينة عليه أن من خاصية اليقطين أن لا يقربه الذباب ، ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضا ، فأقام عليه الصلاة والسلام تحتها إلى أن صح جسده لأن ورق القرع أنفع شىء لمن يسلخ جلده عن جسده كيونس عليه السلام .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يوما نائما فأيبس الله تعالى تلك اليقطينة ، وقيل

أرسل الله تعالى عليها الأرضة فقطعت عروقها فانتبه يونس عليه السلام فوجد حر الشمس قد غز عليه شأنها وجزع فأوحى الله تعالى إليه : يا يونس جزعت ليبس يقطينة ولم تجزع لهلاك مائة ألف أو يزيدون تابوا فتيب عليهم ، وما أحسن قول الجوهرى صاحب الصحاح :

فها أنا يونس فى بطن حوت ... بنيسابور فى ظل الغمام
فبيتى والفؤاد ويوم دجن ... ظلام فى ظلام فى ظلام

وقول الآخر :

مغيث أيوب والكافى لذى النون ... يثيلنى فرجا بالكاف والنون

وقول الآخر فى المعنى :

ربما عالج القوافى رجال ... فى القوافى فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين ... وعصتهم نون ونون ونون

قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب : معنى قوله : عين وعين وعين يعنى به نحو يد وغدود لأنها عينات مطاوعات فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لأن وزن يدفع ووزن غدفع ووزن ودفع ، وقوله : وعصتهم نون ونون ونون الحوت يسمى نونا والدة تسمى نونا والنون الذى هو الحرف وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر .

(فائدة) روى الدينورى فى المجالسة وأبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن أبى العباس محمد ابن إسحق السراج قال : حدثنا هشيم عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كتب صاحب الروم إلى معاوية رضى الله تعالى عنه يسأله عن أفضل الكلام ما هو ؟ وعن الثانى والثالث والرابع والخامس ؟ وكتب إليه يسأله عن أكرم الخلق على الله ؟ وعن أكرم الإماء على الله ؟ وعن أربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا فى رحم ؟ ويسأله عن قبر مشى بصاحبه ؟ وعن الحجرة وعن القوس ؟ وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع عليه قبل ذلك ولم تطلع عليه بعده ؟ فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أخزاه الله تعالى وما علمى بما هاهنا ؟ فقيل له : اكتب إلى ابن عباس ، فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه ابن عباس رضى الله عنهما : إن أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الإخلاص لا يقبل عمل إلا بها ، والتى تليها سبحان الله وبحمده صلاة الخلق ، والتى تليها الحمد لله كلمة الشكر ، والتى تليها الله أكبر ، والخامس لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأما أكرم الخلق على الله عز وجل فآدم عليه السلام خلقه الله بيده وعلمه الأسماء كلها . وأما أكرم إمائه عليه فهى مريم التى أحصنت فرجها فنفخ فيه من روحه . وأما الأربعة الذين لم يرتكضوا فى الرحم فآدم وحواء وناقة صالح والكبش الذى فدى به إسمعيل عليه الصلاة والسلام ، وقيل عصا موسى عليه

الصلاة والسلام حين ألقاها فصارت ثعبانا مبينا . وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو الحوت حين التقم يونس . وأما المجرة فباب السماء : وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق بعد قوم نوح . وأما المكان الذى طلعت عليه الشمس ولم تطلع عليه قبله ولا بعده فهو المكان الذى انفلق فى البحر لبنى إسرائيل . فلما قدم عليه الكتاب أرسل به إلى صاحب الروم فقال : لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم ، وما أصاب هذا إلا رجل من بيت النبوة .

باب الهاء

﴿ الهالع ﴾ : النعام السريع مضيه والأنثى هالعة .

﴿ الهامة ﴾ : بتخفيف الميم على المشهور طير الليل وهو الصدى والجمع هام وهامات . قال ذو الرمة :

قد أعسف النازح المجهول معسفه ... فى ظل أخضر يدعو هامة البوم

وقد تقدم أن الذكر من البوم يختص باسم الصدى والصيدح ، وتقدم أن هذه الأسماء تقع على طير الليل بطريق الاشتراك ، وتسمية هذه الطيور بالصدى والصودا لما تعتقد الأعراب من كونه عطشان لا يزال يقول اسقونى ، والصدى العطش والصادى العطشان ، ويقال رجل صديان وامرأة صديا ، والصدى أيضا صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه من حجر ونحوه ، والعرب تقول أصم الله صداه إذا دعوا على شخص بالخرس ، والمعنى لاجعل الله له صدى يرجع إليه بصوته ، وقد تقدم ذلك ، ويقع الصدى أيضا على الدماغ لكونه متصورا بصورة الصدى ولهذا سمى الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى لأن الصدى لما كان كبير الرأس واسع العين وفيه شبه برأس ابن آدم سموا الرأس هامة باسمه ، والهامة هو الصدى وتسميته بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذى لأجله سمى صدى وهو العطش ويجوز أن يراعى الاشتقاق على أن يكون قد اشتق من الهيام بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى ، ومنه قوله تعالى — فشاربون شرب الهيم — وهو جمع أهيم كأحمر ، والهيم الإبل التى أصابها الهيام يقال جمل أهيم وناقة هيماء وإبل هيم . قال الشاعر :

بى اليأس وداء الهيام أصابنى ... فإياك عنى لا يكن بك مابيا

وقال لبيد :

أجزت على معارفها بشعب ... وأطلاح عن المهرى هيم

وقيل الهيم الأرض السهلة ذات الرمل ، ويحتمل أنه إنما سمى هامة باسم رأسه تشبيها بهامة الإنسان وهى رأسه ، قال الشاعر :

ونضرب بالسيوف رءوس قوم أزلنا هامهن عن الصـــدور

وعلى هذا يكون التجوز حاصلا من الجانبين ، وهذا قد وجد فى كلام بعضهم الإيماء إليه ، وسمى بعضهم الهامة بالمصاص لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها ، وإنما سموا بعض هذه الطيور بومة لأنها تصيح بهذا الحرف ، وبعضها يصيح بقاف وواو وقاف فيسمونها قوقة وأم قويق ، وكل هذا من جنس الهوام .

روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا صفر ولا هامة » وفيه تأويلان : أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهى هذا الطائر المعروف من طير الليل كما تقدم ، وقيل هو البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم قالوا : نعت إليه نفسه أو بعض أهله ، وهذا تفسير الإمام مالك بن أنس رحمه الله . والثانى أن العرب كانت تعتقد أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول اسقونى اسقونى من دم قاتلى فإذا أخذ بثأره طارت . قال لبيد :

فليس الناس بعدك فى نفير وما هم غير أصداء وهام

وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت ، وقيل روحه تصير هامة ويسمونها الصدى وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ، ويجوز أن يكون المراد النوعين ، وأنه عليه الصلاة والسلام نهى عنهما جميعاً .

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : كنت عند كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شىء قرأته فى كتب الأنبياء عليهم السلام ؟ إن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقالت : السلام عليك يا نبى الله ، فقال : وعليك السلام يا هامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع ؟ قالت : يانبى الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه ، قال : فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : يا نبى الله لأنه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا أشربه . قال لها سليمان : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله فأنا أسكن ميراث الله قال الله تعالى — وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين — فالدنيا ميراث الله كلها . قال سليمان : فما تقولين إذا جلست فوق خربة ؟ قالت : أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها ؟ قال سليمان : فما صياحك فى الدور إذا مررت عليها ؟ قالت : أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد ؟ قال سليمان عليه السلام : فما لك لا تخرجين بالنهار ؟ قالت : من كثرة ظلم بنى آدم لأنفسهم . قال : فأخبرينى ما تقولين فى صياحك ؟ قالت : أقول تزودوا ياغافلين وتهيئوا لسفركم سبحان خالق النور . فقال سليمان عليه السلام : ليس فى الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة ، وما فى قلوب الجهال أبغض منها .

(فرع) فى فتاوى قاضى خان : إذا صاحت الهامة فقال أحد : يموت رجل ، فقال بعضهم : يكون ذلك كفراً إنما يقال هذا على جهة التفاؤل انتهى ، وهو قريب مما تقدم فى العقعق .

والهوام : حشرات الأرض ، وروى ابن حبان وأبو داود الطيالسى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن هذه الهوام من الجن فإذا رأى أحدكم فى بيته شيئا منها فليحرج عليه ثلاث مرات » قال فى النهاية : هو أن يقول لها : أنت فى حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل .

وروى البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين يقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن عين لامة ، ثم يقول صلى الله عليه وسلم كان أبوكما إبراهيم عليه السلام يعوّذ بها إسمعيل وإسحق عليهما الصلاة والسلام » قال الخطابى : الهامة إحدى الهوام ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما . فإن قيل : فى هذا الحديث دليل على أن للهامة حقيقة ؟ فالجواب : أن الهامة هنا بالتشديد وتلك بالتخفيف كما تقدم ، والمراد هنا هوام الأرض من الحيات والعقارب ونحوهما كما قاله الخطابى ، أو المراد كل ما يهم بالأذى ، وهو اسم فاعل من هم يهم فهو هامة كأنه صلى الله عليه وسلم قال أعيذكما من شر كل نسمة هامة بالأذى ، وقوله عليه الصلاة والسلام « ومن كل عين لامة » معناه ذات لمم . قال الخطابى : وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يستدل بقوله « بكلمات الله التامة » على أن القرآن غير مخلوق ، ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق ، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام هو غير مخلوق ، وهو كلام الله تعالى .

وفى الصحيحين وغيرهما عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال « فىّ أنزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادنه ، فدنوت ثم قال : ادنه ، فدنوت ثم قال : ادنه ، فدنوت فقال صلى الله عليه وسلم : أيؤذيك هوامك ؟ قال ابن عوف : أظنه قال نعم ، فأمرنى بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ما تيسر » .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون وبها تعطف الوحوش على أولادها ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة » وسيأتى هذا فى باب الواو فى لفظ الوحش إن شاء الله تعالى .

وفى الإحياء فى فضل الجمعة: يقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول: سلام سلام يوم صالح. وهو كذلك فى قوت القلوب أيضاً.

وفى كتاب فردوس الحكمة: آية فى كتاب الله من قرأها يأمن من الهوام — إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم — وقد تقدم نظير هذا فى باب الباء الموحدة فى البراغيث من رواية ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل: أن عامل أفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول — وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا — الآية.

وفى كتاب النصائح: أن بعض السياحين كان مقداما على كل هول يخافه المسافرون غير متحفظ من الهوام والسباع، فتعجب منه قوم وخوفوه الغرور بنفسه، فقال: إنى على بصيرة من أمرى وذلك أنى سافرت تاجرا مع رفقة فكان سراق الأعراب يطوفون بنا كل ليلة وكنت أشد أصحابى ذكراً وأطولهم سهرا، وكنت قد اكتريت مع رجل من الأعراب أعرفه بالصلاح والدين، فلما رآنى على هذه الحالة قال: صل على محمد صلى الله عليه وسلم مائة مرة ونم آمنا، ففعلت ذلك ونمت فإذا رجل يوقظنى فارتعت وقلت: من أنت؟ فقال: اصطنعنى واستنبنى. قلت: مالك؟ قال: هذه يدى قد احتبسها متاعك، وإذا هو قد شق عدلا كنت نائما عليه وأدخل يده لاستخراج الثياب منه فلم يستطع إخراج يده، فأيقظت المكارى وأخبرته وسألته أن يدعوله فقال: أنت أولى بالدعاء فإنه من أجلك أصيب، فدعوت وأمن فأطلق عن الرجل فلا أنسى اسوداد يده من اختناق الدم فيها.

وفيه أيضاً: أنه صلوات الله وسلامه عليه قال «من صلى علىّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة، قيل يا رسول الله كيف نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم».

وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما أتى إلى غار ثور مع النبى صلى الله عليه وسلم سبق إلى دخوله فانبطح فيه وألقى نفسه، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم «لم فعلت هذا؟ قال: لأن هذه الغيران يكون فيها الهوام المؤذية فأحببت إن كان فيها شىء أن أقيك بنفسى. وقيل كان عليه رضى الله تعالى عنه برد ثمين فمزقه وحشا الأجحرة فبقى جحران فسدهما بعقبيه».

(والهامة) فى الرؤيا: امرأة قوادة أو زانية.

(وحكمها) تحريم الأكل.

﴿ الهبع ﴾ : الفصيل الذى نتج فى آخر النتاج يقال ماله هبع ولا ربع ، والأنثى هبعة والجمع هبعات .

﴿ الهبلع ﴾ : الكلب السلوقى قاله ابن سيده ، وقد تقدم ما فى الكلب فى باب الكاف .

﴿ الهجاة ﴾ : الضفدع قاله ابن سيده أيضا ، والمعروف الهاجة .

﴿ الهجرس ﴾ : ولد الثعلب والجمع هجارس ، وقيل هو ولد الدب ، وقال أبو زيد : هو القرد ، وفى الحديث أن عيينة بن حصن الفزارى مد رجله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه : يا عين الهجرس أتمد رجلك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى [الاستيعاب] فى ترجمة أسيد بن حضير قال « جاء عامر بن الطفيل وأربد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من ثمر المدينة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر بن الطفيل : لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنى شر عامر بن الطفيل » فأخذ أسيد بن حضير الرمح وجعل يقرع رؤوسهما ويقول : اخرجا أيها الهجرسان ، فقال عامر : من أنت ؟ قال : أنا أسيد بن حضير ، فقال أبوك خير منك ، فقال : بل أنا خير منك ومن أبى مات أبى وكافر هو ، فقيل للأصمعى ما الهجرس ؟ قال : الثعلب ، فلما رجع عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا ببعض الطريق أرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته وأحرقت بعيره ، وبعث الله على عامر الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة سلولية من بنى سلول ، فجعل يقول : يابنى عامر أغدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية . وذكر سيبويه قول عامر غدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية فى باب ما ينصب على إضمار الفعل المتروك كأنه قال اغد غدة . قلت : ومن الأوهام أن المستغفرى ذكر فى كتابه معرفة الصحابة عامر بن الطفيل وقال : إنه أسلم وسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمه كلمات يعيش بهن فقال صلى الله عليه وسلم « يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحى من الله حق الحياء ، وإذا أسأت فأحسن فإن الحسنات يذهبن السيئات » انتهى .

والصواب أن عامر بن الطفيل لم يؤمن بالله طرفة عين ولم يختلف أحد من أهل النقل فى ذلك ، وأما أربد المذكور فهو أخو لبيد الشاعر الذى عاش فى الإسلام ستين سنة لم يقل فيها شعرا ، سأله عمر رضى الله تعالى عنه عن تركه الشعر فقال : ماكنت لأقول شعرا بعد أن علمنى الله البقرة وآل عمران ، فزاد عمر فى عطائه خمسمائة درهم من أجل هـذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فلما كان زمن معاوية أراد أن ينقصه فقال له : ما بال العلاوة

فوق الفودين ؟فقال له لبيد رضى الله تعالى عنه: آن أن أموت ويصير لك العلاوة والفودان، فرق له معاوية وتركها له . ومات لبيد بعد ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل إنه قال فى الإسلام بيتا واحدا هو :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا

وقيل قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

﴿ الأمثال ﴾ قالوا : أسفد من هجرس وأغلم وأزنى .

﴿ الهجرع ﴾ : الكلب السلوقى الخفيف قاله ابن سيده .

﴿ الهجين ﴾ : من الخيل والناس الذى أبوه عربى وأمه غير عربية ، والهجان من الإبل البيض يستوى فيه المذكر والمؤنث ، يقال بعير هجان وناقة هجان وإبل هجان وامرأة هجان أى كريمة .

﴿ الهدهد ﴾ : بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة ، وكنيته أبو الأخبار وأبو ثمامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجاد وأبو عباد ويقال له الهداهد . قال الراعى :

* كهداهد كسر الرماة جناحه *

والجمع الهداهد بالفتح ، وهو طير منتن الريح طبعا لأنه يبنى أفحوصه فى الزبل وهذا عام فى جميع جنسه ، ويذكر عنه أنه يرى الماء فى باطن الأرض كما يراه الإنسان فى باطن الزجاجة ، وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء . ولهذا السبب تفقده لما فقده ، وكان سبب غيبة الهدهد عن سليمان عليه السلام أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم ، فتجهز واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحش ما بلغ من عسكره مائة فرسخ ، فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم ، وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ، وإنه قال لمن حضره من أشراف قومه : إن هذا مكان يخرج منه نبى عربى من صفته كذا وكذا ، يعطى النصر على من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم : قالوا : فبأى دين يدين يا نبى الله ؟ قال : بدين الحنيفية ، وطوبى لمن أدركه وآمن به: قالوا : فكم بيننا وبين خروجه يا نبى الله؟ قال : مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل ، وأقام سليمان عليه السلام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى

صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر ، فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول فيها ليصلى ويتغذى ، فلما نزل قال الهدهد : إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فنظر إلى طول الدنيا وعرضها يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه ، فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور ، فقال هدهد اليمن ليعفور : من أين أقبلت وأين تريد ؟ قال : أقبلت من الشأم مع صاحبي سليمان بن داود عليهما السلام ، فقال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحش والريح ، وذكر له من عظمة ملك سليمان وما سخر الله له من كل شيء ، فمن أين أنت ؟ فقال له الهدهد الآخر : أنا من هذه البلاد ، ووصف له ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ثم قال : فهل أنت منطلق معى حتى تنظر إلى ملكها؟ فقال : أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، فقال الهدهد الثانى : إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه المملكة ، فمضى معه ونظر إلى ملك بلقيس وما رجع إلى سليمان إلا بعد العصر ، وكان سليمان قد نزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا له خبرا ، فتفقد الطير ففقد الهدهد ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فلم يجد عنده علمه ؛ فغضب سليمان عليه السلام عند ذلك وقال — لأعذبنه عذابا شديدا — الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو سيد الطير فقال له : علىّ بالهدهد الساعة ، فارتفع فى الهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة فى يد الرجل ، ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض عليه العقاب يريده فناشده الله وقال : أسألك بحق الذى قواك وأقدرك علىّ إلا مارحمتنى ولم تتعرض لى بسوء ، فتركه ثم قال له : ويلك ثكلتك أمك إن نبى الله قد حلف ليعذبنك أو يذبحنك ، فقال الهدهد : أو ما استثنى نبى الله ؟ قال : بلى . قال — أو ليأتينى بسلطان مبين — قال الهدهد : قد نجوت إذن ، ثم طار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان عليه السلام ، فلما قرب منه الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا ، فأخذ سليمان رأسه فمده إليه وقال : يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله عزوجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته ؟ فأخبره بأمر بلقيس ، وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من قصتها فى باب الدال والعين المهملتين فى الكلام على الدود والعفريت .

قال الزمخشرى : وكان السبب فى تخلفه وغيبته عن سليمان عليه السلام أنه حين نزل سليمان خلف الهدهد فرأى هدهدا واقفا فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ، وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر ، فدعا سليمان عليه السلام عريف الطير وهو النسر فلم يجد عنده علمه ، فقال لسيد الطير وهو العقاب : علىّ به ، فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل

فقصدته ، فناشدها الله تعالى وقال : وحق الذى قواك وأقدرك على إلا مارحمتنى فتركته وقال ثكلتك أمك إن نبى الله حلف ليعذبنك . قال : أو ما استثنى ؟ قال : بلى . قال : — أو ليأتينى بسلطان مبين — فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاله ، فلما دنا منه أخذ رأسه فمده إليه فقال : يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله . وأما قوله : لأعذبنه فتعذيبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه ، وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من هوام الأرض وهو أظهر الأقاويل . وقيل إنه يطلى بالقطران ويشمس ، وقيل إنه يلقى للنمل تأكله ، وقيل إيداعه القفص ، وقيل التفريق بينه وبين إلفه ، وقيل إلزامه صحبة الأضداد . وعن بعضهم أنه قال : أضيق السجون صحبة الأضداد ، وقيل حبسه مع غير جنسه ، وقيل إلزامه خدمة أقرانه ، وقيل تزويجه من عجوز . فإن قلت : من أين أحل له تعذيب الهدهد ؟ قلت : يجوز أن يبيح الله له ذلك كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع .

وحكى القزوينى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام : أريد أن تكون فى ضيافتى ؟ قال : أنا وجدى ؟ قال : بل أنت وأهل عسكرك فى جزيرة كذا فى يوم كذا ، فحضر سليمان عليه السلام بجنوده فطار الهدهد فاصطاد جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال : كلوا يانبى الله ، من فاته اللحم ناله المرق ، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا ، وفى ذلك قيل :

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... أهدت له من جراد كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة ... إن الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

قال عكرمة : إنما صرف سليمان عليه السلام عن ذبح الهدهد لأنه كان باراً بأبويه ينقل الطعام إليهما فيزقهما فى حال كبرهما .

قال الجاحظ : وهو وفاء حفوظ ودود ، وذلك أنه إذا غابت أنثاه لم يأكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ولا غيره ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه ، فإن حدث حادث أعدمه إياها لم يسفد بعدها أنثى أبدا ، ولم يزل صائحا عليها ما عاش ، ولم يشبع بعدها أبدا بطعم بل ينال منه ما يمسك رمقه إلى أن يشرف على الموت فعند ذلك ينال منه يسيرا .

وفى الكامل وشعب الإيمان للبيهقى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضى الله عنهما فقال : سليمان عليه السلام مع ما خوله الله من الملك وأعطاه كيف عنى بالهدهد مع صغره ؟ فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : إنه احتاج إلى الماء والهدهد كانت الأرض له كالزجاج

كما تقدم ، فقال ابن الأزرق لابن عباس : قف يا وقاف كيف يبصر الماء من تحت الأرض ولا يرى الفخ إذا غطى له بقدر أصبع من تراب ؟ فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إذا نزل القضاء عمى البصر ، وأنشدوا فى ذلك لأبى عمر الزاهد :

إذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله وسله من ذهنه سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر

ونافع بن الأزرق هو رأس فرقة من الخوارج يقال لها الأزارقة يكفرون علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إذ حكم ، وهو قبل التحكيم عندهم إمام عدل ، ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرا ، ويرون قتل الأطفال ، ولا يقيمون الحدود على من قذف محصنا ويقيمونها على من قذف المحصنات وغير ذلك من الأقوال .

وأنشد أبو الشيص فى صفة الهدهد :

لا تأمنن على سرى وسركم غيرى وغيرك أوطىّ القراطيس
أو طائر سوف أجليه وأنعته ما زال صاحب تنقير وتدريس
سود براثنه ميل ذوائبه صفر حمالقه فى الحسن مغموس

البراثن بالباء الموحدة وبالثاء المثلثة وبالنون فى آخره أظفاره ، والذوائب ريشه ، والحمالق الأجفان .

قال أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أبى الطيب صاحب دمية القصر وهى ذيل يتيمة الدهر قتل سنة سبع وستين وأربعمائة :

لا تنكرى يا عز إن ذل الفتى ذو الأصل واستعلى خسيس المحتد
إن البزاة رءوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقيل إن الإمام الحافظ أبو قلابة واسمه عبد الملك بن محمد الرقاشى رأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت هدهدا ، فقيل لها إن صدقت رؤياك فإنك تلدين ولدا ذكرا كثير الصلاة فولدته ، فلما كبر كان يصلى كل يوم أربعمائة ركعة ، وحدث من حفظه ستين ألف حديث ، ومات سنة ست وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

(الحكم) الأصح تحريم أكله لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكله لأنه منتن الريح ويقتات الدود . وقيل يحل أكله لأنه يحكى عن الشافعى وجوب الفدية فيه ، وعنده لا يفدى إلا المأكول .

(الأمثال) قالوا : أسجد من هدهد ، يضرب لمن يرمى بالأبنة ، وقالوا : أبصر من هدهد لما تقدم من رؤية الماء تحت الأرض .

(الخواص) إذا بخر البيت بريشة من ريشه طرد الهوام عنه ، وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه ، وكذلك يفعل قلبه إذا شوى وأكل مع سذاب ، وهو نافع للحفظ والذكاء ولا ينسى شيئا وهو أنفع من حب الفهم وأسلم ، ومن أخذ عشرة هداهد ونزع ريشها وتركها فى دار أو دكان خرب ذلك المكان ولم يعمر أبدا ، ومن أخذ مصران الهدهد وعلقه على من به النزيف نفعه ، ومن أخذ منقاره وهو ميت وخرز عليه جلده لم يتلف له شيء ما دام عليه وإن دخل به على سلطان رحب به وأكرمه وقضى حوائجه ، ومن أخذ تراب عش الهدهد وتركه فى سجن خرج من فيه من وقته ، وإن أخذ من مخاليب رجليه مخلبا واحدا وعلقه على صبى أو غيره لم يلحقه عين ولا يزال فى عافية ما دام معلقا عليه ، ومن أخذ ذنبه وشيئا من دمه وعلقه على شجرة لم تحمل أبدا وإن علق على دجاجة بياضة لم تبض وإن علق على من به نزف الدم سكن عنه ، ومن أخذ لسانه وألقاه فى شيء من دهن السمسم وجعله تحت لسانه وسأل إنسانا حاجة قضاها له ، وإذا حمل ريشه إنسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ، ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ، ودماغ الهدهد إذا أخرج وعمل فى دقيق وعجن منه قرصة وجففت فى الظل وأطعمت لإنسان ويقول المطعم أطعمتك يا فلان ابن فلانة هدهدا وجعلتك تسمع قولى وتطيعنى وتشهد لى كما شهد الهدهد لسليمان عليه السلام فإن المطعوم يحب المطعم حبا شديدا ، وإن أخذت قشرته وشددتها على عضدك الأيسر وأخذت منقاره ولسانه وكتبت هذه الأسماء فى رق ظبى وجعلتهما فيه وشددته بخيط صوف كحلى أو أسود أو أحمر ودفنته تحت باب من تريده موضع دخوله وخروجه فإنك تبلغ ما تريده منه من المحبة والعطف والقبول ، وهذه هى الأسماء التى تكتبها : فطيطم مار نور ما نيل وصعانيل . ودم الهدهد إذا أخذ فى صدفة وقطر فى عين يطلع فيها الشعر أزاله وإذا ذبحت هدهداً وأخذت دماغه وجففته وسحقته ببعض من المصطكى ودققت معه إحدى وعشرين ورقة آس وخلطته وأشممته لمن تريد فإنه يحبك ، وعينه اليمنى إذا علقتها عليك فى خرقة جديدة وشددتها على عضدك الأيمن ودخلت على من شئت فإنه لا يراك أحد إلا أحبك ، وإذا أردت سواد الشعر فخذ مصران الهدهد وجففه ثم اسحقه بدهن سمسم وادهن به رأس من تريد أو لحيته ثلاثة أيام فإن شعره يسود سوادا عظيما ، ودمه وهو حار إذا قطر على البياض العارض فى العين أذهبه ، وإن بخر بمخه برج الحمام لم يقربه شيء يؤذيه ، وإن علق هدهد مذبوح بجمتله فى بيت أمن أهله من السحر ، ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس ، وإن بخر المجنون بعرقه أبرأه ، ولحمه إذا بخر به معقود عن الباه أو مسحور أبرأه .

وقال جابر رحمه الله : إن قلب الهدهد إذا شوى وأكل مع سذاب فإنه ينفع للحفظ جدا ومصران الهدهد إذا علق على من بها نزف الدم انقطع عنها ، وإن أخذت ثلاث ريشات من

الجناح الأيسر من الهدهد وكنس بها باب دار ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس ويقول الكانس كما انقطع هذا التراب من هذا المكان كذلك ينقطع فلان ابن فلانة من هذا المكان فإنه يخرج منه ولا يعود إليه أبدا ، وإن أحرقت جناحه الأيسر ونثرت رماده على طريق من تريد فإنه إذا وطئه أحبك حبا شديداً ، ومنقار الهدهد وريشه من جناحه الأيمن إذا خرز فى جلد وعلقته ذلك عليك باسم من تريد واسم أمه أحبك حبا شديداً ، وأطول ريشه فى جناحه الأيسر أشد قبولا .

(التعبير) الهدهد فى المنام : رجل عالم غنى يثنى عليه بالقبيح لنتن ريحه فمن رآه نال عزا ومالاً فإن كلمه فإنه يأتيه خير من قبل السلطان لقوله تعالى : — وجئتك من سبأ بنبأ يقين — وقال ابن سيرين : من رأى هدهدا قدم له مسافر ، وقيل الهدهد رجل حاسب صاحب دهاء يخبر السلطان بما يحدث من الأمور لأنه أخبر سليمان عليه السلام بأمر بلقيس وكان صادقا فى قوله ، وربما كانت رؤيته أمانا للخائف . وقال ابن المقرى : إن رؤيته تدل على هدم الدار العامرة أو الشيء العامر مأخوذ من اسمه هدهد ، وربما دات على الرسول الصادق والقرب من الملوك والجاسوس أو الرجل العالم الكثير الجدال ، وربما دل على النجاة من الشدائد والعذاب وربما دل على المعرفة بالله تعالى وبما شرعه من الدين والصلاة وإن رآه ظمآن اهتدى إلى الماء والله تعالى أعلم .

﴿ الهدى ﴾ : هو ما يهدى إلى الحرم من النعم والهدى أيضا مثله ، وقرئ — حتى يبلغ الهدى محله — بالتخفيف والتشديد وهما لغتان الواحدة هدية وهدية .

وكان الهدى الذى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ونحره مائة بدنة . وقال المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم : سبعين بدنة والناس سبعمائة فكانت البدنة عن عشرة وهذا غريب .

وعن مصعب بن ثابت قال : « والله لقد بلغنى أن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنه حضر يوم عرفة ومعه مائة رقبة ومائة بدنة ومائة بقرة ومائة شاة فقال : هذا كله لله تعالى فأعتق الرقاب وأمر بتلك فنحرت » رواه الطبرانى مرسلا .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « أهدى النبى صلى الله عليه وسلم مرة غنما » وفيه استحباب تقليد الغنم . وقال مالك وأبو حنيفة : لا يستحب بل خصا التقليد بالإبل والبقر .

(فرع) اتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا فللمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم أهدى فى حجة الوداع مائة بدنة نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بيده ثلاثا وستين وأمر عليا فنحر ما بقى منها ، ثم أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ من كل بدنة بضعة فتجعل فى قدر فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها » .

واختلفوا فى الهدى واجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد ؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا ، وبه قال الشافعى ، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر . وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما عداهما ، وبه قال الإمام أحمد وإسحق . وقال مالك : يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر . وقال أصحاب الرأى : يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من كل واجب سواهما ، والله تعالى أعلم .

﴿ الهديل ﴾ : ذكر الحمام ، وقد تقدم ما فى الحمام فى باب الحاء المهملة . قال جران العود :

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها من البغى شريب يغرد منزف

والهديل : صوت الحمام يقال هدل القمرى يهدل هديلا . والهديل : فرخ كان على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فصاده جارح من الطير فليس من حمامة إلا وتبكى عليه إلى يوم القيامة . قال نصيب :

فقلت أتبكى ذات طوق تذكرت هديلا وقد أودى وما كان تبع

يقول : لم يخلق تبع بعد .

﴿ الهرماس ﴾ : بكسر الهاء من أسماء الأسد ، وقيل هو الشديد من السباع . والهرماس ابن زياد الباهلى من الصحابة سكن البصرة وطال عمره ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثين أحدهما عند أبى داود والآخر رواه النسائى . والهرميس بكسر الهاء أيضا الكركدن عند ابن سيده . قال ، وهو أكبر من الفيل . قال الشاعر :

* والفيل لا يبقى على الهرميس *

﴿ الهر ﴾ : السنور والجمع هررة كقرد وقردة والأنثى هرة ، وتقدم فى خواص الأسد فى الكلام على الفأرة أن الهرة خلقت من عطسة الأسد ، روى الإمام أحمد والبزار ورجال الإمام أحمد ثقات من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما فقال صلى الله عليه وسلم : أيسرك أن يشرب معك الهر ؟ قال : لا . قال : لقد شرب معك الشيطان » وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن عمر الحنبلى عن أنس رضى الله عنه قال « كنت جالسا عند عائشة رضى الله تعالى عنها أبشرها بالبراءة فقالت : والله لقد هجرنى القريب والبعيد حتى هجرتنى الهرة ، وما عرض على طعام ولا شراب فكنت

أرقد وأنا جائعة ، فرأيت الليلة فى منامى فتى فقال : مالك حزينة ؟ فقلت : مما ذكر الناس فقال : ادعى بهذه الكلمات يفرج عنك ، فقلت : وما هى ؟ فقال : قولى دعاء الفرج : يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارج الغمم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حكم ، ويا حسيب من ظلم ، ويا ولى من ظلم ، ويا أول بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية ، ويا من له اسم بلا كنية : اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا ، قالت : فانتبهت وأنا ريانة شبعانة ، وقد أنزل الله براءتى وجاءنى الفرج . وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « إن الشيطان عرض للنبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته . قال عبد الرزاق : فى صورة هر قال صلى الله عليه وسلم : فشد على يقطع على صلاتى فأمكننى الله فذعته : أى خنقته ، ولقد هممت أن أوثقه فى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه ، فذكرت قول أخى سليمان — رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى — فرده الله خاسئا » .

وروى ابن أبى خيثمة عن ميمونة بنت سعيد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الاستيعاب عن سلمان الفارسى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالهر وقال : إن امرأة عذبت فى هرة ربطتها » الحديث ، وهو فى الصحيحين وفى الزهد للإمام أحمد « رأيتها فى النار وهى تنهش قبلها ودبرها » والمرأة المعذبة كانت كافرة كما رواه البزار فى مسنده ، والحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان ، ورواه البيهقى فى البعث والنشور عن عائشة رضى الله تعالى عنها فاستحقت التعذيب بكفرها وظلمها . وقال القاضى عياض فى شرح مسلم : يحتمل أن تكون كافرة ونفى النووى هذا الاحتمال وكأنهما لم يطلعا على نقل فى ذلك .

وفى مسند أبى داود الطيالسى من حديث الشعبى عن علقمة قال « كنا عند عائشة رضى الله الله تعالى عنها ومعناه أبو هريرة فقالت : يا أبا هريرة أنت الذى تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة عذبت بالنار من أجل هرة ؟ قال أبو هريرة : نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة : المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه من أجل هرة إنما كانت المرأة مع ذلك كافرة ، يا أبا هريرة إذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر كيف تحدث » وقد تقدم فى الفرس ما أنكرته عائشة على أبى هريرة .

وروى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى أنه رآه فى النوم بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك ؟ فقلت : بصالح عملى ، فقال : لا . قلت : بإخلاصى فى عبوديتى . قال : لا . قلت : بحجى وصومى وصلاتى . قال : لم أغفر لك بذلك ، فقلت : بهجرتى إلى الصالحين وإدامة أسفارى فى طلب العلوم ، فقال : لا . فقلت : يارب هذه المنجيات التى كنت أعقد عليها خنصرى

وظنى أنك بها تعفو عنى وترحمنى ، فقال : كل هذه لم أغفر لك بها ، فقلت : إلهى فبماذا ؟ قال : أتذكر حين كنت تمشى فى دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد ؟ فقلت : نعم ، فقال : برحمتك لتلك الهرة رحمتك» . وأبو بكر الشبلى اسمه دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس الخراسانى كان سيداً عالما صالحاً محدثاً مالكى المذهب صحب الجنيد رضى الله عنه ، وكان فى ابتداء أمره واليا على دنياوند فتاب فى مجلس خير النساج ، وكانت له خطفات وسكرات وغرقات توجب تلك الغرقات شطحات ، فقام عذره فيها ودخل على الجنيد يوما فوقف بين يديه وصفق وأنشد يقول :

عودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبى فرط حبى لهم وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقى ما جزا من يحب إلا يحب

فأجابه الجنيد رحمه الله تعالى :

وتمنيت أن أرا ك فلما رأيتكا غلبت دهشة السرو ر فلم أملك البكا

ومن شعر الشبلى رحمه الله :

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى دمعان فى الأجفان يزدحمان
ما أنصفتنى الحادثات رمينى بمودعين وليس لى قلبان

توفى الشبلى رحمه الله فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وله سبع وثمانون سنة . وفى كامل ابن عدى فى ترجمة أبى يوسف صاحب أبى حنيفة أنه روى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت «كان النبى صلى الله عليه وسلم تمر به هرة فيصغى لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها» قال : وكان أبو يوسف يقول : من طلب غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر ، ومن طلب الدين بالكلام تزندق. وفى آخر كتاب مناقب الشافعى رضى الله تعالى عنه للحاكم أبى عبد الله بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت الشافعى يقول : اختصم رجلان إلى بعض القضاة فى هرة ادعى كل منهما أنها له وأن عنده أولادها ، فحكم القاضى أن توسط بين داريهما ثم ترسل فأى دار دخلت فهى لصاحبها . قال الشافعى : فانجفل الناس وانجفلت معهم فلم تدخل الهرة دار واحد منهما . قال الشافعى : فبطل قضاؤه .

(غريبة) : ذكر أن مروان الجعدى المنبوذ بالحمار آخر خلفاء بنى أمية لما ظهر السفاح بالكوفة وبويع له بالخلافة وجهز العساكر إليه فانهزم منهم حتى وصل إلى أبى صير وهى

قرية عند الفيوم قال : ما اسم هذه القرية ؟ قيل أبو صير . قال : فإلى الله المصير ، ثم دخل الكنيسة التى بها فبلغه أن خادما له نمّ عليه فأمر به فقطع رأسه وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت هرة فأكلته ، ثم بعد أيام هجم على الكنيسة التى كان نازلا بها عامر بن إسمعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفى يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثل ببيت الحجاج بن حكيم السلمى وهو يقول :

متقلدين صفائحا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

ثم قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع فى ذلك المكان وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت تلك الهرة بعينها فخطفته فأكلته ، فقال عامر : لو لم يكن فى الدنيا عجب إلا هذا لكان كافيا لسان مروان فى فم هرة . وقال فى ذلك شاعرهم :

قد يسر الله مصرا عوة لكم وأهلك الكافر الجبار إذ ظلما

فلاك مقوله هر يجرجره وكان ربك من ذى الظلم منتقما

ودخل عامر بعد قتله الكنيسة فقعد على فرش مروان وكان مروان حين الهجوم على الكنيسة يتعشى ، فلما سمع الوجبة وثب عن عشائه فأكل عامر ذلك الطعام ، ودعا بابنة لمروان وكانت أسن بناته فقالت : ياعامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه حتى تعشيت بعشائه واستصبحت بمصباحه ونادمت ابنته لقد أبلغ فى موعظتك وأجمل فى إيقاظك ، فاستحيا عامر وصرفها ، وكان قتل مروان فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

(الحكم) يحرم أكل الهر على الصحيح . والثانى وبه قال الليث بن سعد يحل أكله واختاره أبو الحسن البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا ، وهو حيوان طاهر لما روى الإمام أحمد والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم دعى إلى دار قوم فأجاب وإلى دار آخرين فلم يجب ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : إن فى دار فلان كلبا ، فقيل له وإن فى دار فلان هرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : الهرة ليست بنجسة إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات » قال الإمام النووى فى شرح المذهب : وبيع الهرة الأهلية جائز بلا خلاف عندنا إلا ما حكاه البغوى فى شرح مختصر المزنى عن ابن القاص أنه قال : لا يجوز ، وهذا شاذ باطل مردود ، والمشهور عنه جوازه . وبه قال جماهير العلماء . قال ابن المنذر : أجمعت الأمة على جواز اتخاذها ، ورخص فى بيعها ابن عباس والحسن وابن سيرين والحكم وحماد ومالك والثورى والشافعى وإسحاق وأبو حنيفة وسائر أصحاب الرأى ، وكرهت طائفة بيعها منهم أبو هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد ، وقال ابن المنذر : إن ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم النهى عن بيعه فبيعه باطل وإلا فجائز ، واحتج من منعه بحديث ابن الزبير قال « سألت جابرا رضى الله عنه عن ثمن الكلب والسنور ؟ فقال : نهى النبى

صلى الله عليه وسلم عن ذلك » رواه مسلم . وفى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الهر » واحتج أصحابنا بأنه طاهر منتفع به ووجد فيه جميع شروط البيع فجاز بيعه كالحمار والبغل . والجواب عن الحديثين من وجهين : أحدهما جواب أبى العباس بن القاص والخطابى والقفال وغيرهم أن المراد الهرة الوحشية فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها إلا على الوجه الضعيف القائل بجواز أكلها . والثانى أن المراد نهى تنزيه فهذان الجوابان هما المعتمدان ، وأما ما ذكره الخطابى وابن عبد البر أن الحديث ضعيف فغلط منهما لأن الحديث فى صحيح مسلم بإسناد صحيح كما تقدم بيانه فى باب السين المهملة . وفى السنن الأربعة من حديث كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت بعض ولد أبى قتادة « أن أبا قتادة رضى الله عنه دخل فسكبت له وضوءا فجاءت هرة فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت . قالت كبشة : فرآنى أنظر إليه ، فقال : أتعجبين يا ابنة أخى ؟ فقلت : نعم ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات » الطوافون : الخدم والطوافات الخادمات جعلها بمنزلة المماليك فى قوله تعالى — ويطوف عليهم ولدان مخلدون — ومنه قول إبراهيم النخعى إنما الهرة كبعض أهل البيت كذا نقله الزمخشرى . وفى المستدرك وسنن ابن ماجه وكامل ابن عدى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الهرة لا تقطع الصلاة إنما هى من متاع البيت » .

(فرع) إذا كان للإنسان هرة تأخذ الطيور وتقلب القدور فأفلتت وأتلفت فهل على صاحبها ضمان ما أتلفت ؟ وجهان أصحهما نعم سواء أتلفت ليلا أو نهارا لأن مثل هذه الهرة ينبغى أن تربط ويكف شرها ، وكذا الحكم فى كل حيوان يولع بالتعدى ، أما إذا لم يعهد منها ذلك فالأصح لا ضمان لأن العادة جرت بحفظ الطعام عنها لا بربطها ، وإطلق أمام الحرمين فى ضمان ما تتلفه الهرة أربعة أوجه : أحدها يضمن ، والثانى لا ، والثالث يضمن ليلا لا نهارا ، والرابع عكسه لأن الأشياء تحفظ عنها ليلا : وإذا أخذت الهرة حمامة أو غيرها وهى حية جاز قتل أذنها وضرب فمها لترسلها ، فإذا قصدت الحمام فأهلكت بالدفع فلا ضمان ، فإذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان فى حال إفسادها دفعا جاز ولا ضمان عليه كقتل الصائل دفعا ، وينبغى تقييد ذلك بما إذا لم تكن حاملا لأن فى قتل الحامل قتل أولادها ولم يتحقق منهم جناية ، وأما قتلها فى غير حالة الإفساد ففيه وجهان أصحهما عدم الجواز ويضمنها . وقال القاضى حسين : يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها ، وتلحق بالفواسق الخمس فيجوز قتلها ولا يختص بحال ظهور الشر ، وسؤرها طاهر لطهارة عينها ولا يكره ، فلو تنجس فمها ثم ولغت فى ماء

قليل فثلاثة أوجه : الأصح أنها إن غابت واحتمل ولوغها فى ماء يطهر فهما ثم ولغت لم تنجسه ، والثانى تنجسه مطلقا ، والثالث عكسه وغير الماء من المائعات كالماء .

(الأمثال) قالوا : أبر من هرة . أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم ، قال الشاعر :

أما ترى الدهر وهذا الورى كهرة تأكل أولادها

وقالوا : فلان لا يعرف هر من بر . قال ابن سيده : يعنى لا يعرف الهر من الفأر . وقال الزمخشرى : لا يعرف من يكرهه ممن يبره . وما أحسن قول أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة :

إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج

نديمى هرتى وأنيس نفسى دفاتر لى ومعشوقى السراج

قال شيخنا اليافعى رحمه الله تعالى : أخبرنى بعض الصالحين من أهل اليمن أن هرة كانت تأتى الشيخ العارف الأهدل بالدال المهملة فيطعمها من عشائه وكان اسمها لؤلؤة ، فضربها خادم الشيخ ذات ليلة فماتت فرمى بها الخادم فى خرابة لئلا يعلم الشيخ بذلك ، فلما جاء الشيخ سكت عنه ليلتين أو ثلاثة ثم قال : أين لؤلؤة ، فقال : ما أدرى ؟ فقال الشيخ : ما تدرى ! ثم ناداها : لؤلؤة لؤلؤة ، فجاءت تجرى إليه فأطعمها على العادة . والخواص تقدمت فى باب السين فى لفظ السنور .

(تتمة) قال الصاحب بن عباد : أنشدنى أبو الحسن بن أبى بكر الحسن بن على العلاف البغدادى المقرى الأديب قصيدة والده فى الهر الذى كنى به عن ابن المعتز حين قتله المقتدر فخشى من المقتدر ونسبها إلى الهر وعرّض به فى أبيات منها ، وقيل إنما كنى بالهر عن المحسن بن الوزير أبى الحسن على بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه ، وقيل كان له هر يأنس به فكان يدخل أبراج الحمام التى لجيرانه ويأكل فراخها فأمسكه أربابها فذبحوه فرثاه بقصيدة . وقال ابن خلكان : وهى من أحسن الشعر وأبدعه وعددها خمسة وستون بيتا وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأتى بمحاسنها وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتى بها وأولها :

ياهر فارقتنا ولم تعد وكنت عندى بمنزلة الولد

فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد

وتخرج الفأر من مكانتها ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقاك فى البيت منهمو مدد وأنت تلقاهمو بلا مدد

لا عدد كان منك منفلتا منهم ولا واحد من العدد

لا ترهب الصيف عند هاجرة ... ولا تهاب الشتاء فى الجمد
وكان يجرى ولا سداد لهم ... أمرك فى بيتنا على سدد
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا ... ولم تكن للأذى بمعتقد
وحمت حول الردى لظلمهم ... ومن يحم حول حوضه يرد
وكان قلبى عليك مرتعدا ... وأنت تنساب غير مرتعد
تدخل برج الحمام مقتدا ... وتبلغ الفرخ غير متئد
وتطرح الريش فى الطريق لهم ... وتبلع اللحم بلع مزدرد
أطعمك الغى لحمها فرأى ... فتلك أربابها من الرشد
حتى إذا داوموك واجتهدوا ... وساعد النصر كيد مجتهد
كادوك دهرا فما وقعت وكم ... أفلت من كيدهم ولم تكد
فحين أخفرت وانهمكت وكا ... شفت وأسرفت غير مقتصد
صادوك غيظا عليك وانتقموا ... منك وزادوا من يصد يصد
ثم شفوا بالحديد أنفسهم ... منك ولم يرعووا على أحد
فلم تزل للحمام مرتصدا ... حتى سقيت الحمام بالرصد

ومنها :

لم يرحموا صوتك الضعيف كما ... لم ترث منها لصوتها الغرد
أذاقك الموت ربهن كما ... أذقت أفراخه يداً بيد
كأن حبلا حوى بجودته ... جيدك للخلق كان من مسد
كأن عينى تراك مضطربا ... فيه وفى فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم ... تقدر على حيلة ولم تجد
فما سمعنا بمثل موتك إذ ... مت ولا مثل عيشك النكد
فجدت بالنفس والبخيل بها ... أنت ومن لم يجد بها يجد
عشت حريصا يقوده طمع ... ومت ذا قاتل بلا قود
يا من لذيذ الفراخ أوقعه ... ويحك هلا قنعت بالغدد
ألم تخف وثبة الزمان كما ... وثبت فى البرج وثبة الأسد
عاقبة الظلم لا تنام وإن ... تأخرت مدة من المدد
أردت أن تأكل الفراخ ولا ... يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما ... أعزه فى الدنو والبعد
لا بارك الله فى الطعام إذا ... كان هلاك النفوس فى المعد

كم دخلت لقمة حشاشره فأخرجت روحه من الجسد

ومنها :

ما كان أغناك عن تسورك الـ برج ولو كان جنة الخلد
قد كنت فى نعمة وفى دعة من العزيز المهيمن الصمد
تأكل من فأر بيتنا رغدا وأين بالشاكرين للرغد
وكنت بددت شملهم زمنا فاجتمعوا بعد ذلك البدد
فلم يبقوا لنا على سبد فى جوف أبياتها ولا لبد
وفرغوا قعرها وما تركوا ما علقته يد على وتد
وفتتوا الخبز فى السلال وكم تفتتت للعيال من كبد
ومزقوا من ثيابنا جددا فكلنا فى المصائب الجدد

وكان ابن العلاف ينادم المعتضد بالله فبات ليلة فى دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فجاء خادم ليلا فقال : إن أمير المؤمنين يقول لكم أرقت ليلة فقلت :

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى إذ الدار قفرى والمزار بعيد

وقد أرتج على تمامه ، فمن أجازه بما وافق غرضى فأرتج على الجماعة وكانوا كلهم أفاضل فقال ابن العلاف :

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى لعل خيالا طارقا سيعود

فعاد الخادم إلى المعتضد ثم رجع إلى ابن العلاف وقال : يقول أمير المؤمنين : قد أحسنت وأمر لك بجائزة سنية ، وكانت وفاة ابن العلاف سنة ثمانى عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة .

(التعبير) الهر فى الرؤيا : خادم حافظ فإن خطف شيئا فهو لص الدار وخدشه وعضه خيانة الخادم . وقال ابن سيرين : عض الهر مرض سنة وكذلك خدشه ، والهر إذا لم يكن يأمو فهو سنة فيها راحة لمن رآه ، والهر الوحشى سنة فيها تعب ونصب ، ومن باع هرة فإنه ينفق ماله . وقالت اليهود : الهر يعبر بالغمازين واللصوص لأن فيها المنفعة والمضرة . وقال أرطاميدروس : الهر فى المنام امرأة خداعة صخابة ، وعض الهر مرض فى تلك السنة . ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين أتته امرأة فقالت : رأيت كأن سنورا أدخل رأسه فى بطن زوجى فأخذ منه قطعة ؟ فقال ابن سيرين : سرق لزوجك ثلثمائة درهم وستة عشر درهما . قالت : صدقت فمن أين لك هذا ؟ قال : من هجاء حروفه فى حساب الجمل ، فالسين ستون والنون خمسون والواو ستة والراء مائتان فصار المبلغ ثلثمائة وستة عشر درهما ، فاتهموا عبدا كان فى جوارهم فضربوه فأقر بالمال : ومن رأى كأنه أكل لحم سنور فإنه يتعلم السحر ، والله تعالى أعلم .

﴿ الهرنصانة ﴾ : بالكسر دودة تسمى السرفة ، وقد تقدمت فى باب السين المهملة .

﴿ هرثمة ﴾ : من أسماء الأسد حكاه ابن سيده وغيره .

﴿ الهرهير ﴾ : نوع من السمك ، وقال المبرد : إنه مركب من السلحفاة ومن أسود سالخ ، قال : وهو من أخبث الحيات ينام ستة أشهر ثم لا يسلم سليمه انتهى . والظاهر أنه مشترك بين الحية والسمك .

﴿ الهرزون والهرزان ﴾ : الظليم ، وقد تقدم فى باب الظاء .

﴿ الهزار ﴾ : بفتح الهاء : العندليب ، وقد تقدم فى باب الصاد المهملة فى الكلام على الصعوة قول الشاعر :

الصعو يرتع فى الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يترنم

﴿ الهزبر ﴾ : بكسر الهاء وفتح الزاى وإسكان الباء الموحدة وبالراء المهملة فى آخره : الأسد كذا حكاه الجوهرى . وقال غيره : إنه حيوان على شكل السنور الوحشى وفى قدّه إلا أن لونه يخالف لونه ، وهو من ذوات الأنياب ، ويوجد فى بلاد الحبشة كثيرا لكن يؤيد ما حكاه الجوهرى ما قاله بشر بن أبى عوانة لما قتل الأسد :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذا لرأيت ليثا رام ليثا هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس إذ تقاعس عنه مهرى فقلت له عقرت اليوم مهرا
أنل قدمىّ بطن الأرض إنى وجدت الأرض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا محددة ولحظا مكفهرا
يدل بمخلب وبحد ناب وباللحظات تحسبهن جمرا
وفى يمناى ماضى العزم أبغى بمضربه قراع الموت أثرا
فأنت تروم للأشبال قربا ومطلبى لبنت العم مهرا
فلما ظن أن النصح غش وخال مقالتى زورا وهجرا
مشى ومشيت من أسدين راما مراما كان يطلباه وعـرا
هززت له الحسام فخلت أنى سللت به لدى الظلماء فجرا
وجدت بضربة جاءته شفعا بساعد ماجـد تركته وترا
فخر مجندلا فحسبت أنى هدمت له بناء مشمخرا
وقلت له يعز علىّ أنى قتلت مناسى جلدا وقهرا

ولكن رمت شيئا لم يرمه سواك فلم تطق ياليث صبرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرا يحاذر أن يعاب فمت حرا

وأبو الهزبر الملك المؤيد صاحب اليمن داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر كانت دولته بضعا وعشرين سنة ، وكان عالما فاضلا شجاعا ، وكان عنده من الكتب نحو مائة ألف مجلد ، وكان يحفظ التنبيه وغيره ، وأبو الملك المظفر وولده الملك المجاهد كانا فى العلم أرفع منه درجة وأذكى قريحة وأشهر فضلا ، تغمدهم الله برحمته .

﴿ الهرعة ﴾ : القملة . قيل مكتوب على عرش بلقيس :

ستأتى سنون هى المعضلات يراع من الهرعة الأجدل
وفيها يهين الصغير الكبير وذو العلم يسكنه الأجهل

﴿ الهف ﴾ : جنس من السمك صغار وهو الحساس المتقدم ذكره فى باب الحاء المهملة .

﴿ الهقل ﴾ : بكسر الهاء : الفتى من النعام وبه لقب محمد بن زياد الهقل الدمشقى كاتب الأوزاعى ، وكان يسكن بيروت فغلب عليه هذا اللقب . قال ابن معين : ما كان بالشأم أوثق منه ، وكان أعلم الناس بمحاسن الأوزاعى وفتياه ، توفى سنة تسع وسبعين ، وروى له الجماعة سوى البخارى ، وفى المثل قالوا : أشم من هقل .

﴿ الهقلس ﴾ : كعملس : الذئب ، وقد تقدم الكلام على الذئب فى باب الذال المعجمة مستوفى قال الكميت :

ونسمع أصوات القراعل حوله يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا

يعنى حول الماء الذى ورده .

﴿ الهمج ﴾ : جمع همجة : وهو ذباب صغار كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، اشتقوا من اسمه ما يؤكد به ، فقالوا : همج هامج ، كقولهم : ليل لائل وصيف صائف ووتد واتد ويوم أيوم وجاهلية جهلاء ، ويقال للرعاع من الناس الحمقى إنما هم الهمج ، قال على رضى الله تعالى عنه : سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة . وقال لكميل ابن زياد : يا كميل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق . والربانى : الراسخ فى العلم العامل بعلمه . وقال صاحب قوت القلوب فى تفسير قول على كرم الله وجهه : هذا الهمج الفراش الذى يتهافت فى النار لجهله واحدته همجة ، والرعاع الخفيف الطياش الذى لاعقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر ، قال : ثم بكى على وقال : هكذا يموت العلم بموت حامله انتهى كلامه .

﴿ الهمع ﴾ : بفتح الهاء والميم : الصغير من الظباء خاصة .

﴿ الهمل ﴾ : بالتحريك الإبل بلا راع مثل النفش إلا أن النفش لا يكون إلا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا ، ويقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركتها همالا أى سدى إذا أرسلتها يرعى ليلا ونهارا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالهمل ؛ والمرعى الذى له راع قاله الجوهرى ، وما أحسن ما صنع الطغرائى فى ختمه لاميته بقوله :

ترجو البقاء بدار لاثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل
قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أشار به إلى قوله تعالى — أيحسب الإنسان أن يترك سدى — أى معطلا لا يؤمر ولا ينهى ، يقال أسديت حاجتى أى ضيعتها وإبل سدى أى ترعى حيث شاءت بلا راع كذا فسره الثعلبى وغيره .

﴿ الهملع ﴾ : بالتحريك مع تشديد اللام : الذئب . قال الشاعر :

* والشاء لا تمشى مع الهملع *

أى لا تنمو مع رؤية الذئب . والمشاء هو نماء المال وزيادته ، يقال مشى الرجل وأمشى إذا نما ماله وكثرت ماشيته ، وقيل فى قوله تعالى — أن امشوا واصبروا على آلهتكم — إنه من المشاء لا من المشى قاله السهيلى قبل خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وأفاد بعده بسطرين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها « إن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ، فقالت : بالرفاء والبنين » وذكر أيضا فى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة رضى الله عنها من عنب الجنة » .

﴿ الهمهم ﴾ : الأسد قاله ابن سيده ، وقد تقدم ما فى الأسد .

﴿ الهنبر ﴾ : مثل الخنصر : ولد الضبع ، قال أبو زيد : من أسماء الضبع أم هنبر فى لغة بنى فزارة . قال الشاعر الفتال الكلابى :

ياقاتل الله صبيانا تجىء بهم أم الهنبر من زند لها وارى

وقال أبو عمرو : الهنبر الجحش ، ومنه قيل للأتان أم الهنبر .

(وقالوا فى المثل) أحمق من أم الهنبر .

﴿ الهودع ﴾ : بفتح الهاء والدال المهملة وبالعين المهملة فى آخره : النعامة ، وقد تقدم ما فيها .

﴿ الهوذة ﴾ : بفتح الهاء وسكون الواو وبعدها ذال معجمة : ضرب من الطير . وقال قطرب : هى القطاة والجمع هوذ. وبذلك سمى هوذة بن على الحنفى الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامرى فأكرمه وأنزله ، وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومى وشاعرهم فاجعل لى بعض الأمر فأبى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما قدم سليط على هوذة ومعه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيه « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يديك ، فلما قرأ الكتاب أنزله وحياه ورده ردا دون رد ، وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ، فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات على نصرانيته » والله تعالى أعلم .

﴿ الهوزن ﴾ : بفتح الهاء وإسكان الواو وفتح الزاى : طائر قاله ابن سيده . وبإبدال الواو ياء رجل من أعراب فارس وهو القائل فيما حكى الله عنه — قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم — فى قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ورميه فى النار ، وهو الذى جاء فيه الحديث الذى انفرد به مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى قد أعجبته جمته وبرداه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » .

﴿ الهلابع ﴾ : بضم الهاء : الذئب من قولهم رجل هلابع : أى حريص على الأكل .

﴿ الهلال ﴾ : بكسر الهاء : الحية مطلقا ، وقيل الذكر من الحيات ، والهلال أيضاً الجمل الذى جرب حتى أداه ذلك إلى الهزال ، والهلال الهلال المعروف .

﴿ الهيثم ﴾ : بفتح الهاء : فرخ الحبارى ، ومنه سمى الرجل هيثما . وقال الجوهرى : إنه فرخ العقاب ، وقيل فرخ النسر أيضاً قاله فى كفاية المتحفظ .

﴿ الهيجمانة ﴾ : الذر ، وقد تقدم لفظ الذر فى باب الذال المعجمة .

﴿ الهيطل ﴾ : الثعلب ، وقد تقدم لفظ الثعلب فى باب الثاء المثلثة .

﴿ الهيعرة ﴾ : الغول ، والمرأة الفاجرة ، والخفة والطيش .

﴿ الهيق ﴾ : بفتح الهاء وسكون الياء المثناة تحت قبل القاف : ذكر النعام ، وكذلك الهيقم والميم زائدة قال الراجز :

* أشم من هيق وأهدى من جمل *

وقال آخر : وهو يشم كاشتمام الهيق .

﴿ الهيكل ﴾ : بفتح الهاء : الفرس الطويل الضخم .

﴿ أبو هارون ﴾ : طير فى حنجرته أصوات شجية تفوق النوائح وتروق فوق كل مغن لا يسكت بالليل البتة يصيح إلى وقت الصباح ويجتمع عليه الطير لالتذاذها بسماع صوته ، وبما يمر به العاشق فلا يستطيع المرور بل يقعد ويبكى على صوته الشجى ، والله أعلم .

باب الواو

﴿ الوازع ﴾ : الكلب لأنه يزع الذئب عن الغنم أى يطرده ، وقد تقدم ما فيه فى باب الكاف .

﴿ الواق واق ﴾ : تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السعلاة عن الجاحظ أنه نتاج مابين بعض النبات وبعض الحيوان ، والله تعالى أعلم .

﴿ الواقى ﴾ : كالقاضى الصرد ويقال له الواق بكسر القاف ، سمى بذلك لحكاية صوته ، وأنشد ابن قتيبة لبعض الشعراء وهو المرقش السدوسى :

ولقد عدوت وكنت لا أعدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
لا يمنعك من بغا ء الخير تعقاد التمائم
قد خط ذلك فى السطو ر الأوليات القدائم

الواقى : الصرد ، والحائم : الغراب . وقال خيثم بن عدى :

وليس بهياب إذا شد رحله يقول عدانى اليوم واق وحائم
ولكنه يمضى على ذاك مقدما إذا صد عن تلك الهناة الخثارم

يعنى بالخثارم العاجز الضعيف الرأى المتطير ، والواق أيضاً طير الماء ينطق بهذه الحروف ، (وفى حله) الخلاف فى طير الماء الأبيض ، وقد تقدم أن الأصح حلها إلا اللقلق كما قاله الرافعى .

﴿ الوبر ﴾ : بفتح الواو وتسكين الباء الموحدة : دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم فى البيوت وجمعها وبور ووبار ووبارة والأنثى وبرة . وقول الجوهرى :

لا ذنب لها : أى لاذنب طويل ، وإلا فالوبر له ذنب قصير جدا والناس يسمون الوبر بغنم بنى إسرائيل ، ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره يشبه ألية الخروف ، وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه .

(فائدة) روى البخارى فى كتاب الجهاد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعدما افتتحوها فقلت : يا رسول الله أسهم لى ؟ فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لا تسهم له يارسول الله ، فقال أبو هريرة رضى الله عنه : هذا قاتل ابن قوقل ، فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ينعى على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدى ولم يهنى على يده . قال : فلا أدرى أسهم له أم لم يسهم له » وابن سعيد المذكور هو أبان كما سيأتى إن شاء الله تعالى . قال بعض شراح البخارى : الوبر دويبة يقال إنها تشبه السنور وأحسب أنها تؤكل ، وضأن اسم جبل .

ويروى ضال باللام ، وقوله : ينعى معناه يعيب يقال نعيت على فلان فعله إذا عبته عليه ، وخرّجه البخارى أيضا فى غزوة خيبر فقال « إن أبان بن سعيد أقبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل ، فقال أبان لأبى هريرة : واعجبا لك وبر تردى من قدوم ضأن ينعى على امرئ أكرمه الله تعالى بيدى ومنعه أن يهينى بيده » قال بعض الشارحين : قدوم : جبل الدوس وهى قبيلة أبى هريرة رضى الله عنه . قال البكرى فى معجمه : هكذا رواه الناس عن البخارى قدوم ضأن بالنون إلا الهمدانى فإنه رواه من قدوم ضال باللام وهو الصواب إن شاء الله تعالى ، والضال : السدر البرى ، وأما إضافة هذه النسبة إلى الضأن فلا أعلم لها معنى ، وكذا قال شيخ الإسلام الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد فى شرح الإلمام . وقال ابن الأثير فى النهاية : والوبر دويبة على قدر السنور وجمعها وبر ووبار وإنما شبهه بالوبر تحقيرا له ، ورواه بعضهم بفتح الباء من وبر الإبل تحقيرا له أيضا والصحيح الأول وابن قوقل بقافين مفتوحتين اسمه النعمان رجل مسلم قتله أبان بن سعيد فى حال كفره ، وكان إسلام أبان بين الحديبية وخيبر ، وهو الذى أجار عثمان رضى الله تعالى عنه يوم الحديبية حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة .

(وحكمه) حل الأكل لأنه يفدى فى الإحرام والحرم ، وهو كالأرنب يعتلف النبات والبقول . وقال الماوردى والرويانى : إنه حيوان فى عظم الجرذ إلا أنه أنبل منه وأكبر والعرب تأكله ، وقيل هو دويبة سوداء على قدر الأرنب وأكبر من ابن عرس ، وعبارة الرافعى قريبة من ذلك . وقال مالك : لابأس بأكله ، وبه قال عطاء ومجاهد وطاوس وعمرو ابن دينار وابن المنذر وأبو يوسف . وكرهه الحكم وابن سيرين وحماد وأبو حنيفة والقاضى من الحنابلة . وقال ابن عبد البر : لا أحفظ فى الوبر شيئا عن أبى حنيفة ، وهو عندى مثل الأرنب لا بأس بأكله ، لأنه يقتات البقول والنبات ، والله أعلم .

﴿ الوج ﴾ : كرج الطائف : القطا والنعام ، وقد تقدم ما فيهما فى بابيهما القاف والنون.

﴿ الوحرة ﴾ : بفتح الواو والحاء والراء دويبة حمراء تلزق بالأرض كالعظاء والجمع وحر قاله الجوهرى . وقال غيره : هى بفتح الحاء وسكونها وهى وزغة شبيهة بسام أبرص تلصق بالأرض أو ضرب من العظاء لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا شمته وهى على شكل سام أبرص . وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » ثم قال غريب من هذا الوجه . وقوله : لا تحقرن جارة لجارتها إلى آخره رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا بزيادة « يا نساء المسلمات » ووحر الصدر غشه ووساوسه ، وقيل الحقد والغيظ ، وقيل العداوة ، وقيل أشد الغضب ، وقيل الغل اللاصق به كما تلصق الوحرة بالأرض ، وكذلك رواه البخارى فى كتاب الأدب والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بإسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تهادوا تحابوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل الصدور » وفى حديث الملاعنة « إذ جاءت به أحمر قصيرا مثل الوحرة فقد كذب عليها » وفى الحديث « من أحب أن يذهب كثيرا من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر » .

﴿ الوحش ﴾ : كل شىء من دواب البر مما لا يستأنس والجمع وحوش ، يقال حمار وحش وثور وحش وكل شىء لا يستأنس من الناس فهو وحش ، وقد تقدم فى أول الباب الذى قبله الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لله عز وجل مائة رحمة قسم منها رحمة بين جميع الخلائق فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها تعطف الوحش على أولادها ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » وإنما خص النبى صلى الله عليه وسلم الوحش بالذكر لنفورها وعدم استئناسها . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله سبحانه وتعالى : ابن آدم وعزتى وجلالى لئن رضيت بما قسمت لك أرحتك وأنت محمود ، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش ثم لا يكون لك إلا ما قسمت لك وأنت مذموم » وروى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مرفوعا « من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله له » .

وفى الإحياء أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام « يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » وقال أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب : قال قيس بن عبادة

بلغنى أن الوحش كانت تصوم عاشوراء . وقال الفتح بن سخرب وكان من الزهاد : كنت أفتت للنمل خبزا فى كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله .

(تتمة مشتملة على فوائد حسنة) قال شيخ الإسلام محيى الدين النووى فى الأذكار فى باب أذكار المسافر عند إرادة الخروج من بيته : يستحب له عند إرادته الخروج من بيته أن يصلى ركعتين لحديث المقطم بن المقدام الصحابى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر » رواه الطبرانى. قال بعض أصحابنا : يستحب أن يقرأ فى الأولى منهما بعد الفاتحة — قل أعوذ برب الفلق — وفى الثانية — قل أعوذ برب الناس — وإذا سلم قرأ آية الكرسى فقد جاء « إن من قرأ آية الكرسى قبل خروجه من منزله لم يصبه شىء يكرهه حتى يرجع » ويستحب أن يقرأ سورة لإيلاف قريش فقد قال السيد الجليل أبو الحسن القزوينى الفقيه الشافعى صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والمعارف المتظاهرة : إنه أمان من كل سوء . وقال أبو طاهر ابن حجشويه : أردت سفرا وكنت خائفا منه فدخلت على القزوينى أسأله الدعاء فقال لى ابتداء من قبل نفسه : من أراد سفرا ففزع من عدو أو وحش فليقرأ — لإيلاف قريش — فإنها أمان من كل سوء فقرأتها فلم يعرض لى عارض حتى الآن انتهى . قوله المقطم الصحابى وهم فإنه لا يعرف فى الصحابة من اسمه المقطم ، والحديث المذكور مرسل فإن راويه إنما هو المقطم ابن المقدام الصنعانى رواه الطبرانى فى كتاب المناسك ، وقد وقع هذا الاسم فى الأذكار مصحفا كما ترى صحف الصنعانى فجعله الصحابى ، وربما ظن أن ذلك تصحيف من النساخ حتى وجد كذلك بخط الشيخ محيى الدين النووى هكذا أفادنا هذه الفائدة شيخنا الحافظ العلامة زين الدين ابن عبد الرحيم العراقى رحمه الله وأحسن إليه . قال : والصنعانى المذكور نسبة إلى صنعاء الشام لا إلى صنعاء اليمن .

(تتمة أخرى) قوله تعالى — وإذا الوحوش حشرت — أى جمعت ، وقوله تعالى — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون — . اختلف العلماء فى حشر البهائم والوحش والطير ؟ فقال عكرمة : حشرها موتها . وقال أبى بن كعب : حشرت أى اختلطت . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : حشر كل شىء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوفيان يوم القيامة . وقال الجمهور : الجميع تحشر وتبعث حتى الذباب ويقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقول الله تعالى كونى ترابا ، فعند ذلك يتمنى الكافر أن يكون ترابا فذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافر — يا ليتنى كنت ترابا — قاله أبو هريرة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنه فى إحدى الروايات والحسن البصرى ومقاتل وغيرهم . ورأيت

فى بعض التفاسير : أن المراد بالكافر هنا إبليس لعنه الله ، وذلك أنه عاب آدم عليه السلام كونه خلق من تراب وافتخر عليه كونه خلق من نار فإذا عاين يوم القيامة مافيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أن يكون ترابا كالبهائم والوحش والطير . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : فيقول التراب للكافر لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى ثم يحول ذلك التراب فى وجوه الكفار فذلك قوله تعالى — ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة — أى ظلمة وكآبة وكسوف وسواد . فإن قيل : ما الفرق بين الغبرة والقترة : قيل : إن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل فى الأرض قاله ابن زيد .

وروى الجماعة من حديث رافع بن خديج قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فند منا بعير فرماه رجل بسهم فقال صلى الله عليه وسلم : إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا » .

(تتمة أخرى) قال الشيخ قطب الدين القسطلانى : مما حفظت من دعاء والدتى أم محمد آمنة ووفاتها فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة ، وهو ينفع للوقاية من الأعداء وممن يخاف شره : اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائى احتجبت ، وبسطوة الجبروت ممن يكيدنى استترت ، وبطول حول شديد قوتك من كل سلطان تحصنت ، وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت ، وبمكنون السر من سرسرك من كل هم وغم تخلصت ، ياحامل العرش عن حملة العرش ، ياشديد البطش ، ياحابس الوحش ، احبس عنى من ظلمنى واغلب من غلبنى — كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز — اه . وقد فكرت فى معنى قولها ياحابس الوحش فظهر لى فيه أنها أرادت قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة الحديبية « حبسها حابس الفيل » والقصة فى ذلك مشهورة وقد تقدمت . وقال الشيخ قطب الدين أيضا : ومما حفظته من دعاء والدتى وهو من الأدعية التى تنفع فى الحجب من الأعداء : اللهم إنى أسألك بسر الذات السر هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت ، احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم من أسماء الله من عدوى وعدو الله ، ومن شر كل خلق الله بمائة ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله ، ختمت على نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى وجميع ما أعطانى ربى بخاتم الله القدوس المنيع الذى ختم به أقطار السموات والأرض ، حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ومما جرب فى الحجب عن الأعداء أيضا ويمنع من شر كل سلطان وشيطان وسبع وهامة أن يقول سبع مرات عند طلوع الشمس : أشرق نور الله وظهر كلام الله وثبت أمر الله ونفذ حكم الله ، استعنت بالله وتوكلت على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، تحصنت بخفى لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة سلطان الله دخلت

فى كنف الله واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم برئت من حولى وقوتى واستعنت بحول الله وقوته ، اللهم استرنى فى نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى بسترك الذى سترت به ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل إليك يارب العالمين ، احجبنى عن القوم الظالمين بقدرتك يا قوى يا متين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ الودع ﴾ : واحدته ودعة وهو حيوان فى جوف البحر إذا قذف إلى البر مات وله بريق ولون حسن وتصلب كصلابة الحجر فيثقب ويؤخذ منه القلائد يتحلى بها النساء والصبيان وفى داله الفتح والسكون . قال الشاعر :

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

واسمها مشتق من ودعته أى تركته لأن البحر ينضب عنها ويدعها فهى ودع بالتحريك ، وإذا قلت الودع بالتسكين فهو من باب ماسمى بالمصدر .

﴿ الوراء ﴾ : ولد البقرة ، وقد تقدم ما فى البقرة فى باب الباء الموحدة .

﴿ الورد ﴾ : الأسد ، قيل له ذلك تشبيها بلون الورد الذى يشم ، ولذلك قيل للفرس ورد وهو بين الكميت والأشقر والأنثى وردة والجمع ورد بالضم مثل جون وجون . ومن الأحاديث الموضوعة ما ذكره ابن عدى وغيره فى ترجمة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليلة أسرى بى إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقى فنبت منه الورد فمن أراد أن يشم رائحتى فليشم الورد » .

﴿ الوردانى ﴾ : بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام ؛ وله غرابة لون وظرافة قد قاله الجاحظ .

﴿ الورشان ﴾ : بالشين المعجمة هو ساق حر المتقدم فى باب السين المهملة وهو ذكر القمارى والجمع وراشين ، ويجمع أيضا على ورشان بكسر الراء كسكران جمع للطائر ، وقيل إنه طائر يتولد بين الفاختة والحمامة وبعضهم يسميه الورشين ، وفى ذلك يقول ابن عنين ملغزا :

يا علماء القريض إنى أعجزنى فى القريض كشف
فخبرونى عن اسم طير النصف ظرف والنصف حرف

وكنيته أبو الأخضر وأبو عمران وأبو النائحة ، وهو أصناف : منها النوبى وهو أسود

حجازى إلا أنه أشجى صوتا منه ، ومزاجه بارد رطب بالنسبة إلى مزاج الحجازيات ، وصوته بين أصواتها كصوت العود بين الملاهى ، والورشان يوصف بالحنو على أولاده حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها فى يد القانص . قال عطاء إنه يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة مجازا . قال الشاعر :

له ملك ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

حكى القشيرى فى رسالته فى باب كرامات الأولياء : أن عتبة الغلام كان يعقد فيقول : ياورشان إن كنت أطوع لله منى فتعال فاقعد على كفى فيجىء الورشان فيقعد على كفه .

(وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات .

(تتمة) كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرى المعروف بورش قصيرا سمينا أشقر أزرق العينين شديد البياض حسن الصوت بالقراءة ، ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان فكان يقول له : اقرأ يا ورشان افعل يا ورشان ، وكان لا يكرهه ويعجبه ويقول : أستاذى نافع سمانى به فغلب عليه ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش . قال ورش : خرجت من مصر لأقرأ على نافع فلما دخلت المدينة فإذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة وكان لا يقرىء أحدا إلا ثلاثين آية . قال : فتوسلت إليه ببعض أصحابه فجئت إليه معه فقال هذا رجل جاء من مصر ليقرأ عليك خاصة لم يجىء تاجرا ولا حاجا ، فقال له نافع : أنت ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار ، فقال : أريد أن تحتال له فى وقت ، فقال لى نافع : يا أخى يمكنك أن تبيت فى المسجد ؟ قلت : نعم ، فبت فيه ، فلما كان الفجر جاء نافع فقال : مافعل الغريب ؟ فقلت : نعم ها أنا ذا يرحمك الله ، فقال : اقرأ فقرأت وكنت حسن الصوت بالقراءة فاستفتحت أقرأ فملأ صوتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهيت إلى رأس الثلاثين آية أشار إلى أن اسكت فسكت ، فقام إليه شاب من الحلقة فقال : يا معلم الخير نحن معك بالمدينة وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك وقد وهبته من نوبتى عشر آيات وأنا أقتصر على عشرين ، فقال اقرأ فقرأتها ، ثم قام فتى آخر فقال كقول صاحبه فقرأت عشر آيات وقعدت ، حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة ، قال لى اقرأ فقرأت خمسين آية حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة . وتوفى ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة ومولده سنة عشرين ومائة .

(الأمثال) قالوا : بعلة الورشان يأكل رطب المشان بالإضافة ولا تقل الرطب المشان وهو نوع من التمر ، والمشان : ضرب من الرطب . والسبب فى ذلك أن قوما استحفظوا عبدا لهم رطب نخلهم فكان يأكله فإذا عوتب على سوء الأثر فيه يقول أكله الورشان فقيل ذلك . يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شىء آخر .

(الخواص) دمه يقطر فى العين التى أصابتها طرفة أو ضربة فيحلل دمها المجتمع وكذلك يفعل دم الحمام أيضا . وقال هرمس : من داوم على أكل بيضه زاد جماعه وأورثه العشق .

(التعبير) الورشان رجل غريب مهين ، ويدل على أخبار ورسل لأنه أخبر نوحا عليه الصلاة والسلام بنقص الماء لما كان فى السفينة ، وقيل الورشان امرأة صدوق ، والله أعلم .

﴿ الورقاء ﴾ : الحمامة التى يضرب لونها إلى خضرة والورقة سواد فى غبرة ومنه قيل للرماد ورق وللذئبة ورقاء والجمع ورق كأحمر وحمر ، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « جاء رجل من بنى فزارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لك من إبل ؟ قال نعم . قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر . قال : فهل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقا . قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : هو ذاك » قال السهيلى فى قصة سواد بن قارب : ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها ورقاء أمر بوأدها وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة ، فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تدفن الصبية وخلها فى البرية ، فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال إن لها لشأنا وتركها ، فكانت كاهنة قريش ، فقالت يوما : يابنى زهرة إن فيكم نذيرة تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكم ، فعرضوا عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر عليها بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت : هذه النذيرة وستلد نذيرا ، وهو خبر طويل ذكر الزبير بن بكار منه يسيرا . وقال الغزالى فى الإحياء : روى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوة فجرت بينهم مسئلة فى العلم وأبو الحسين ساكت ، ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو هتفت فى فنن
ذكرت إلفا وخدنا صالحا فبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال : فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم حقا ، وقد شبه بها الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا النفس حيث قال :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما ألفت فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكى وقد نسيت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمة بكل خفية ... فى العالمين فخرقها لم يرقع
فهبوطها إذا كان ضربة لازب ... لتكون سامعة لما لم تسمع
فلأى شىء أهبطت من شاهق ... سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة ... طويت عن الفطن اللبيب الأورع
أوعاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وكان الرئيس أبو على نادرة عصره وعلامة دهره وهو أحد فلاسفة المسلمين وله وصايا فى الطب كثيرة نظما ونثرا ، فمن المنسوب إليه من ذلك:

اسمع بنى وصيتى واعمل بها ... فالطب معقود بنص كلامى
لا تشربن عقيب أكل عاجلا ... فتقود نفسك للأذى بزمام
واجعل غذاءك كل يوم مرة ... واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه ... ماء الحياة يراق فى الأرحام

وينسب إليه أيضا :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسرّحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

قال الشيخ كمال الدين بن يونس : إن مخدومه سخط عليه فاعتقله ومات فى السجن سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

﴿ الورل ﴾ : بفتح الواو والراء المهملة وباللام فى آخره دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه والجمع أورال وورلان والأنثى ورلة كذا قاله ابن سيده . وقال القزوينى : أنه أعظم من الوزغ وسام أبرص طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة . وقال عبد اللطيف

البغدادى : الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق . فأما الورل وهو الحرذون فليس فى الحيوان أكثر سفادا منه ، وبينه وبين الضب عداوة فيغلبه الورل الضب ويقتله لكنه لا يأكله كما يفعل بالحية ، وهو لا يتخذ بيتا لنفسه ولا يحفر له جحراً بل يخرج الضب من جحره صاغرا ويستولى عليه ، وإن كان أقوى براثن منه لكن الظلم يمنعه من الحفر ولهذا يضرب بالورل المثل فى الظلم ، ويكنى فى ظلمه أنه يغصب الحية جحرها ويبلعها ، وربما قتل فوجد فى جوفه الحية العظيمة وهو لا يبتلعها حتى يشدخ رأسها ويقال إنه يقاتل الضب . والجاحظ يقول : إن الحرذون غير الورل ، ووصفه بأنه دابة تكون غالبا بناحية مصر مليحة موشاة بألوان كثيرة ، ولها كف ككف الإنسان مقسومة أصابعها إلى الأنامل ، وهو يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه ، وهو أظلم ظالم .

(فائدة) قال أهل اللغة : لا تلتقى الراء مع اللام إلا فى أربع كلمات : الورل وهو هذا الحيوان المذكور ، وأرل اسم جبـــل ، وغرلة وهى القلفة ، وجرل وهو ضرب من الحجارة .

(الحكم) مقتضى ما تقدم من أكله الحيات أنه يحرم وهذا هو الظاهر من قول الأقدمين ، ورجح الرافعى أنه يرجع فيه إلى استطابة العرب وعدمها لقوله تعالى : — يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات — وليس المراد الحلال وإن كان قد ورد الطيب بمعنى الحلال فإن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة ، والعرب أولى باعتبار ذلك لأن الدين عربى والنبى صلى الله عليه وسلم عربى ، وإنما يرجع فى ذلك إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف البلاد الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات وحالتى الخصب والرفاهية دون حالتى الجدب والشدة . وقال بعضهم : المعتبر هنا العرب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب كان لهم . وقال ابن عبد البر فى التمهيد : ذكر عبد الرزاق قال : أخبرنى رجل من ولد سعيد بن المسيب قال : أخبرنى يحيى بن سعيد قال : كنت عند سعيد بن المسيب فجاءه رجل من غطفان فسأله عن الورل فقال : لا بأس به وإن كان معكم منه شىء فأطعمونا منه . قال عبد الرزاق : والورل يشبه الضب اه .

وقد ذكر فى كتاب [رفع التمويه فيما يرد على التنبيه] ما حاصله أنه فرخ التمساح وقال : لأن التمساح يبيض فى البر فإذا خرجت فراخه نزل بعضها فى البحر وبقى بعضها فى البر ، فما نزل إلى البحر صار تمساحا وما بقى فى البر صار ورلا . قال : فعلى هذا يكون فى حله الوجهان كما فى التمساح اه . وهذا الذى قاله لا أعتقد صحته وذلك لأن الورل ليس على صفات

التمساح لأن جلده يخالف جلده فى النعومة ، وأيضا فإنه لو كان من التمساح لأخذ فى الكبر حتى يصير فى حجمه ، والورل فى المقدار لا يزيد على ذراع ونصف أو ذراعين ، والتمساح يبلغ عشرة أذرع وأكثر .

(تنبيه مهم) اعلم أنه تقدم فى هذا الكتاب حيوانات لم تتعرض الأصحاب لها بالحل ولا بالحرمة وذلك نحو : البلنصى والدبل والقرعيلان والقزر والفنفشة والورل وغير ذلك ، إلا أنهم أعطوا قواعد كلية عامة وقواعد خاصة وذلك لما أيسوا من الطمع فى حصر أنواع الحيوانات ، فمن قواعدهم الخاصة : تحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وكل ما يقتات من النجاسات والخبائث ، وكل ما نهى عن قتله أو أمر بقتله أو تولد بين مأكول وغيره ، وكل نهاش والحشرات بأسرها إلا الضب واليربوع والقنفذ وابن عرس والدلدل . ومن قواعدهم الخاصة أيضا : تحليل كل ذات طوق ولقاط وطيور الماء كلها إلا اللقلق كما تقدم . ومن هذه القواعد يؤخذ تحريم الورل لأنه من الحشرات ولم يستثنوه وكذا غيره من الحشرات كالخلد والربارب وفأرة البيش والأيل ، ومما يدل على منع أكل الورل قول الجاحظ وغيره إن الورل يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه . قال : وبراثن الورل أقوى من براثن الضب إلا أن الورل يخرج الحية من جحرها ولا يحفر خوفا منه على براثنه ، ثم المعنى بقولهم ما أمر بقتله لمعنى فيه كالفواسق الخمس ، أما ما أمر بقتله لمعنى فى غيره فلا يحرم ، ومن ذلك الدابة المأكولة إذا وطئت فإنه يجب ذبحها ولا يحرم أكلها على الصحيح ، وإن ورد الأمر بقتلها لأن ذلك ليس لمعنى فيها بل هو فى غيرها وهو تعيير الزانى وتذكره الفاحشة برؤيتها ، وقد أمر عمر رضى الله عنه بقتل الديكة لأنهم كانوا يتهارشون بها ، وأمر بقتل الحمام لأنهم كانوا يلعبون بها ويؤذون الناس بصعودهم الأسطحة والرمى بالأحجار ، وقولهم ما نهى عن قتله فحرام يعنون به ما نهى عن قتله إكراما له ، قال الخطابى : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الهدهد كرامة له لأنه أطاع نبيا لأنه حرام نقله عنه العبادى ، وقضيته ترجيح وجه القائل بحل الصرد لأن النهى عن قتله لأمر خارج عنه لا معنى فيه ، ولما كانت هذه القواعد غير عامة لجميع الحيوان ذكر الأصحاب قاعدة عامة وهى الاستطابة والاستخباث وعليها مدار الباب .

قال الرافعى : من الأصول المرجوع إليها فى التحريم والتحليل الاستطابة والاستخباث ورآه الشافعى ، والأصل العظيم المعتمد فيه قوله تعالى — يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات — وليس المراد بالطيب هنا الحلال وإن كان قد يرد الطيب بمعنى الحلال لأن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة .

قال الأئمة : ويبعد الرجوع إلى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبونه

ويستخبثونه لأن ذلك يوجب اختلاف الأحكام فى الحلال والحرام ، وذلك يخالف موضوع الشرع فى حمل الناس على شرع واحد ، ورأوا العرب أولى الأمم بأن يؤخذ استطابتهم واستخباثهم لأنهم المخاطبون أولا ، والدين عربى والنبى صلى الله عليه وسلم عربى ، وإنما يرجع إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف سكان البوادى الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات ، وحالتى الخصب والرفاهية دون حالتى الجدب والشدة .

وقال بعضهم : المعتبر الرجوع إلى عادة العرب الذين كانوا فى عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الخطاب كان لهم . ويشبه أن يقال يرجع فى كل زمان إلى العرب الموجودين فيه ، ويدل لهذا التوجيه ما تقدم فى باب العين المهملة فى لفظ العضارى. عن أبى عاصم العبادى أنه حكى عن الأستاذ أبى ظاهر الزيادى أنه قال : كنا نرى العضارى حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجينى فقال : إنه حلال ، فبعثنا منه جرابا إلى البادية وسألنا العرب عنه فقالوا : هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه : وإذا اختلف المرجوع إليهم فاستطابته طائفة واستخبثته طائفة اتبعنا الأكثرين ، فإن استوت الطائفتان قال الماوردى فى الحاوى وأبو الحسن العبادى : إنه يتبع قريش لأنهم قطب العرب وفيهم النبوة ، فإن اختلفت قريش أو لم يحكموا بشىء اعتبر أقرب الحيوانات شبها به والشبه يكون تارة فى الصورة وتارة فى الطبع من السلامة والعدوان وأخرى فى طعم اللحم ، فإن تساوى الشبه أو لم يوجد مايشبهه ففيه وجهان انتهى. زاد فى الحاوى هما من اختلاف أصحابنا فى أصول الأشياء قبل ورود الشرع هل هى على الإباحة أو الحظر ؟ أحد الوجهين أنها على الإباحة حتى يرد الشرع بالحظر انتهى .

قال أبو العباس : إذا وجد حيوان لا يعرف حاله عرض على العرب ، فإن سموه باسم ما يحل حل ، وإن سموه باسم ما يحرم حرم وإن لم يكن له اسم عندهم اعتبر بأقرب الأشياء شبها من الذى يحل أو يحرم ، وعلى هذا نص الشافعى رحمه الله تعالى . وقال الرافعى : وفى استصحاب حكم ما ثبت تحريمه فى شرع من قبلنا قولان : أجدهما نعم أخذا بما كان إلى أن يظهر ناسخ ، والثانى لا بل اعتماد ظاهر الآية المقتضية للحل أولى ، والخلاف على ما ذكر الموفق بن طاهر رحمه الله تعالى مبنى على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا؟ فيه اختلاف أصولى ، والأوفق لسياق كلام الأصحاب أنه لا يستصحب حكم شرع من قبلنا وعلى هذا فلا تفريع . وعلى القول بالاستصحاب فذلك إذا ثبت بالكتاب أو السنة أنه كان حراما فى شرع من قبلنا وشهد به اثنان أسلما منهم ممن يعرف التبديل فيه قول أهل الكتاب انتهى كلام الرافعى. قال فى الحاوى : ولو كان الحيوان ببلاد العجم اعتبر حكمه فى أقرب بلاد العرب عند من جمع الأوصاف

المعتبرة ، فإن اختلفوا فيه اعتبر حكمه فى أقرب بلاد الشرائع للإسلام وهى النصرانية ، فإن اختلفوا فيه فعلى ما ذكرناه من الوجهين يعنى فى الأشياء قبل ورود الشرع انتهى .

قلت : ولا بد من التنبيه هنا على أمرين :

أحدهما أنا إذ قلنا باستصحاب شرع من قبلنا كما هو اختيار ابن الحاجب وغيره من الأصوليين فله شرطان : أحدهما أن لا يختلف فى تحريمه وتحليله شريعتان . فإن اختلفتا بأن كان حراما فى شريعة إبراهيم عليه السلام وحلالا فى شريعة غيره ، فيحتمل أن نأخذ بالشريعة المتأخرة ، ويحتمل التخيير إن لم نقل بأن الثانية ناسخة للأولى ، فإن ثبت كون الثانية ناسخة للأولى وجهل كونه حراما فى الشريعة السابقة أو اللاحقة وقف يحتمل الرجوع إلى الإباحة الأصلية فيأتى الوجهان السابقان .

الأمر الثانى : أن يكون التحريم أو التحليل ثابتا قبل تحريفهم وتبديلهم ، فإن استحلوا أو حرموا بعد النسخ فلا عبرة به ، والله أعلم .

(الأمثال) قالوا : أجبر من ورل وأسرع من تلمظ الورل وهو الأكل بطرف اللسان وكذلك يأكل الورل . وقالوا : أشرد وأضل وأظلم من ورل .

(الخواص) شعره إذا شد على عضد امرأة لم تحمل ما دام ذلك عليها ، ولحمه وشحمه يسمن النساء ، وفيه قوة جذب الشوك من البدن ، وجلده يحرق ويخلط رماده بدردى الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب خدره ، وزبله ينفع من الكلف والنمش طلاء .

(التعبير) الورل فى المنام يدل على عدو خسيس الهمة ذى مهانة وقصور حجة ، والله تعالى أعلم .

﴿ الوزغ ﴾ : بفتح الواو والزاى والغين المعجمة : دويبة معروفة ، وهى وسام أبرص جنس فسام أبرص كباره . واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات ، وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وأزغان على البدل حكاه ابن سيده .

روى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن أم شريك رضى الله تعالى عنها « أنها استأمرت النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل الوزغان فأمرها بذلك » .

وفى الصحيحين « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقا وقال : كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام » وكذلك رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وفى الحديث الصحيح من رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها فى الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الأولى ، ومن قتلها فى الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الثانية

وفيه أيضا « أن من قتلها فى الأولى فله مائة حسنة ، وفى الثانيـــة دون ذلك ، وفى الثالثة دون ذلك » .

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الوزغة ولو فى جوف الكعبة » لكن فى إسناده عمر بن قيس المكى وهو ضعيف .

وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه؛

وفى سنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها : «أنه كان فى بيتها رمح موضوع فقيل لها ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله» وكذلك رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الفقيه الشافعى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل وزغة محا الله عنه سبع خطيات » .

وفى الكامل فى ترجمة وهب بن حفص عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من قتل وزغة فكأنما قتل شيطانا». وروى الحاكم فى كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فدخل عليه مروان بن الحكم ، فقال : هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون» ثم قال صحيح الإسناد .

وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان : سنة أبى بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر : سنة هرقل وقيصر ، فقال له مروان : أنت الذى أنزل الله فيك —والذى قال لوالديه أف لكما— فبلغ ذلك عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت : كذب والله ماهو به ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه ، ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه وكانت له صحبة قال : « إن الحكم بن أبى العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته ، فقال صلى الله عليه وسلم : ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم ، وقليل ماهم يشرفون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ، ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق » .

قال ابن ظفر : وكان الحكم بن أبى العاص يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل .

وأما تسمية الوزغ فويسقا فنظيره الفواسق الخمس التى تقتل فى الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج ، وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر والأذى .

وأما تقيد الحسنات فى الضربة الأولى بمائة وفى الثانية بسبعين كما فى بعض الروايات. فجوابه أنه كقوله فى صلاة الجماعة بسبع وعشرين وبخمس وعشرين ، وأن مفهوم العدد لا يعمل به فذكر السبعين لا يمنع المائة فلا تعارض بينهما ، أو لعله صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالسبعين ثم تصدق الله تعالى بالزيادة علينا فأعلم به صلى الله عليه وسلم حين أوحى الله إليه بعد ذلك ، أو أنه يختلف باختلاف قاتلى الوزغ بحسب نياتهم وإخلاصهم وكمال أحوالهم ونقصها فتكون المائة للأكمل منهم والسبعون لغيره . قال يحيى بن يعمر : لأن أقتل مائة وزغة أحب إلىّ من أن أعتق مائة رقبة ، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء زعموا أنها تسقى من الحيات وتمج فى الإناء فينال الإنسان المكروه العظيم بسبب ذلك .

وسبب كثرة الحسنات فى المبادرة أنّ تكرر الضربات فى القتل يدل على عدم الاهتمام بأمر صاحب الشرع ، إذ لو قوى عزمه واشتدت حميته لقتلها فى المرة الأولى لأنه حيوان لطيف لا يحتاج إلى كثرة مؤنة فى الضرب ، فحيث لم يقتلها فى المرة الأولى دل ذلك على ضعف عزمه فلذلك نقص أجره من المائة إلى السبعين. وعلل عز الدين ابن عبد السلام كثرة الحسنات فى الأولى بأنه إحسان فى القتل فيدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » أو أنه مبادرة إلى الخير فيدخل تحت قوله تعالى — فاستبقوا الخيرات — قال . وعلى كلا المعنيين فالحية والعقرب أولى بذلك لعظم مفسدتهما .

وذكر أصحاب الآثار أن الوزغ أصم . قالوا : والسبب فى صممه ما تقدم من نفخه النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فصم لأجل ذلك وبرص. ومن طبعه أنه لا يدخل بيتا فيه رائحة الزعفران وتألفه الحيات كما تألف العقارب الخنافس ، وهو يلقح بفيه ويبيض كما تبيض الحيات ويقيم فى جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئا .

وقد تقدم فى حرف السين المهملة ما يتعلق بأحكامها وخواصها .

وقد أحسن فى وصف الوزغة وغيرها الأديب الشاعر كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى صاحب المقامة البحرية ؛ ووفاته فى المحرم سنة اثنتين وستمائة ، وكان والده خطيب بيت المقدس حيث قال يذم دار سكناه :

دار سكنت بها أقل صفاتها ... أن تكثر الحشرات فى حجراتها
الخير عنها نازح متباعد ... والشر دان من جميع جهاتها
من بعض مافيها البعوض عدمته ... كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى ... غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه ... قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عي ... ن الشمس ماطربى سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فتكها ... فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز ... أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها ... وتصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة ... نزع الطهاة بنضجها شوكاتها
فاقت على سحر القنا فى لونها ... وسماتها وشياتها وصفاتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت ... عنه العتاق الجرد فى حملاتها
فترى أبا غزوان منها هاربا ... وأبا الحصين يروغ من طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت ... فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها ... أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها ... مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكم متحارب ... متراكب فى الأرض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها ... لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها ... حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما ... قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو ... ن جلودنا فالعفو من سطواتها
ما راعنى شئ سوى وزغاتها ... فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ... ورق الحمام سجعن فى سحراتها
وبها زنابير تظن عقاربا ... لا برء للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالأقارب رتعا ... فينا حمانا الله لدغ حماتها
وكأنما حيطانها كغرابل ... أطلعن أرؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل إلى النجاة ولانجا ... ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفثاتها والمكر فى ... لفتاتها والموت فى لسعاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها ... والأرض قد نسجت ببراقاتها
فلقد رأينا فى الشتاء سماؤها ... والصيف لاتنفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها ... وترابها كالوبل من حثياتها
والبوم عاكفة على أرجائها ... والآل يلمع فى ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها ... وجهنم تعزى إلى لفحاتها
قد رمت من قبل يلقى آدم ... مع أمنا حواء فى عرفاتها

شاهدت مكتوبا على أرجائها ورأيت مسطورا على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها يارب نجّ الناس من آفاتها
قالوا إذا ندب الغراب منازلا يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق كذب الرواة فأين صدق رواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها فيها وتنذر باختلاف لغاتها
صبرا لعل الله يعقب راحة للنفس إذ غلبت على شهواتها
كم بت فيها مفردا والعين شو قا للصباح تسحّ من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى أخرى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(والوزغ فى الرؤيا) رجل معتزلى يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف خامل الذكر وكذلك العظاء، وربما دل الوزغ على العدو والمجاهر بالشر والكلام السوء والتنقل من الأمكنة.

﴿الوصع﴾ : بفتح الواو والصاد المهملة فى آخره : الصعوة ، وقد تقدم الكلام عليها فى باب الصاد المهملة ، وقيل هو طائر أصغر من العصفور .

وفى الحديث « إن إسرافيل عليه الصلاة والسلام له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، وإن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتضاءل الأحيان من عظمة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع » يروى بفتح الصاد المهملة وسكونها . وقال ابن الأثير : إنه أصغر من العصفور . والجمع وصعان .

وفى أول [التعريف والأعلام] للسهيلى أن أول من سجد من الملائكة لآدم إسرافيل عليه السلام ، ولذلك جوزى بولاية اللوح المحفوظ ، قاله محمد بن الحسن النقاش .

﴿الوطواط﴾ : الخفاش ، وقد تقدم ما فيه فى باب الخاء المعجمة .

وروى الحافظ ابن عساكر فى تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد أنه قال : كتب رجل إلى ابن عباس يسأله عن شىء ليس له لحم ولا دم تكلم ، وعن شىء ليس له لحم ولا دم سعى ، وعن شىء ليس له لحم ولا دم تنفس ، وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا وأجابا ، وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ، وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها ، وعن موسى عليه السلام وكم أرضعته أمه قبل أن تلقيه فى اليم ، وفى أى بحر وفى أى يوم ألقته ، وكم كان طول آدم عليه السلام وكم عاش ومن كان وصيه ؟

وعن طير لايبيض ويحيض ، فقال : الأول النار قالت : هل من مزيد؟ والثانى عصا موسى عليه السلام ، والثالث الصبح ، والرابع السموات والأرض — قالتا أتينا طائعين — والخامس الغراب الذى بعثه الله إلى ابن آدم ، والسادس البقرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن ، وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه فى اليم ثلاثة أشهر ، وألقته فى بحر القلزم وكان ذلك يوم الجمعة ، وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعا وعاش ألف سنة إلا ستين سنة ، وكان وصيه شيث ، والطير الوطواط الذى نفخ فيه عيسى عليه السلام فكان طائرا بإذن الله عز وجل .

(وحكمه) تحريم الأكل للنهى عن قتله كما تقدم فى باب الخاء المعجمة .

(الأمثال) قالوا : أبصر من الوطواط بالليل : أى أعرف ، ويسمون الجبان وطواطا .

(التعبير) الوطواط تدل رؤيته على الغى والضلالة عن الحق ، وربما دلت رؤيته على ولد الزنا لأنه من الطير وليس بطائر ، وهو يرضع كما يرضع الآدمى ، وربما دلت رؤيته على زوال النعم والبعد من المألوفات لأنه من الممسوخين وهذا بعيد ، وربما دلت رؤيته على إقامة الحجة والبينة لقوله تعالى — وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها — الآية ، وهذا أظهر الأقاويل عندى ، والله تعالى أعلم .

﴿ الوعوع ﴾ : ويقال له أيضا الوع ابن آوى ، وقد تقدم الكلام عليه فى أواخر باب الهمزة .

﴿ الوعل ﴾ : بفتح الواو وكسر العين المهملة الأروى المتقدم فى باب الهمزة وهو التيس الجبلى والأنثى تسمى أروية وهى شاة الوحش والجمع أوعال ووعول .

وذكر ابن عدى فى كامله فى ترجمة محمد بن إسماعيل بن طريح أنه قال : حدثنى أبى عن جدى أنه حضر أمية بن أبى الصلت حين حضرته الوفاة فأغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه فنظر حيال باب البيت وقال : لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لاعشيرتى تحمينى ولا مالى يفدينى ، ثم أغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه وقال :

كل حى وإن تطاول دهرا ... آيل أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدا لى ... فى رءوس الجبال أرعى الوعولا

ثم فاضت نفسه .

وعن شهر بن حوشب قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه : يا أبتاه إنك كنت تقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت به حتى يصف لى ما يجد وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت ، فقال : يابنى والله كأن السماء قد أطبقت على الأرض ،

وكأن جنبيّ فى تخت ، وكأنى أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوك يجذب من قدمىّ إلى هامتى ، ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رءوس الجبال أرعى الوعولا

(ومن غريب ما اتفق) أن عبد الملك بن مروان لما احتضر وكان قصره يشرف على بردى فنظر إلى غسال يغسل الثياب فقال : ليتنى كنت مثل هذا الغسال أكتسب ما أعيش به يوما بيوم ولم أل الخلافة ، وتمثل بقول أمية بن أبى الصلت : * كل حى وإن تطاول دهرا * البيتين المتقدم ذكرهما فاتفق له كما اتفق لأمية من الموت عقب ذلك ، فلما بلغ ذلك أبا حازم قال : الحمد لله الذى جعلهم فى وقت الموت يتمنون ما نحن فيه ولم يجعلنا نتمنى ما هم فيه . وفى [الاستيعاب] فى ترجمة الفارعة بنت أبى الصلت أخت أمية بن أبى الصلت « أنها قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتحه للطائف ، وكانت ذات لب وعفاف وجمال وكان صلى الله عليه وسلم يعجب بها فقال لها صلى الله عليه وسلم يوما : هل تحفظين من شعر أخيك شيئا » فأخبرته خبره وما رأت منه وقصت قصته فى شق جوفه وإخراج قلبه ثم عوده إلى مكانه وهو قائم ، وأنشدت له من شعره الذى أوله :

باتت همومى تسرى طوارقها أكف عينى والدمع سابقها

نحو ثلاثة عشر بيتا ، منها قوله .

ما أرغب النفس فى الحياة وإن تحيى طويلا فالموت لاحقها
يوشك من فر من منيته يوما على غـرة يوافقها
من لم يمت غبطة يمت هرما للموت كأس والموت ذائقها

ثم قالت وإنه قال عند وفاته :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما

ثم قال : * كل حى وإن تطاول دهرا * البيتين .

ثم مات ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » .

وفى طباع الوعل أنه يأوى إلى الأماكن الوعرة الخشنة ولا يزال مجتمعا فإذا كان وقت الولادة تفرق ، وإذا اجتمع فى ضرع أنثى لبن امتصته ، والذكر إذا ضعف عن النزو أكل البلوط فتقوى شهوته ، وإذا لم يجد الأنثى انتزع المنى بالامتصاص بفيه وذلك إذا جدّ به الشبق وفى طبعه أنه إذا أصابه جرح طلب الخضرة التى فى الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح فيبرأ وإذا أحس بالقناص وهو فى مكان مرتفع استاق على ظهره ثم يزج نفسه فينحدر ويكون قرناه وهما فى رأسه إلى عجزه يقيانه ما يخشى من الحجارة ويسرعان به لملوستهما على الصفا.

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال عن المدينة : لو رأيت الوعول تجرش ما بينها ما هجتها ، أراد لو رأيتها ترعى كلأها ماهجتها لأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم صيدها .

وفى الترغيب والترهيب وغريب أبى عبيدة وغيره من حديث أبى هريرة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت » قالوا : يا رسول الله ما الوعول وما التحوت ؟ قال : الوعول وجوه الناس وأشرافهم ، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لايعلم بهم » وبعضه فى الصحيح ، وإنما شبههم بالوعول وضرب بها المثل لأنها تأوى رءوس الجبال ، والله تعالى أعلم .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال « كنا جلوسا بالبطحاء فى عصابة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة فنظر إليها فقال صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما اسم هذه ؟ قلنا : نعم هذا السحاب : قال صلى الله عليه وسلم : وهو المزن والعنان ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض ؟ قلنا : لا . قال صلى الله عليه وسلم : إما واحدة وإما اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة ، والسماء فوقها كذلك حتى عد عليه الصلاة والسلام سبع سموات ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ، وفوق البحر ثمانية أوعال مابين أظلافها وركبها كما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهن العرش من أسفله إلى أعلاه مثل مابين سماء إلى سماء » قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . قال الحافظ الذهبى وهو كما قال الترمذى : حسن غريب ، وقد أخرجه الحافظ الضياء أيضا فى كتاب المختار له ورواه الحاكم فى المستدرك عن سماك بن حرب وقرأ — إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء — :

وفى [التمهيد] لابن عبد البر عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال « حملة العرش أحدهم على صورة إنسان ، والثانى على صورة ثور ، والثالث على صورة نسر ، والرابع على صورة أسد » : وفى تفسير الثعلبى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين » .

وفى سنن أبى داود من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » .

(وحكمه) الحل بالإجماع . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الوعل : إذا قتله المحرم

أو قتل فى الحرم شاة . وذكر القزوينى فى الأشكال عن ابن الفقيه أنه قال : رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ، من ذلك وعول كالتيوس الجبلية ألوانها حمر منقطة ببياض ولحمها حامض انتهى . فإن صح هذا القول فالذى يظهر الحل إلحاقا بمماثله من المأكول عملا بالمشاكلة الصورية ، والله تعالى أعلم .

(الأمثال) قالوا : أزهى من وعل ، وأحمق من ناطح الصخرة : أى الوعل ، وأنشدوا قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهيها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أراد كوعل ناطح فحذف الموصوف وأبقى الصفة .

(وخواصه) تقدمت فى باب الهمزة فى لفظ الأروى ، لكن منها أيضا أن مخه جيد للمرأة التى بها نزف الدم تتحمل به فى صوفة ، ولحمه وشحمه يسحقان ويلقى عليهما صبر وسعد وقرنفل وزعفران وعسل يخلط الجميع ويسقى منه وزن مثقال بماء الكرفس لمن به حصاة فى مثانته يبرأ بإذن الله تعالى .

﴿ الوقواق ﴾ : كقطقاط طائر حكاه ابن سيده ، ولعله القاقى المتقدم فى باب القاف .

﴿ بنات وردان ﴾ : بفتح الواو وتسمى فالية الأفاعى ، وهى دويبة تتولد فى الأماكن الندية ، وأكثر ما تكون فى الحمامات والسقايات ، ومنها الأسود والأحمر والأبيض والأصهب ، وإذا تكونت تسافدت وباضت بيضا مستطيلا ، وهى تألف الحشوش واحدها حش بفتح الحاء المهملة وضمها . قال الجاحظ : أصل الحش القطعة من النخل وهى الحشان بكسر الحاء المهملة وتشديد الشين ، وذلك أن أهل المدينة كانوا إذا أراد أحدهم قضاء الحاجة دخل النخل فكنوا عن مكان الخراء بالحش كما كنوا عنه بالخلاء ، وقالوا لمن يذهب إلى الخراء : ذهب إلى البراز وذهب إلى المستراح وإلى الحش والخلاء والمخرج والمتوضأ والمذهب والغائط وقضاء الحاجة . وقالوا : ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتوضأ كل ذلك هربا من أن يقولوا ذهب إلى الخراء ، وقد وصف بعض الشعراء بنات وردان حيث قال :

بنات وردان جنس ليس ينعته خلق كنعتى فى وصفى وتشبيهى

كمثل أنصاف بسر أحمر تركت من بعد تشقيقه أقماعه فيه

(وحكمها) تحريم الأكل لاستقذارها ، ولا يصح بيعها كسائر الحشرات التى لا ينتفع بها لكنها إذا وقعت فى الماء الطهور لا تنجسه ويعفى عن ذلك ، وكذا كل ما ليست له نفس سائلة أى دم يسيل عند قتله ، وقد تقدم فى الذباب هذا الحكم .

(فرع) قال الأصحاب : ما لا يظهر فيه منفعة ولا مضرة كبنات وردان والخنافس

والجعلان والدود والسرطان والرخم والنعامة والعصافير والذباب يكره قتله ولا يحرم، وعد الرافعي رحمه الله منه الكلب غير العقور . قال : ولا يجوز قتل النمل والنحل والخطاف والضفدع ، وقد تقدم شيء من هذا الحكم في أماكنه .

(الخواص) قال أرسطاطاليس : إذا طبخت بنات وردان بزيت وقطر منه في الأذن الوجعة سكن ألمها وتبرأ من ذلك ، وينفع هذا الزيت من القروح التي في الساقين وفي جميع الأعضاء ، والله تعالى أعلم .

باب الياء

﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ : يهمزان ولا يهمزان لغتان قرئ بهما، فمن همزهما جعلهما مشتقين من أجة الحر وهي شدته وقوته ومنه أجيج النار وهو توقدها وحرارتها ، والتقدير في يأجوج يفعول وفي مأجوج مفعول إذا ترك همزهما قاله الأزهري ، ويحتمل أن يكونا مفعولين وإنما لم يصرفا للتعريف والتأنيث لأنهما اسما القبيلتين . والأكثرون على أنهما اسمان أعجميان غير مشتقين ولذلك لا يهمزان ولا يصرفان للعجمة والتعريف . قال سعيد الأخفش : يأجوج من يج ومأجوج من مج . وقال قطرب : من لم يهمز فيأجوج فاعول مثل داود وجالوت ويكون من يج ، ومأجوج فاعول من مج ، والأسماء الأعجمية مثلها لا تهمز نحو هاروت وماروت وجالوت وطالوت وقارون . قال : ويجوز أن يكون الأصل الهمز فخففا إذا لم يهمز كسائر ما يهمز ، وإن كانا أعجميين فإن العرب تلفظ بألفاظ مختلفة ، ويجوز أن يكونا من الأجة وهي الاختلاط كما قال الله تعالى في صفتهم — وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض — جاء في تفسيره أي مختلطين ، ولعل يج الذي ذكره الأخفش وقطرب مخفف الهمز من أج وإلا فإن يج لا يعرف في كلام العرب لعزة مخرج الجيم والياء . والحاصل أنه يجوز همزهما وتركه كما تقدم وبهما قرئ في السبع ، والأكثرون على ترك الهمز كما تقدم ، وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم ، وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة . قال مقاتل : هم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام . وقال الضحاك: هم من الترك ، وقال كعب الأحبار : احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك . قلت : وفيه نظر لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يحتلمون .

وروى الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده صنف منهم كالإوز طولهم مائة وعشرون ذراعا، وصنف منهم يفترش

أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس » . وقال وهب بن منبه : يأجوج ومأجوج يأكلون الحشيش والشجر والخشب وما ظفروا به من الناس ، ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس .

وقال على رضى الله تعالى عنه : يأجوج ومأجوج صنف منهم فى طول الشبر وصنف منهم مفرط الطول لهم مخالب الطير وأنياب كأنياب السباع ، وتداعى الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب ، وشعورهم تقيهم الحر والبرد ، ولهم آذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها يحفرون السد الذى بناه ذو القرنين حتى إذا كادوا ينقبونه يعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدا إن شاء الله فينقبونه ويخرجون ، وتتحصن الناس منهم بالحصون فيرمون إلى السماء فيرد إليهم السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنغف فى رقابهم ، والنغف هو الدود كما تقدم .

(فائدة) سئل شيخ الإسلام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى عن يأجوج ومأجوج هل هم من ولد آدم وحواء وكم يعيش كل واحد منهم ؟ فأجاب : إنهم أولاد حواء وآدم عند أكثر العلماء . وقيل إنهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون إخوتنا من الأب ، ولم يثبت فى قدر أعمارهم شىء انتهى . وقد تقدم فى الكركند ما نقله الحافظ أبو عمر بن عبد البر من الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام « وأن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : جزت عليهم ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا » .

وروى الشيخان والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك ، فيقول عز وجل : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة : قال : فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قال : فاشتد ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجل » الحديث. قال العلماء : إنما خص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أب للجميع .

وروى الجماعة إلا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها أنها قالت « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمراً وجهه الشريف يقول : لا إله إلا الله

ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت : فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » أشار صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن الذى فتحوا من السد قليل وهم مع ذلك لايلهمهم الله أن يقولوا غدا نفتحه إن شاء الله تعالى فإذا قالوها خرجوا، وقوله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « ويل للعرب » كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة . وفى مسند الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله « ويل واد فى جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » وقيل الويل الشر وقوله صلى الله عليه وسلم « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج » الردم هو الحاجز الحصين المتراكم الذى جعل بعضه فوق بعض، والمراد به الردم الذى عمله الإسكندر بين الصدفين وهما الجبلان. وقوله فى هذا الحديث « إن زينب رضى الله تعالى عنها قالت أنهلك » هو بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى فتحها وهو ضعيف أو فاسد قاله النووى رحمه الله، وقوله صلى الله عليه «نعم» لأن ما استفهم عنه بإثبات كان جوابه نعم وما استفهم عنه بنفى كان جوابه بلى، ولذلك كانت بلى فى جواب —ألست بربكم— ونعم فى جواب —هل وجدتم— فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لزينب رضى الله عنها «نعم» حين قالت أنهلك وفينا الصالحون، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا كثر الخبث » وهو بفتح الخاء والباء الموحدة ، وفسره الجمهور بالفسوق والفجور . وقيل المراد به الزنا خاصة ، وقيل أولاد الزنا ، والظاهر أن المراد به المعاصى مطلقا، ومعناه أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون ، والله تعالى أعلم .

وروى البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفى قال «بينما أنا قاعد مع أبى بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه ثم قال : أما تعرفنى ؟ فقال أبو بكرة : ومن أنت ؟ قال تعلم رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه رأى الردم فقال له أبو بكرة : أنت هو ؟ قال : نعم . فقال : اجلس فحدثنا : قال رضى الله عنه : انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعلمونه فدخلت بيتا فاستلقيت فيه على ظهرى وجعلت رجلى على جداره ، فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم أسمع مثله فرعبت، فقال لى رب البيت : لاتذعرن فإن هذا لايضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك أن تراه ؟ قلت : نعم . قال فغدوت إليه فإذا لبنة من حديد كل واحدة مثل الصخرة وإذا كأنه البرد المحبرة وإذا المسامير مثل الجذوع ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : صفه لى ؟ فقلت : كأنه البرد المحبرة، فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل قد أتى الردم فلينظر إلى هذا » فقال أبو بكرة : صدق اه .

وهذا الردم هو الذى بناه الإسكندر على يأجوج ومأجوج كما تقدم ، وذلك أنه لما بلغ

الجبلين — وجد من دونهما قوما — كما قال الله تعالى — لا يكادون يفقهون قولا — بفتح الياء والقاف أو يفقهون بضم الياء وكسر القاف على اختلاف القراءتين ؛ فعلى الأولى لا يفقهون عن أحد لغته ولا يعرفون غير لغتهم ، وعلى الثانية لا يفهم لغتهم غيرهم فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج فى الأرض وذلك أنهم كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء المساكين فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه ، وقيل إنهم كانوا يلوطون ، وقيل إنهم كانوا يأكلون الناس ، فقالوا له : نحن نجعل لك خرجا أى جعلا من أموالنا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، فرد عليهم جعلهم وطلب منهم المعونة بالعمل بأبدانهم ، ثم انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ ، فأمر بحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخر وطبقه بالنحاس المذاب فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ، وقيل إنه حشا مابين الصدفين قطع الحديد ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع المنافيخ فلما حمى الحديد أفرغ عليه النحاس المذاب فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلا صلدا من حديد وقطر وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلم يطيقوا الظهور عليه لملاسته ولاقدروا على نقبه لشدته وتماسكه ، ومن وراء السد البحر فهم بين السد والبحر محصورون ، وهم يمطرون التنانين فى أيام الربيع كما يمطرنا الغيث لحينه فيأكلونها إلى مثله من القابل وتعمهم على كثرتهم ، والله تعالى أعلم .

﴿ اليامور ﴾ : قال ابن سيده : هو جنس من الأوعال أو شبيه به له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه ، وقال غيره : إنه الذكر من الأيل له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال البقر الوحشى يأوى إلى المواضع التى التفت أشجارها ، وإذا شرب الماء ظهر به نشاط فيعدو ويلعب بين الأشجار ، وربما ينشب قرناه فى شعب الأشجار فلا يقدر على خلاصهما فيصيح ، والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه وصادوه ، وقد تقدم ما فيه .

وهو حلال كالإبل ، ومن خواص جلده أنه إذا جلس عليه صاحب البواسير زالت عنه .

﴿ اليؤيؤ ﴾ : طائر كنيته أبو رباح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق ، وقد تقدم الكلام عليه فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصقر والجمع اليآيئ وكذا جاء فى الشعر قال أبو نواس فى طريدته :

حفظ المهيمن يؤيئى ورعاه ما فى اليآيئ يؤيؤ شرواه

كذا استدل به الجوهرى ، واعترض عليه بأنه مولد .

وكان محمد بن زياد الزيادى يلقب باليؤيؤ وهو من أئمة أهل البصرة روى عن حماد بن

زيد وغيره ، وروى له ابن ماجه والبخارى كالمقرون بغيره ، توفى فى حدود سنة خمسين ومائتين ، وضعفه ابن منده وذكره ابن حبان فى الثقات وقال كان يؤيؤ الحديث .

وهذا بناء غريب لم يحفظ منه إلا خمسة : اليؤيؤ والجؤجؤ وهو صدر السفينة والطائر ، والبؤبؤ وهو الأصل ، يقال فلان بؤبؤ الكرم أى أصله ، والدؤدؤ ليلة خمس وست وسبع وعشرين ، واللؤلؤ وفيه أربع لغات قرىء بهن فى السبع لؤلؤ بهمزتين ولولو بغير همز وبهمز أوله دون ثانيه وعكسه .

(وحكمه) تحريم الأكل كما تقدم .

(الخواص) دماغه يجفف ويسحق مع السكر الطبرزذى ويخلط معه بعر الضب ويكتحل به يزيل البياض الذى فى العين بإذن الله تعالى ، ومرارته تذاب بماء الشهدانج ويسعط بها من به الصداع ينفعه نفعا بينا إن شاء الله تعالى .

﴿ اليحبور ﴾ : ولد الحبارى ، وقد تقدم ما فى الحبارى فى باب الحاء المهملة .

﴿ اليحمور ﴾ : دابة وحشية نافرة لها قرنان طويلان كأنهما منشاران ينشر بهما الشجر فإذا عطش وورد الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما ، وقيل إنه اليامور نفسه وقرونه كقرون الأيل يلقيها فى كل سنة وهى صامتة لا تجويف فيها ولونه إلى الحمرة وهو أسرع من الأيل . وقال الجوهرى : اليحمور حمار الوحش .

(وحكمه) الحل كيف كان .

(الخواص) دهنه ينفع الاسترخاء من الحاصل فى أحد شقى الإنسان إذا استعمل مع دهن البلسان .

(فائدة) فى كتاب العرائس للإمام العلامة أبى الفرج بن الجوزى قال : إن بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافق شخصا فى الطريق ، فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص : قد صار لى عليك حق وذمام ، وأنا رجل من الجان ولى إليك حاجة ، فقال وما هى ؟ قال : إذا أتيت إلى مكان كذا وكذا فإنك تجد فيه دجاجا بينها ديك فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى إليك ، فقال له : يا أخى وأنا أيضا أسألك حاجة ، قال : وما هى ؟ قال : إذا كان الشيطان ماردا لا تعمل فيه العزائم وألح بالآدمى منا مادواؤه ؟ قال : دواؤه أن يؤخذ له وترقدر شبر من جلد يحمور ويشد به إبهاما المصاب من يديه شدا وثيقاً ، ثم يؤخذ له من دهن السذاب البرى فيقطر فى أنفه الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فإن الماسك به يموت ولا يعود إليه أحد بعده . قال : فلما دخلت المدينة أتيت ذلك المكان فوجدت الديك عند عجوز فسألتها بيعه فأبت فاشتريته منها بأضعاف ثمنه ، فلما اشتريته وملكته

تمثل لى من بعيد وقال لى بالإشارة اذبحه فذبحته ، فعند ذلك خرج على رجال ونساء فجعلوا يضربوننى ويقولون يا ساحر ، فقلت: لست بساحر ، فقالوا إنك منذ ذبحت الديك أصيبت عندنا شابة بجنى وإنه منذ أمسكها لم يفارقها ، فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البرى فأتوا بهما فشددت إبهامى يدى الشابة شداً وثيقا ، فلما فعلت بها ذلك صاح وقال أنا علمتك على نفسى ، ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخر ميتا من وقته وساعته ، وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان انتهى .

﴿ اليحموم ﴾ : طائر حسن اللون يشبه لون الحبرة الموشاة وهو كثير بنخلة من أرض الحجاز ، وأظنه من فرع اليعاقيب والحجل .

(وحكمه) حل الأكل لأنه مستطاب ، واليحموم أيضا اسم فرس النعمان بن المنذر ، واليحموم أيضاً الدخان الأسود ، وقيل هو المراد بقوله تعالى — وظل من يحموم — تقول العرب : أسود يحموم إذا كان شديد السواد ، وقيل اليحموم جبل فى جهنم يستظل به أهل النار — لا بارد ولا كريم — أى لا بارد الثرى ولا كريم المنظر ، وقيل اليحموم اسم من أسماء النار . وقال الضحاك : النار سـوداء وأهلها سود كل شىء فيها أسود نعوذ بالله من شرها .

﴿ اليراعة ﴾ : طائر صغير إذا طار بالنهار كان كبعض الطير وإذا طار بالليل كان كأنه شهاب ثاقب أو مصباح طيار . وقال أبو عبيدة : اليراع الهمج بين البعوض والذباب يركب الوجه ولا يلدغ ، واليراعة أيضا النعامة .

(الأمثال) قالوا : أخف من يراعة ، فيجوز أن يراد به الطائر الذى يطير بالليل وأن يراد به القصبة ، والجمع يراع فيهما .

﴿ اليربوع ﴾ : بفتح الياء المثناة تحت ويسمى الدرص بفتح الدال وكسرها وإسكان الراء المهملتين وبالصاد المهملة آخره ، وذا الرميح كما تقدم فى آخر باب الراء المهملة ، حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جدا وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا فى طرفه شبه النوارة لونه كلون الغزال . قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان : إن كل دابة حشاها الله خبثا فهى قصيرة اليدين لأنها إذا خافت شيئا لاذت بالصعود فلا يلحقها شىء ، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء وهو يؤثر النسيم ويكره البحار أبدا يتخذ جحره فى نشز من الأرض . ثم يحفر بيته فى مهب الرياح الأربع ويتخذ فيه كوى وتسمى النافقاء والقاصعاء والرهطاء ، فإذا طلب من إحدى هذه الكوى نافق أى خرج من النافقاء وإن طلب من النافقاء خرج من القاصعاء ، وظاهر بيته تراب وباطنه حفر ، وكذلك المنافق ظاهره إيمان

وباطنه كفر ، قال الجاحظ وغيره : واسم المنافق لم يكن فى الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان ، ولكن البارى جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل من نافقاء اليربوع ، لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورّى بشىء عن شىء ودخل فى باب الخديعة وأوهم الغير خلاف ما هو عليه أشبه فى ذلك فعل اليربوع انتهى .

وفى طبعه أنه يطأ فى الأرض اللينة حتى لا يعرف أثر وطئه كما يفعل الأرنب ، وهو يجتر ويبعر وله كرش وأسنان وأضراس فى الفك الأعلى والأسفل. قال الجاحظ والقزوينى : اليربوع من نوع الفأر ، زاد القزوينى وهو من الحيوان الذى له رئيس مطاع ينقاد إليه ، وإذا كان فيها يكون من بينها فى مكان مشرف أو على صخرة ينظر إلى الطريق من كل ناحية فإن رأى ما يخافه عليها صر بأسنانه وصوت فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئا اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره ، وهى إذا خرجت لطلب المعاش خرج الرئيس أولا يتشوف فإن لم ير شيئا يخافه صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج.

والواو والياء فى اليربوع زائدتان فكان ينبغى أن يكتب فى باب الراء المهملة لكنه قد يخفى على بعض الناس فكتب هنا .

(الحكم) يحل اكله لأن العرب تستطيبه وتحلله قاله عطاء وأحمد وابن المنذر وأبو ثور . وقال أبو حنيفة : لا يؤكل لأنه من الحشرات. دليلنا أن الصحابة رضى الله عنهم أوجبوا فيه جفرة إذا قتله أو أصابه المحرم ، وأن الأصل الإباحة إلا ما خص بالتحريم .

(الأمثال) قالوا : أضل من ولد اليربوع . وقالوا : كالمشترى القاصعاء باليربوع ، يضرب للذى يدع العين ويتبع الأثر لأن القاصعاء جحر اليربوع الذى يقصع فيه أى يدخل والجمع قواصع .

(الخواص) دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذى ينبت فى الجفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى .

(التعبير) اليربوع فى الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب ، فمن نازعه نازع إنسانا كذلك .

﴿ اليرقان ﴾ : هو دود يكون فى الزرع ثم ينسلخ فيكون فراشا يقال زرع ميروق قاله ابن سيده .

﴿ اليسف ﴾ : الذباب ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة مستوفى .

﴿ اليعر ﴾ : بفتح الياء المثناة تحت وبالعين المهملة الجدى يشد عند زبية الأسد ، وعند

مأوى الذئب ويغطى رأسه فإذا سمع الضبع صوته جاء فى طلبه فوقع فى الزبية ، ومنه قولهم : فلان أذل من اليعر ، واليعر أيضا دابة تكون بخراسان تسمن على الكد ، وقيل هى بالغين المعجمة .

(قالوا فى أمثالهم) أسمن من يعر ذكره حمزة وغيره .

﴿ اليعفور ﴾ : الخشف وولد البقرة الوحشية أيضا . وقال بعضهم : اليعافير تيوس الظباء . قال بشر بن حازم :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وفى حديث سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على حماره يعفور ليعوده » قيل سمى يعفورا للونه وهى العفرة كما قيل فى أخضر يخضور ، وقيل سمى به تشبيها فى عدوه باليعفور وهى الظبى ، والله تعالى أعلم .

﴿ اليعقوب ﴾ : ذكر الحجل . قال الجواليقى : وهو عربى صحيح . وأما يعقوب اسم نبى الله صلى الله عليه وسلم فهو أعجمى كيوسف ويونس واليسع . وقال الجوهرى : يعقوب اسم رجل لاينصرف فى المعرفة للعجمة والتعريف ، واليعقوب ذكر الحجل مصروف لأنه عربى لم يغير وإن كان مزيدا فى أوله فليس على وزن الفعل ، ويوصف اليعقوب بكثرة العدو وشدته . قال الشاعر :

* عاذ يقصر دونه اليعقوب * والجمع اليعاقيب . قال الشاعر :

أودى الشباب الذى مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

ويروى أيضا :

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

يروى ركض بالرفع والنصب ، فمن رفعه جعله فاعل يدركه وأراد به أن هذا الطائر على سرعة طيرانه لايدرك الشباب إذا ولى فكيف يدركه غيره ؟ ومن نصبه نصبه بفعل مضمر تقديره ولى يركض ركض اليعاقيب وجعله من جملة صفة الشباب وجعل فاعل يدركه ضمير الشيب المستتر فيه ، ويصير فى البيت تقديم وتأخير ، وتقديره : ولى الشباب حثيثا يركض ركض اليعاقيب وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ، والمراد باليعاقيب ذكور القبج . وقال بعضهم : إنه هنا العقاب ، والمشهور الأول ، واليعقوب والقبج والحجل راجع إلى نوع واحد ، ووصفه أبو على بن رشيق بأبيات منها :

ما أغربت فى زيها إلا يعاقيب الحجل
جاءتك مثقلة القرا ثب بالحلى وبالحلل
صفر العيون كأنها باتت بتبر تكتحل
وتخالها قد وكلت بالنون والصوت الزجل
وكأنما باتت أصا بعها بحنـــاء تعل
من يستحلّ لصيدها فأنا امرؤ لا أستحل

(ومن حكمه) أنه يجب الجزاء بقتل المتولد بين اليعقوب والدجاج قاله الرافعى فى الحجج، وهذا يردّ قول من قال إن المراد فى البيتين الأولين هو العقاب فإن التناسل لا يقع بين الدجاج والعقاب ، وإنما يقع التناسل بين حيوانين بينهما تشاكل وتقارب فى الخلق كالحمار الوحشى والأهلى والظبى والشاة ، فإذا عرف هذا فالمراد الدجاج البرى وهو فى الشكل واللون قريب من الدجاج الإنسى .

﴿ اليعملة ﴾ : الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والجمع يعملات ، ومنه قول عبد الله ابن رواحة لزيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما :

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

وقيل : بل قال ذلك فى غزوة مؤتة لزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه .

﴿ اليمام ﴾ : قال الأصمعى : هو الحمام الوحشى الواحد يمامة . وقال الكسائى : هى التى تألف البيوت ، واليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام . قال الجاحظ : إنها كانت من بنات لقمان بن عاد وإن اسمها عنز ، وكانت هى زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت البسوس زرقاء ، وهى أول من اكتحل بالإثمد من العرب ، وهى التى ذكرها النابغة فى قوله :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمـــد

قد تقدم فى حرف الحاء .

(فائدة) قال فى ابتلاء الأخيار بالأشرار : النساء اللاتى يضرب بهن المثل خمس وهى زرقاء اليمامة والبسوس ودغة وظلمة وأم قرفة .

أما الزرقاء فيقال : أبصر من زرقاء اليمامة ، وهى امرأة من بنى نمير كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء فى الليل وتنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها بالجيوش إذا غزتهم فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له ، فاحتال عليها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا شجرا وأمسكوها بأيديهم أمام عسكره فنظرت الزرقاء فقالت : إنى أرى الشجر قد أقبلت

إليكم ، فقال لها قومها : قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك كيف تأتى الشجر ؟ قالت : هو ما أقول لكم ، فكذبوها فصبحتهم الخيل وأغاروا عليهم وقتلوا الزرقاء وقوروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت فى الإثمد من كثرة ماكانت تكتحل به .

وأما البسوس فيقال : أشأم من البسوس ، وهى خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التى يقال لها حرب البسوس .

وأما دغة فيقال : أحمق من دغة ، وهى امرأة من بنى عجل تزوجت من بنى العنبر .

وأما ظلمة فيقال : أزنى من ظلمة ، وهى امرأة من هذيل زنت أربعين سنة وقادت أربعين عاما فلما عجزت عن الزنا والقيادة اتخذت تيسا وعنزا فكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين ذلك ؟ قالت : لأسمع أنفاس الجماع بينهما .

وأما أم قرفة فيقال : أمنع من أم قرفة ، وهى امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكانت تعلق فى بيتها خمسين سيفا كل سيف منها لذى محرم لها .

وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال : مفاتيح أبواب الفتن ، ومخازن الحزن ، إن أحسنت المرأة إليك منت عليك ، تفشى سرك ، وتهمل أمرك وتميل إلى غيرك . وقيل النساء ريحان بالليل شوك بالنهار ، وقيل لبعض الحكماء : مات عدوك ، فقال : وددت أنكم قلتم تزوج ، وقيل العجز فى ثلاث خصال : قلة اكتراثه فى مصلحته ، وقلة مخالفته لشهوته ، وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه . وقال بعض الحكماء : لا تأمنن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة . وقال غيره : لامصيبة أعظم من الجهل ولا شر أشر من النساء اه .

(الحكم) يحل أكل اليمام وبيضه بالاتفاق ، وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمام .

(الأمثال) قالوا : كن مع الناس يمامة ، يعنى ارفق بهم ولا تنفرهم .

(وخواصه وتعبيره) كالحمام .

﴿ اليهودى ﴾ : حوت فى البحر ، وقد تقدم الكلام عليه فى باب الشين المعجمة .

﴿ اليوصى ﴾ : بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة طائر بالعراق أطول جناحا من الباشق وأخبث صيداً وهو الحر .

(وحكمه) الحرمة كما تقدم فى باب الحاء المهملة .

﴿ اليعسوب ﴾ : اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة له أربعة أجنحة لا يقبض له جناحا أبدا ولا يرى أبدا يمشى إنما يرى واقفا على رأس عود أو طائرا . وقال الجوهرى : هو أطول من الجرادة لا يضم جناحه إذا وقع شبهت به الخيل المصمرة . قال بشير :

أبو صبية شعث تطيف بشخصه كوالح أمثال اليعاسيب ضمرا

ثم قال : والياء فيه زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلول غير صعفوق .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة الحسن بن عبد الله العسكرى قال : مرض صخر بن عمرو ابن الشريد وطال مرضه وكانت أمه وزوجته سليمى يمرضانه ، فسئلت زوجته يوما عن حاله وكانت قد ضجرت منه فقالت : لا هو حى فيرجى ولا ميت فيبكى ، فسمعها صخر فأنشد قائلا :

أرى أم صخر لاتمل عبادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان

وفى حديث مصعب « ولولا ظمأ الهواجر ما باليت أن أكون يعسوبا » قال ابن الأثير : المراد ها هنا فراشة مخضرة تطير فى الربيع . وقيل هو طائر أعظم من الجرادة ، ولو قيل إنه النحل لجاز . واليعسوب اسم فرس للنبى صلى الله عليه وسلم وأخرى للزبير رضى الله تعالى عنه ، وقيل إنها إحدى الأفراس الثلاثة التى كانت للمسلمين يوم بدر على اختلاف فيه . واليعسوب يطلق على الغرة المستطيلة فى وجه الفرس ، وعلى دائرة عند مربض الفرس ، وعلى ضرب من الحجلان حكاه الدمياطى فى كتاب الخيل . والمربض بكسر الميم وبالضاد المعجمة مكان الفرس ، وفى الحديث « صلوا فى مرابض الغنم ولا تصلوا فى أعطان الإبل » والمرابض : المبارك . وربض الأسد : أى رقد . وقال الجاحظ : اليعاسيب هى كبار الذباب انتهى . واليعسوب ملك النحل وأميرها الذى لا يتم لها رواح ولا إياب ولا عمل ولا مرعى إلا به فهى مؤتمرة بأمره سامعة له مطيعة ، وله عليها تكليف وأمر ونهى وهى منقادة لأمره متبعة لرأيه يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى إنها إذا آوت إلى بيوتها وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم أخرى ولا تتقدم عليها فى العبور ، بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة بغير تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا واحد بعد واحد ، وأعجب من ذلك أن أميرين منها لا يجتمعان فى بيت ولا يتآمران على جمع واحد بل إذا اجتمع منها جندان وأميران قتلوا أحد الأميرين وقطعوه واتفقوا على الأمير الواحد من غير معاداة منهم ولا أذى من بعضهم لبعض بل يصيرون يدا واحدة .

روى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس

واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها ، فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم إنى أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم تضره » ومن لفظ اليعسوب قيل للسيد يعسوب قومه . وقال على رضى الله تعالى عنه : لما رأى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد مقتولا يوم الجمل : هذا يعسوب قريش ، ثم قال : جدعت أنفى وشفيت نفسى ، وكان عبد الرحمن يقاتل ذلك اليوم ويقول :

أنا ابن عتاب بسيف ولول والموت دون الجمل المجلل

قاتل قتالا شديدا فى ذلك اليوم وقطعت يده يومئذ وكان فيها خاتم فاختطفها نسر فطرحها بالىمامة فعرفت بخاتمه فصلوا عليه . وبالجملة فقد اتفقوا على أن يده احتملها طائر فى وقعة الجمل فألقاها بالحجاز فصلوا عليها ودفنوها . واختلفوا فى الطائر ماهو وفى أى مكان ألقاها؟ فقيل حملها نسر وألقاها بالىمامة فى ذلك اليوم كما تقدم ، وقال ابن قتيبة : حملتها عقاب فألقتها فى ذلك اليوم بالىمامة . وقال الحافظ أبو موسى وغيره ألقاها بالمدينة . وقال الشيخ فى شرح [المهذب] ألقاها بمكة . وفى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل « أن الدجال تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل » أى تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعسوبها .

ولما مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه على باب البيت الذى هو مسجى فيه فقال : كنت والله يعسوبا للمؤمنين ، وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، فمثله على كرم الله وجهه باليعسوب فى سبقه للإسلام غيره لأن اليعسوب يتقدم النحل إذا طارت فتتبعه ، والعواصف : الريح المهلكة فى البر والقواصف : الريح المهلكة فى البحر ، قال الله تعالى — ولسليمان الريح عاصفة — وقال الله تعالى — فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم — .

وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عبد الله بن واقد الواقفى وفى ترجمة عيسى بن عبد الله بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه « أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار » وفى رواية « يعسوب الظلمة » وفى رواية « يعسوب المنافقين » أى يلوذ بك المؤمنون ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها ، ومن هنا قيل لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه أمير النحل .

وهذا ما انتهى إليه الغرض مما يحصل به فى هذا الشأن الاكتفاء وختم بملك النحل الذى استخرج الله من لعابه الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء .

وابتدئ بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتنى .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى، ورضى الله عن آله وعترته وصحبه أهل الفضل والوفاء، وحسبنا الله وكفى .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز فى دار النعيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تم حياة الحيوان الكبرى
لكمال الدين الدميرى
ويليه
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
لزكريا بن محمد القزوينى

فهرس

(الجزء الثانى من كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميرى)

صحيفة

٣ (باب الظاء المعجمة)
الظبى
١٠ الظربان
١١ الظليم
١٢ (باب العين المهملة)
العاتق
١٣ العاتك
عتاق الطير
العتلة
١٤ العاضه والعاضهة
العاسل
العاطوس
العافية
العائذ
١٥ العبقص والعبقوص
العبور
العترفان
العتود
العثة
١٦ العثمثمة
العثمان
العثوثج
العجروف
العجل

صحيفة

٢١ العجمجمة
أم عجلان
العجوز
عدس
العذفوط
العريج
عرار
العربض
العسجدية
٢٢ العربد
العربض والعرباض
العرسن
العريقصة
العريقطة
والعريقطان
العزة
العسا
العساعس
العساس
العساهيل
العسبار
العسبور
العسلق
العسنج

صحيفة

٢٢ العشراء
٢٣ العصارى
العصفور
٣١ العضل
العرفوط
العريقطة
العضمجة
العضرفوط
عطار
العطاط
٣٢ العطرف
العظاءة
٣٧ العفر
العفريت
العفر
العقاب
٤٩ العقد
العقال
العقرب
٦٧ العقربان
العقف
العقعق
٦٨ العقيب
العكاش

صحيفة
٦٨ العكرشة
العكرمة
٦٩ العلج
العل
العلجوم
العلام
العلوّش
العلهان
العلس
العلامات
٧٠ العلهز
العلعل
٧١ العلق
٧٥ العلهب
العمروس
العملس
العميثل
٧٦ العناق
٧٩ عناق الأرض
العنبس
العنس
العنبر
٨٢ العنتر
العندليب
٨٣ العندل
العنز
٨٦ العنظب
العنظوانة
عنقاء مغرب ومغربة

صحيفة
٩٠ العنكبوت
٩٤ العود
العواساء
العوس
العومة
العوهق
العلا
العلام
العيثوم
٩٧ العير
عير السراة
٩٨ العيس
العيساء
العيلام
العيثوم
العين
العيهل
عيجلوف
ابن عرس
١٠٠ أم عجلان
أم عزة
أم عويف
أم العيزار
١٠١ (باب الغين المعجمة)
الغاق
الغداف
الغذى
الغراب

صحيفة
١١٣ الغر
الغرنيق
١١٧ الغرغر
الغرناق
الغزال
١٢٠ الغضارة
الغضب
الغضوف
الغضيض
الغطرب
١٢١ الغطريف
الغطلس
الغطاطا
الغفر
الغماسة
الغنافر
الغنم
١٢٩ الغواص
الغوغاء
١٣٠ الغول
١٣٤ الغيداق
الغيطلة
الغيلم
١٣٥ الغيهب
(باب الفاء)
الفاختة
١٣٧ الفأر

صحيفة
١٤٢ الفادر
١٤٣ الفازر
الفاشية
الفاعوس
الفاطوس
الفالج
فالية الأفاعى
١٤٤ فتاح
الفقع
الفحل
١٤٧ الفدس
١٤٨ الفرا
الفراش
١٤٩ الفرافصة
١٥٠ الفرخ
١٥٢ الفرس
١٦٧ (فصل : فى صبغ البراذين)
١٦٩ فرس البحر
١٧٠ الفرش
الفرانق
الفرفر
الفرفور
الفرع
١٧١ الفرعل
١٧٢ الفرقد
الفرنب
الفرهود

صحيفة
١٧٢ الفروج
١٧٣ الفريروالفرار
فسافس
الفصيل
١٧٤ الفلحس
الفلو
١٧٥ الفناة
الفنك
الفنيق
الفهد
١٧٨ الفور
الفولع
الفيصور
الفويسقة
القياد
الفيل
١٩٠ (فصل : فى فضل العقل وزينه وقبح الجهل وشينه)
١٩٣ الفينة
أبو فراس
١٩٤ (باب القاف)
القادحة
القارة
القارية
القاق
١٩٥ القاقم
القانب

صحيفة
١٩٥ القاوند
القبج
١٩٦ القبرة
١٩٩ القبعة
القبيط
القتع
ابن قترة
القدان
٢٠٠ القراد
القرد
٢٠٦ القردوح
القرش
٢٠٨ القرقس
القرشام
القرعبلانة
القرعوش
القرقف
القرقفنة
القرلى
٢٠٩ القرمل
القرميد
القرمود
القرنبى
٢١٠ القرهب
القزر
القرم
٢١١ القرة
القسورة

صحيفة
٢١١ القشعمان
القشبة
٢١٢ القصيرى
القط
٢١٣ القطا
٢١٩ القطا
القطامى
قطرب
القشعبان
القعود
٢٢٠ القعيد
القعقع
القلو
القلقانى
القلوص
٢٢٢ القليب
القمرى
٢٢٤ القمعة
القمعوط والقمعوطة
القمل
٢٣١ القمقام
قندر
القندس
القنعاب
القنفذ
٢٣٤ القنفذ البحرى
القنفشة

صحيفة
٢٣٤ القهبى
القهيبة
القوافر
القواع
القوب
٢٣٥ القوبع
القوثع
القوق
قوقيس
قوقى
قيد الأوابد
قيق
أم قشعم
٢٣٦ أبو قير
أم قيس
(باب الكاف)
الكاسر
كاسر العظام
الكبش
٢٤٢ الكبعة
الكتفان
الكتع
الكدر
الكركر
الكركند
٢٤٤ الكركى
٢٤٨ الكروان
٢٤٩ الكسعوم

صحيفة
٢٤٩ الكعيث
٢٥٠ الكمكم
الكلب
٢٩٨ كلب الماء
الكلثوم
الكلكسة
٢٩٩ الكميت
الكندارة
الكنعبة
الكنعد والكعند
الكندش
الكهف
الكودن
الكوسج
٣٠٠ الكهول
(باب اللام)
لأى
اللباد
٣٠١ اللبؤة
٣٠٤ اللجأ
اللحكاء
٣٠٥ اللخم
اللعوس
اللعوة
اللقحة
٣٠٧ اللقوة
اللقاط
٣٠٨ اللقلق

صحيفة
٣٠٩ اللهق
اللهم
اللوب والنوب
الغيلم
الطرم
اللوشب
اللياء
٣١٠ الليث
٣١٢ الليل
(باب الميم)
مارية
المازون
الماشية
٣١٣ مالك الحزين
٣١٤ المتردية
المجثمة
المثا
المربح
المرء
المرزم
٣١٥ المرعة
مسهر
المطية
٣١٩ المعراج
المعز
٣٢٠ ابن مقرض
المقوقس
٣٢٢ المكاء
٢٢٣ المكلفة

صحيفة
٣٢٣ الملكة
المنارة
المنخنقة
٣٢٤ المنشار
الموقوذة
الموق
المول
٣٢٥ المها
٣٢٦ المهر
٣٢٧ ملاعب ظله
أبو مزينة
ابنة المطر
٣٢٨ أبو المليح
ابن ماء
(باب النون)
الناب
الناس
الناصح
٣٢٩ الناقة
٣٣٧ الناموس
الناهض
النباج
النبر
النجيب
٣٣٨ النحام
٣٣٩ النحل
٣٥٠ النحوص
النسر

صحيفة
٣٥٦ النساف
النسناس
٣٥٨ النسنوس
النضو
٣٥٩ النعاب
٣٦٠ النعام
٣٦٥ النعثل
النعجة
٣٦٦ النعبول
النعرة
٣٦٧ النعم
٣٦٩ النغر
٣٧٠ النغض
النغف
النفار
٣٧١ النقاز
النقاقة
النقد
النكل
النمر
٣٧٣ النمس
٣٧٤ النمل
٣٨١ النهار
النهاس
النهس
النهام
٣٨٢ النهسر
النهشل

صحيفة

٣٨٢ النواج
النوب
النورس
النوص
النون
٣٨٦ (باب الهاء)
الهالع
الهامة
٣٩٠ الهبع
الهبلع
الهجاة
الهجرس
٣٩١ الهجرع
الهجين
الهدهد
٣٩٦ الهدى
٣٩٧ الهديل
الهرماس
الهر
٤٠٥ الهرنصانة
هرثمة
الهرهير
الهرزون والهرزان
الهزار
الهزبز
٤٠٦ الهرعة
الهف
الهقل
الهقلس

صحيفة

٤٠٦ الهميج
٤٠٧ الهمع
الهمل
الهملع
الهمهم
الهنبر
الهودع
٤٠٨ الهوذة
الهوذن
الهلابع
الهلال
الهيثم
الهيجمانة
الهيطل
الهيعرة
الهيق
٤٠٩ الهيكل
أبو هارون
(باب الواو)
الوازع
الواق واق
الواقى
الوبر
٤١١ الوج
الوحرة
الوحش
٤١٤ الودع
الوراء
الورد
الوردانى

صحيفة

٤١٤ الورشان
٤١٦ الورقاء
٤١٧ الورل
٤٢١ الوزغة
٤٢٥ الوصع
الوطواط
٤٢٦ الوعوع
الوعل
٤٢٩ الوقواق
بنات وردان
٤٣٠ (باب الياء)
يأجوج ومأجوج
٤٣٣ اليامور
اليؤيؤ
٤٣٤ اليحبور
اليحمور
٤٣٥ اليحموم
اليراعة
اليربوع
٤٣٦ اليرقان
اليسف
اليعر
٤٣٧ اليعفور
اليعقوب
٤٣٨ اليعملة
اليمام
٤٣٩ اليهودى
اليوصى
اليعسوب

عجائب المخلوقات
وغرائب الموجودات

للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني
(٦٠٠ — ٦٨٢ هـ)

الطبعة الرابعة
١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . العظمة لك والكبرياء لجلالك ، اللهم ياقائم الذات ويامفيض الخيرات ، واجب الوجود وواهب العقول وفاطر الأرض والسموات مبدى الحركة والزمان ، ومبدع الخير والمكان ، فاعل الأرواح والأشباح وجاعل النور والظلمات ، محرك الأفلاك ومزينها بالثوابت والسيارات ، ومقر الأرض وممهدها لأنواع الحيوان وأصناف المعادن والنبات ، دام حمدك وجل ثناؤك وتعالى ذكرك وتقدست أسماؤك ، لا إله إلا أنت وسعت رحمتك وكثرت آلاؤك ونعماؤك ، أفض علينا أنوار معرفتك ، وطهر قلوبنا عن كدورات معصيتك ، وأمطر علينا سحائب فضلك ومرحمتك ، واضرب علينا سرادقات عفوك ومغفرتك ، وأدخلنا فى حفظ عنايتك ومكرمتك ، وصل على ذوى الأنفس الطاهرات ، والمعجزات الباهرات ، خصوصا على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين « محمد » بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، الذى اخترته للنبوة وآدم بين الماء والطين ، وأرسلته رحمة للعالمين ، وأيدته بنصرك وبالمؤمنين ، وختمت به الأنبياء والمرسلين ، وعلى إخوانه من النبيين والصالحين وآله وصحبه أجمعين .

يقول العبد الأصغر زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ، تولاه الله بفضله وهو من أولاد بعض الفقهاء الذين كانوا موطنين بمدينة قزوين ، وينتهى نسبه إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما حكم الله تعالى ببعد الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن ، أقبلت على مطالعة الكتب على رأى من قال * وخير جليس فى الزمان كتابى * وكنت مستغرقا بالنظر فى عجائب صنع الله تعالى فى مصنوعاته ، وغرائب إبداعه فى مبتدعاته كما أرشد الله سبحانه إليه حيث قال تعالى — أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج — وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها فإن البهائم تشارك الإنسان فيه . ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك ، وأدنى حالا منها وأشد غفلة

كما قال تعالى – لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين – إلى أن قال – أولئك كالأنعام بل هم أضل – والمراد من هذا النظر التفكر فى المعقولات والنظر فى المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ليظهر له حقائقها ، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم أرنى الأشياء كما هى » وكلما أمعن النظر فيها ازداد من الله تعالى هداية ويقينا ونورا وتحقيقا ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله» ، والفكر فى المعقولات لايتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس ، فعند ذلك ينفتح له عين البصيرة ويرى فى كل شئ من العجب ما يعجز عن إدراك بعضها ، فلو ذكر طرفا منها لغيره لأنكره ، والله در القائل :

إنى سمعت عجيبا كنت أحسبه طيفا من النوم أوهجرا من السمر
لما ألفت به ألفيت صحته وقد رأيت ألوفا مثل ذا العبر

ومن هذا القبيل ما أخبر الله تعالى فى كتابه عما جرى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام ، وما ذكر أيضا أن موسى اجتاز بعين ماء فى سفح جبل فتوضأ ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس وشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم ، فجاء بعده راعى غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة حطب فحط حزمته هناك واستلقى ليستريح ، فما كان إلا قليل حتى عاد الفارس يطلب كيسه ، فلما لم يجده أقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله ، فقال موسى : يارب كيف العدل فى هذه الأمور ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس ، وكان على أبى الفارس دين لأبى الراعى مقدار مافى الكيس ، فجرى بينهما القصاص وقضى الدين ، وأنا حكيم عادل . ولقد حصل لى بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن أقيدها لتثبت وكرهت الذهول عنها مخافة أن تفلت ؛ وقد كثرت على عواطف المولى الصاحب الصدر الكبير العادل المؤيد المظفر ، شمس الدولة ظهير الملة علاء الدين عماد الإسلام نظام الملك غياث الأمة عطاء الملك بن محمد بن محمد ضاعف الله جلاله وأدام فى العز والعلاء إقباله ، فإنه مع شريف منزلته وعلو مرتبته مشهور بالكرم والإحسان مذكور لوفور الفضل عن أهل الزمان ، وقد خصه الله تعالى بمكارم الأخلاق وفضائل الحسب والمجد الموروث والمجد المكتسب فخدمت بهذا الكتاب مجلسه الرفيع أدام الله رفعته وكبت أعداءه وحسدته ، فإنه منبع الخيرات ومعدن المسرات شكرا لأياديه السابقة وقضاء لحقوقه اللاحقة ورجاء أن يتخلد اسمى بتخليد ذكره الشريف ويتأبد وسمى بتأبيد عزه المنيف ، والله ولى التوفيق وعلى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

(فصل)

وعلى الناظر فى كتابى هذا أن يعنى فى جمع ماكان مبددا وتلفيق ماكان مشتتا ، وقد ذكر فيه أسبابا تأباها طباع الغبى الغافل، ولا ينكرها نفس الذكى العاقل ، فإنها وإن كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة، لكن لايستعظم شئ مع قدرة الخالق وجبلة المخلوق؛ وجميع ما فيه : إما عجائب صنع البارى تعالى وذلك إما محسوس أو معقول لا ميل فيهما ولا خلل ، وإما حكاية طريفة منسوبة إلى رواتها لا ناقة لى فيها ولا جمل ، وإما خواص غريبة وذلك مما لايفى العمر بتجربتها ولا معنى لترك كلها لأجل الميل فى بعضها، فإن أحببت أن تكون منها على ثقة فشمر لتجربتها، وإياك أن تغتر أو تلم أو تمل إذا لم تصب فى مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع ، وحسبك ما ترى من حال المغناطيس وجذبه الحديد فإنه إذا أصابه رائحة الثوم بطلت تلك الخاصية فإذا غسلته بالخل عاد إليه ، فإذا رأيت مغناطيسا لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته فاصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره . على أنى أشهد الله تعالى أن شيئا منها ما افتريته بل كتبت الكل كما اقتريته، فإن نظرت إليها بعين الرضا فإنها عن كل عيب كليلة، وإن نظرت بعين السخط فإن المساوى كثيرة ، وعين الكريم عن المعائب عميا وأذنه عن المساوى صما، ولله در القائل :

فقلت لهم لا تنسوا الفضل بينكم فليس يرى عين الكريم سوى الحسن

وسميته :

[عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات]

ولا بد من ذكر مقدمات أربع فى شرح هذه الألفاظ ليتبين منها مقصود الكتاب والله الموفق للصواب .

المقدمة الأولى

فى شرح العجب

قالوا : العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشئ أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه ؛ مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل لكثرته حيره لعدم معرفة فاعله، فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع التى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ، ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا تخالف

بعضها بعضا كأنها أفرغت فى قالب واحد ، ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء ؟ وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء؟ وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل من جميع جوانبه ، فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الفأر ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب ، وكل ما فى العالم بهذه المثابة ، إلا أن الإنسان يدركه فى زمن صباه عند فقد التجربة ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم فى قضاء حوائجه وتحصيل شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط عن نظره بطول الأنس بها ، فإذا رأى بغتة حيوانا غريبا أو فعلا خارقا للعادات انطلق لسانه بالتسبيح فقال : سبحان الله ، وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء ، فمن أراد صحة أو صدق هذا القول فلينظر بعين البصيرة إلى هذه الأجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة فى فلاة قال الله تعالى — والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون — ثم إلى دورانها مختلفا فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا رحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعا وبعضها يدور بطيئا . ثم إلى دوام حركاتها من غير فتور وإلى إمساكها من غير عمد تعمد بها أو علاقة تدلى بها . ثم لننظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص ثم إلى مسير الشمس وفلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة . ثم إلى إمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف : وقد اتفق الباحثون على أنها مثل كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة وفى لحظة تسير أكثر من قطر كرة الأرض ، وقد عرض ذلك جبريل عليه السلام حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم « من وقت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام » . ثم لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل . ثم إلى امتلائه وانمحاقه : ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر ، ومن العجائب السواد الذى فى جرم القمر فإنه لم يسمع فيه قول شاف إلى زماننا هذا ، وكذلك فى المجرة وهى البياض الذى يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة إلينا رحوية .

وعجائب السموات لا نستطيع إحصاء عشر عشرها لكن القدر الذى جرى فى جرم القمر ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب . ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب . وليتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه ، وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التى أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله

قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الأرض برفق، فلو صبه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض، ويرسلها مقدارا كافيا لا كثيرا زائدا على الحاجة فيعفن النبات، ولا قليلا ناقصا عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى — وأنزلنا من السماء ماء بقدر —. ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها مايسوق السحب ومنها ماينشرها ومنها مايجمعها ومنها مايعصرها ومنها ما يلقح الأشجار ومنها ما يربى الزرع والثمار ومنها ما يجففها. ثم لينظر إلى الأرض وجعلها قرارا لتكون فراشا ومهادا ثم إلى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها — والأرض فرشناها فنعم الماهدون —. ثم إلى جعل ظهرها محلا للأحياء وبطنها مقرا للأموات، فتراها وهى ميتة — فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت — وأظهرت أجناس المعادن وأنبتت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان. ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخات كأوتاد لها يمنعونها من أن تميد. ثم إلى إيداع أوشال المياه فى خزانات ليخرج منها قليلا قليلا فتنفجر منها العيون وتجرى منها الأنهار دائما. ثم لينظر إلى البحار العميقة التى هى خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض، حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء. ثم إلى ما فيها من الحيوان والجواهر، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه وفيها أجناس لا يعهد لها نظير فى البر. ثم لينظر إلى خلق اللؤلؤ فى صدفه تحت الماء. ثم إلى إنبات المرجان فى صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر. ثم إلى ما عداه من العنبر وإلى أصناف النفائس التى يقذفها البحر ويستخرج منه. ثم إلى السفن كيف سيرت فى البحار وسرعة جريها، وإلى إيجاد الأنهار ومعرفة النواتى موارد الرياح ومهابها وسواقيها.

وعجائب البحار كثيرة لا مطمع فى إحصائها. وقد قيل: حدّث عن البحر ولا حرج، وفيما ذكرناه كفاية. ثم لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال: فمنها ماينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص، ومنها مالا ينطبع كالفيروزج والياقوت والزبرجد. ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والأوانى منها. ثم إلى معادن الأرض كالنفط والقير والكبريت وغيرها وأقلها الملح، فلو خلت منه بلد لتسارع الفساد إلى أهلها. ثم لينظر إلى أنواع النبات وأصناف فواكهها مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأراييج — تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل — مع اتحاد الأرض والهواء والماء فيخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب وبره حبة — سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة — ثم لينظر إلى أرض البوادى وتشابه أجزائها فإنها إذا نزل القطر عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ثم إلى كثرتها واختلاف أصنافها متشابهة وغير متشابهة. ثم إلى كثرة

أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها، فلم ينبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فهم البشر دون إدراكها . ثم لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويقوم ويمشى ، وانقسام الماشى إلى ما يمشى على بطنه وإلى ما يمشى على رجلين وإلى ما يمشى على أربع ، وإلى أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها ليرى عجائب تدهش منها العقول ، بل فى البقعة أو النمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها فى هندستها ونصبها الشبكة للصيد ، وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب مالا يحصى وإنما سقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة . وعجائب السموات والأرض كما قال تعالى — قل انظروا ماذا فى السموات والأرض — بحار لا يدرى سواحلها ولا يعرف أوائلها ولا أواخرها ، والله الموفق للصواب .

المقدمة الثانية

فى تقسيم المخلوقات

المخلوق كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى . وهو إما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير والقائم بالذات إما أن يكون متحيزا أو لم يكن ، فإن كان متحيزا فهو الجسم وإن لم يكن فهو الجوهر الروحانى ؛ وهو إما أن يكون متعلقا بالأجسام تعلق التدبير وهو النفس أو لايكون ، وهو إما أن يكون سليما عن الشهوة والغضب وهو الملك أو لايكون وهو الجن القائم بالغير ، فإن كان قائما بالمتحيزات فهو الأعراض الجسمانية وإن كان قائما بالمفارقات فهو الأعراض الروحانية كالعلم والقدرة ؛ والأعراض الجسمانية ، إما أن يلزم من صدقها حصول صدق النسبة أو صدق قبول النسبة أو لاهذا ولا ذاك ، فإن كان الأول فالنسبة إما حصول فى المكان وهو الأين أو فى الزمان وهو الشىء أو نسبة متكررة وهو الإضافة أو تأثير الشىء فى الشىء وهو الفعل أو تأثر الشىء عن الشىء وهو الانفعال ، وكون الشىء محيطا بالشىء يجب أن ينتقل المحيط بانتقال المحاط به وهو الملك ، أو هيئة حاصلة بمجموع الجسم بسبب حصول النسب بين أجزاء بعضها إلى بعض وبين أجزائه والأمور الخارجية وهو الوضع ، وإن كان يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فهو إما أن يكون بحيث لا يحصل بين أجزائه حدود مشتركة وهو الغدد أو يحصل وهو المقدار ، وإن كان لا يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فإما أن يكون مشروطا بالحياة أو لم يكن ، فإن كان فإما أن يتوقف على الشهوة والنقرة وهو التحريك أو لايتوقف وهو الإدراك ، ثم الإدراك إما إدراك الكليات وهو العلوم والظنون

والجهالات أو إدراك الجزئيات وهو الحواس الخمس ، وإن لم يكن مشروطا بالحياة فهو الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس؛ أما المحسوسات بالقوة الباصرة فكالأضوء والألوان، وأما المحسوسات بالقوة الشامة فكالطيب والنتن ، وأما المحسوسات بالقوة السامعة فالأصوات والحروف ، وأما المحسوسات بالقوة اللامسة فكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة والملاسة فهذه جملة أقسام الممكنات ، وسيأتى الكلام فى كل قسم منها إن شاء الله تعالى .

(فصل)

ذكر أهل السير أنه وجد فى السفر الأول من التوراة : إن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ورسب منه رسوب ، فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض ، ويدل على ذلك قوله تعالى — أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما — وأحكم جلت قدرته خلق المجموع فى ستة أيام . قال بعض العلماء : إن اليوم فى اللغة الكون الحادث والأيام هاهنا مراتب مصنوعاته لأن قبل الزمان لا يمكن تجدد الزمان ؛ فمن الأيام الستة يوم لمادة الأرض ويوم لصورتها ، ويوم لمادة السماء ويوم لصورتها ، ويوم لمكملاتها من الجبال والكواكب والنفوس وغيرها ، وقال أيضا : كل ما فوق الأرض فهو سماء فى طريق اللغة ، يقولون : ماعلاك فهو سماؤك وما دونك فلك القمر فهو بالنسبة إلى الأفلاك أرض قال تعالى — خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن — يعنى سبعا ، فالأولى كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الماء والرابعة كرة الأرض ، وثلاث طبقات ممتزجات بين الأربعة الأولى من النار والهواء والثانية من الهواء والماء والثالثة من الماء والأرض ، ثم دبر بعنايته بعد الجماد أمر المعادن الداخلة فى الجماد ثم النبات ثم الحيوان هذا هو القول الكلى فى المخلوقات ، وسيأتى القول فى جزئياتها فى مقالتين إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب .

المقدمة الثالثة

فى معنى الغريب

الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته (فمن) ذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا ثعبانا ، وكون النار بردا وسلاما ، وخروج الناقة

من الصخرة الصماء ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. ومنها كرامات الأولياء الأبرار فإن تأثير نفوسهم يتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة فى العالم فيشفى المريض باشتشفائهم وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ، ويصرف الوباء والموتان باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوء والوقوع وصولة السباع وشدتها باللين والخضوع . (ومنها) إخبار الكهنة والكهانة اندرست بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يأتون الجاهلية بأمور غريبة زعموا أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن . (ومنها) الإصابة بالعين فإن العائن إذا تعجب من شيء كان تعجبه مهلكا للمتعجب منه بخاصية لنفسه لا يوقف عليها . (ومنها) اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجد مثله لغيرها كما ذكر أن فى الهند قوما إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم. (ومن) هذا القبيل ما حكى أن السلطان محمودا غزا بلاد الهند ، وكان فيها مدينة كل من قصدها مرض ، فسأل عن ذلك ، فقالوا : إن عندهم جمعا من الهند يصرفون هممهم على ذلك فيقع المرض على وفق اهتمامهم ، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة ليشوش هممهم ، ففعلوا ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة . (ومن) هذا القبيل ما ذكر أن رجلا فيلسوفا فى زمن خوارزم شاه محمد بن تكش جاء من بلاد الهند إلى خراسان فأسلم ، وكان يقال له داناى هند يستخرج طالع كل إنسان أراد حتى ضربوه بالطوالع الرصدية فلم يخط شيئا ، وزعم أن ذلك له بواسطة حساب يعرفه فرفع أمره إلى السلطان فقال له : هل تقدر على استخراج غير الطوالع ؟ قال : نعم . قال : أخبرنى عما رأيت البارحة فى نومى ؟ فرجع إلى نفسه وحسب ثم قال : رأى السلطان أنه فى سفينة وبيده سيف . فقال السلطان : لقد أصاب لكنا لا نقنع بهذا القدر لأنى على طرف جيحون كثيرا ما أركب السفينة والسيف لا يفارقنى فربما قال اتفاقا ، فامتحنه مرة أخرى فأصاب فقربه من نفسه وكان يستعين به فى أموره .

(ومن) ذلك أمور سماوية كظهور الكواكب ذوات الأذناب والتماثيل والشانين وانقضاض شهب يستضيء الجو منها . (ومنها) سقوط جسم من الجو ثقيل كما ذكر الشيخ الرئيس : أنه سقط فى زمانه بأرض جوزجان جسم كقطعة حديد قدر خمسين منا مثل حبات الجاورش المنضمة ، فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد ألبتة . (ومنها) سقوط ثلج أو برد فى غير أوانه كما حكى عن بعض شيوخ قزوين أنه أتاهم فى زمن الشمس برد عظيم كل واحدة على قدر الجوزة فأهلك كثيرا من الحيوان والنبات ؛ والمشمش : لا يدرك بقزوين إلا فى الصيف . (ومنها) سقوط أحجار من الحديد والنحاس فى وسط الصواعق وذلك يوجد ببلاد الترك ، وربما يوجد بأرض جبلان أيضا :

(وحكى) أبو الحسن على بن الأثير الجزرى فى تاريخه : أنه نشأت بأفريقية فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة سحابة شديدة الرعد والبرق ، فأمطرت حجارة كثيرة وأهلكت كل من أصابته .

(وأغرب) من هذا ما حكاه الجاحظ أنه نشأت سحابة بايدج وهى مدينة بين أصبهان وجوزستان سحابة طحيا تكاد تمس رءوس الناس وسمعوا منها كهدير الفحل ، ثم إنها دفعت بأشد مطر ثم استسلموا للغرق ثم دفعت بالضفادع والشابابيط العظام السمان ، والشبوط نوع من السمك فأكلوا وملحوا وادخروا كثيرا .

ومن ذلك أمور أرضية مثل صيرورة اليبس بحرا كأرض اليونان فإنها كانت بلادا معمورة والآن استولى الماء عليها ، وصيرورة البحر يبسا كأرض ساوة فإنها كانت بحرا والآن لا يرى فيها أثر البحر . (ومنها) ما زعموا أنه يصعد من الأرض بخار لا يصيب شيئا من الحيوان والنبات إلا جعله حجرا صلدا ، وآثار ذلك ظاهرة من أرض مصر ومثله ثم بأرض قزوين (ومنها) وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها ، وقد شوهد ذلك فى كثير من النواحى منها مدينة عنجرة بأرض الروم وقرية دركزين من أعمال همذان ، ومنها زلزلة تبقى شهرا أو أكثر ببعض النواحى ، وقد شوهد ذلك بأرض نيسابور والرى وحدثنى أبو القاسم الرافعى قدس الله روحه أنه شاهد فى هذه الزلزلة سقفا قد انشق حتى رأى الكواكب من جانبه ثم عاد إلى حاله ولم يظهر عليه أثر الشق . (ومنها) ظهور معدن ببعض الأصقاع لم يعرف قبل ذلك من الزمان ، كظهور معدن الذهب عند الإسماعيلية . (ومنها) ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك كظهور الترنجبين بأرض ساوة . (ومنها) تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله ، كما روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه رأى باليمن إنسانا من وسطه إلى سفله بدن امرأة ، ومن وسطه إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أياد ورأسين ووجهين وهما يأكلان ويشربان ويختصمان ويصطلحان . وذكر أن امرأة بكلوسامان من قرى بلخ ولدت شخصا له نصف بدن ونصف رأس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسناس الذى يوجد فى غياض الشجر باليمن ، ثم حملت مرة أخرى فولدت بدنا له رأسان .

وزعم الحكماء أنهم وجدوا ثلاثة معان من الأمور غريبة وقد وضعوا لكل معنى اسما (وأحد هذه المعانى) الآثار النفسانية والانفعالات التابعة للتصورات من غير واسطة أمر طبيعى ، فاستعمال تلك التصورات فى الخير معجزة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامة من الأولياء عليهم الرحمة والرضوان ، واستعمالها فى الشر سحر من النفوس الشريرة (وثانيها) أمور غريبة تحدث من قوى سماوى ، وأجسام عنصرية مخصوصة بهيئات وأشكال وأوضاع تسمى الطلسمات (وثالثها) أمور غريبة تحدث من أجساد أرضية كجذب المغناطيس

الحديد وتسمى النيرنجات ، وهذا هو القول الكلى فى الأمور الغريبة ، وسيأتى الكلام فى جزئياتها إن شاء الله تعالى :

المقدمة الرابعة

فى تقسيم الموجودات

كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق ، وكل ذرة من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها غرائب وعجائب يظهر فيها حكم الله تعالى وقدرته ، وإحصاء ذلك غير ممكن لكنا نشير إلى ذلك ونقول إجمالا ، فنقول : الموجودات منقسمة إلى مالا نعرف أصلها ولا يمكننا النظر فيها فكم من موجود لا نعلمه كما قال الله تعالى — ويخلق مالا تعلمون — وإلى ما تعرف جملها ولا نعرف تفصيلها ، وهى منقسمة إلى مالا يدرك بالبصر كالعرش والكرسى والملائكة والجن والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها ، ولا يمكن أن يقال فيها إلا ما صح بالنصوص والأخبار والآثار . وأما المدركات بالبصر كالسموات والأرض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها ، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها ، وما بين السماء والأرض وهواء الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها . فهذه هى أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما ، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أصناف ، وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولا نهاية لاستيعاب ذلك ، وانقسامها فى اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة . وفى جميع ذلك مجال البصر فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض إلا وفى تحريكها حكمة أو حكمتان أو عشرة أو ألف ، وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته كما قال بعضهم :

ولله فى كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

المقالة الأولى فى العلويات والنظر فيها فى أمور

(النظر الأول فى حقيقة الأفلاك وأشكالها وأوضاعها وحركاتها بطريق الإجمال) .

ذهب الحكماء إلى الفلك جسم بسيط كروى مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار ولا رطب ولا يابس ولا قابل للخرق ولا للالتئام ، ولهم على ذلك أدلة مذكورة فى الكتب الحكمية ، وكتابنا هذا ليس بصددها ، والأفلاك كرات محيطة بعضها ببعض

حتى حصلت من جملتها كرة واحدة يقال لها العالم ، وأدناها إلى العناصر فلك القمر ، ثم فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك المريخ ، ثم فلك المشترى ، ثم فلك زحل ، ثم فلك الثوابت ، ثم فلك الأفلاك .

واعلم أن لكل فلك مكانا لا ينتقل عنه لكنه متحرك فيه بأجرامه لا يقف طرفة عين ، وسرعة حركاتها أسرع من كل شىء شاهده الإنسان حتى صح فى الهندسة أن الفرس فى حالة الركض الشديد من الوقت الذى رفع يديه إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف فرسخ ، ثم إن من الأفلاك ما يتحرك من المشرق إلى المغرب كالفلك الأعظم . ومنها ما يتحرك من المغرب إلى المشرق كفلك الثوابت وأفلاك السيارات . ومنها ما يتحرك بالنسبة إلينا دولابية . ومنها ما يتحرك حمائلية . ومنها ما يتحرك رحوية . ومنها ما يشتمل على الوسط ولكن ليس مركزه مركز العالم كالأفلاك التسعة . ومنها ما يشتمل على الوسط لكن ليس مركزه مركز العالم كخارج المراكز . ومنها ما ليس مشتملا على الوسط كأفلاك التداوير ، وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى ومن الأفلاك ما لم يعرف له إلا كوكب واحد كأفلاك السيارات . ومنها ما لم يعلم عدد كواكبها إلا الله تعالى كفلك الثوابت . ومنها ما ليس له كوكب أصلا كالفلك الأعظم ويقال له الفلك الأطلس ، وجميع الحركات الموجودة فى العالم بحسب ما عرف من آراء المتقدمين وأصحاب الأرصاد ولا سيما بطليموس فإن اعتماد القوم على رصده خمسة وأربعون حركة للفلك الأعظم وحركة لفلك الثوابت ، وثمان عشرة حركة لأفلاك الكواكب العلوية لكل واحد منها ست حركات وحركتان لفلك الشمس وست حركات لفلك الزهرة وتسع حركات لفلك عطارد ، وست حركات لفلك القمر وحركتان لما دون فلك القمر وهما حركتا الثقل والخفة ، هذا ما لمح إليه فهم العقلاء وذهن الأذكياء والله هو الموفق .

(النظر الثانى) فى نظرية القمر وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما لمقعر فلك عطارد ، والأدنى لمحدب كرة النار ، ويتم دورته فى كل ثمانية وعشرين يوما بحركته التى تختص به من المغرب إلى المشرق ، وفلك تدويره يدور فى الفلك الحاوى فى كل أربعة عشر يوما مرة ، ففى الدورة الأولى يكون القمر بوجهه الممتلئ إلى مركز الأرض . ثم إن فلكه الكلى ينقسم إلى أربعة أفلاك ثلاثة منها شاملة للأرض وواحد صغير غير شامل . أما الشاملة : فالأول منها يسمى فلك الجوزهر وهو الذى يماس السطح الأعلى منه السطح الأدنى من فلك عطارد . والثانى منها يماس السطح الأعلى منه مقعر فلك الجوزهر ، والثالث منها فلك خارج المركز فى الفلك المائل من مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جنب من الفلك الملكى بحيث يماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الأوج ويماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الحضيض ، فيحصل سطحان مختلفا الثخن أحدهما حاو للفلك

الخارج المركز والآخر محوى فيه ورقة الحاوى مما يلى الأوج ، وغلظه مما يلى الحضيض ورقة المحوى وغلظه بالعكس ، يقال لكل واحد منهما المتمم . أما الفلك الصغير فهو فى ثخن الفلك الخارج المركز يقال له فلك التدوير والقمر مركوز فيه يتحرك بحركته ، وحركة هذا الفلك حركة مختصة به مغايرة لحركة الفلك الكلى . وزعموا أن ثخن فلك القمر وهو بعد ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى مائة ألف وثمانية عشر ألفا وستة وستون ميلا ، وبطليموس قد ذكر ثخن الأفلاك ومقادير أجرام الكواكب ودوائرها وأقطارها ، ولا تستصعبن ذلك فإنه لا يصعب إلا على من لادراية له بعلم الهندسة . وأما من حل الثانية من إقليدس فيسهل عليه ذلك إن كان فطنا .

(فصل)

وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعى الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور من الشمس على أشكال مختلفة ، ولونه الدانى إلى السواد يبقى فى كل برج ليلتين وثلث ليلة ويقطع جميع الفلك فى شهر ، وهو أصغر الكواكب فلكا وأسرعها سيرا ، وزعموا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءا أو ربع جزء من جرم الأرض ، ودورة القمر أربعمائة واثنان خمسون ميلا بالتقريب ، هذا ما وصل إليه آراء الحكماء بحكم المقدمات الحسابية .

(فصل : فى زيادة ضوئه ونقصانه)

القمر جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى فى ظاهره . فالوجه الذى يواجه الشمس مضىء أبدا فإذا كان قريبا من الشمس كان الوجه المظلم مواجها للأرض ، وإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذى يلى المغرب إلى الأرض تظهر من النصف المضىء قطعة هى الهلال ، ثم يتزايد الانحراف وتزداد بتزايده القطعة من النصف المضىء حتى إذا كان فى مقابلة الشمس ينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فنراه بدرا ، ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس يمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول ، وينزل كل ليلة منزلا من المنازل الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلة ، فإن كان الشهر تسعة وعشرين استتر ليلة ثمانية وعشرين ، وإن كان ثلاثين استتر ليلة تسعة وعشرين ، ويقطع فى استتاره منزلا ثم يتجاوز الشمس فيرى هلالا ، وذلك قوله تعالى — والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم — يريد أنه ينزل كل ليلة منزلا منها حتى يصير كأصل العذق إذا قدم ورق واستقوس .

(فصل فى خسوفه)

وسببه توسط الأرض بينه وبين الشمس ، فإذا كان القمر فى إحدى نقطتى الرأس والذنب

أوقريبا منه عند الاستقبال تتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع فى ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلى فيرى منخسفا. والشمس أعظم من الأرض فيكون ظل الشمس مخروطا قاعدته دائرة صفحة الأرض، لأن الخطوط الشعاعية التى تخرج من الشمس إلى جرم الأرض لاتكون متوازية فإذا اتصلت بمحيط الأرض ونفذت فى الجهة الأخرى تلاقيا عند نقطة فيحصل ظل الأرض على شكل المخروط ، فإذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج عند الاستقبال وقع كله فى جرم المخروط فيخسف كله حينئذ ، وإن كان له عرض يخسف بعضه ، وربما يماس جرم القمر مخروط الظل ولايقع فيه شىء، وذلك إذا كان عرض القمر مساويا لنصف مجموع القطرين أعنى قطر القمر وقطر الظل ، وإذا كان أقل من نصف القطرين يخسف بعضه .

(فصل فى خواص القمر وتأثيراته العجيبة)

زعموا أن تأثيراته بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة ، ويدل عليها اعتبار أهل التجارب . ومنها أمر البحار ، فإن القمر إذا صار فى أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه فى المد مقبلا مع القمر ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه ، فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه ، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى ، ثم لايزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد منتهاه فى المرة الثانية فى ذلك الموضع . ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود المد إلى ما كان عليه أولا فيكون فى كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيهما فى ذلك البحر مدان وجزران . (ومنها) أمر أبدان الحيوانات ، فإنها فى وقت زيادة القمر وضوئه تكون أقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها أغلب وتكون الأخلاط فى بدن الإنسان ظاهرة والعروق تكون ممتلئة ، وبعد الامتلاء تكون الأبدان أضعف والبرد عليها أغلب والنمو أقل والأخلاط فى غور البدن . والعروق أقل امتلاء وذلك أمر ظاهر عند علماء الطب . (ومنها) أن الأطباء ذهبوا إلى أن أحوال البحر أنات وتقارب أيامها مبنية على زيادة ضوء القمر ونقصانه ، وكتب الطب ناطقة بذلك ، وزعموا أن الذين يمرضون فى أول الشهر أبدانهم وقواهم على دفع المرض أقوى ، والذين يمرضون فى آخر الشهر بالضد . (ومنها) أن شعور الحيوانات يسرع نباتها مادام القمر زائد النور ويغلظ ويكبر ، وإذا كان ناقص النور أبطأ نباته ولم يغلظ . (ومنها) أن الحيوانات تكثر ألبانها من ابتداء زيادة نور القمر إلى الامتلاء وتزداد أدمغتها ، وبياض البيض المنعقد فى أول الشهر أكثر ، وإذا نقص نور القمر نقصت غزارة الألبان ومادة

الأدمغة وكثرة بياض البيض . (ومنها) أن الإنسان إذا أكثر القعود أو النوم فى ضوء القمر تولد فى بدنه الكسل والاسترخاء ويهيج عليه الزكام والصداع ، وإذا كانت لحوم الحيوانات بادية لضوء القمر تغيرت رائحتها وطعمها . (ومنها) أن السمك يوجد فى البحار والأنهار من أول الشهر إلى الامتلاء أكثر مما يوجد من الامتلاء إلى آخر الشهر ، ويكون أيضا فى النصف الأول من الشهر أسمن منه فى النصف الأخير . (ومنها) أن حشرات الأرض خروجها من أجحرتها فى النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها منه فى النصف الأخير ، وكل حيوان يلسع أو يعض فإنه فى النصف الأول من الشهر أقوى فعلا منه فى النصف الأخير وسمه أشد تأثيرا . (ومنها) أن السباع فى النصف الأول أشد طلبا للصيد منها فى النصف الأخير . (ومنها) أن الأشجار إذا غرست والقمر زائد النور علقت وأسرعت النشوء والحمل ، وإن وقع اللقاح والحمل والقمر زائد النور كانا جيدين ، وإن وقع والقمر ناقص النور أو زائلا من وسط السماء لم يسرع النبات وأبطأت فى الحمل وربما يبست . (ومنها) أن الفواكه والرياحين والزرع والبقول والأعشاب زيادتها من وقت زيادة القمر إلى الامتلاء أكثر من زيادتها ونموها من الامتلاء إلى المحاق ، وهذا أمر ظاهر عند أرباب الفلاحة حتى عند عامتهم فضلا عن علمائهم ، فإنهم يجدون تأثير ذلك ظاهرا ولاسيما فى البقول والخوخ والبطيخ والسمسم والقثاء والخيار والقرع من أول الشهر إلى نصفه يزيد أكثر مما يزيد من نصف الشهر إلى آخره . (ومنها) أن الفواكه إذا وقع عليها ضوء القمر أعطاها لونا عجيبا من حمرة أو صفرة فالتى يقع عليها الضوء فى النصف الأول من الشهر أحسن لونا مما يقع عليها فى النصف الأخير . (ومنها) أن نبات القصب والكتان إذا وقع عليها ضوء القمر فى النصف الأول أشد تقطعا مما وقع عليها آخر الشهر . (ومنها) أن المعادن التى تتكون يكون جوهرها وصفاؤها أشد إذا كان تولدها من أول الشهر ولو كان فى آخره لا يكون كذلك .

(خاتمة فى المجرة)

وهو البياض الذى يرى فى السماء يقال لها شرج السماء إلى زماننا هذا لم يسمع فى حقيقتها قول شاف . زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض ، والعرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم ، وفيها زعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كأنها سحاب ، وهى ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية من السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتدا من الشمال إلى الجنوب ، وبالنسبة إلينا تدور دوراً رحويا فتراها نصف الليل ممتدة من المشرق إلى المغرب ، وفى آخر الليل من الجنوب إلى الشمال ، فما كان منها شماليا يكون جنوبيا ، وما كان جنوبيا يكون شماليا والله أعلم بحقيقتها ، وتكون على فلك يختص بها يدور بالنسبة إلينا رحويا أو على شىء من الأفلاك المذكورة .

(النظر الثالث فى فلك عطارد) وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما مماس لمقعر فلك الزهرة والأدنى لمحدب فلك القمر ، ويتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة ، وينفصل عنه فلك خارج المركز بمنزلة الفلك الخارج المركز للقمر فى داخل ثخن الفلك الكلى ويقال له المدير ، وينفصل عن فلك المدير فلك آخر خارج المركز يقال له خارج المركز الثانى والكوكب فى فلك التدوير ، ويلزم أن يكون لعطارد أوجان أحدهما فى الفلك الكلى والثانى فى المدير ، ويكون له أيضا حضيضان . وزعموا أن ثخن فلك عطارد وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى ثلثمائة ألف وثمانمائة وثمانون ألفا واثنان وثمانون ميلا على رأى بطليموس صاحب الرصد ، فإنه استخرج ذلك بالبراهين الهندسية ، والله أعلم .

(فصل)

وأما عطارد فسماه المنجمون منافقا لكونه مع السعد سعداً ومع النحس نحسا على زعمهم ، وجرمه جزء من اثنين وعشرين جزءا من جرم الأرض ، ودورة جرمه مائتان وستة وثمانون فرسخا وقطر جرمه مائتان وثلاثة وسبعون ميلا ، ويبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوما تقريبا ، وهو كثير الرجعة والاستقامة يدور حول الشمس .

(النظر الرابع فى فلك الزهرة) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم ، الأعلى منهما مماس لفلك الشمس والأدنى لفلك عطارد ، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة مثل فلك الشمس ، غير أن فلك تدويره يسرع تارة فتصير الزهرة قدام الشمس ويبطئ أخرى فتصير الزهرة خلف الشمس ، وثخن جرم فلك الزهرة وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى والأدنى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعون ميلا ، وصورته مشابهة لصورة فلك القمر سواء وفلك الشمس على تقدير أن يكون جرم الشمس فلك التدوير من غير فرق .

(فصل)

وأما الزهرة فسماها المنجمون السعد الأصغر ، لأنها فى السعادة دون المشترى ، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو ، وجرم الزهرة جزء من أربعة وثلاثين جزءا وثلث جزء من جرم الأرض ، وقطر جرمها أربعمائة وتسعة وأربعون ميلا وسدس ميل ، تبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوما . وأما خواصها فزعموا أن النظر إليها مما يوجب فرحا وسروراً ، وإذا كان بالناظر إليها حرارات السل تخفف عنه ، وزعموا أن من شأنها الشبق والباه والألفة ، حتى لو نكح رجل امرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه .

(النظر الخامس فى فلك الشمس) وهو يحده سطحان كرويان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لمقعر فلك المريخ ، والأدنى منهما مماس لمحدب فلك الزهرة ، ودورته من المشرق إلى المغرب تتم فى ثلثمائة وستين يوما وربع يوم ، وينفصل عنه فلك شامل للأرض مركزه خارج المركز كما ذكره فى أفلاك الكواكب الثلاثة من غير فرق إلا أن الشمس هاهنا بمنزلة فلك التدوير إذ ليس للشمس فلك التدوير ، وذلك من لطف الله تعالى وعنايته بالعباد ، لأنه لو كان لها فلك التدوير كما لسائر الكواكب السيارة رجعت وبرجعتها يتمادى الصيف ستة أشهر وكذلك الشتاء فيؤدى إلى هلاك الحيوان والنبات ، لأن الشمس إذا بقيت مسامتة لرءوس قوم ستة أشهر لتغير مزاج حيوانهم واحترق نباتهم ، وإن بعدت عن قوم ستة أشهر استولى البرد على مزاجهم وانطفأت حرارتهم وفسد نباتهم ، وثخن جرم فلك الشمس ثلثمائة ألف وخمسة وخمسون ألفا وأربعة وسبعون ميلا .

(فصل فى الشمس)

وهى أعظم الكواكب جرما وأشدها ضوءا ، ومكانها الطبيعى الكرة الرابعة ، وهى بين الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالأعوان والجنود ؛ فالقمر كالوزير وولى العهد ، وعطارد كالكاتب ، والمريخ كصاحب الجيش ، والمشترى كالقاضى ، وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجوارى ، والأفلاك كالأقاليم ، والبروج كالبلدان ، والحدود والوجوه كالمدن ، والدرجات كالقرى ، والدقائق كالمحال ، والثوانى كالمنازل ، وهذا تشبيه جيد ؛ ومن لطف الله تعالى جعلها فى وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات فى هذا العالم بحركاتها على حدها الاعتدالى ، إذ لو كانت فى فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد ، ولو انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية ، وخلقها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة فى موضع والبرودة فى موضع ولا يخفى فسادهما بل تطلع كل يوم من المشرق ، ولا تزال تمشى موضعا بعد موضع إلى أن تنتهى إلى المغرب فلا يبقى موضع مكشوف مواز لها إلا ويأخذ موضع شعاعها ، وتميل كل سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدتها . وأما جرمها فضعف جرم الأرض مائة وستة وستين مرة ، وقطر جرمها أحد وأربعون وتسعمائة وثمانية وسبعون ميلا .

(فصل : فى كسوفها)

وسببه كون القمر حائلا بين الشمس وبين أبصارنا لأن جرم القمر كمد فيحجب ما وراءه عن الأبصار ، فإذا قارن الشمس وكان فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلا بينها وبين الإبصار ، لأن الخطوط الموهومة الشعاعية

التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر ، فإذا حال بيننا وبين الشمس يتحصل مخروط الشعاع أولا بالقمر ، فإن لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج وقع جرم القمر فى وسط المخروط فتنكسف الشمس كلها ، وإن كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس بمقدار ما يوجب العرض فينكسف بعضها ، وذلك إذا كان العرض أقل من مجموع نصف القطرين ، فإن كان يماس جرم القمر مخروط الشعاع لا تنكسف الشمس ، ثم الشمس إذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث ، لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه فى الحال فتبتدئ الشمس بالانجلاء ، ولكن يختلف قدر الكسوفات باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المنظر ، وقد لا تنكسف فى بعض البلاد أصلا .

(فصل : فى خواص الشمس وعجيب تأثيرها فى العلويات والسفليات)

(أما) فى العلويات فإخفاؤها جميع الكواكب لكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور بسبب قربه منها وبعده عنها ، وجميع ما ذكرنا من فوائد القمر فائدة من فوائد الشمس ، (وأما) فى السفليات ، فمنها تأثيرها فى البحار فإنها إذا أشرقت على الماء صعدت منه أبخرة بسبب السخونة ، فإذا بلغ البخار إلى الهواء البارد تكاثف من البرد واتعقد سحابا ثم تذهب به الرياح إلى الأماكن البعيدة عن البحار فينزل مطرا يحيى الله به الأرض بعد موتها ، وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات وتكون المعادن ، وقد قال عز وجل – وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات – . (ومنها) أمر المعادن فإن العصارات التى تتحلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار إذا اختلطت بالأجزاء الأرضية تصحبها الشمس فتتولد منها الأجساد المعدنية بحسب موادها كالذهب والفضة وسائر الفلزات وكالياقوت والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة وكالزئبق والكبريت والزرنيخ والملح والنوشادر ولا يخفى عموم فوائد هذه الأشياء كلها . (ومنها) أمر النبات فإن الزروع والأشجار لا تنبت إلا فى المواضع التى تطلع عليها الشمس ، وكذلك لا ينبت تحت النخل والأشجار العظيمة التى لها ظلال واسعة شئ من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها ، وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بسبب الحركة اليومية فى النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس فى الارتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت فى الذبول حتى إذا غابت ذبلت وضعفت ثم عادت فى اليوم الثانى إلى حالها . (ومنها) تأثيرها فى الحيوانات فإنا نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى فى أبدانها قوة فتظهر فيها قوة حركة وزيادة نشاط

وانتعاش ، وكل ما كان طلوع نور الشمس أكثر إلى أن تصل إلى وسط أسمائهم أخذت حركاتهم وقواهم فى الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غيبوبتها ، فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت الشمس عليهم فى اليوم الثانى عادوا إلى الحالة الأولى . ومن عجيب تأثيرها فى الحيوانات أن تجعل أهل البلاد القريبة عن مسامتتها كبلاد السودان الذين هم الإقليم الأول سودا محترقين وتجعل وجوههم من شدة الحرارة قحلة وجثثهم خفيفة وأخلاقهم وحشية شبيهة بأخلاق السباع ، والمواضع البعيدة عن مسامتتها كبلاد الصقالبة والروس تجعلهم لضعف حرارتها بيضا وتجعل شعورهم سبطة شقراء وأبدانهم رخصة عظيمة وأخلاقهم شبيهة بأخلاق البهائم . (ومنها) ما زعمت البراهمة أن أوج الشمس فى كل برج ثلاثة آلاف سنة وتقطع الفلك فى ست وثلاثين ألف سنة ، والآن فى وقتنا هذا وهو إحدى وستون وستمائة فى برج الجوزاء زعموا أن الأوج إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انقلبت أحوال الأرض وهيئاتها فصار العامر غامرا والغامر عامرا والبحر يبسا واليبس بحورا والجنوب شمالا والشمال جنوبا .

(النظر السادس فى فلك المريخ) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس لفلك المشترى والأدنى مماس لفلك الشمس ، وتتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما ، وصورته كفلك القمر وفلك الزهرة من غير فرق ولا حاجة إلى إعادته وكذلك فلك زحل ، وعلى رأى بطليموس ثخن فلك المريخ وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة ألف وستة وسبعون ألفا وتسعمائة وثمانية وتسعون ميلا .

(فصل)

والمنجمون يسمون المريخ النحس الأصغر لأنه دون زحل فى النحوسة وأضافوا إليه البطش والقتل والقهر والغلبة ، وجرم المريخ مثل جرم الأرض مرة ونصف مرة بالتقريب ، وثخن جرمه تسعمائة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون ميلا ، ويبقى فى كل برج إذا كان مستقيما أربعين يوما .

(النظر السابع فى فلك المشترى) وهو يحده سطحان متوازيان الأعلى منهما مماس لفلك زحل والأدنى مماس لفلك المريخ مركزهما مركز العالم ، ويتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما ، وصورته كصورة ذلك المريخ والزهرة وقد مضى ذكرهما ، وثخن جرمه وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة واثنان وثلاثون ألفا وأربعمائة واثنان وثلاثون ميلا بالتقريب .

(فصل)

وأما المشترى فسماه المنجمون السعد الأكبر لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة ، وجرم المشترى مثل جرم الأرض أربعة وثمانون مرة وثلث وربع ، وقطر جرم المشترى كقطر جرم الأرض أربع مرات وربعا وسدسا يقطع فى كل يوم خمس دقائق .

(النظر الثامن فى فلك زحل) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لفلك الكواكب الثابتة والأدنى منهما مماس لفلك المشترى ، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى تسع وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام . قال بطليموس : ثخن جرم فلك زحل أحد وعشرون ألف ألف ميل وستمائة وستة وثلاثون ألفا وستمائة وستة أميال .

(فصل)

وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم ، وجرم زحل كجرم الأرض إحدى وثمانين مرة ، وقطره كقطر جرم الأرض أربعين مرة وثلثى مرة ، وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا .

(النظر التاسع فى فلك الثوابت) وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس للفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك المحرك لكلها ، والأدنى منهما مماس لفلك زحل ، وهذا الفلك أيضا يتحرك من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة فيقطع فى كل مائة سنة جزءا من الأجزاء التى بها تكون الدائرة ثلثمائة وستين جزءا ، ودورته تتم فى ستة وثلاثين ألف سنة ، وقطباها قطبا دائرة البروج التى ترسمها الشمس وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، وقد وجد فى رصد بطليموس وأرصاد من كان قبله أن جميع الكواكب الثابتة مركوزة فى جرم هذا الفلك ولذلك لا تختلف أوضاعها ، وكلها تتحرك بحركة فلكها البطيئة على محيط دائرته غير مفارقة لها ، وهى كثيرة مختلفة الأقدار مثبتة فى جميع جرم هذا الفلك . قال بطليموس : ثخن فلك الثوابت وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى أربعة وثلاثون ألفا وسبعمائة وأربعة وأربعون ميلا بالتقريب ، وهذا المقدار هو قطر الكواكب الثابتة التى هى فى العظم الأول ، وجرم الكواكب الذى هو فى العظم الأول مثل جرم الأرض أربعة وسبعين مرة وخمس ، وجرم أصغر الكواكب الثابتة وهو الذى يكون فى العظم السادس مثل جرم الأرض ثمانية عشر مرة ، وقطر فلك الكواكب الثابتة وهو محدد فلك البروج مائة وأحد وخمسون ألف ألف ميل وخمسمائة وسبعة وثلاثون ألفا ومائة وأربعة

وثمانون ميلا ، ولعل البعض يستبعد معرفة مقادير هذه الأجرام ويخطر أن الذى على سطح الأرض كيف يدرى شخن الفلك الثامن وأجرام كواكبه ، فالأولى تركه الاستبعاد ، فإن الأمر الذى لا يعرفه هو لا يستحيل أن يعرفه غيره. ومن مارس علم الهندسة لا يتعذر عليه براهين هذه الأمور فإن لكل عمل رجالا : فسبحان من أبدع هذه الأجسام الرفيعة وزينها بهذه الأجسام المنيرة وخص كل واحد منها بما شاء من المقدار وأعطى الإنسان آلة يدرك بها هذه الأمور الغامضة فقال تعالى — وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا — .

(فصل : فى الكواكب الثابتة)

اعلم أن عددها مما يقصر ذهن الإنسان عن ضبطه لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفا واثنين وعشرين كوكبا ثم وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وسبعة عشر كوكبا تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كوكبها ، وهى الصور التى أثبتها بطليموس فى كتاب [المجسطى] بعضها فى النصف الشمالى من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التى هى طريقة السيارات وبعضها فى النصف الجنوبى ، فسمى كل صورة باسم الشىء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء ، وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان ، وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل ، وبعضها على صورة الطير كالعقاب ، وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان والسنبلة ، ووجدوا من هذه الصور مالم يكن تام الخلقة مثل قطعة الفرس ، ومنها مابعضه من صورة حيوان وبعضه الآخر من صورة حيوان آخر كالرامى ، ومنها مالم تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك منهما مثل ممسك الأعنة ، فإن صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذى على طرف القرن الشمالى من الثور مشتركا بينهما فصار على قرن الثور وعلى رجل ممسك الأعنة ، وإنما ألغوا هذه الصورة وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه ، وقد ذكروا موقعه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده فى الشمال أو الجنوب عن الدائرة التى تمر بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والطالع فى كل وقت.

(وأما) الكواكب الأخر وهى مائة وثمانية عشر كوكبا فإنها لم ينتظم منها شىء من الصور فأضافوا كل ما وجدوه منها قريبا من صورة إلى تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذى فوق رأس الحمل الذى تسميه العرب الناطح .

وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهى ثمان وأربعون صورة منها فى النصف الشمالى من الكرة إحدى وعشرون صورة ، ومنها على البروج اثنتا عشرة صورة ، ومنها فى النصف الجنوبى من الكرة خمسة عشر صورة ، فلنذكر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد

كواكبها وأسمائها وألقابها على مذهب العرب ومذهب المنجمين ليستدل بأحدهما على الآخر، ويعمل صورها المسماة باسمها المشبهة بها ، ويرسم كل كوكبة على مواقعها من الصورة ليكون مشاكلا لما يرى فى السماء، والتى هى خارجة عن الصورة ليستدل الإنسان بأخذ ارتفاعها على الأوقات وبها على قدرة الله تعالى صانعها جلت قدرته وتقدست أسماؤه له الحمد كثيرا .

(فصل : فى الصور الشمالية)

وهى إحدى وعشرون صورة ، وعدد كواكبها من نفس الصورة ثلثمائة وأحد وثلاثون كوكبا، والتى حوالى الصورة وليست من نفسها تسعة وعشرون كوكبا ، فجميع الكواكب التى فى هذا النصف من الكرة ثلثمائة وستون كوكبا وهذه أسماؤها :

(كوكبة الدب الأصغر) هى أقرب كوكبة إلى القطب الشمالى ، وكواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة خمسة ، والعرب تسمى هذه السبعة بنات نعش الصغرى ، فالأربعة التى على المربع نعش ، والثلاثة التى على الذنب بنات، وتسمى النيرين من الأربعة الفرقدين ، والنير الذى على طرف الذنب الجدى وهو الذى يتوخى به القبلة، وجميع الكواكب الداخلة فى الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة ، وتسمى الفأس لشبهها بفأس الرحا الذى يكون القطب فى وسطه ، وقطب معدل النهار عنده أقرب شىء إلى كوكب الجدى .

(كوكبة الدب الأكبر) كواكبه تسعة وعشرون كوكبا من الصورة وثمانية حوالى الصورة والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع المستطيل ، والثلاثة التى على ذنبه بنات نعش الكبرى ، فالأربعة التى على المربع المستطيل نعش، والثلاثة التى على الذنب بنات وتسمى الذى على طرف الذنب القائد، والذى على وسطه العناق، والذى يلى النعش وهو الذى على ذنب الجوزاء وفوق العناق كوكب صغير ملاصق له تسميه العرب السها ، وهو الذى يمتحن الناس به أبصارهم . زعموا أن من نظر إليه وقال : أعوذ برب السهية من كل عقرب وحية أمن ليلته، وتسمى الستة التى على الأقدام الثلاثة على كل قدم منها اثنان قفزات الظباء كل اثنين منها قفزة ، والقفزة الأولى وهى التى على الرجل اليمنى تتبعها الصرفة وهى الكوكب النير الذى على ذنب الأسد ، والكواكب المجتمعة التى فوق الصرفة تسميها العرب الهقعة، تقول العرب ضرب الأسد بذنبه الأرض فقفزت الظباء ، والكواكب السبعة التى على عنقه وصدره وعلى الركبتين كأنها نصف دائرة تسمى سرير بنات نعش وتسمى الحوض أيضا، والكواكب التى على الحاجب والعينين والأذن والخطم تسمى الظباء، تقول العرب : إن الظباء لما قفزت من الأسد وردت الحوض، وأما الثمانية التى حول الصورة اثنان منها ما بين الهقعة والقائد

وأحدهما أنور من الآخر ، تسميه العرب كبد الأسد ، والستة الباقية تحت القفزة الثالثة التى على اليد اليسرى ثلاثة منها أنور هى ظباء والبواقى خفية أولاد الظباء .

(فصل : فى خواص القطب الشمالى)

ظاهر حوله بنات نعش الصغرى وكواكب خفية إذا جمعتها صارت فى صورة سمكة والقطب فى وسط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب .

زعموا أن لهذا القطب فوائد : (منها) أن النظر إليه وإلى الدب الأصغر يشفى من الرمد وجرب العين ، وذلك أن يقوم صاحب الجرب أو الرمد ليلة الأحد إذا ظهرت النجوم بعد ساعتين من غيبوبة الشمس حيال القطب الشمالى والدب الأصغر فينظر إليه ثم يأخذ ميلا من فضة يغمسه فى الماورد الخالص ويكحل به العين ، وإن كان المريض إحداهما فعل ذلك من من ليلة الأحد فى كل ليلة ، وكلما كان أكثر كان أجود فإن الرمد والجرب يذهبان بإذن الله إلا أن الرمد أسرع . (ومنها) مازعموا أن الأسد والببر والنمر والدب إذا قامت حيال هذا القطب وأطالت النظر إليه شفيت . (ومنها) أن اللبؤة إذا حملت فإنه يناالها عناء فربما بقيت تلك الليلة لا تأكل شيئا ثم تأتى إلى نهر فيه ماء حار أو عين ينبع منها ماء فتقوم فى الماء إلى نصف ساقها وتنظر إلى القطب الشمالى فإنها تبرأ من الوصب .

(كوكبة التنين) التنين كواكبه أحد وثلاثون كوكبا فى الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة ، والعرب تسمى الكوكب الذى على اللسان الرابض والأربعة التى على الرأس العوائذ ، وفى وسط العوائذ كوكب صغير جدا تسميه العرب الربع وهو ولد الناقة ، وتسمى النيرين اللذين على مؤخره الذئبين والاثنين اللذين هما فى غاية الخفاء قبل الذئبين أظفار الذئب ، وقد وقعت العوائذ بين الذئبين وبين النسر الواقع منعطفين على الربع فشبهت العرب النيرين بذئبين قد طمعا فى استلاب الربع وشبهت العوائذ بأربع أينق قد عطفن على الربع ، وفى أصل الذئب كوكب يسمى الذيخ وهو ذكر الضباع .

(كوكبة قيقاوس) كواكبه أحد عشر كوكبا فى الصورة وعشرة خارج الصورة وهى من كوكبة ذات الكرسى وبين كواكب الجدى وهو النير الذى على ذنب الدجاجة الذى يسمى الردف ، والعرب تسمى الكوكب الذى على صدره النثرة ، والذى على منكبه الأيمن الفرقد ، والدائرة التى تحصل من كواكب ذراعه ومما هو خارج وهو من كواكب الدجاجة من جناحها الأيمن تسمى القدر ، والذى على الرجل اليسرى يسمى الراعى ، وبين رجليه كوكب يسمى كلب الراعى ، وبين رجليه وبين الجدى كواكب صغار تسميها العرب الأغنام .

(كوكبة العواء) كواكبها اثنان وعشرون كوكبا فى الصور وواحدة خارجها وهو صورة رجل بيده اليمنى عصا فيما بين كواكب الفكة وبنات نعش الكبرى ، وتسمى العرب الكواكب الذى على الرأس والذى على المنكبين عصا الضباع ، والذى على يده اليسرى

وعلى الساعد من هذه اليد وما حول اليد من الكواكب الخفية أولاد الضباع ، والخارج عن الصورة كوكب أحمر نير بين فخذيه يسمى السماك الرامح ، والسماك يسمى مفردا حارس السماء وحارس الشمال لأنه يرى أبدا فى السماء لا يغيب تحت شعاع الشمس ، والكواكب الذى على الساق اليسرى تسمى الرامح .

(كوكبة الفكة) كواكبها ثمانية يقال لها بالفارسية كاسه دورشان ، وهى على استدارة خلف عصا الضباع ، وفى استدارتها ثلمة لأجل ثامنها يقال لها قصعة المساكين ، ومن كواكبها كوكب يقال له النير من الفكة .

(كوكبة الجاثى) ويقال هى الراقص له صورة رجل قد مد يده وجثا على ركبتيه إحدى رجليه على طرف عصا العوار وهى اليمنى والأخرى عند الأربعة التى على رأس التنين التى تسمى العوائذ ، وكواكبه ثمانية وعشرون كوكبا فى الصورة خلاف الكوكب المشترك بينه وبين العواء وواحد خارج الصورة .

(كوكبة السلياق) كواكبه عشرة والنير منها يسمى النسر الواقع ، شبهته العرب بنسر قد ضم جناحيه إلى نفسه كأنه واقع على شىء ، والعامة تسميه الأثافى ، وقدام النير كوكب خفى تسميه العرب الأظفار .

(كوكبة الدجاجة) كواكبها سبعة عشر كوكبا فى الصورة واثنان خارج الصورة ، والعرب تسمى الأربعة المصطفة الفوارس ، وقد قطعت المجرة عرضا ، والنير الذى على الذئب الردف لأنه يتلو الأربعة ، وجعله بعضهم الذى على الصدر فى الوسط واثنان عن يمينه واثنان عن يساره والردف خلفه .

(كوكبة ذات الكرسى) هى صورة امرأة قاعدة على كرسى له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجليها وهى فى نفس المجرة فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشر كوكبا ، والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف المخضب وهى كف الثريا اليمنى المبسوطة ، فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة .

(كوكبة سياوس) وهو حامل رأس الغول ، وهو صورة رجل قائم على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه وبيده اليسرى رأس غول ، وكواكبها ستة وعشرون كوكبا فى الصورة وثلاثة خارجة الصورة .

(كوكبة ممسك الأعنة) هى صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين الثريا وبين كوكبة الدب الأكبر ، وكواكبه أربعة عشر كوكبا ، وفى وسط الصورة كواكب تسميها العرب الخباء ، والنير الذى على المنكب الأيسر تسميه العرب العيوق ، والذى على المرفق الأيسر العنز ، والاثنين اللذين على المعصم الأيسر الجديين ، ويسمى العيوق معها العناق

ويسمى أيضا رقيب الثريا، ويسمى الذى على المنكب الأيمن ، والاثنان اللذان على الكعبين توابع العيوق .

(كوكبة الحور والحية) أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حيه، وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة وخمسة خارجها. وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية ، وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقا شاميا والمصطفة تحت عنقه نسقا يمانيا ، ويسمى ما بين النسقين الروضة والكواكب التى بين النسقين فى الروضة الأغنام الذى على رأس الحور يسمى الراعى ، والذى على رأس الجاثى كلب الراعى .

(كوكبة السهم) هى خمس كواكب بين منقار الدجاجة وبين النسر الطائر فى نفس المجرة العظيمة نصله إلى ناحية المشرق والفوق إلى ناحية المغرب ، وطول السهم فى رأى العين إذا كان فى كبد السماء نحو ذراعين .

(كوكبة العقاب) كواكبه تسعة فى الصورة وستة خارجها وفى الصورة ثلاثة مشهورة تسمى النسر الطائر وبإزائه النسر الواقع ، والعامة تسمى الثلاثة المشهورة من خارج الصورة الميزان لاستواء كواكبه ، والاثنين اللذين فوقها الظليمين .

(كوكبة الدلفين) كواكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر ، والنير الذى على ذنبه يسمى ذنب الدلفين ، والعرب تسمى الأربعة التى فى وسط العنق الصليب، والذى على الذنب عمود الصلب .

(كوكبة قطعة الفرس) كواكبها أربعة تتبع الدلفين اثنان منها متضايقان بينهما شبر واثنان بينهما ذراع ، والأول فى موضع الفم والآخرون على الرأس .

(كوكبة الفرس الأعظم) كواكبه عشرون وهى على صورة فرس له رأس ويدان وبدن إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان ، والأول من كواكبه على السرة وهو على رأس المرأة المسلسلة مشترك بينهما ويسمى سرة الفرس ، وآخر على متنه يسمى متن الفرس ، وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس، وآخر عند منشإ العنق يسمى عنق الفرس ، وآخر على حجفلته خلف الأربعة التى على قطعة الفرس يسمى فم الفرس . والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع أحدها عند منتهى العنق متن الفرس ومنكب الفرس وجناح الفرس والكوكب المشترك الدلو ، وتسمى الاثنين المتقدمين عليها العرقوة والاثنين اللذين فى البدن النعائم، والكرب أيضا شبهتها العرب بمجموع العرقوتين فى الوسط فى رأس الدلو حيث يشد فيه الحبل وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب، وتسمى الاثنين اللذين على الرأس سعد البهائم ، والاثنين اللذين على العنق سعد الهمام ، والاثنين المتقاربين اللذين فى الصدر سعد البارع ، والاثنين اللذين على الركبة اليمنى سعد المطر .

(كوكبة المرأة المسلسلة) كواكبها ثلاثة وعشرون من الصورة سوى النير الذى على الرأس فإنه على سرة الفرس، وسميت هذه المرأة مسلسلة لامتداد إحدى يديها وهى اليمنى نحو الشمال والأخرى نحو الجنوب ولاجتماع الكواكب بين رجليها شبهوها بمن سلسل ويسمى الكوكب النير الذى فوق منزرها بطن الحوت.

(كوكبة الفرس التام) هو أحد وثلاثون كوكبا وهو فرس آخر أحسن شبها بالفرس من الأول وبعض الفرس الأول داخل فيه ومن السطر الذى من الكوكب على وجهه ورأسه تولدت صورة الرأس وتمر على عرفه على تقويس فيفصل بكوكب على متنه وهو من كواكب الفرس الأعظم الذى على طرف اليد اليمنى ثم يمر على كوكبين على كفله ثم على كوكبين على ذنبه وهو طرف اليد اليسرى الفرس الأعظم ثم على كوكبين أحدهما فى وسط ذنبه والآخر على طرف الذنب، ويخرج من الحجفلة سطر يمر على الغلصمة والنحر وبه تتم صورة العنق والصدر.

(كوكبة المثلث) كواكبه أربعة بين الشرطين وبين النير الذى على الرجل اليسرى من صورة المرأة، وهو على شكل مثلث فيه طول أحدها على رأس المثلث ويسمى هذا الاسم وثلاثة على قاعدتها.

(فصل: فى البروج الاثنى عشر)

هذه صورة قريبة من الدائرة التى تمر على أوساط البروج فى المائل عن طريقة الكواكب السيارة، وهى التى سميت البروج الاثنا عشر بأسمائها كل اسم باسم الصور التى كانت فيه، فلنذكر كوكبة كل صورة وعدد كواكبها وموقعها من الصورة وألقاب بعضها على رأى المنجمين والعرب. ولنبدأ بالصورة التى فى الوجه الأول منها:

(كوكبة صورة الحمل) كواكبه ثلاثة عشر فى الصورة وخمسة خارجها مقدمه إلى جهة المغرب ومؤخره إلى المشرق ووجهه على ظهره، والنيران اللذان على القرن يسميان الشرطين، والنير الخارج عن الصورة يسمى النطح، واللذان على الألية مع الذى على الفخذ وهو على مثلث متساوى الأضلاع تسمى البطين، والعرب جعلت بطن الحمل منزلا للقمر كبطن السمكة وسمته البطين.

(كوكبة الثور) صورته صورة ثور مؤخره إلى المغرب ومقدمه إلى المشرق وليس له كفل ولا رجلان تلتفت رأسه إلى جنبه وقرناه إلى ناحية المشرق، وكواكبه اثنان وثلاثون سوى النير الذى على طرف قرنه الشمال فإنه على الرجل اليمنى من ممسك الأعنة مشترك بينهما والخارج عن الصورة أحد عشر كوكبا وعلى موضع القطع منه أربعة مصطفة، والنير الأحمر العظيم الذى على عينه الجنوبية يسمى الدبران وعين الثور أيضا وتالى النجم وحادى النجم

والفنيق وهو الجمل الضخم ، والتى حواليه من الكواكب القلاص وهى صغار النوق ، والعرب تسمى الكواكب التى على كاهل الثور الثريا وهما كوكبان نيران فى خلالهما ثلاث كواكب صارت مجتمعة متقاربة كعنقود العنب ولذلك جعلوها بمنزلة كوكب واحد وسموها النجم ، وزعموا أن فى ذلك المطر عند نوئها الثروة وتسمى الاثنين المتقاربين على الأذنين الكلبين ويزعمون أنهما كلبا الدبران ، والعرب تتشاءم بالدبران وتقول : أشأم من حادى النجم ، ويزعمون أنهم لا يمطرون بنوء الدبران إلا وسنتهم مجدبة .

(كوكبة التوأمين) كواكبها ثمانية عشر فى الصورة وسبعة خارجها وهى صورة إنسانين رأسهما فى الشمال الشرقى وأرجلهما إلى الجنوب والمغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما بكواكب الآخر ، والعرب تسمى الاثنين النيرين اللذين على رأسهما الذراع المبسوطة ، واللذين على ثدى التوأم الثانى الهقعة ، واللذين على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه البخاتى .

(كوكبة السرطان) كواكبه تسعة من الصورة وأربعة خارجها ، والعرب تسمى الكواكب النير منها النثرة. وفى [المجسطى] ذكر النثرة باسم المعلف واسم الكوكبين التاليين للنثرة الحماران ، والكوكب النير الذى على الرجل المؤخرة الجنوبى الطرف .

(كوكبة الأسد) كواكبه سبعة وعشرون فى الصورة وثمانية خارجها ، والعرب تسمى الكوكب الذى على وجهه مع الخارج عن الصورة سرطان الطرف ، وتسمى الأربعة التى فى الرقبة والقلب الجبهة ، وتسمى التى على البطن وعلى الحرقفة الزبرة ، والذى على مؤخر الذنب قلب الأسد ، وتسميه أيضا الصرفة لانصراف البرد عند سقوطه بالمغرب بالغدوات وانصراف الحر عند طلوعه من تحت شعاع الشمس بالغدوات .

(كوكبة العذراء) وهى ستة وعشرون فى الصورة وستة خارجها وهى صورة امرأة رأسها على جنوب الصرفة وقدمها الزبانان اللذان على كفتى الميزان ، والعرب تسمى التى على طرف منكبها الأيمن العواء وهو المنزل الثالث عشر من منازل القمر ، وزعم بعضهم أن الكواكب التى على بطنها وتحت إبطها كأنها كلاب تعوى خلف الأسد ، وتسمى عواء البرد أيضا لأنها إذا طلعت أو سقطت جاءت ببرد ، والكوكب النير الذى بقرب يدها التى فيها السلسلة السماك الأعزل سمى أعزل لأنه بإزائه السماك الرامح ويسمى أعزل لأنه لا سلاح معه ، والمنجمون يقولون لهذا الكوكب السنبلة ، ويسمى أيضا ساق الأسد ، والذى على قدمه اليسرى الغفر ، وإنما سمى بالغفر لنقصان ضوء كواكبه كأنه قد سترها .

(كوكبة الميزان) ثمانية كواكب فى الصورة بين كوكبة العذراء وكوكبة العقرب وتسعة خارجها ، وليس فيها شىء من الكواكب المشهورة .

(كوكبة العقرب) أحد وعشرون كوكبا من الصورة وثلاثة خارجها وهى صورة

مشهورة ، والعرب تسمى الثلاثة التى على الجبهة الإكليل ، وتسمى النير الأحمر الذى على البدن قلب العرب ، وتسمى الذى قدام القلب والذى خلفه النياط ، وتسمى الذى فى الخزوات الفقرات ، وتسمى الاثنين اللذين على طرف الذنب الشولة .

(كوكبة الرامى وهو القوس) أحد وثلاثون كوكبا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة ، والعرب تسمى الأول الذى على النصل والذى على مقبض القوس والذى على الطرف الجنوبى من القوس والذى على طرف اليد اليمنى من الدابة النعام الواردة ، لأن المجرة شبهت بنهر والنعام قد وردت النهر ، وتسمى الذى على المنكب الأيسر والذى فوق السهم والذى على الكتف الأيسر والذى تحت الإبط وهو بعيد عن المجرة إلى ناحية المشرق النعام الصادرة ، شبهتها بنعام شرب الماء وصدر عن النهر ، وتسمى اللذين على الستة الشمالية من القوس الظليمين واللذين على الفخذ اليسرى والساق الصردين .

(كوكبة الجدى) كواكبه ثمانية وعشرون كوكبا فى الصورة وليس حوالى الصورة شىء من الكواكب المرصودة ، والعرب تسمى الاثنين اللذين على القرن الثانى سعد الذابح سمى ذابحا للصغير الملاصق له ، قيل الصغير شأنه الذى يذبحه ، وتسمى الاثنين النيرين اللذين على الذنب المحبين .

(كوكبة ساكب الماء وهو الدلو) كواكبه اثنان وأربعون كوكبا فى الصورة وثلاثة خارجها ، والعرب تسمى اللذين على منكبه الأيمن سعد الملك ، واللذين على منكبه الأيسر مع الذى على ذنب الجدى سعد السعود ، والثلاثة التى على اليد اليسرى سعد بلع وإنما سميت بهذا الاسم لأن البعد بين هذين الاثنين أوسع من البعد بين الذابح فشبهتها بفم مفتوح ليبلع ، وتسمى الذى على ساعده مع الثلاثة التى على يده اليمنى سعد الأخبية وإنما سمى بذلك لأنه إذا طلع اختبأت الهوام تحت الأرض من البرد ، وتسمى النير الذى على فم الحوت الجنوبى الضفدع الأول .

(كوكبة السمكة وهى الحوت) وكواكبها أربعة وثلاثون فى الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان أحدهما السمكة المتقدمة وهى التى على ظهر الفرس الأعظم فى الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة ، وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج .

(فصل : فى الصورة الجنوبية)

هى الكواكب التى فى النصف الجنوبى من الكرة وهى خمسة عشر صورة نذكر مواضع كواكبها من الصورة إن شاء الله تعالى ، ومواضع صورها وأسمائها على مذهب العرب والمنجمين على ما رسمنا فيما تقدم :

(كوكبة قيطس) هى صورة حيوان بحرى مقدمه فى ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل ومؤخره فى ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه اثنان وعشرون ، والعرب تسمى الكواكب التى فى الرأس الكف الجذماء لأن امتداده دون امتداد الكف الخضيب ، وتسمى الخمسة التى على يديه النعامات ، والكواكب التى على أصل الذنب تسمى النظام ، والتى على الشعبة الجنوبية من الذنب تسمى الضفدع الثانى ، والأول مذكور فى الدلو .

(كوكبة الجبار) كواكبه ثمانية وثلاثون كوكبا فى الصورة وهو صورة رجل قائم فى ناحية الجنوب على طريقة الشمس بيده عصا وعلى وسطه سيف ، والعرب تسمى الكواكب الثلاثة التى على الوجه الهنعة ، والنير الأعظم الذى على منكبه اليمنى منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضا ، والكوكب النير الذى على المنكب اليسرى الناجذ والمرزم أيضا ، والثلاثة المصطفة التى على وسطه منطقة الجوزاء ، والثلاثة المنحدرة المتقاربة سيف الجبار ، والنير الأعظم الذى على قدمه اليسرى رجل الجبار ، وتسمى التسعة المقوسة التى على الكم تاج الجوزاء .

(كوكبة النهر) كواكبه أربعة وثلاثون فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة يبتدئ من عند النير الذى على قدم الجوزاء فيمر فى المغرب على تعريج إلى قرب الأربعة التى على صدر قيطس ، ثم يمر فى الجنوب على ثلاثة كواكب ، ثم ينعطف إلى المشرق فيمر على ثلاثة كواكب أيضا ، ثم ينعطف إلى الجنوب فيمر على ثلاثة كواكب مجتمعة ، ثم ينقطع فيمر فى الجنوب على كوكبين متقاربين ، ثم ينعطف إلى المغرب فيمر على كوكبين متقاربين أيضا ، ثم على ثلاثة كواكب متقاربة ، ثم ينتهى إلى كوكب نير على آخر النهر ، والعرب تسمى الأول والثانى والثالث من كوكبة الكرسى الجوزاء ، وتسمى الأربعة التى فى وسط النهر مع الخمسة التى فى جانبه الآخر أدحى النعام وهو عشه ، والتى حوالى هؤلاء الكواكب تسمى البيض ، والنير الذى على آخر النهر يسمى الظليم ، وبين هذا الظليم والظليم الذى على فم الحوت كواكب كثيرة تسمى الرئال وهى فراخ النعام .

(كوكبة الأرنب) هى اثنى عشر كوكبا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة وهى تحت رجل الجبار وجهه إلى المغرب ومؤخره إلى المشرق ، والعرب تسمى الأربعة التى اثنان منها على يديه واثنان على رجليه كرسى الجوزاء وعرش الجوزاء أيضا .

(كوكبة الكلب الأحمر) كواكبه ثمانية عشر فى الصورة وأحد عشر خارجها وهى صورة كلب خلف كوكبة الجوزاء ولذلك سمى كلبا ، والعرب تسمى النير الأعظم الذى على موضع الفم الشعرى العبور ، وكان قوم فى الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضا دون

غيره من الكواكب وذلك قوله تعالى – وأنه هو رب الشعرى – وسمى عبورا لأنه عبر المجرة إلى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها فى شق اليمن ، وتسمى الأربعة التى منها على كتفه وعلى ذنبه ما بينهما وعلى فخذه العذارى ، والأربعة المصطفة التى على الاستقامة خارج الصورة تسمى القرود ، والنيران من خارج الصورة حضار الوزن ، ومن العرب من يسميها مختلفين لأنهما يطلعان قبل سهيل فيظن أحدهما سهيلا فيخلف عليه والآخر يعلم أنه غير سهيل فيخلف له .

(كوكبة الكلب المتقدم) وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمين وبين النيرين الذى على فم الكلب الأكبر يتأخر عنهما إلى المشرق وأحدهما أنور ، وتسميه العرب الشعرى الشامية لأنها تغيب فى شق الشام ، وتسميه الشعرى الغيمصاء لأنه عندهم أحب سهيلا ، وقد عبرت اليمانية المجرة إلى ناحية سهيل وبقيت هذه فى الشمال الشرقية فبكت على سهيل وغمصت عيناها ، وتسمى الاثنين أيضا ذراع الأسد المقبوض ، وسميت مقبوضة لتأخرها عن الذراع الآخر وهما النيران اللذان على رأس التوأمين .

(كوكبة السفينة) كواكبها خمسة وأربعون كوكبا من الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة . وذكر بطليموس أن النير العظيم الذى على المجداف الجنوبى هو سهيل وهو أبعد كوكب عن السفينة فى الجنوب يرسم على الإسطرلاب . وأما العرب فالروايات عنها فى سهيل وفى كواكب السفينة مختلفة الرأى بعضهم أن النير الذى على طرف المجداف الثانى يسمى سهيلا على الإطلاق .

(فصل : فى فوائد القطب الجنوبى)

أما القطب الجنوبى فإنه فى مقابلة القطب الشمالى وإنه خارج عن كواكب السفينة بقرب نير المجداف وتدور حوله كواكبه أسفل من سهيل . وزعموا أن لهذا القطب فوائد : (منها) أن كل حيوان أنثى إذا تعسرت ولادتها تنظر إلى القطب وإلى سهيل تضع فى الحال . (ومنها) أن من انقطعت عنه شهوة الباه من غير شرب داوء يداوم النظر إلى القطب الجنوبى فى ليال متوالية ترجع إليه شهوته . (ومنها) أن صاحب الثآليل إذا أخذ بعدد كل ثؤلول ورقة من شجر الغرب ويومئ إلى سهيل وإلى القطب ويقول هذا لقلع الثآليل حتى يقول اثنين وأربعين مرة إما فى ليلة واحدة أو فى ليال ، ثم يدق الورق فى هاون اسفيدوز ويجعله على الثآليل فإنها تجف وتنفرك ، وزعموا أنها من الخواص العجيبة المجربة . (ومنها) أن صاحب الماليخوليا إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل مرة بعد أخرى أو فى ليلة مرات يزول عنه ذلك ، وزعموا أنهم جربوه فوجدوه صحيحا . (ومنها) أن النظر إلى هذا القطب وسهيل يحدث للإنسان طربا وسرورا ، ولهذا صنف من الزنج مخصوصون بمزيد الطرب لأنهم متقاربون

من مدار القطب وسهيل . (ومنها) أن صاحب الظفرة فى العين إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل تزول ظفرته ، وذلك بأن يديم النظر إلى القطب وسهيل ويحدق النظر إليهما ويكون النظر متواليا أوله ليلة الثلاثاء ولا يقطعه إلى أن تزول الظفرة فإنها تذهب إلى تمام اثنين وأربعين أو تسع وأربعين .

(كوكبة الشجاع) كواكبة خمسة وعشرون كوكبا فى الصورة واثنان خارجها رأسه على زبانى الجنوبى من صورة السرطان وهى بين الشعرى الغميصاء وقلب الأسد يميل عنهما إلى الجنوب ميلا يسيرا ثم ينعطف إلى كوكب نير على آخر عقدته عند منشإ الظهر فوقه أربع كواكب على شمال النير ، والعرب تسمى الذى على آخر العنق الفرد لانفراده عن أشباهه ، وأما سائر كواكب الشجاع فعن العرب فيها روايات كثيرة لا طائل تحتها .

(كوكبة البلطية) هى سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع ، والعرب تسمى هذه الكواكب الملتف .

(كوكبة الغراب) هى سبع كواكب خلف البلطية على جنوب السماك الأعزل ، والعرب تسمى هذه الكواكب عجز الأسد ، وتسميها أيضا عرش السماك الأعزل ، وتسميها أيضا الأحمال .

(كوكبة قطورش) هى سبعة وثلاثون كوكبا وصورته صورة حيوان ومقدمه مقدم إنسان من رأسه إلى آخر ظهره ومؤخره مؤخر فرس من منشإ ظهره إلى ذنبه ، وجهه إلى المشرق ومؤخر ذنبه إلى المغرب وبيده شمراخان ، وقد قبض بيده الأخرى على يد السبع وعلى بطن الدابة نير يسمى بطنا وعلى حافر يده اليمنى كوكب حضار وعلى يده الأخرى الوزن ، وهما اللذان يسميان المخلفين كما ذكرنا قبل .

(كوكبة السبع) وهى تسعة عشر كوكبا من الصورة خلف كوكبة قيطورش وبعضها مختلط بكوكبة قيطورش وقد قبض قيطورش على يده ، والعرب تسمى كوكبة قيطورش والسبع الشماريخ الجملة لكثرتها وكثافة جميعها ، وليس حولها شىء من الكواكب المرصودة .

(كوكبة المجرة) كواكبها سبعة فى الصورة ، ولم يقع عن العرب شىء فى هذه الكواكب .

(كوكبة الإكليل الجنوبى) وهى ثلاثة عشر كوكبا فى الصورة قدام الاثنين اللذين على عرقوب الرامى ، فمن العرب من يسمى هذه الكواكب القبة لاستدارتها ، ومنهم من يسميها أدحى النعام وهو عشه لأنها على جنوب النعامين الصادر والوارد اللذين قد مضى ذكرهما .

(كوكبة الحوت الجنوبى) وهى أحد عشر كوكبا فى الصورة على جنوبى كواكب الدالى

رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب ، ويسمى النير الذى على فمه فم الحوت تمت الكواكب الثابتة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(فصل : فى منازل القمر)

وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهله إلى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستسر ، واستسراره محاقه حتى لا يرى منه شىء فإن كان الشهر تسعا وعشرين استسر ليلة ثمان وعشرين وإن كان ثلاثين استسر ليلة تسع وعشرين ، وهو فى السرار يقطع منزله ، فهذه المنازل الثمانية والعشرون يبدو منها أبدا أربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبه ، والعرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية ، فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشا ، والعرب تسمى سقوط النجم فى الغرب وطلوع مقابله مع الفجر نوءا ، وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يوما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى الأول فى ابتداء السنة المستقبلة ، وما كان فى هذه الثلاثة عشر يوما من مطر أو ريح أو حر أو برد فهو من نوء ذلك النجم الساقط عند الحكماء ولهم أقوال طويلة فى أحكام نزول النيرين . فأول هذه المنازل :

(الشرطين) يقال لهما قرنا الحمل ويسميان الناطح وبينهما فى رأى العين قاب قوسين ، وإذا حلت الشمس بها اعتدل الزمان واستوى الليل والنهار : وطلوعهما لستة عشر ليلة تخلو من نيسان وسقوطهما لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول ، وحلول الشمس بهما لعشرين ليلة تخلو من أدار ، وكلما نزلت الشمس الشرطين فقد مضت سنة ، وإنما سميا شرطين لأنهما علامة دخول أول السنة ، وفى نوء الشرطين يطيب الرمان وتكثر المياه وتنعقد الثمار ويحصد الشعير ، ورقيب الشرطين الغفر .

(البطين) يقال له بطن الحمل وهو ثلاث كواكب خفية كأنها أثافى وهذه صورتها ∴ وهو بين الشرطين والثريا ، وطلوعه لليلة تبقى من نيسان وسقوطه لليلة تبقى من تشرين الأول وعند سقوطه يرتج البحر فلا تجرى فيه جارية ويذهب الحداء والرخم والخطاطيف إلى الغور ويستكن النمل ، وتقول العرب إذا طلع البطين فقد اقتضى الدين ، وحكى ابن الأعرابى أنهم يقولون : ما أتى البطين والدبران أو أحدهما وكان لنوئه مطر إلا كاد أن يكون ذلك العام جديبا . وقالوا : إنه أشر الأنواء وأقلها مطرا وفى نوئه يجف العشب ويتم حصاد الشعير ويأتى أول حصاد الحنطة ، ورقيب البطين الزبانا .

(الثريا) ويقال له النجم وهو أشهر هذه المنازل وهى ستة أنجم وهذه صورتها ⁝ ⁝ ⁝ وفى خلالها نجوم كثيرة خفية ، والعرب تقول : إن طلع النجم غدية ابتغى الراعى كسية ، وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار وسقوطها لثلاث عشر ليلة تخلو من تشرين الآخر ، والثريا تظهر فى المشرق عند ابتداء البرد ثم ترتفع فى كل ليلة حتى تتوسط السماء مع غروب الشمس ، وفى ذلك الوقت أشد ما يكون البرد ، ثم تنحدر عن وسط السماء فتكون فى كل ليلة أقرب من أفق المغرب إلى أن يهل الهلال معها ، ثم تمكث يسيرا وتغيب نيفا وخمسين ليلة وهذا المغيب هو استسرارها ، ثم تبدو بالغداة من المشرق فى قوة الحر ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شئ » أراد عاهات الثمار لأنها تطلع بها بالحجاز وقد أزهر البسر . وأما نوؤها فمحمود وهو خير نجوم الوسمى لأن مطره فى الوقت الذى فقدت الأرض فيه الماء ، فإذا طلعت الثريا ارتج البحر واختلفت الرياح وسلط الله الجن على المياه ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ركب البحر بعد طلوع الثريا فقد برئت منه الذمة » وفى نوء الثريا تتحرك الرياح ويشتد الحر ويدرك التفاح والمشمش ويجف العشب ، وفى آخره يمد النيل ويكثر اللبن ، ورقيب الثريا الإكليل .

(الدبران) وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع النجم وسمى دبرانا لاستدباره الثريا ، وهذه صورته ⁘ ⁘ : ونوؤه غير محمود والعرب تتشاءم به ، وطلوعه لست وعشرين ليلة من أيار وسقوطه لستة وعشرين ليلة من تشرين الأول : قال الساجع : إذا طلع الدبران يبست الغدران ، وفى نوئه يشتد الحر وهو أول البوارح وتهب السمائم ويسود العنب ، ورقيب الدبران القلب .

(الهقعة) هى رأس الجوزاء وهى ثلاثة كواكب صغار تشبه الأثافى وهذه صورتها ⁝ وإنما سميت هقعة تشبها بعرض الفرس الذى يقال له الهقعة ، وتطلع لتسع خلون من حزيران وتسقط لتسع خلون من كانون الأول ، ونوؤها لا يكادون يذكرونه إلا بنوء الجوزاء ، والعرب تقول : إذا طلعت الهقعة رجع الناس عن النجعة ، وفى نوئها يدرك البطيخ وسائر الفواكه ويشتد الحر ويكثر هبوب السمائم ، ورقيب الهقعة الشولة .

(الهنعة) هى كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط فى المجرة وهذه صورتها ⁝⁝ يقال لأحد الكوكبين الزر والآخر لنيسان وثلاثة تحيط بهما فمجموعهما خمسة أربعة متتابعة إلى جانب وواحد فى جهة العرض على هيئة الألف الكوفى ، وطلوع الهنعة لاثنين وعشرين ليلة تخلو من حزيران وسقوطها لاثنين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول ، ونوؤها من أنواء الجوزاء وتقول العرب : إذا طلعت الجوزاء كسب الصبا ، وفى نوئها انتهاء شدة الحر وإدراك الرطب والتين وتغيير المياه ، ورقيب الهنعة النعائم :

(الذراع) هو ذراع الأسد المقبوضة وللأسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمبسوطة تلى اليمين والمقبوضة تلى الشام : وطلوعها لأربع ليال تخلو من تموز وسقوطها لأربع تخلو من كانون الآخر ، ونوؤها محمود قل ما يخلف ، وزعمت العرب أنه إذا لم يكن فى السنة مطر لم يخلف الذراع ، والعرب قد تقول : إذا طلع الذراع ترقرق الشراب فى كل قاع ، وفى نوئها تشتد بوارح الصيف حرا وسموما ، وفيه يدرك الرمان ويحمر البسر ويقطع القصب النبطى ، ورقيب الذراع البلدة .

(النثرة) هى ثلاثة كواكب متقاربة وهى أنف الأسد ، وطلوعها لسبع عشرة ليلة من تموز وتسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر ، وتقول العرب : إذا طلعت النثرة قنأت البسرة أى اشتدت حمرتها وعند سقوط النثرة يجرى الماء فى العود ويصلح تحويل الفسيل وفى نوئها غاية شدة الحر وفيه سموم حارة حتى قيل إن فى نوئها كل يوم تظهر آفة تفسد شيئا من الزرع والثمار ، ورقيب النثرة سعد الذابح .

(الطرفة) هو طرف الأسد ، وهما كوكبان صغيران مثل الفرقدين ، وطلوعه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليلة تبقى من كانون الثانى ، وتقول العرب : إذا طلعت الطرفة كثرت الطرفة ، وعند ذلك قطاف أهل مصر ، وفى نوئه بوارح وسموم وفيه يؤكل الرطب ويقطف العنب ، ورقيب الطرف سعد بلع .

(الجبهة) هى جبهة الأسد وهى أربعة كواكب فيها عوج بين كل كوكبين فى رأى العين قيد سوط ، وهى معترضة من الجنوب إلى الشمال والجنوبى منها يسميه المنجمون قلب الأسد وطلوعها لأربع عشرة ليلة تمضى من آب مع طلوع سهيل وسقوطه لاثنتى عشرة ليلة تخلو من شباط ، وعند سقوطها ينكسر حد الشتاء وتوجد الكمأة ويورق الشجر وتهب الرياح اللواقح ، وتقول العرب : لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفهة ، ونوؤها محمود يقال ما امتلأ واد من نوء الجبهة ماء إلا امتلأ عشبا ، وسهيل يطلع بالحجاز مع طلوع الجبهة ومع طلوعها يصير البسر رطبا وفى نوئها ينكسر البرد ويكثر الرطب ويسقط الطل ، ورقيب الجبهة سعد السعود .

(الزبرة) هى زبرة الأسد أى كاهله وهى كوكبان نيران بينهما قيد سوط ، والزبرة شعر الأسد الذى ينزل عند الغضب وأحدهما أنور من الآخر وفيهما قليل عوج ، وطلوعهما لأربع ليال تخلو من آب وسقوطهما لخمس ليال تخلو من شباط ، ويكون فى نوئها مطر شديد فإن أخلف قصر ، وعند طلوع الزبرة يرى سهيل بالعراق ويبرد الليل مع السموم بالنهار ، ورقيب الزبرة سعد الأخبية .

(الصرفة) هى كوكب واحد على أثر الزبرة أزهر مضىء جدا عنده كواكب صغار

طمس، ويزعمون أنه قلب الأسد وسميت صرفة لانصراف الحر والبرد عند طلوعها وسقوطها: وطلوعها لتسع ليال تخلو من أيلول وسقوطها لتسع ليال تخلو من أدار ، ومع طلوعها يزيد النيل وأيام العجوز فى نوئها وزعموا أن الصبى إذا فطم بنوء الصرفة لم يكد يطلب اللبن ، وفى نوئها مطر ورياح وبرد بالليل ويأتى المطر الوسمى ، ورقيب الصرفة فروع الدلو المقدم.

(العواء) هى أربعة أنجم على أثر الصرفة تشبه الهاء المردودة الأسفل بالخط الكوفى ، والعرب شبهوها بكلاب تتبع الأسد ، وقال قوم هى وركا الأسد وطلوعها لاثنتى عشرة ليلة تخلو من أيلول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من أدار ، ونوؤها يسير ، والعرب تقول : إذا طلعت العوا طاب الهوا ، وفى نوئها يستوى الليل والنهار ويأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان وهو ابتداء الخريف ، ورقيب العواء فرع الدلو المؤخر .

(السماك) هو السماك الأعزل ، وأما السماك الرامح فلا ينزله القمر ، وهو كوكب أزهر وإنما سمى أعزل لأن الرامح عنده كوكب يقال له راية السماك وأما الأعزل فلا شىء عنده والأعزل هو الذى لا سلاح معه ، والعرب يجعلون السماكين ساقا الأسد ، وطلوع السماك الأعزل لخمس ليال مضين من تشرين الأول وسقوطه لأربع ليال تخلو من نيسان ، ونوؤه غزير قلما يخلف مطره إلا أنه مذموم لأنه ينبت البسر وهو نبت إذا رعته الإبل مرضت ، والعرب تقول : إذا طلعت السماك ذهبت العكاك ، وفى نوئه صرام النخل وقطع العنب ويأتى المطر الولى ، ورقيب السماك بطن الحوت ، وهذا آخر المنازل الشامية . وأما المنازل اليمانية فأولها :

(الغفر) وهو ثلاث كواكب خفية ، وإنما سمى غفرا لأن عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها ، وطلوعه لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول وسقوطه لستة عشر ليلة تخلو من نيسان . قال الساجع : إذا طلع الغفر اقشعر السفر وذبل النضر وفى نوئه يؤبر النخل ويقطع القصب الفارسى ومطره ينبت الكمأة ، ورقيب الغفر الشرطين .

(الزبانا) هى زبانا العقرب أى قرناهما وهما كوكبان مفترقان بينهما فى رأى العين مقدار خمسة أذرع ، وطلوع الزبانا آخر ليلة من تشرين الأول وسقوطها لليلة تبقى من نيسان والعرب يصفونها بهبوب البوارح وهى الشمال الشديدة الهبوب وتكون فى الصيف حارة : قال الساجع : إذا طلعت الزبانا فاجمع لأهلك ولا تتوانى ، وفى نوئه يدخل الناس بيوتهم فى إقليم بابل ويشتد البرد ومطره ينبت الكمأة ، والزبانا رقيبه البطين :

(الإكليل) هو رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب زاهرة مصطفة معترضة ، وطلوع الإكليل لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار ، والعرب يقولون : إذا طلع الإكليل هاجت السيول فإذا سقط غارت مياه الأرض ولا تزال

تغور إلى سقوط بطن الحوت ، وذلك لخمس مضين من تشرين الأول ، وفى نوئه تكثر الأمطار والغيوم ، ورقيب الإكليل الثريا .

(القلب) هو قلب العقرب وهو الكوكب الأحمر وراء الإكليل بين كوكبين يقال لهما النياط وليسا على حمرته ، وأول النتاج بالبادية عند طلوع القلب وطلوع النسر الواقع وهما يطلعان معا فى البرد وذلك لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لست وعشرين ليلة تخلو من أيار ، وما نتج فى هذا الوقت يكون سيئ الغذاء لشدة البرد وقلة اللبن والزيت ، والعرب يقولون : إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب ، ونوء القلب تتشاءم به العرب ويكرهون السفر إذا كان القمر نازلا فى العقرب ، وفى نوئه يشتد البرد وتهب الرياح الباردة ويسكن الماء فى عروق الشجر ، ورقيب القلب الدبران .

(الشولة) هى كوكبان متقاربان يكادان يماسان ذنب العقرب ، وسميت شولة لارتفاعها يقال شال بذنبه وبعدها إبرة العقرب كأنها لطخة غيم ، وهى تطلع لتسع ليال خلون من كانون الأول وتسقط لتسع تخلو من حزيران ، وتقول العرب : إذا طلعت الشولة اشتدت على العيال العولة ، وفى نوئها يسقط الورق كله وتكثر الأمطار وتتفرق الأعراب الذين حضروا المياه ، ورقيب الشولة الهقعة .

(النعائم) هى ثمان كواكب على أثر الشولة أربعة فى المجرة وهى النعائم الواردة ، سميت واردة لأنها شرعت فى المجرة كأنها تشرب ، وأربعة خارجة عن المجرة وهى النعائم الصادرة ، سميت صادرة لأنها خارجة عن المجرة كأنها شربت ثم صدرت عن الماء وكل أربعة منها على تربيع ، وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران ، والعرب تقول : إذا طلعت النعائم توسعت البهائم ، وفى نوئها أول الشتاء واستواء الليل والنهار ، ورقيب النعائم الهنعة .

(البلدة) هى فضاء فى السماء لا كوكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح وليس فيه إلا نجم واحد خامد لا يكاد يرى ، وهى ست كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس ، ويسميها بعض العرب القوس ، وطلوع البلدة لأربع ليال خلون من كانون الآخر وسقوطها لأربع ليال مضين من تموز ، وتقول العرب : إذا طلعت البلدة حمت الجعدة ، وفى نوئها يجمد الماء ويشتد كلب الشتاء وتنقى البساتين من الأدغال والحشيش وتكرب الكروم ، ورقيب البلدة الذراع .

(سعد الذابح) هو كوكبان غير نيرين بينهما فى رأى العين قدر ذراع وأحدهما مرتفع فى الشمال والآخر هابط فى الجنوب ، وطلوعه لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر ، وسقوطه لسبع عشرة ليلة تمضى من تموز ، والعرب تقول : إذا طلع سعد الذابح حمى أهله

النابح ، وفى نوئه يصعد الماء إلى فروع الشجر ويدرك الجوز واللوز ويرجى المطر ، ورقيب سعد الذابح النثرة :

(سعد بلع) هو نجمان مستويان فى المجرى أحدهما خفى وسمى الأكبر بالعاكأنه بلع الآخر الخفى وأخذ ضوءه ، وطلوعه لليلة تبقى من كانون الآخر وسقوطه لليلة تبقى من آب ، وتقول العرب : إذا طلع سعد بلع صار فى الأرض لمع ، وفى نوئه يكثر المطر وتنق الضفادع وتتزاوج العصافير ويبيض الحدهد وتهب الجنوب ويقل اللبن ، ورقيب سعد بلع الطرف .

(سعد السعود) هو ثلاث كواكب أحدها نير والآخران دونه والعرب تتيمن به فلهذا سمى بهذا الاسم ، وطلوعه لاثنتى عشرة ليلة تمضى من شباط وسقوطه لأربع عشرة ليلة تمضى من آب ، وتقول العرب : إذا طلع سعد السعود كره فى الشمس القعود ، ونوؤه محمود وفى نوئه يتحرك أول العشب ويصوت الطير وتهيج السنانير ويورق الشجر وتأتى الخطاطيف ، وتصيب الإبل مرعاها ويدرك الورد وسائر الرياحين ، ورقيب سعد السعود الجبهة :

(سعد الأخبية) هو أربعة كواكب متقاربة واحد منها فى وسطها وهو مثل رجل بطة اثنان منها على الطول واثنان منها على العرض ، يقال إن السعد منها واحد وهو أنورها والثلاثة خفية ، وقيل إنما سمى سعد الأخبية لأن عند طلوعه تخرج الحشرات المختبئة فى الأرض ، وطلوعه لخمس وعشرين ليلة تخلو من شباط وسقوطه لأربع ليال تبقى من آب ، وتقول العرب : إذا طلع سعد الأخبية خلت من الناس الأبنية ، ونوؤه غير محمود يكثر فيه المطر جدا ويقطع الكرم ، ورقيب سعد الأخبية الزبرة :

(الفرع الأول) هو فرع الدلو المقدم ، والدلو أربعة كواكب واسعة مربعة فاثنان منها هما الفرع الأول واثنان هما الفرع المؤخر ، وفرع الدلو هو مصب الماء بين العرقوتين ، وطلوع الفرع الأول لتسع ليال خلون من أدار وسقوطه لتسع ليال مضين من أيلول ، والعرب تقول : إذا طلع الدلو طلب اللهو ، ونوؤه محمود وفيه تسقط الجمرة الثالثة وينعقد اللوز والتفاح والمشمش بالحر وبرده يهلك الثمار ، ورقيب الفرع الأول الصرفة :

(الفرع الثانى) قد وصف عند الفرع الأول وطلوعه لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من أدار وسقوطه لاثنتين وعشرين ليلة تمضى من أيلول ، ونوؤه محمود وطلوع الفرعين وغروبهما يكون فى إقبال البرد وإدباره ، وعند سقوط الفرع المؤخر يجز النخل بالحجاز وتهامة وكل غور ويشتار العسل ، وفى نوئه آخر أمطار الشتاء وفيه يكثر العنب ويدرك النبق والباقلاء ويستوى الليل والنهار ، ورقيب الفرع الثانى العواء .

(بطن الحوت) هى كواكب كثيرة فى مثل حلقة السمكة وتسمى الرشاء أيضا ، وهى كواكب معترضة ذنبها نحو اليمن ورأسها نحو الشام ، وطلوعها لأربع ليال تخلو من نيسان

وسقوطها لخمس تمضى من تشرين الأول ، وعند سقوطه ينتهى غور المياه ويطلع بعده الشرطين ويعود الأمر إلى ما كان عليه فى السنة الأولى ، وتقول العرب : إذا طلعت السمكة أمكنت الحركة ، ورقيب بطن الحوت السماك ، ونوؤه غزير المطر قلما يخلف وهو أوان حصاد الشعير بالجروم . قال أبو إسحاق الزجاجى : إن السنة أربعة أجزاء كل جزء منها سبعة أنواء كل نوء منها ثلاثة عشر يوما وزادوا فيها يوما لتتم السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وهو مقدار قطع الشمس فلك البروج ، والله الموفق .

(النظر العاشر : فى فلك البروج) اعلم أنه ليس فلكا كسائر الأفلاك بل هو أمر موهوم ، وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن لكل كوكب من الكواكب كرة تخصه وأن لكل كرة حركة تخصها ، وأن الكوكب مركوز فى جرم الفلك كنقطة وأن كل كرة تتحرك على قطبين وأن النقطة التى عليها برسم دائرة موهومة على سطح الكرة فإذا تحرك فلك الشمس من المشرق إلى المغرب كانت حركته قسرية ، وإنما حركة فلك الشمس المختصة به من المغرب إلى المشرق فإذا تمت دورته حدثت من مركز الشمس دائرة عظيمة فى فلك الشمس ، وتتوهم هذه الدائره قاطعة للعالم فتحدث فى سطح الفلك الأعلى دائرة عظيمة مركزها مركز العالم وهى الدائرة التى تسمى فلك البروج ، ثم إن الدائرة التى هى أعظم الدوائر التى تمر بمركز العالم وتقطع العالم نصفين وقطباها قطبا العالم اللذان يسميان الشمالى والجنوبى تسمى دائرة معدل النهار فنقول : دائرة فلك البروج تقطع دائرة معدل النهار نصفين على نقطتين متقابلتين تسمى إحداهما نقطة الاعتدال الربيعى ، والأخرى نقطة الاعتدال الخريفى ، ثم تتوهم دائرة أخرى تمر بنقطتى معدل النهار وهما قطبا العالم ونقطتى فلك البروج فتقطع دائرة فلك البروج على نقطتين متقابلتين إحداهما مما يلى الشمال والأخرى مما يلى الجنوب أما الشمالية فتسمى نقطة الانقلاب الصيفى وأما الجنوبية فتسمى نقطة الانقلاب الشتوى ، فهاتان الدائرتان تقسمان فلك البروج أربعة أقسام متساوية . أما الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الربيعى وبين الانقلاب الصيفى فهو الذى يحدثه زمان الربيع لأن الشمس مادامت بحركة فلكها الخاص مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان ربيعا ، وأما الربع الذى بين نقطتى الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى فهو الذى يحدثه زمان الصيف لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان صيفا . وأما الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الخريفى والانقلاب الشتوى فهو الذى يحدثه زمان الخريف ، لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان خريفا . وأما الربع الذى بين نقطتى الانقلاب الشتوى والاعتدال الربيعى فهو الذى يحدثه زمان الشتاء لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان شتاء ، وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج فيقطعان الربع الربيعى ثلاثة أقسام متساوية ويقطعان أيضا الربع الخريفى المقابل لهذا الربع

ثلاثة أقسام متساوية ، وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج وتقطعان الربع الصيفى والربع الشتوى المقابل له كل واحد منها ثلاثة أقسام متساوية فتصير جملة الدوائر الخارجة من قطبى دائرة البروج ستة ، فإذا توهمنا ست دوائر قاطعة للعالم تمر بقطبى الدائرة بنقطتين متقابلتين انقسم كل واحد من الأفلاك التسعة اثنى عشر قسما يسمى كل قسم منها برجا وكل برج منها مقسوم ثلاثين قسما يسمى كل قسم منها درجة ، فالدوائر بجملتها ثلثمائة وستون درجة ثم قسموا فلك الثوابت بهذه الدوائر الست اثنى عشر قسما فى كل قسم كواكب متشكلة بأشكال مختلفة ، ففى أحد هذه الأقسام كواكب متشكلة بشكل يشبه صورة الحمل فسمى ذلك القسم برج الحمل ثم يلى هذه القطعة قطعة عليها كواكب متشكلة بصورة شبيهة بالثور فيسمى هذا القسم برج الثور ، وهكذا إلى آخر الأقسام .

وذكر بطليموس أن دائرة البروج أربعمائة وستة وثمانون ألف ألف ومائتان وتسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وأحد وعشرون ميلا وسبع ميل ، فطول كل برج تسعة وثلاثون ألف ألف وثلثمائة وثمانية وثمانون ألفا وثلثمائة وعشرة أميال ونصف وسدس ميل ، وعرض كل برج ألف ألف وثلثمائة واثنان وعشرون ألفا وتسعمائة وثلاثة وأربعون ميلا وثلث ميل ، والله الموفق للصواب .

(النظر الحادى عشر : فى فلك الأفلاك) سمى بهذا الاسم لاحاطته بجميع الأفلاك وتحريكه كلها ، ويقال له الفلك الأعظم لأنه أكبر الأفلاك ، ويقال له الفلك الأطلس لأنهم لم يعرفوا له كوكبا ، وحركة هذا الفلك من المشرق إلى المغرب على قطبين ثابتين يقال لأحدهما القطب الشمالى وللآخر القطب الجنوبى وتتم دورته فى أربع وعشرين ساعة وبحركته تتحرك الأفلاك كلها مع كواكبها ، وحركته أسرع من كل شىء شاهده الإنسان ، حتى صح فى الهندسة أن الشمس تتحوك بحركتها القسرية وهى حركة الفلك الأعظم فى مقدار ما يرفع الإنسان قدمه للخطو إلى أن يضعها ثمانمائة فرسخ ، ويشهد بصحة هذا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سأل جبريل عليه السلام عن دخول وقت الصلاة فقال لا نعم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لا نعم ؟ فقال : من وقت قلت لا إلى أن قلت نعم مرت الشمس خمسمائة فرسخ » وبحركة هذا الفلك يتكون الليل والنهار ، فإذا طلعت الشمس بدوران هذا الفلك على جانب من الأرض أضاء جوها وأشرق سطحها وتحركت حيواناتها وربى نباتها وفاح نسيمها ، وإذا غابت بدوران هذا الفلك عن جانب من الأرض أظلم جوها واسود وسكنت حيواناتها وذبل نباتها فما دامت هذه الحركة محفوظة فهذه الحالة موجودة ، وأشار إليها بقوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - والحكماء سموا هذا الفلك محددا لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك خلا وملا .

وقال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بعد ما أظهر فساد القول بالمحدد : من أراد أن يكتال مملكة البارى تعالى بمكيال العقل فقد ضل ضلالا بعيداً ، وقد أحب بعض السلف التوفيق بين الآيات والأخبار وقول الحكماء فزعم أن الكرسى هو الفلك الثامن الذى ذكرنا سعته وعجائبه والعرش هو الفلك التاسع الذى هو أعظم الأفلاك، والله تعالى أعلم بصحة هذا القول أو فساده، ولاشك فى وجود العرش والكرسى لنصوص الآيات ولما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما السموات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة » . وأما العرش فإنه مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى قبلة لأهل السموات كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض فسبحان العظيم .

(النظر الثانى عشر : فى سكان السموات وهم الملائكة) زعموا أن الملك جوهر بسيط ذو حياة ونظر وعقل والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين كالاختلاف بين الأنواع . واعلم أن الملائكة وجواهر مقدسة عن ظلب الشهوه وكدروة الغضب لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى وفرحهم بعبادته ، خلقوا على صورة مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سمواته ، وقال صلى الله عليه وسلم « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها قدر شبر إلا وفيه ملك راكع أو ساجد » .

وقال بعض الحكماء : إن لم يكن فى فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق فكيف يليق بحكمة البارى جلت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها ، فإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغا حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها ، ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير ، ولم يترك البرارى اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات . وأما أصناف الملائكة فلا يعرفهم غير خالقهم كما قال تعالى — وما يعلم جنود ربك إلا هو — غير أن صاحب الشرع أعلم ببعضهم ، وبحسب وقوع الحوادث اهتدى العقل إلى بعضهم حتى قيل : مامن ذرة من ذرات العالم إلا وقد وكل بها ملك أو ملائكة ، وما من قطرة إلا ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها فى المكان الذى قدر الله تعالى ، هذا حال الذرات والقطرات فما ظنك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان ؟ فبالملائكة صلاح العالم وكمال الموجودات بتقدير العزيز العليم . ولنذكر بعض من أخبر بهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهم الملائكة المقربون عليه وعليهم السلام . فمنهم : حملة العرش ، صلوات الله عليهم وهم أعز الملائكة وأكرمهم على الله تعالى ، تتقرب إليهم سائر الملائكة ويسلمون

عليهم بالغدو والرواح لمكانتهم عندالله تعالى وهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . فمنهم من هو على صورة النسر ، ومنهم من هو على صورة الثور ، ومنهم من هو على صورة الأسد ، ومنهم من هو على صورة البشر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى — ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية — وهو عظم لا يوصف فمنهم كما تقدم من هو على صورة ابن آدم يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، ومنهم من هو على صورة الثور يشفع للبهائم فى أرزاقها ، ومنهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور فى أرزاقها ، ومنهم من هو على صورة الأسد يشفع للسباع فى أرزاقها ، ومنهم الروح الأمين عليه السلام وهو ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا لكرامته عند الله تعالى وعظمته وإنما سمى روحا لأن كل نفس من أنفاسه يصير روحا لحيوان ، وقد وكله الله تعالى بإدارة الأفلاك وحركات الكواكب وبما تحت فلك القمر من العناصر والمولدات من المعادن والنباتات والحيوانات ، وهو أكبر من الفلك وأقوى منه وأعظم وأشرف وأعلى من الجسمانيات ، وهو قادر على تسكين الأفلاك كما هو قادر على تحريكها بإذن الله تعالى .

(ومنهم إسرافيل) عليه السلام وهو مبلغ الأوامر ونافخ الأرواح فى الأجساد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بالأذن حتى يؤمر فينفخ » .

قال مقاتل : القرن الصور وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس البوق كعرض السموات والأرض ، وهو شاخص ببصره نحو العرش ينظر متى يؤمر فينفخ فإذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله تعالى .

قالت عائشة رضى الله عنها : قلت لكعب الأحبار رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أما جبريل وميكائيل فسمعت بهما فى القرآن . وأما إسرافيل فأخبرنى عنه؟ فقال كعب : إنه ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة : أحدهما سدّ به المشرق ، والآخر سد به المغرب ، والثالث ينزل به من السماء إلى الأرض ، والرابع التثم به من عظمة الله تعالى ، قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه ينتهى إلى أركان قوائم العرش ، وبين عينيه لوح من جوهر ، فإذا أراد الله عز وجل أن يحدث أمراً فى عباده أمر القلم أن يخط فى اللوح ، ثم أدنى اللوح إلى إسرافيل فيكون بين عينيه ، ثم هو ينتهى إلى ميكائيل صلوات الله عليهم ، فهم له أعوان فى جميع العالم حتى على الأركان والمولدات ينفخون أرواحها فيها فيصير معدنا ونباتا وحيوانا وهى القوى التى بها صلاحها وحياتها ، فسبحان الخالق البارئ المصور .

(ومنهم جبريل الأمين) عليه السلام، وهو أمين الوحى وخازن القدس ويقال له الروح الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاوس الملائكة . جاء فى الخبر « إن الله تعالى إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا ؟ قال : ربكم . قالوا : الحق ، فينادون الحق بالحق » وجاء فى الخبر أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام « إنى أحب أن أراك على صورتك التى صورك الله فيها ؟ فقال : إنك لا تطيق ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرنى ، فواعده جبريل بالبقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر إليه النبى صلى الله عليه وسلم فإذا هو قد سد الآفاق فوقع مغشيا عليه ، فلما أفاق عاد جبريل عليه السلام إلى صورته الأولى فقال صلى الله عليه وسلم : ما ظننت أن أحدا من خلق الله تعالى هكذا ، فقال له جبريل عليه السلام : كيف لو رأيت إسرافيل ، وإن العرش على كاهله وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى ، وإنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع ، والوصع العصفور الصغير » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : إن جبريل عليه السلام من أفضل الملائكة له ستة أجنحة فى كل واحد مائة جناح ، وله وراء ذلك جناحان لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى « ولما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم — إنه لقول رسول كريم ذى قوة — سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوته ؟ فقال : رفعت قرى قوم لوط بجناحى وصعدت بها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبتها » وأعوانه موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث القوة الغضبية والحمية لدفع الشر والإيذاء .

(ومنهم ميكائيل) عليه السلام وهو موكل بالأرزاق للأجساد والحكمة والمعرفة للنفوس . قال كعب الأحبار : فى السماء السابعة البحر المسجور وعليه من الملائكة ما شاء الله ، وميكائيل قائم على البحر المسجور لا يعرف وصفه وعدد أجنحته إلا الله تعالى ، ولو أنه فتح فاه لم تكن السموات فيه إلا كخردلة فى بحر ، ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره ، وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث قوة النهوض فى الأركان والمولدات وغيرها التى بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال فى الكائنات .

(ومنهم عزرائيل) عليه السلام وهو مسكن الحركات ومفرق الأرواح من الأجساد . قال كعب الأحبار : عزرائيل فى السماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه مقابل اللوح المحفوظ ، وله أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يستوفى رزقه وينقضى أجله .

وعن أشعث بن أسلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عليه السلام فقال له : ماذا تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان بأخرى ؟ فقال : أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين أصبعى هاتين .

وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن سليمان بن داود عليهما السلام تمنى أن يرى ملك الموت ليتخذه صديقا ، فلم يشعر سليمان حتى أتاه كأنه خرج من تحت سريره ، فقال له سليمان من أنت ؟ فقال : ملك الموت ، فصعق سليمان عليه السلام ، فلما رأى ملك الموت ذلك قال اللهم إن عبدك سليمان تمنانى ونزل به ما ترى ، اللهم إنى أسألك أن تقويه على رؤيتى ، فأوحى الله تعالى إليه أن ضع يدك على صدره ففعل ذلك فأفاق سليمان عليه السلام . وقال : يا ملك الموت إنى أراك عظيم الخلق أو كل الملائكة مثلك ؟ فقال : والذى بعثك بالحق نبيا إن رجلى الآن على منكبى ملك قد جاوزت رأسه السموات السبع وارتفع فوق ذلك بمسيرة خمسمائة عام ، ورجلاه قد جاوزتا الثرى بمسيرة خمسمائة عام ، وهو فاتح فاه رافع رأسه باسط يديه ، فلو أذن الله تعالى له أن يطبق شفتيه العليا والسفلى لأطبق على ما بين السماء والأرض فقال لهسليمان عليه السلام : لقد وصفت أمرا عظيما ، فقال له : كيف لو رأيتنى على صورتى التى أقبض فيها أرواح الكفار ؟ فصار ملك الموت صديقا له ويأتيه كل خميس ويقعد عنده إلى أن تزول الشمس ، فقال له سليمان عليه السلام يوما : مالى أراك لاتعادل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟ فقال له ملك الموت : ليس المسئول بأعلم من السائل إنما هى كتب فيها أسماء المقبوضين تلقى إلىّ ليلة الصك وهى ليلة النصف من شعبان إلى مثلها من السنة القابلة ، فأما أهل التوحيد فأقبض أرواحهم بيمينى فى حريرة بيضاء مغموسة فى المسك وترفع إلى عليين ، وأما أهل الكفر فأقبض أرواحهم بشمالى فى سربان من قطران وتنزل إلى سجين ، وأمرهم إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون .

وعن الأعمش عن خيثمة قال : دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى أحد جلسائه ويديم النظر إليه ، فلما خرج ملك الموت قال الرجل : يا نبى الله من كان هذا ؟ قال : إنه ملك الموت . قال : رأيته ينظر إلىّ كأنه يريدنى أريد أن تخلصنى منه بأن تأمر الريح لتحملنى إلى أقصى بلاد الهند ، فأمر سليمان الريح بذلك ففعلت ، فلما عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال له : رأيتك تديم النظر إلى بعض جلسائى ؟ قال : كنت أعجب منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بأقصى بلاد الهند فى ساعة قريبة ورأيته عندك .

وقال وهب : قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ، فقالت الملائكة لملك الموت : لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت أرواحهم ؟ فقال : أمرت بقبض روح امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لا أحد بها ، فقالت الملائكة : الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود ، فقال ملك الموت : سبحان اللطيف بعباده .

(ومنهم الكروبيون) عليهم السلام ، وهم العاكفون فى حظيرة القدس لا التفات لهم إلى

غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وفى الخبر « إن لله تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشوة خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين. وقالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم ؟ قيل : يا رسول الله أنى غفل عنهم إبليس ؟ قال : لا يعلمون أن الله تعالى خلق إبليس ثم تلا قوله تعالى : — ويخلق مالا تعلمون — .

(ومنهم ملائكة سبع سموات) قال كعب الأحبار : هؤلاء ملائكة مداومون على التسبيح والتهليل فى القيام والقعود والركوع والسجود يسبحون الليل والنهار لا يفترون حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة يقولون : سبحانك ماعبدناك حق عبادتك. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ملائكة سماء الدنيا على صورة البقر وقد وكل الله تعالى بهم ملكا اسمه إسمعيل ، وملائكة السماء الثانية على صورة العقاب ووكل الله بهم ملكا اسمه ميخائيل ، وملائكة السماء الثالثة على صورة النسر والملك الموكل بهم اسمه صاعد يابيل ، وملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل والملك الموكل بهم اسمه صلصابيل ، وملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين والملك الموكل بهم اسمه كلكابيل ، وملائكة السماء السادسة على صورة الولدان والملك الموكل بهم اسمه سمخائيل ، وملائكة السماء السابعة على صورة بنى آدم والملك الموكل بهم اسمه روقابيل . قال وهب : وفوق السموات السبع حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة عددهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة كالرعد القاصف .

(ومنهم الحفظة) عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون . قال ابن جريج : هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وقال بعضهم : هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلا ولا نهارا . وللكفار أيضا حفظة لأن آية الحفظة نزلت فى شأن الكفار وهى قوله تعالى — كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم الحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون — وفى الخبر « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه » وفى رواية أخرى « فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات ، فيفعل صاحب الشمال » وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا : يارب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب ؟ قال الله تعالى : سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وأرضى مملوءة من خلقى يطيعوننى ، اذهبا إلى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة » .

(ومنهم المعقبات) عليهم السلام وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح

بنى آدم وأعمالهم بالليل والنهار ، فإذا واظب الإنسان على الصلوات فى أول أوقاتها فإذا صلى الفجر أتاه ملائكة النهار وجدوه مصليا وفارقوه ملائكة الليل وتركوه مصليا وهكذا إذا صلى المغرب ، وما بين الصلاتين من الذنوب تكفرها الصلاة ، وإذا كان كذلك فلا يرفعون له غير الحسنات ، ويحقق أمر هذه الملائكة ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى « يا ابن آدم ما تنصفنى أتحبب إليك بالنعم وتمقت إلىّ بالمعاصى خيرى إليك نازل وشرك إلىّ صاعد ولا يزال ملك كريم يأتينى عنك فى كل يوم وليلة بعمل قبيح ، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لأسرعت إلى مقته » .

(ومنهم منكر ونكير) عليهما السلام وهما ملكان فظان غليظان يسألان فى القبر كل أحد عن ربه ونبيه : عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدل بمقعد من الجنة فيراهما جميعا ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » .

(ومنهم السياحون) عليهم السلام وهم صنف من الملائكة يحبون مجالس الذكر فإذا رأوا مجالس الذكر احتووا عليها : وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ملائكة سياحون فى الأرض فضلا عن كتاب الناس ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى ينادون هاموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا ، فإذا انصرفوا يقول الله تعالى : على أى شىء تركتم عبادى يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويقدسونك ، فيقول الله تعالى : وهل رأونى ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو رأونى ؟ فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا ، فيقول لهم : من أى شىء يتعوذون ؟ فيقولون : من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد تعوذا ، فيقول : أى شىء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد طلبا لها ، فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقولون : كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم » .

(ومنهم هاروت وماروت) هما ملكان معذبان ببابل عن ابن عباس رضى الله عنهما :

« لما خرج آدم صلى الله عليه وسلم من الجنة عريانا نظرت إليه الملائكة وقالت : إلهنا هذا آدم بديع فطرتك أقله ولا تخذله فمر بملأ من الملائكة فوبخوه على نقضه عهد ربه ، وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت ، فقال آدم : يا ملائكة ربى ارحموا ولا توبخوا فذلك الذى جرى على كان قضاء ربى ، فأبلاهما الله تعالى حتى عصيا ومنعا من الصعود إلى السماء ، فلما كان أيام إدريس عليه السلام صارا إليه وذكرا له قصتهما ثم قالا له : هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا ؟ فقال إدريس عليه السلام : كيف لى العلم بالتجاوز عنكما ؟ قالا : ادع لنا فإن رأيتنا فهو الاستجابة وإن لم ترانا هلكنا ، فتوضأ إدريس عليه السلام وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما ، فعلم أن العقوبة قد حلت بهما واختطفا إلى أرض بابل ، ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فهما مساسلان معذبان فى بئر بأرض بابل منكسين إلى يوم القيامة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشرفت الملائكة على أهل الدنيا فرأوهم يعصون الله فقالوا : يا ربنا ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك ؟ فقال الله تعالى : لو كنتم فى سلاحهم لعصيتمونى ؟ قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ فقال : اختاروا ملكين ، فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أهبطا إلى الأرض وركبت فيهم شهوات بنى آدم ومثلت لهما فما عصما حتى واقعا المعصية ، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له : ما تقول ؟ فقال : أقول إن عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله — وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وفى رواية أخرى : « قال لهما : إنى أرسل رسولا إلى الناس وليس بينى وبينكما رسول انزلا ولا تشركا بى شيئا ولا تقتلا ولا تسرقا . قال كعب : فما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم عليهما » .

(ومنهم الملائكة الموكلون بالكائنات) لإصلاحها ودفع الفساد عنها ، وقد وكل بكل فرد من أفرادها من الملائكة ما شاء الله تعالى . وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالا يقدر عليه من ذلك بالبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف » وأما المائة والستون فأمر عرفه النبى صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ، ولكنا نمثل جهة التغذى فإنه أمر مشترك بين الحيوان والنبات ، وأنت تقيس عليه غيره من الجهات .

فنقول : إن جزءا من الغذاء لا يصير جزءا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة ، ومعنى التغذى أن يصير جزءا من الغذاء جزءا من المتغذى ، فإن الغذاء جماد لا يصير دما ولحما وعظما بنفسه كما أن البر لا يصير طحينا وعجينا ورغيفا حتى تعمل فيه الصناع فصناع

الظاهر أناس وصناع الباطن الملائكة ، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة . وأقول : أولا لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ، ولابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة ، ثم لابد من ثالث يلبسها صورة الدم ، ثم لابد من رابع يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم والعروق وما يليق بها ، ثم لابد من سادس يلصق ما اكتسب صورة العظم بالعظم وما اكتسب صورة اللحم باللحم ، ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض مالا يبطل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد مقدار حاجته ويدفع الزائد ، فإنه لو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع للفخذ لتشوهت الصورة بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان رقيقها وإلى الحدقة صافيها وإلى الأفخاذ غليظها وإلى العظم صلبها مع مراعاة القدر والشكل وإلا بطلت الصورة ، فلو لم يراع هذا الملك هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبى ولا ينتفع بنفسه ألبتة ، فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك فهذا حال بعض الملائكة الموكلين ببدن بنى آدم فهم مشتغلون بك وأنت فى النوم أو تتردد فى الغفلة وهم يصلحون بدنك — وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها — هكذا حال جميع الكائنات ، فما من شىء إلا وقد وكل الله به ملكا أو ملائكة ، والله الموفق .

(النظر الثالث عشر : فى الزمان) زعموا أن الزمان مقدار حركة الفلك وهذا على رأى أرسطاطاليس وأصحابه ، وعند غيره مرور الأيام والليالى ، ثم مقدار حركة الفلك ينقسم إلى القرون والقرون إلى السنين والسنين إلى الشهور والشهور إلى الأيام والأيام إلى الساعات ، والزمان أنفس رأس مال به تكتسب كل سعادة وإنه يضمحل شيئا فشيئا ، وزمانك عمرك وهو معلوم القدر عند الله تعالى وإن لم يكن معلوما عندك ، وما مثله إلا كمسافة ساع يسعى فى قطعها قوى على السير لا يفتر طرفة عين . فما أعجل انقطاعها وإن كانت بعيدة ، وما أسرع زوالها وإن كانت كعمر لقمان مدة مديدة .

ولنذكر شيئا من خواصها وعجيبها .

(القول فى الليالى والأيام) أما اليوم فهو الزمان الذى بين طلوع الفجر وغروب الشمس . وأما الليل فهو الزمان الذى يقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص ، وكلما نقص من النهار زاد فى الليل وكلما نقص من الليل زاد فى النهار كما قال الله تعالى — يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل — وأطول مايكون النهار سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار خمس عشرة

ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر مايكون ، ثم يأخذ النهار فى النقصان والليل فى الزيادة إلى ثامن عشر أيلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتى عشرة ساعة ، ثم ينقص النهار ويزيد الليل إلى سبع عشرة من كانون الأول فيصير الليل خمس عشرة ساعة وهو أطول مايكون والنهار تسع ساعات وذلك أقصر مايكون ثم يأخذ الليل فى النقصان والنهار فى الزيادة إلى سادس عشر أدار عند حلول الشمس إلى آخر الحوت فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد اثنتى عشرة ساعة ، ثم يستأنف الدور . وقد شبهوا أوقات اليوم والليلة بأرباع السنة فقالوا : إن الغدو بمنزلة الربيع وانتصاف النهار بمنزلة الصيف والمساء بمنزلة الخريف وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء لكن اختلافها لما كان اختلافا يسيرا لاتتأثر منه الأبدان تأثرها عن السنة وربما تأثرت منه الأبدان الضعيفة ، ومن لطف الله بعباده جعل الليل والنهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه ولا تنفك قواه عن كلال فعند ذلك يغلب عليه النوم ولابد له من ذلك لزوال الكلال كما قال الله تعالى — ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون — فعين وقتا للنوم ينام فيه كلهم ووقتا للمعاش يعمل فيه كلهم ، ولولا ذلك لأفضى إلى عسر قضاء حوائج الناس لأن أحدهم إذا طلب غيره لشغل وجده نائما .

(فصل : فى فضائل الأيام وخواصها)

(يوم الجمعة) عيد الملة الحنيفية وسيد الأيام ، روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة ، لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه الله إياه » وقال بعض السلف : إن لله تعالى فضلا سوى أرزاق العباد لايعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية يوم الخميس ويوم الجمعة . وعن ابن مسعود رضى الله عنه « من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء ، وأدخل فيه شفاء » وقال الأصمعى : دخلت على الرشيد يوم الجمعة وهو يقلم أظفاره ويقول : قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة ، وبلغنى أنه ينفى الفقر ، فقلت : ياأمير المؤمنين وأنت تخشى الفقر؟ فقال : وهل أحد أخشى من الفقر منى ؟ وفى الأثر « إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً فيقولون : مافعل فلان وما الذى أخره عن وقته ؟ ثم يقولون اللهم إن كان أخره فقر فأغنه ، وإن كان أخره مرض فاشفه ، وإن كان أخره شغل فأفرغه لعبادتك ، وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك » .

(يوم السبت) هو عيد اليهود . قال الكلبى : أمر موسى عليه السلام بنى إسرائيل أن يفرغوا فى كل أسبوع يوما للعبادة فأبوا أن يقبلوا إلا يوم السبت وقالوا : إنه يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء ، وزعموا أن الأمور التى تحدث فى يوم السبت تستمر إلى السبت الآخر

فلذلك امتنعوا فيه من الأخذ والعطاء ، والمسلمون يخالفونهم فى ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « بورك لأمتى فى بكور سبتها وخميسها » وزعم أصحاب الفلاحة أن النخلة إذا غرست يوم السبت لم تحمل .

(يوم الأحد) عيد النصارى . قال أصحاب السير : إن أول الأيام الأحد وهو أول أيام الدنيا وبدأ الله فيه خلق الأشياء ، وذكروا أن عيسى عليه السلام أمر قومه بالجمعة فقالوا : لانريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا فاتخذوا الأحد ، وزعموا أنه صالح لابتداء الأمور .

(يوم الاثنين) يوم مبارك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير المواظبة على صومه وصوم الخميس ، فسئل عن ذلك فقال : « هما يومان ترفع فيهما الأعمال فأنا أحب أن يرفع عملى وأنا صائم » وفى الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ، وأتاه الوحى يوم الاثنين ، وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين » أورده الإمام أحمد بن حنبل فى مسند ابن عباس رضى الله عنهم .

(يوم الثلاثاء) تستحب فيه العقود وإصلاح حال النفس والحجامة ، وقيل إن قابيل قتل هابيل يوم الثلاثاء .

(يوم الأربعاء) يوم قليل الخير . والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس مستمر يحمد فيه الإستحمام .

(يوم الخميس) يوم مبارك سيما لطلب الحوائج وابتداء السفر ، روى الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يخرج إذا أراد سفراً إلا يوم الخميس » وتكره الحجامة فيه . حدث حمدون بن إسمعيل قال : سمعت المعتصم بالله يحدث عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتجم يوم الخميس فحم مات فى ذلك المرض » قال : دخلت على المعتصم يوم الخميس فإذا هو يحتجم ، فلما رأيته وقفت واجما ساكتا حزينا فقال : ياحمدون لعلك تذكرت الحديث الذى حدثتك به ؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين ، فقال : والله ماذكرت حتى شرط الحجام فحم من ساعته ، وكان المرض الذى مات فيه رحمه الله تعالى .

(القول فى الشهور)

لكل صنف من أصناف الناس شهور مثل شهور العرب والروم والفرس والقبط والترك والهند والزنج ، لكن الشهور المستعملة فى زماننا هذا شهور للعرب والروم والفرس فاقتصرت على ذكرها وذكر بعض خواصها والمواسم فيها ، وبالله التوفيق .

(فصل : فى شهور العرب)

الشهر عندهم عبارة عن الزمان الذى بين الهلالين ويتفق ذلك فى كل سنة من سنيهم اثنتى عشرة مرة لأن سنيهم ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر من يوم ، فإذا جعلنا شهرا ثلاثين وشهرا تسعة وعشرين صارت الشهور منطبقة على أيام السنة ، وإذا صارت الكسور يوما زادوه فى آخر ذى الحجة ، وقد نطق بذلك الكتاب المجيد — إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : والأشهر الحرم : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد للمحرم زيادة وقع عند الله تعالى فالطاعات فيها أكثر ثوابا والمعاصى أعظم عقابا ، وهذه الأشهر كانت محرمة فى الجاهلية ، وكانت العرب فى هذه الأشهر تنزع الأسنة عن رماحها وتقعد عن شن الغارات ، وكان الخائف فيها يأمن من أعدائه حتى إن الرجل إذا لقى قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له فلنذكر الآن الشهور :

(المحرم) سمى محرما لحرمة القتال فيه ، فاليوم الأول منه معظم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما أن اليوم الأول من سنة الفرس كان عندهم معظما وهو النيروز والسابع منه هو الذى خرج فيه يونس من بطن الحوت ، وقيل إنه كان فى رابع عشر ذى القعدة ، والعاشر منه يوم عاشوراء يوم معظم فى جميع الملل لأنه فيه تاب الله تعالى على آدم عليه السلام ، واستوت السفينة على الجودى ، وولد الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام ، وبردت النار على إبراهيم عليه السلام ، ورفع العذاب عن قوم يونس ، وكشف ضر أيوب ، ورد على يعقوب بصره وأخرج يوسف من الجب ، وأعطى سليمان ملكه ، وأجيب زكريا حين استوهب يحيى ، وهو يوم الزينة الذى غلب فيه موسى السحرة . «ولما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وجد يهودها يصومون عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا : إنه اليوم الذى غرق فيه فرعون وقومه ونجا موسى ومن معه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بموسى منهم فأمر بصوم عاشوراء» وكان الإسلاميون يعظمون هذا الشهر بأجمعهم حتى اتفق فى هذا اليوم قتل الحسين رضى الله عنه مع كثير من أهل البيت فزعم بنو أمية أنهم اتخذوه عيداً فتزينوا فيه وأقاموا فيه الضيافات والشيعة اتخذوه يوم عزاء ينوحون فيه ويجتنبون الزينة ، وأهل السنة يزعمون أن الاكتحال فى هذا اليوم مانع من الرمد فى تلك السنة ، والسادس عشر منه جعلت القبلة لبيت المقدس ، والسابع عشر منه فيه قدوم أصحاب الفيل فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل .

(صفر) سمى صفرا لأن الرباع كلها كانت تصفر من أهلها لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم . وذهب الجمهور إلى أن القعود فى هذا الشهر أولى من الحركة ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من بشرنى بخروج صفر أبشره بالجنة » اليوم الأول منه عيد بنى أمية أدخلت فيه رأس الحسين رضى الله عنه بدمشق ، والعشرون منه ردت رأس

الحسين إلى جثته وترك المأمون لبس الخضرة وعاد إلى السواد بعد مالبسها خمسة أشهر ونصف، والثالث والعشرون منه عاد الأمر إلى بنى هاشم وجلس السفاح للخلافة ، والرابع والعشرون منه دخل النبى صلى الله عليه وسلم الغار مع أبى بكر رضى الله عنه .

(ربيع الأول) سمى ربيعا لارتباع الناس والمقام فيه ، هو شهر مبارك فتح الله فيه أبواب الخيرات وأبواب السعادات على العالمين بوجود سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، الثامن منه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، والعاشر منه تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها ، والثانى عشر منه مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

(ربيع الآخر) فى اليوم الثالث منه رمى الحجاج الكعبة بالنار فى حصار ابن الزبير فاحترقت ، والرابع عشر منه فيه تقرر فرض الصلاة ، وفى الحادى والعشرين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(جمادى الأولى) إنما سميا بذلك والأخرى ، لأنهما صادفا أيام الشتاء حين اشتد البرد وجمد الماء ، فى الثامن منه مولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفى الخامس عشر وقعة الجمل .

(جمادى الأخرى) زعموا أن الحوادث العجيبة كثيرا ماتقع فى هذا الشهر ، حتى قالوا : العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، فى اليوم الأول منه نزل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى السادس ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفى التاسع مولد جعفر الصادق ، وفى الرابع عشر مولد موسى بن جعفر ، وفى الخامس عشر هدم ابن الزبير الكعبة بيده لحديث سمعه من عائشة رضى الله عنها وردها على هيئة ماكانت عليه فى زمن الخليل عليه السلام ، وفى العشرين مولد فاطمة رضى الله عنها .

(رجب) سمى رجب لأنه رجب أى عظم ، ويقال له أيضا الأصم لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث ، وقيل لأنه لايسمع فيه قعقعة السلاح ، ويقال له أيضا الأصب لأن الله تعالى يصب فيه الرحمة والمغفرة على عباده ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة دلت على عظم شأنه وعلى أن الطاعات فيه مقبولة والدعاء فيه مستجاب ، وكان فى الجاهلية إذا أراد المظلوم أن يدعو على الظالم أخره إلى دخول رجب ودعا عليه فيستجاب له ، وفى اليوم الأول منه ركب نوح عليه السلام السفينة ، وفى الرابع وقعة صفين ، وفى الثانى عشر مولد جعفر الصادق ، وفى الخامس عشر يوم أم داود وصلواتها التى تستجاب ، وفى السابع والعشرين ليلة المعراج ، وفى الثامن والعشرين البعثة النبوية .

(شعبان) سمى شعبان لتشعب القبائل فيه ، اليوم الثالث منه مولد الحسين ، وفى الرابع مولد الحسن رضى الله عنهما ، وفى الخامس عشر ليلة الصك وهى ليلة يغفر الله تعالى فيها

لأكثر من شعر غنم بنى كلب، وفى السادس عشر صرفت القبلة إلى الكعبة ، والعشرون منه النيروز المعتضدى .

(رمضان) سمى رمضان لمصادفته شدة الرمضاء فى أول الوقت ، فى أوله فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين ، وفى الثالث أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام ، وفى الرابع أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى السابع أنزل التوارة على موسى عليه السلام ، وفى الثامن أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام ، وفى التاسع عشر فتحت مكة ، والحادى والعشرون ليلة القدر على رأى وهى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، والثالث والعشرون قيل ليلة القدر على رأى آخر ، وفى الخامس والعشرين ظهور الدولة العباسية بخراسان بدعوة أبى مسلم ، وفى السابع والعشرين وقعة بدر ونزول الملائكة لنصرة النبى صلى الله عليه وسلم وليلته هى ليلة القدر على رأى حسن ، وفى اليوم الأخير أعتق الله فيه بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره وله عند الفطر كل ليلة سبعون ألف ألف عتيق من النار .

(شوال) سمى شوالا لإشالة الإبل أذنابها عند اللقاح فى ذلك الوقت لأنه أول أشهر الحج ، فى اليوم الأول منه عيد الفطر ويقال له يوم الرحمة لأن الله تعالى يرحم فيه عباده ، وفيه أوحى الله تعالى إلى النحل صنعة العسل ، وفى الرابع منه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لمباهلة نصارى نجران ، وفى السابع عشر منه غزوة أحد ومقتل حمزة رضى الله عنه ، وفى الخامس والعشرين إلى آخر الشهر هى الأيام النحسات أهلك الله تعالى فيها عادا وقيل إنها أيام العجوز التى كانت تنوح عليهم كل سنة .

(ذو القعدة) سمى ذا القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه أول الأشهر الحرم ، فى الأول منه واعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة ، وفى الخامس رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل عليهما السلام ، وفى السابع منه فلق البحر لموسى عليه السلام ، وفى الرابع عشر خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت ، وفى التاسع عشر أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين ونزل جبريل بالوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ذو الحجة) سمى ذا الحجة لأنهم كانوا يحجون فيه ، العشر الأول منه الأيام المعلومات وهى أحب الأيام إلى الله تعالى ، فى اليوم الأول تزوج على بفاطمة رضى الله عنهما ، الثامن منه يوم التروية وسقاية الحج بالمسجد الحرام تملأ ويسقى الحجيج فى الجاهلية والإسلام حتى تروى ، والتاسع منه يوم عرفة ، والعاشر يوم النحر وفيه فدى الذبيح بالكبش وثلاثة أيام بعده أيام التشريق ، الثانى عشر منه عيد الغدير وهو اليوم الذى واخى النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فيه ، وفى الرابع عشر تصدق على رضى الله عنه بخاتمه فى الصلاة

وفى السادس والعشرين نزل الاستغفار على داود عليه السلام، وفى السابع والعشرين منه وقعة الحرة ، وفى الثامن والعشرين منه خلافة على رضى الله عنه .

(خاتمة : فى معرفة أوائل هذه الشهور ، وقد عمل لها جدول ليسهل علمها)

(أما) طريق العمل بها فأن تلقى عدد سنى الهجرة من أولها إلى السنة التى أنت فيها أو السنة التى تريد معرفة أول شهر من شهورها ثمانية ثمانية ، فما بقى تعد من تحت الشهر الذى أنت طالب أوله فاليوم الذى ينتهى فيه العدد هو أول ذلك الشهر ، وإن بقى ثمانية بعد أن أسقطتها كلها كان أول الشهر اليوم الذى فى البيت الأخير ، وهذه صفة الجدول :

(جدول الشهور والأيام)

محرم	صفر	ربيع الأول	ربيع الثانى	جمادى الأولى	جمادى الثانية	رجب	شعبان	رمضان	شوال	ذو القعدة	ذو الحجة
الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس
الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين
الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة
الأحد	الاثنين	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء
الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد
الاثنين	الثلاثاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء	الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس
السبت	الأحد	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الاثنين	الأربعاء	الخميس	السبت	الأحد	الثلاثاء
الأربعاء	الجمعة	السبت	الاثنين	الثلاثاء	الخميس	الجمعة	الأحد	الثلاثاء	الأحد	الخميس	السبت

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : إذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذى صمته فى العام الماضى فإنه أول يوم من شهر رمضان الذى فى العام المقبل ، وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا .

(فصل : فى شهور الروم)

وهى مختلفة العدد لأنهم أرادوا أن تكون شهورهم مساوية لمسير الشمس ، وحركات الشمس مختلفة فى أرباع السنة ، فبعضها أكثر أياما من البعض على ما نطقت به الأرصاد القديمة

والحديثة ، فلهذا جعلوا بعض الشهور ثلاثين وبعض الشهور أحدا وثلاثين وبعضها ثمانية وعشرين ، فأعطوا كل شهر ما يستحقه حتى صار المجموع ثلثمائة وستين يوما وجعلوا يوما فى آخر السنة ، وهذا مجموع أيام سنتهم وقد وضعوها على هذا الوجه :

تشرين الأول تشرين الثانى	كانون الأول كانون الثانى
لا ل	لا لا
شباط أدار نيسان أيار	حزيران تموز آب أيلول
كح لا ل لا	ل لا لا ل

وقد جمعها الشاعر فى هذين البيتين فقال :

فتشرينكم الثانى كأيلول ونيسان
ثلاثون ثلاثون أتوا بعد حزيران
شباط خص بالنقص وذاك النقص يومان
وباقيها ثلاثون ويوم واحد كانى

(تشرين الأول) أحد وثلاثون يوما ، فى اليوم الأول تهيج الصبا ، وفى الثالث عيد دير الثعالب ، وفى الخامس عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس يزعمون أن ناراً من السماء تنزل وتسرج الشمع هنالك ، وفى السابع عيد التباريك ، وفى الثالث عشر تفور المياه ويقوم سوق أذرعات ويضطرب البحر ، وفى الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح ويصرم النخل وإذا قطع خشب لم ينخر خشبه ولم يسوس ، وفى الثامن عشر ينقص النيل ، وفى الحادى والعشرين يزرع على نيل مصر ، وفى الثانى والعشرين يبتدئ الهواء بالبرد وفى الثلاثين تذهب الحد أو الرخم والخطاطيف إلى الغور ويسكن النمل جوف الأرض .

(تشرين الآخر) ثلاثون يوما ، فى اليوم الأول تهب الجنوب ، وفى الثانى فى أوقات المطر ، وفى الخامس تخفى الهوام ، وفى السابع لقط الزيتون بالشام وكثرة الغيوم واضطراب البحر فلا تجرى فيه جارية ، وفى الثامن غليان البحر ، وفى التاسع أول المرور فى بحر فارس ، وفى الثالث عشر ابتداء اضطرابه وإن قطع فيه خشب لا تمع فيه الأرضة والسوس ، وفى السابع عشر ابتداء صوم الميلاد وهو أربعون يوما ، وفى العشرين تموت كل دابة لا عظم لها ، وفى الثانى والعشرين ينهى عن شرب الماء البارد بالليل ، وفى الثالث والعشرين لقط الزيتون عند القبط . وفى الثامن والعشرين امتداد أمواج البحر .

(كانون الأول) أحد وثلاثون يوما ، فى اليوم الأول منه يقوم سوق ثوما بدمشق ويغرس قضيب البان ، وفى الحادى عشر قيام سوق الأردن ، والرابع عشر أول الأربعينيات ، وفى السابع عشر ينهى عن تناول لحم البقر والأترنج وشرب الماء بعد النوم وعن الحجامة وطلى

النورة ويسمون هذا اليوم الميلاد الأكبر يعنون به الانقلاب الشتوى ، ويقولون : إن فيه مخرج النور من حد النقصان إلى حد الزيادة وتأخذ الإنس فى النشو والنماء والجن فى الذبول والفناء . وفى التاسع عشر غاية طول الليل وقصر النهار ، وفى الثالث والعشرين تنتهى زيادة النيل وتكثر الأنداء ويسقط ورق الأشجار ، وفى الخامس والعشرين ميلاد المسيح عليه السلام ، وفى التاسع والعشرين ينهى عن شرب الماء عند النوم ويقولون : إن الجن تتقيأ فى الماء ومن شربه يغلب عليه البله .

(كانون الثانى) أحد وثلاثون يوما ، فى اليوم الأول منه يرجى المطر وفيه القلفداس بالشام يوقدون نارا عظيمة ، وفى السادس عيد الذبح زعموا أن فيه ساعة تصير فيها المياه المالحة عذبة ، وفى العاشر صوم العذارى ، وفى السابع عشر يذهب البرد ببلاد فارس ، وفى الثانى والعشرين تنتهى الأربعينيات ، وفى الرابع والعشرين بذور العشب فى الأرض وتزواج الطيور ، وفى الخامس والعشرين يزرع القطن والبطيخ وتغرس الأشجار بأرض الروم وتكسح الكروم بأرض مصر وتغتلم فحول الإبل .

(شباط) ثمانية وعشرون يوما ، فى السابع منه تسقط الجمرة الأولى ، وفى الثالث عشر يجرى الماء فى العود من أسفله إلى أعلاه وتتقى الضفادع وفى الرابع عشر صوم النصارى ، وتسقط الجمرة الثانية ، وفى العشرين يخرج الذئب وتتحرك البراغيث ، وفى الخامس والعشرين تزرع القثاء والبطيخ وتلد الوحش ويصوت الطير وتطير الخطاطيف ويلد الماعز ويغرس شجر الورد ويزرع الياسمين والنرجس ويورق الكرم ويكثر العنب ، وفى الحادى والعشرين سقوط الجمرة الثالثة ، ومعنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء محيطا بعضها بالبعض وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى وهم كانوا فى البيت الثالث ، وكانوا يشعلون النار فى كل بيت ويتخذون الجمر للاصطلاء فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها وهم سكنوا مكان الصغار فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة ، فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها فسقطت جمرة أخرى فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء فسقطت الجمرات الثلاث ، وفى الخامس والعشرين يظهر الدفء وتهب الرياح اللواقح وتكسح الكروم ، وفى السادس والعشرين أول أيام العجوز وأيام العجوز سبعة أيام ثلاثة من شباط وأربعة من آدار . قيل : إنها سميت أيام العجوز لأن الله تعالى أهلك قوم عاد فى هذه الأيام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة فى هذه الأيام فهذه الأيام لا تخلو من برد أو رياح أو كدورة ، فذهب بعضهم إلى أنها من الأمور الطبيعية وأن البرد يشتد فى آخر الشتاء كما أن الحر يشتد

فى آخر الصيف ، وذلك يجرى مجرى السراج الذى فنيت رطوبته فإنه عند انطفائه يشتد ضوؤه دفعات :

(أدار) أحد وثلاثون يوما ، فى اليوم الأول يخرج الجراد والدبيب ، وفى الرابع منه آخر أيام العجوز ، وذهب بعضهم إلى أنها سميت أيام العجوز ، لأن عجوزا كاهنة من العرب أخبرت قومها ببرد شديد فى آخر الشتاء يسوء أثره على المواشى ، فلم يكترثوا بقولها وجزوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع ، فإذا هم ببرد شديد أهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الأيام إليها ، وفى السابع اختلاف الرياح العواصف ، وفى الثانى عشر يؤمر بالحجامة ، وفى الثالث عشر تظهر الخطاطيف والحدأ ، وفى السادس عشر تفتح الحيات أعينها فى أيام البرد لأنها تجتمع فى باطن الأرض فيظلم بصرها ، وفى الثامن عشر يعتدل الليل والنهار وهو أول ربيع العجم وخريف الصين ويغلظ ماء البحر لأن الشمس تبخر لطيف أجزائه . قالوا : إن العقيم من الرجال إذا نظر فى ليلة هذا اليوم إلى الشهر ثم جامع أهله ولدت ، وفى هذا اليوم تهب الرياح اللواقح وتسنبل الحنطة ويدرك النبق والباقلاء ويعقد اللوز والمشمش ويورق الشجر ويغرس الكرم ويخاف التمساح بمصر ، وفى الخامس والعشرين غليان البحر .

(نيسان) ثلاثون يوما ، فى اليوم الأول منه يرجى المطر ، وفى الرابع الشعانين ، وفى الحادى عشر منه عيد النصارى ، وفى العشرين منه تهيج الرياح الشرقيه ويفرخ الطير ، وفى الحادى والعشرين قيام سوق فلسطين ، وفى الثانى والعشرين هبوب الجنوب وامتداد الأدوية ، وفى الثالث والعشرين موسم دير أيوب بالشام ، وفى التاسع والعشرين يمتلئ الفرات وفى الثلاثين يهيج الدم وتنعقد الثمار ويدرك اللوز :

(أيار) أحد وثلاثون يوما ، فى ثانى يوم منه عيد دير الثعالب ، وفى السابع عيد الصليب وفى الحادى عشر أول البوارح ، وفى الخامس عشر عيد الورد المستحدث ، وفى السادس عشر تهيج الصبا ويطيب ركوب البحر ، وفى الرابع والعشرين يرتفع الطاعون بإذن الله ويخضر الزرع ويركب البحر وتبدو السمائم وتهب الشمال ويسود العنب وتبين زيادة نيل مصر وتهب الدبور ، وفى الخامس والعشرين منه عيد الورد وفريك السنبل ، وفى التاسع والعشرين سبت القيامة :

(حزيران) ثلاثون يوما ، فى الحادى عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور ، وفى السادس عشر يتنفس نيل مصر وتفور المياه ، وفى الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفى ، وفى الثانى والعشرين يوضع المنجل فى الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر ، وفى الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السمائم

بالهبوب وهى أحد وخمسون يوما ويمتد جيحون ، وفى الثامن والعشرين آخر البوارح ، وفى التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثر فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثر قالوا لا يمتد .

(تموز) أحد وثلاثون يوما ، فى الخامس تطلع الشعرى ويطلوعها يعرفون صلاح الزرع وفساده وذلك أن أصحاب الفلاحة من العجم أخذوا لوحا قبل طلوع الشعرى بأسبوع وزرعوا عليه أصناف الحبوب ، فلما كانت الليلة التى طلعت فيها الشعرى وضعوا ذلك اللوح على موضع عال لايحول بينه وبين السماء شىء فما أصبح مخضرا من ذلك النبات فهو الذى صلح فى تلك السنة وما أصبح مصفرا فهو الذى فسد ، وفى السابع يموت الجراد ، وفى العاشر يقوم سوق بصرى ، وفى الثامن عشر أول أيام الباحور وهى سبعة أيام متوالية يستدلون بكل يوم منها على شهر من أشهر الخريف والشتاء من تغيرات وتلون ، وزعموا أنها للسنة كأيام البحران للمريض وأن كل شهر من تلك الأشهر حاله كحال يوم من تلك الأيام أولها كأولها وآخرها كآخرها فى التغيرات ، وفى الرابع والعشرين تشتد صولة الحر ويرتفع الطاعون ويكثر الرمد ويزرع البطيخ الشتوى والجزر والذرة ، وفى الخامس والعشرين ينهى عن الجماع لشدة الحر ، وفى السابع والعشرين يحمر البسر ويقطف العنب والقصب النبطى وتفور المياه وتنضج الفواكه كلها ، وفى الثلاثين عيد كنيسة مريم عليها السلام .

(آب) أحد وثلاثون يوما ، فى الأول وفاة مريم عليها السلام ، وفى السادس أول عيد التجلى ، وفى التاسع تختلف الرياح ، وفى العاشر يقوم سوق عمان . وفى الثانى عشر يبدو هواء العراق ، وفى السابع عشر آخر عيد التجلى ، وفى الثامن عشر تهيج الرياح البوارح ويكثر الرمان ويصفر الأترنج ، وفى العشرين آخر السموم ، وفى الثانى والعشرين فتور الحر ، وفى السادس والعشرين يهيج الدم وفى الثامن والعشرين يطيب الماء ويكثر الرطب والعنب ويسقط الطل والمن والسلوى بالشام .

(أيلول) ثلاثون يوما ، فى الأول عيد رأس السنة وتمامها ويكون سوق منبج ، وفى الثالث يبتدأ بإيقاد النار فى البلاد الباردة ، وفى الثانى عشر يفصد ويشرب الدواء وفى الثالث عشر تنتهى زيادة النيل فى مصر وعيد كنيسة القمامة ، وفى الرابع عشر عيد الصليب وفى السادس عشر فطام الأطفال ، وفى الثامن عشر اعتدال الليل والنهار وهو أول الخريف عند العجم والربيع عند الصينيين ، وزعموا أن المطر فى السحاب الذى يرتفع فيه يصبى الروح ويبرئ الجسد ، وفى العشرين يرجع الماء من أعالى الشجر إلى عروقه ، وفى الرابع والعشرين زعم أصحاب التجارب أنه تهب الريح وتأتى الغربان البقع فى أكثر البلاد ، وهذه أمور تتكرر فى كل سنة على رأى أصحاب التجارب فى الأوقات المذكورة .

(فصل : فى شهور الفرس)

وهى متساوية فى العدد لأن أيام سنتهم عددها ثلثمائة وخمسة وستون يوما فجعلوا كل شهر ثلاثين يوما وضعوا فى آخر السنة خمسة أيام ، والشهر عندهم لا يكون على أسابيع كما هو عند العرب بل هو عندهم من أول الشهر إلى آخره ، ولكل يوم اسم يعرف به ذلك اليوم ويتميز به عن غيره من الأيام ، وهذه صورتها : (ا) هرمز (ب) بهمز (ج) أرد بيهشت (د) شهريز (ه) استداند (و) حودار (ز) مرداد (ح) دى بادر (ط) إحدى (ى) دى (يا) حور (يب) ماه (يج) تبر (يد) كوش (يه) ذى بهمر (يو) مهر (يز) سروسن (يح) رشن (يط) قرد ومير (ك) بهرام (كا) رام (كب) باد (كج) دى بدين (كد) دى (كه) أرد (كو) اشتاد (كز) أسمان (كح) زاميار (كط) مارال (ل) أنير . وإنما وضعوا لكل يوم من الأيام اسما لأن لهم فى كل يوم مأكولا وملبوسا ومشموما تخالف غيرها ، ولهم أعياد منها ما هو موضوع لأمور دنياوية ومنها ما هو لأمور دينية . أما الدنياوية فقد وضعها ملوك الفرس ليتوصلوا بها إلى سرور النفس مع اكتساب الدعاء والحمد والثناء أخذها الخلف عن السلف تيمنا وتفاؤلا ، وأما الدينية فقد وضعها أرباب الديانات والمطلوبات منها الخيرات والسعادات الأخروية فيما يرونه ، ونحن نذكر ما كان فى كل شهر إن شاء الله تعالى ، وبالله التوفيق .

(فروردين ماه) اليوم الأول منه النيروز وهو أول يوم من السنة واسمه بالفارسية يعطى هذا المعنى ، وزعموا أن الله تعالى فى هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب واسم هذا اليوم هرمز ، وهو اسم من أسماء الله تعالى . قالوا : فى هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض ، من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت رفع عنه البلاء فى عامة سنته ، ويتفاءلون بما وقع لهم فى هذا اليوم ، وكان الملك يجلس فى هذا اليوم ويأتيه كل واحد من خدمه وحشمه بطريقة عجيبة ، وإذا استيقظ من نومه أول ما تقع عينه على غلام حسن الوجه على فرس حسن على يده بازى حسن فإن هذا الشكل أحسن الأشكال قد أهدى إلى بعض خواصه ، والسابع عشر منه سروش روز ، وسروش اسم ملك هو رقيب الليل قيل إنه جبريل عليه السلام وهو أشد الملائكة على الجن والسحرة فيطلع على الخلق بالليل ثلاثا ، بالأولى يبرد الجو وتعذب المياه وبالمرة الأخيرة طلوع الفجر واعتزاز النبات ونماء الزهر وترويح العليل وصدق الرؤيا ، التاسع عشر فردورميز روز عيد يسمى فردوميزجان لما افقة اسمه اسم الشهر وذلك جار فى كل شهر يعنى إذا كان اسم اليوم يوافق اسم الشهر كان عيدا ، وملوك الفرس اتخذوا هذا الشهر كله أعيادا وجعلوه أسداسا كل سدس خمسة أيام ، فالأول للملوك والثانى للأشراف والثالث لحرم الملوك والرابع

للحاشية والخامس للعامة والسادس للرعاة ، وكان من رسم الأكاسرة أن يأمروا بإعلام الناس بجلوسه لهم عامة ، وفى اليوم الثانى لمن هو أرفع مرتبة كالدهاقين والمشايخ وأرباب البيوت ، وفى اليوم الثالث لأساورته وعظمائه ، وفى اليوم الرابع لأهل بيته وخاصته ، وفى اليوم الخامس لأولاده ، وكان يوصل إلى كل أحد فى كل يوم ما يستحقه من الإنعام والإكرام ، وفى اليوم السادس كان فارغا عن قضاء الحقوق لم يصل إليه إلا أهل أنسه ، وكان يأمر بإحضار الهدايا فيتأملها .

(أردبيهشت ماه) اليوم الثالث منه اردبيهشت روز عيد يسمى أردبيهشت كان لاتفاق العيدين ، وأردبيهشت اسم ملك النار والنور وكله الله تعالى بذلك على زعمهم وبإزالة العلل والأمراض بالأدوية والأغذية ، واليوم السادس منه هو اشتاذروز وهو أول الكهنبار ، والكهنبارات ستة كل واحد خمسة وهى أيام عبادات للمجوس وضعها زرادشت نبى المجوس .

(خردادماه) اليوم السادس منه خردادماه روز ، سمى خرداد كان لاتفاق الاسمين ، وهو اسم الملك الموكل بالنبات والأشجار يربيها ويدفع النجاسات عن المياه ، واليوم السادس والعشرون وهو اشتادروز أول الكهنبار الرابع فيه خلق الله النبات والأشجار ، واليوم الثلاثون هو نيران روز وهو آب ريز كان يعنى عيد الاغتسال .

(تيرماه) اليوم السادس منه وهو يوم خرداد عيد يسمى جشن نيلوفر وهو مستحدث ، واليوم الثالث عشر منه نيروز يسمى النيركان لاتفاق الاسمين ، ذكروا أن فى هذا اليوم طلب منوجهر من أفراسياب لما تغلب على إيران شهر أن يردها عليه فأنعم عليه بها ، وكان منوجهر متحصنا بطبرستان ، واليوم السادس عشر مهرروز ومهر اسم الشمس هو أول الكهنبار الخامس ، زعموا أنه يوم خلق الله تعالى فيه البهائم .

(شهر يرماه) السادس عشر منه مهر روز عيد عظيم الشأن يعرف بالمهرجان لأن اسمه موافق لاسم الشهر ، وكانت الأكاسرة فى هذا اليوم يلبسون أبناءهم تاج الذهب الذى كان عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها لأن مهر اسم الشمس . وذكروا أن هذا يوم خروج أفريدون بعد أن أهلك الضحاك بيوراسف كل من كان ينسب إلى جمشيد وفريدون وضعته أمه فى غار وتركته وكانت تأتيه بقرة وحش فترضعه حتى وثب على الضحاك وطرده وأخرج أفريدون ونزلت الملائكة لعونه . وذكروا أن فى هذا اليوم دحا الله الأرض وجعل الأجساد قرار الأرواح ، وقالوا : من أكل يوم المهرجان شيئاً من الرمان وشم ماء الورد دفع عنه آفات كثيرة ، واليوم الحادى والعشرون هو رام روز وهو اليوم الذى ظفر فيه أفريدون بالضحاك وأسره فقال لأفريدون : لا تقتلنى ، فأجابه إلى ذلك وحبسه بجبل نهاوند مسلسلا فى غار فيه .

(أبان ماه) اليوم العاشر منه أبان روز يسمى أبان كان لاتفاق الاسمين . قالوا : فيه أمر بعمارة الأرض وحفر أنهارها واتصل الخبر بالأقاليم السبعة ، والخمسة الأخيرة من هذا الشهر أولها اشتادروز وتسمى الفزورجان فيها وكانوا يصنعون فيها الأطعمة والأشربة فى النواويس على ظهورها ، يزعمون أن أرواح موتاهم تخرج فى هذه الأيام من مواضع ثوابها وعقابها ، فتأتيها وتنسف قوتها ويدخنون بيوتهم بالراسن لتستلذ الموتى برائحته .

(آذرماه) اليوم الأول منه هو يوم هرمز ، فيه ركوب الكوسج وهو سنة لهم كان يركب فى هذا اليوم رجل كوسج حمارا فى أطمار من الثياب وقد تناول الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة وطلى بدنه بالأدوية وفى يده مروحة يتروح بها ويقول الحر الحر والناس يتضاحكون ويرمونه بالثلج والجمد فيصيب بذلك خيرا من الناس وبقى بذلك فى عقبه إلى أن ضرب السلطان على ذلك ضربته ، وكان مع الكوسج نقيع المغرة وهى طين أحمر يلطخ به ثياب من لم يسمح له بشىء ، وفى هذا اليوم استخرج اللؤلؤ من البحر ولم يكن يعرف قبل ذلك . قالوا : إنه يوم قضى الله فيه الخير والشر ، وزعموا أن من طعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام سفرجلا وشم أترنجا سعد فى سائر سنته ، واليوم التاسع هو آذروز ، عيد يسمى آذر جشن لاتفاق الاسمين وفيه اصطلوا بالنار ، وآذر اسم الملك الموكل بجميع النيران وقد أمر زرادشت أن تزار فى هذا اليوم بيوت النيران وتقرب القرابين ويشاور فى أمور العالم .

(دى ماه) ويسمى أيضا جرماه اليوم الأول منه يسمى حزم روز وهو اسم الله تعالى ، وكان الملك فى هذا اليوم ينزل عن سرير الملك ويلبس الثياب البيض ويرفع الحجاب ويترك هيئة الملك وينظر فى مصالح الناس ويخاطبه كل من شاء من الوضيع والشريف ويجالس الدهاقين والمزارعين ويواكلهم ويقول أنا كواحد منكم ولا قوام للدنيا إلا بالعمارة التى تجرى على أيديكم وقوام العمارة بالملك لاغنى لأحدهما عن الآخر ونحن كأخوين متلازمين ، واليوم الحادى عشر أول الكهنبار الأول وفيه خلق الله السموات ، واليوم الرابع عشر زوركوش فيه عيد يسمى عيد سيرسو يتناول فيه الثوم والخمر ويطبخ فيه النبات باللحم التى يتحرز به عن الشياطين وبها يتداوى من العلل المنسوبة إلى الأرواح السوء ، واليوم الخامس عشر وهو سمهور روز عيد يتخذ فيه شخص من عجين أو طين على هيئة إنسان ويوضع فى مداخل الأبواب ويخدم خدمة الملوك ثم يحرق وفى هذا اليوم اتفق فطام أفريدون وركوب الثور ، وزعموا أن من أطعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام تفاحا وشم نرجسا عاش سنته بخير وخصب وأن التدخين فى ليلته بالسوسن أمان فى العام من القحط والفقر ، واليوم السادس عشر هو مهرروز عيد كاوكيل ، زعموا أن جمعا من الفرس تخلصوا فى هذا اليوم من بلاد الترك وساقوا

البقر التى سبيت منهم ، وزعموا أن فى ليلة هذا اليوم يظهر ثور عجلة القمر وهو ثور قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته مجاب الدعوة فى ساعة النظر إليه .

(بهمن ماه) اليوم الثانى منه بهمن روز عيد يسمى بهمنجة لاتفاق الاسمين وهو الملك الموكل بالبهائم التى يحتاج الناس إليها للعمارة ، وأهل فارس كانوا يطبخون فيه قدورا يجمعون فيها من كل حب ولحم ويشربون فيه اللبن ويزعمون أن ذلك يصلح للحفظ ، ولهذا اليوم خاصية فى لقط الأدوية من الجبال والأودية واتخاذ الأدهان وتهيئة البخور والدخن ، وزعموا أن ذلك وضع جاماسب الوزير ونفعها بين ، واليوم الخامس وهو يوم اسفندارمد عيديسمى نوسدة ومعناه البندق الجديد وهومن مآثر هو راسف ، واليوم العاشر وهو أبان يسمى أبان عيد ويسمى السدق وتفسيره المائة ، قيل إنه إنما سمى سدقا لأنه بقى إلى آخر السنة مائة يوم ، وقيل لأنه تم فى هذا اليوم عدد المائة من الآب الأول وهو كيومرت . قالوا : إن الشتاء يخرج من جهنم إلى الدنيا فى هذا اليوم ، والناس فى هذا اليوم يوقدون نيرانا وينحرون قرابين لدفع مضرته حتى صار من رسم الملوك فى هذه الليلة إيقاد النيران وإرسال الطيور والوحش وقد شدوا فيها باقات من الشوك مشتعلة مع الشرب والتلهى ، واليوم الثلاثون وهو أنيران روز عيد يسمى إبريز كان بأصبهان وتفسيره صب الماء . والسبب فيه أن القطر احتبس فى زمان فيروز جد أنوشروان وأجدب الناس فترك فيروز الخراج وفتح الخزائن واستدان من بيوت النيران وجاد بها على الرعية وتفقدهم تفقد الوالد الولد حتى لم يمت فى تلك السنين أحد جوعا ، ثم صلى ودعا الله تعالى بإزالة ذلك عن الخلق ودخل بيت النار وأدار يده وساعده حوالى اللهب وضمه إلى صدره ثلاث مرات ضم الصديق صديقه ، وبلغ اللهيب لحيته ولم تحترق وكان ذا لحية كثة ثم قال : اللهم إن كان هذا الاحتباس من أجلى وسوء سيرتى فبين لى حتى أخلع نفسى ، وإن كان لغيرى فبين لى وأزل عن أهل الدنيا ذلك وجد عليهم بالمطر ، ثم خرج من بيت النار فارتفعت سحابة وأقبلت بأمطار لم يعهد مثلها غزارة فأيقن فيروز بإجابة دعائه وجرت المياه فى الخيام والسرادقات ، وكان الناس يصب بعضهم على بعض فرحا وسرورا فصار ذلك سنة لهم إلى هذا الوقت .

(اسفندار مذماه) اليوم الخامس وهو اسفندار مذروز عيد لاتفاق الاسمين وهو اسم الملك الموكل بالأرض والمرأة الصالحة المحبة لزوجها ، وهذا عيد خاص للرجال والنساء يحسن بعضهم إلى بعض ويتخذون فيما بينهم العهود ، وقد بقى هذا بأصبهان يسمونه مرذكيران ، وهذا اليوم تكتب فيه الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس الرقية المعروفة ويلصقون ثلاثة منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت .

(القول : فى السنين) السنة عند العرب اثنا عشر شهرا وعند العجم كذلك إلا أن العرب تجعل شهورها على مدار الأهلة وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما . وأما العجم فجعلوا شهورهم على مدار الشمس وأيامها ثلثمائة وخمسة وستون يوما ، وفى هذه المدة تقطع الشمس دائرة الفلك فسنو العرب قمرية وسنو العجم شمسية والتفاوت بينهما كل مائة سنة ثلاث سنين. قال الله تعالى : — ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا — بحساب العرب ، وأول السنة الشمسية مسامتة الشمس لنقطة الاعتدال الربيعى ، ثم تتحرك متوجهة نحو الشمال حتى تبلغ غايتها فى الشمال ، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الخريفى حتى تصير مسامتة لها ، ثم تتحرك متوجهة نحو الجنوب حتى تبلغ غايتها فى الجنوب ، ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الربيعى ، فلهذا الاعتبار قسموا السنة أربعة أقسام كل قسم فصل ؛ ومن جملة لطف الله تعالى أن أعطى كل فصل طبقة مغايرة لما بعده فى كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدريج ، فلو انتقل من الصيف إلى الشتاء دفعة واحدة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم فى الأبدان ، فحسبك ما ترى من تغيير الهواء فى يوم واحد من الحر إلى البرد كيف يظهر مقتضاه فى الأبدان فكيف إذا كان مثل هذا التغيير فى الفصول ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأكثر امتنانه .

(أما الربيع) فهو نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل ، فعند ذلك استوى الليل والنهار فى الأقاليم ، واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون ، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النوار واخضر وجه الأرض ، وتكونت الحيوانات ونتجت البهائم ودرت الضروع ، وطاب عيش أهل الزمان وأخذت الأرض زخرفها وازينت والدنيا كأنها جارية شابة تجلت وتزينت للناظرين ، فلا يزال كذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ ينتهى الربيع ويقبل الصيف .

(وأما الصيف) فهو نزول الشمس أول السرطان ، فعند ذلك تناهى طول النهار وقصر الليل ثم أخذ الليل فى الزيادة واشتد الحر وسخن الهواء وأدركت الثمار وجفت الحبوب وقلت الأنداء وأضاءت الدنيا وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان ، وانتشرت الحيوانات على وجه الأرض بعموم الخير ، وطاب عيش أهل الزمان وكثرت السموم ونقصت الأنهار ونضبت المياه وأدرك الحصاد ودرت الأخلاف ، واتسع للناس القوت وللطير الحب وللبهائم العلف ، وتكامل زخرف الأرض وصارت الدنيا كأنها عروس حسناء ذات جمال كثيرة العشاق ، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر السنبلة فعند ذلك انتهى الصيف وأقبل الخريف .

(وأما الخريف) فهو وقت نزول الشمس فى أول الميزان فعند ذلك استواء الليل والنهار

مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، وكما ذكرنا أن الربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار ، فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها ، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبست أنواع النباتات ، وماتت الهوام وانحجزت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة ، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس ، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء .

(وأما الشتاء) فهو وقت نزول الشمس أول الجدى فعند ذلك تناهى طول الليل وقصر النهار ثم أخذ النهار فى الزيادة واشتد البرد وخشن الهواء وتعرى الأشجار عن الأوراق ، وانحجزت الحيوانات فى أطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الندى، وأظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان، ومنع البرد الناس عن التصرف ومن عيش أكثر الحيوان، وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطع الذباب والبعوض وعدمت ذوات السموم من الهوام وطاب الأكل والشرب وهو زمان الراحة والاستمتاع، كما أن الصيف زمان الكد والتعب، قيل من لم يغل دماغه فى الصيف لم يغل قدره فى الشتاء، وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة دنا موتها فلا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر الحوت وقد انتهى الشتاء وأقبل الربيع مرة أخرى ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

(فصل: فى بعض العجائب المتعلقة بتكرار السنين)

قال بعض العلماء : إن الله تعالى يبعث فى كل ألف سنة نبيا بمعجزات غريبة واضحة لرفع أعلام دينه القويم وظهور صراطه المستقيم ، ويجوز أن يكون ما بين النبيين أكثر من ألف سنة أو أقل ، وكان فى الألف الأول آدم أبو البشر عليه السلام ، وفى الألف الثانى إدريس عليه السلام ، ثم نوح عليه السلام على الترتيب المذكور فيه، وفى الثالث إبراهيم عليه السلام ، وفى الرابع موسى عليه السلام ، وفى الخامس سليمان عليه السلام ، وفى السادس عيسى عليه السلام ، وفى السابع محمد صلى الله عليه وسلم ثم ختمت به النبوة وانتهت آلاف الدنيا بألفه، لما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف ومائة وليأتين عليها سنون وعلى رأس كل مائة من مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يظهر صاحب علم يرفع أعلام العلم ، فعلى رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى الثانية محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه ، وعلى الثالثة أبو العباس أحمد بن شريح ، وعلى الرابعة أبو بكر بن الخطيب الباقلانى ، وعلى الخامسة أبو حامد الغزالى ، وعلى السادسة أبو عبد الله الرازى رحمة الله عليهم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « من عمره الله أربعين سنة كف عنه أنواعا من البلاء منها الجذام والبرص وجنون الشيطان ، ومن عمره الله خمسين سنة فى الإسلام خفف حسابه يوم القيامة ، ومن عمره الله ستين سنة رزقه الإنابة بما يحب له عز وجل ، ومن عمره سبعين سنة أحبه أهل السموات وأهل الأرض ، ومن عمره ثمانين سنة محا سيئاته وكتب حسناته ، ومن عمره تسعين سنة غفر له ذنوبه وكان أسير الله فى الأرض وشفع فى أهل بيته » . وذهب العلماء إلى أن تكرار الأعوام يرى فيه حوادث عجيبة الشكل غريبة غير معهودة ، وبحسب اختلاف الأهوية معادن غريبة ونبات وأشجار بديعة ، ربما يصير العامر غامرا والغامر عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا كل ذلك بتقدير العزيز العليم .

ولنختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهى ما روى أنه كان من بنى إسرائيل شاب عابد ، وكان الخضر عليه السلام يأتيه ، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال : إذا جاءك الخضر فائتنى به وإلا قتلتك ، فقال الشاب : ويحك أآتيك بالخضر ؟ قال : نعم وإلا قتلتك ، فرجع الشاب إلى مكانه متفكراً فى أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام ، فحدثه بحديث الملك فقال : امض بى إليه ، فلما دخلا على الملك قال له الملك : أنت الخضر ؟ قال : نعم . قال : حدثنى بأعجب شىء رأيته ، فقال الخضر عليه السلام : رأيت كثيراً من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرنى الآن . كنت فى اجتيازى مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلا من أهلها متى بنيت هذه المدينة ؟ فقال : هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثرا ، ورأيت هناك رجلا يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة ؟ فقال : لم تزل هذه الأرض كذلك ، فقلت : أما كانت هاهنا مدينة ؟ فقال : ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحراً ، فلقيت هناك جمعا من الطيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحراً ؟ فقالوا : مثلك يسأل عن هذا ؟ إنها لم تزل كذلك ، قلت : أما كان قبل ذلك يبسا ؟ قالوا : ما رأيناه ولا سمعنا به عن آبائنا ، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختتلى ، فقلت : متى صارت هذه الأرض يبسا ؟ فقال : لم تزل كذلك ، فقلت له : أما كان بحر قبل هذا ؟ فقال ، ما رأيناه ولا سمعنا به قبل هذا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتها أولا ، فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال : إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ، فقال الملك : إنى أريد أن أتبعك وأفارق ملكى . فقال له : إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدلك على الرشاد ، والله الموفق للصواب . تمت المقالة الأولى فى العلويات والحمد لله رب العالمين .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ، الأزلى الذى لا أول لوجوده ولا ينتقل من حالة إلى أخرى ، الأبدى الذى لا آخر لدوامه وإليه المرجع والمنتهى ، خلق الأرض والسموات العلى ، وأبدع الأركان والأمزجة والأعضاء والقوى ، وأنشأ الجماد والحيوان وأزواجا من نبات شتى — له مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى — والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد خير الورى وعلى آله مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى .

(أما بعد) فقد أردنا أن نذكر بعض عجائب مادون فلك القمر من كرة الأثير وعجيب آثارها وكرة الهواء وصحوها وأمطارها وفوائد معادنها وخواص نباتها وأشجارها وخواص حيوانها وآثارها مستعينا بالله ومتوكلا على الله وبالله التوفيق .

المقالة الثانية فى السفليات

وهو ما دون فلك القمر من العناصر والمولدات والنظر فيها فى أمور حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها وانقلاب بعضها إلى بعض . ذهبوا إلى أن العنصر هو الأصل ، وإنما سميت هذه الأجسام عناصر لأنها أصل المولدات أعنى المعادن والنبات والحيوان ، وتسمى أيضا أركانا وهى أربعة : النار والهواء والماء والتراب ، فالنار حارة يابسة مكانها الطبيعى تحت الفلك وفوق الهواء ، والهواء حار رطب ومكانه الطبيعى تحت النار وفوق الماء ، والماء بارد رطب ومكانه الطبيعى تحت الأرض ، والهواء فوق الأرض والأرض باردة يابسة ومكانها الطبيعى الوسط ثم إن كل واحد من هذه الأركان متكيف بكيفيتين يشاكل الذى يقربه بكيفية ويضاده بأخرى فلأجل مشاكلها تقاربت مراكزها ولأجل تضادها تباينت ، واختص كل بمركز لا يقف إلا فيه إذا منعه مانع فإذا ارتفع المانع كان النزوع إلى مركز العالم فهو ثقيل وإن كان إلى المحيط فهو خفيف ، والله أعلم .

(فصل : فى انقلاب هذه العناصر بعضها إلى بعض)

أما الهواء فينقلب ماء كما يشاهد فى القطرات المجتمعة على سطح الإناء المتخذ من الصفر ، فإنك إذا تركت فيه ماء يرى على أطراف الإناء قطرات من الماء ومعلوم أن ذلك ليس من ترشح الإناء بل سببها أن الهواء المحيط بالسكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ويقع على أطراف الإناء ، والماء أيضا ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة من حرارة الشمس أو النار ، والهواء ينقلب نارا كما يشاهد من السموم فى بعض المواضع عند

شدة الحر، وكما نرى من كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه فإن هواءه يصير بحيث إذا دنا منه شيء يحترق، والماء ينقلب أرضا كما نرى من بعض المياه أنها تصير حجرا، والأرض تنقلب ماء كما يفعله أصحاب الإكسير بسحق أجزائها وخلط بعض الأدوية بها حتى تصير كلها ماء ولا تبقى فيها أجزاء الأرضية، والله تعالى هو الموفق للصواب.

(النظر الأول: فى كرة النار) النار جرم بسيط طباعه أن يكون حارا يابسا مكانه تحت كرة القلك لا لون لها، زعموا أن النار الصرف لا يدركها البصر لأنا نرى الشمع إذا اشتعل كانت شعلته منفصلة عن الفتيلة ولا شك أن الحرارة عند اتصال الفتيلة أقوى. وأيضا إن كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه صار هواء بحيث إذا دنا منه شيء يحترق ولا ضوء له، فعلم أن النار القوية الصرف لا لون لها، والنار هى فوق العناصر فى غاية القوة والخلوص فلذلك لا تدركه الأبصار. انظر إلى حكمة البارى كيف جعل كرة الأثير دون فلك القمر كيما تحترق بحرارتها الأدخنة الغليظة الصاعدة وتلطف البخارات العفنة ليكون الجو أبدا شفافا، وجعلها طبقة واحدة شديدة الحرارة محيلة لكل ما وصل إليها من الأبخرة والأدخنة ناراً صرفا لما ذكرنا من الحكمة، وخلقها غير ملونة إذ لو كانت مضيئة كالنار التى عندنا لمنعت الأبصار عن رؤية عالم الأفلاك، ثم حجبها بكرة الزمهرير ليمنع برد الزمهرير وهج الأثير عن الحيوانات والنبات وإلا لأدى إلى هلاكها، ثم أى شيء أعجب من خروج هذا الجرم النورانى من الحديد والحجر الكثيفين أو من الشجر الأخضر الذى يخالف طبيعة النار أو من الحرارة والضياء اللتين يلازمانها ثم من غلبتها وسلطانها على الأجسام حتى على الصخرة الصماء فتجعلها ترابا وعلى الحديد فتذيبه، وإذا تفكرت فى المصابيح المتعلقة بها للخلق سيما لنوع الإنسان وجدت فهم الإنسان عن ضبطها قاصرا ولهذا قال تعالى — نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم — فسبحانه ما أعظم شأنه.

(ومن النيران) العجيبة نار خلقها الله لقبول القرابين تنزل من السماء تأكل القربان المقبول وهى التى أكلت قربان هابيل دون قربان قابيل، وكان ذلك الامتحان فى بنى إسرائيل أيضا إذا أرادوا امتحان إخلاصهم تركوا القربان فى بيت لا سقف له ونبيهم يدخل البيت ويدعو الله تعالى والناس خارج البيت فينزل من السماء نار بيضاء لها دوى محيط بالقربان فتأكله وهى التى أخبر الله تعالى عنها حيث قال: — الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار — فهذه نار الرضا فسبحان من جعلها مرة للرضا ومرة للسخط، ومنها نار جعلها الله تعالى لسخطه كنار أصحاب الجنة التى ذكرها الله تعالى، وهو أنه كان لرجل صالح بستان إذا كان يوم قطافه يطعم من جاءه من المساكين، فلما مات عزم أولاده على أن لا يعطوا المساكين شيئا ويقطفوها سراً، فلما ذهبوا إليها وجدوها

قد احترقت — فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون — إلى قوله — فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون — .

(ومنها) نار الصاعقة وهى نار تسقط من السماء تحرق أى جسم صادفته وتتقد فى الصخرة الصماء لايرد عليها إلا الماء ، ذكروا أنها ربما تحجرت فتصير ألماسا فتقطع الألماس منها ، والله تعالى أعلم بذلك .

(ومنها) نار الحرتين كانت ببلاد عبس فإذا كان الليل تسطع من السماء وكانت بنو طىء تنفش بها إبلها من مسيرة ثلاثة أيام وربما بدر منها عبق فيأتى كل شىء بقربها فتحرقه ، وإذا كان النهار كانت دخانا فبعث الله تعالى خالد بن سنان العبسى وهو أول نبى من بنى إسماعيل فاحتفر لها بئراً وأدخلها والناس ينظرون حتى غيبها وقصتها مشهورة .

(فصل : فى الشهب وانقضاض الكواكب)

زعموا أن الدخان إذا صعد الهواء ولم تصبه برودة حتى يصل إلى الطبقة النارية فإن لم تنقطع مادته عن الأرض وكان فى الدخان دهنية تشتعل النار فيه ويصير كله نارا ويرجع إلى مادة الدخان : مثاله أن السراج إذا طفىء وجعل تحت شعلته سراج آخر فإذا وصل دخان المنطفىء إلى الشعلة ترجع النار عن الشعلة وتوقد السراج المنطفىء . وأما إذا كانت مادته لطيفة تأخذها النار وتصير ناراً صرفا وقد ذكرنا أن النار الصرف لاترى ، وإن كانت المادة كثيفة فإذا أخذت النار فيها تبقى زمانا فترى منها أشكالا بحسب مادة الدخان وهيئتها ، فربما يرى كوكبا ذا زاوية وعلى شكل تنين أو على شكل حيوان ذى قرنين أو على شكل أعمدة مخروطة ، وربما يرى على شكل كرة تتدحرج على شكل الفلك ، وربما كانت المادة الدخانية كثيرة فإذا أخذت النار فيها اشتعلت اشتعالا عظيما حتى أضاء الهواء منها واستنار وجه الأرض منها ، والله الموفق للصواب .

(خاتمة) من الحكماء من شبه تعلق النفس الإنسانى ببدنه إذا صار مستعداً لقبول النفس بتعلق النار بالفتيلة إذا صارت مستعدة لذلك ، وكما أن إبطال هذا التعلق سهل بنفخه أو غيره فكذلك إبطال تعلق النفس بالبدن سهل بطريق الاحترام ، وكما أن السراج ينطفىء بانتهاء الدهن فكذلك النفس تفارق عند انتهاء الرطوبة الغريزية بحدوث الحمى وغيرها ، والإنسان يعيش فى مكان لا ينطفىء فيه النار لذلك إذا أراد أصحاب المعادن والخبايا دخول فتق أو مغارة أخذوا شعلة على رأس خشبة طويلة وقدموها ، فإن بقيت الشعلة دخلوها ، وإن انطفأت لم يتعرضوا لها وتركوها ، والمصباح عند ذهاب دهنه وانطفائه ينتعش مرتين أو ثلاثا انتعاشا ساطعا ثم يخمد كما أن الإنسان قبيل موته يزيد قوة وتسمى راحة الموت ولم يكن بعد ذلك لبث ؛ والله الموفق للصواب .

(المنظر الثانى : فى كرة الهواء) الهواء جرم بسيط طباعه أن يكون حاراً رطباً شفافا متحركا إلى المكان الذى تحت كرة النار وفوق الماء زعموا أن الأجرام الواقعة ما بين سطح الماء وسطح فلك القمر ثلاثة أقسام : أولهما مايلى القمر ، وآخرها مايلى سطح الماء والأرض ، وأوسطها الهواء الواقع بينهما ؛ أما الهواء المماس لفلك القمر فلدوام دورانه مع الفلك وسرعة حركته صار نارا فى غاية الحرارة ويسمى الأثير وقد مر ذكرها ، وكلما كان منهبطا إلى أسفل كان أبطأ حركة وأقل حرارة ، وكلما قلت الحرارة غلبت البرودة إلى أن تصير فى غاية البرد ويسمى الزمهرير . وأما القسم الثالث فإنه بواسطة مطارح شعاعات الشمس وغيرها من الكواكب على سطح الأرض وانعكاسها صار معتدلا ، ولولا ذلك لكان الهواء المماس لسطح الأرض أشد بردا مما سواه كما يعرض ذلك للموضع الذى تحت القطب الشمالى لبعد الشمس عنه فيبرد فيه الهواء ويجمد الماء ويظلم الجو ويهلك الحيوان والنبات . وذكروا أن أكثر ما تكون كرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعا وأقله ما يطابق سطح الأرض فإن أعلى جبل يوجد على وجه الأرض لايبلغ ارتفاعه هذا المبلغ ، ولا تمنع حرارة الجو هناك من انعقاد الغيم فإن المانع من انعقاد الغيم فى الهواء حرارة الجو ، وأما سطح كرة النسيم فإنه متداخل فى عمق الأرض إلى نهاية ما ثم يقف ، فإن النازلين إلى أسفل لطلب المعادن إذا احتاجوا إلى النسيم نفخوا بالمنافخ والأنابيب ليستنشقوا النسيم ويضيء سراجهم فإن النسيم متى انقطع عنهم انطفأ سراجهم واختنقوا ولا يعيش الحيوان دون البرية إلا فى موضع يوجد به النسيم ؛ وللهواء تغيرات عجيبة واستحالات من النور والظلمة والحر والبرد وقد سبق القول فيه .

وأما ما يحدث من كثرة الأبخرة والأدخنة واختلاف الرياح والزوابع والهالة وقوس قزح والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والضباب والطل والصقيع والثلوج والشهب وذوات الأذناب فإن بعضها يقع فى كرة الأثير وقد ذكرناه ، ومنها مايقع فى كرة الزمهرير وكرة النسيم فلنذكر الآن ذلك ، والله الموفق للصواب .

(فصل : فى السحاب والمطر وما يتعلق بهما)

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الماء والأرض حللت من الماء أجزاء لطيفة مائية تسمى بخاراً ومن الأرض أجزاء لطيفة أرضية تسمى دخانا ، فإذا ارتفع البخار والدخان فى الهواء وتدافعهما الهواء إلى الجهات ومن فوقهما برد الزمهرير ومن أسفلهما مادة البخار غلظا فى الهواء وتداخلت أجزاء بعضهما فى بعض فيكون منهما سحاب مؤلف متراكم ، ثم إن السحاب كلما ارتفع انضمت أجزاء البخار بعضها إلى بعض حتى يصير ماكان منهما دخانا ركاما وما كان بخاراً ماء ، ثم تلتئم تلك الأجزاء المائية بعضها إلى بعض فتصير قطراً

ثم تأخذ راجعة إلى أسفل ، فإن كان صعود ذلك البخار بالليل والهواء شديد البرد منعه من الصعود وأجمده أولا فصار سحابا رقيقا ، وإن كان البرد مفرطا أجمده البخار فى الغيم وكان ذلك ثلجا لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل برفق فلذلك لا يكون له فى الأرض وقع شديد كما للمطر والبرد ، فإن كان الهواء دفيئا وارتفع البخار فى الغيوم وتراكمت منه السحب طبقات بعضها فوق بعض كما ترى فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف فإذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصارت ماء وانضمت أجزاؤها فصارت قطرا عرض لها الثقل فأخذت تهوى من أعلى السحاب ، وتلتئم القطرات الصغار بعضها إلى بعض حتى إذا خرجت من أسفلها صارت قطرا كبارا ، فإن عرض لها برد مفرط فى طريقها جمدت وصارت برداً قبل أن تبلغ الأرض وإن لم تبلغ الأبخرة إلى الهواء البارد ، فإن كانت كثيرة صارت ضبابا ، وإن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل ولم تجمد نزلت طلا وإن انجمدت نزلت صقيعا ، والله أعلم .

واعلم أن من لطف البارى عز وجل أن أنزل المطر فى كل سنة مقدارا معلوما عنده إلى مستقر الحيوان لا إلى القفار البلاقع التى لا حيوان بها ، فإن أهل التجربة زعموا أن كل بقعة بينها وبين البحر لا يكون أكثر من مسيرة أربعين يوما فإنها لا تصلح لمسكن الحيوان لأن المطر لا ينزل بها ، ثم من تمام لطفه عز وجل أن أنزل القدر الذى يكون كافيا لا قاصراً فلا ينبت شيئا ولا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ويفسده ويضر بالحيوان كما فعل بقوم نوح عليه السلام ، وإلى هذا المعنى أشار جلت قدرته بقوله : ـ أنزل من السماء ماء بقدر ـ ثم إنزاله قطرات صغيرة ، فلو صبه صبا خدش الأرض وأتلف الزرع ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه ، والله الموفق .

(فصل : فى الرياح)

زعموا أن حدوث الرياح من تموّج الهواء وتحركه إلى الجهات كما أن تموج البحر هو تدافع الماء بعضه لبعض إلى الجهات ، فإن الهواء والماء بحران واقعان غير أن أجزاء الماء ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء خفيفة الحركة . وأما كيفية حدوثها فإن الأدخنة التى تصعد من الأرض من تأثير الشمس وغيرها إذا وصلت إلى الطبقة الباردة إما أن ينكسر حرها وإما أن تبقى على حرارتها ، فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح ، وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك فتردها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح ، وربما يحلل تلك الأدخنة الهواء فيتحرك من جانب إلى جانب فيحدث منها الريح أيضا ، وسبب تحلل الهواء لها إما من خروجها من مخرج معوج أو رد الرياح النازلة إياها من الصعود المستقيم ، وربما تصل إليها رياح

أخر وتمدها أدخنة من السفل فتميلها إلى جهة أخرى ، والله الموفق .

ومن الرياح العجيبة : (الزوبعة) وهى الريح التى تدور على نفسها شبه منارة ، وأكثر تولدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحاباً تذروه الرياح المختلفة فيحدث من دروان الغيم تدوير فى الريح فينزل على تلك الهيئة ، وربما يكون مسلك صعودها مدوراً فيبقى هبوبها كذلك مدورا كما يشاهد فى الشعر الجعد ، فإن سبب جعودته قد يكون لاعوجاج المسام ، وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفى الهبوب فإنهما إذا تلاقيا تمنع إحداهما الأخرى عن الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة ، وربما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدورها وتغرقها ، وربما وقعت قطعة من الغيم فى وسط الزوبعة فتدورها فى الهواء فترى شبه تنين يدورها فى الجو ، وهذا كله من أمر الله وقدره ، والله أعلم بالصواب .

(القول : فى أصول الرياح)

أصول الرياح أربعة :

(الشمال) ومهبها من بنات نعش إلى مغرب الشمس (والجنوب) ومهبها من مطلع سهيل إلى مشرق الشمس (والصبا) ومهبها من مطلع بنات نعش إلى المشرق (والدبور) ومهبها من مطلع سهيل إلى المغرب .

(أما الشمال) فإنها باردة يابسة لأنها تأتى من الناحية التى لاتسامتها الشمس أصلا بل لا تقرب منها وتكون الثلوج والمياه الجامدة بها كثيرة فالريح يجتاز بها ويكتسب منها ، وأيضا هذه الناحية قليلة البحار كثيرة البرارى والجبال فتكتسب منها يبسا وتكون أشد هبوبا من الجنوب لأنها تهب من موضع ضيق من وسط الجبال ، والجبال بناحية الشمال كثيرة فيكون مهبها كخروج الماء من الأنبوب الضيق .

(وأما الجنوب) فمهبها على البحار التسعة فتكون كخروج الماء من الإناء الواسع الرأس ، والشمال تصح الأبدان وتصلبها وتقوى الأدمغة وتصفى اللون وتصحح الحواس وتهيج الشهوة ، وزعموا أن الرياح الشمالية والجنوبية إذا دام هبوبها على مواضع تولد الحيوان ، والشمالية تجعل أكثر أولادها ذكوراً والجنوبية أكثر أولادها إناثا ، والله أعلم .

وأما الجنوب فحارة رطبة لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء والحر مفرط هناك لأن الشمس تسامتها فى السنة دفعتين ولا تباعد عنها فتزداد بذلك حراً ، وأيضا هذه الجهة كثيرة البحار فتبخر الشمس منها أبخرة رطبة فتكتسب الجنوب منها رطوبة ، والجنوب ترخى الأبدان وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى الأسماع وغشاوة فى البصر ويظهر عند هبوب الجنوب فى البحر سواد عظيم . ومن العجب أن الجنوب إذا هبت على الماء الحار بردته والشمال إذا هبت عليه تركته على حرارته كما كان ، قالوا : سبب ذلك أن عند هبوب الشمال تكمن

الحرارة فى داخل الماء كما ترى فى الشتاء أن الحرارة تكمن فى جوف الأرض فيبقى داخلها حارا ، وأما عند هبوب الجنوب فتخرج الحرارة من داخل الماء كما ترى فى الصيف فإن الحرارة تخرج من جوف الأرض إلى خارجها ويبقى داخلها بارداً فخرجت الحرارة من داخل الماء عند هبوب الجنوب والماء فى نفسه بارد يعود إلى طبعه ، والعرب تزعم أن اللواقح من الجنوب ولا يأتى بالمطر إلا الجنوب .

(وأما الصبا) فقريبة من الاعتدال ، فإن كان هبوبها فى أول النهار فهى مائلة إلى البرد لأنها تمر على مواضع باردة فبردت ببعد الشمس عنها بالليل فتكون طيبة جداً إلا أن زمانها قليل لأن شعاع الشمس يسوقها من خلفها فإذا طلعت الشمس ساقها إلى قدامها فلا تزال كذلك تمر قدام الشعاع والشمس تلطفها وتسخنها بحرها وضيائها حتى تصير معتدلة ، وهى النسيم السحرى الذى يلتذ به الإنسان ويطيب النوم عليه ويجد المريض راحة عند هبوبها ، ويكون هبوب هذا الريح بالأسحار من الليل والغدوات من النهار ، والله الموفق .

(وأما الدبور) فإنها مخالفة للصبا لأنها تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا وكذلك تهب فى آخر النهار ولا تهب قبله ، ولا تهب بالليل لأن الشمس تبلغ موضع مهبها فى ذلك الوقت فتحلل منه البخارات ولهذا المعنى يكون زمن هبوبها قليلا ، وجميع ما ذكرناه من فوائد الصبا أمر الدبور ضد ذلك ، وحسبك قول النبى صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » .

(فصل : فى فوائد عجيبة للرياح)

منها حكايتها لما تمر به من صوت أو رائحة أو كيفية أو بخار أو دخان . ومنها إلقاحها الشجر وترطيبها الزرع وتجفيفها إياه وتغييرها طباع الحيوان حتى قيل إن لها تأثيراً فى الذكور والإناث كما ذكرنا ، وتأثيرها فى الحيوان أن بعضها يرخى البدن وبعضها يصلب . ومنها ما يصحح القوى ويصفى البشرة ويذكى الحواس ويهيج الشهوة . ومنها ما يكون بضد ذلك . ومنها إجراء السفينة الثقيلة وقطع المسافة الطويلة بمدة يسيرة ، وأعجب من هذا نشرها السحاب وسوقها إياه إلى المواضع المحتاجة إلى السقى لإحياء البلاد والعباد كما قال تعالى : — وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات — .

(فصل : فى الرعد والبرق وما يتعلق بهما)

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الأرض حللت منها أجزاء أرضية يخالطها أجزاء نارية ويسمى ذلك المجموع دخانا ، ثم الدخان يمازجه البخار ويرتفعان معا إلى الطبقة الباردة من الهواء فينعقد البخار سحابا ويحتبس الدخان فيه ، فإن بقى على حرارته قصد الصعود

وإن صار باردا قصد النزول ، وأياما كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد ، وربما يشتعل نارا لشدة المحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفا والصاعقة إن كان غليظا كثيرا فتحرق كل شيء أصابته فربما يذيب الحديد على الباب ولا يضر بخشبه ، وربما يذيب الذهب فى الخرقة ولا يضر الخرقة ، وقد يقع على الماء فيحرق حيتانه وعلى الجبل فيشقه .

واعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد وذلك لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر ، وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ ، وذلك يتوقف على تموج الهواء ، وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت ألا ترى أن القصار إذا ضرب الثوب ثم يسمع الصوت بعد ذلك بزمان ، والرعد والبرق لا يكونان فى الشتاء لقلة البخار الدخانى ولهذا المعنى لا يوجد فى البلاد الباردة عند نزول الثلج لأن شدة البرد تطفئ البخار الدخانى ، والبرق الكثير يقع عنده مطر كثير وذلك لتكاثف أجزاء الغمام فإنها إذا تكاثفت انحصر الماء فيها ، فإذا نزل نزل بشدة كما إذا احتبس الماء ومنع جريه ثم أطلق فإنه يجرى جريا شديداً ، ولهذه العلة من أمسك نفسه عن الضحك قهقه بغتة ، والله الموفق .

(فصل : فى الهالة وقوس قزح وغيرهما من الأشياء التى تظهر ونراها فى الجو)

قال القاضى عمر بن سهلان المناوى رحمه الله تعالى : تحقيق هذه الأمور موقوف على مقدمات :

(المقدمة الأولى) فى معنى انعكاس البصر وهو لا يقاس على انعكاس الضوء ، لأن انعكاس الضوء له حقيقة فى الخارج وأما انعكاس البصر فلا حقيقة له فى الخارج وإنما يقدر بطريق التوهم إذ لا فرق فى مقصودنا بين الانعكاسين ، أما انعكاس الضوء فهو أن يقع شعاع من جسم مضيء على جسم كثيف صقيل وينعكس منه ويقع على جسم يكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع الجسم المضيء من ذلك الصقيل لكنه يخالفه فى الجهة على وجه تكون زاوية الاتصال كزاوية الانعكاس وليس ذلك بشكل هندسى ، ولتكن دائرة (كر) جرم الشمس ودائرة خط المرآة الصقيلة وخط (اب) شعاع الشمس و (لح) الجسم الكثيف الذى هو فى خلاف جهة الشمس من المرآة ، فإن الشعاع يرجع من المرآة ويقع على الجسم الكثيف إذا لم يكن بينهما حائل ، فلو قدرنا أن من شعاع (اب) يقوم على سطح المرآة خط كالعمود وفرضنا على سطح المرآة خطا وهو (ده) تظهر من خط (اب) الذى هو شعاع (يه) المفروض على سطح المرآة زاوية من خط (لح) الذى هو شعاع (يه) المفروض على سطح المرآة زواية ، ومن خط (لح) الذى هو الشعاع الراجع من خط (يه) زاوية أخرى موازية للزاوية المتقدمة ، فزاوية (أىد) زاوية اتصال الشعاع ، وزاوية (هبح) زاوية انعكاس الشعاع . فإذا فرضنا خط الشعاع عمودا على سطح المرآة كخط (وى) كان ناقصا على أعقابه فإذا عرف انعكاس الضوء فيقاس عليه انعكاس البصر فنقول : إذا كان فى محاذاة النظر جسم

صقيل وتوهمنا أن خطا خرج من الحدقة واتصل بالجسم الصقيل وقدرنا خروج خط من هذا السطح بين سطح الجسم الصقيل وبين سطح الخط المتصل من الناظر فيظهر من الخطين أعنى الخط المتصل من الناظر إلى الجسم الصقيل والخط المرسوم على سطح الجسم زاويتان ، فإن كانتا قائمتين فانعكاس البصر ناكص على أعقابه ، وإن لم تكونا قائمتين فالتى تكون من طرف الناظر حادة والأخرى منفرجة ؛ فلو فرضنا خطا خارجا من النقطة المشتركه بين هذين الخطين مخالفا لجهة الناظر ويكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع خط الناظر ، فكل جسم كثيف وقع فى طريق هذا الخط يراه الناظر وتسمى هذه الرؤية انعكاس البصر كما إذا رأى الإنسان فى المرآة من كان خلفه أو على جانبيه أو كان فوقه أو تحته إذا كان بهذه الشرائط ، والله الموفق.

(المقدمة الثانية) إن المرآة الصغيرة لا يرى فيها شكل الأشياء كما هى ، بل يرى منها لونها كالشكل المربع والمثلث وأمثالها فإن شكلها لا يرى فى المرآة الصغيرة بل يرى لونها كأحمر وأسود .

(المقدمة الثالثة) إن المرآة إذا كانت ملونة لا يرى فيها لون الأشياء كما هى ، بل ترى فيها مشوبة بلون المرآة كالكافور فى الشىء الأخضر فإنه يرى أبيض مشوبا بلون الخضرة وهكذا سائر الألوان .

(المقدمة الرابعة) إن ما يرى فى المرآة لا حقيقة له فى المرآة لأنه لو كان له فى المرآة حقيقة لكان الناظر إذا انتقل إلى مكان آخر رأى ذلك الشىء فيه على وضعه ، وليس كذلك لأنا نرى شجرة فى المرآة ثم إذا انتقلنا إلى جانب آخر نرى الشجره فى جانب غير ذلك الجانب وما كان حقيقيا لا يتغير مكانه بسبب تغير مكان الناظر إليه فثبت أن ما يرى فى المرآة لا حقيقة له بل هو من باب الخيال ، ومعنى الخيال فى هذا المقام أن ترى صورة الشىء مع صورة غيره بتوهم أن إحداهما داخلة فى الأخرى ، ولا يكون فى الحقيقة كذلك بل إحداهما ترى بواسطة الأخرى من غير ثبوتها فيها ، فإذا نظر الناظر فى المرآة ، فكل جسم تكون نسبته إلى المرآة كنسبة الناظر على ما بيناه فى انعكاس شعاع البصر يصير مرئياً . إذا عرفت هذه المقدمات فنقول وبالله التوفيق :

(أما الهالة) فتحدث من أجزاء ثقيلة صغيرة حدثت فى الجو وأحاطت بغيم رقيق لطيف لا يستر ما وراءه ، وانعكس من الأجزاء الثقيلة شعاع البصر إلى القمر لأن ضوء البصر وغيره إذا وقع على الصقيل ينعكس إلى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك الصقيل كوضع المضىء منه إذ كانت جهته مخالفة لجهة المضىء ، فيرى ضوء القمر ولا يرى شكله ، لأن المرآة إذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرئى فيها بل ضوءه فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضوء القمر فترى دائرة مضيئة وهى الهالة .

(وأما قوس قزح) فإنما يكون إذا حدثت فى خلاف جهة الشمس أجزاء مائية شفافة صافية من نزول مطر وبخار ، وكانت الشمس مكسوفة قريبة من الأفق المقابل، ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم ، وإذا استدبر الناظر الشمس ونظر إلى تلك الأجزاء صارت الشمس فى خلاف جهة الناظر فانعكس شعاع البصر من تلك الأجزاء إلى الشمس لكونها صقيلة فأدت ضوء الشمس دون الشكل لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدى ضوء الشمس دون شكلها كما بينا ، وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة بحيث جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائرة على محيط فلكها لكانت تلك الأجزاء مسامتة لتلك الدائرة ، وتختلف ألوان القوس بحسب تركب لون المرآة ولون الشمس كما بينا فترى قسيا مختلفة الألوان بعضها أحمر وبعضها أخضر وبعضها أرجوانى وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية وقد ترى فى بعض الأوقات فيها أصفر أيضا ، فلو لم يكن وراء الأجزاء الثقيله التى حدثت بعد المطر أو البخار جسم كثيف لايظهر قوس قزح لأن الأجزاء الشفافة ينفذ شعاع البصر فيها ولاينعكس كالبلور إذا جعلته فى مقابلة الشمس من غير أن يكون وراءه جسم كثيف ينعكس عنه شعاع البصر . قال بعضهم : سبب اختلاف ألوانها قربها من الشمس وبعدها فما يرى منها أحمر فإنه أقرب إلى الشمس وما يرى أصفر فإنه أبعد من الأحمر ومايرى أرجوانيا فبعيد عن الشمس ومخالط للظلمة وما يرى كميتا فمركب من الصفرة والأرجوانى والبنفسجى . وحكى الشيخ الرئيس أنه كان على الجبل الذى بين باورد وطوس وأنه أعلى الجبال وكانت السماء مكشوفة فقال : كنت فى وسط الجبل بينى وبين الأرض سحاب رطب والشمس فى وسط السماء فنظرت إلى السحاب الذى كان بينى وبين الأرض فرأيت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت فى النزول عن الجبل والدائرة تصغر فكلما نزلت رأيتها أصغر مما كانت قبل ذلك إلى أن وصلت إلى السحاب فاضمحل .

(النظر الثالث : فى كرة الماء) الماء جرم بسيط طباعه أن يكون بارداً رطبا شفافا متحركا إلى المكان الذى تحت كرة الهواء وفوق كرة الأرض ، زعموا أن شكل الماء كروى لأن راكب البحر إذا قرب من جبل ظهر أعلاه أولا ثم أسفله مع أن البعد بينه وبين الأعلى أكثر مما بينه وبين الأسفل، ولو لم يكن للماء حدبة تمنع من ذلك لما رأى أعلاه قبل أسفله لكن استدارة كرة الماء غير صحيحة ، لأن البارى تعالى لما أراد أن يجعل الأرض مقرا للحيوان وحيوانات البر لابد لها من الهواء للتنفس ومن الأرض للمقر فخلق جلت قدرته الأرض ذات تضاريس خارجة من الماء بمنزلة خشونات تكون على ظاهر الكرة وذلك لا يقدح فى أن يكون شكل الماء أو شكل الأرض كرويا ، ثم إنه تعالى جعل التضاريس محلا للحيوانات البرية والوهاد للحيوانات المائية وكل واحد من الأركان فى حيزه محيط

بالآخر إلا الماء فإنه منعته العناية الإلهية عن الإحاطة بجميع جوانب الأرض لما ذكرنا من الحكمة .

واعلم أن الماء عذب ومالح وكل واحد منهما له فائدة لا توجد فى الآخر ، أما المالح فملوحته من الأجزاء الأرضية السبخة التى احترقت من تأثير الشمس واختلطت بالمياه وجعلتها مالحة ، فلو بقيت على عذوبتها لتغيرت من تأثير الشمس وكثرة الوقوف لأن من شأن الماء العذب أن ينتن من كثرة الوقوف وتأثير الشمس فيه ، ولو كان كذلك لسارت الرياح بنتنها إلى أطراف الأرض فأدى إلى فساد الهواء ويسمى ذلك طاعونا فصار ذلك سببا لهلاك الحيوان فاقتضت الحكمة أن يكون ماء البحر مالحا لدفع هذا الفساد . ومن فوائد الماء المالح الدر والعنبر وأنواع ما يؤتى به من البحر وسيأتى شرحها مفصلا إن شاء الله تعالى : والمياه المالحة فى الحمأة فيها شفاء للأمراض الصعبة وماء زمزم صالح لجميع الأمراض المتفاوتة : قالوا : لو جمع جميع من داواه الأطباء لا يكون شطرا ممن عافاه الله تعالى يشرب ماء زمزم : وأما العذب فمعظم فائدته الشرب وفيه قوة إذا نقعت فيه مطعوما كالزبيب مثلا يمص جميع حلاوتها حتى لا يترك فيها شيئا من الحلاوة ، وإذا خالط شيئا يأخذ طبعه ولونه فيصير عسلا وزيتا وخلا ولبنا ودما يقبل جميع الألوان والطعوم ولا لون له ولا طعم : ومن عجيب لطف الله تعالى أن كل مأكول ومشروب يحتاج إلى تحصيل أو معالجة حتى يصلح للأكل إلا الماء فإن الله تعالى أكثر منه ولا حاجة إلى معالجته لعموم الحاجة إليه ؛ فإن الله تعالى كفى الخلق معالجة إصلاح الماء بتأثير الشمس فى مياه البحر وارتفاع البخار منها ، ثم إن الرياح تسوق ذلك البخار إلى المواضع التى شاء وينزلها مطرا ثم يجول ذلك فى الأوشال والكهوف فى جوف الجبال وتحت الأرض وتخرج منها شيئا بعد شىء ، وتجرى الأنهار والأودية وتظهر من القنى والآبار بقدر ما يكفى العباد لعامهم ، فإذا جاء العام المقبل أتاهم مطر وهكذا مثل الدولاب يدور حتى يبلغ الكتاب أجله ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

(فصل : فى صيرورة البحر فى جانب الأرض)

إن من عجيب صنع الله تعالى انحسار الماء عن وجه بعض الأرض ولولا ذلك لكان الأمر الطبيعى يقتضى أن يكون الماء لابسا جميع وجه الأرض حتى تصير الأرض فى وسطه شبيهة بمح البيض والماء حولها بمنزلة البياض ولو كان كذلك لبطل النظام الحسى والحكمة العجيبة التى مر ذكرها من خلق الحيوان والنبات ، فاقتضى التدبير الإلهى المخالفة بين مركز الأرض ومركز الشمس لتدور على مركزها الخاص الذى هو غير مركز الأرض ليقرب من ناحية من الأرض ويبعد من الأخرى فصارت الناحية القريبة منها تحمى ماءها ، ومن شأن الماء إذا حمى أن ينجذب إلى الجهة التى يحمى فيها بالبخار فإذا انجذب إلى هناك انحسر

عن وجه الأرض من الجانب الذى يقابله من الشق الذى تبعد عنه الشمس، والشق الذى قربت منه الشمس هو الجنوب والشق الذى بعدت عنه هو الشمال، فصار جانب الجنوب بحرا وجانب الشمال يبساً لتتم حكمته وينتظم أمر العالم على ماهو موجود وما نرى من البحار من مستنقعات على وجه الأرض، وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى.

(فصل: فى أحوال عجيبة تعرض للبحار)

إن للبحار أحوالا عجيبة من ارتفاع مياهها وهيجانها فى أوقات مختلفة من الفصول الأربعة وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار. أما ارتفاعها فزعموا أن الشمس إذا أثرت فى مياهها لطفت وتحللت وملأت مكانا أوسع مما كان فيه قبل فدافعت أجزاؤها بعضها بعضا إلى الجهات الخمس: الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق فتكون على سواحلها فى وقت واحد رياح مختلفة، هذا ما ذكروه فى سبب ارتفاع مياهها. وأما مد بعض البحار فى وقت طلوع القمر، فزعموا أن فى قعر البحر صخورا صلدة وأحجارا صلبة، وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح أشعته إلى تلك الصخور والأحجار التى فى قرارها ثم انعكست من هناك متراجعة فسخنت تلك المياه وحميت ولطفت فطلبت مكانا أوسع وتموجت إلى ساحلها ودفع بعضها بعضا وفاضت على شطوطها وتراجعت المياه التى كانت تنصب إليها إلى خلف، فلا تزال كذلك مادام القمر مرتفعا إلى وسط سمائه فإذا أخذ ينحط سكن غليان تلك المياه وبردت تلك الأجزاء وغلظت ورجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها، فلا يزال كذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربى ثم يبتدئ المد على مثال عادته فى الأفق الشرقى، ولا يزال ذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى وتد الأرض وينتهى المد، ثم إذا زال القمر عن وتد الأرض أخذ الماء راجعا إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقى هذا قولهم فى مد البحار وجزرها. وأما هيجانها فكهيجان الأخلاط فى الأبدان فإنك ترى صاحب الدم والصفراء وغيرهما يهتاج به الخلط ثم يسكن قليلا قليلا، وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بعبارة لطيفة فقال «إن الملك الموكل بالبحر يضع رجله بالبحر فيكون منه المد ثم يرفع فيكون منه الجزر».

ولنذكر الآن هيئات البحار وبعض ما يتعلق بها من العجائب، والله الموفق:

(البحر المحيط) هو البحر العظيم الذى منه مادة سائر البحار ولم يعرف ساحله يسميه اليونانيون أوقيانوس، والبحار التى تراها على وجه الأرض هى بمنزلة الخلجان له، وفيها من الجزائر المسكونة والخربة مالا يعلمه إلا الله تعالى. قال أبو الريحان الخوارزمى رحمه الله تعالى: إن البحر الذى فى مغرب المعمورة على ساحل بلاد الأندلس يسمى البحر المحيط وتسميه اليونانيون أوقيانوس لا يولج فيه وإنما يسلك بالقرب من ساحله، ويمتد من هذه

البلاد نحو الشمال فيخرج منه خليج نبطس عند اليونانيين وعند غيرهم بحر طرابزندة يمر عليه سور القسطنطينية ويتضايق حتى يقع فى بحر الشام ، ثم يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج عظيم فى شمال الصقالبة يمتد إلى أرض قريبة من أرض بلغار.

(البحر الأبيض) ينحرف نحو المشرق بين ساحله وبين أقصى أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وخربة غير مسلوكة ، ثم يتشعب منه خليج من أعظم الخلجان يكون منه البحر الذى يسمى فى كل موضع من الأرض التى تحاذيه باسمه فيكون أولا بحر الصين ثم بحر الهند ، ثم يخرج منه خليجان عظيمان أحدهما بحر فارس والآخر بحر القلزم ، ثم ينتهى إلى بحر معروف ببحر البربر ويمتد من عدن إلى سفالة الزنج وهذا البحر لا يتجاوزه مركب لعظم المخاطرة ، ثم ينتهى إلى الجبال المعروفة بالقمر التى ينبع منها عيون نيل مصر ثم إلى أرض سودان المغرب ثم إلى بلاد الأندلس وبحر أوقيانوس ، وفى هذا البحر من الجزائر مالا يعرفه إلا الله تعالى . وأما ما وصل إليه الناس فكثير كل جزيرة من عشرين فرسخا إلى مائة فرسخ وإلى ألف فرسخ والمشهور منها جزيرة قبرص وجزيرة شامس وجزيرة رودس وجزيرة صقلية ، وفى جهة الجنوب جزائر الزنج وسرنديب وسقطر أو جزائر الدنيجات .

وأما بحر الخزر فإنه غير متصل بالمحيط ولا بشىء من البحار وهو مستدير إذا أراد السائر أن يطوف به على ساحله لا يمنعه شىء . وذكر السمرقندى فى كتابه أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر فبعث مركبا فيه وأمره بالمسير سنة كاملة لعل أن يأتى بخبر فسار المركب سنة كاملة ما رأى سوى سطح الماء ، وأراد الرجوع فقال بعضهم نسير شهراً آخر لعلنا نطلع على شىء نبيض به وجوهنا عند الملك ونقلل الزاد والماء فى الرجوع ، فساروا شهراً آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهما كلام الآخر فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا به وزوجوه امرأة منهم فأتت بولد يفهم كلام الوالدين ، فقالوا له : سل أباك من أين جئت ؟ فقال : من ذلك الجانب ، فقال : لأى شىء ؟ قال : بعثنا الملك لنعرف حال هذا الجانب ، فقيل له : وهل لكم ملك ؟ قال : نعم أعظم من هذا الملك ، والله أعلم بصحة هذا القول .

(بحر الصين) هو متصل بالبحر المحيط ، حده من المشرق إلى القلزم ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط ، ويقال له بحر الهركند وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق . قال البحريون : جميع المد والجزر فى بحر الهركند وما يتصل به كما فى بحر فارس ، وكيفيته أن القمر إذا بلغ مشرق البحر ابتدأ بالمد ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ القمر وسط سماء ذلك الموضع فعند ذلك ينتهى المد منتهاه ، فإذا انحط القمر عن وسط سمائه خنس الماء ورجع ، ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر مغرب ذلك الموضع ، فعند ذلك

ينتهى الجزر منتهاه ، فإذا زال القمر من مغرب ذلك ابتدر المد هناك مرة ثانية ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد منتهاه ثانيا ويبتدئ الجزر مرة ثانية إلى أن يبلغ القمر أفق ذلك الموضع فيعود الحال المذكور مرة ثانية . قال أبو الريحان فى كتابه المسمى [بالآثار الباقية] : إن بحر الصين إذا قرب هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى وجه الماء ، وإذا دنا سكونه يبيض طائر مشهور فى البر فى مجمع القرى وهو طائر لا يصير إلى الأرض أبدا ولا يعرف غير لجة البحر ، ووقت سكون البحر وقت بيضه . وفى هذا البحر من الجزائر مالا يحصى وفيه مغاص الدر فى الماء العذب يقع فيه الحب الجيد، وفى بعض جزائره ينبت الذهب وفيه الحيوانات العجيبة الأشكال ، وفيه الدردور وهو الموضع الذى إذا وقعت السفينة فيه لا تخرج ، ولنذكرها إن شاء الله تعالى .

(فصل : فى جزائر بحر الصين)

جزائر هذا البحر كثيرة لا يعلمها إلا الله لكن بعضها مشهور يصل إليه الناس : منها جزيرة راتج وهى جزيرة كبيرة فى حدود الصين أقصى بلاد الهند يملكها ملك يقال له المهراج . قال محمد بن زكريا : للمهراج جباية تقع فى كل يوم مائتا من من الذهب زنة كل من ستمائة درهم يتخذ منها لبنا ويطرحه فى الماء وخزانته الماء . وقال ابن الفقيه : بها سكان شبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحش أشبه ولهم كلام لا يفهم وبها أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة. قال : وبها نوع من النسانيس له أجنحة كأجنحة الخنافس مع أصل الأذن إلى الذنب ، وفيها وعول كالبقر الوحشية ألوانها حمر منقطة ببياض وأذنابها كأذناب الظباء ولحومها حامضة ، وبها دابة الزباد وهى شبه الهر يجلب منها الزباد ، وبها فأر المسك . وبها جبل يسمى النصان وهو جبل مشهور به حيات عظام منها ما يبتلع الفيل ، وبها قردة بيض كأمثال الجواميس وأمثال الكباش ، ونوع آخر أبيض الصدر أسود الظهر. قال زكريا ابن يحيى بن خاقان : بجزيرة الراتج صنف من الببغاء بيض وحمر وصفر يتكلم بأى لغة تكون ، وبها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل ويشرب كالإنسان وهم بيض وسود وخضر ولها أجنحة تطير بها . وقال ابن بحر السيرافى : كنت ببعض جزائر الراتج فرأيت وردا كثيراً أحمر وأصفر وأزرق وغير ذلك فأخذت ملاءة حمراء وجعلت فيها شيئا من الورد الأزرق فلما أردت حملها رأيت نارا فى الملاءة أحرقت جميع ما فيها من الورد ولم تحرق الملاءة ، فسألت الناس عنها؟ فقالوا : إن فى هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن إخراجه من هذه الغيضة . قال محمد بن زكريا : من عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور وهو عظيم جدا الشجرة تظل مائة إنسان وأكثر فيقرأ على الشجرة فيسيل ماء الكافور عدة جرار ،

ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فتنثر منها قطع الكافور وهو صمغ تلك الشجرة فإذا أخذ منها ذلك يبست .

(ومنها) جزيرة رامنى وفيها عجائب كثيرة . قال ابن الفقيه : فيها ناس حفاة عراة رجالا ونساء لا يعرف كلامهم ، مساكنهم رؤوس الأشجار وعلى أبدانهم شعور تغطى سوآتهم وهم أمة لا يحصى عددها مأكلهم ثمار الأشجار ويستوحشون من الناس ، فإذا حمل أحد منهم إلى مواضع الناس لا يستقر وينفر إلى الغياض . وقال محمد بن زكريا الرازى : بجزيرة الرامنى ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه شبه صفير ويستوحشون من الناس، طول أحدهم أربعة أشبار وجوههم عليها زغب أحمر ويصعدون على الأشجار ، وبها شجر الكافور والخيزران والبقم ويغرس شجر البقم غرسا وحمله أشبه بالخرنوب وطعمه طعم العلقم .

قال محمد بن زكريا الرازى : بجزيرة الرامنى الكركدن، وهو حيوان على شكل الحمار العظيم جدا على رأسه قرن واحد معقف ، وقال أيضا : إن بها جواميس لا أذناب لها ، ومنها جزائر السلاهى وهى جزائر كثيرة من دخلها من الآدميين لا يخرج منها لكثرة خيرها ، وفيها ذهب كثير وبزاة شهب وشواهين . ومن العجائب ما حكى أن ملوك السلاهى بها دون ملك الصين ويزعمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك قحطت بلادهم ولم يمطروا حكاه ابن الفقيه فى كتابه .

(ومنها) جزيرة الواق واق تتصل بجزائر الراتج والمسير إليها بالنجوم . قالوا : إنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة . قال موسى بن المبارك السيرافى : دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكارا . قالوا : إنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرا يسمع من يمر بها صوته كأنه يقول واق واق ، وأهلها يفهمون من هذا الصوت شيئا فيتطيرون منه . قال محمد بن زكريا : هى جزيرة كثيرة الذهب حتى إن أهلها يتخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وبها شجر الأبنوس .

(ومنها) جزيرة البنان ، فيها قوم عراة ألوانهم بيض ولهم جمال وحسن صورة ، يأوون إلى رؤوس الجبال ويأكلون الناس ، ومن وراء ذلك جزيرتان عظيمتان طولا وعرضا فيهما قوم سود لهم خلق عادى ، أجسامهم عظيمة وشعورهم مغلغلة ووجوههم طوال وقدم أحدهم مقدار ذراع ، ويأكلون الناس أيضا .

(ومنها) جزيرة أطوران وهى جزيرة كبيرة بها الكركدن ونوع من القرود كالحمر العظام وبها شجرة الكافور . ذكر أن مراكب الإسكندر وقعت فى هذا البحر فوصلت إلى جزيرة فيها قوم على هيئة الإنسان رؤوسهم كرؤوس السباع فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم .

(فصل : فى الحيوانات العجيبة التى وجدت فى هذا البحر)

(منها) أنه إذا كثرت أمواج هذا البحر ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الحبشة فيصعدون المراكب من غير ضرر .

(ومنها) ما حكى التجار أنهم يرون فى هذا البحر شبه طائر من نور لا يستطيع الناظر أن ينظر إليه لأنه يملأ بصره ، فإن ارتفع على أعلى الرقل يرون البحر يسكن والأمواج تهدأ ويكون ذلك دليل السلامة ، ثم إنه يفقد فلا يدرون كيف ذهب .

(ومنها) طائر يسمى خرشة أكبر من الحمام . قال فى [تحفة الغرائب] إذا طار هذا الطائر يأتيه طائر آخر يقال له كركر يطير تحته ويتوقع وقوع ذرقه فإن غدا كركر تحته ذرق خرشنة عليه وإنه لا يذرق إلا فى طيرانه .

(ومنها) دابة المسك تخرج من الماء فى كل سنة فى وقت معلوم فتصاد وهى شبيهة بالظباء تذبح ويوجد فى سرتها دم هو المسك ، ولا يوجد لها هناك رائحة حتى تحمل إلى غيرها من البلاد .

(ومنها) دابة تستوطن شيئا من الجزائر هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب مقعقعة ولها جناحان تأكل دواب البحر .

(ومنها) سمكة تزيد على ثلثمائة ذراع يخاف على السفينة منها وتوجد عند جزيرة واق واق ، فإذا عرف القوم مرورها صاحوا وضربوا بالخشب لتهرب من أصواتهم فإذا رفعت جناحها يكون كالشراع .

(ومنها) سلاحف ، استدارة كل سلحفة عشرون ذراعا تبيض كل واحدة ألف بيضة ، وهذا أيضا يوجد بقرب جزيرة واق واق .

(ومنها) سمكة تسمى سيلان . قال صاحب [تحفة الغرائب] هذه السمكة تبقى على اليبس يومين حتى تموت ، فإذا جعلت فى القدر وغطى رأسه تنضج ، وإن ترك رأس القدر مكشوفا فإذا أثرت فيها النار طفرت وهربت ، وتختبئ فى كل موضع كابن عرس .

(ومنها) سمكة يقال لها الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج النساء ، ولها مكان الفلوس شعر وهو طبق من لحم وطبق من شحم .

(ومنها) نوع من السرطان يخرج من البحر يكون كالشبر وأصغر من ذلك وأكبر ، فإذا بانت عن الماء بسرعة حركة وطارت إلى البر عادت حجراً وزالت عنها الحيوانية ، وتدخل فى أكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض .

(ومنها) حيات عظيمة تخرج إلى البر وربما تبلع الجاموس والفيل وتنطوى على صخرة أو شجرة فتكسر عظامها فى بطنها فيسمع لكسر العظام صوت ، وفى هذا البحر مغاص الدردور ، فإذا وقعت السفينة دارت فيه ولم تكد تخرج والملاحون يعرفون مكانه ويجتنبون عنه .

حكى بعض التجار قال : ركبت هذا البحر فى جمع من التجار فجاءتنا ريح عاصف صرفت المركب عن طريق المقصد وكان معلم المركب شيخا حاذقا إلا أنه كان أعمى ، وكان يستصحب معه فى السفينة شيئا كثيرا من الجبال وأصحابه ينكرون عليه ويقولون لو حملنا مكان الجبال أحمال التجارة لأصبنا خيرا كثيرا ، فلما أصابتنا الريح العاصف كان المعلم يقول لأصحابه انظروا ماذا ترون وهم يخبرونه بالحال إلى أن قالوا نرى طيرا أسود على وجه الماء ، فجعل يدعو بالويل والثبور ويضرب على رأسه ويقول هلكنا والله ، فسألناه عن سبب ذلك ؟ فقال سترون مايغنيكم عن إخبارى ، فما كان إلا يسير حتى وقعنا فى الدردور ، والذى حسبناه طيرا أسود كانت مراكب فيها أناس موتى فبقينا حيارى وانقطع رجاؤنا عن الحياة وانتظرنا الموت ، فلما شاهد المعلم منا ذلك قال : ياقوم هل لكم أن تجعلوا لى شطر أموالكم على إخراجى إياكم من هذه الغمرة ؟ فقلنا رضينا بذلك ، فأمر بأخذ قنينتين مملوءتين من الدهن فأدلينا فى البحر فاجتمع عليهما من السمك مالا يحصى ، ثم أمر بتشريح الموتى الذين كانوا فى المراكب وشدها فى الحبال التى كانت معه ورموها فى البحر فأكلها السمك ، ثم أمر القوم بضرب الدف والأخشاب والصياح والتصفيق فإذا المركب تحرك عن مكانه وجرى ، فلم يزل يفعل ذلك حتى خرجنا من الدردور ثم أمر بقطع الحبال فنجونا سالمين بإذن الله تعالى .

(بحر الهند) هو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ولا يعلم أحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظم اتصال الموضع وسعته ، وليس كالبحر الغربى فإن انفصال البحر الغربى عن المحيط ظاهر ، ويتشعب من الهندى خليجان وأعظمها بحر فارس والقلزم فالآخذ منه نحو الشمال بحر فارس والآخذ منه نحو الجنوب بحر الزنج . قال ابن الفقيه : بحر الهند حاله مخالف لبحر فارس لأن عند نزول الشمس الحوت وقربها من الاستواء الربيعى يبدأ بالظلمة وكثرة الأمواج فلا يركبه أحد لظلمته وصعوبته ولا يزال كذلك إلى قرب الاستواء الخريفى ، وأشد ماتكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس فى الجوزاء ، فإذا صارت الشمس إلى السنبلة تقل ظلمته وتنقص أمواجه ويلين ظهره ويسهل ركوبه إلى أن تصير الشمس إلى الحوت وألين ما يكون عند نزول الشمس بالقوس ، وفى هذا البحر عجائب كثيرة من الجزائر والحيوان وغيرها فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

(فصل : فى جزائر هذا البحر)

قال بطليموس : إن فى هذا البحر من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم مالا يحصى عددهم لكن المشهور منها ما يصل إليه أهل بلادنا .

(منها) جزيرة برطايل وهى قريبة من جزيرة الراتج . قال ابن الفقيه : بها قوم وجوههم كالمجان المطرقة وشعورهم كأذناب البزاذين وبها الكركدن وبها جبال يسمع منها بالليل صوت

الطبل والدف والصياح المزعج والصيحة المنكرة، والبحريون يقولون: إن الدجال فيها ويخرج منها، وفى هذه الجزيرة يباع القرنفل وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضاعتهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم ويبيتون فيها، فإذا أصبحوا جاءوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئا من القرنفل فإن رضيه أخذه وترك البضاعة، وإن أخذ البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يرد أحدهما إلى مكانه، وإن طلب أحدهم الزيادة ترك البضاعة والقرنفل فيزاد له فيه. وذكر بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوما مردا صفرا وجوههم كوجوه الأتراك آذانهم مخروقة ولهم شعور على زى النساء فغابوا عن بصرهم، ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا مدة يترددون إلى الساحل فلم يخرجوا إليهم شيئا من القرنفل فعلموا أن ذلك سبب نظرهم إليهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه. وخاصية هذا القرنفل أنه إذا أكله الإنسان رطبا لا يهرم ولا يشيب شعره، ولباس هذه الأمة ورق شجرة يقال لها اللوف يأكلون ثمرتها ويلتحفون بورقها، ويأكلون أيضا السمك والموز والنارجيل، ويصطادون من البحر حيوانا على شكل السرطان وهذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجرا صلدا وهو مشهور يدخل فى الأدوية التى تتعلق بالكحل.

(ومنها) جزيرة السلامة، يجلب منها الصندل والنبل والكافور، ويخرج إليها من البحر سمكة تصعد الأشجار وتأكل فواكهها وتمصها مصاً ثم تسقط كالسكران فيأتى الناس فيأخذونها. وقال فى [تحفة الغرائب] بهذه الجزيرة عين فوارة يفور الماء منها وبقربها ثقبة ينزل فيها فما بقى من الرشاشات على أطرافها ينعقد حجراً صلداً فما كان من الرشاشات فى النهار يصير حجراً أبيض وما كان فى الليل يصير حجراً أسود.

(منها) جزيرة القصر وهى جزيرة فيها قصر أبيض يتراءى للمراكب فإذا شاهدوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح والفائدة. ذكروا أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما فى داخله، وكان بعض الملوك سار إليها فدخل القصر بأتباعه فغلبهم النوم وخدرت أجسامهم فلم يقدروا على الحركة فبادر بعضهم إلى المراكب وهلك الباقون.

(ومنها) أن أصحاب ذى القرنين رأوا فى بعض الجزائر أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب وأنيابهم خارجة من أفواههم مثل لهيب النار خرجوا إلى المراكب وحاربوهم فرأوا نوراً بعيداً ساطعا فإذا هو قصر من البلور تخرج منه هذه الأمة، فأراد ذو القرنين النزول عليهم ودخول القصر فمنعه بهرام الفيلسوف وقال: من نزل هذا القصر يغلبه النوم والغشى ولا يستطيع الخروج فتظفر به هذه الأمة.

(ومنها) الجزائر الثلاث. قال صاحب [تحفة الغرائب]: هى ثلاث جزائر إحداها بجنب الأخرى. فى إحداها تبرق السماء طول الليل. وفى الثانية تهب ريح شديدة. وفى الثالثة تمطر السحاب، ولا تزال كذلك من سنة إلى سنة أخرى.

(ومنها) جزيرة حارة بها جبل عليه نار عظيمة بالليل ترى من بعد بعيد وبالنهار دخان ولا يقدر أحد على الدنو منها وبها العود والموز والنارجيل وقصب السكر وسكانها قوم شقر على صورة الناس إلا أن وجوههم على صدورهم.

(ومنها) سمكة كبيرة معروفة عندهم يكتب الكتاب برطوبتها لا يبين على الكاغد شيء فإذا كان الليل يظهر على الكاغد كتابة واضحة ويكتب برطوبتها من أراد أن لا يطلع على مكتوبه أحد.

(ومنها) سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل منها اعتصم من الطعام أياما.

(ومنها) سمكة مدورة يقال لها مارماهى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لا تقوم لها في البحر سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها.

واعلم أن في البحر حيوانات كثيرة ذوات صور شتى وليس في ذكرها فائدة فالاقتصار على البعض أولى، وقد قيل: حدّث عن البحر ولا حرج.

وأما الحيوانات المائية المشهورة فنذكرها إن شاء الله تعالى.

(بحر فارس) هو شعبة من بحر الهند الأعظم من أعظم شعبها، وهو بحر مبارك كثير الخير لم يزل ظهره مزكوبا، واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار.

قال محمد بن زكريا: سئل عبد الغفار الشامى البحرى عن مد البحار وجزرها فقال: لا يكون المد والجزر في البحر الأعظم في السنة إلا مرتين مرة يمد في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر، فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر عن مشارقه. أما بحر فارس فإنه يكون على مطالع القمر وكذلك بحر الصين والهند وبحر طرابزندة، فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق هذا البحر أخذ المد مقبلا مع القمر، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وسط سماء ذلك الموضع فيجزر الماء، ولا يزال راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه، فعند ذلك يكون قد انتهى الجزر إلى منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد هناك مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى، ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وتد الأرض فحينئذ انتهى المد إلى منتهاه في المرة الثانية في ذلك الموضع ثم يبتدئ بالجزر والرجوع، ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود الماء على مثل ما كان عليه أولا، ولهذا البحر مد آخر بحسب امتلاء القمر ونقصانه، فإذا كان أول الشهر أخذ الماء في الزيادة ويزداد كل يوم إلى منتصف الشهر فعند ذلك بلغ المد منتهاه، ثم يأخذ في النقصان وينقص كل يوم إلى آخر الشهر، فعند ذلك بلغ الجزر منتهاه، ثم يعود إلى ما كان أولا ويأخذ في المد.

قال ابن الفقيه: بحر فارس وإن كان متصلا ببحر الهند إلا أن حالهما مختلف في السكون والاضطراب لأن بحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند وسكونه،

وكذلك بحر الهند تكثر أمواجه عندسكون بحر فارس، فأول ما تبدو صعوبة بحر فارس عند نزول الشمس ببرج السنبلة قريبة من الاستواء الخريفى ، ولا يزال يزداد فى كل يوم اضطرابه حتى تصير الشمس فى الحوت ، وأصعب ما يكون آخر الخريف عند نزول الشمس القوس ، فإذا قربت من الاستواء الربيعى يعود إلى السكون ، وأسهل ما يكون ظهره آخر الربيع حال نزول الشمس الجوزاء .

قال أبو عبـــد الله الحسينى : خصص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات والفوائد والعجائب فإن فيه المد والجزر وغزارة الماء، فإن الماء فيه من سبعين ذراعا إلى ثمانين ، وفيه مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ الذى لا يوجد مثله فى شىء من البحار ، وفى جزائره معدن العقيق وأنواع اليواقيت والسنبادج ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطيب والأفاويه ، وفيه الدردور أيضا الذى لا ينجو منه شىء من المراكب إذا وقع فيه إلا ما شاء الله ، وفيه عوير وكسير وهما موضعان قلما يسلم منهما مركب، وفيه حيوانات عجيبة الأشكال والصور وسيأتى ذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

(ومنها) جزيرة ليكالوس . أهلها عراة وطعامها الموز والسمك الطرى والنارجيل وأموالهم الحديد يتعاملون عليه وتأتى التجار ويعاملونهم فى الحر ويتحاون بالحديد كما يتحلى الناس بالذهب ؛

(ومنها) جزيرة التنين ، وهى جزيرة واسعـــة عامرة وفيها جبال وأشجار وعلى حصونها سور عال يظهر به تنين عظيم ، فاستغاث أهلها بالإسكندر وذكروا أن التنين أتلف مواشيهم وأنهم يأخذون له كل يوم ثورين وينصبونهما قريباً من موضعه فيقبل كالسحابة السوداء وعيناه تتقدان كالبرق الخاطف والنار تخرج من فيه فيبلع الثورين ويعود إلى موضعه ؛ فلما سمع الإسكندر ذلك أمر بإحضار الثورين فسلخهما وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وجعلهما فى ذلك المكان، فخرج التنين وابتلعهما فاضطربت أحشاؤه فى جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه فانتظره الناس فى اليوم الآخر فلما وجدوا له أثرا فذهبوا إليه فإذا هو ميت فاتح فاه ، ففرح الناس بموته وشكروا سعى الإسكندر وحملوا إليه هدايا عجيبة ؛ ومن جملتها دابة عجيبة يقال لها المهراج مثل الأرنب أصفر اللون وعلى رأسها قرن واحد أسود لم يرها شىء من السباع إلا هرب ، والله أعلم .

(فصل : فى حيوانات هذا البحر)

قال صاحب عجائب الأخبار : فى هذا البحر طائر يقال له فنون وهو مكرم لأبويه ؛ وذلك أن هذا الطائر إذا كبر وعجز عن القيام بأمر نفسه اجتمع عليه فرخان من فراخه يحملانه على ظهريهما إلى مكان ويبنيان له عشاً وطيئاً ويتعاهدانه بالماء والعلف؛ ذكروا أن الله تعالى أكرم هذا الطائر بأن سخر له البحر فإنه إذا باض سكن البحر أربع عشرة ليلة

حتى تخرج فراخه فى هذه المدة اليسيرة ، والبحريون يتبركون به فإذا كان أول سكون البحر علموا أن هذا الطائر قد باض .

(ومنها) سمكة وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط وتظهر على وجه الماء ، ومنها سمكة تطفو على وجه الماء فإذا رأت حيوانا مفتوح الفم تدخل فى فمه وتصير غذاءه ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(ومنها) حيوان يطلع من الماء ويرتفع والنار تخرج من منخره وتحرق ما حول مراتعه ، فإذا رأوا الأرض المحترقة عرفوا أنها مراتع ذلك الحيوان ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(ومنها) سمكة طيارة تطير ليلا وتأكل الحشيش طول الليل فإذا كان قبل طلوع الشمس عادت إلى البحر .

(فصل : فى جزائر هذا البحر)

اعلم أن أكثر جزائر هذا البحر مسكونة معمورة يأتيها الرجال :

(منها) جزيرة خارك ، بها معادن اللؤلؤ : ذكر البحريون أن صدف الدر لا يوجد إلا فى بحر تصب فيه الأنهار العذبة ، فإذا أتى وقت الربيع يكثر هبوب الرياح وارتفاع الأمواج فتحمل رشاشات من بحر أوقياس ، وفيه ماء شبيه بالزئبق لزج مثل الغراء فيتولد منه الدربان تقع تلك الرشاشات فى محل الصدف فيلقمه الصدف كما يلقم الرحم المنى فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا وربما تقع رشاشات فتنعقد منها أجزاء صغار كما نرى فى أكثر الأصداف ، ثم إن الصدفة إذا التقمت المطر خرجت من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج فى وسط النهار فإن شدة حرارة الشمس ووهجها تفسد الدر ، فإذا خرجت فتحت فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من الأثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون فى الصدف كما يتكون الجنين فى الرحم ، ثم إن جوف الصدف إن كان خاليا من الماء المر يكون الدر كدرا أو أصغر غير مهندم ، وإذا تم الدر فى الصدف ينتقل الصدف إلى موضع صلب وتثبت عروقه فيه ويكون عند الناس خيرا من وصول قفل الصدف فإذا انتقل إلى أرض البحرين يهتى الناس بعضهم بعضاً بوصول قفل الصدف ، والغواص إذا نزل لإخراجه يقلعه من الأرض بالقوة ، فما أخرج فى وقته يبقى طريا صقيلا وما أخرج قبل وقته أو بعده لا يبقى كذلك بل يتغير لونه ، والله الموفق .

(ومنها) جزيرة جاشك وهى بقرب جزيرة قيس ، لأهلها خبرة وصبر على الحركة فى الماء فإن الرجل منهم يسبح فى الماء أياما كثيرة وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض ، وغير أهل هذه الجزيرة يعجز عن ذلك . وسمع من غير واحد أن بعض ملوك

الهند أهدى إلى بعضهم جوارى هنديات فى مراكب فوقع شىء من تلك المراكب إلى هذه الجزيرة فخرج الجوارى يتفسحن فى الجزيرة فاختطفتهن الجن وافترستهن فولدت هؤلاء الذين بها فلذلك فيهم من الجلادة ما يعجز عنها غيرهم .

(ومنها) جزيرة كندولاودى ، وأنا شاك فى هذه الجزيرة فى بحر فارس أظن أنها فى غيره ، وقد ذكر جمع من العمانيين والسرافيين أن العنبر ينبت فى قعر هذا البحر كما ينبت القطن فى الأرض فإذا اشتد اضطراب البحر قذفه البحر فلذلك يرى قطعا ، وربما أكل منه السمك الكبير فيموت ويطفو على الماء فإذا اجتاز به أصحاب المراكب جذبوه بالكلاليب والحبال إلى الساحل وأخذوا العنبر من بطنه ، والله أعلم .

(فصل : فى ذكر بعض الحيوانات العجيبة فى هذا البحر)

(منها) نوع من السمك يطفو على وجه الماء وسبب طفوه هيجان البحر ويعرفه البحريون . قال أبو الريحان فى الآثار الباقية : فى اليوم الثالث عشر من كانون الثانى يضطرب البحر إلى فارس وإلى الإسكندرية ويبقى أياما يتغطمط وتشتد أمواجه ويتكدر هواؤه وتكثر ظلمته . ذكروا أنه يقع فى قعره ريح تهيج البحر ، ويستدل على ذلك بنوع من السمك يظهر فيه وظهوره إنذار بتحرك الريح فى قعره وربما يتقدم بيوم .

(ومنها) الأسيور وهو نوع من السمك يأتى بالبصرة فى وقت معين يعرفه أهل البصرة ، ويبقى مقدار شهرين وبعده لا توجد هناك واحدة من هذا النوع .

(ومنها) الجراف وهو أيضا نوع من السمك ووصفه مثل وصف الأسيور .

(ومنها) البرستوح . قال البحريون : إن البرستوح يقبل من بلاد الزنج يستعذب ماء دجلة البصرة ، ويعرف هذا النوع بأرض الزنج ثم يعود ما فضل من صيد الناس إلى مكانه ، ولا يوجد هذا النوع فيما بين البصرة والزنج إلا فى أوان مجيئه فإذا انقضى أوانها لا يوجد فيه واحد . وذكر البحريون أن البرستوح فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لا يوجد بالزنج ، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لا يوجد فى البصرة وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من موضع إلى موضع ، فسبحان من ألهم كل حيوان ما فيه مصالح نفسه .

(ومنها) الكوسج ، وهو نوع من السمك شر من الأسد فى الماء يقطع الحيوان بأسنانه كما يقطع السيف الماضى ورأيته ، وهو سمك مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الإنسان ينفر الحيوان منه ، وإذا أدرك سمكة كبيرة قطعها ، وإذا أدرك آدميا قتله أو قطع يده أو رجله ، فإنه نائبة عظيمة فى هذا البحر وله وقت معين يكثر فيه بدجلة البصرة .

(ومنها) حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو طويل مثل النخلة ، وهو أحمر العينين مثل الدم كريه المنظر جداً يفر منه الكوسج وغيره .

(ومنها) سمكة خضراء اللون أطول من ذراع لها خرطوم عظمى أقصر من ذراع يشبه منشارا يكون كلا حديه أسنانا يضرب بها الحيوان فيجرحه ، ومن هذا النوع فى بحر الحبابة كثير رأيتهم يصطادونه ويبيعونه مقليا فى السوق هناك .

(ومنها) سمكة مدورة ذنبها أطول من ثلاثة أذرع وعلى وسط ذنبها شوكة معقفة شبه كلاب وهى سلاحها تضرب بها ، وهى نمراء بياضها فى غاية البياض ونقط سوادها فى غاية السواد ولها منخزان على ظهرها وفم على بطنها وفرج كفرج النساء والبحر لانحصى عجائبه ، وفى هذا القدر كفاية ، والله الموفق .

(ولنختم) عجائب هذا البحر بحكاية عجيبة من دردوره أوردها صاحب كتاب [عجائب البحر] فى كتابه . قال : حدثنى رجل من أصفهان أنه ركبته ديون ونفقة عيال عجز عنها ففارق أصفهان ودارت به الدوائر حتى ركب البحر مع بعض التجار ، قال : فتلاطمت بنا الأمواج حتى جعلنا فى دردور بحر فارس المشهور ، فاجتمع التجار إلى المعلم وقالوا : هل تعرف لأمرنا مخلصا ؟ فقال المعلم : ياقوم إن هذا دردور لايتخلص منه مركب إلا ماشاءالله تعالى ، فإذا سمح أحدكم بنفسه لأصحابه وأنا أبذل جهدى لعل الله يخلصنا ، فقلت أنا : ياقوم كلنا فى معرض الهلاك وأنا رجل سئمت من الشقاء وكنت أتمنى الموت ، وكان فى السفينة جمع من الأصفهانيين ، فقلت لهم : احلفوا إنكم تقضون ديونى وتحسنون إلى أولادى وأنا أفديكم بنفسى ، فأجابوا إلى ذلك فقلت للمعلم : ماذا تأمرنى ؟ فقال : أن تقف على هذه الجزيرة ، وكان بقرب الدردور جزيرة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ولا تفترعن ضرب هذا الدهل ، فقلت لهم : أفعل ذلك ، فحلفوا لى أيمانا مغلظة على ماشرطت عليهم وأعطونى من الماء والزاد مايكفينى أياما وأنا على طرف الجزيرة ، فذهبت ووقفت وشرعت فى ضرب الدهل فرأيت المياه تحركت وجرت المركب وأنا أنظر إليه حتى غاب عن بصرى . قال : فلما غاب عنى المركب جعلت أتردد فى الجزيرة فإذا أنا بشجرة عظيمة لم أر أعظم منها وعليها شبه سطح غليظ فلما كان آخر النهار أحسست بهدة شديدة ، فإذا طائر لم أر حيوانا أعظم منه جاء ووقع على سطح تلك الشجرة فاختفيت منه خوف أن يصطادنى إلى أن بدا ضوء الصباح فنفض جناحيه وطار ، فلما كانت الليلة الثانية جاء ووقع على عشه وكنت أيضا آيساً من حياتى ورضيت بالهلاك ودنوت منه فلم يتعرض لى بشىء وطار مصبحا ، فلما كانت الليلة الثالثة قعدت عنده من غير دهشة إلى أن نفض جناحيه عند الفجر فتمسكت برجله فطار أسرع طيران إلى أن ارتفع النهار فنظرت نحو الأرض فما رأيت سوى لجة البحر فكدت أترك رجله من شدة ما نالنى من التعب فحملت نفسى على الصبر إلى أن نظرت نحو الأرض فرأيت القرى والعمارات ، فدنا من الأرض وتركنى على صبرة تبن فى بيدر لبعض

القرى والناس ينظرون إلىّ ثم طار نحو الهواء وغاب عنى ، فاجتمع الناس إلىّ وحملونى إلى رئيسهم فأحضر لى رجلا يفهم كلامى ، فقالوا لى : من أنت ؟ فحدثتهم بحديثى كله ، فتعجبوا منى وتبركوا بى وأمر الرئيس لى بمال فبقيت عندهم أياما ، فمشيت يوماً إلى طرف البحر أتفرج فإذا قد وصل مركب أصحابى ، فلما رأونى أسرعوا إلىّ سائلين عن حالى ، فقلت لهم : ياقوم إنى بذلت نفسى لله تعالى فأنقذنى بطريق عجيب وجعلنى آية للناس ورزقنى المال وأوصلنى إلى المقصد قبلكم ، فهذه حكاية عجيبة وإن كانت غير بعيدة من لطف الله تعالى .

(بحر القلزم) هو شعبة من بحر الهند جنوبى بلاد البربر والحبشة ، وعلى ساحله الشرقى بلاد العرب وعلى الغربى اليمن . والقلزم اسم مدينة على ساحله سمى البحر بها . وأما حديث هيجانه ومده وجزره فكما فى بحر الهند فلا نعيده وهو البحر الذى أغرق الله تعالى فيه فرعون لعنه الله وجنوده . قالوا كان بين البحر وأرض اليمن جبل يحول الماء عنها وامتداده فى أرض اليمن وكان بين البحر واليمن مسافة ، فقدّ بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا يهلك بعض أعدائه فقطع من الجبل غلوتى سهم وأطلق البحر فى أراضى اليمن فطفا الماء وأهلك أمما كثيرة واستولى على بلاد كثيرة وصار بحراً عظيما وصل إلى بلاد اليمن وجدة وجاوى وينبع ومدينة شعيب عليه السلام وأيلة إلى القلزم .

(فصل : فى جزائره)
وأكثرها لامسلوكة ولامسكونة

(منها) جزيرة ثارات وهى قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنوجدان معاشهم السمك وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، وبيوتهم السفن المكسرة يسألون الماء والخبز ممن يمر بهم فى الدهر الطويل ، وعندهم دوارة ماء فى سفح جبل إذا وقع الريح على دورته انقسمت إلى قسمين وتاقى المركب بين شعبتين متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع فى تلك الدورات باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم ، ومقدار طوله ستة أميال . قيل هذا الموضع الذى غرق فيه فرعون بجنوده لعنه الله .

(ومنها) الحسامية وفيها دابة تتجسس الأخبار وتأتى بها الدجال . روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهيرة وقام خطيبا وقال : إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى . حدثنى أن نفراً من قومه أقبلوا فى البحر فأصابهم ريح عاصف ألجأهم إلى جزيرة فإذا هم بدابة قالوا لها : من أنت ؟ قالت : أنا الجساسة ، قالوا : أخبرينا الخبر ؟ قالت : إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم ، قال : فأتيناه فقال : من أنتم ؟ فأخبرناه ، فقال : مافعلت بحيرة طبرية ؟ قلنا : تدفق بين

أجوافها ، قال : فما فعلت نخل عمان ؟ قلنا : يجتنيها أهلها ، قال : فما فعلت عين زعر ؟ قلنا : يشرب منها أهلها ؟ فقال : لو يبست أنقذت من وثاقى فوطئت بقدمى كل منهل إلا مكة والمدينة » .

(ومنها) جبل المغناطيس ، وهو جبل فى هذا البحر يوجد فيه المغناطيس الذى يجذب الحديد ، والمراكب المستعملة فى هذا البحر لايجعل فيها شىء من الحديد خوفا من أن يجذبها المغناطيس .

(فصل : فى حيوان هذا البحر)

أما الحيوانات التى توجد فى غيره فلا نعيدها . والتى توجد فى هذا البحر :

(منها) سمكة عظيمة تضرب السفينة بذنبها فتغرقها طولها مائتا ذراع يخاف على المراكب منها خوفا شديداً .

(ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها بدن السمكة ووجهها وجه البوم .

(ومنها) سمكة طولها عشرون ذراعا وظهرها ذبل الجيد وأنها تلد وترضع ، وفيه سمكة كخلقة البقر تلد وترضع ، والله الموفق .

(بحر الزنج) وهو بحر الهند بعينه وبلاد الزنج منه فى جانب الجنوب بجنب سهيل . ومن ركب هذا البحر يرى القطب الجنوبى وسهيلا ولا يرى القطب الشمالى وبنات نعش أبدا ، وأقصى هذا البحر يتصل بالبحر المحيط وموج هذا البحر عظيم كالجبال الشواهق ونفخه يرتفع كالأطواد الشوامخ وينخفض ، وماؤه يحفظ ليكون من الأدوية ولا ينكسر موجه ولا يظهر منه زبد كما يكون لسائر البحار ، وفيه جزائر كثيرة ذات أشجار وغياض لكنها ذات ثمار وإنما هى نحو شجر الأبنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يلتقط من سواحله فربما توجد قطعة كتل عظيم .

(ولنذكر) شيئا من جزائره وحيوانه :

(منها) الجزيرة المحترقة ، وهى جزيرة واغلة فى هذا البحر قلما يصل إليها من بلادنا أحد : حكى بعض التجار قال : ركبت هذا البحر فدارت بى الدوائر حتى حصلت فى هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيراً وبقيت بها زمانا واستأنست بهم وتعلمت لغتهم ، فإذا الناس فى بعض الأيام مجتمعون ينظرون إلى كوكب طالع من أفقهم ، ثم شرعوا فى البكاء والعويل وقالوا : إن الكوكب يطلع فى كل ثلاثين ٧٠ سنة فإذا وصل إلى سمت رءوسنا يحرق مافى هذه الجزيرة فتأهبوا للنقل فى المراكب ، فلما دنا الكوكب من سمت رءوسهم ركبوا فيها وأخذوا معهم ماخف من القماش فركبت معهم فغبنا عنها مدة ، فلما علموا أن الكوكب زال عن سمت رءوسهم عادوا إليها فوجدوا جميع ماكان فيها رماداً فشرعوا فى استئناف العمارة .

(ومنها) جزيرة الضوضاء ، وهى جزيرة مما يلى بلاد الزنج . وحكى بعض التجار أن

بهذه الجزيرة مدينة من حجر أبيض يشع منها ضوء ولا ساكن بها من البشر ، وربما دخلها البحريون وشربوا من مائها فوجدوه حلواً طيبا فيه رائحة الكافور ويقولون : كنا نعرف منتهاها غير أن بقربها جبالا عظيمة تتوقد منها بالليل نار عظيمة ، وذكر أن فى حواليها حية تظهر فى كل سنة مرة فيحتال ملوك الزنج فى أخذها فإذا أخذوها يطبخونها ويتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل يأمن من غائلته ويوجد ذلك فى خزائن الملوك .

(ومنها) جزائر العور . حكى يعقوب بن إسحاق السراج قال : رأيت رجلا من أهل رومية قال : ركبت هذا البحر فألقتنى الريح إلى بعض الجزائر فوصلت بها إلى مدينة أهلها ناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور ، فاجتمع على جمع منهم وساقونى إلى ملكهم فأمر بحبسى فجعلونى فى شبه قفص فكسرته فأمنونى فرأيتهم فى بعض الأيام يتأهبون للقتال وقالوا : لنا عدو يأتينا وهذا أوان مجيئه فلم نلبث أن طلعت عليهم عصابة من الغرانيق ، وكان عور نفر من الغرانيق أعينهم فأخذت عصا وشددت عليها فطارت وذهبت فأكرمونى . وذكر أرسطاطاليس فى كتاب [الحيوان] أن الغرانيق تثتقل من خراسان إلى ناحية مصر حيث يسيل ماء النيل تقاتل هناك رجلا وقامتهم قدر ذراع .

(ومنها) جزيرة سكسار . حكى يعقوب بن إسحاق السراج قال : رأيت رجلا فى بعض الأسفار فى وجهه خموش فسألته عن ذلك ؟ فقال : ركبت البحر فألقتنا الريح إلى جزيرة لم نستطع أن نبرح عنها فأتى قوم وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كأبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعصا ووقف الآخرون ، فساقنا إلى منازلهم فرأينا هناك الجماجم والسيقان وأذرع الناس فأدخلونا بيتا رأيت فيه إنسانا فجعلوا يأتوننا بالفواكه والمأكول ، فقال ذلك الرجل : يطعمونكم لتسمنوا ومن سمن منكم أكلوه . قال : فكنت أقلل المأكول حتى لا أسمن وكل من سمن من أصحابى أكلوه حتى بقيت أنا وذلك الرجل لأنى كنت هزيلا والرجل عليلا ، فقال ذلك الرجل : إنهم قد حضر لهم عيد يخرجون كلهم إليه ثلاثة أيام فإن أردت النجاة فانج بنفسك وأما أنا فقد ذهبت رجلاى لا يمكننى الهرب . واعلم أنهم أسرع شىء طلبا وأشد استنشاقا وأعرف بالأثر إلا من دخل تحت شجرة كذا فإنهم لا يطلبونه ولا يقدرون عليه . قال : فكنت أسير ليلا وأكمن نهاراً ، فلما رجعوا وتفقدونى جعلوا يقصون أثرى فأدركونى وكنت تحت الشجرة فانقطعوا عنى ، فلما أمنت منهم جعلت أسير فى تلك الجزيرة إذ رفعت لى أشجار كثيرة فانتهيت إليها فإذا بها من كل الفواكه وتحتها رجال أحسن صورة فقعدت إليهم لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامى ، فبينا أنا جالس معهم إذ دنا إلى واحد منهم ووضع يده على عاتقى فإذا هو جالس على رقبتى ثم لوى رجليه على فأنهضنى فجعلت أعالجه لأطرحه عن رقبتى فخمشنى فى وجهى وسخرنى كما يسخر أحدكم مركوبه

فجعلت أدور على الأشجار وهو يقطع ثمارها ويرمى بها أصحابه وهم يضحكون ، فبينا أسير به فى وسط الأشجار إذ أصاب عينيه بعض عيدان الأشجار فعمى فعصرت له شيئا من العنب ثم قلت له اكرع فكرع فتحللت رجلاه فرميته وبقى أثر الخموش فى وجهى ، والله الموفق .

(فصل : فى حيوان هذا البحر)

(منها) المنشار . قال بعض التجار : إنها سمكة مثل الجبل العظيم ، ومن رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود مثل الأبنوس كل سن منها فى رؤية العين مقدار ذراعين ، وعند رأسها عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع ، وكانت تضرب بالعظمين البحر يمينا وشمالا فيسمع صوته صوتا هزيلا . قال : وكنا نرى الماء يخرج من فيها وأنفها ويصعد إلى السماء وتصل إلينا رشاشاته مثل المطر وبيننا وبينها مسافة بعيدة ، وهذه السمكة تقطع السفينة إذا عبرت من تحتها أو خرجت عليها فإذا رأى أصحاب المركب هذه السمكة يضجون إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم مكرمة .

(ومنها) سمكة تعرف بالبال طولها أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع فيظهر فى بعض الأوقات طرف من جناحه يكون كالشراع العظيم ويظهر رأسه وينفخ فيه الماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من غلوتين ، والمراكب تفزع منها ليلا ونهاراً فإذا أحسوا بها ضربوا بالدبادب وضجوا حتى تنفر وإنها تحشو بذنبها وأجنحتها السمك إلى فيها ، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تدعى اللشك تلتصق بأذنابها ولا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء كالجبل العظيم ، وربما يقذف البحر عند اشتداده قطعا من العنبر كالتلال فيأكلها البال فيقيئها فتطفو فوق الماء ، ولها أناس يرصدونها فى المراكب من الزنج ، فإذا أحسوا بذلك طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها ، فما يكون فى بطنها يكون شهكا تعرفه التجار والعطارون بالعراق وفارس والهند ، وما يكون فى ظهرها يكون جيدا نقيا ، والله الموفق .

(بحر المغرب) هو من بحر الشام وبحر قسطنطينية ، مأخذه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقا فيمر بشمالى أندلس ثم ببلاد الفرنج إلى قسطنطينية ، ويمتد من جهة الجنوب إلى بلاد أولها سلائم سبتة وطنجة إلى طرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية وفيه الجزائر العظيمة كجزائر الأندلس وغيرها . وذكر فى كتاب [أخبار مصر] أنه بعد هلاك الفراعنة كان ملوك بنى دلوكة فى شق البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والممالك العظيمة ، وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزا بين بلاد

مصر والروم وهو الخليج الذى فى زماننا هذا على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى من الفرنج ، وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخا وفيه يظهر المد والجزر فى كل يوم وليلة أربع مرات ، وذلك فى البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب فى مجمع البحرين حتى يدخل فى بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال ، فإذا زالت الشمس غاض البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغرب الشمس ثم يغيض الماء الأخضر ويعلو البحر الأسود إلى نصف الليل ثم يغيض البحر الأسود وانصباب الماء من البحر الأخضر إلى طلوع الشمس ، وفى هذا البحر من الجزائر والحيوانات مايتعجب منه فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى :

(فصل : فى جزائره)

ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتابه الذى ألفه للوزير ابن هبيرة : أن مجمع الترب جزيرة فيها منارة مبنية من الصخر الصلد لا يعمل فيها الحديد شيئا ولها أساس راسخ وليس للمنارة باب ، وعلى رأس المنارة صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب يده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود يشير بأصبع إلى شىء ، وعلو المنارة أكثر من مائة ذراع . وقال غيره : إن تلك الصورة طلسم عمله بعض الملوك صيانة لذلك الموضع من إتيان العدو وإنه مأمون مادام ذلك الطلسم باقيا .

(ومنها جزيرة تيس) وهى فى بحر الروم . وذكر أبو حامد الأندلسى : أنها جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى كثيرة ، من عجائبها أنه يخرج إليها فى كل يوم طير يصطادونه ويبقى أياما ثم ينقطع ذلك النوع ويظهر نوع آخر ويبقى أياما وهكذا أبدا ، ويتم مائة ونيفا وثلاثين نوعا وأساميها مكتوبة رأيت فى نقل ذلك سآمة .

(ومنها جزيرة) ذكرها صاحب الغرائب . قال : إن فى بحر الروم جزيرة كثيرة الأشجار والأزهار ، من شم شيئا منها نام فى ساعته .

(ومنها) ما ذكره أبو حامد الأندلسى : من أن على البحر الأسود من ناحية أندلس جبل عليه كنيسة من الصخر منقورة فى الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح من أعلى القبة وفى مقابلة القبة وهى كشبه مسجد يزوره الناس ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على القسيسين ضيافة من زار المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه فى روزنة على تلك القبة ويصيح ، وإذا قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما وصل زائر أو زوار صاح على عددهم فيخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين ، وتعرف الكنيسة بكنيسة الغراب ، وزعم القسيسون أنهم ما زالوا يرون غرابا على تلك الكنيسة ولا يدرون من أين مأكله .

(ومنها جزيرة مالطة) قال أبو حامد الأندلسى : رأيت فى بحر الروم هـذه الجزيرة مملوءة من الغنم الجبلية مثل الجراد المنتشر لا يمكنها الفرار من الناس لكثرتها ، فإذا وصلت المراكب إليها أخذت منها ما شاء الله وهى أغنام سمان كبار نعاج وحملان ، وليس فيها غير الغنم . وفيها أشجار وعشب كثير ، وهى على طريق الإسكندرية فى البحر تقصدها السفن من كل جانب ، وظنى أنه لو حملت كل سفينة فى ذلك البحر منها لا تفنى الغنم .

(ومنها جزيرة الدير) ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية ، وهى دير ينكشف عنه الماء فى كل سنة يوما واحداً يحجها أهل تلك النواحى وينتظرون ذلك اليوم ويزورون الدير ويحملون إليها الهدايا ، حتى إذا كان ذلك اليوم ينكشف عنه الماء فيبقى ظاهراً إلى وقت العصر ثم يأخذ الماء فى الازدياد ويغطيها إلى العام القابل ، والله الموفق .

(فصل فى الحيوانات العجيبة فى هذا البحر)

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربى . قال : ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلى معه صنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو البشر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفى قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله .

(ومنها) ما حكى أبو حامد . قال : رأيت ملاحاً غاص فى بحر الروم فانكشف عن سنام جبل وعليه نارنج أحمر كأنه قطف الآن من شجرة فظننت أنها سقطت من بعض السفن فقبضت على واحدة منها فإذا هى حيوان التصق بالحجر لم أقدر على قلعه فرمت قطعه بالسكين فلم تعمل فيه السكين ، وليس له عين ولا رأس وفمه فى موضع العرجون فكنت ألف الثوب عليه وأجره بقوتى فيخرج من فمه مائية كاللعاب ، وهو لين محبب شديد الحمرة لا يغادر من النارنج شيئا فإذا تركته كان يفتح فاه ويتحرك كأنه يتنفس .

(ومنها) ما ذكر صاحب [تحفة الغرائب] أن فى بحر المغرب طائراً يقال له الماروز طائر مبارك يتبرك به أصحاب المراكب يبيض عند سكون البحر على الساحل فإذا رأوا بيضه عرفوا أن البحر يسكن ، وهذا الطائر إذا كانت المراكب قريبة من مكان مخوف يأتى ويطير قدام المركب ويصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم والملاحون يعرفونه ، والله الموفق .

(ومنها الشيخ اليهودى) قال أبو حامد : حيوان وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه على شبه بدن الضفدع وشعره كشعر البقر ، وهو فى حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت إلى البر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فإذا غابت الشمس ليلة الأحد وثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه فى الحال ، والله الموفق .

(ومنها سمكة تعرف بالبغل) قال أبو حامد الأندلسى : رأيت بمجمع البحرين سمكة مثل جبل عظيم صاحت صيحة ما سمعت أهول منها يكاد القلب ينشق منها فاضطرب الماء منها وكثرت الأمواج حتى خفنا الغرق . قال البحريون : إنها سمكة يقال لها البغل هربت من السمكة الكبيرة ، وذلك أن السمكة تتبعها لتأكلها فى بحر الظلمات فتنفر منها وتعبر فى مجمع البحرين إلى بحر الروم ، وتأتى السمكة الكبرى خلفها لتعبر فى مجمع البحرين فلا يمكنها لعظمها هكذا ذكر أهل ذلك الموضع يعنى مجمع البحرين .

(ومنها حوت موسى ويوشع عليهما السلام) قال أبو حامد الأندلسى : رأيت سمكة بقرب مدينة سبته وهى نسل الحوت المشوى الذى أكل موسى ويوشع نصفه فأحيا الله النصف الآخر فاتخذ فى البحر عجبا ولها نسل فى البحر إلى الآن فى ذلك الموضع وهى سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد فى أحد جنبيها شوك وعظم وجلدها رقيق ملتصق على أحشائها ورأسها نصف رأس ، فمن رآها هكذا استقذرها ويحسب أنها مأكولة ميتة ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المحتشمين ويشويها اليهود ويقددونها ويحملونها إلى الأماكن البعيدة .

(ومنها سمكة بلغارية كأنها قلنسوة بلغارية) قال أبو حامد الأندلسى : رأيتها وفى جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين ولها مرارة كمرارة البقر سوداء فإذا اصطادها أحد تحركت فيسود الماء الذى حولها مثل الحبر وأظن ذلك السواد من تلك المرارة فإذا وقعت فى الشبكة يبقى ما حولها أسود جدا فيؤخذ من الماء ويكتب به أحسن من كل مداد لاينمحى وله سواد وبريق .

(ومنها) سمكة ذكر أبو حامد أنها تقطع قطعا وهى تتحرك وربما قلبت القدر إذا أرادوا طبخها فيها ولا يسكن اضطرابها حتى تصير نضجا وهى سمكة لحمها طيب الطعم جداً .

(ومنها سمكة تعرف بالخطاف) قال أبو حامد : ولها جناحان على ظهرها أسودان وإنها تخرج من الماء وتطير فى الهواء وتعود إلى البحر .

(ومنها سمكة تعرف بالمنارة) ترمى نفسها على السفينة فتكسرها ويعرفها أهلها فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطشوت والبوقات لتبعد عنهم ، وهى محنة عظيمة فى البحر .

(ومنها سمكة كبيرة) إذا نقص الماء بقيت على الطين ولاتزال تضطرب إلى ست ساعات ثم تنسلخ من شدة اضطرابها وقوة تأملها فيظهر لها جناحان من تحت جلدها فتطير وتتحول إلى البحر . ذكرها أبو حامد والتنانين فى هذا البحر كثيرة وأكثر ما يكون عند طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية ، وسيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى .

(بحر الخزر) هو البحر الذى فى جهة الشمال على شرقيه جرجان وطبرستان وفى شماله بلاد الخزر وفى غربيه جبال العقيق وفى جنوبيه الجبل والديلم ، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشىء من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذى ابتدأ

منه ، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شىء من اللآلى والجواهر ، وجزائره غير مسكونة ولكن فى جزائره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس . قالوا : إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل ، وهو مدور الشكل فلنذكر شيئا من جزائره وبحاره .

(فصل : فى جزائره وبحاره)

(ومنها) ما ذكره أبو حامد ، قال : رأيت فى هذا البحر جبلا من طين أسود كالقير والبحر محيط به وفى سنام ذلك الجبل شق طويل يخرج منه الماء ، ويوجد فى ذلك الماء سناج الدانق من الصفر ، وربما يكون أكبر أو أصغر يحملها الناس إلى الآفاق للتعجب .

(ومنها) جزيرة الحيات . قال أبو حامد : إنها بقرب الجبل الذى ذكر وهى جزيرة امتلأت من الحيات وفيها حشيش كثير والحيات فى وسطها لا يقدر أحد أن يضع رجله على الأرض لكثرة ما فيها من الحيات الملتفة بعضها على بعض ، وفيها طيور كثيرة والحيات لا تتعرض لبيض الطيور وفراخها رأيت الناس يأخذون بأيديهم العصى ويزيلون الحيات بها عن مكان أقدامهم ويمشون بين الحيات ، ويأخذون بيض الطيور وفراخها والحيات لا تؤذى أحدا منهم .

(ومنها جزيرة الجن) وهى جزيرة ليس بها أنيس ولا شىء من الوحوش وتسمع أصوات كأنهم يقولون غلب الجن عليها ولا يجسر أحد أن يقربها ، والله أعلم .

(ومنها جزيرة الغنم) قال سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر : وهى جزيرة مابين الخزر والبلغار فيها من الأغنام الجبلية مثل الجراد لا يمكنها الفرار لكثرتها وما رأيت فى تلك الجزيرة حيوانا غيرها ، وفيها عيون وحشيش وأشجار كثيرة فسبحان من لا تحصى نعمه .

(فصل : فى حيوان هذا البحر)

ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتاب [العجائب] الذى ألفه للوزير ابن هبيرة عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر . قال : أقمت عند ملك الخزر أياما ورأيت أنهم اصطادوا سمكة عظيمة جدا وجذبوها بالحبال فانفتحت أذن السمكة وخرجت منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر حسنة الصورة فأخرجوها إلى البر وهى تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح ، وقد خلق الله تعالى فى وسطها نشاء كالثوب الصفيق من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود على وسطها فأمسكوها حتى ماتت .

(ومنها التنين العظيم) ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم شبه السحاب الأسود والناس ينظرون إليه ، زعموا أنها دابة تؤذى دواب البحر فيبعث الله إليه سحابا يخرجه من البحر ويحتمله وهو على صورة حية سوداء لا يمر ذنبها على شىء من شجر أو بناء عظيم إلا هدته ،

وربما تتنفس فتحرق الشجر فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج وتكون لهم غذاء : وعن ابن عباس رضى الله عنه نحو هذا .

(ولنختم) هذا الفصل بحكاية عجيبة : وهو أن كسرى أنوشروان لما فرغ من سد بليخ وأحكمه سر بذلك سرورا شديدا وأمر بنصب سريره على السد ورقى على السرير وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يارب الأرباب أنت ألهمتنى سد هذا الثغر وقمع العدو فأحسن الموهبة إلىّ وعزنى وسجد سجدة أطالها ، ثم استوى على فراشه واستلقى وقال : الآن استرحت يعنى من سطوة الخزر ومقاساة الترك ثم أغفى فطلع طالع من البحر سد الأفق بطوله وارتفعت معه غمامة سدت الضوء فتبادرت الأساورة إليه ، فانتبه أنو شروان وقال : ما شأنكم ؟ قالوا الذى ترى ، فقال : أمسكوا عن سلاحكم لم يكن الله عز وجل يلهمنى الشغل اثنى عشر عاما وستة أشهر وتهده بهيمة من بهائم البحر ، فنحى الأساورة وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه ، ثم قال : أيها الملك أنا من سكان البحر رأيت هذا الثغر مسدودا سبع مرات فأوحى الله تعالى أن ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يسد هذا الثغر فينسد أبدا وأنت ذلك الملك فأحسن الله معونتك ثم غاب عن البصر كأنه طار فى الجو أو غاص فى الماء ، والله المرفق .

(القول فى حيوان الماء)

حيوان الماء على قسمين : منه ماليس له رئة كأنواع السمك فإنه لايعيش إلا فى الماء ومنه ماله رئة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء ، فأما التى لاتعيش إلا فى الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارى تعالى لما خلقها فى الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التى فى بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لاصوت لها لفقد الرئة التى لاحاجة لها إليها . والحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجاودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لايعمل فيها الشىء الحادّ أو فلوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة ، وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا تسبح بها فى الماء كما يطير الطير فى الهواء ، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها ، فسبحانه ماأعظم شأنه .

(ولنذكر) بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم ، والله أعلم بالصواب .

(أرنب البحر) هو حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبدن السمك. وقال الشيخ الرئيس ابن سينا : هو حيوان صدفى إلى الحمرة ، ما بين أجزائه شبيه بورق الأشنان ينفى الكلف والبهق، ورأسه تحرق لتنبت الشعر فى داء الثعلب سيما مع شحم الدب .

(إليس) نوع من السمك عظيم جدا وحيوانات الماء كلها تصطاد إلا هذه السمكة. من خواصه أنه لو شوى وأطعم شخصان منه وكان بينهما خصومة شديدة تبدلت بالمحبة .

(إنسان الماء) يشبه الإنسان إلا أن له ذنبا ، وقد جاء شخص بواحد منه فى زماننا فى بغداد فعرضه على الناس وشكله على ماذكرناه ، وقد ذكر أنه فى بحر الشام ببعض الأوقات يطلع من الماء إلى الحاضر إنسان ذو لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ويبقى أياما ثم ينزل فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب . وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان مائى . فأراد الملك أن يعرف حاله فزوّجه امرأة فجاء منها ولديفهم كلام الأبوين ، فقيل للولد ماذا يقول أبوك ؟ قال : يقول أذناب الحيوانات كلها على أسافلها ما بال هؤلاء أذنابهم على وجوههم .

(بقرة الماء) زعموا أنه حيوان يطلع إلى البر للرعى روثه عنبر والله أعلم بصحته فإن الناس ذهبوا إلى أن العنبر ينبت فى قعر البحر كالقير والنفط ، فإن كان صحيحا فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب ، والله أعلم .

(بال) نوع من السمك عظيم يأكل العنبر فيموت، وقد ذكرناه فى بحر الزنج فلا نعيده وفى دماغه دهن كثير ويستعملونه لإشعاع السرج .

(تمساح) هو حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابآ فى فكه الأعلى وأربعون نابآ فى فكه الأسفل ، وبين كل نابين سن صغير مربع يدخل بعضه فى بعض عند الانطباق، ولسان طويل، وظهره كظهر السحلفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل رأسه ذراعان وغاية طوله ثمانية أذرع يحرك فكه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات، ولا يقدر أن يلتوى ولا أن ينقبض لأنه ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعة واحدة، وهو كريه المنظر جدا كثير العدوان يلتقم الآدمى والشاة ويقتل الخيل والجمال ولا يوجد إلا فى النيل ونهر السند، وإذا رأى إنساناً على طرف الماء يمشى تحت الماء إلى أن يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة يأخذه ويبيض كالطيور ويشم من بيضه رائحة المسك ، وزبله يخرج من فيه إذ لا منفذ له ، وإذا أكل يبقى فى خلل أسنانه شىء يتولد منه الدود فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس فيأتيه طائر مثل الطيور ويدخل فاه ويلتقط ما فى خلل أسنانه، فإذا رأى صياداً رفرف وصاح وأخبر التمساح حتى يرجع إلى الماء فإذا أحس التمساح أنه نقى خلال أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله ، وقد خلق الله تعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيضرب به حنك التمساح فيرفع حنكه فيطير

الطائر، وإذا انقلب التمساح لم يستطيع أن يتحرك ، وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأنثاه معه فياتى الأنثى على ظهرها فإذا قضى وطره قلبها فإن تركها صيدت فإنها لاتقدر أن تنقلب.

(فصل : فى خواص أجزائه)

زعموا أن عينه تشد على صاحبه الرمد يسكن وجعه فى الحال اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى، وسنه الأيمن تعلق على الإنسان يزيد فى الباه وأول سن من جانب فكه الأيسر يشد على صاحب القشعريرة تذهب فى الحال ، ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين ، وشحمه يجعل ضماداً على عضته فإنه نافع فى الحال ، وكبده يدهن به المصروع يزول ما به وزبله يزيل بياض العين اكتحالا ، وجلده يشد على جبهة الكبش يغلب الكباش فى النطاح.

(تنين) حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثة عريضها كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف ، كثير الأسنان يبلع من الحيوان كثيراً يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك بموج البحر لكثرة قوته . والتنين أول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا عظم فسادها يبعث الله تعالى ملكا يحتملها ويلقيها فى البحر فتفعل بدواب البحر ماكانت تفعله بدواب البر ويعظم جسمها فيبعث الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج . وروى عن بعضهم : أنه رأى تنيناً سقط فوجد طوله نحو الفرسخين ، ولونه مثل لون النمر مفلساً كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، ورأس مثل التل العظيم كرأس الإنسان ، وأذنان طويلان وعينان مدورتان كبيرتان جداً ، ويتشعب من عنقه ستة أعناق طوال كل عنق نحو عشرين ذراعاً على أكل عنق رأس كرأس الحية .

(أما خاصية أجزائه) فزعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ، ولحمه يوضع على عصه ينفع نفعاً بيناً ، ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع تحصل للمرأة لذة عظيمة .

(جرّى) هو الذى يقال له مارماهى ، متولد من الحية والسمك . قال الجاحظ : إنه يأكل الجرذان وهو آكل لها من السنانير ، وذلك أن جرذان السنانير تخرج بالليل إلى شارع البصرة للماء، والجرى قد يكمن لها واضعاً فاه على الشرعة فإذا دنا الجرذان إلى الماء التقمها، مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه . ولحمه يجوّد الصوت وينفع قصبة الرئة ، وإذا تضمد به أخرج السلاء من أعماق اللحم ، وأكله يزيد فى الباه سيما الطرى .

(جلكا) نوع منه يشبه المارماهى يخرج من البرك والعنسى لطلب الغذاء ، وإذا ذبح لايخرج منه دم، وعظمه رخو يأكل مع لحمه ، ولحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك .

(دلفين) حيوان مبارك إذا رآه أصحاب المركب استبشروا ، وذلك أنه إذا رأى غريقا

فى البحر ساقه نحو الساحل وربما دخل تحته وحمله وربما جعل ذنبه فى يده ويمشى به إلى الساحل وقيل له جناحان طويلان فإذا رأى المركب تسير بقلوعها رفع جناحيه تشبيها بالمركب وينادى وإذا رأى الغريق قصده .

(رعاد) سمكة صغيرة مخدرة جدا إذا وقعت فى الشبكة والصياد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة ، والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا به شدوا حبل الشبكة فى وتد أو شجرة حتى يموت فإذا مات بطلت خاصيته ، وأطباء الهند يستعملونه فى الأمراض الشديدة الحر ، وأما فى غير بلاد الهند فلا يمكن استعماله . وقال ابن سينا : الرعاد إذا قرب من رأس المصروع وهو حى أخدره عن الحس ، وإذا علقت المرأة منه شيئا على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها ، والله الموفق .

(دامور) سمكة مباركة يحبها البحريون والصيادون إذا رأوها فى الشبكة أطلقوها ، زعموا أن هذه السمكة تحب الإنسان ، وإذا رأت مركبا فى البحر تمشى قدامه كالدليل ، وإذا قصد السفينة شىء من الحيات الكبار تدخل فى أذنها وتشغلها عن السفينة بتحريك دماغها فالسمكة العظيمة تطلب حجراً وتضرب رأسها عليه حتى تموت فإذا ماتت خرجت من دماغها .

(سرطان) هو حيوان لا رأس له وعينه على قفاه وفمه على صدره وله ثمانية أرجل يمشى على أحد جانبيه وفى كل سنة يسقط جلده سبع مرات ، ولمكانه بابان أحدهما إلى الماء والآخر إلى اليبس فإذا انسلخ جلده يسد الباب الذى فى الماء لئلا يدخل بيته شىء من حيوانات الماء فى حال ضعفه وعجزه ويترك الباب الذى على اليبس مفتوحا ليهب الهواء منه ، وإذا كثر وقوع الهواء عليه يصلب جلده ويعود إلى حاله فحينئذ ينتح باب الماء ويخرج منه لطلب معاشه . وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت فى حفرة مستلقيا على ظهره فى أرض أو قرية تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية ، وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وما عليها من الثمار يبقى ، ويذبح السرطان ويوضع على الجراحات تخرج النصول والشوك وينفع من لسع الحيات والعقارب ، وإذا أحرق وشرب نفع من عضة الكلب ، وإذا اكتحل به نفع من بياض العين ونزول الماء ، وإذا أحرق وطلى به يجلو الأسنان ، ورماده يوضع على العضو يخرج منه النصل والشوك . قال ابن سينا : لحمه صالح للمسلولين جداً سيما بلبن الأتن وينفع من نهش العقارب والرتيلاء ، وعينه تشد على النائم يرى منامات صالحة ، وإن كان به رمد زال عنه ، وعيناه إن علقتا على شجرة لم يسقط ثمرها ، وشوكه يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع ويكرر ذلك سبع مرات يبرأ ، ورجله يعلق على صاحب الخنازير مع الكافور والعنبر يدفع عنه الخنازير ، وإذا علق رجل السرطان على أحد لم تعرض له الخنازير ما دامت عليه .

(سرطان البحر) هو حيوان عجيب الشكل كأنه خمس حيات برأس واحد ، إذا أحرق بعظامه وسحق جلا البهق والكلف والأسنان ، وينفخ فى عيون الدواب يزيل عنها البياض العارض ، ويكتحل به مع الكحل يزيل الظفر . وقال ابن سينا : محرقه يجلو الأسنان ويجفف القروح وينفع من الجرب .

(سقنقور) قال ابن سينا : إنه ورل مائى يصطاد من نيل مصر . وقال غيره : إنه من نسل التمساح إذا وضع خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا ، وذكروا أنه إذا عض إنسانا غسل الإنسان معضه بريقه ، فإن كان قبل عود السمك إلى الماء مات السمك ، وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان ، وله قضيبان كما للضب . لحمه إذا أكل هيج قوة الباه ، وكلما كان جسمه أكبر كانت خاصية لحمه أقوى ، وشحمه يهيج الباه تهييجا لا يسكن إلا بحسو مرق الخس والعدس ، وخرزته الوسطى التى فى صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيجت به الباه .

(سلحفاة) حيوان برى وبحرى . أما البحرى فقد يكون عظيما جدا حتى تظن أصحاب المراكب أنه جزيرة . وحكى بعض التجار قال : وجدنا فى وسط البحر جزيرة مرتفعة عن الماء فيها نبات أخضر ، فخرجنا إليها وحفرنا للطبخ إذ تحركت الجزيرة فقال الملاحون : هلموا إلى مكانكم فإنها سلحفاة أصابها حرارة النار لئلا تنزل بكم ، قال : وكان من عظم جسمها ماشابه جزيرة ، واجتمع التراب على ظهرها بطول الزمان حتى صار كالأرض ونبت . قالوا : إذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطاوعه يأتى الذكر بحشيشة فى فمه . من خاصيتها أن حاملها يكون مقضى الحاجة فعند ذلك تطاوعه الأنثى ، وهى حشيشة تسميها العجم مهركياه لكن الناس لا يعرفونها ، وإذا باضت صرفت همتها إلى بيضها محاذية له ولا تزال كذلك حتى يخلق الله الولد فيها إذ لابد لها أن تحضن البيض حتى يدرك بحرارتها فإن أسفلها صلب لاحرارة فيه ، وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة حتى تموت . قال بلميناس الحكيم : إذا قلبت السلحفاة على ظهرها فى مكان فيه البرد لا يقع فى ذلك المكان من البرد ضرر . أما خواص أجزائها : فعينها تشد على صاحب الرمد يبرأ ، وقالوا : كل عضو من أعضاء السلحفاة إذا شد على مثله من أعضاء الإنسان وكان وجعا أبرأه ، ورجلها تشد على المنقرس اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى تنفعه ، ودمها يطلى به على العانة والإبط بعد ما ينتف ماعليهما مرتين أو ثلاثا لا ينبت شعرها وتأثيرها فى النساء أقوى ، ومرارة البحرى أقوى منها تخلط بعسل النحل الشهد تمنع من نزول الماء إذا اكتحل بها وتزيل البياض والكدورة وتصلح للخناق شربا ، وإذا وضعت على منخر المصروع لفعته ، وظهرها إذا اتخذ منه مكبية

ووضعت على رأس القدر لم تغل أصلا ، وبيضها إذا سقى من صفرته ثلاث مثاقيل باللبن الحليب نفع من السعال الشديد .

(سمك) أصناف السمك كثيرة جدا ولكل صنف اسم خاص ، منها مالا يدرك الطرف أولها وآخرها لعظمها ، ومنها مالا يدركه الطرف لصغرها . وحكى بعض التجار قال : مرت بنا سمكة وانتهى ذنبها بعد أربعة أشهر . وذكروا أن السمكة إذا باضت تأتى إلى ماء ضحضاح وتحفر فيه حفرة وتبيض فيها وتغطيها بالطين فتخفس فيها فإذن الله تعالى . وأما خاصيته : فإن السكران الثمل إذا شمه يرجع إليه عقله ويزول سكره . وقال ابن سينا : لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل . وقال غيره : يزيد فى الباه ويخصب البدن ، ومرارة السمك إذا شربت تنفع للخناق ، وكذلك إذا نفخت فى الحلق مع شىء من السكر ، والله أعلم .

(شبوط) نوع من السمك مشهور طوله ذراع وعرضه أربع أصابع طيب اللحم جداً يكثر منه بدجلة . ذكر بعض الصيادين : أن الشبوط ينتهى إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه ليس ينجيه إلا الرسوب فيتأخر قاب رمح ثم يقبل جامزا بجراميزه حتى يثب فربما كان وثوبه فى الهواء أكثر من عشرة أذرع فيخرق الشبكة ويخرج منها .

(شفنين) حيوان بحرى تسمى بهذا الاسم وله جمة وشكل عجيب وجمته منقلبة إلى خلاف الناحية التى ينبت منها قشره ، تدلك به السن يسكن وجعها فى الحال .

(صيرة) سمكة صغيرة يسميها أهل الشام بهذا الاسم ، يتخذ منه المرى ويتمضمض به صاحب القلاع الخبيث ينفع نفعا بينا .

(ضفدع) حيوان برى وبحرى له عينان بارزتان غاية البروز وحاسة سمعه وبصره حادة جدا . عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقتلوا الضفدع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت فى أفواهها الماء وكانت ترشه على النار » . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « لا تقتلوا الضفدع فإن نقيقهن تسبيح » وأول نشء الضفدع أن تظهر فى الماء شبه معى رقيق وترى فى الماء شبه حب أسود كالدخن فإذا امتلأ ذلك الوعاء من ذلك الحب خرجت منه كالدعموص ثم بعد أيام تنبت منه اليدان والرجلان . قال الشيخ الرئيس : إذا كثرت الضفادع فى شىء من السنين على خلاف العادة وقع الوباء عقيبه ، والضفدع كثير النقيق بالليل فإذا رأى النهار ترك النقيق . وقال بعضهم : إذا ألقى فى النبيذ يموت ، وإذا ألقى فى الماء عادت حياته . قال الجاحظ : الضفدع لا يمكنه النقيق إلا إذا كان حنكه الأسفل فى الماء ، فإذا صار الماء فى فمه صاح ، ولهذا لا تصيح الخارجات من الماء ، وضفدع البر أخضر وهو سم من سقى منه فسد مزاجه وينتفخ بطنه

ويعرض له الاستسقاء ، وإذا وضع على الثآليل قلعها ، وإذا شق بطنه ووضع على لسعة الحية ينفع نفعا بينا . وقال الشيخ الرئيس : الضفادع الإجامية الخضرة والبحرية تورث من شربها كمودة اللون وظلمة البصر ونتن الفم والدوار أيضا ويعرض له اختلاط عقل ، ومن سلم منها تسقط أسنانه . قال الجاحظ : إن الأشد فى مناقع المياه والآجام تأكلها أشد أكل . قال بلیناس : إن جعلت ضفدعا فوق قدر تغلى زال غليانها ، وإن علق على صاحب حمى الربع برئ . ومن خواصه العجيبة : ماذكر أن الضفدع إذا أخذ فقدّ نصفين من رأسه إلى أسفله وتنظر إليه امرأة غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال فإن شهوتها تنكسر . وأما خواص أجزائه : فإن لسانه إذا جعل فى الخبز ويطعم من اتهم بالسرقة أقرّ بها ، وإن وضعته على امرأة نائمة تكلمت بما عملت فى اليقظة وهى نائمة ، وأطرافه تحرق بنار القصب ويطلى برمادها الموضع الذى ينبت عليه الشعر فإن الشعر لا ينبت عليه ، ودمه يطلى به على الموضع الذى نتف شعره فإنه لا ينبت . وقال بلیناس : من لطخ به وجهه أحبه كل من يراه ، شحمه يوضع على اللثة يسقط السن بلا وجع .

(ولنختم) خواص الضفدع بحكاية عجيبة ، وهى أنى كنت بالموصل وبنى صاحب الموصل فى بستان مجلساً وبركة وتوالدت الضفادع فيها وكان نقيقها يؤذى سكان المجلس طول الليل ، فقال الأمير : دبروا دفع هذا النقيق فما أفاد شيئا حتى جاء رجل وقال : اجعلوا طشتا على وجه الماء مكبوبا ، ففعلوا فلم يسمع بعد ذلك شىء من النقيق أصلا .

(علق) حيوان أسود اللون بقدر أصبع الخنصر يوجد فى المياه يستعمل فى المعالجات ، فإن الأطباء إذ أرادوا إخراج الدم من موضع مخصوص أخذوا هذا الحيوان فى قطعة طين وقربوه من العضو فإنه يتشبث به ويمص الدم منه ، وإذا أرادوا سقوطه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط فى الحال ، وربما يكون العلق فى الماء يشربه الحيوان يتشبث العلق بحلقه فطريقه أن يدخن بوبر الثعلب فإذا أصابها دخانه سقط فى الحال ، وإن دخنت البيت بالعلق هلك ما فيه من الأنحل والبق والبعوض وأمثاله ، وإذا ترك العلق فى قارورة حتى يموت ثم يسقى وينتف الشعر ويطلى به موضعه فإنه لا ينبت الشعر بعد ذلك أبدا .

(قطا) صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند فى المياه القائمة المنبثة للناردين ، ويوجد بأرض بابل أيضا ، وهو من أعجب الحيوانات ، له بيت صدفى يخرج منه وجلده أرق شىء وله رأس وأذن وعينان وفم ، فإذا دخل فى بيته يحسبه الإنسان صدفة ، وإذا خرج منه ينساب على الأرض ويجر بيته معه فإذا جفت المياه فى الصيف تجمع ، ورائحته عطرة لأن هذا الحيوان يرتعى الناردين ، وإذا بخر بها ينفع من الصرع ، وإذا أحرق يجلو رماده الأسنان ، وإذا نثر على حرق النار وترك حتى يجف عليه نفع نفعا بينا ، والله الموفق .

(فرس الماء) قالوا : إنه كفرس البر إلا أنه أكبر عرقا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش وجثته دون فرس البر وفوق الحمار بقليل ، وربما يخرج هذا الفرس من الماء ويغزو على فرس البر فيتولد منهما ولد فى غابة الحسن : حكى أن الشيخ أبا القاسم ويعرف بكركان رحمه الله وهو من مشايخ خراسان نزل على ماء وكان معه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض كالدراهم ونزا على الحجرة فولدت مهرا شبيها بالذكر عجيب الصورة ، فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المكان والحجرة والمهر معه طمعا فى مهر آخر . فخرج الفحل وشم مهره ثم وثب فى الماء ووثب المهر بعده ، فكان الشيخ يعاود ذلك الموضع مع الحجرة فسمى أبا القاسم كركان . قال عمر بن سعد : فرس الماء بمصر يؤذن بطلوع النيل بأثر وطء فإنهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل ينتهى إلى ذلك الموضع . أما خواص أجزائه : فسنه نافعة لوجع البطن ذكروا أن جمعا من السودان الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة يشربون الماء المكدر ويأكلون السمك النيء فيصيبهم المغص فيشدون هذا السن على العليل فيزول عنه فى الحال : عظامه تحرق وتخلط بشحمه ويضمد به السرطان يردعه ويزيل أثره فى الحال . خصيته تجفف وتسحق وتشرب لنهش الهوام : جلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شيء من الآفات ، ويحرق ويجعل على الورم يسكن .

(قاطوس) سمكة عظيمة تكسر السفينة ، والملاحون يعرفونها يتخذون خرق الحيض ويعلقونها على السفينة فإنها تهرب عنهم .

(قطا) سمكة عظيمة . ذكروا أن عظم ضلعه يتخذ قنطرة يعبر الناس عليها : شحمه إذا طلى به البرص يزول بإذن الله .

(قندر) برى وبحرى يكون فى الأنهار العظام فى بلاد إيسودون ، ويتخذ من البر بيتا إلى جانب النهر ويجعل لنفسه فيه مكانا عاليا كالصفة ولزوجته دون الذى له بدرجة وعن شماله لأولاده وفى أسفل البيت لعبيده . ولمسكنه بابان ، باب إلى البر وباب إلى البحر فإن جاءه العدو من جهة الماء أوطغا الماء خرج إلى البر وإن جاءه من جهة البر خرج إلى الماء يأكل لحم السمك وخشب الخليج ، والتجار فى تلك البلاد يعرفون جلد الخادم والمخدوم لأن الخادم يجذب خشب الخليج فتسقط طاقات جلده . أما خواص أجزائه : فخصيته تسمى الجندبيدستر تنفع من ريح أم الصبيان إذا سقى منه قدر حبة الجلبان وهو مجرب ، وينفع أيضا من الفالج واللقوة والنسيان والرياح الغليظة كلها . قال الشيخ الرئيس : إنه ينفع من القروح القتالة والرعشية والتشنج والكزاز والخدر والفالج ، وينفع من النسيان ويخرج المشيمة والجنين ، وهو نافع من لسع الهوام .

(قنفذ الماء) هو حيوان مقدمه يشبه القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك : لحمه طيب

الطعم يدر البول ؛ جلده ينفع الجرب إذا طلى به ، زعموا أنه إذا أخذ طائر اسفيدرون وشد عليه من جلد هذا السمك فإن الهوام تموت من صوته والسباع تهرب .

(قوق) صنف من السمك عجيب جداً على رأسه شوكة قوية يضرب بها . حكى الملاحون : أن هذه السمكة إذا جاعت رمت نفسها إلى شيء من الحيوان ليبلعها ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه ، وربما تخرج من شق بطنه وتتغذى به هو وغيره ، وإذا قصدها قاصد فى الماء تضربه بالشوكة تهلكه ، ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتفتحها وتغرق أهلها وتأكل منها ، والملاحون لما عرفوا ذلك ألبسوا السفينة جلد ذلك السمك الذى تقدم ذكره فإن شوكتها لا تعبر عليه ؛

(كلب الماء) حيوان مشهور يداه قصيرتان ورجلاه أطول منها . ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه ويقطع أحشاءه ويأكلها ثم يمرق ويخرج منه ، ولذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن غائلة التمساح ؛ وذكر بعضهم : أن جندبيد ستر خصية هذا الحيوان ، وأن الذكر لا يصلح جلده للفراء وإنما الأنثى جلدها جيد ، والذكر لا يصلح إلا لخصيته ، والصيادون إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه ، فإن وقع فى الشبكة مرة أخرى يرفع للصياد رجليه ليعلم أن خصيته قد نزعتا ليخلصه من الشبكة ؛

أما خواص أجزائه : فإن دماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالا ، ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل . وقال ابن سينا : خصيته تنفع من نهش الهوام مجرب لريح أم الصبيان إذا سقى قدر حبة الجلبان ، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يزول عنه بإذن الله تعالى ، والله الموفق ؛

(كوسج) صنف من السمك معروف طولها مقدار ذراع لها أسنان كأسنان الناس يضرب بها الحيوان يقطعه وأكثرها بقرب البصرة ؛ قال الجاحظ : فى جوف الكوسج شحمة طيبة يسمونها الكبد فإن اصطادوا هذه السمكة ليلا وجدوا هذه الشحمة وافرة ، وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوا تلك ، وقد مر ذكر كوسج فى بحر فارس فلا نعيده ؛

[النظر الخامس فى كرة الأرض] الأرض جسم بسيط طباعه أن يكون باردا يابساً متحركا إلى الوسط . زعموا أن شكل الأرض كرة والقدر الخارج من الماء جذبته لأن القوم اعتبروا خسوفا واحداً فوجدوه فى البلاد الشرقية والغربية مختلف الأوقات ، فلو كان طلوع القمر وغروبه فى وقت واحد بالنسبة إلى الأماكن لما اختلف ، وإنما خلقت باردة يابسة للغلظ والتماسك إذ لولا ذلك لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها وجذوب المعادن والنبات فى بطنها ، وهى مركز الأفلاك واقفة فى الوسط بإذن الله تعالى ، والماء محيط بها إلا القدر البارز الذى جعله الله تعالى مقراً للحيوان ، وبعد الأرض من السماء من جميع جهاتها متساوية

ليس شيء من ظاهر سطح الأرض أسفل كما توهم كثير من الناس ممن ليس له دراية بالهيئة والهندسة : ثم إن الإنسان فى أى موضع وقف على سطح الأرض فرأسه أبداً مما يلى السماء ورجله أبدا مما يلى الأرض وهو يرى من السماء نصفها ، وإذا انتقل إلى موضع آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى من الجانب الآخر لكل تسعة وعشرين فرسخا درجة ، والبحر المحيط الأعظم أحاط بأكثر وجه الأرض والمكشوف منها قليل على مثال بيضة غائصة فى الماء ، وانكشف بعضها وعلى المنكشف منها الجبال والتلال والوهاد ، ولها منافذ وخلجان وأنهار وبطائح وآجام وغدران ومافيها قدر شبر إلا وهناك معدن أو نبات أوحيوان ولا يعلم تفصيلها إلا الله — وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين — .

(فصل : فى اختلاف آراء القدماء فى هيئة الأرض)

قال بعضهم : إنها مبسوطة التسطيح فى أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، وقال بعضهم : هى كشكل الترس . ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل ، وذهب آخرون إلى أنها كنصف الكرة والذى يعتمد عليه جماهيرهم أن الأرض مدورة كالكرة موضوعة من جوف الفلك كالمحة فى جوف البيضة ، وأنها فى الوسط على مقدار واحد من جميع الجوانب ، ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال : الأرض متحركة دائما على الاستدارة ، والذى نرى من دوران الفلك إنما هو دور الأرض لا دور الكواكب ، وقال بعضهم : إنها واقفة فى الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك بها من كل وجه فلذلك لاتميل إلى ناحية من الفلك دون ناحية لأن قوة الأجزاء متكافئة مثل ذلك .

(حجر المغناطيس) الذى يجذب الحديد لأن فى طبع الفلك أن يجتذب الأرض وقد استوى الجذب من جميع الجهات فوقعت فى الوسط ، ومنهم من قال : إنها مدورة واقفة فى الوسط وسببه دوران الفلك وسرعة حركته ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط ، كما أنه لوجعل تراب أو حجر فى قارورة مدورة وأديرت فى الخرط بقوة قام التراب أو الحجر فى الوسط ، والله الموفق .

(فصل : فى مقدار جرم الأرض ومعمورها وخرابها)

قال أبو الريحان : طول قطر الأرض بالفراسخ ألف ومائة وثلاثة وستون فرسخا وثلثا فرسخ ، ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ ، فعلى هذا يكون مساحة سطحها الخارج سبعمائة وثمانية وخمسين ألفاً ومائتين واثنين وأربعين فرسخاً وخمسى فرسخ . وقال المهندسون : لو حفر فى الوهم وجه الأرض لأدى فى الوهم إلى الوجه الآخر ولو نقب بأرض فرسخ مثلا لنفذ بأرض الصين ، واحتجوا على هذا ببراهين هندسية ، واعتبرت

مساحة الأرض فى زمن أمير المؤمنين المأمون بارتفاع قطب معدن النهار فكان نصيب كل درجة فلكية ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل ؛

(فصل : فى أرباع الأرض وعماراتها)

قال أبو الريحان : سطح معدل النهار يقطع الأرض بنصفين على دائرة تسمى خط الاستواء فيسمى أحد نصفيها شماليا والآخر جنوبيا ، وإذا توهمت دائرة عظيمة على الأرض مارة على على قطب خط الاستواء قسمت كل واحد من نصفى الأرض بنصفين فانقسم جملتها أرباعا جنوبيان وشماليان ، فالربع الشمالى المسكون يسمى ربعا معموراً ، وهذا الربع يشتمل على مايعرف ويسلك من البحار والجزائر والجبال والأنهار والمفاوز والبلدان والقرى ، إلا أنه بقى منه قطعة غير معمورة من إفراط البرد وتراكم الثلوج . وقال غيره : معدل النهار يقطع الأرض بنصفين كل نصف بربعين شماليين وجنوبيين فالشماليان هما المعمورة وهو من العراق إلى الجزيرة والشام ومصر والروم وفرنجة ورومية والسوس إلى جزائر السعادات فهذا الربع غربى شمالى ، ومن العراق إلى الأهواز والشمال وخراسان وتبت إلى الصين إلى واقرها فهذا الربع شرقى شمالى ، وكذلك النصف الجنوبى ربعان شرقى جنوبى فيه بلاد الزنج والحبشة والنوبة وربع غربى جنوبى لم يطأه أحد ألبتة وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر . وحكى أن بطليموس الملك اليونانى بعث إلى هذا الربع قوما ليبحثوا عن بلاده ، فذهبوا وبحثوا عن أهل بلاده ثم انصرفوا وأخبروا أنه خراب يباب ليس فيه عمارة ولا حيوان فسمى هذا الربع الخراب ، وقيل الربع المحترق .

(فصل : فى أقاليم الأرض)

واعلم أن الربع المسكون قد قسم سبعة أقسام كل قسم يسمى إقليما كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب طوله وعرضه من جهة الجنوب إلى جهة الشمال وهى مختلفة الطول والعرض ، فأطولها وأعرضها الإقليم الأول فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من مائة وخمسين فرسخا ، وأقصرها طولا عرضها الإقليم السابع فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من سبعين فرسخا . وأما سائر الأقاليم التى بينهما فيختلف طولها وعرضها بالزيادة والنقصان . ثم إن هذه الأقسام ليست أقساما طبيعية لكنها خطوط وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا بالربع المسكون من الأرض ليعلم بها حدود البلدان والممالك مثل أفريدون وإسكندر وأردشير .

(فصل : فيما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف)

زعموا أن الأدخنة والأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولا يقاومها برودة حتى

تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلبا لايكون فيها منافذ ومسام فالبخارات إذا قصدت الصعود ولاتجد المسام والمنافذ تهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست فى محلال أجزاء البدن فتشتعل فيها الحرارة الغريزية فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارا ودخانا فيخرج من مسام جلد البدن فيهتز من ذلك البدن ويرتعد ، ولا يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فإذا خرجت يسكن ، وهذه حركات بقاع الأرض بالزلزال فربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة ، والله أعلم .

(فصل : فى صيرورة السهل جبلا والبر بحرا وعكسهما)

قالوا : إذا امتزج الماء بالطين وكان فى الطين لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجرا كما ترى النار إذا أثرت فى اللبن صلبتها وجعلتها آجرا فإن الآجر نوع من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثر النار فيه أكثر كان أشبه بالحجر فزعموا أن تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس . وأما سبب ارتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعض الأرض وترفع بعضها ثم المرتفع يصير حجرا لما ذكرنا ، وجاز أن يكون بسبب أن الرياح تنقل التراب من مكان إلى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجر بسبب ماقلنا . وذكر صاحب علم المجسطى أن فى كل ستة وثلاثين سنة ينتقل أوجات الكواكب ويدور فى البروج الاثنى عشر دورة واحدة فإذا انتقلت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الأرض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد ويتغير أرباع الأرض فيصير العمران خرابا والخراب عمرانا والبرارى بحرا والبحار برارى والسهول جبالا والجبال سهولا .

(وأما صيرورة الجبال سهولا) فإن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبسا وجفافا ، وتتكسر خاصته عند الصواعق فتصير أحجارا وصخورا ورمالا ، ثم إن السهول يحملها إلى بطون الأنهار والأودية ثم تحملها بشدة جريانها إلى البحار فتنبسط فى قعرها ساقا بعد ساق بطول الزمان ويتلبد بعضها فوق بعض فيحصل فى البحار جبال وتلال ، كما يتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمل فى البرد ولذلك قد يوجد فى جوف الأحجار إذا كسرت صدفة أو عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم ، وقد يصير البحر يبسا واليبس بحرا لأنه كلما انطمت قطعة من البحار على الوجه الذى ذكرناه فالماء يرتفع ويطلب الاتساع على سواحله ويغطى بعض البر بالماء له ، ولا يزال كذلك حتى تصير مواضع البر بحرا وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير حصى ورمالا يحملها سيول الأمطار مع طين ممرها إلى قعر البحار ، وينعقد فيها كما ذكرناه

حتى يستوى مع وجه الأرض فيجف وينكشف ، وينبت العشب عليها الأشجار فتصير مسكنا للسباع والوحوش فيقصده الناس لطلب المنافع من الصيد والحطب وغيرهما فيصير مسكنا للناس موضعا للزرع والغرس فيصير مدنا وقرى ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

(فصل : فى فوائد الجبال وخواصها وعجائبها)

أما فائدتها العظمى فما ذكره الله تعالى فى كتابه — وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم — وقال بعضهم : لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديرا أملس فكان مياه البحار تغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء فبطلت الحكمة المودعة فى المعادن والنباتات والحيوانات فاقتضت الحكمة الإلهية وجود الجبال لما ذكرناه من الحكمة . وقال بعضهم : إن الجبال لوجود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذى هو مادة حياة النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء انعقاد البخار فى الجو فيصير سحابا ، والجبال الشامخة الطوال فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة حتى يلقحها البرد فيصير مطرا أو ثلجا ، فلو فرضت الجبال مرتفعة على وجه الأرض لكانت الأرض كرة لاغور فيها ولا نتوء ، والبخار المرتفع لايبقى فى الجو منحصرا إلى وقت يضربه البرد بل يتحلل ويستحيل هواء فلا يجرى الماء على وجه الأرض إلا قدرا ينزل مطرا ثم تنشفه الأرض ، فيعرض من ذلك أن الحيوان والنبات يعدم الماء فى الصيف عند شدة الحاجة إليه كما فى البادية البعيدة ، فاقتضى التدبير الإلهى وجود الجبال ليحصر البخار المرتفع من الأرض من أغوارها ويمنع من السيلان ويمنع الرياح أن تسوقها كما يمنع السقف الماء فيبقى محفوظا إلى أن يلحقه البرد زمان الشتاء فيجمده ويعصره فيصير ماء ثم ينزل مطرا وثلجا ، والجبال فى أجرامها مغارات وأهوية وأوشال وكهوف فيقع على قللها الأمطار والثلوج وينصب إلى تلك المغارات والأوشال وتبقى فيها مخزونة ، وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة وهى العيون فساحت منها المياه على وجه الأرض فينتفع بها النبات والحيوان ، ومافضل ينصب إلى البحار فإذا فنى ما استفادته من الأمطار والثلوج لحقتها نوبة الشتاء فعادت إلى مكان ما ، ولا يزال دأبها كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

(ولنذكر) بعض الجبال وخواصها العجيبة مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى

(جبل أولشان) بأرض الروم ، فى وسط هذا الجبل درب فيه دوران من اجتاز فيه وهو فى حال اجتيازه يأكل الخبز بالجبن ويدخل من أوله ويخرج من آخره لا يضره عضة الكلب الكلب ، وإن عض إنسانا غيره يعبر بين رجلى هذا المجتاز يأمن غائلته وهذا أمر مشهور عندهم .

(جبل أبى قبيس) مطلّ على مكة ، يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوىّ يأمن من أوجاع الرأس ، وكثير من الناس يفعلون ذلك .

(جبل أروند) مطل على همذان خضر نضر . دخل رجل من همذان على جعفر الصادق رضى الله عنه فقال له : من أين أنت ؟ قال : من همذان . قال : أتعرف جبلها أروند ؟ قال : نعم ، إن فيها عينا من عيون الجنة ، وأهل همذان يرون أنها الماء الذى على قلة الجبل وذلك أن ماءها يخرج فى وقت من أوقات السنة معلوم ومنبعه من شق فى صخرة ، وهو ماء عذب شديد البرد لايجد شاربه منه ثقلا ، فإذا جاوزت أيامه المعدودة انقطع إلى وقته من العام الآخر لايزيد ولا ينقص ، وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه . قالوا : إنه يكثر إذا كثر الناس ويقل إذا قلوا .

(جبل أروند أيضا) جبل آخر فيه بسيستان فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فما كان من القصب فى الماء فهو كالحجر وما كان خارج الماء فهو قصب وما سقط من ذلك القصب فى الماء يصير حجرا ، وكذلك لو كان قشرا أو ورقا هكذا ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(جبل أشبرة) بناحية الشاش بما وراء النهر ، ومنها قال الإصطخرى : هناك جبال فيها منافع كثيرة من النفط والحديد والنحاس والآنك والصفر والفيروزج والذهب ، وفيها حجر كله أسود مثل الفحم ويحترق مثل الفحم يباع منه وقور وقران بدرهم فإذا احترق اشتد بياضاً ، وماؤه يستعمل فى تبييض الثياب ولا يعرف مثله من المواضع أصلا .

(جبل التر) على ثلاث فراسخ من قزوين شامخ جداً لا تخلو قلته من الثلج لا صيفا ولا شتاء وعليه مسجد يأوى إليه الأبدان والناس يقصدونه للتبرك ، ويتولد من ثلجه دود أبيض إذا غرزت فيه بأدنى شىء يخرج منه ماء أبيض صاف مقدار ما يروى دابة ، وقال بعضهم : إنه ليس بحيوان .

(جبل أندلس) فى جبل منها غار لا ترى منه النار ، وإذا أخذ فتيلة ودهنها وشدها على رأس خشبة طويلة ودخل الغار اشتعل ، وبقرب هذا الجبل جبل آخر تشتعل النار على قلته بالليل والنهار يصعد منه دخان عظيم شديد الحرارة ، وعلى جبل من جبالها عينان بينهما مقدار شبرين ينبع من أحدهما ماء شديد الحرارة ومن الآخر ماء بارد شديد البرد ، والله أعلم .

(جبل هجنة) بتركستان على قلته شبه خرقات من الحجر وداخل الخرقات عين ينبع الماء منها وعلى الخرقات شبه كوة يخرج منها الماء وينصب من الخرقات إلى الكوة ومنها إلى الجبل ومن الجبل إلى الأرض ، وتفوح من ذلك الماء رائحة طيبة ، والله الموفق .

(جبل البرانس) بأندلس ، فيه معدن الكبريت الأحمر والأصفر ومعدن الزئبق وهو غزير جداً يحمل إلى سائر الآفاق ، وبه معدن الزنجفر وليس فى جميع الأرض يعرف إلا هناك .

(جبل القدس) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض القدس جبل فيه شبه بيت غار يمشى إليه الزوار فإذا أظلم الليل يضىء البيت ولا سراج فيه ولا كوة يدخل منها الضوء فيه من خارج .

(جبل تحميد) قال صاحب [تحفة الغرائب]: بأرض أندران جبل يقال له تحميد ، وفيه قرية فى طريقها مضيق لو صاح المار فيه صيحة يهب فيه هواء لا يقدر الإنسان على الوقوف فيه .

(جبل نيسون) بين حلوان وهمدان جبل عال ممتنع لا ترتقى ذروته. قال مسعود بن مهلهل: هو على فرسخ من قرمسين حفر فيه إيوان فيه صورة شبرين ، خطه كسرى أبرويز على حائط الإيوان ، وعلى وسط الإيوان صورة أبرويز على فرشه سرير منحوت من حجر عليه درع كأنه من الحديد وقد ثبت بمسامير وردة وقد بولغ فى تجويدها إلى حد من يراه يحسب أنه متحرك ، وبين يدى أبرويز رجل فى زى فاعل على رأسه قلنسوة وهو مشدود الوسط بيده مسحاة كأنه يحفر الأرض والماء يخرج من تحت رجله .

(جبل ثبير) بمكة بقرب منى ، وهو جبل مبارك يقصده الزوار ، وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى جعله الله تعالى فداء لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ، والعرب تقول : أشرق ثبير كيما نغير .

(جبل ثور الطحل) بقرب مكة فيه الغار الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا من مكة مهاجرين ، وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز حيث قال — إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار — .

(جبل حراب) بأرض الهند فى ذروته نار تتقد مقدار مائتى ذراع فى مثلها وبالنهار دخان حواليه منابت العطر يجلب منها إلى سائر الآفاق .

(جبل جيش إرم) فى بلاد طىء على ذروته مساكن لعاد إرم فيها صور منحوتة من الحجر لا يعرف حالها ، والله أعلم بفائدتها .

(جبل الجودى) بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى ، وقد بنى فيه نوح عليه الصلاة والسلام مسجدا وهو باق إلى الآن تزوره الناس .

(جبل جوشن) فى يمين حلب فيه معدن النحاس الأحمر ، قيل إنه بطل منذ عبر عليه الحسين رضى الله تعالى عنه وكانت زوجة الحسين رضى الله عنه حاملا فأسقطت هناك فطلبت منهم الماء فى ذلك الجبل فمنعوها وشتموها فدعت عليهم ، فإلى الآن من عمل فيها لا يربح .

(جبل الحارث والحويرث) جبلان بأرمينية لا يقدر أحد على ارتقائهما . قال ابن الفقيه :

كان على نهر الرأس بأرمينية ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيا دعاهم إلى الله تعالى فكذبوه وعصوا أمره فدعا عليهم، فحول الله عليهم الحارث والحويرث من الطائف وأرسلهما عليهم فقالوا : إن أهل الرس تحت هذين الجبلين .

(جبل حراء) بمكة على ثلاثة أميال منها به غار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحى يأتيه للخلوة فأتاه جبريل عليه السلام هناك وهو موضع مبارك يزوره الناس ، والله أعلم .

(جبل حودقور) حدث أحمد بن يحيى التميمى أن فى ناحية قورشو فى جبل يقال له حودقور غور مقداره خمسة أرماح وعرضه قليل ينبت فيه دكة ، فمن أراد أن يتعلم شيئا من السحر عمد إلى ماعز أسود ليس فيه شعرة بيضاء وذبحه وسلخه وقسمه سبعة أجزاء وأعطى جزءا منها للراعى المقيم بالجبل وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار ويأخذ الكرش فيشقها وينطلى بما فيه ويلبس جلد الماعز مقلوبا ويدخل الغار ليلا ، ومن شرطه أن لا يكون له أب ولا أم فإذا دخل الغار لم ير أحدا فينام، فإذا أصبح ووجد جسمه نقيا مما كان عليه كأنه مغسول دل على القبول ، وإن أصبح بحاله دل على أنه لم يقبل فإذا خرج من الغار لم يحدث أحدا ثلاثة أيام بعد القبول فيصير ساحراً وحودقور بين حضرموت وعمان .

(جبل الحيات) بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لاتخرج من ذلك الجبل البتة .

(جبل دامغان) جبل مشهور ودامغان يقرب من الرى ، وعلى هذا الجبل عين ماء إذا ألقى فيها نجاسة تهب ريح قوية بحيث يخاف منها الهدم ذكره صاحب [تحفة الغرائب] .

(جبل إنهاوند) بقرب الرى يناطح النجوم ارتفاعا ويحكيها امتناعا . قال مسعود ابن مهلهل : إنه جبل شاهق لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ولا يقدر الإنسان أن يعلو ذروته. زعموا أن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام حبس به ماردا يقال له صخر ، وذكروا أن أفريدون حبس به بنى راسف الذى يقال له الضحاك . قال : فصعدت الجبل إلى أن وصلت إلى نصفه بمشقة ومخاطرة بالنفس ، وما أظن أحدا يجاوز هذا الموضع ، الذى وصلت إليه رأيت عينا كبريتا وحولها كبريت مستحجر إذا طلعت الشمس عليها التهبت وصارت نارا ، وسمعت من أهل تلك الناحية يقولون إن النمل إذا أكثر جمع الحب على هذا الجبل يكون بعده جدب وقحط ، وأنهم إذا دامت عليهم الأنداء والأمطار فصبوا لبن الماعز على النار انقطع . قال : فاعتبرت هذا فوجدتهم صادقين ، وأنه مايرى فى وقت من الأوقات قلة الجبل منحسرا عن الثلج إلا وقد وقعت فتنة وأهريقت الدماء من الجانب الذى يرى منحسرا ، وهذه أيضا صحيحة بإجماع أهل تلك الناحية . وقال محمد بن إبراهيم الضراب : إن أبى عرف

أن بجبل نهاوند الكبريت الأحمر فاتخذوا مغارف حديد طول السواعد فذكروا أنه لا يقرب من ناره حديدة إلا ذابت فى ساعتها . وذكر أهل نهاوند أنه جاءهم رجل من خراسان ومعه مغارف حديد طوال مطلية بما عالجها بها وأخرج الكبريت منها لبعض الملوك. وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى بن حفص كان واليا على الرى إذ ورد عليه كتاب المأمون يأمره بالشخوص إلى نهاوند ويعرّفه حال المحبوس به . قال : فوافينا القرية التى بحضيض الجبال ومكثنا أياما لانرى الاهتداء حتى أتانا شيخ فعرفناه أمر الخليفة فقال : أما الوصول إلى ذلك المكان فلا سبيل إليه لكن إذا أردتم صحة ذلك أريتكم فاستحسن الأمير قوله فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا وصعدنا خلفه وأوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة ، وفيه تمثال على صورة عجيبة يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور ، فاستخبرنا الشيخ عن شأنه فقال : هذا طلسم ليبوراسف المحبوس هاهنا لئلا ينحل من وثاقه ، ثم أمرنا أن لانتعرض للطلسم وأن نرده إلى ماكان ففعلنا ، ثم دعا بسلالم أطول مايكون فأمر الأمير بإحضارها فشد بعضها إلى بعض حتى بلغ مدار مائة ذراع ، ثم رفعها ونقب موضعها فظهر باب فوصلنا إلى أسكفته وعليها مسامير من حديد مذهبة كأن الصانع قد فرغ منها عن قريب ، وفوق الأسكفة كتابة بالذهب تنطق بأن على هذه القبة سبعة أبواب من حديد على كل باب مصراع أربعة أقفال من حديد ، وعلى العضادة مكتوب : هذا حيوان له أمد إلى غاية لا يتعرض أحد لهذه الأبواب فإن من فتحه يهجم على هذا الإقليم آفة لا تدفع ، فقال الأمير : لا يتعرض أحد لشىء من هذا حتى تستأذن الخليفة فأمر برد البيت على ماكان واستأذن الخليفة فيه ، فكتب المأمون إليه أن يترك ذلك على حاله ، والله تعالى الموفق للصواب .

(جبل ربوة) على فرسخ من دمشق . ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى : ـ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ـ هو جبل عال على قلته مسجد حسن وهو فى بعض البساتين من جميع جوانبها الخضرة والأشجار والرياحين وللمسجد مناظر إلى البساتين ، ولما أرادوا إجراء نهر بردى وقع هذا الجبل فى طريقه فنقبوا تحته وأجروا الماء فيه ويجرى على رأسه نهر يزيد وينزل من أعلاه إلى أسفله ، وفى هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد فيه ، ورأيت فى هذا المسجد فى بيت صغير حجرا كبيرا ذا ألوان عجيبة حجمه كحجم صندوق وقد انشق نصفين وبين شقيه مقدار ذراع لم ينفصل أحد النصفين عن الآخر بل متصل به كرمان متشقق ولأهل دمشق فى ذلك أقاويل ، والله أعلم بصحتها ولا ريب أنه شىء عجيب .

(جبل رضوى) قال عامر بن أصبع : هو من المدينة على سبعة مراحل وهو جبل منيف

ذو شعاب وأودية يرى من البعد أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة . زعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية مقيم فيه وأنه حى وأنه بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو المهدى المنتظر ، وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان وقتله أبى يزيد بن معاوية ، وكان السيد الحميرى على هذا المذهب ، وهو يقول :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسن ويرفع إلى جميع الآفاق ، والله الموفق .

(جبل الرقيم) هو المذكور فى القرآن — أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا — قيل الرقيم اسم الجبل الذى فيه الكهف ، وقيل اسم القرية التى كان أصحاب الكهف منها ، والجبل بالروم بين عمورية ونيقية . روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : بعثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسولا إلى ملك الروم أدعوه إلى الاسلام قال : فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل أحمر . قالوا : إنه جبل أصحاب الكهف ، فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهلها عنهم فأوقفونا على سرب فى الجبل فقلنا لهم : نحن نريد أن ننظر إليهم ووهبنا لهم هبة فدخلوا ودخلنا معهم فى ذلك السرب وكان عليه باب من حديد ففتحوه ، فانتهينا إلى بيت عظيم محفور فى الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود على كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم إلى أرجلهم ، فلم نر ما بثيابهم من صوف أو وبر إلا أنها أصلب من الديباج وإذا هى تقعقع من الصفاقة ، وعلى أكثرهم خفاف إلى أنصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة ولنعالهم وخفافهم من جودة الخرز ولين الجلود مالم ير مثله فكشفنا عن وجوههم رجلا بعد رجل فإذا هم من وضاءة الوجوه وصفاء الألوان كالأحياء ، وإذا الشيب قد وخط بعضهم وبعضهم شباب وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مصمومة ، وهم على زى المسلمين فانتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف كأنه ضرب فى يومه فسألناهم عن حالهم فذكروا أن قوما يدخلون عليهم فى كل عام يوما يجتمع أهل تلك النواحى عند باب هذا الكهف فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وجباههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على الهيئة التى ترونها ، فقلنا لهم : هل تعرفون من هم وكم هم وكم مدة مالهم هاهنا ؟ فذكروا أنهم يجدون فى كتبهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا فى زمان واحد وكانوا قبل المسيح بأربعمائة سنة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة : وهم مكسلمينا أمليخا مرطوكش نوالس أسانيوس بطنيوس أكشفوط واسم كلبهم قطمير .

(جبال رانك) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنها بأرض تركستان وهناك جمع من الترك

يقال لهم رانك ، وهم أناس ليس لهم زرع ولا ضرع وفى جبالهم ذهب وفضة كثيرة ، وربما قطعوها كرأس شاة؛ فمن أخذ القطع الصغار ينتفع بها ، ومن أخذ الكبار يموت هو وأهل البيت الذى يكون فيه تلك القطع الكبار ومايزال الموت فيهم حتى يردوها إلى مكانها، وإذا أخذ الغريب لا يضره .

(جبل زغوان) بقرب تونس وهو جبل منيف يرى من مسيرة أيام لعلوه ويرى السحاب دونه ،وأهل أفريقية يقولون : فلان أثقل من جبل زغوان، وفيه قرى كثيرة ومياه وأشجار وثمار ، وفيه مأوى الصالحين ، وكثيرا مايمطر سفحه ولا يمطر أعلاه؛ فمن كان بيته فى سفح الجبل يكون من شدة المطر ومن كان بيته فى أعلاه يكون من قلة الماء وكثرة العطش .

(جبل ساوة) هو جبل على مرحلة منها رأيته وهو شامخ جدا ، فيه غار شبه إيوان يسع ألف نفس ، وفى آخر الغار قد برز من سقفه أربعة أحجار شبيهة بثدى النساء يتقاطر الماء من ثلاثة والرابع يابس قالوا مصه كافر فيبس ، وتحتها حوض يجتمع الماء فيه وماؤه طيب غير متغير مع طول وقوفه ، وعلى باب الغار ثقب ذوبابين يدخلون من أحدهما ويخرجون من الآخر ، زعموا أن من لم يكن له ولد يرشده لايقدر على الخروج منها ، ورأيت رجلا دخل فيها فماخرج إلا بعد جهد شديد ، والله الموفق .

(جبل سيلان) وهو بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان من أعلى جبال الدنيا، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ — فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون — إلى قوله تعالى — وكذلك تخرجون — كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان، قيل: وما سيلان يارسول الله ؟ قال : جبل أرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء». قال أبو حامد الأندلسى : على رأس الجبل عين عظيمة ماؤها بارد جدا وحول الجبل عيون حارة يقصدها الناس ، وفى حضيض الجبل شجر كثير وبينها حشيش لايتناوله شىء من الحيوانات إلا مات من ساعته . قال : ولقد رأيت البهائم من الخيل والحمير والبقر والغنم يقصدونها فإذا قربت منها نفرت حتى العصافير . قال: وفى سفح الجبل قرية اجتمعت بقاضيها وهو أبو الفرج بن عبد الرحمن الأردبيلى فسألته عن حال تلك الحشيشة فقال : إنها تحميها الجن ، وذكر أنه بنى فى هذه القرية مسجدا فاحتاج إلى قواعد حجرية لأعمدة المسجد فأصبح وعلى باب المسجد قواعد من الصخر المنحوت محكمة الصنع من أحسن مايكون .

(جبال السراة) حاجزة بين تهامة واليمن عظيمة الطول والعرض ، وهى كثيرة الأهل والأنهار والأشجار ، وبأسفلها الأودية تنصب إلى البحر ، وكل هذه الجبال منابت القرظ ، وفيها الأعناب وقصب السكر والأسجل ، وفيها معدن البرام .

(جبل السماق) جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع أكثرها للإسماعيلية وهو منبت السماق وهو مكان نزوة ترابه طيب . ومن عجيب هذا الجبل أن فيه بساتين ومزارع ومياها عذبة فتنبت الحبوب والفواكه فى الحسن والطراوة كالمشقوق حتى المشمش والقطن والسمسم .

(جبل سرنديب) هو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام وهو بأعلى الصين فى بحر الهركند ذاهب فى السماء يراه البحريون من مسافة أيام ، وفيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة فى الحجر ، ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ، ولا بد له فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام . ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود .

(جبل سمرقند) قال صاحب [تحفة الغرائب] جبل سمرقند فيه غار يتقاطر الماء منه فى الصيف وينعقد جمدا ، وفى الشتاء يكون حارا حتى لو أن أحدا غمس يده فيه احترقت .

(جبل السم) ذكر الهيجانى أن أهل الصين نصبوا من رأس جبل إلى رأس آخر قنطرة فى طريق حسن إلى تبت فإن من جاوزها يدخل فى هواه يأخذ بالأنفاس ويثقل اللسان ويموت من المارين كثير ، وأهل تبت جبل السم .

(جبل الشب) بأرض اليمن على قلة الجبل ماء يجرى من كل جانب وينعقد حجرا قبل أن يصل إلى الأرض ، والشب الأبيض اليمانى من ذلك .

(جبل شبام) قال محمد بن أحمد بن إسحاق الهمدانى : هو جبل بقرب صنعاء وبينها وبينه يوم واحد وهو صعب المرتقى ليس له إلا طريق واحد وذروته واسعة فيه ضياع كثيرة ومزارع وكروم ونخيل والطريق إليها فى دار الملك ، وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك من أراد النزول إلى السهل دخل إلى الملك وأعلمه بذلك ليأمره بفتح الباب ، وحول تلك الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسلك فيها ولا يعلم أحد ما وراءها ، ومياه هذا الجبل تنصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ماء فتح فيجرى الماء إلى صنعاء ومخاليفها .

(جبل شرق البعل) فى طريق الشام من المدينة فيه بنيان عظيم للأصنام صنعوا فيها من النقوش العجيبة محفورة فى الحجر مالا يأتى حفره فى الخشب مع علو سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها ، وهو شىء عجيب إذا رآها الناظر يتحير فى صنعتها ، والله أعلم بما كان فى غرضهم منها .

(جبل شقان) بخراسان . ذكر بعض فقهاء خراسان أن من داخله غار من دخله برئ من المرض أى مرض كان . وذكر أيضا أن به جبلا آخر من ارتقى ذروته لا يحس بشىء من هبوب الريح حتى يبقى بينه وبين أعلى ذروته ذراعان وهناك يحس بهبوب الريح .

(جبل شكران) بأرض شكران هو جبل ولست أدرى أنه بالأندلس أو باليمن على قلته شبه مسرجة من الحجر فى كل سنة لايرى ثلاث ليال على تلك المسرجة سراج مضىء ولا يقدر أحد على الصعود إلى مكان المسرجة لهبوب الريح العاصف لأنه عند وصوله إلى نصف الجبل ترميه الريح ، وفى الليلة التى يرى فيها السراج على المسرجة ترى فى منارها شبه طاوس على تلك المسرجة ولا علم للناس بحقيقة ذلك ، والله أعلم .

(جبل الصور) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجرا وكسره يرى فى وسطه شبه صورة إنسان قائما أو قاعدا أو مضطجعا ، وإن دققت هذا الحجر ثم سحقته وحللته فى الماء حتى يرسب تر فى الراسب مثل ما كان فى الحجر .

(جبل الصفا) بين بطحاء مكة والواقف على الصفا بحذاء الحجر الأسود والمروة يقابله . قيل إن الصفا والمروة كانا اسمى رجل وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعوا كل واحد على الحجر المسمى باسمه لاعتبار الناس ، وجاء فى الحديث أن الدابة التى هى من أشراط الساعة تخرج من الصفا ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يضرب عصاه على الصفا ويقول : إن الدابة تسمع قرع عصاى هذه .

(جبل صقلية) هو جبل فى وسط بحر المغرب . قال الحسن بن يحيى فى تاريخ صقلية : إنه جبل مطل على البحر ذروته ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة أكثرها البندق والصنوبر والأرز وحوله أبنية كثيرة وفيها أصناف الثمار ، وفى أعلاه منافس يخرج منها النار والدخان وربما سالت النار منه إلى بعض جهاته فتحرق جميع مامرت عليه فتجعله مثل خبث الحديد ، وعلى قلة هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار أبدا صيفا وشتاء . وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة للنظر إلى عجائبها واجتماع النار والثلج فيه ، وفيه معدن الذهب وتسميه أهل الروم بجزيرة الذهب أو جبل الذهب .

(جبلا الضلعين) فى طريق مكة من البصرة يسمى أحدهما ضلع بنى مالك والآخر ضلع بنى سيصبان ، وهم بطن من الجن كفار ، فأما ضلع بنى مالك فيحل به الناس ويصطادون صيدها ويرعون كلأها ، وأما ضلع بنى سيصبان فلايصطاد صيدها ولا يرعى كلؤها ، وربما مر عليها من لايعرف حالها فأصابوا من كلئها أو من صيدها فأصابهم شر فى أنفسهم وأموالهم ولم يزل الناس يذكرون كفرها ولا يريدون إسلام هؤلاء ، ولهم حديث عجيب يأتى فى مقالة الجن إن شاء الله تعالى .

(جبل طارق) بطبرستان . ذكر أبو الريحان الخوارزمى فى الآثار الباقية من تصانيفه أن فى هذا الجبل مغارة فيها دكة تعرف بدكة سليمان بن داود عليهما السلام إذا لطخت بشىء من الأقذار تفتحت السماء ولا تزال تمطر حتى يزال القذر عنها .

(جبل الطاهر) بأرض مصر : قال صاحب تحفة الغرائب : على هذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى من الجبل ماء عذب إلى ذلك الحوض ويسمى ذلك الماء الطاهر ، فإذا امتلأ الحوض ينصب الماء من جميع جوانبه فإذا ورد الحوض جنب أو حائض وقف الماء ولا يجرى حتى يراق ما فى الحوض وينظف تنظيفا جيدا وبعد ذلك يجرى الماء .

(جبل طبرستان) قال صاحب [تحفة الغرائب] به حب شجر يسمى جوز ماثل ، من قطعه ضاحكا وأكله غلب عليه الضحك ، ومن قطعه باكيا وأكله غلب عليه البكاء ، ومن قطعه راقصا فكذلك ، فعلى أى صفة من قطعه وأكله تغلب عليه تلك الصفة .

(جبل طور سيناء) بقرب مدين بين الشام وبين قرى مدين ، وقيل إنه بقرب أيلة كان عليه الخطاب لموسى عند خروجه من مصر مع بنى إسرائيل فكان إذا جاء سيدنا موسى ينزل عليه غمام وهو عليه السلام يدخل فى ذلك الغمام ويكلمه ربه وهو الجبل الذى ذكره الله تعالى حيث قال – فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا – والذى بقرب مدين لا يخلو من الصلحاء وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجر العليق .

(جبل طور هارون) جبل مشرف على قبلى بيت المقدس ، وإنما سمى طور هارون لأن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد المضى إلى مناجاة ربه ، فقال له هارون : احملنى معك فإنى لست آمنا أن يحدث ببنى إسرائيل حدث فتغضب على مرة أخرى فحمله معه ، فلما كان ببعض الطريق إذا هما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليه وقالا : لمن يحفران هذا القبر؟ فقالا لأشبه الناس بهذا الرجل ، أشارا إلى هارون ثم قالا له : بحق إلهك إلا ما نزلت هل هو واسع؟ فنزع هارون ثيابه ودفعها إلى موسى أخيه ونزل القبر ونام فيه فقبض الله روحه فى الحال وانضم القبر عليه ، فانصرف موسى باكيا حزينا على مفارقته وانصرف إلى بنى إسرائيل بثياب هارون فاتهموه بقتله ، فدعا الله تعالى حتى أراهم تابوته بين الصفا على رأس الجبل فسمى الجبل جبل هارون .

(جبل الطير) بصعيد مصر فى شرقى النيل بقرب أنصنا وإنما سمى بذلك لأن صنفا من الطير أبيض يقال له البوقير يجىء فى كل عام فى وقت معلوم فينعكف على الجبل ، وفيه كوة يأتى كل واحد منها ويدخل رأسه فى هذه الكوة ثم يخرجه ويلقى نفسه فى النيل ، ويقوم ويذهب من حيث جاء حتى يدخل واحد رأسه فيها فينقض على رأسه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا فيها إلى أن يتلف فيسقط نفسه من بعد مدة ، فإذا كان ذلك انصرف الباقى لوقته فلا يرى شىء من هذا الطير فى هذا الجبل إلى ذلك الوقت المعلوم من العام القابل. قال أبو بكر الموصلى: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت الكوة على طائرين وإن كان متوسطا فعلى واحد وإن كان مجدبا لم تقبض على شىء ، والله أعلم بحاله .

(جبل غروان) فى ذروة الطائف ليس بجميع الحجاز موضع أبرد منه . قالوا : إن الماء يبرد فيه ومن هذا الجبل اعتدال هواء الطائف وليس بالحجاز موضع يجمد الماء به إلا غروان .

(جبلا غوير وكسير) وهما جبلان فى وسط البحر بين عمان والبصرة عظيمان يخاف على المراكب منهما صعب مسلكهما قلما ينجو منهما مركب ، فلصعوبة المنجى منها سموهما بهذا : يقولون : غوير وكسير وثالث ليس فيه خير .

(جبل فرغانة) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنه ينبت به نبات على صورة الآدمى منها على صورة الرجال ، ومنها على صورة النساء يوجد مع الطرقيين كثيرا يتكلمون عليها ويقولون : أكلها يزيد فى الباه .

(جبل قيلوان) قال أبو الريحان الخوارزمى : إنه بقرب المهرجان فيه صفة محفورة والماء يترشح من سقفها دائما ، وإذا برد الهواء جمد على شكل القضبان.

(جبل قاسيون) مشرف على دمشق ، فيه آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومغارات وكهوف ، منها مغارة تعرف بمغارة الدم. قالوا : فيها قتل قابيل هابيل ، وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذى فلق به هامته ، وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع ، يقولون : إنه مات فيها أربعون نبيا جوعا .

(جبل قاف) قال المفسرون : إنه جبل محيط بالدنيا وهو من زبرجدة خضراء منه خضرة السموات ووراءه عالم وخلائق لا يعلمهم إلا الله تعالى .

(جبل فدفد) بمكة ، وهو من الجبال التى لا ترتقى ذروته ، وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد .

(جبل قصران) قال الشيخ الرئيس : إن العسل يقع بجبل قصران كما هو طلا ويختلف بحسب مايقع عليه من الشجر والحجر ، والظاهر منه يلقطه الناس والخفى يلقطه النحل.

(جبل الكحل الإثمد) بالأندلس بقرب مدينة بسطة . قالوا : إذا كان أول الشهر أخذ الكحل يخرج من نفس الجبل وهو كحل أسود ، ولا يزال كذلك إلى نصف الشهر فإذا زاد على النصف نقص الكحل ، ولا يزال يرجع الذى خرج إلى تمام الشهر ، والله الموفق للصواب .

(جبل كرنان) عند ناحية المعادن جبال فيها صخور إذا اشتعلت فيها النار اتقدت كما يتقد الحطب .

(جبل كلستان) كلستان من قرى طوس. ذكر بعض فقهاء خراسان أن فى هذا الجبل كهفا شبه إيوان وفيه دهليز يمشى فيه الإنسان منحنيا مسافة ثم يظهر الضوء عن حظيرة محوطة

فيها عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا على شكل القضبان ، وفى هذه الحظيرة ثقب يخرج منه ريح شديدة جدا لايمكن دخوله لشدة هوب الريح .

(جبل الأرجان) بأرض طبرستان ، فيه ماء يتقاطر من الجبل من كل جبانة ومن كل قطرة ينعقد حجرا مسدسا أو مثمنا والناس يتخذون منه الخرز .

(جبل لبنان) مطل على حمص ، فيه الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد يأوى إليه الأبدال لما فيه من القوت الحلال ، وفى تفاحه أعجوبة وهى أن يحمل من الشام ولا رائحة له حتى يتوسط نهر الثلج فإذا توسط النهر فاحت رائحته .

(جبل المغناطيس) قال المهلبى : جبال المغناطيس متصلة بجبال القلزم وقد علا الماء عليها ، ولهذا المعنى لايستعمل فى مراكب هذا البحر المسامير الحديد خوفا من جذب المغناطيس إياها .

(جبل موركان) بأرض فارس ، فيه كهف يتقاطر الماء من سقفه . قالوا : إن دخل الكهف واحد خرج من الماء مايكفى الواحد وإن دخل ألف خرج من الماء مايكفى الألف .

(جبل الغار) بأرض تركستان فيه غار من دخله من الحيوانات يموت فى الحال .

(جبل نهاوند) قال ابن الفقيه : على هذا الجبل طلسمان صورة ثور وسمك يقال إنهما للماء حتى لايقل ، وماؤه ينقسم قسمين قسم يجرى إلى نهاوند والآخر إلى دينور .

(جبل هرمز) بأرض طبرستان جبل يسمى هرمز ينزل منه الماء وينصب إلى وهده فإذا صاح الإنسان صيحة يقف ، وإذا صاح أخرى يسيل وهكذا جبل الهند . قال صاحب [تحفه الغرائب] بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يخرج من فمهما فيصير ساقيتين وعليهما شرب قريتين على كل ساقيه قرية ، فوقعت بين القريتين خصومة على الماء فكسروا فم إحدى الصورتين فانقطع ماؤه وخربت القرية ، والله أعلم .

(جبل واسط) قال أحمد بن عمر العذرى : إنه بالأندلس بقرب سدونة فى هذا الجبل كهف فيه شق وفى الشق فأس حديد متعلق تراه العيون وتناله الأيدى ، ومن أراد إخراجه لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى الشق ثم يعود إلى حالته . ذكر بعض مشايخ بسدونة : أن بعض الناس أوقد نارا عظيمة على هذه الصخرة ورش عليها الخل لتنفتح الصخرة ويخرج الفأس فما أفاد شيئا .

(جبل بله سيم) بل اسم ضيعة من ضياع قزوين ، هناك جبل حدثنى من صعد هذا الجبل قال : عليه صور الحيوانات مسخها الله تعالى حجرا منها راع متكئ على عصا يرعى غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم كلها مسخت حجرا وأهل قزوين يعرفون ذلك ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(فصل فى تولد الأنهار)

إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب إلى المغارات وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء فإذا كان فى أسفل الجبال منافذ ينزل الماء من الأوشال بتلك المنافذ فتحصل ومنها الجداول ينضم بعضها إلى بعض فيحدث منها أنهار وأودية ، فإن كانت الخزانات فى أعلى الجبال فيستمر جريانها أبدا لأن مياهها تنصب إلى سفح الجبال ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الأمطار وإن كانت الخزانات فى أسافل الجبال فتجرى منها الأنهار عند وصول مددها ثم ينقطع عند انقطاع المدد وتبقى المياه فيها واقفة كما ترى فى الأودية التى تجرى فى بعض الأيام ثم تنقطع لانقطاع مادتها .

قال صاحب [تحفة الغرائب] إن فى هذا الربع المسكون مائتين وأربعين نهرا طولا ، منها ما طوله من خمسين فرسخا إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ ، ومنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب ، ومنها ما يجرى من المغرب إلى المشرق ، ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب ، ومنها ما يجرى من الجنوب إلى الشمال وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى إلى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل ينصب إلى البحار ويختلط بالماء المالح والشمس تشرق فيها فيصعد بخارا وينعقد غيوما وتسوقها الرياح إلى الجبال والبرارى ، وتمطر هناك وتجرى فى الأودية والأنهار وتسقى البلاد ويرجع فاضلها إلى البحر ، ولا يزال هذا دأبها وتدور كالرحى فى الشتاء والصيف إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

(ولنذكر) بعض الأنهار وخواصها وعجائب أحوالها وغرائب حيواناتها مرتبا على حروف المعجم .

(نهر إتل) نهر عظيم يقارب دجلة فى بلاد الخزر مجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه بحر الخزر وقالوا : يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا وعمقه يبقى كما كان لا يتغير لغزارة الماء فإذا انتهى إلى البحر يجرى فيه يومين فيغلب ماء البحر ويبين لونه من لون ماء البحر ويحمد فى الشتاء لعذوبته ، وفى هذا النهر حيوانات عجيبة . ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى بلغار قال : لما وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيم الخلقة فسألت الملك عنه ؟ فقال : نعم ما كان من أهل بلادنا . ومن خبره أن قوما خرجوا إلى نهر إتل وكان قد مد وطغى فقالوا : أيها الملك قد وقف على الماء رجل إن كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فركبت معهم حتى صرت إلى النهر وإذا رجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدر وأنفه أطول من شبر وعيناه عظيمتان وكل أصبع منه شبر ، فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكانى وكتبت إلى أهل ويسو وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر فعرفونى أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج . قالوا يحول بيننا وبينهم البحر . قالوا : فأقام الرجل عندنا مدة ثم أصابه فى نحره علة مات منها فخرجت ورأيت جثة هائلة جدا .

(نهر أذربيجان) قال محمد بن زكريا الرازى عن الجيهانى صاحب [المسالك والممالك الشرقية] : إن بأذربيجان نهرا يجرى ماؤه فيستحجر ويصير صفائح صخر يستعملونه فى البناء .

(نهر أسفار) قال صاحب [تحفة الغرائب] : بأرض أسفار نهر يجرى الماء فيه سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة ثم ينقطع ثمان سنين وهكذا دأبه .

(نهر آنه) قال العذرى صاحب [الممالك والمسالك الأندلسية] يخرج هذا النهر من موضع يعرف بفج العروس ثم يفيض ويجرى تحت الأرض لايبقى له أثر على وجه الأرض، ثم يجرى بقرية يقال لها آنه ثم يفيض ويجرى تحت الأرض ثم يبدو ثم يفيض بين ماردة وبطليوس ثم يبدو وينصب فى البحر .

(نهر جيحون) قال الإصطخرى : جيحون يخرج من حدود بدخشان ثم ينضم إليه أنهار كثيرة فى حدود الجبل ووحش فيصير نهرا عظيما ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ، ولا ينتفع به شىء من البلاد إلا خوارزم لأنها مستقلة به ثم ينصب فى بحيرة خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام . وجيحون مع كثرة مائه يجمد فى الشتاء عند اشتداد البرد فيجمد أولا قطعا تجرى على وجه الماء ويلتصق بعضها ببعض حتى يصير جيحون سطحا واحدا ، ثم يثخن ويصير ثخنه فى أكثر الأوقات خمسة أشبار والماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم آبارا بالمعاول ليستقوا منها لشربهم فإذا استحكم جموده عبرت عليه القوافل والعجلات المحملة ، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويتظاهر عليه الغبار ويبقى على ذلك شهرين ، فإذا انكسر البرد عاد يتقطع قطعا كما بدأ أول مرة إلى أن يعود إلى حاله الأول ، وإنه نهر قتال قلما ينجو منه غريقه .

(نهر حصن المهدى) قال صاحب [تحفة الغرائب] إنه بين البصرة والأهواز فى بعض الأوقات يرتفع منه شبه منارة يسمع منها أصوات الطبل والبوق ولا يعرف أحد سبب ذلك .

(نهر جريح) بأرض الترك فيه حيات إذا وقع عين أحد من الحيوان عليها يغشى عليه .

(نهر دجلة) هو نهر بغداد، مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين تجرى عين دجلة من تحته وهناك ساقية وكلما امتدت انضم إليها مياه جبال دياربكر وآمد يخاض فيه الدواب ثم يمتد إلى مياه فارقين ثم إلى حصن كيفى ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى الموصل وينصب فيه الرايات ، ومنها يعظم إلى بغداد ثم إلى واسط ثم إلى البصرة ثم ينصب إلى بحر فارس ، وماء دجلة من أعذب المياه وأصفاها وأخفها وأكثرها نفعا لأن مجراه من مخرجه إلى مصبه فى العمارات . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه الصلاة والسلام أن احفر لعبادى نهرين واجعل مفيضهما البحر فقد أمرت

الأرض أن تطيعك فأخذ خشبة يجرها فى الأرض والماء يتبعه، وكلما مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله تعالى فيحيد الماء عنهم . قيل : دجلة والفرات من ذلك، ودجلة نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقها .

(حكى) أنهم وجدوا فيها غريقا فأخذوه فإذا فيه رمق فلما رجعت إليه نفسه سئل عن حاله ، وكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته مسيرة أيام .

(نهر الذهب بالشام) يزعم أهل حلب أنه وادى بطنان ، ومعنى قولهم نهر الذهب لأن جميعه يباع أوله بالميزان وآخره بالكيل فإن أوله تزرع عليه الحبوب وتغرس عليه الأشجار وآخره ينصب إلى بطيحة فرسخين ينعقد ملحا ، والعجب من هذا النهر أنه لا يضيع منه شئ بل يباع كله بالذهب .

(نهر الرأس) بأذربيجان شديد جرى الماء وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا ليس للسفن فيه مجرى وله أجراف هائلة ذات حجارة عظيمة لامشارع لها . زعموا أنه من عبر نهر الرأس بدجلة إذا مسح برجليه ظهر امرأة عسرت ولادتها تضع فى الحال ، وكان بقزوين شيخ تركمانى اسمه الخليل كان يفعل ذلك : وزعموا أيضا أن نهر الرأس مسامح بالغرقى كثيرا ماينجو غريقه . ومن العجائب ماذكر ديسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان . قال : كنت أجتاز على قنطرة الرأس بعسكرى فإذا صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل فى قماطه فصدمتها دابة فرمتها فسقط الطفل من يديها فى النهر فوصل إلى الماء بعد زمان لبعد مابين القنطرة وسطح الماء ثم غاص وطغا الماء يجرى به وسلم من الحجارة التى فى النهر ، وللعقبان أوكار على أجراف النهر فرآه عقاب فانقض عليه فرفعه وخرج به إلى الصحراء فأمرت جماعة بالركض فى أثر العقاب فإذا العقاب قد وقع على الأرض واشتغل بخرق القماط فأدركه القوم وصاحوا به وركضوا نحوه فطار وترك الطفل فوجدوه سالما يبكى فردوه إلى أمه .

(نهر بين الموصل وأربل) يبتدئ من أذربيجان وينصب فى دجلة يقال له الزاب المجنون لشدة جريانه ، ولقد شربت من مائه وقت القيظ عند الظهيرة وكان باردا جدا وذلك لشدة جريه فإن الشمس لا تؤثر فيه حتى يسخن ماؤه .

(نهر زرير ونهر أصفهان) موصوف باللطافة والعذوبة يغسل فيه الثوب الخشن يصير لينا مثل الحرير مخرجه من قرية يقال لها بياكان ويعظم بانضمام المياه إليه عند أصفهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم يغور فى رمل هناك ويخرج بكرمان ثم ينصب فى بحر الهند : ذكر بعضهم : أنهم أخذوا قصبة وعملوها وأرسلوها فى موضع الغور فخرجت بكرمان .

(نهر زوبر) بأذربيجان بقرب مزيد لا يخوضه الفارس فإذا وصل إلى قرب مزيد

يجرى تحت الأرض أربعة فراسخ ثم يظهر على وجه الأرض، أخبر به الشريف محمد بن ذى الفقار العلوى المزيدى .

(نهر سنجة) هو نهر عظيم بأرض مصر بين حصن المنصور وكيسوم لا يتهيأ خوضه لأن قراره رمل سيال ، وعلى هذا النهر قنطرة ، وهى إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتى خطوة من حجر مهندم طول كل قطعة عشرة أذرع .

(وحكى) أنه عندهم طلسم على لوح إذا غاب موضع من القنطرة أدلى ذلك اللوح على موضع العيب فينعزل الماء عنه فيصلح ثم يرفع اللوح فيعود الماء إلى حاله الأول ، والله أعلم .

(نهر شلف) بأفريقية . حدثنى الفقيه سليمان المليانى : أن فى كل ستة أيام الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشبوق طيب اللحم إلا أنه كثير الشوك طوله قدر ذراع ويبقى شهرين ، ويكثر صيدها فى هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم ينقطع فلا يرى فيها شىء إلى العام القابل .

(نهر صقلاب) بأرض صقلاب فى كل أسبوع يجرى فيه الماء يوما واحدا ثم ينقطع ستة أيام ثم يجرى فى السابع وهكذا .

(نهر طبرية) نهر عظيم والماء الذى يجرى فيه نصفه حار ونصفه بارد لا يختلط أحدهما بالآخر ، فإذا أخذ فى الإناء يبقى كله باردا خارج النهر .

(نهر العاصى) نهر حماة وحمص ، مخرجه من قدس ومصبه البحر قرب أنطاكية ، وإنما سمى العاصى لأن أكثر الأنهر تتوجه من نحو الجنوب هناك وهذا يتوجه من شمال .

(نهر الفرات) مخرجه من أرمينية ثم من قاليقلا قرب أخلاط ثم إلى ملطية ثم إلى سميساط ثم إلى الرقة ثم إلى غانة ثم إلى هيت ثم ينصب فى دجلة بعدما يسقى المزارع والبساتين بهذه البلاد ، والفاضل منها ينصب فى دجلة بعضه وبعضه فى بحر فارس . وللفرات فضائل كثيرة روى « إن أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان » وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : يا أهل الكوفة إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة . وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه : أنه شرب من ماء الفرات ثم ازداد وحمد الله تعالى وقال ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ، ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلا برئ . وعن السدى أن الفرات مد فى زمن على رضى الله عنه فألقى رمانة عظيمة كان فيها كرحب فأمر المسلمين أن يقتسموه بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة .

(نهر القورج) بين القاطول وبغداد . وكان سبب حفره أن كسرى لما حفر القاطول أضر

بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحى للظلم فوافوه وقدخرج متنزها فقالوا: جئناك متظلمين فقال: ممن؟ قالوا: منك، فثنى رجله ونزل عن دابته وجلس على الأرض، فأتى بشىء يجلس عليه فأبى أن يجلس على غير التراب إذ أتاه قوم للتظلم، ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا حفرت القاطول وقطعت الماء عنا فخربت ديارنا، فقال: إنى لأسده ليعود الماء إليكم. قالوا: لا نجشمك ذلك لكن مر ليعمل لنا مجرى دون القاطول فعمل لهم مجرى بناحية القورج فعمرت بلادهم، وأما الآن فهو بلاء على أهل بغداد فإنهم يجتهدون فى سده وإحكامه فإذا زاد الماء تعدى إلى البلد.

(نهر الكر) بين أرمينية وأران، وهو نهر عظيم سليم، أكثر ما يقع فيه من الحيوان ينجو. حدثنى بعض فقهاء نقجوان قال: وجدت غريقا فى نهر الكر يجرى به الماء فبادر القوم إلى إمساكه فأدركوه وقد بقى منه رمق، فلما استقرت نفسه وسكن جأشه قال: أى موضع هذا؟ قالوا: نقجوان. قال: إنى وقعت فى الماء من الموضع الفلانى فكان بينه وبين نقجوان ستة أيام فطلب منهم طعاما فذهبوا لإحضار الطعام فانقض عليه الجدار الذى كان قاعدا تحته، فتعجب القوم من مسامحة الماء وتعدى الجدار.

(نهر الملك) ببغداد مشتمل على كوة واسعة. قيل أول من حفره سليمان عليه السلام، وقيل حفره الإسكندر، وقيل حفره أردشير بن مامك وأخذ ملكه فقال: إنه يشتمل على ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة، وإنما وضع هذا ليكون ذخيرة لقوت سنة كل قرية قوت يوم لو أجدبت غيرها من الأرض كما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام بالفيوم بمصر.

(نهر مهران) بالسند عرضه كعرض جيحون يقبل من المشرق إلى المغرب حتى يقع فى بحر فارس أسفل الهند. قال الإصطخرى: مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون ويظهر بملطان ثم على المنصورة ثم يقع فى البحر، وهو نهر كبير جدا ماؤه عذب فيه تماسيح كما فى النيل، وإنه يرتفع ويمتد على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع على النيل بأرض مصر. قالوا: إن تماسيح هذا النهر أصعب من تماسيح النيل وأصغر.

(نهر مكران) عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة من عبر عليها يتقيأ جميع ما فى بطنه بحيث لا يبقى فيه شىء، ولو كانوا ألوفا كان هذا حالهم، فمن أراد من الناس القىء عبر على تلك القنطرة.

(نهر النيل) ليس فى الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهر فى بلاد الإسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج ببلاد القمر خلف خط الاستواء، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره. وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه

البحر المالح فيصير كالسكن له فيزيد فيعم الربى والتلال ويجرى فى الخجلان حتى يملأها ، فإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وحضر زمان الحراثة بعث الله الريح الجنوب فأخرجته إلى البحر وانتفع الناس بما أروى من الأرض . ولما كان زمان يوسف عليه السلام اتخذ مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان فيزرعون عليه فإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق ، وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها الماء إذا زاد وعلى ذلك العامود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته ، فأقل ما يكفى أهل مصر لسنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا ، فإن زاد ستة عشر ذراعا زرعوا ما يفضل عن عامهم ، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون أصبعا . وذكر عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الحكم : أن المسلمين لما فتحوا مصر جاء أهلها إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وقالوا : أيها الأمير إن لبلادنا سنة لا يجرى النيل إلا بها ، وذلك أنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة من شهر بؤنة عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون وألقيناها فى النيل ليجرى ، فقال لهم عمرو : إن هذا فى الإسلام لا يكون فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والماء لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهم الناس بالجلاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ، فكتب فى جوابه : أما بعد : فقد أصبت فى أن هذا فى الإسلام لا يكون وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل ، فإذا فى الكتاب :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

(أما بعد) فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فأصبحوا يوم الصليب وقد أجرى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة ، فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسر الخلجان حتى تمتلئ جميع الأرض من مصر وتبقى التلال والقرى عليها وسائر الأرض تكون فى البحر ، فإذا استوفت الأرض الماء ورويت وزرعت عليها أصناف الزروع واكتفت بتلك الشربة لأنه كلما تأخر الوقت برد الجو فلا تنشف الأرض إلى أن يدرك الزرع وعاد الوقت يأخذ فى الحر والصيف حتى ينضج الزرع فيأخذوا فى حصادها وفى ذلك عبرة . ومن عجائب النيل السمك الرعادة والتمساح وقد ذكرناهما فى حيوان الماء ، وفى النيل موضع يجتمع فيه السمك فى كل سنة يوما معلوما فالإنسان يصيد بيده ما يشاء ثم يفترق إلى ذلك اليوم من السنة القابلة .

(نهر هند مند) بسجستان نهر عظيم يقول أهل سجستان : إنه ينصب فيه ألف نهر ولا تتبين زيادة فى عموده وينشق منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان وإنه فى الحالتين سواء

(نهر اليمن) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق ، والله تعالى أعلم .

(فصل : فى تولد العيون والآبار وعجائبها)

ذهبوا إلى أن فى جوف الأرض منافذ ومسام وفيها إما هواء أو ماء ، فإن كان هواء يصير ماء بسبب برودة تلحقها ، فإن كان أصابه مدد من جهة أخرى لا يسع ذلك الموضع تنشق الأرض إن كانت رخوة ويظهر على وجهها ، وإن لم يكن لها قوة الخروج فيحتاج إلى أن ينحى عنه التراب حتى يظهر كماء القنوات والآبار ، هذا إذا لم يكن لها مادة من البحار والأنهار والأوشال فإن كان لها مدد فسببها ظاهر .

وأما سبب اختلاف العيون فإن منها حارة وباردة وعفصية وشبية وأمثال ذلك ، فإن المياه تسخن تحت الأرض فى الشتاء وتبرد فى الصيف بسبب أن الحرارة والبرودة ضدان فى باطن الأرض لا يجتمعان فى مكان واحد وزمان واحد ، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض والأمر فى الصيف بضد ذلك ، فإن كانت مواضعها كبريتية بقيت الحرارة فيها دائمة بسبب المادة الكبريتية وهى مادة رطوبة دهنية ، فإن أصابها نسيم الهواء وبرد الجو جمدت فصارت زئبقا أو قيرا أو نفطا أو شبا أو ملحا أو ماشابه ذلك بسبب اختلاف تراب بقاعها وتغير أهوية أماكنها .

ولنذكر بعض العيون العجيبة ثم الآبار العجيبة مرتبة على حروف المعجم ، والله الموفق :

(عين أذربيجان) قال فى [تحفة الغرائب] بأذربيجان عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا والناس يتخذون قالب اللبن ويصبون من ذلك الماء عليه ويصبرون عليه يسيرا والماء فى القالب يصير حجرا .

(عين أدربيهستل) أدربيهستل ضيعة من ضياع قزوين على ثلاث فراسخ منها ، بها عين إذا شرب الإنسان من مائها أسهل إسهالا شديدا . ومن خواصها أن الإنسان يقدر أن يشرب منها عشرة أرطال ويقصدها فى كل يوم خلق كثير من النواحى لشربها لأجل الإطلاق . وإذا حمل من مائها إلى قزوين زالت خاصيته فلا يعمل شيئا ، وسمعت أهل قزوين يقولون : بين هذه الضيعة وبين قزوين نهر إذا جاوز ذلك النهر بطلت خاصيته .

(عين إسكندرية) عين مشهورة فيها نوع من الصدف يطبخ ويؤكل لحمه ويشرب مرقه ينفع من الجذام ويبرئه ، ويوجد فيها كل وقت لا يخلو عنه شىء من الأوقات .

(عين إيلابستان) قال صاحب [تحفة الغرائب] إن بين إسفرايين وجرجان ضيعة تسمى ايلابستان بها عين ينبع منها ماء كثير ، فربما ينقطع فى بعض الأوقات ويدوم انقطاعها أشهرا ، فعند ذلك يخرج أهل الضيعة رجالها ونساؤها فى أحسن ثيابهم بالدفوف والشبابات

والملاهى ويرقصون عند ماء العين ويلعبون فإن الماء ينبع ويجرى ، وهو ماء كثير مقدار مايدور رحوين .

(عين بادحانى) قال صاحب [تحفة الغرائب] مكان بدمعان يسمى كهن به عين تسمى جادحانى ، فإذا أراد أهل الضيعة هبوب الريح عند الدياس لتنقية الحبوب أخذوا خرقة الحيض ورموها فى تلك العين فيتحرك الهواء ، ومن شرب من مائها ينتفخ بطنه ، ومن حمل معه شيئا من ذلك الماء إذا فارق منبعه يصير حجرا .

(عين باميان) قال فى [تحفة الغرائب] بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت وجلبة ويشم منها رائحة الكبريت ، من اغتسل به يزول جربه ، وإذا ترك من ذلك الماء فى كوز وسد رأسه سدا وثيقا وتركته يوما يصير خاثرا شبه الحمير ، وإذا عرضت عليه شعلة نار يشتعل ، والله أعلم .

(عين جاج) قال فى [تحفة الغرائب] إذا خرجت من جاج بقربها عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء مصحية لاترى فيها قطرة ماء ، وإذا كانت السماء مغيمة ترى العين مماوءة من الماء .

(عين جاجرم) هى منبع قناة بين جاجرم وأسفرايين ، حدثنى بعض فقهاء خراسان أن من غاص فى مائها وبه جرب زال جربه ، ويقصدها أصحاب الجرب للعلاج .

(عيون جبال سيران) بناحية باميان جبال فيها عيون لاتقبل شيئا من النجاسة ، وإذا ألقى فيها شىء من النجاسة ماج وعلا نحو الملقى فإن أدركه أحاط به حتى يغرقه .

(عين جبل ملطية) حدثنى بعض التجار أن بقرب ملطية جبل فيه عين يخرج منها ماء عذب غزير شديد البياض يشرب الحيوان منه ولا يضره ، فإذا جرى مسافة يسيرة ينعقد حجرا .

(عين وادان) عين فيها نبات ، من غاص فيها يلتف عليه ذلك النبات يمسكه ، وكلما سعى فى تخليص نفسه كان إمساكه له أشد ، وإذا لم يسع فى التخليص انحل عنه يسيرا .

(عيون دوراق) حدثنى الشيخ عمر التسلمى أنها عيون كثيرة تنبع فى جبل كلها حارة ، فربما يصعد منها دخان يلتهب فترى شعلته بيضاء وحمراء صفراء وخضراء يجتمع فى حوضين أحدهما للرجال والآخر للنساء يقصدها الناس لدفع الأمراض البلغمية فمن نزل فيها يسيرا يسيرا انتفع به ، ومن طمر فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط ، والله أعلم .

(عين رأس الناعور) بشرقى الموصل عين فى قرية تسمى زراعة بها عين فوارة غزيرة الماء ينبت فيها من اللينوفر شىء كثير يباع بثمن جيد ، ويدمن غلة تلك الضيعة .

(عين نهاوند) بقرب البحيرة المنتنة بأرمينية أجمة شريفة كثيرة المنفعة ، وذلك أن الحيوان يغوص فيها وبه كلوم فتراه عن قريب قد اندملت قروحه والتحمت ، ولو كان دونها

عظام موهنة وأزجه كامنة وشظايا غامضة تنفجر أفواهها وتجتمع على النظافة ويأمن الإنسان غائلتها .

(عين زعر) على طرف البحيرة المنتنة بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام ، وزعر اسم بيت لوط عليه السلام ، وهى العين التى جاء ذكرها فى حديث الجساسة وعدها من أشراط الساعة .

(عين سياه سنك) قال صاحب [تحفة الغرائب] بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل تأخذ الناس ماءها لتشرب وفى الطريق إليها دودة فمن أخذ من ذلك الماء وأصابت رجليه تلك الدودة يصير الماء الذى معه مرافيبرد ويعود إليها مرة أخرى .

(عين شميرم) وهى ناحية بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة وهى من عجائب الدنيا ، وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل من ذلك الماء إليها بشرط أن لايوضع الظرف الذى فيه ذلك الماء على الأرض ولا يلتفت حامله إلى ورائه فيتبع ذلك الماء من الطير الأسود عدد لايحصى ويقتل الجراد وهذا مجرب ، ولقد وقع بأرض قزوين جراد كثير وأكل جميع زرعها وباضت فبعث أهل قزوين لطلب هـذا الماء فجاءوا به فجاء الطير خلفه وأكل الجراد جميعه .

(عين شيركيران) وهى من ضياع مراغة فيها عينان يفور منهما الماء وبينهما قدر ذراع ماء إحداهما فى غاية البرودة وماء الأخرى فى غاية الحرارة أخبر به الفقيه حسن المراغى .

(عيون طبرية) ذكروا أن هناك عيونا ينبع الماء منها سبع سنين متواليات ثم ييبس سبع سنين متواليات وهكذا على مرور الأيام .

(عين العقاب) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض الهند عين على رأس جبل إذا هرم العقاب تأتى به فراخه إلى هذه العين وتغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس ، فإن ريشه يتساقط عنه وينبت له ريش جديد ويزول عنها الضعف وترجع إليه القوة والشباب .

(عين غرناطة) قال أبو حامد الأندلسى : بقرب غرناطة من أرض الأندلس كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون يخرج الناس إليها فى يوم معلوم من السنة يقصدونها ، وإذا طلعت الشمس فى ذلك اليوم فاضت تلك العين بماء كثير ، ويظهر على الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتونا ويكبر ويسود فى يومه ويؤخذ من الزيتون من قدر على أخذه وكذلك يأخذون من ماء تلك العين للتداوى ، وهذا الحديث قرأته فى كتب عديدة .

(عين عرنة) بقرب عرنة عين إذا ألقى فيها شىء من القاذورات يتغير الهواء ويظهر البرد والريح العاصف والمطر ويبقى على تلك الحالة إلى أن تنحى النجاسة عنها . وذكروا أن السلطان محمود بن سبكتكين لما أراد فتح عرنة كان كلما قصدها بادر أهل عرنة إلى العين

وألقوا فيها شيئا من القاذورات فلم يمكنه الإقامة هناك حتى عرف ذلك منهم فبعث السلطان أولا على العين حفاظا ثم سار إليهم فلم ير شيئا مما كان يرى قبل ذلك ففتحها .

(عين الفرات) بقرب أرزن الروم ، من اغتسل بمائها فى الربيع يأمن من أمراض تلك السنة .

(عين قراور) وهى بأرض خراسان: حدثنى بعض فقهاء خراسان وقال : من المشهور عندنا أن من اغتسل بالعين التى بقراور يزول عنه حمى الربع ، والله أعلم .

(عين القيارة) بالموصل على مرحلة منها ينبع منها شىء كثير من القير ويحمل منها إلى سائر البلدان ، يقصدها الناس من الموصل يستحمون بها ويستشفون بمائها .

(عين المشقق) وهو واد بالحجاز. قال ابن إسحاق: كان بها وشل يخرج منه ماء يروى الراكب والراكبين ، فقال صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك « من سبقنا فلا يسقين منه شيئا حتى نأتيه فسبقه نفر من المنافقين فاستسقوا منها ، فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليها فلم ير فيها شيئا فقال : من سبقنا إلى هذه ؟ فقالوا : فلان وفلان يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أولم أنههم أن يسقوا منها شيئا ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل وجعل يصب فى يده من الماء ماشاء الله ثم نضحه به ومسحه بيده ثم دعا بما شاء الله فانخرق من يده من الماء مايسمع له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو بقى منكم أحد ليسمعن بهذا الوادى وقد اخضر مابين يديه وما خلفه» وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(عين منكور) ذكر أبو الريحان الخوارزمى فى الآثار الباقية : أن ببلاد كيمال جبلا يسمى منكورا ، وفيه عين فى حفرة على قدر ترس كبير وقد استوى سطح الماء مع حافتها فربما يشرب منه عسكر ولاينقص أصبعا ، وعند هذه العين صخرة عليها أثر رجل إنسان وأثر كفيه بأصابعهما وأثر ركبتيه كأنه كان ساجدا وأثر قدم صبى وأثر حوافر حمار ويسجد لها الأتراك للقربة .

(عين منية هشام) وهى قرية بأرض طبرية . حكى الثعالبى أن بها عينا يجرى ماؤها سبع سنين دائما ثم ينقطع سبع سنين دائما هكذا وذلك معروف .

(عين النار) بين أقشهر وأنطاكية . حدثنى من رآها قال : إذا غمست فيها قصبة احترقت . وقال : كنت مع السلطان علاء الدين كيخسرو عند اجتيازه بها فوقف عليها وأمر بتجربتها فكان صحيحا .

(عين ناطول) ناطول اسم موضع بمصر فيه غار وفى الغار عين ينبع الماء منها ويتقاطر

على الطين فيصير ذلك الطين قارا . حكى بعضهم قال : رأيت من ذلك الطين قطعة نصفها قارا والباقى طين .

(عين نهاوند) قال صاحب [تحفة الغرائب] بأرض الجبال بقرب نهاوند عين فى شعب جبل من احتاج إلى الماء لسقى الأرض يمشى إليها ويدخل الشعب وعنده يقول بصوت رفيع : إنى محتاج إلى الماء ثم يمشى نحو زرعه فالماء يجرى نحوه ، فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب عند العين ويقول : قد كفانى الماء ، ويضرب برجله على الأرض فإن الماء ينقطع .

(عين هرماس) عين عجيبة بقرب نصيبين على مرحلة منها وهى مسدودة بالحجارة والرصاص لئلا يطلع منها ماء كثير فيغرق المدينة ، وكان المتوكل على الله لما وصل إلى نصيبين سمع بأمر هذه العين وعجيب شأنها وكثرة مياهها أمر بفتحها ففتح منها شئ يسير فغلب عليه الماء غلبة شديدة فأمر بإحكامها وردها إلى ما كانت ؛ فمن هذه العين يحصل نهر الهرماس فيسقى نصيبين ، وفاضل مائها ينصب إلى الخابور ثم إلى الثرثار ثم إلى دجلة .

(عين الهم) قال صاحب [تحفة الغرائب] إذا توجهت من طريق جهينة إلى جرجان ترى فى سفح جبل عينا يجتمع ماؤها فى غدير مقدار غلوة سهم فى غلوة سهم ، وفى هذا الغدير شجرة ليس عليها غصن ولا لحى ترى بالليل كأنها تدور فى ذلك الغدير ، وقد تختفى أربعة أشهر ولا علم لأحد بحالها ثم تظهر ، وربما تتفق فى بعض الأوقات أن يكون مدة اختفائها سنتين ثم تظهر ، وإذا كانت السنة مطيرة كان ظهورها أسرع ، وفى بعض الأوقات شدوها بالحبال لما دنت مدة غيبتها شدا وثيقا فأصبحوا والحبال مقطعة والشجرة ذاهبة ، فأخبر بذلك رافع بن هرثمة صاحب جرجان وخراسان فوكل بها من ينظر إليها لما دنت مدة غيبتها ليلا ونهارا فترقبوا أربعة أشهر ثم اتفق لهم غيبته فعادوا والشجرة قد ذهبت ، فأخبر بذلك رافع وكان فى عسكره غواص كوفى فأمره أن يغوص ويعرف حالها فغاص زمانا طويلا ثم خرج وقال : نزلت ألف ذراع وما رأيت لها أثرا ، وتسمى هذه العين عين الهم ، بينها وبين بحر السكون يوم .

(عين ياسى جمن) بين أخلاط وأرزن الروم موضع يقال له «ياسى جمن» به عين يفور الماء منها فورانا شديدا يسمع صوته من بعيد ، وإذا دنا الحيوان منها يموت فى الحال فترى حولها من الطيور والوحوش موتى ماشاء الله تعالى ، وقد وكلوا بها من يمنع الغريب عنها .

(عين يل) يل ضيعة من ضياع قزوين عندها جبل يخرج من شعب من شعابه ماء كثير حار جدا ويجتمع فى حوضين هناك ، يقصدها الزمنى والجربى وأصحاب العاهات تنفعهم نفعا بينا وتسمى «يله كرمان» والله الموفق للصواب .

(فصل : فى الآبار)

أما الآبار فنقول وبالله التوفيق :

(بئر أبى كنود) بطرابلس من شرب من مائها يتحمق ، يقال للرجل إذا أتى بما يلام عليه : لانعتبك فإنك شربت من ماء أبى كنود .

(بئر بابل) قال الأعمش : قال مجاهد : يجب أن يسمع من الأعاجيب ، وكان لايسمع بشىء إلا صار إليه وعاينه فأتى بابل فالقيه الحجاج وقال : ماتصنع هاهنا ؟ قال : لحاجة أن تسير إلى رأس الجالوت لترينى هاروت وماروت ، فأرسل إلى رجل وقال : اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت لينظر إليهما ، فانطلق به حتى أتى موضعا وكان هناك يهودى عارف بذلك الموضع فسألاه أن يريهما فرفع صخرة فإذا شبه سرداب ، فقال له اليهودى : انزل معى وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى . قال مجاهد : فنزل اليهودى ونزلت معه فلم يزل يمشى بى حتى نظرت إليهما مثل الجبلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما وعليهما الحديد من أعقابهما إلى ركبهما ، فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله تعالى فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان ماعليهما من الحديد ، فهرب اليهودى ومجاهد تعلق به حتى خرجا ، فقال له اليهودى : أما قلت لك لا تفعل ذلك كدنا والله نهلك .

(بئر بدر) بين مكة والمدينة فى الموضع الذى كانت فيه الوقعة المباركة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة فقتلوا المشركين ورموهم فى البير ، فدنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « ياعتبة ياشيبة هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فقيل : يارسول الله هل يسمعون كلامنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لستم بأسمع منهم » .

وحكى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه : أنه رأى فى اجتيازه هناك شخصا خرج من البئر هاربا فخرج عقبه آخر معه سوط فضربه ورده إليها .

(بئر برهوت) بئر بقرب حضرموت ، وهى التى قال صلى الله عليه وسلم « فيها أرواح الكفار والمنافقين » وهى بئر عادية فى فلاة وواد عظيم . وعن على رضى الله تعالى عنه : أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليها أرواح الكفار .

(وحكى) الأصمعى عن رجل من أهل حضرموت أنه قال : نجد من ناحية برهوت فى بعض الأوقات رائحة فظيعة منتنة جدا فيأتينا الخبر بموت عظيم من عظماء الكفار . وذكر أن رجلا بات بوادى برهوت قال : كنت أسمع طول الليل يادومه يادومه ، فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال : إنه اسم الموكل بأرواح الكفار .

(بئر بضاعة) بالمدينة فى الخبر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها فكان إذا مرض المريض فى أيامه صلى الله عليه وسلم يقول : اغسلوه بماء بضاعة ، فيغتسل فكأنما نشط من عقال » وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنه : كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون .

(بئر بنحن) بقرب وادى زبيد مشهورة ، وهى البئر التى حبس أفراسياب فيها « بنحن » مكبلا وأنزل على رأس البئر صخرة عظيمة فذهب إليه رستم مختفيا وسرقه وأتى به بلاد إيران ، ولها قصة طويلة .

(بئر قنصورة) وهى جزيرة بأرض الهند يجلب منها الكافور القنصورى ، فيها صنف من السمك إذا أخرجته من البئر يصير حجرا صلدا .

(بئر جندق) جندق قرية من أعمال مراغة يخرج منها حمام كثير . حدثنى بعض فقهاء مراغة : أنهم أرسلوا إليها رجلا ليعرف حال الحمام فنزل فى البئر حتى زاد الحبل على خمسمائة ذراع ثم أخرج فأخبر أنه لم ير من الحمام شيئا ورأى فى آخرها ضوءا وشيئا كثيرا من الحيوانات الموتى .

(بئر دماوند) بئر عميق بجبل دماوند يصعد منها بالنهار الدخان وبالليل النار ، وإذا رميت فيها شيئا ينزل ويلبث ساعة ثم يرجع خارج البئر على الأرض .

(بئر ذروان) بالمدينة طب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض مرضا شديدا ، فبينما هو بين النائم واليقظان رأى ملكين أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه ماوجعه ؟ قال : طب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودى . قال : وأين طبه قال : فى كرمة تحت صخرة فى بئر كملى ، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلام الملكين ، فوجه عليا وعمارا مع جمع من الصحابة حتى أتوا بئر كملى وهو بئر ذروان ، فنزحوا ماءها حتى انتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكوبة تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة ، فأحرقوا الكوبة ومافيها فزال عنه صلى الله عليه وسلم وجعه كأنه نشط من عقال ، فأنزل الله تعالى عليه المعوذتين إحدى عشرة آية على قدر عدد العقد » والله الموفق .

(بئر زمزم) فى الخبر « أن إبراهيم لما ترك إسماعيل وأمه هاجر بموضع الكعبة وأراد الرجوع قالت له هاجر : إلى من تكلنا ؟ قال : إلى الله . قالت : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأقامت عند ولدها حتى نفد ماؤها فأدركتها الحنة على ولدها فتركت إسمعيل بموضعه وارتقت على الصفا تنظر هل ترى عينا أو شخصا فلم تر شيئا ، فدعت ربها واستسقته ثم نزلت حتى

أتت المروة فدعت مثل ذلك ، ثم سمعت صوت السباع فخشيت على ولدها فأسرعت نحو إسماعيل فوجدته يفحص والماء قد انفجر من عين من تحت عقبه ، فلما رأت هاجر ذلك الماء جعلت تحوطه بالتراب لئلا يسيل ويذهب » قيل لو لم تفعل ذلك لكان عينا جارية . وقال محمد بن أحمد الهمذانى : كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها أربعين ذراعا ، فى قعرها عيون تجرى عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبى قبيس والصفا وعين حذاء المروة ، ثم قل ماؤها فى سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها ، ثم جاء الله تعالى بالأمطار والسيول فى سنة خمس وعشرين ومائتين فزاد ماؤها ، وذرعها من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذراعا وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع وعليها ميلان من ساج مربعة فيهما اثنا عشر بكرة يستسقى عليها ، وأول من عمل عليها الرخام وفرش به أرضها المنصور . وقال مجاهد : ماء زمزم إن شربت منه تريد شفاء شفاك الله تعالى وإن شربته لظمإ أرواك الله ، وإن شربته لجوع أشبعك الله تعالى . وقال المسعودى : إن ملوك الفرس يزعمون أنهم من أولاد الخليل من سبى بنى إسرائيل ، وكانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم ، وكان آخر من حج منهم أردشير بن بابك طاف بالبيت وزمزم على البئر وزمزمة المجوس قراءتهم عند صلواتهم وطعامهم .

(بئر ضاهك) بكورة أرّجان . ذكر أهلها أنهم امتحنوا قعرها بالأرسان فلم يقفوا على شىء ، ويفور منها الماء الدهر كله مقدار مايدير رحا تسقى تلك القرية .

(بئر عروة) بعقيق المدينة منسوبة إلى عروة بن الزبير . قال الزبير بن بكار : كان الناس إذا مروا بالعقيق أخذوا من ماء بئر عروة يهدونها إلى أهاليهم . قال : ورأيت أبى يأمر به فيغلى ثم يجعله فى القوارير ويهديه إلى الرشيد وهو بالرقة .

(بئر غرس) بالمدينة بقباء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبارك فيها . وقيل إنه صلى الله عليه وسلم بصق فيها فلهذا وجد فيها البركة ، وروى أن فيها عينا من عيون الجنة .

(بئر قرية عبد الرحمن) بأرض فارس جافية القعر طول السنة ، حتى إذا كان الوقت المعروف من السنة ينبع منها ماء يرتفع على وجه الأرض مقدار مايدير رحا ويجرى وينتفع به فى سقى الزرع ثم يغور .

(بئر الكاب الكلب) بقرية من قرى أعمال حلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكلب برأ وإنها مشهورة . قال بعض أهل القرية : إذا لم يجاوز المكلوب أربعين يوما وشرب منها برئ ، أما إذا جاوز الأربعين مات إن شرب ، وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين فشربوا

فسلم اثنان وكانا لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين ، وهذه بئر منها يشرب أهل الضيعة .

(بئر المطرية) فى قرية من قرى مصر عليها شجر البلسان ويستى من هذا البئر . والخاصية فى البئر يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام اغتسل فيها ، والأرض التى تنبت هذا الشجر نحو مد البصر فى مثله محوط عليه وماء هذا البئر عذب فيه دهنية لطيفة ، وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع فيه شيئا من شجر البلسان فأذن له فغرم غرامات كثيرة وزرعها فلم ينجح شىء ولا خلص منه دهن ألبتة فسأل أباه أن يجرى له ساقية من المطرية له فأذن له ففعل ذلك فنجح وليس فى جميع الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذا الموضع ، والله الموفق للصواب .

(بئر نيسابور) بنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج كان يوجد فيها القطع الجيدة فظهر فيها العقارب القتالة فامتنع الناس عنها بسبب ذلك الشىء .

(بئر هنديان) هنديان ضيعة بفارس بها بئر يخرج منها دخان يعلو لا يتهيأ لأحد أن يقربها وإذا طار طائر فوقها سقط محترقا .

(بئر يوسف الصديق) صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء التى ألقاه فيها إخوته وهى بالأردن على أربعة فراسخ من طبرية مما يلى دمشق . قال الإصطخرى وغيره : كان منزل يعقوب عليه السلام بين نابلس وبين قرية يقال لها سخل ولم تزل هذه البئر مزارا للناس يتبركون بها ويشربون من مائها . وليكن هذا آخر الكلام فى الأنهار والعيون والآبار ، والله الموفق للصواب .

(ثم يتصدى النظر فى الكائنات وهى الأجسام المتولدة من الأمهات) فنقول : الأجسام المتولدة من الأمهات إما أن تكون نامية أو لم تكن فهى المعدنيات ، وإن كانت نامية فإما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لم تكن فإن لم تكن فهى النبات وإن كانت فهى الحيوانات . زعموا أن أول مايستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات ، فالبخار مايصعد من لطائف مياه البحار والآجام والأنهار من تسخين الشمس ، والعصارات ماينجلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار ويختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ وتنضجها الحرارة المستبطنة فى عمق الأرض فتصيرها مادة للنبات والمعادن والحيوان ، وإنها متصلة بعضها ببعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

فأول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(النظر الأول فى المعدنيات)

هى أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة فى الكم والكيف ، وهى إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب وقوية التركيب ، إما أن تكون متطرقة أو لم تكن متطرقة وهى الأجساد السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والخارصين ، والتى لاتكون متطرقة فقد تكون فى غاية اللين كالزئبق وقد تكون فى غاية الصلابة كالياقوت والتى تكون فى غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات وهى الأجسام الذهبية كالزرنيخ والكبريت ، والأجساد السبعة إنما تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت على اختلاف فى الكم والكيف ، والزئبق يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية ، والكبريت يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية نضجتها حرارة قوية حتى صار مثل الدهن . وأما الأجسام الصلبة الشفافة فتتولد من مياه عذبة وقعت فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى غلظ وصفا وأنضجته حرارة المعدن بطول وقوفها . وأما غير الشفافة فمن امتزاج الماء بالطين إذا كانت فيه لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس بمدة طويلة . وأما الأجسام التى تنحل بالرطوبات فمن ماء مختلط بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديدا . وأما الأجسام الدهنية فمن الرطوبات المختلفة فى باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن تحللت ولطفت واختلطت بتربة القاع وحرارة المعدن دائما فى نضجها وطبخها حتى تزداد غلظا وصار مثل الدهن ، وسيأتى الكلام فى تولد كل واحد منهما إن شاء الله تعالى . وزعموا أن الذهب لايتولد إلا فى البرارى الرملية والجبال والأحجار الرخوة . وأما الفضة والنحاس والحديد وأمثالها فلا يكون إلا فى جوف الجبال والأحجار المختلطة بالتراب الندى ، والكباريت لاتتكون إلا فى الأراضى الندية والتراب الندى والرطوبات الدهنية والأملاح لاتنعقد إلا فى الأراضى السبخة ، والاسفيداج لاينعقد إلا فى الأرض الرملية المختلط ترابها بالجص ، والزاجات والشبوب لاتتكون إلا فى التراب العفص النشف ، وعلى هذا القياس حكم أنواع الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة ، وهى مع كثرة أفرادها داخلة تحت ثلاثة أنواع : الفلزات والأحجار والأجسام الذهبية ، فلنتكلم فيها إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق .

(النوع الأول الفلزات) وهى الأجساد السبعة . زعموا أن تولدها من اختلاط الزئبق والكبريت ، فإن كان الزئبق والكبريت صافيين واختلطا اختلاطا تاما وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما تشرب الأرض نداوة الماء وكان فيه قوة صباغة ومقدارهما متناسبين وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس قبل إنضاجهما انعقد ذلك مع طول الزمان الذهب الإبريز ، وإن كان الزئبق والكبريت صافيين وانطبخا انطباخا تاما وكان الكبريت مع ذلك أبيض تولدت منه الفضة . وإن أصابه قبل النضج برد عاقد

تولد الخارصينى ، وإن كان الزئبق صافيا والكبريت رديئا وفيه قوة محرقة تولد النحاس ؛ وإن كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزئبق تولد الرصاص ، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكان الزئبق متحللا أرضيا والكبريت رديئا تولد الحديد ، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكانا مع رداءتهما ضعيفى التركيب تولد الأسرب ، فبسبب هذا الاختلاف اختلفت أنواع الجواهر المعدنية وهى العوارض التى تعرض لها من كمية الكبريت والزئبق وكيفيتهما ، والذى يدل على هذه الأشياء كلها تجربة أهل الصناعة . ولنذكر بعض عجائبها وخواصها العجيبة إن شاء الله تعالى .

(الذهب) طبعها حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائها المائية بأجزائها الترابية لا تحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائها ولا تبلى بالتراب ولا تصدأ على طول الزمان وهى لينة صفراء براقة حلوة الطعم طيبة الرائحة ثقيل رزين جدا فصفرة لونها من ناريتها ولينها من دهنيتها وبريقها من صفاء لونها ورزانتها من ترابيتها ، وهى أشرف نعم الله تعالى على عباده إذ بها قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تنقضى بالنقود فإن النقدين يباع بهما كل شىء ويشترى بهما كل شىء لرواجهما بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب فيها كل أحد رغبته فى النقود فإنهما كالقاضيين يقضيان حاجة كل من لقيهما ، ولذلك قال الله تعالى : — والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم — لأن المقصود منهما تداولهما بين الناس لقضاء حوائجهم ، فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التى خلقها الله تعالى كمن حبس قاضى البلد ومنعه أن يقضى حوائج الناس .

ومن خواصها ماذكر أرسطاطاليس : أنها تقوى القلب وتدفع الصرع إن علق على إنسان وتمنع الفزع ، وإن اتخذ من الذهب ميلا وأديم التكحل به وإدخاله فى العين جلا العين وحسن النظر وقواه : وإن ثقب الأذن بإبرة من الذهب لم تلتحم وإذا كوى بالذهب لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا . وقال الشيخ الرئيس : إمساك الذهب فى الفم يزيل البخر ، والذهب يقوى العين كحلا ، وينفع من أوجاع القلب والخفقان وحديث النفس .

(الفضة) أقرب الفلزات إلى الذهب ولولا برد أصابها قبل النضج لكادت تكون ذهبا ، وهى تحترق بالنار إذا داوم عليها وتبلى فى التراب بطول الزمان : قال أرسطو : إن للفضة وسخا بخلاف الذهب فإذا أصابها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت عند الطرق ، فإذا أصابها رائحة الكبريت اسودت وإن طرح الكبريت على مذابها احترقت واسودت وتكسرت كالزجاج ، وإذا ألقى عليها شىء من البورق ردها إلى حالها لكن ينقص منها شىء كثير ، والأسرب والقلى يعيبانها ولكن لاكتعييب الذهب : ومن خواصها : تقطيع الرطوبات

اللزجة إذا خلطت سحالتها بالأدوية المشروبة ، وتنفع من البخر إذا أمسكها فى الفم ، وتنفع للحكة والجرب وعسر البول ، وتدخل فى أدوية الخفقان جدا ، وتنفع مع الزئبق للبواسير طلاء ، والله تعالى أعلم .

(النحاس) قريب من الفضة والفرق بينهما حمرة اللون واليبس وكثرة الوسخ ، أما الحمرة فمن إفراط الحرارة والكبريتية ، وأما يبسه ووسخه فلغلظ مادته فمن قدر على تبييضه وتليينه فقد ظفر بحاجته ، وإذا طلى بالحموضات أخرج الزنجار ، وإن اتخذ منه إبرة وسقيت دما وثقب بها شحمة الأذن لم تلتحم منه ، ومن اتخذ منه آنية لطعامه أو شرابه يتولد فيه أمراض لا دواء لها .

(الحديد) تولده كتولد سائر الأجساد وقد مضى ذكرها وسواد لونه لإفراط الحرارة ، والحديد أكثر فائدة من سائر الفلزات ، ولذلك قال الله تعالى — أنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس — فالبأس فى النصول والمنافع فى الآلات ، حتى قيل : مامن صنعة إلا وللحديد فيها أو فى أداتها مدخل . ومن خواصه العجيبة ماذكر أرسطو : أن برادة الحديد إذا علقت على إنسان يغط فى نومه يزول عنه ذلك ، ومن استصحب شيئا من الحديد يقوى قلبه ويزول عنه المخاوف والأفكار الرديئة ويسر فى نفسه ويطرد عنه الأحلام الرديئة وتزيد هيبته فى أعين الناس ، وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والرمد والسبل ويخفف ثقل الأجفان ، وينفع كحلا للعين وينفع للنقرس ، وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير ، ومن أخذ مسمارا ويحميه حتى يحمر ثم يدلك بذلك النصل لا يصدأ .

(الرصاص) قال أرسطو إنه صنف من الفضة لكنه دخل عليه ثلاث آفات : رائحة ورخاوة وصريرة فدخلت عليه هذه الآفات فى بطن الأرض كما تدخل على الجنين فى بطن أمه فيفسد . ومن خواصه ماذكره أرسطو : أن من اتخذ منه طوقا وطوق به شجرة عند أصلها من الأرض لم يسقط من ثمرتها شىء ويزيد فيها ، وإن شد منه صفيحة على الظهر أو البطن سكن الإنعاظ وإن ألقى فى قدر لا ينضج اللحم ، والرصاص يطلى بالدهن والملح ، ويؤخذ سواده يطلى به السيف فإنه لا يصدأ .

(الأسرب) تولده كالرصاص وهو صنف أردأ منه لأن مادته أكثر وسخا . ومن خواصه تكليس الذهب وتكسير الماس ولو وضع الماس على السندال وضرب بالمطرقة دخل إما فى السندال أو فى المطرقة ، ولو وضع على الأسرب تكسر بأدنى ضربة ويكون جميع أقطاعه مثلثا . وقال الرئيس ابن سينا : تؤخذ منه صفيحة وتشد على الخنازير والغدد تذيبها . وقال بليناس فى كتاب [الخواص] من اتخذ منه صفيحة وزنها ثمانية وعشرون درهما وشدها على بطن إنسان بطلت شهوته .

(الخارصينى) تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا ، ويتخذ منه الكلاليب يصاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشىء لاينفصل منه إلا بالشدة ، ويتخذ منه المرآة ينظر فيها صاحب اللقوة فى بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض ، ويتخذ منه منقاش ينتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا يفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت .

(النوع الثانى فى الأحجار) وهى أجسام تتولد من مياه الأمطار والأنداء التى احتبست تحت الأرض وإن كانت شفافة ، ومن امتزاج الماء بالأرض إن كان فى الطين لزوجة وأثرت حرارة الشمس فيها تأثيرا شديدا .

(أما القسم الأول) فنقول : إذا احتبست مياه الأمطار والأنداء فى المعادن والكهوف والأهوية لا يخالطها شىء من الأجزاء الأرضية ، وأثرت فيها حرارة المعدن وطال وقوفها هناك ازدادت المياه صفاء وثقلا وغلظا فينعقد منها الأحجار الصلبة التى لا تتأثر من النار والماء كأنواع اليواقيت وماشاكلها ، فذهب قوم إلى أن اختلاف ألوانها بسبب حرارة المعدن وقلتها وكثرتها وقال آخرون : بسبب أنواع الكواكب التى تدل على ذلك النوع من الجواهر ومطارح شعاعاتها على تلك البلاد ، فزعموا أن السواد لزحل والخضرة للمشترى والحمرة للمريخ والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والمتلون لعطارد والبياض للقمر ، والله الموفق للصواب .

(وأما القسم الثانى) فيتولد من امتزاج الماء بالأرض إذا كان فيها لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس مدة طويلة كما ترى النار إذا أثرت فى اللبن فتصلبها وتجعلها آجراً فإن الآجر أيضاً صنف من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار أكثر كان أصلب . ثم إن هذه الأحجار تختلف باختلاف بقاعها ، فإن كانت فى بقاع ترابية وطين انعقد حجراً مطلقا وإن كانت فى بقاع سبخة تولد منها أنواع الأملاح والبوارق والشبوب وإن كانت فى بقاع عفصية تولدت منها ضروب الزاجات الأحمر والأصفر والأخضر ونحوها ولكل موضع خاصية لايعلمها إلا الله تعالى ، وقد ينعقد الحجر من الماء فإنا نرى فى بعض المواضع أنه ينعقد الحجر من الماء وذلك إما من خاصية ذلك الماء أو من خاصية ذلك الموضع ، وقد يتولد الحجر فى الهواء وذلك من أجزاء دخانية يغلب عليها الأرضية فإذا ضربها البرد انطفأت حرارتها وتصير حجرا وقد يقع فى وسط الصواعق مثل هذه الأحجار ومثل الحديد والنحاس . قال الشيخ الرئيس : أخذت من هذه الأجسام وعرضتها على النار لتذوب فما حصل منه الذوبان وارتفع منه دخان يضرب إلى الخضرة وما زال هكذا حتى صار رماداً .

(وحكى) الشيخ الرئيس أيضا أن فى زمانه وقع من الهواء بأرض جورجان جسم كقطعة

جديد فى قدر خمسين مناكحباث الجاورس المنضمة، فما كان يتناثر من الحديد والجواهر المعدنية كثيرة لايعرف الإنسان منها إلا القليل، فمن الحكماء من كان له بها عناية بحث عنها واستخرج خاصية بعضها فأوردنا طرفا منها وما فيها من الخواص العجيبة ومعادنها وكيفية جلبها فأقول وبالله التوفيق، وهو حسبى ونعم الوكيل:

(إثمد) قال أرسطو: هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبها فى أكناف المشرق، وأجود أصنافه الأصفهانى وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع العيون اكتحالا ويرفع عنها طبق الماء ويقوى أعصابها ويدفع عنها كثيرا من الآفات والأوجاع لاسيما المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم وإذا جعل معه شىء من المسك يكون غاية، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «عليكم بالإثمد فإنه ينبت الشعر ويحد البصر» وينفع من حرق النار إذا طلى بالشحم.

(حجر أرسون) حجر يوجد بأرض الروم وهو أملس مخمس إذا كسر قطعاً يكون جميع أقطاعه مخمساً، وخاصيته أن حامله يبقى مهيباً محترما بين الناس، ومن اكتحل به لا يصيبه رمد إن شاء الله تعالى.

(حجر إسفيداج) هو رماد الرصاص القلعى والآنك فإذا أفرط تحريقه صار سربا، والاسفيداج الرصاصى إذا دلك به لسعة العقرب نفع، وإن نقع مع شىء من قثاء الحمار فى ماء وملح ثم رش به البيت خرج منه البراغيث. وإذا اتخذت منه المراهم يأكل منه اللحم الميت العفن وينبت اللحم الطرى، وينفع من حرق النار إذا طلى ببعض الأدهان ولا يكاد يستحيل موضع الحرق إلى البياض بل يبقى على لون الجسد.

(حجر إفرنجس) قال أرسطو: هو حجر يصاب فى مواضع الزرنيخ. من كاسه حتى يبيض وألقى منه وزن مثقال على خمسين مثقالا من النحاس الأحمر بيضه ولين جسمه، وهو إذا خلط مع الكلس حلق الشعر، وهو فى الحدة أقوى من الزرنيخ. وإذا سحق وطلى به موضع الورم سكنه.

(حجر إقليميا الذهب) قال أرسطو: إذا خلط الذهب بغيره من الأحجار ثم أدخل النار للخلاص يتخلص منه الأجساد التى خالطها وعلاه جسم مشوب بسواد وقد يكون على لون الزجاج وهو المسمى بالإقليميا، ينفع من وجع العين ويذهب بالبياض الحادث فيها، وينفع من البلة التى تتحلب من العين ومن ابتداء الماء فى العين ويدمل القروح الخبيثة وينقى أوساخها.

(حجر إقليميا الفضة) قال أرسطو: إن الفضة أيضاً إذا أدخلت النار للخلاص من الأجساد التى خالطتها يعلوها جسم يسمى أقليميا الفضة نافع من القروح والسعفة والجرب طلاء

مع الأدهان . وقال غيره: ينفع من وجع العين ذروراً وفى المراهم ينبت اللحم فى الجراحات

(حجر باهت) أبيض فى لون المرقشيثا البيضاء يتلألأ حسنا. إذا وقعت عليه عين الإنسان يغلبه الضحك ، وقيل إنه مغناطيس الإنسان .

(حجر بسذ) هو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود يقطع نزف الدم ذرورا ويقوى العين اكتحالا ، وينشف رطوبتها الفضلية ، ويقوى القلب وينفع من عسر البول ، وإذا علق على المصروع نفعه نفعا بينا ، والأولى أن يعلق على ركبته .

(حجر بلور) قال أرسطو : أنه صنف من الزجاج إلا أنه أصلب ، وهو مجتمع الجسم فى المعدن بخلاف الزجاج فإنه متفرق الجسم يجمع بالمغنيسيا والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت ، والملوك يتخذون من البلور أوانى على اعتقاد أن للشرب فيها فوائد ، والبلور إذا قابل الشمس فيقرب منه قطنة أو خرقة سوداء تأخذ فيها النار. وقال غيره: البلور الأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس يسكن فى الحال .

(حجر البورق) أجزاء سبخة من الأرض كالملح إلا أن البورق أقوى . قال : إنه إذا طلى به الكلف فى الحمام يزيله . وقال أرسطو : أنواع البورق كثيرة ، فمنه ما يتكون من الماء الجارى ، ومنه ما يتكون من الحجر فى معدنه ، ومنه أبيض وأحمر وأغبر وألوانه كثيرة وهو يذيب الأجساد كلها ويلينها للسبك ، وينفع من الجرب والبرص طلاء وينضج الدماميل وينفع الصمم ويجلو البياض العتيق من العين ، وينفع من الحمى التى تنوب بأدوار إذا مزج به قبل الدور بساعة . وقال ابن سينا : إنه إذا ضمد به يجذب الدم إلى ظاهر البدن ويحسن اللون .

(حجر تنجادق) قال أرسطو : إنه حجر أحمر اللون وخمرته غير حمرة الياقوت ومعدنه بلاد الشرق فإذا خرج من معدنه أصابه ظلمة فإذا قطعه الصناع خرج نوره وحسنه ، فمن تختم منه بوزن عشرين شعيرة يدفع عنه الأحلام الرديئة ، ومن أدام النظر إليه فى شعاع الشمس نقص نور عينيه ، وإذا مسح به الرأس واللحية ثم وضع رأسه على الأرض أتاه ماحواليه من عودتين .

(حجر تدمر) قال أرسطو : إنه حجر يوجد بناحية الغرب فى شاطئ البحر وليس يوجد إلا فى هذه المواضع فقط ، وهو أبيض مثل الرخام . خاصيته أنه إذا شمه إنسان جمد دمه فى جسده ومات من ساعته .

(حجر تنكار) قال أرسطو : إنه حجر من جنس الملح يوجد فيه طعم البورق معدنه ساحل البحر وهو يعين على سبك الذهب ويلينه ، وينفع من تآكل الأسنان ويقتل دودها ويسكن ضربانها ويجلوها ، وله فى تسكين أوجاع الأسنان خاصية عجيبة .

(حجر توتيا) قال أرسطو : حجر معدنى ذو أنواع أبيض وأخضر وأصفر معادنها سواحل بحر الهند والسند كلها تنفع العيون المرطوبة وتزيل الصنان .

(حجر جالب النوم) قال أرسطو : هو حجر شديد الحمرة صافى اللون يرى بالنهار كأنه يخرج منه شبه بخار وبالليل يسطع ضوءه حتى يضىء به ما كان حوله ، وإذا علق منه على إنسان ولو وزن درهمين أورثه نوما ثقيلا ، وإن جعلته تحت رأس إنسان نائم لايستيقظ حتى يدور رأسه ، وإذا طلى به موضع الحمرة أبرأها .

(حجر جزع) قال أرسطو : هو حجر ذو ألوان كثيرة يؤتى به من اليمن أو الصين ، والناس يكرهون أخذ شىء منه لأنه يكثر الهموم والغموم لمن يستصحبه ويورث أحلاما رديئة ويعسر معه قضاء الحوائج ولايفلح لابسه فى الأمور كلها ، وإذا علق على صبى كثر بكاؤه ونكده وفزعه وسيلان لعابه ، ومن سقى منه مسحوقا قل نومه وكثر فزعه وساء خلقه وثقل لسانه ، وإن سحق وجلى به الياقوت حسنه وصيره مشرقاً نيرا ، والنظر إليه يورث الهم ، وإن وضع بين قوم لاعلم لهم به يقع بينهم عداوة شديدة ، وإذا علق على المرأة تسهل ولادتها ، وإن وضع بقربها خف وجعها .

(حجر حامى) قال أرسطو : هو حجر شديد الحمرة مشوب بنقط سود صغار يجلب من بلاد الهند من أزال تلك النقط من هذا الحجر حتى يصير كله أحمر وألقاه على النحاس حمره مثل الذهب لأن تلك النقط هى دخان الفضة ، وتنفع من الفالج إذا استعط به .

(حجر بلبناس) قال فى كتاب [الخواص] إذا كان الجمل كثير الرغاء فربطت فى ذنبه حجرا لايرغو البتة . وقال صاحب كتاب [الفلاحة] الحجر الذى فيه ثقبة خلقة إذا علق على شىء من الأشجار يكثر ثمرها ولا يصيب ثمرها شىء من الآفات .

(حجر اسمانجونى) قال أرسطو : إذا كان الحجر اسمانجونيا فحككته فخرج أبيض من استصحبه يبقى فرحا غير حزين ، وإن خرج أسود من علقه عليه لم ينجح عمله ، وإن خرج أصفر فهو صالح لكل عمل ، وإن طرح فى بئر أو نهر قل ماؤها وربما انقطع ، وإن خرج أحمر من استصحبه يرى كل خير ، وإن خرج أخضر من أمسكه يزكو مايزرع سواء زرع فى أرض خير أو أرض سوء ، وإن خرج أغبر واكتحل به على اسم امرأة أحبته .

(حجر أبيض) قال أرسطو : إذا كان الحجر أبيض فحككته فخوج من محكه أصفر فإن من أمسكه إذا تكلم بشىء سواء كان صادقا أو كاذبا يقع ، وإن خرج محكه أحمر فكل شىء يعمله يرتفع سريعا ، وإن خرج أغبر على لون الأرض فكل من استعان به فى شىء من عمله أعين عليه ، وإن خرج محكه اسمانجونيا فلا يزال صاحبه الذى يمسكه طيب النفس ، وإن خرج أخضر إن علق فى بستان أسرع خروج غرسه وتعظم أشجاره سريعا ، وإن خرج

أسود أبرأ من سقى السم القاتل ومن لذغ الحية والعقرب إذا شرب من محكه أو علق عليه .

(حجر أحمر) قال أرسطو : إذا كان الحجر أحمر فخرج محكه أبيض فإن حامله ينجح فى كل عمل يعمله ، وإن خرج أسود كان حامله أى شىء يحدث به نفسه يقدر عليه ، وإن خرج أصفر فمن ربطه على عضده يحبه الناس ، وإن خرج أغبر فإنه حيث ذهب على عمل يحبه الناس وينجح ، وإن خرج أخضر فإن الذى يمسكه معه يصرف عنه السلاح. قال الشيخ الرئيس : إن فى الأحجار حجرا أحمر يشبه البسذ وزن دانق منه قتال يفعل بحمله جوهرة كالبيش .

(حجر أخضر) قال أرسطو : إذا اخضر فحككته فخرج محكه أبيض فمن أمسكه معه وغرس غرسا أو زرع زرعا وجعل هذا الحجر فى خرقة أو قطنة ودفنه فى الزرع ينبت بإذن الله تعالى أحسن نبات ، وإن خرج أسود يجتمع لمن أمسكه خير كثير ، وإن خرج أصفر فكل دواء يعطيه إنسانا يوافقه ، وإن خرج أحمر تكثر له من كل أحد العطية ويكرم ، وإن خرج أغبر لا يعالج مريضا به إلا برأ بإذن الله تعالى .

(حجر أسود) قال أرسطو : إذا كان أسود فحككته فخرج محكه أبيض ينفع من سم الحية والعقرب إذا شرب الملدوغ من محكه أو علق عليه ، وإن خرج أصفر فمن أمسكه لم يعى كثيرا وكل بيت هو فيه يصح أهله من الداء ، وإن خرج أسود على لونه فمن أمسكه معه تقضى له الحوائج من الناس ويزيد فى عقله ، وإن خرج أخضر فمن أمسكه لم تلدغه الهوام .

(حجر أصفر) قال أرسطو : إذا خرج محكه أبيض من أمسكه معه يحصل له كل شىء يطلبه من الناس ، وإن خرج أخضر فإنه إذا وضعه على شىء من الأعمال كان جديرا أن يقع ، وإن كان أحمر لقن الجواب عن كل شىء يسأل عنه بإذن الله تعالى ، وإن خرج أسود فمن أخذه معه وسمى اسم من يريده فإنه يتبعه ولا ينقطع عنه مادام الحجر معه .

(حجر أغبر) قال أرسطو : إذا كان الحجر أغبر وخرج محكه أبيض أو سحيقه إن سحق على اسم إنسان واكتحل به وسمى اسم ذلك الإنسان فإنه يحبه ويشفق عليه ، وإن خرج محكه أسود فمن اكتحل بحكاكته يكرمه كل أحد ، وإن اكتحلت به النساء أحبهن أزواجهن ، وإن خرج أصفر يثنى عليه كل من رآه حيث ذهب ، وإن خرج أحمر فحيثما ذهب يبسط عليه المعاش ، وإن خرج أخضر فمن أمسكه إذا جلس مع قوم أكرموه ، وإن خرج اسمانجونيا فإن صاحبه يعد حكيما وإن لم يكن كذلك .

(حجر الباءة) قال أرسطو : إن الإسكندر أصاب هذا الحجر بإفريقية ومعدنه هناك وخاصيته أنه إذا أدنى من الإنسان أو الحيوان ظهر به شهوة الوقاع فمنع الناس من حمله إلى عسكره

مخافة افتضاح النساء ، ومن أمسك من هذا الحجر تحت لسانه أمن من العطش، وإذا سقى منه صاحب الماء الأصفر ولو أربع شعيرات أسهله من ساعته : وذكر أن بأرض مصر حجرا من شده على ظهره يثور به شهوة الوقاع.

(حجر البحر) قال أرسطو : هذا حجر يوجد على ساحل البحر يتولد من لطيف أجزاء الأرض وبخار البحر ، وهو حجر أسود خشن المجس مثل الرحا إلا أنه خفيف لايغوص فى الماء . وخاصيته أن الإنسان إذا استصحبه وركب البحر أمن من الغرق ، وإذا ألقى فى القدر لم يغل وإن أوقد تحته حطب كثير . وذكروا أن الإسكندر أصاب هذا الحجر فى الظلمات وأبرأ به الزمنى وأصحاب العاهات .

(حجر الحبارى) يوجد فى حوصلة الحبارى يشد على الإنسان لم يحتلم مادام عليه ، وإن كان به إسهال يحبس بطنه .

(حجر الحصاة) قال أرسطو : حجر فيه رخاوة يخرج من بحيرة بأرض المغرب يشرب منه مقدار عشر حبات يفتت حصاة المثانة ، وهذا حجر عزيز ترميه الأمواج إلى الساحل كأنه الفلك الذى يغزل بها النساء .

(حجر الحية) يقال له بالفارسية مهرة حار فى حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحيات بعضها لاكلها . وخاصيته أن العضو الملدوغ يجعل فى اللبن أو فى الماء الحار وهذا الحجر يلقى فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم . وقال ابن سينا : إنه ينفع من نهش الحية تعليقا . وقال جالينوس : أخبرنى بذلك رجل صدوق .

(حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض ، فإن علق الأحمر على من يفزع فى نومه يدفع عنه ذلك ، وإن علق الأبيض على من به صرع يزول عنه .

(حجر الدجاج) حجر اسما نجونى يوجد فى قانصته إذا شد على المصروع يزول عنه الوجع والصرع ، ويزيد فى قوة الباه ، وإذا علق على الإنسان يدفع عنه العين السوء ، ويترك تحت رأس الصبى لايفزع فى نومه .

(حجر الرحا) يشد من السفلانى قطعة على المرأة التى تسقط ولدها فإنها لاتسقط وينحى عنها عند الطلق كى لايتعسر عليها ، وإذا أحمى ورش عليه الخل وجلس عليه قطع نزف الدم ويحلل الأورام الحادة .

(حجر السامور) حجر يقطع الأحجار كلها . ذكر أن سليمان بن داود عليهما السلام لما أراد بناء البيت المقدس أمر الشياطين بقطع الأحجار فشكا الناس من صوت قطع الأحجار فجمع علماء بنى إسرائيل وعلماء الجن وطلب منهم قطع الحجر من غير صوت ، فقال بعض

العفاريت : أنا أعلم حجراً له هذه الخاصية ولكن لست أعرف مكانها ولى حيلة فى تحصيله . ثم قال : علىّ بعش العقاب وبيضها ، فجاء بها بعض العفاريت فى الحال ، فدعا بجام من القوارير غليظا شديد الصفاء وكبه على بيض العقاب ووكرها وأمر بردها إلى مكانها ، فعادت العقاب إلى عشها فرأتها مغطاة فضربتها برجليها فلم تعمل فيه شيئا ، فسارت وأقبلت صبيحة اليوم الثانى وفى منقارها قطعة حجر ألقته على الجام فانشق نصفين من غير صوت ، فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام العقاب وقال : أخبرنى من أى موضع حملت هذا الحجر ؟ فقال : يانبى الله من جبل بالمغرب يقال له السامور ، فبعث سليمان عليه الصلاة والسلام الجن فحملوا منه مقدار حاجته ، وكان بعد ذلك يقطع الجن الصخور من غير أن يسمع لها صوت .

(حجر السم) هو حجر كالجزع وليس بجزع ، يوجد فى خزائن الملوك . خاصيته أنه يتحرك إذا حضر السم .

(حكى) الوزير نظام الملك الحسن بن على قدس الله روحه فى كتاب [سير الملوك] أن سليمان بن عبد الله قال ذات يوم : إن مملكتى ليست تقصر عن مملكة سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى سخر له الجن والطير والريح ، وليس لأحد من الملوك على وجه الأرض مثل مالى من الأموال والعدة . قال بعض الحاضرين : أهم شىء يحتاج إليه الملوك ليس عندك ياأمير المؤمنين . قال : ماهو ؟ قال : وزير يكون وزيرا ابن وزير ابن وزير كما أنك خليفة ابن خليفة ابن خليفة . قال : وهل تعرف وزيرا هذه صفته ؟ قال : نعم جعفر ابن برمك فإنه ورث الوزارة أبا عن جد إلى زمن أردشير ، ولهم كتب مصنفة فى الوزارة يعلمون أولادهم ذلك ، فكتب سليمان إلى عامل بلخ وأمره بإرسال جعفر إلى دمشق مع التجمل والإعزاز ، فلما وصل إلى دمشق ودخل على سليمان فرأى سليمان صورته استحسنه وتحرك له وأمره بالجلوس بين يديه ، فما كان إلا يسيراً حتى عبس سليمان وجهه وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قم من عندى ، فأقامه الحاجب ولم يعرف أحد سبب ذلك إلى أن خلا سليمان بندمائه ، فقال بعضهم : ياأمير المؤمنين طلبت جعفرا من خراسان بإعزاز فلما حضر أبعدته ! فقال سليمان : لولا أنه جاء من أرض بعيدة لأمرت بضرب عنقه لأنه حضر بين يدى ومعه السم القاتل فكان أول ماجاءنا وصحبته السم القاتل ، فقال ذلك النديم : أتأذن لى ياأمير المؤمنين أن أكشف عن هذا ؟ فقال : افعل ؟ فذهب إلى جعفر وقال له : أنت لما حضرت عند أمير المؤمنين أكان معك شىء من السم ؟ قال : نعم ، وهو الآن معى تحت فص خاتمى هذا ، لأن آبائى احتملوا من الملوك مشاق كثيرة طلبوا منهم الأموال وعذبوهم ، وإنى خشيت أن أكلف شيئا من ذلك فأحببت أن أمص خاتمى هذا وأستريح من الإهانة ، فرجع النديم إلى سليمان وأخبره بما سمع من جعفر ، فتعجب سليمان من نظره فى العواقب ، فأحضره مرة

أخرى وخلع عليه وأقعده بجنبه ووضع الدواة بين يديه حتى وقع بحضور سليمان عدة توقيع ، فلما انبسط معه بعد ذلك سأله ذات يوم فقال : ياأمير المؤمنين كيف عرفت أن السم مع العبد؟ فقال : معى خرزتان لا أفارقهما أبدا ، من خاصيتهما أنهما يتحركان إذ حضرنا من كان معه السم ، فلما دخلت علىّ تحركتا وحين قعدت بين يدىّ اضطربتا وكادتا أن تقع إحداهما على الأخرى ، فلما قمت من عندى سكنتا ، ثم فتحهما وعرضهما على جعفر فكانتا خرزتين كالجزع .

(حجر الشياطين) قال أرسطو : هو حجر أملس أحمر اللون لونه كلون الياقوت وكسره ككسره وليس له شفاف ، إذا غمس فى الماء اصفر مثل الزرنيخ ، وإذا كلس ثلاث مرات احمر وصار مثل الزنجفر ، فإن ألقى جزء منه على أربعة عشر جزءا من الفضة صبغها ذهباً أحمر .

(حجر الصدف) هو حجر أحمر يضرب إلى سواد ، يجلب من أرض كرمان ، ويسمى أيضا حجر الخمار ، يسقى من أضرّ به النبيذ أو أصابه صداع الخمار يستريح فى الحال ويحل ويكتب به مثل الزنجفر .

(حجر الصنونو) قال أرسطو : إنه صالح نافع لدفع اليرقان ، يوجد فى عش الخطاف . والحيلة فى تحصيله أن يلطخ فرخ الخطاف بالزعفران ويترك فى مكانه فإذا عادت أمه ترى عليه أثر الصفرة تحسب أن به اليرقان فتذهب وتأتى بهذا الحجر وتتركه فى العش وتدلك الأفراخ به .

(حجر العاج) قال ابن سينا : يمنع من نزول الدم فى القروح والجراحات .

(حجر العقاب) حجر يشبه نوى التمر هندى ، إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يرى فيه شىء يوجد فى عش العقاب ، والعقاب يجلبه من أرض الهند ، وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه هذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف أن قصدهم إياه لهذا الحجر . وخاصيته أنه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعا ، ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم فى المقاولة ويبقى مقضى الحاجة .

(حجر الفأر) شبيه بالفأر يوجد بأرض المغرب يتركه الناس فى بيوتهم فيجتمع عليه الفأر بحيث يسهل أخذها باليد ، وهم يدفعون الفأر بهذا الحجر ، لأن أرضهم خالية عن السنانير .

(حجر القمر) قال ابن سينا : إنه يوجد ببلاد المغرب عند زيادة القمر ، ويقال له أيضا براق القمر ، حجر خفيف . خاصيته أنه يعلق على الشجرة فتثمر ، وينفع من الصرع إذا

علق على المصروع . وبالهند حجر إذا خسف القمر يتقاطر منه الماء يقال له أيضا حجر القمر ، والله أعلم .

(حجر القير) قال أرسطو : إنه أسود اللون خشن الملمس ، إذا ألقى على القير ولو على ألف من يغلى كما يغلى من النار ، وإذا ألقى فى عين الماء الجارى المسرع حاد عنه الماء .

(حجر القىء) يوجد هذا الحجر بأرض مصر . إذا أخذه الإنسان بيده غلبه الغثيان حتى يتقايأ جميع مافى معدته بحيث لو لم يلقه من يده خيف عليه التلف .

(حجر الكلب) إذا رميت الكلب بحجر فعضه ، فإن ألقيت ذلك الحجر فى النبيذ ، فمن شرب منه لم يعد .

(حجر المطر) يجلب من بلاد الترك وهو أنواع مختلفة الألوان ، إذا وضع شىء منها فى الماء تنغيم السماء وتمطر وربما يقع البرد والثاج وهذا أمر مشهور ، ورأيت من شاهد هذا .

(حجر تتمرغ فيه الناقة) يوضع هذا الحجر على الخوان عند أكل الناس لايجد أحد منهم طعم المأكول مادام ذلك الحجر عليه ، ويعلق على العاشق الهائم يسلو ويزول عنه الهيمان

(حجر يتولد فى الإنسان) . قال أرسطو : إذا سحق مع الكحل قلع البياض من العين إذا اكتحل به .

(حجر يتولد فى الماء الراكد) . قال أرسطو : إذا سحق وسعط به نفع من الصرع والجنون نفعا بينا .

(حجر حرض) قال أرسطو : إنه حجر أصفر اللون مشوب ببياض وخضرة ، وهو خفيف لين الملمس يوجد بأرض المغرب : خاصيته أنه ينفع من لسع الهوام ومن جميع ذوات السم .

(حجر موساى) قال أرسطو : الحديد إذا خلص بالنار حدث منه حجر يسمى حجر الحديد وهو خبثه . له خاصية عجيبة فى تجفيف الجراحات وإبراء النواصير ، وإذا جعلته فى شىء من الجوارشنات ينفع لمن به استرخاء المعدة ولينها ، ويذهب برياح البواسير واللون المتغير من قبيل البواسير .

(حجر خبث الطين) قال أرسطو : إن الطين إذا عمل منه آنية أو قوالب ثم أدخل النار انسكب منه شبه العسل ثم يتحجر فيستعمل فى الأصباغ ، والصباغون يسودون به بعدما يقعونه فى الخل ، وهو نافع لدبر الدواب إذا سحق ونثر عليها ، والله الموفق .

(حجر خصية اللص) حجر يوجد بأرض الصين ، من استصحبه لايدور اللص حوله ولا حول متاعه ويزيد حامله وقارا .

(حجر در) قال أرسطو : إن البحر المسمى أوقيانوس يضرب فى كل فصل ربيع من

هبوب الريح فيأتيه الصدف فى هذا الوقت فتأتى الريح برشاشات يلتقمها الصدف كما يلتقم الرحم النطفة ثم يرجع إلى قعر البحر فتصير تلك النطفة مركبة من الماء واللحم فى جوف الصدف ، فربما وقع فى بطنها قطرة كبيرة فتنعقد درة كبيرة ، وربما تقع رشاشات فتنعقد أجزاء صغارا كما ترى فى أكثر الأصداف ، ثم إن الصدفة إذا وقعت فى فمها القطرة تخرج من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج من وسط النهار فإن شدة الحر وقوته تهيج البحر فيفسد الدر وتفتح فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من أثر الشمال وحرارة الشمس كما ينعقد الجنين فى الرحم من حرارتها ، ثم إن جوف الصدف إن خلا من الماء المر يكون فى غاية الصفاء والجلاء وحسن الهيئة ، وإن خالط الصدف شىء من الماء المر يكون الدر أصفر اللون أو كدرا غير مهندم ، وكذلك إن استقبل الهواء فى غير هذين الوقتين كانت الدرة كدرة ، وإذا كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة كان سببها استقبال الصدف فى الهواء الردىء وهو الليل وأنصاف النهار . ثم إن الصدفة إذا تجسدت الدرة فى جوفها تجسدا مستويا هبط إلى أصل البحر حتى يترشح فى قعر البحر وتتشعب منه العروق ويصير نباتا بعد ما كان حيوانا ، فعندذلك يقع فى قعر البحر : وإذا تركت تغيرت وفسدت كالثمرة إذا لم تقطف أوان قطافها فإنه يذهب حسن لونها وطيب طعمها . قال أرسطو : من خاصية الدر أنه ينفع من الخفقان والخوف الذى يكون من المرة السوداء ويصفى دم القلب جيدا ، وإنما يخلطه الأطباء فى الأدوية لهذا المعنى ويستعملونه فى الأكحال لتشديد أعصاب العين ، ومن جعل الدر واللآلئ ماء رجراجا فإنه إذا طلى به البياض الذى فى الجسد برصا أو بهقا أذهبه بإذن الله تعالى :

(حجر دهنج) قال أرسطو : إنه حجر أخضر فى لون الزبرجد لين المجس كما قال هرمس يتكون فى معدن النحاس : وذلك أن النحاس فى معدنه إذا طبخته بخارات الأرض ارتفع منه بخار من كبريت الأرض التى يتولد فيها فيرتفع ذلك البخار وتضمه الأرض فيتكاثف بضم بعضه إلى بعض ، فإذا ضربه الهواء عقده وصيره حجرا . وهو أنواع كثيرة : الأخضر الشديد الخضرة والموشى وعلى لون ريش الطاوس والكمد ، ونسبة الدهنج إلى النحاس كنسبة الزبرجد إلى الذهب ، وهو حجر يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته . ومن عجيب خواصه أنه إذا سقى إنسان من محكه يفعل فعل السم ، وإن سقى شارب السم نفعه ، وإن لدغ إنسان ومسح الموضع به سكن وجعه ، ويسحق بالخل ويطلى به القوبى فإنها تذهب بإذن الله تعالى : وقال غيره : ينفع من خفقان القلب ، ويدخل فى أدوية العين فيشد أعصابها ، وإن طلى بحكاكته بياض البرص أزاله ، وإن عاق على إنسان غلبته قوة الباه :

(حجر دمياطى) قال أرسطو : إنه حجر أسود مثل السجام يصاب فى البحر : إذا أحرق

وسحق مع الزئبق عقده ، وإذا طرح على الطلق وعرض على النار صيره ماء رجراجا .

(حجر رخام) حجر أبيض مشهور . إذا أردت أن لا تحبل المرأة فاسقها وزن درهم رخاما مسحوقا . وقال بليناس : قد يوجد فى وسط الرخام دودة من أخذ ثلاثة منها وشدها فى خرقة ثم علقها على المرأة لم تحبل .

(حجر رقوس) قال أرسطو : يوجد بقرب البحر الأخضر ؛ ومن خواصه أن الإنسان إذا تختم به زال عنه الهم والحزن .

(أحجار زاجات) تتولد جميع أجزاء الزاجات من أجزاء مائية وأجزاء أرضية محرقة إذا اختلط بعضها بالبعض اختلاطا شديدا . وسبب الحرارة الزائدة التى وجدت فى دخانيتها إذا اختلطت بالأجزاء المائية تحدث فيها دهنية فتصير قابلة للذوبان ولهذا وجد فى الزاج ملوحة وكبريتية وحجرية ، فمن حيث إنه وجدت فيه الأجزاء المائية والأجزاء الأرضية المحترقة وجد فيه ملوحة ، ومن حيث إن الحرارة أنضجتها حتى أحدث فيه دهنية كبريتية ، ومن حيث أن الماء والتراب انعقدا بحرارة الشمس وجد فيه حجرية . وأما اختلاف ألوانها فبحسب اختلاف المعادن . وأما خاصيته فإنه ينفع من الجرب والسعفة والناصور والرعاف وتآكل الأسنان ، وإذا دخن البيت بالزاج هرب من رائحته الفأر والذباب .

(حجر زبد البحر) قال ابن سينا : إنه أنواع : منه قطرى يصلح لحلق الشعر وينفع من البهق ، ومنه إسفنجى شديد الجلاء للأسنان ، ومنه وردى نافع للنقرس والطحال والاستسقاء .

ومن عجيب خواصه أنه يحلق الشعر وهو ينبته ، وينفع من البهق والكلف والآثار ، ويجلو الأسنان ، وينفع من الخنازير والاستسقاء وعسر البول . وزعم بعضهم أن زبد البحر إذا علق على فخذ صاحبة الطلق سهل ولادتها .

(حجر الزجاج) قال أرسطو : الزجاج أنواع كثيرة يوقد عليه كثيرا حتى يختلط ويجرى والزجاج إذا اصابته النار قبل أن يدخل النار يتكسر ولم ينتفع به ، وهو يتاون بألوان كثيرة لأنه من ألين الأحجار يوجد فى الأحجار كالمائع من الناس لأنه يميل إلى كل صبغ يصبغ به ، وهو يخرج اللحم . قال ابن سينا . من خاصيته أنه يجلو الأسنان وينبت الشعر إذا طلى بدهن الزئبق ويجلو العين ويذهب بياضها .

(حجر الزرنيخ) معروف . قال أرسطو : له ألوان كثيرة فمنه أحمر وأصفر وأغبر . أما الأحمر والأصفر فهما ذهبيا اللون إذا اجتمعا مع الكلس حلقا الشعر ، وهو سم قاتل ؛ ومن أحرق الزرنيخ ودلك به الأسنان نفعها وذهب بخضرتها ؛ وقال غيره : الزرنيخ يجعل على الجراحات والجرب والسعفة الرطبة ينفعها ، ومع الزيت يقتل القمل ، ومع دهن الورد يقطع البواسير ، وإذا طلى الإنسان به جسده لإزالة الشعر يحدث به كلفا فيطلى بعده بالأرز والعصفر

ليدفع غائلته . والزرنيخ الأصفر يقتل الذباب برائحته . فإن جعلته فى شىء حلو ليأكله الذباب قتله قتلا بينا ، وإذا ألقيت الزرنيخ مع الملح فى النبيذ أفسده .

(حجر الزنجار) قال أرسطو : هو حجر يستخرج من النحاس بالخل وفيه قوة السم إذا شرب . وخاصيته أنه يبرىء البواسير ويأكل اللحم الميت من الجراحات . وقال ابن سينا : هو نارج النحاس بأن يكب آنية نحاس على خل ، وينفع من البواسير بأن يتخذ منه ومن الآشق فتائل يحشى بها .

(حجر الزنجفر) قال أرسطو : إن الزئبق إذا طبخ منه فى الزجاج على النار واستوثق رأس الزجاج كى لايطير الزئبق منه استحال بياضه إلى الحمرة وصار زنجفرا . فإن انشقت الآنية أو أصاب بدن صاحبه دخانه حدث من ذلك مرض صعب وربما يقتل وهو يدمل الجراحات وينبت اللحم فى القروح ويمنع من حرق النار ويأكل الأسنان ، وهو من السموم القتالة .

(حجر سبيج) قال أرسطو : هو حجر يؤتى به من بلاد الهند أسود شديد البريق شديد الرخاوة يتكسر سريعا . إذا أصاب الإنسان ضعف فى بصره من الكبر وبدا الماء فى عينه والعياذ بالله تعالى . وعلامته عسر الرؤية وأن يرى قدام عينيه شيئا كالدخان أو كالذباب فيديم النظر فى السبيج فإنه ينفع نفعا بينا ، ومن لبس شيئا منه يأمن من العين السوء . وقال غيره : من أدمن إليه النظر أحدّ بصره ، وإذا سحق واكتحل به جلا البصر ، وإذا علق على الرأس نفع من الصداع .

(حجر سنسليس) قال أرسطو : هذا حجر خفيف يتخلخل إذا حبسته ظننت أن الريح يخرج منه يعنى أن الريح يحرق جسمه ، وهذا الحجر إذا عصفت الريح على أهل البحر وأقبلت الأمواج ومرّ ماء البحر منصرفا مع الريح أقبل هذا الحجر مع الريح والماء ، ومن استصحب من هذا الحجر ولو زنة قيراط أو أقل لم يظفر به عدوه أبدا ولا يغلبه .

(حجر سنباج) قال أرسطو : معدنه جزائر بحر الصين كأنه الرمل الخشن ومنه أحجار صغار وكبار ، إذا أحرق وسحق وطلى به القروح أوذرّ عليها أبرأها بإذن الله تعالى ، وهو يجلو الأسنان من الوسخ .

(حجر شاذنج) ويقال له أيضا حجر الدم يحرق المغناطيس فيخرج شاذنج ومنه معدنى ومصنوع يلطف فى إحراق المغناطيس . ومن خاصيته أنه يقوى البصر . ويذر على اللحم الزائد فيضمره ويدمل قروح العين خصوصا مع بياض البيض ، وينفع من خشونة الأجفان .

(حجر شب) قال ديسقوريدس : أصناف الشب كثيرة ، وأشهرها اليمانى وهو أبيض وفيه صفرة وفى طعمه حموضة . وذكر أن الشب اليمانى يقطر من جبال اليمن وهو ماء فإذا صار إلى الأرض استحال شيئا ينفع من نزف كل دم وقذفه ، وهو مع دردى الخل يجفف

القروح العسرة المتآكله ، وطبيخه إذا تمضمض به نفع من وجع الأسنان ، والصياغون يجعلون الأثواب فى الشب ثم فى الصبغ فإن الصبغ لايفارقه ، والشب فى آنية الرصاص أمان من القولنج ، والله تعالى أعلم .

(حجر صدف) حجر معروف ، منه مايتكون فى الماء العذب ومنه فى المالح . ومن خاصيته جذب السلا والعظام ، ويسكن وجع النقرس والمفاصل إذا ضمد به ، وإذا سحق بخل قطع الرعاف ، ولحمه ينفع من عضة الكلب الكلب ، ومحرقه يجلو الأسنان إذا استيك به ، وفى الأكحال ينفع من قروح العين ، وإذا طلى به موضع الشعر الزائد فى الجفن بعد نتفه منع نباته ثانيا ، وينفع من حرق النار ويجفف القروح والجراحات ، وإذا شدت قطعة صافية على صبى نبتت أسنانه بلاوجع .

(حجر طارد النوم) قال أرسطو : إنه حجر أبيض مائل إلى السواد ثقيل الجسم جسدا كأنه فى وزن الرصاص فى مسه خشونة وربما يكون كلون الطحال ، إذا علق على إنسان لاينام ليلا ولا نهارا ولا يحس بتعب السهر بخلاف من سهر ليلا ، ويسعط المجذوم بذلك يبرأ .

(حجر طاليقون) هو نحاس طرح عليه الأدوية حتى صار صلبا ، إن اتخذ منه شىء من النصول أضر به جدا . وقال أرسطو : هو من جنس النحاس غير أنهم ألقوا عليه الأدوية الجاذبة حتى حدثت فيه سمية فإن جرح به حيوان أضر به جدا ، ومن أحمى الطليقون ثم غمسه فى مائع لم يقرب ذلك المائع ذباب .

(حجر طلق) قال أرسطو : هو نوعان أبيض غليظ القشر صافى البياض وأحمر رقيق القشر لين المجس ، وهو حجر شريف يبقى على الرصاص والنحاس والحديد يصيرها فضة بإذن الله تعالى . ومن أراد حله فليشده فى خرقة ويجعل فيه حصى ويضرب بالماء فينحل من بعد ماغمس فى الماء .

(حجر طرسوطوس) قال أرسطو : تولده فى معدن الفضة والنحاس جميعا وهو أخضر فيه طبع الدهنج . وخاصيته أنه إذا نقع فى ماء وشرب يقتل ، وقد فعل ذلك بقوم من عساكر الإسكندر فماتوا ، وإذا أنى فى الكحل أذهب بياض العين العتيق ، وإن لم يكن عتيقا يضر بالعين .

(حجر عقيق) قال أرسطو : أصنافه كثيرة وأجودها مايجلب من اليمن وقد يوجد على ساحل البحر بالأردن ، وأحسنه مااشتدت حمرته وصفت صفرته ، فمن لبس من أحسنه سكنت حدته عند الخصومة وعند الضحك أيضا ، ومن استاك بنحاتته ذهب عنه صدأ الأسنان وبيضها ، ويذهب بالرائحة الكريهة من الفم والأسنان وينفع من خروج الدم من حواليها . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تختم بعقيق لم يزل فى بركة وسرور » ومحرقه يقوى العين وينفع من الخفقان .

(حجر عنبرى) قال أرسطو : هو حجر يضرب لونه إلى الغبرة والخضرة التى ليست بالمشرقة وفيه نقط سود وصفر وبيض يشم منه رائحة العنبر ، والملوك اتخذوا منه أوانى فغلب عليهم المرة السوداء فاحتاجوا إلى العلاج وتعبوا . قال : إن إبليس لعنه الله دلهم على ذلك .

(حجر عطاس) قال أرسطو : هو حجر يطفئ النار إذا وقع فيها ، وإذا ألقى فى النار لم تشتعل ألبتة ، وإذا جعل تحت اللسان وشرب عليه الشراب لم يرتفع بخاره إلى الرأس ولم تسكره .

(حجر فادزهر) معناه حجر السم ، وهو اسم لكل حجر حفظ قوته على الروح ودفع ضرر السم . قالوا : إن السم حار وبارد ؛ فالحار يذيب الدم ويفنى الرطوبة التى بها قوام الحيوان ويدب فى البدن دبيب الزعفران إذا وقع فى الماء ، وأما البارد فيجمد الدم والرطوبات اللطيفة كالأنفحة إذا وقعت فى اللبن الحليب فإنها تجمده فى أقرب مدة . وأما فعل الفادزهر فمثل فعل الحموضات إذا وقعت على لون الزعفران فإنها تغسله من ساعته ، والفاعل لهذه الأفاعيل قوة موجودة فى هذه الأشياء خلقها الله تعالى فيها وهى كالآلة للفاعل يفعل بها أفعالا مختلفة وأعمالا متقنة . قال أرسطو : أصناف الفادزهر كثيرة : الأصفر والأغبر والمشوب بالخضرة والمشرب بالبياض والجيد منها الأصفر الصافى والأغبر ، معادنه فى بلاد الصين والهند وخراسان ، فمن شرب منه زنة قيراط مسحوقا أو مبرودا بالمبرد تخلص من السم بالعرق والرشح . وإن وضعه على سم العقرب والهوام نفع به نفعا بينا ، وإن سحق وذر على موضع اللسع حين يلسع أحدث البرء ، وإن عقر الموضع قبل أن يتداوى بدوائه فذر عليه سحاقته نفعه .

(حجر فرسلوس) قال أرسطو : هو حجر أسود يوجد فى الظلمات أخرجه الإسكندر وكان فى خزانته ، وهو حجر أسود ثقيل الجسم إذا وقع فى النار تلاشى واضمحل ، وإذا طرح على الزئبق وعرض على النار عقد الزئبق وضبط بعضه بعضا فيصيران جسدا واحدا وفضة لينة تصير على النار وطرق المطارق ، وإذا علق على إنسان لم يزل يتكلم بالحكمة مادام عليه ولا ينسى ذكر الله تعالى ليلا ولا نهارا ، وينفع من عين السوء ، وإذا سحق مع لبن البقر وطلى به البرص يبرأ بإذن الله تعالى .

(حجر فرطاسيا) قال أرسطو : إنه يوجد فى أسافل الجبال الشواهق إذا كان الليل أسرج مثل النار ، وإذا سحق بماء الكرفس صار سماقا تلا لسائر الحيوانات .

(حجر فرفوس) قال أرسطو : هذا حجر أحمر على لون النار إذا سحق وجعل على الجرح الذى لا يلتحم ألحمه .

(حجر فيروزج) قال أرسطو : هذا الحجر أخضر مشوب بزرقة معادنه أرض خراسان .

وهو يصفو لونه من صفاء الهواء وإذا تكدر الجو تكدر، ينفع العيون إذا سحق مع الأكحال واكتحل به ، وليس هو من لبس الملوك لأنه ينقص الهيبة : وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما : ما افتقرت يد تختمت بفيروزج .

(حجر فليفوس) قال أرسطو : تفسيره المتلون بألوان كثيرة ، وهذا الحجر يتلون ألوانا فى كل يوم مراراً عديدة مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أخضر ، وبالليل يلمع كالمرآة ، فلما ظفر الإسكندر بهذا الحجر فى معدنه أخذ منه شيئا فلما جن عليهم الليل أخذهم الرجم من كل ناحية ، فزعموا أن لهذا الحجر خاصية لايحب الجن أن تعرفها الإنس فأمر الإسكندر بامساكها فما مر بها بموضع إلا هرب منه الجن وماكان يقربها شىء من السباع والهوام فجعلها فى خزانته .

(حجر فيهار) قال أرسطو : هو حجر يوجد بناحية المشرق فى معدن الذهب لونه لون الياقوت الأحمر شفاف مثل الياقوت. خاصيته أنه يدفع غائلة السحر إذا استصحبه إنسان معه ، وإذا سقى منه مقدار شعيرتين أزال الخبل والجنون .

(حجر قرياطيسون) قال أرسطو : إنه يوجد بأرض الهند ينفع من سيلان الدم ، وإن أمسكه إنسان فى فمه ووضع على أخدعيه الحاجم وشرط لم يخرج من الدم شىء أصلا .

(حجر قروم) قال أرسطو : هذا حجر يخرجه الغواصون من البحر ملون بالبياض والحمرة والصفرة والخضرة والدكنة ، إذا علق على إنسان تكلم بالصواب والصدق وتهرب منه الشياطين ، وإذا شرب منه وزن شعيرة مسحوقا بالعود نفع من أوجاع كثيرة : خاصيته أنه ينفع من وجع المفاصل والعظام .

(حجر قلقديس) هو صنف من الزاج وهو أقوى فعلا من الصنفين المذكورين بعد .

(حجر قلقطار) هو صنف من الزاج . قال جالينوس : ينفع من الأورام الساعية ويحرق اللحم الزائد وينفع من الرعاف وأورام اللثة ويمنع من النزف ويقع فى الأكحال جلاء .

(حجر قلقند) صنف من الزاج محرق جداً أكال اللحم ومجفف له ، وينفع من نواصير الأنف والرعاف ، ويقتل دود الأذن والبطن ، ويلقى فى الماء ويرش به البيت يموت ما فيه من البراغيث والبق برائحته ، وإذا ضم إليه الكبريت والشونيز كان أقوى فعلا ، ويدفع الفأر أيضا ، ويدلك به المسن ، ويحد به الموسى يفيده قوة عجيبة فى إزالة الشعر ، وإذا دلك به منخر الإنسان لاينام ألبتة ، فإن أراد إزالة ذلك يلطخ أنفه بالزيت حتى ينام .

(حجر قلى) حجر يتخذ من الأشنان بأن يحرق حتى يصير رمادا ، وهو جلاء أكال أقوى من الملح ، ينفع من البهق والجرب واللحم الزائد ، يدق مع الثوم ويعجن بالنفط الأبيض ويطلى به لدغ العقرب فإنه يسكن وجعه فى الحال .

(حجر قيسور) قال أرسطو : إنه حجر خفيف مخلخل يعوم على الماء ولايغوص ، يوجد بأرض صقلية وأرمينية ، ويسمى أيضا حجر الدفاتر لأنه إذا حك به المكتوب محاه . ومن خاصيته تنقية الأسنان من الوسخ وتبييضها إذا سحق واستن به . وقال سرجويه : إنه يحلق الشعر إذا مر به .

(حجر قبراطير) قال أرسطو : إنه حجر مدور كالبنادق يخرج من البحر ، خاصيته أنه إذا سحق وسقى من به الحصا فى المثانة أخرجها قطعا من الإحليل كالرمل .

(حجر كرسياد) قال أرسطو : هو حجر يوجد على ساحل البحر يجتمع عليه الحبات لونه أسود مثل المداد ، وهو خفيف خشن المحس لا تعمل فيه المبارد ، وإذا كلس يكلس فى سبع مرات ويصير كلسه أبيض ، وإذا خلط مع كلسه شىء من النوشادر وألقى جزء منها على سبعة أجزاء من زئبق عقده وصيره حجراً .

(حجر كرسيان) قال أرسطو : إنه أخضر اللون يوجد بأرض الهند ، وهو ثقيل شفاف صاف إذا كلس هذا الحجر حتى يبيض وحمر حتى يحمر ويصير فى كيزان الزنجفر فإذا انحل ألقى عليه مثله مغنيسيا وأذيب البلور فى النار وألقى من هذا الكرسيان المدبر عليه عشر شعيرات على عشرة أساتير صبغه وجعله فى لون الياقوت ، وإذا علق على إنسان أمن من الحميات .

(حجر كرك) قال أرسطو : إنه حجر أبيض ، إذا خرج من الخرط يشبه العاج يؤتى به من ساحل بحر السند ينفع لحكة العين اكتحالا ، وأهل السند والهند يتختمون به لدفع العين والسحر والشياطين ، وكان الفلاسفة يضعونها عندهم كيلا تقربهم الأرواح الرديئة .

(حجر كرمانى) قال أرسطو : هو حجر أسود يشوبه كمودة يصاب فى الآجام والرجل وقد يكون على لون الطحال ، إذا سحق بالشب واللبن وأسعط المجذومين يبرئهم بإذن الله تعالى .

(حجر كهربا) هو حجر أصفر مائل إلى البياض وربما كان إلى الحمرة ، ومعناه جاذب التبن لأنه يجذب التبن والهشيم إلى نفسه ، وهو صمغ شجر الجوز الرومى . وإذا علق على إنسان نفعه من الأورام والخفقان ويحبس القىء ويمنع نزف الدم . وإذا علق على الحامل حفظ جنينها ، وإذا علق على صاحب اليرقان نفعه وأزال صفرته والكهربا شبيه بالصندروس إلا أنه أصفى لونا وأميل إلى البياض .

(حجر لازورد) قال أرسطو : هو حجر به رخاوة وهو مشهور . من تختم به نبل فى أعين الناس ، وإن اكتحل به فى الأكحال ينفع العين . قال ابن سينا : إنه ليسقط الشآليل ويحسن الشعور ويكثرها . وقال غيره : اللازورد ينفع من السهر وينفع أصحاب المالیخوليا .

(حجر لاقط الذهب) قال أرسطو : هذا حجر يختلس الذهب معدنه ببعض جبال المغرب وهو أصفر مشوب بغبرة يسيرة أملس لين المجس من نظر إليه ظنه تبرا : وخاصيته أن الذهب إذا برد بالمبرد واختلطت برادته بالتراب وأمرّ عليه هذا الحجر لقطها وأخرجها من التراب حتى لا يبقى فيه شيء .

(حجر لاقط الرصاص) قال أرسطو : هو حجر سمح اللون نتن الرائحة مشوب بشيء من البياض والرصاص مع ثقل جسمه هذا الحجر يختلسه فإذا وقع فى موضع يشم منه رائحة الحلتيت ، وإن أحرق بالنار حتى يصير كالفحم ثم ألقى عليه الزئبق يكون منه فضة جيدة تصبر على السبك والمطرقة .

(حجر لاقط الشعر) قال أرسطو : هو حجر رخو خفيف متخلخل الجسم إذا مد على ظهر الحيوان يحلق شعره مثل الكاس والنورة ، فإن شد على شعر مطروح على وجه الأرض لقطه ، وإن سحق وطلى به الموضع الذى حلق منه الشعر يزيل منه أثر الحلق مثل داء الحية والثعلب ، وإن أصاب رائحة هذا الحجر الذهب المسبوك فسد وتفتت عند الطرق كما يتفتت الزجاج ولم يكن له حيلة .

(حجر لاقط الصوف) قال أرسطو : هذا الحجر أخضر يشوبه عروق خضر وصفر ، وهو خفيف الجسم مائل إلى البياض مدوّر صغار وكبار . إذا أدنى منه الصوف التف عليه حتى يغوص فى الصوف ، ومسحوقه يزيل البياض من العين اكتحالا ، وإذا كلس وعقد مع زبد البحر عقد الزئبق عقداً شديداً .

(حجر لاقط العظم) قال أرسطو : هو حجر أصفر خشن المجس ، يجلب من بلاد بلخ إذا أدنى من العظام لقطها .

(حجر لاقط الفضة) قال أرسطو : هو حجر أبيض مشوب بغبرة وإذا غمز عليه الإنسان صر كما يصر الرصاص ، وإذا أخذت منه قدر أوقية ووضعته من الفضة على مقدار خمسة أذرع اجتذبت إليه . وإن كانت مسمورة اقتلع المسمار من موضعه ، وليس شيء من المغناطيس أقوى من هذا .

(حجر لاقط القطن) يوجد على سواحل البحر ، وهو أبيض إذا أدنى من القطن أو الخرق اختلسها . ومن خواصه أنه إن حل فى الزبل وألقى على النحاس بيضه وصيره مثل الفضة .

(حجر لحاغيطوس) قال أرسطو : إنه حجر أسود اللون يشم منه رائحة القار شديد اليبس . يلحم الجراحات الشديدة الغور ، وينفع أصحاب الصرع ويطرد الهوام .

(حجر الماس) قال أرسطو : إنه يقرب لونه من لون النوشادر الصافى لا يلتصق بشيء

من الأحجار إلا هشمه وكسره غير الأسرب فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس، ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطاعه مثلثة وكلما كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى، والصناع يجعلون قطاعه فى طرف المثقب يثقبون بها الأحجار الصلبة ، والموضع الذى فيه الماس لم يصل إليه أحد ، وهو واد بأرض الهند لا يلحق البصر أسفله وفيه الأفاعى ، وهذه الأفاعى لا يراها أحد إلا مات ، ولها مصيف ستة أشهر ومشتاة مثلها ، فأمر الإسكندر باتخاذ المرائى وإلقاءها فى الوادى حتى ترى الحيات فيها صورتها فيها فتموت ، وقيل إنه راقب وقت غيبتها وألقى فيها قطاع اللحم فتشبثت بقطاع الماس وجاءت الطير من الجو وأخذت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادى ، فأمر الإسكندر أصحابه باتباع الطير والتقاط ما ينتثر من ذلك اللحم . ومن عجائب الماس أنه إذا طرق بالمطرقة على السندال دخل فى المطرقة أو فى السندال ، وإذا ضرب بالأسرب يتكسر فى الحال ، وإن ألقى فى دم التيس وأدنى من النار يذوب ، وهو ينفع من المغص وفساد المعدة وتكسر الأسنان إذا أخذ فى الفم ، وهو سم قاتل جدا .

(حجر مغناطيس) قال أرسطو : هذا حجر هندى لا يعمل الحديد فيه . إذا وضع فى مكان بطل فيه عمل السحر ويهرب عنه الشياطين ، والإسكندر كان يعمله فى عسكره لدفع الجن والسحر .

(حجر ماهانى) قال أرسطو : هو حجر أبيض أصفر يوجد بأرض خراسان ينفع من السكتة ، وإذا أحرق بالنار وجعل على البواسير أبرأها ، ومن تختم به أمن من الروع والغم والجزع .

(حجر مراد) قال أرسطو : إنه حجر عجيب يوجد بناحية الجنوب، إن أخذ من معدنه والشمس بناحية الجنوب كان طبعه حارا يابسا وإن كانت بناحية الشمال كان طبعه باردا رطبا، وهو أحمر اللون إذا كانت الشمس جنوبية وأخضر إذا كانت شمالية . وخاصيته أن الشياطين تتبع حامله ويعلمونه بما أراد منهم .

(حجر مرجان) قال أرسطو : إنه ينبت فى البحر أحمر اللون وهو إذا كلس عقد الزئبق وصبغه بلون الذهب وهو يدخل فى معالجات العين ويصلب الحدقة ، وقال غيره : إنه يستخرج من موضع يسمى مرسى الحذر بقرب ساحل إفريقية يجتمع التجار بها ثم يستأجرون أهل تلك النواحى على استخراج المرجان من قعر البحر ، ومن أراد ذلك يتخذ صليبا من الخشب طوله ذراع ويشد فيه حجرا ويركب ركوة ويبعد عن الساحل نصف فرسخ ويرسل الصليب إلى أن ينتهى إلى قعر البحر، ثم يمر بالركوة يمينا وشمالا حتى يتعلق المرجان بذوائب الصليب ثم يقتلعه بقوة ويرفعه إليه وقد علق بالصليب ، وهو جسم مشجر أغبر القشر فإذا حك خرج أحمر اللون، وزعم بعض الناس أنه يوجد أيضا فى قعر بحر الأندلس والغواصون ينزلون عليه ويقطعونه .

أما خواصه فقد ذكر فى البسد وهو خلاصته فلا نعيدها .

(حجر مردا سنج) هـذا حجر متخذ من الرصاص ينفع من الجراحات ويجففها إذا اتخذت منه المراهم ، ويبرئ القروح ويلحم الجروح ويذهب برائحة الزفر من الناس . قال ابن سينا : إنه يطيب رائحة البدن والإبط ويجلو الكلف والآثار السود والدم الميت وآثار الجدرى ، وهو سم قاتل يحبس البول . وإذا طلى به الإبط رد الفضلات إلى القلب فليكن بدهن ليأمن غائلة ذلك .

(حجر مرقشيثا) قال أرسطو : إنه أصناف منها ذهبية ومنها فضية ومنها نحاسية وجميع أصنافها يخالطها الكبريت فإذا أحرق كبريتها وكلست حتى صارت كالدقيق دخلت فى كثير من الصنعة ، وإذا ألقى منها على ذهب مسبوك خلص الذهب ، وإن ألقى مكلسا على النحاس أو الرصاص قلبهما إلى البياض حتى يقاربا الفضة فى اللون ، وإن طرح على النحاس الذائب يبسه وبيضه حتى يصير كالفضة ، وينفع العين من جميع العلل الحارة اكتحالا . وقال ابن سينا : إنه ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى وكل صنف يشبه جوهره الذى ينسب إليه فى لونه ، والفرس يسمونه حجر الروشناوى أى حجر النور لمنفعة البصر ، وينفع من البهق والبرص والكلف طلاء ، ويرقق الشعر ويجعده ويجلو العين ويقويها ، وإذا علق على الصبى لم يفزع . وقال غيره : إذا علق على الإنسان أصاب خيرا وكرامة من الناس .

(حجر مسن) قال أرسطو : المسن الحجر الأخضر الذى يسن الحديد إذا حددته بالأدهان . وهو نافع لبياض العين إذا سحق واكتحل به قبل أن يصيبه الدهن . قال ابن سينا : حكاكة المسن تطلى على الثدى والخصية لئلا يعظما .

(حجر مسهل الولادة) قال أرسطو : هذا حجر هندى إذا حركته سمعت فى جوفه صوتا ومعدنه جبل بين مدينة عمان والبحرين ، فإنما عرفت خاصيته فى تسهيل الولادة من أنثى النسر إذا حان وقت أن تبيض يبلغ بها حد الموت من شدة العسر وربما ماتت وجعا ، فعند ذلك يذهب النسر الذكر إلى الجبل ويأتى بذلك الحجر ويجعله تحتها فأهل الهند عرفوا ذلك من النسر ، فإذا وضعت هذا الحجر تحت كل حيوان أضر به الطلق سهل الولادة .

(حجر مغناطيس) قال أرسطو : إنه حجر يجتذب الحديد وأجود أصنافه ما كان أسود مشوبا بالحمرة ، ومعدنه ساحل بحر الهند وهو قريب من بلادها ، والسفن التى تعبر فى البحر إذا قربت من معدن المغناطيس وفيها شىء من الحديد طارت مثل الطير والتصقت بالجبل ولهذا المعنى لا يستعمل فى سفن البحر شىء من الحديد أصلا . ومن عجيب خاصية المغناطيس أنه إذا أصابها رائحة الثوم أو البصل بطل تأثيرها ولا يسلب الحديد فإذا غسلته بالخل عاد إلى حالته وكذلك دم التيس إذا نقعته فيه ، وإن سقى إنسان سحالة الحديد يسقى من هذا الحجر مسحوقا

باللبن فإنه ينزعه ويستقصيه حتى لا يترك منه شيئا، وكذلك إذا سقى من جرح بحديد مسموم فإنه يبطل عمل السم ، وكذلك إذا نثر على الجراحة الحارة التى من حديد مسموم أبرأها ، فالحديد طائع لهذا الحجر بسبب قوة خلقها الله تعالى فيه ولا يزال ينجذب إليه كالعاشق إلى المعشوق . وقال غيره : إنه إذا علق المغناطيس على إنسان نفعه من وجع المفاصل ، وإن أمسكته المرأة التى تعسرت ولادتها وضعت فى الحال ، وينفع النقرس فى اليدين أو الرجلين ، وإذا أخذ فى اليد نفع من الكزاز ، وإذا علقته المرأة التى أضرّ بها الطلق على ثديها الأيسر وضعت سريعا ، ومن علقه فى عنقه زاد فى ذهنه ولم ينس شيئا .

(حجر ملح) قال أرسطو : الملح أصناف منها المتحجر كالبلور ، ومنها ما يكون كالثلج وتحجره كتحجر سائر الأحجار ، ومنها ما يكون سؤرجا فى الأرض السبخة جعلها الله تعالى قواما لمصالح الدنيا فيصلح لكل شىء يخالطه حتى الذهب فإنه يحسن لونه ويزيد فى صفرته ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا على ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء » ومن خواصه دفع العفونات كلها ، والملح المحرق ينقى الأسنان من الحمرة ويزيل كهبة اللون حيث طلى ، واستعماله بالعسل يحسن اللون ويأكل اللحوم الزائدة النابتة ، وينفع القوبى والجرب ، ويضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب ، ومن العسل والخل نهشة ذى الأربعة والأربعين والزنابير ، وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس ، والإندرانى هو الذى يشبه البلور يحد الذهن ويشد اللثة المسترخية .

(حجر نطرون) قال أرسطو : إنه يغسل الأجسام من الوسخ وينور وجهها ، وهو نافع للأرحام اللواتى غلبت عليها رطوبة ينشفها ويقويها . وقال غيره . هو البورق الأرمنى ينفع من القولنج الشديد ويقلع بياض القرنية ، وإذا ألقيت فى العجين طيب خبزه وبيضه ويبسه ، وإن طرح فى القدر أهرى اللحم .

(حجر نوبى) قال أرسطو : إنه حجر شريف لين المجس ، ومعنى النوبى النافع للسم وهو ينفع من سائر السموم إلا أنه يعمد إلى الكبد والقلب ويذوبهما وإلى العروق فيفسد كيفية ما فيها من الدم ، وقد يسد مجارى الروح الحيوانية فيغشى على الإنسان فإن بادر الأدوية القتالة قبل نفشها فى البدن نفعه نفعا بينا وإذا أبطأ ذلك ضره .

(حجر نورة) من الأجساد الحجرية المحترقة ، ويقطع نزف الدم إذا جعلته على الموضع وينفع من حرق النار جداً ، وإذا طلى بها فى الحمام لأجل إزالة الشعر أبرزت بما تحت الجلد فينبغى أن يدهن بعدها بدهن البنفسج وماء ورد . وذكر أن استعمال النورة لإزالة الشعر من تعليم الجن ، وذلك أن سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما تزوج بلقيس ملكة اليمن وجد ساقها أزغب ، فسأل الجن هل فى ذلك حيلة ؟ فذكروا له استعمال النورة ، وإذا فرشت فى موضع لم تقربه البراغيث .

(حجر النوشادر) تولده كتولد الملح إلا أن الأجزاء النارية فيه أكثر من الأرضية ولهذا إذا أرادوا تصعيده يتصعد كله، وقيل إنه من أجزاء مائية وأجزاء دخانية لطيفة كثيرة الحرارة وربما يتخذ من أرخام الحمامات. قال أرسطو: إنه أصناف كثيرة فمنه مركب فى سواد وغيره وبياض ومنه الأغبر ومنه الأبيض الصافى؛ فالشبيه بالبلور ينفع من بياض العين ومن الخوانيق البلغمية إذا طبخ ونفخ فى الحلق مع أدوية أخرى. وقال الشيخ الرئيس: إذا رش البيت بالماء الذى جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام.

(حجر هادى) قال أرسطو: هذا الحجر يوجد بناحية الجنوب والشمال جميعا لونه لون الطحال، إن علق على إنسان لم تنبح عليه الكلاب، وإذا كلس وألقى عليه زاج منقى عقد الزئبق ولم يفر من النار.

(حجر ياقوت) حجر صلب شديد اليبس رزين شفاف صاف مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق، وأصل كلها ماء صاف وقف فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل أنضجته حرارة المعدن بطول وقوفه فصير صلبا لا تذوبه النار لقلة دهنيته ولا يفتت لغلظ رطوبته بل يزداد لونه حسنا ولا تعمل فيه المبارد لصلابته، ومعدنه بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز. قال أرسطو: الياقوت فى الأصل ثلاثة أصناف: مختارها الأحمر والأصفر والأخضر، أما الأحمر فأكثر وله على النار صبر، وأما الأصفر فإنه أصبر على النار من الأحمر، وأما الأخضر فلا صبر له على النار ألبتة وأما ماعدا هذه الأصناف فليست فى الشرف والخاصية كهذه الألوان، فمن تختم أو تقلد بشىء من هذه الأصناف الثلاثة التى وصفناها لا يعلق ببدنه الطاعون وإن عم أهل البلد ونبل فى أعين الناس وسهل عليه أمور المعاش. وقال غيره: إنه يمنع الماء من الجمود، والله الموفق.

(حجر يشب) أبيض مشهور يقال له حجر الغلبة، من استصحبه لا يغلبه فى الحرب أحد ولا يحجه أحد، ولهذا يجعله الملوك فى مناطقهم المرصعة، وإذا وضعه العطشان فى فمه سكن عطشه.

(حجر يقظان) قال أرسطو: هو مجرب إذا علق على إنسان لم ينس شيئا، والفلاسفة قدر مزوه وستروه عن العامة. قالوا: إنه يتحرك ولا يسكن حتى يلمسه إنسان، وهو يصلح لخفقان القلب والفؤاد والأرتعاش واسترخاء الأعصاب.

(القسم الثالث: فى الأجسام الدهنية): زعموا أن الرطوبات المختفية تحت الأرض تسخن فى الشتاء وتبرد فى الصيف، لأن الحرارة والبرودة ضدان فلا يجتمعان فى مكان واحد، فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض فمنها مواضع دهنية فاكتسبت الرطوبات المنصبة إلى تلك المواضع بواسطة الحرارة منها دهنية، فإذا أصابها نسيم الهواء

أو برودة الجو غلظت فربما انعقدت وربما بقيت على ميعانها فتصير كبريتا أو زئبقا أو قيرا أو نفطا أو ما شابه ذلك وذلك بحسب اختلاف البقاع وتغيرات الأهوية بحرارة المعدن ونضجه إياها وتصفيتها مرة بعد أخرى ، فإذا اختلط الكبريت والزئبق مرة أخرى وتمازجا والتأثير بحاله تركب من امتزاجهما الجواهر المعدنية بأنواعها كما ذكرناه قبل فلا نعيده ونذكر تولد كل واحد منها مع بعض خواصها ، والله الموفق .

(أما الزئبق) فإنه يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية اختلاطا شديداً لا يتميز أحدهما عن الآخر وعليه غشاء ترابى ، فإذا اتصلت إحدى القطعتين بالأخرى انفتح الغشاء وصارت القطعتان واحدة والغشاء محيط بهما ، وأما بياضه فسبب صفاء ذلك الماء وهو التراب الكبريتى الذى ذكرناه . قال أرسطو : الزئبق فضة إلا أنه دخل عليه آفة فى معدنه كما ذكرنا آفات الرصاص أنها آفات الزئبق أيضا . ومن طلى بدنه بالزئبق قتل عنه القمل والصئبان والقراد ، وتراب الزئبق يقتل الفار إذا جعل فى طعام أو نحوه ، ومن دنا من الزئبق إذا مسته النار أفلجه ، ودخانه يحدث أسقاما رديئة مثل الرعدة والفالج وذهاب السمع وصفرة اللون والرعشة فى الأعضاء والبخر فى الفم ويبس الدماغ ، ومن دخانه تهرب الحيات والهوام جميعا ، ومن أقام عنده مات ، وإن طرح من الزئبق فى تنور الخباز سقط جميع خبزه فى النار ، والمسافر يتقلد بقلادة من صوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد فى ثوبه قمل أصلا .

(وأما الكبريت) فإنه يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية إذا اشتد اختلاط بعضها بالبعض بسبب حرارة قوية ونضج تام حتى يصير مثل الدهن ثم ينعقد بسبب برودة ضربته . قال أرسطو : الكبريت أصناف منه الأحمر الجيد اللون ومنه الأبيض الذى هو كالغبار ومنه الأصفر ، أما الأحمر فمعدنه بالمغرب لأناس فى موضع بقرب بحر أوقيانوس على فرسخ منه ، وهو نافع من الصرع والسكتة والشقيقة ويدخل فى أعمال الذهب ، وأما الأبيض فيسود الأجسام البيض وذلك فى العيون التى يجرى منها الماء جريا مشوبا به ويوجد لتلك المياه رائحة منتنة ، فمن انغمس فى هذه العيون فى أيام معتدلة الهواء أبرأه من الجراحات والأورام والجرب ورياح الأورام والسلع التى تكون من المرة السوداء . وقال ابن سينا : إن الكبريت من أدوية البرص مالم تمسه النار ، وإذا خلط بصمغ القرطم قلع الآثار التى تكون على الأظفار وبالخل على البهق ، ويجلو القوبى خصوصا مع علك ، وهو طلاء للنقرس مع النطرون والماء ويحبس الزكام بخورا . وقال غيره : إذا سحق الكبريت الأصفر ونثر على موضع اللسعة نفعه ، وهو يبيض الشعر بخورا ، وتهرب من رائحته البراغيث وكذلك الحيات سيما مع دهن أو حافر حمار ، وإذا دخن به تحت شجرة الأترج نزل الأترج كله .

(وأما القير) فمنه ما ينبع فى بعض الجبال ومنه ما ينبع مع الماء فى بعض منابع المياه فيفور مع الماء الجارى من العين، فمادام مع الماء يكون لينا فإذا فارق الماء برد وجف فيغرف من الماء بالقفف ويطرح على الأرض ، ثم يجعل فى القدر ويوقد تحته وينخل له الرمل ويطرح عليه مقدار معلوم ليختلط به ويحرك تحريكا متداركا فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض فيجمد ، وتقير به السفن والحمامات . قال ابن سينا : إنه يذوب الدم الجامد فى البطن إذا شرب ، وينضج الخنازير ، ويطلى به القوبى ، وهو ضماد للنقرس ، ويطلى به عرق النسا ، وينفع من السعال والخناق .

(وأما النفط) فيطفو الماء فى منابع المياه، منه أسود ومنه أبيض وقد يصاعد الأسود بالقرع والأنبق فيصير أبيض ، ينفع من أوجاع المفاصل واللقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها ، وإذا شرب منه نصف مثقال نفع من المغص والرياح ويخرج الأجنة الموتى والمشيمة المحتبسة ويقتل الدود وحب القرع وينفع للملسوع طلاء ، وربما يتوقد من غير نار بل بتحريكه .

(وأما المومياين) فإنه شبيه بالقير لكنه كثير المنافع ومعدنه بالموصل وبأرجان من أرض فارس ، ينفع من الخلع والكسر والضربة والسقطة والفالج واللقوة شربا وتمريخا ، ومن الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار سعوطا بماء المرزنجوش، ومن الخناق والخفقان .

(وأما العنبر) فقد اختلف الناس فى معدنه فمنهم من زعم أنه من عين فى البحر كالقير ، ومنهم من زعم أنه طل يقع على بعض الأشجار فى البحر ثم يترشح من خلالها وينعقد هناك وإنها فى بقاع مخصوصة فى زمان معلوم، كما أن الترنجبين طل يقع على نوع من الشوك بخراسان فى وقت معلوم ، ومنهم من قال إنه روث حيوان مائى . ولا خلاف فى أن تولده فى البحر والبحر يقذفه إلى الساحل . وذكروا أن بحر الزنج يقذف فى بعض الأوقات قطعة عظيمة تشبه تلا وأكثر ما يرى على قدر الجماجم أكثرها ألف مثقال ، وكثيرا ما يوجد فى جوف السمك البحرى والذى يأكله يموت ويكون فى هذا الصنف سهوكة لا رائحة له ، ومن خاصيته تقوية الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة وهو يزيد فى جوهر الروح وينفع المشايخ جدا بلطف تسخينه والشربة منه دانق ومافوقه مضر ، وليكن هذا آخر الكلام فى المعدنيات ، والله الموفق للصواب .

(النظر الثانى فى النبات)

النبات متوسط بين المعادن والحيوان بمعنى خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التى للمعادن ، وغير واصل إلى كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان فى بعض الأمور ، لأن البارى تعالى يخلق لكل شىء من الآلات ما يحتاج إليها

فى بقاء ذاته ونوعه وما زاد على ذلك تكون ثقلا وكلا عليه لايخلفه ، ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان . ومن عجيب صنع الله تعالى أن الحب والنوى إذا حصلا فى تربة ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وحدث بقوة خلق الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء ، ثم إن تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها حتى يصير الحب بالغا ذا عروق وقضبان وأوراق وأزهار ، والحب والنوى شجراً عظيما ذا عرق وساق وأوراق وثمر ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه ، والنبات قسمان شجر ونجم ، والله تعالى الموفق للصواب :

(القسم الأول فى الشجر) وهو كل ما له ساق من النبات والأشجار العظام بمثابة الحيوانات العظام والنجوم بمثابة الحيوانات الصغار ، والأشجار العظام لا ثمر لها كما ترى فى الساج والدلب والعرعر لأن المادة كلها صرفت إلى نفس الشجر ، ولا كذلك الأشجار المثمرة فإن مادتها صرفت إلى الشجرة والثمرة ويشبه حالها حال الذكور والإناث من الحيوان فإن الذكر أعظم بدنا من الإناث لأن بعض مواد الإناث تصرف الأجنة . ومن عجيب صنع البارى خلق الأوراق على الأشجار زينة لها ووقاية لثمرها من نكاية الشمس والهواء ، ثم إنه تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لا متكاثفة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس أخرى ، فلو تكاثفت عليها حتى منعتها إصابة النسيم وشعاع الشمس لبقيت على فجاجتها غليظة الجلد قليلة المائية ، وإذا سقط منها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى فى الرمانة التى احترق منها إحدى الجوانب ، ثم إذا فرغت الثمرة تناثرت الأوراق حتى لا تجذب مائية الشجر فتضعف قوتها كما ترى فى الحيوان الأم تضعف من إرضاع أولادها ، وأعجب ما فيها ما ذكره الله تعالى — يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل — ولنذكر بعض مايتعلق بواحد واحد من الأشجار مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى .

(أبنوس) شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر وخشبه صلب جدا لايقف على الماء بل يرسب وهو أشبه خشب بالحجر . قال الشيخ الرئيس : إذا وضعته على الجمر فاحت منه رائحة طيبة ، ويجلو الغشاوة والبياض إذا حل بماء واكتحل به ، وإذا أحرقت نشارته على طابق ثم غسلت واكتحل به ينفع من الرمد اليابس وجرب العين . وقال غيره : ينفع من حرق النار ويحل نفخ البطن ، والله الموفق .

(آس) شجرة معروفة . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرس الآس فاجعل فى حفرتها شيئا من الرمل وازرع الشعير يقوى أصل الآس . قال الشيخ الرئيس : ورق الآس يطيب رائحة البدن بدل التوتيا ، ويقوى أصل الشعر ويطيله ويسوده ويمنع تساقطه ، ورماد

الآس يقوم مقام التوتيا فى دفع الرائحة الكريهة وينفى الكلف ويجلو البهق، وينفع من عضة الرتيلا ، وبزر الآس يتمضمض به يقتل الدود المتولد فى الأسنان .

(أترج) من الأشجار التى لاتنبت إلا ببلاد الحر . قال صاحب الفلاحة : إذا جعل رماد ورق اليقطين تحت شجرة الأترج يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شىء أصلا وورقه يمضغ يطيب نكهة الفم ويقطع رائحة الثوم والبصل . قيل إن بعض الملوك حبس جمعا من الحكماء وأمر أن لايدخل عليهم إلا خبز مع إدام واحد، فاختاروا الأترج فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا : إن قشره الظاهر مشموم وشحمه فاكهة وحماضه أدام وبزره دهن . قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يبقى الأترج على الشجرة طول سنتها فليطلها بالجص ومن دفنها فى شعير تبقى زماما طويلا ، قشره يطيب نكهة الفم إمساكا ينفع من الفالج وعصارة قشرة تنفع من لسع الأفاعى شربا ورماد قشره جيد للبرص والقوبا طلاء . قال الشيخ الرئيس : يجعل قشر الأترج فى الثياب يدفع عنها السوس ، ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء ، وشحمه يورث القولنج ، وحماضه يجلو العين ويذهب الكلف ويسكن غلمة النساء ، وحبه يسحق ويوضع على لسع العقرب يسكن وجعه ، وينفع السليم شربا فى الجلاب وضمادا، ويشد فى صرة على عضد المرأة فإنها لاتحبل ، وعصارة حماضه تبيض الخبز وتزيل الكتابة بالحبر .

(إجاص) قال صاحب الفلاحة : إذا سقيت شجرة الإجاص بدردى الأجاص طيب طعم ثمرتها فوق ماكانت ، وإذا طليت شجرة الإجاص الحلو بمرارة البقر لايتولد الدود فى ثمرتها ، وورقها يطبخ بسذاب ويتمضمض به يمنع سيلان الدم من اللثة ، ثمرتها تسكن العطش وحرارة القلب ، وإذا أردت أن تبقى الإجاص مدة طويلة فاجعله فى ظرف وصب عليه من العصير مايغمره ثم طين رأسه فإنه يبقى الإجاص مدة طويلة والله الموفق .

(ازدرخت (١)) شجرة كبيرة معروفة تسمى بطبرستان ضاحك لها ثمر يشبه النبق ، ورقها يقتل البهائم وعصارة ورقها تقتل القمل وتطيل الشعر عن الشيخ الرئيس ، وقال غيره عصارته تنفع من السم إذا شربت بالعسل وتنفع من القولنج . قال ابن سينا : وثمرتها ربما قتلت وأحدثت كربا عظيما إذا أكلت ، والله الموفق .

(أم غيلان) شجرة من عضاه البادية كثيرة الشوك . قال ابن سينا : أصله يسحق بنك إذا بخر به طيب رائحة البدن وقطع رائحة الثوم .

(بان) شجرة معروفة حبها أكبر من الحمص مائل إلى البياض طيب الرائحة وله لب دهنى قال ابن سينا : إنه ينفع من البرص والكلف والبهق وآثار القراح وينفع من التآليل فى

(١) تسمى عند العوام فى مصر : زنزلخت .

فى المراهم ، وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة ، وقال غيره : ينفع من الجرب. وينفع فى الرعاف .

(بطم) شجر جبلية معروفة ثمرتها الحبة الخضراء . قال ابن سينا : يجلو الجرب والقوبا وقال غيره : ينفع من الباه سيما رطبها ، ودهنها ينفع من الفالج واللقوة ويذهب شهوة الطعام وصمغها وثمرتها ينفعان بالشرب لنهش الرتيلا .

(بلسان) شجرة توجد بمصر دون غيرها من البلاد ولا فى غير ذلك الموضع بمصر أيضا وهو موضع يعرف بعين الشمس ، وهى شبيهة الرائحة والورق بالسذاب لكنها تضرب إلى البياض. قال ابن سينا : حبها وعودها ينفعان من وجع الرئة والجنبين وعرق النساوالصرع والدوران وينشفان رطوبة الأرحام بخورا ، وينفعان من العقم ويقاومان السموم ونهش الأفاعى. دهنها يؤخذ عند طلوع الشعرى بأن يشرط بالحديدة ويجمع ما يتبدى بقطنة ولا يجاوز الستة أرطال ثم يدفع إلى رجل نصرانى يعرف طبخها ولا يعلم أحداً إلا ولده وهو أعز دهن الدنيا . قال ابن سينا : يجلو الغشاوة ويخرج الجنين والمشيمة وينفع من عسر البول ويذهب بالنافض وينفع من سموم الهوام خاصة العقرب . ذكروا أن الخاصية للبئر التى يسقى منها تلك الأشجار أنه اغتسل فيها عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأما الأشجار فنقلت إلى غير ذلك الموضع وسقيت من غير ذلك الماء فما أفادت شيئا ثم سقيت بها فزكت ، والله الموفق .

(بلوط) من أشجار الجبال . قالوا : إنها تثمر سنة بلوطا وتثمر أخرى عفصا . قلت : إن صح هذا فإنها شبيهة بالأرنب والضبع والحدأة فى الحيوان فإنها تكون سنة ذكرا وسنة أنثى والله أعلم بصحة ذلك ، ورقها إن ألقى على حية لم تستطع أن تسعى . قال ابن سينا : ينفع من سم السهام وسموم الهوام ونزف الدم : وقال غيره ، إذا انثر رماد البلوط عند أحجرة الجرذان أصابها الجرب ويقتل بعضها بعضا .

(تفاح) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرس تفاح فازرع حواليها العنصل فإن الدود لايقع فى ثمرتها ، وإذا غرست تحتها الورد الأحمر يحمر ثمرتها . قال ابن سينا : عصارة ورق التفاح نافعة من السموم وزهرة شجرة التفاح تقوى الدماغ تقوية عجيبة. قال ابن سينا : إدمان أكل التفاح يورث أوجاع الأعصاب ، وخصوصا الربيعى وهو نافع من السموم . وقال غيره : تطلى رجل المنقرس بعصارته يسكن ألمها وأكله وشمه يقوى القلب ، والفج منها نافع من سم العقرب ومن كل سم حار ، وإذا أردت أن تبقى التفاح زمانا طويلا لففتها فى ورق التين أو ورق الجوز وتركتها تحت الأرض أو وسط الطين تبقى مدة طويلة ، والله أعلم.

(تنوب) شجرة عظيمة جدا منابتها جبال ذروة الروم يوجد منها أجود القطران . قال ابن سينا : ورقها يوضع على الجراحات الطرية يمنع فسادها ، وخشبها بالخل نافع لوجع

الأسنان ، ويقال لحبه قضيم قريش وهو يعين على التعب من الصداع ، وصمغه عظيم النفع للسعال المزمن ، والزفت البرى سيال شجرته يقلع بياض الأظفار وينفع من شقاق القدم طلاء وينبت الشعر فى داء الثعلب ضمادا ، ودخان الزفت يحبس أهداب العين وينبت الأشفار ويقوى البصر كل ذلك عن ابن سينا ، والله الموفق .

(توت) شجرة من أعز الشجر لأن دود القز لا يأكل إلا من شجره وورقه . قال صاحب الفلاحة : إذا زرعت تحت شجرة التوت العنصل يقوى ويكثر نماؤه ، وقال ابن سينا : يطبخ ورق التوت الحلو وورق الكرم وورق التين الأسود بماء المطر لتسويد الشعر ، وقال غيره : ورق التوت الحامض ينفع لوجع السن والتوت الأسود يوضع على لسع العقرب يسكن وجعه فى الحال ، وقشر التوت يؤكل مع الترنجبين ينقى البطن والبدن عن حب القرع .

(تين) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت غرسه فاجعله فى ماء الملح يوما ثم اجعله تحت خثى البقر ثم اغرسه فإن طعم ثمرته يطيب جدا ، وإذا سقيتها بماء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شىء ، وإذا غسلت ورق التين بالماء الحار هلك جميعا . قال ابن سينا : خشبها ينفع من لسع الرتيلا سقيا ومسحا ودخانا ، وخشبها إذا أصاب الأدرة لا يملك صاحبها نفسه من وجع المثانة والخصية ولبن عيدانها إن قطر على موضع اللسعة لم يسر سمها فى الجسد ، وقضبانها تهرى اللحم إذا طبخ معها ، وعصارتها قبل أن تورق تنفع إذا جعلت على السن المتآكلة . قال صاحب الفلاحة : إذا نثرت رماد خشب التين فى البساتين هلك ديدانها . قال ابن سينا : يجعل ورق شجر التين طريا مع الفجج من ثمرتها على عضة الكلب فإنه ينفع ، وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هذه الثمرة أقسم الله تعالى بها لأنها تشبه ثمار الجنة لكونها على قدر اللقمة وخلوها عن العجم والنوى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر عنده التين « لو قلت ثمرة أنزلت من الجنة لقلت هذه كلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » قال ابن سينا : الفجج منه يضمد به الخيلان والثآليل والبهق يقلعها ، والمداومة على أكله تصلح اللون الفاسد ، وهو يسمن سمنا سريع التحلل ويعمل جدا ، وينفع أكله رطبا ويابسا من الصرع ، ويطلى بلبنه الدماميل ينضجها ويقطر على الثآليل يقلعها وعلى الجراحة التى عليها لحم فاسد ينقيها ، ولبن التين مع العسل ينفع من الغشاوة ويقطع شهوة الطعام وينفع من لدغ العقرب . قال محمد بن زكريا : دخان التين يهرب منه البق والجرجس .

(جميز) شجرة عظيمة شبه شجرة التين وورقها كورق التوت ، تثمر فى السنة ثلاث مرات أو أربع ، ولا يخرج ثمرها من فروع الأغصان كسائر الأشجار بل يخرج من ساقها وورقها يقلع آثار الوشم إذا طلى بعصارته مرارا وتضمد به الخنازير يحللها ، وثمرتها تلصق الجراحات وتحلل الأورام وتنفع من النهوش أكلا وطلاء .

(جوز) من الأشجار التى لاتنبت إلا بالبلاد الباردة . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يفتت قشر الجوز باليد فخذ جوزة واتركها فى بول صبى غير مدرك خمسة أيام ثم ازرعها وانثر عليها الرماد ، وإن شئت خذ جوزة وقشرها بحيث لايصيب اللب خدش ثم ضعها فى كاغد أو خرقة أو ورق من كرم أو دلب ثم ازرعها وانثر عليها الرماد فإنها تثمر جوزا قشرها كالكاغد ، و ال : إذا وصلت الجوز بشىء من الأشجار لايعلق إلا بالفستق فإنها تعلق بها وتكون لها ثمرة عجيبة ، وقال ابن سينا : الجوز الرطب ضماد لآثار الضربة يزيلها ولبه مصدع يثقل اللسان والإكثار منه يسهل الديدان وحب القرع ، وإذا فتتت الجوزة وألقيتها فى القدر التى ينبت منها الدخان التقطت التين منها ، ولو ألقيت تلك الجوزة فى الزيت لم يتغير ولو بقى سنة ، وإذا أحرق قشرها يجفف القروح تجفيفا جدا لالذع فيه ، والجوز المحرق بقشره يسوّد الشعر .

(خسرودار) شجرة عظيمة جدا خشبها خولنجان . قال ابن سينا : ينفع من القولنج ويريد فى الباه ويطيب النكهة .

(خروع) إذا جف حبه فى أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن فربما وقعت على أكثر من قاب رمح ، حبها ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر مايؤكل منه عشر حبات مقشورة . وذكر بلياس فى كتاب الخواص : أن دهن الخروع إذا مسحت به رأس الديك لايصيح ألبتة .

(خلاف) شجرة الصفصاف خشبها خفيف جدا يتخذ منه الصوائح ، ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل فى فراش من ضربه السموم ينفعه . قال ابن سينا : إذا ضمد به رطبا منع نزف الدم ، ورماد ورقه مع الخل يقلع الثآليل والنملة ، وفقاحها طيب الرائحة جدا ويقوى الدماغ وماؤه يسكن الصداع .

(خوخ) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواة التى تنشق بنفسها واجعل فى شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم واترك لحمها عليها فإنها تثمر خوخا شديد الحمرة ، وإذا نقشت فى باطن النواة نقشا بالسكين أو كتابة يكون ذلك فى جميع أفراد ثمرتها ، وإذا أخذت النوى وأخرجت مافى جوفه من الأصل الذى يشرب به بحيث لاينفسد شىء من عيونه وغرسته فإذا أدرك لايكون لثمرة تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم ، وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن .

(دار سيشعان) شجرة كبيرة ذات شوك كثير . قال : إذا رميت فى الماء الذى فيه التمساح تجتمع عليها التماسيح . قال ابن سينا : هو جيد لنتن الأنف . إذا اتخذ فتيلة وتمضمض بطبيخه جفظ الأسنان ، وإذا احتمل يخرج الجنين .

(دردار) شجرة البق وهى شجرة كبيرة عالية يخرج منها أقماع منتفخة كالرمانات ثم يتفقأ فيخرج من كل واحدة من البق ماشاء الله ، ولقد كسرت قمعا من أقماعه على الشجرة فكان مجوفا فإذا شحم وعلى شحمها شبه بزر الرمان ما لايعد ولا يحصى ، فمنها ماخلق الله تعالى فيه الروح يتحرك ومنها مالم يخلق بعد ، ومنها مانبت له جناحان ، ورقها يؤكل كالبقول ، وطريها يلصق الجراحات ويقوى العظام الواهية المكسورة فيصلحها إذا ضمدت به . قال ابن سينا : ورقها يطلى به العظام المكسورة يصلحها ، وأقماعها تجلو الوجه طلاء ، وقشرها رطبا بالخل يجلو البرص ويصلح الجراحات .

(دلب) من أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاها فإذا طالت مدتها تفتت جوفها ويبقى ساقها مجوفا ، ورقها تهرب منه الخنافس وبعض الطيور يجعلها فى أوكارها لدفع الخنافس فلعلها تهرب منه ، فإذا غسل وطبخ وضمد به حبس الوازل عن العين ، وقشرها مطبوخا بالخل ينفع من حرق النار ووجع الأسنان وثمرتها يقال لها حوز السر ، ومع الشحم ضمادا جيد لنهش الهوام والله الموفق للصواب .

(دهمشت) هو شجر القار شجر حار ، ورقه كورق الآس إلا أنه أكبر فى ثمرته حمرة وينبت فى مواضع جبلية ولها حب على شكل البندق الصغار عليها قشور سود . قال صاحب الفلاحة : إذا طرحت فى الأرض غصنا من أغصان دهمشت أصابته كل آفة تتوجه نحو تلك الأرض ويسلم ماسواه من الآفات ، وورقه ينفع من الفالج واللقوة والقولنج ، وإذا نثر ورقه على الشعير وخلطته به يبقى زمانا طويلا لايفسد ، وإذا طحن ومرخ به البدن لايقربه الذباب ، الطرى منه ضمادا جيد للسع النحل والزنابير وهو ترياق للسموم كلها ، دهنه يحلل الصداع والطنين .

(رمان) من الأشجار التى لاتقوى إلا فى البلاد الحارة . قال صاحب الفلاحة : إذا غرست حول الرمان الآس يكثر ثمرتها ، وإذا دفنت نوى التمر مع الملح تحت شجر الرمان يفسد ، وإذا أردت أن لايكون فى الرمان عجم شق عن أسافل قضبانه عند الغرس ونق أجوافها عن مخها واضمم بعضها إلى بعض واربطها بشىء من الحشيش واغرسها فإنها إذا نبتت لايكون فيها شىء من العجم ، وإن أردت أن يحمر لونها فاخلط رماد الحمام بالماء وصبه فى أصل شجرتها فإنه تشتد حمرة حبها ، وإن أردت أن يحلو الرمان الحامض فنح التراب عن أصل شجرتها واطل عروقها بجعور الخنازير وانضحها بأبوال الناس ثم أعد التراب عليها كما كانت . وقال أيضا : تأخذ الرمانة من شجرة وتعد حبتها فتكون جميع حبات رمان تلك الشجرة بذلك العدد . وقال : كذلك تعد شرفات قمع الرمانة فإن كان زوجا فعدد حباتها فرد ، خشبها يهرب منه أكثر الحشرات ولذلك يأخذه بعض الطيور ويتركه فى عشه حتى

لايقرب عشه الهوام . وقال ابن سينا : قضبان الرمان عجيبة لطرد الهوام وكذلك دخان خشبه. وقال محمد بن زكريا : دخان خشب الرمان يطرد الحيات وأكثر الهوام . وقال غيره : من ضرب بخشب الرمان وأصابه من الضرب جراحة لايصح إلا إذا وضع عليه لحم الفرس الأشهب ، زهرها يقال له الجلنار قد يكون أحمر وقد يكون أبيض .

قال ابن سينا : إنه جيد للثة الدامية ويقوى الأسنان المتحركة ومانع لنفث الدم ثمرتها عن ابن عباس رضى الله عنهما : مانفجت رمانة قط إلا بقطرة من ماء الجنة ، وعن على رضى الله تعالى عنه إذا أكلتم الرمانة فكلوها بشحمها فإنه دباغ للمعدة ، وما من حبة منها تقوم فى جوف رجل إلا أنارت قلبه وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يوما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يبقى الرمان غضا طريا فيلقطفه بيده من شجره من غير أن يصيبه جراحة ويغمس طرفه فى زيت مسخن ويعلقه فى بيت بارد فإنه يبقى زمانا طويلا غضا طريا ، ولو تركها على شجرتها ولف عليها شيئا من الأوراق ثم حصنها بحيث لايدخلها الهوام يبقى زمانا طويلا ، قشرها يهرب منه الهوام كما يهرب من خشبها ولا يترك قشر الرمان فى سائر الفلاة لئلا يتولد الحيوان فى الطعام .

(زيتون) شجرة مباركة كثيرة النفع أقسم الله تعالى بها فى القرآن العزيز لعموم نفعها ، وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن آدم عليه الصلاة والسلام وجد ضربانا فى جسمه فاشتكى إلى الله تعالى فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بشجرة الزيتون وأمره أن يغرسها ويأخذ ثمرتها فيعصرها ، وقال له : إن فى دهنها شفاء من كل داء إلا السام » . ومن عجيب خواص هذه الشجرة أنها تصبر عن الماء طويلا ولا دخان لخشبها ولا لدهنها . قال صاحب الفلاحة : ينبغى أن يكثر تحت شجرة الزيتون من المدرفان الغبار إذا سطع على الزيتون زاده دسما ونضجا ، وإذا أخذت أو تادا من شجر البلوط ودققتها فى الأرض حول شجرة الزيتون فإنها تقوى ويكثر ثمرها ، قال بلیناس : إذا علق شىء من عروق شجر الزيتون على من لسعته العقرب برأ من وقته ، وورقها الأخضر إذا طبخته بالماء ورششت به البيت هرب منه الذباب ، ورماد ورق الزيتون يقوم مقام التوتيا ، وإذا طبخ ورق الزيتون بالخل نفع من وجع الأسنان ، وإذا طبخ بماء العسل حتى يصير كالعسل وجعل على الأسنان المتآكلة قلعها ، صمغها ينفع من البواسير إذا نقع فى الماء وبل به الخبز وترك للفأرة فإذا أكلته ماتت ، وصمغ الزيتون البرى ينفع من الجرب والقوباء ولوجع الأسنان المتآكلة إذا خشيت به وهو يعد من الأدوية القتالة كل ذلك عن ابن سينا . ثمرتها ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويذهب بالإعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذيب الهم » وزيت الزيتون البرى ينفع من الصداع واللثة

الدامية تمضمضابه ويشد الأسنان المتحركة، نواها يبخر به لوجع الضرس وأمراض الرئة .

(سرو) شجر حسن الهيئة قويم الساق يضرب به المثل فى استقامته وقده وهو فى الصيف والشتاء أخضر ، يدخن بأغصانه يطرد البق ويؤخذ من نشارته بنادق أو تطرح فى الطحين الدرماك يبقى زمانا طويلا لا يفسد ، ورقه يشرب من السذاب ينفع من عسر البول وإذا دق ورقه رطباوجعل على جراحة ألحمها، ورمادها ينفع من حرق النار ذرورا وكذلك سائر القروح الرطبة ، وجوزه يطرد البق إذا دخن به، وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان ، والله الموفق.

(سفرجل) رماد خشبها يفعل فعل التوتيا وورقها يفعل فعل خشبها. زهرها عجيب الأثر فى تقوية الدماغ والقلب ثمرتها كثيرة الفوائد. وروى يحيى بن طلحة بن عبد الله عن أبيه قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فألقاها إلىّ وقال: دونكها يا أبا محمد فإنها تجمد الفؤاد » أى تقويه . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كسر سفرجلة وناول منها جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه وقال له كل فإنه يصفى اللون ويحسن الولد » ومن عجيب شأن السفرجل أنه إن قطع بالسكين ذهبت مائيته ويبقى أيبس مايكون وإن كسر كان الأمر بخلاف ذلك. قال ابن سينا : السفرجل يسكن العطش ويقوى المعدة، وقال غيره: إذا داومت المرأة الحامل على أكل السفرجل سيما فى الشهر الثالث كان ولدها حسن الصورة، وإذا انعقد اللبن فى ثدى المرأة يطبخ السفرجل بالعسل ويوضع على ثديها يسكن ألمها ويزيل ورمها ، وإذا وضعت السفرجل فى موضع فيه العنب يفسد العنب . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يبقى السفرجل زمانا طويلا فضعه على نشارة الخشب أو التبن ولا تدع السفرجل فى بيت فيه شىء من الثمار فإنه يفسد كلها ويهلك ماسواه .

(سماق) شجرة جبلية. وقال ابن سينا : ثمرتها تقوى المعدة وتجلب الصفراء من الأجساد ويضمدبها الضربة فيمنع الورم والخضرة وينفع من الداحس ويحتقن به للبواسير ، صمغها إذا وضع على الأضراس يسكن وجعها .

(سندروس) شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن هو دهن الصوانى يدهن به الأخشاب ، وخاصية هذا الدهن حبس الدم والمصارعون يستعملونه فيخفوا ولا يبهروا ويقووا على الصراع ، صمغه يشبه بالكهربا فى جذب التبن إلا أنه أميل إلى الحمرة والكهربا أصفى لونا منه ، ودهن السندروس يخفف البواسير إذا دهن به ، ودخانه يمنع النوازل وينفع من البواسير ومنفعته فى تسكين وجع الأسنان كثيرة ويصلح للباه من الحقنان .

(شباب) شجرة يشبه ورقها السمك الصغار ويكون فى طول أصبع ثمرتها مثل البنادق الكبار فى كل ثمرة ثلاث حبات سود يقال لحبها ماهودانه ويقال لها أيضا حب الملوك .

قال ابن سينا : نافع إسهاله من أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا والاستسقاء ورقها يطبخ بالديك الهرم وينفع من القولنج كل ذلك عن ابن سينا .

(شاهبلوط) شجرة توجد بأرض الشام وبأرض إيران أيضا ثمرتها أعذب من البلوط وشكلها كنصف جوزة يقال طعمها كطعم البندق الرطب. قال ابن سينا : إنه جيد للسموم وينفع نزف الدم .

(صندل) شجرة هندية معروفة ، وهو نوعان أحمر وأبيض ، أما الأحمر فخشبها صلب يطلى به الحمرة وينفع من الصداع أيضا طلاء ، وأما الأبيض فخشبها رخو ورائحتها طيبة . قال ابن سينا : ينفع من الصداع والخفقان العارض فى الحميات شربا وطلاء .

(صنوبر) شجرة مشهورة أكثرها بأرض الروم خشبها دهن جيد حتى يشتعل رطبها كالشمع والقطران يؤخذ منه وذلك بأن يقشر ثم يعرض على النار فيسيل منه نداوة وهى القطران . قال ابن سينا : التبخر بخشب الصنوبر وافتراش رماده يطرد الهوام خصوصا مع القنة ، وإذا جعل حول المجلس مندل من رماد خشب الصنوبر تؤمن غائلة الهوام ، ويبخر بنشارته لطرد الهوام والبق والبعوض ، ولو أضفت إليه الفلفديس والشونيز كان أجود ، بخارها نافع لحرق الماء الحار ، ولحاؤها بالخل يتمضمض به لوجع الأسنان ، وورقها يلصق الجراحات ، وجوزها ضماد للفتق وحبها هو الجوز ينفع من الأوجاع العصبية والاسترخاء ويهيج الباه ، وينفع من لدغ العقرب خصوصا مع التين والجوز والتمر ، وينفع من السعال المزمن العتيق ، وهذا عجيب جدا لأن فيه حرافة وحدة لكن هذا كله ذكره ابن سينا .

(ضرو) شجرة عظيمة كشجرة البلوط تنبت بجبال اليمن تثمر عناقيد كعناقيد البطم ورقها يضرب إلى الحمرة يطبخ حتى ينضج ويصفى ويرد على النار ويرفع فيكون دواء عجيبا من السعال وأوجاع الفم وخشونة الصدر يزيلها عن المكان ، وصمغها يجلب إلى مكة وهو كاللاذن فى القوة طيب الرائحة يدخل فى الطيب للنساء .

(طرفا) شجرة مشهورة قطبانها تنقع فى الخل تكون نافعة لوجع الطحال . قال ابن سينا : يطبخ ورقها بالسذاب يكون نافعا لوجع الأسنان مضمضة ويستعمل نطولا على القمل فيقتله ، وقال غيره : ورقها ضماد للأورام الرخوة ، ودخانه يجفف القروح الرطبة والجدرى ، ورماده يذر على حرق النار والقروح الرطبة ، وثمرتها تنفع من أمراض العين ونهش الرتيلا ، والله الموفق .

(عرعر) شجرة كبيرة يشبه ورقها ورق السرو وقالوا هو السرو الجبلى . قال ابن سينا : التدخين بأى شىء كان من أجزائه يطرد الهوام ثمرته تشبه الزعرور إلا أنه شديد السواد حاد الرائحة طيبها يقال له الأبهل ، وإذا أغلى بالشيرج فى مغرفة من حديد حتى يسود الجوز

وقطر فى الأذن نفع من الصمم جدا ، وإذا شرب الأبهل أسقط الجنين ، وإذا تدخن به أو احتمل يفعل ذلك أيضا .

(عشر) شجرة غريبة كانت العرب فى الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يسافر عن حليلته عمد إلى هذه الشجرة وشد غصنا منها إلى الآخر وتركهما ، فإذا عاد من سفره ذهب إليهما فإن وجدهما بحالهما مشدودين استدل بهما على أن حليلته ماخانته فى غيبته ، وإن وجدهما محلولين استدل بهما على خيانتها قالوا : إنها سم قاتل وإن منها نوعا يقتل بالجاوس فى ظله ، خشبها ينفع من القوبا والسعفة .

(عفص) شجرة جبلية . قالوا : إن شجرة البلوط تثمر سنة بلوطا وسنة عفصا ، ونقل الجاحظ عن الفضل بن إسحاق أنه قال : رأيت العفص والباوط على غصن واحد ، فإن كان صحيحا فإنها فى الأشجار كالأرانب فى الحيوان فإن الأرنب سنة ذكرا وسنة أنثى والتى عليها البلوط والعفص كالخنثى . قال ابن سينا : ثمرتها يطلى بها القوباء يزيلها ويمنع الرطوبات الزائدة الفاسدة عن اللثة وتنفع من تأكل الأسنان ، وقال غيره : ينثر على القروح الرطبة ينفعها وماؤها يسود الشعر .

(عناب) هى الشجرة المشهورة ورقها ينفع من وجع العين ضمادا إذا كان من الحرارة وثمرتها تسكن الدم وتنشفه فيما زعموا حتى إن مسها أيضا يفعل ذلك ، إذا أرادوا حملها من بلد إلى بلد كل يوم تحمل على دابة أخرى لئلا ينشف دمها . قال جالينوس : إنه لاينشف الدم لكنه يغلظه وهو طلاء جيد لتصفية اللون .

(غبيرا) شجرة مشهورة أصبر خشب يكون على الماء يبقى فى الماء زمانا طويلا لايتعفن منه شىء ، زهرتها إذا شمت المرأة رائحتها هاجت بها شهوة الوقاع حتى ترمى الحيا والصيانة وراء ظهرها . قال ابن سينا : النقع من ثمرتها يبطىء السكر ويحبس القىء وينفع من إكثار البول .

(غرب) شجرة كبيرة . قال ابن سينا : خشبها يحرق ويعجن بالخل يجفف الثآليل ، شجرها يدخل فى خضاب الشعر يفيده فائدة جيدة ، وورقها يجعل على الجراحات الطرية مسحوقا ينفعها ، وقال غيره : ينفع شربا من تشبث العلق بالحلق ، وإذا شرب زهرها ينفع من ظلمة العين ، وصمغها ينفع من ظلمة البصر أكلا .

(فاوانيا) هى شجرة عود الصليب منه رومى ومنه هندى . قال ابن سينا : خشبها يجلو الآثار السود من البشرة وينفع من النقرس والصرع تعلقا وقد جرب تعليقه فوجد مانعا من الصرع فحيث كانت إبانته يعود معها الصرع ، ثمرتها تنفع المجانين والمصروعين إذا دخن بها ، وتنفع الكابوس إذا شرب خمس عشر حبة منها بالشراب .

(فستق) هى شجرة مشهورة زعموا أن الفستق تركيب الحبة الخضراء على اللوز ، خشبها يشعل فى النار وإن كان نديا لفرط دهنيته بخلاف غيره من الأخشاب ، ثمرتها تنفع من نهش الهوام ، ويزيد فى الباه وينفع من السعال البلغمى ، ودهنها يزيل الزرقة من العين إذ داوم على اكتحاله كل ذلك عن ابن سينا .

(فلفل) شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار ، وهى شجرة عالية لا يزال الماء تحتها فإذا هبت الرياح تساقطت على وجه الماء فيجمع منه وكذلك فسخه ، وهى شجرة حرة لا ملك لأحد فيها وحملها عليها شتاء وصيفا ، وهو عناقيد فإذا حميت الشمس عليها انطبقت على كل عنقود منها أوراق حتى لا تحترق بالشمس فإذا زالت الشمس عنها زالت الأوراق عن العناقيد لتنال النسيم . وذكر من رآها أن شجرتها مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شمراخان منظومان بالفلفل وشمراخه فى طول الأصبع . قال جالينوس : أول ما تطلع ثمرتها تكون دار فلفل ثم ينفصل عن حب يكون هو الفاضل أما الدار فلفل فينفع من نهش الهوام أكلا وطلاء بالدهن ، ويزيد فى الباه وينفع من الغثى مع كبد المعز مشويا ، وأما الفلفل فقد قال ابن سينا : هو بالنطرون طلاء للبهق وبالزفت طلاء للخنازير يحللها ، وهو يخفف المنى وينبذه ويدر البول وينفع من ظلمة البصر ، وإن احتملته المرأة بعد الجماع منع الحبل .

(فندق) هى شجرة معروفة : ذكر أنه إذا خط بخشب الفندق دائرة حول العقرب لا يقدر على الخروج منها . قال بقراط : ثمرتها تزيد فى الدماغ . قال ابن سينا : زعم قوم أن الفندق يطلى به يافوخ الصبى الأزرق العين يذهب زرقته ، وقال : إنه ينفع من النهوش سيما مع السذاب والتين ، وقال غيره : من استصحب فندقة يأمن من لدغ العقرب ، ويشوى ويسحق ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر ، وإذا أكل مدقوقا محلولا بالعسل يذهب السعال العتيق ، والتنقل به يبطىء السكر والمداومة على أكله يشحذ الخاطر ، وقشره يحرق ويسحق ويجعل فى الزيت يزيل زرقة عيون الأطفال اكتحالا ويسوّدها .

(فليزهرج) هى شجرة الحضض لها ثمرة كالفلفل يتخذ منه الحضض ، قال ابن سينا : خشبها يقوى الشعر طلاء ، وتطبخ فروعها بالخل ويشرب للطحال ، ثمرتها تطبخ ويؤخذ منها الحضض ينفع من الكلف طلاء ويبرىء قروح اللثة وينفع من الرمد ويزيل غشاوة العين وينفع من جرب العين والبواسير ، والهندى يسقى لعضة الكلب الكلب كل ذلك عن الشيخ الرئيس .

(قرنفل) شجرة تنبت فى بعض جزائر الهند ثمرتها كالياسمين إلا أنها أشد سوادا ، وذكروا أن أهل تلك الجزيرة لا يخرجونها إلا مطبوخة لئلا تنبت فى غيرها من البلاد ، قال ابن سينا : ثمرتها تطيب النكهة وتحد البصر وتنفع من الغشاوة ، وقال غيره : ينفع من الغثيان

ورائحتها تقوى الدماغ البارد الذى غلبت عليه السوداء وتقوى القلب وتفرحه .

(قصب) معروف وأنواعه كثيرة ، وأنفعها قصب السكر وأحسنها ما يوجد بأرض مصر ، ينفع من السعال ووجع الصدر ويدر البول ويجلو الصدر من الرطوبات ، ومنها القصب البنطى . ومن عجيب خواصه ماذكر أنه إن ضربت حية بقصبته ضربة واحدة لم تستطع أن تريم أو تنقلب وتبقى فى مكانها حتى تتلف وإن ثنيت الضرب أو أكثرت ذهبت وسلمت ورقها وأصلها مع البصل يجلب السلى ويدر الطمث والبول ، وإذا دققت القصب الرطب وجعلته فى الطبيخ الذى أكثرت ملحه تزول ملوحته وأصل القصب فيه قوة جاذبة إذا دق وضمد به العضو الذى فيه الحديد جذبه ، ومنها قصب الذريرة يجلب من نهاوند . ذكر أن مالا يعبر على ثنية الركاب لا يفيد فائدة قصب الذريرة بل يكون كسائر القصب ، وما عبر به على ثنية الركاب وهى ثنية بنهاوند فهو مفيد . قال ابن سينا ، ينفع من كمودة الدم الميت ويجلو البصر ويبخر به فى الحلق ينفع السعال ، ومع العسل وبزر الكرفس ينفع من الاستسقاء ، ومنها قصب القنا ينبت بأرض الهند يتخذ منه الرماح . قالوا : إنها تحترق لاحتكاك أطرافها عند عصوف الرياح ورمادها الطباشير ، وهو ينفع للخفقان وأورام العين الحارة ، ويقوى القلب وينفع من الحميات .

(كافور) شجرة كبيرة هندية يألفها النسر تظل خلقا كثيرا لا يصل إليها الناس إلا فى وقت من السنة معلوم ، وهى سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافور ويسيل من أسفل الشجرة . قال محمد بن زكريا : الكافور صمغ هذه الشجرة إلا أنه فى داخلها يثقب أعلى الشجرة فيسيل منه الكافور عند الحرارة ويثقب أسفل من ذلك فيخرج منها قطع الكافور . قال ابن سينا : استعمال الكافور يسرع الشيب وينفع من الصداع الحار ويسهر ويقوى الحواس ويقطع الباه .

(كرم) أكثر الأشجار وجودا ونفعا . قال صاحب الفلاحة : من عجائبها أنك إذا أخذت وديها الذى فيه قوة الثمرة وغرستها يأتى فى السنة الأولى بالعناقيد الكبار ، وإذا أردت أن يكون الكرم كثيرا النفع قوى الأصل سريع الثمار فخذ غرسها من قضبان شجرة قريبة العهد واغرسه فى النصف الأول من الشهر ولطخ رأس القضيب بخثى البقر وبدد فى المغرس شيئا من البلوط والنانخواه ليقوى أصله وشيئا من الباقلا لينمو سريعا فإذا أتى بهذه الشرائط تكون شجرتها عجيبة جدا مخالفة لسائر الكروم ، وإذا أخذت وزنا من العنب الأسود وآخر من الأبيض وثالثا من الأحمر وشققها بحيث لا يقع منها قشرها وتلصق بعضها بالبعض وتغرسها تثمر العنب الأسود والأبيض والأحمر فترى هذه الألوان الثلاثة على شجرة واحدة ، وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر ما حول الكرمة واقلب فيها شيئا من

النفط الأسود فإن عنبها يسود ، وإذا أردت أن لا يقع فى الكرم دود فاقطع طاقاتها بمنجل ملطخ بدم الضفدع أو دم الذئب ، وإن أردت أن تسلم من البرد فدخن الكرم بالزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعا ثم انثر عليها ثمر الطرفاء فإنها تسلم من آفة البرد بإذن الله تعالى ، ودمعة الكرم التى تتقاطر من قضبانها بعد ما قطعت تجمع ويسقى منها الإنسان المشغوف بالخمر من غير أن يعلم بعد شرب الشراب فإنه يبغضها وإن كان لايصبر عنها ساعة واحدة . قال ابن سينا : دمعة الكرم جيدة للجرب والقوباء وورقها يمضغ يقوى اللثة المسترخية ويدق ناعما ويضمد به يسكن الصداع الحار . وقال ابن سينا : ورقها وخيوطها ضمادا للصداع الحار ، وأصناف ثمرتها كثيرة وأعجبها عيون البقر كل حبة كجوزة وأصابع العذارى ، فإن حباتها طوال كأصابع العذارى المخضوبة فربما يكون العنقود نحو الذراع والدوالى وهو عنب أسود غير حالك وعناقيده عظيمة كأنها رءوس معلقة وحبانه تنكسر بالفم . قال ابن سينا : العنب المقطوف فى الوقت يحرك البطن ، وقال غيره : يسمن ويقوى شهوة الجماع ويولد مادة المنى ، تبخيرها ينفع لنهش الهوام والأفاعى ، وهو مع الخل دواء جيد للبواسير والقوبة . وأما الخمر فقد ذكر سبب حدوثها أن جمشيد الملك فى بعض متصيدانه رأى فى كل شىء من الجبال كرمة عليها عناقيد عنب فتعجب منها وأمر بقطعها . وقال : إنا سمعنا أن الجبال ينبت فيها السموم فلعل هذه منها وأمر بحفظها حتى يجربها فيمن يستحق القتل ، فجعلوها فى رحلهم فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها فى ظرف حتى عاد الملك إلى مستقره فأمر بإحضار رجل يستحق القتل وأحضر العصير وقد احتدت وصارت خمرا فسقى الرجل منها قهرا فشربها بمشقة شديدة فما شكوا فى كونها سما فزادوا فى سقيه فنام الرجل نومة ثقيلة فلم يشكوا فى أنه يجود بنفسه ، فلما انتبه من نومه قال : اسقونى مرة أخرى فسقوه مرارا فما كان إلا الخير فشرب غيره وذكر ما فيه من اللذة والطرب وشرب الملك أيضا وأمر بغرس تلك الشجرة فى البلاد ليكثر ثمرها ففعلوا ذلك . وأما الخل فهو نعم الإدام كما قال صلى الله عليه وسلم ، ويصب على نزف الدم فيقطعه ، وينفع من الجرب والقوبى وحرق النار ، ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار ، والمضمضة به تنفع الأسنان المتحركة وتفتق الشهوة ويحلل الاستسقاء . وأما الزبيب «فإن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى إليه الزبيب فقال : بسم الله نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون» وقالت الأطباء : إنه يقوى المعدة ويحبس الطبع بالعجم وبغير العجم يطلق ، والله الموفق .

(كمثرى) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن تبقى الكمثرى زمانا طويلا فخذ ظرفا واجعل فيه شيئا من الملح وضع كل واحدة من الكمثرى فى الظرف على الشجرة فإنها تبقى

زمانا طويلا ولا يفسد زهرها له تأثير عجيب فى تقوية الدماغ . ثمرتها قال ابن سينا : تسكن الصفراء لكنه يحدث القولنج . قال صاحب الفلاحة : إذا طليت رأس كل كمثراة بشيء من الزفت وعلقتها فإنها تبقى زمانا طويلا ، وكذلك إذا جعلتها فى فخارة بعد ماطليت رأس كل واحدة بشيء من الزفت وجعلت رأسها نحو الأرض على مثال ماتكون على الشجرة .

(لاعية) تعدّ من السموم تنبت فى سفوح الجبال ورقها من اليتوعات ، إذا دق وشرب أسهل إسهالا شديدا نورها طيب الرائحة جداً يرعى النحل منها فعسلها يكون مضرا جدا ، وإذا ألقيت شيئا منها فى غدير يطفو سمكه على وجه الماء .

(لبان) شجرة ذات شوكة لاينمو أكثر من ذراعين ، وهى شجرة تنبت فى الجبال بشجر عمان ورقها كورق الآس صمغها هو الكندر يعقر مواضع منها بالفئوس فيسيل منها الكندر ، ويقال له أيضا اللبان من أدام مضغه ذكا قلبه وأعانه على حفظ الأشياء التى نسيها ، وهو يدمل الجراحات الطرية ويمنع الخبيثة من الانتشار ، ويجعل على القوباء بشحم البط يزيلها ، ويقوى الذهن ويقطع الرعاف .

(لوز) قال صاحب الفلاحة : يجعل اللوز فى العسل ثم يزرع لتكون ثمرته طيبة جدا ، وإذا أردت أن ينفرك تجعل له فى قرطاس أو ورقة كماذكرنا فى الجوز ، وإذا أردت أن لايتساقط منها شيء فاجعل فى وسط فروعها رأس حمار معلقة . أما الحلو فينفع من السعال وينقى الصدر سيما مع التين ويسمن وينفع من عضة الكلب الكلب . قال ابن سينا : إنه يسمن ويقوى البصر وينفع من القولنج والمر منه إذا طبخ وجعل على الكلف كان دواء نافعا ويفتح القولنج ، وإذا اختلط اللوز المر بالعسل وأكل نفع من القولنج ، ومن أراد أن لايشمل فليأكل سبع لوزات مرة على الريق وخمسة قبل الشرب فإن قوة الشراب لايعمل فيه لخاصية ، وينفع من الجرب .

(ليمون) إنه من أشجار بلاد الحر وخواص شجر الليمون وثمرتها تشبه بالأترج وقد مرت فلا نعيدها هنا ، ولماء الليمون خاصية عجيبة فى دفع سم الحيات والأفاعى . ومن عجيب حكاياتها ماذكره أبو جعفر بن عبد الله الضبى من ثقات البصرة قال : كانت لى ضيعة على نهر الدير وكنت متوطنا بها وبجنب دارى بستان ظهرت فيه أفعى كأنها جراب طولا وسعة وانتفاخا وكثرت جناياتها فطلبت حاويا يصيدها فجاء رجل وبخر بدخنة فخرجت عليه فلما رآها هاله أمرها فنهشته فتلف فى الحال فانتشر خبرها وامتنع الحاوون عنها ، وتركت البستان والدار حتى جاءنى رجل يوما قال : بلغنى أمر الحية التى عندكم جئت لتدلنى عليها . قلت : إنها عن قريب قتلت حاويا ما أحب تعرضك لها ، فقال : إنه كان أخى وجئت لآخذ بثأره فأريته البستان فأخرج دهنا فطلى به جميع بدنه وجلست أنا فوق السطح أنظر فأخرج دخانة وبخرها فما كان بأسرع من أن ظهرت كأنها دب فحين قربت من الحاوى دهمها فهربت منه فتبعها ولحقها

فقبضها فالتفت عليه وعضت يده وفلتت فحملنا الرجل فمات فى ليلته وأنا على هذا مدة ، فإذا فى بعض الأيام جاءنى رجل وسألنى ماسألنى السائل قبله وكان شبيها بصورته فمنعته. قال : الرجلان كانا إخوتى ولا بد إما الأخذ بثأرهما أو اللحوق بهما ، فعينت له البستان وصعدت السطح فأخرج الدهن وطلى به بدنه حتى صار الدهن يتقاطر منه ثم بخر فخرجت الأفعى فطلبها الحواء فأخذت تحاربه فتمكنت يد الحواء من قفاها فانقلبت عليه وعضت إبهامه فبادر الحواء وخزم فاها وجعلها فى سلة ، وأخرج سكينا كان معه وقطع إبهام نفسه وأغلى زيتا وكواها به ، فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بيد صبى يلعب بها فقال : أهذا موجود عندكم ؟ قلت : نعم ، فقال : أغثنى بما تقدر عليه منه فإن هذا فى بلدنا يقوم مقام الترياق . قلت : أين هو بلدكم ؟ قال : عمان ، فأتيته بشىء من الليمون فأخذ يقضمه ويسرع فى أكله وعصر ماءه وطلى به موضع اللسعة حتى جاوز وقت موت إخوته وأصبح من غد سالما . وقال : ماخلصنى الله إلا بالليمون وأظن أن أخوى لو وقع لهما لما تلفا ، ثم أخرج الأفعى وقطع رأسها وذنبها وأغلاها فى طنجير وأخرج دهنها وجعلها فى قارورة وانصرف . والله الموفق للصواب .

(مشمش) شجرة عجيبة شحم ثمرتها ولبها مأكولان طيبان ، بخلاف غيرها من الثمار فإن المأكول إما شحمها أولبها . وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن نبيا من الأنبياء بعثه الله تعالى إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه فى كل سنة ، فأتى النبى ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى ، فقالوا له : ادع الله تعالى أن يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ثيابهم صفراء ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فاخضر وأورق وأتى بالمشمش فى ساعته فمن أكل منه على عزم أن يؤمن خرج نواه حلوا ، ومن أكل على عزم أن يكفر ولا يؤمن خرج نواه مرا » ورقها يزيل الضرس إذا مضغ والضرس كلال الأسنان من أكل الحامض والرطب من المشمش يولد الحميات لسرعة عفونته ، ومضدده إذا نقع بالماء يزيل الحميات . وحكى أن طبيبا مر برجل يغرس شجرة المشمش فقال له : ماذا تصنع ؟ فقال : أعمل لى ولك ، يعنى أنتفع أنا بعلته وأنت بعلته يأكلها الناس فيمرضون ويحتاجون إلى الطبيب ؛ دهن نواه ينفع من البواسير ودهن لبه المر له خاصية دهن اللوز المر وقد مر فلا نعيده .

(موز) شجرة تنبت بالجروف وأكثر مايوجد فى الجزائر أوراقها طويلة عريضة تكون ثلاثة أذرع فى ذراعين ليست منخرطة كنبات السعفة لكنها تشبه المربعة ويكون ارتفاعها قامة باسطة ، ولا تزال تنبت فراخها حولها فاذا أدرك موزها تقطع الأم ويؤخذ قنوها وتطلع فراخها التى كانت قد لحقت بها فتصير أما ، ولا تثمر كل أم إلا مرة واحدة ثمرتها تشبه بالعنب إلا أنها حلوة دسمة . قال ابن سينا : يدر البول ويزيد فى الباه ، والإكثار منه يولد السدد .

(نارنج) قال صاحب كتاب الفلاحة : لو زرع النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضته بالحلاوة ، ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويقطع رائحة الثوم والبصل، نورها طيب الرائحة بخلاف نور الأترج ينفع الدماغ ويقوى القلب ثمرتها شبيهة بثمرة الأترج فى الخواص وقد مر فلا نعيده ، حبها يطيب النكهة ويجفف ويدخن به لدفع النمل .

(نارجيل) هو الجوز الهندى . زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هى المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع الغربة والأهوية على ثمرتها ليف يتخذ منه الحبال يستعمل فى سفن البحر لا يتعفن ويصبر على ماء البحر طويلا ، لبنها كالزبد كثير الحلاوة إذا كان رطبا وإن كان يابسا عتيقا ينقى البدن من حب القرع ، وأكله يزيد فى مادة المنى سيما مع السكر ويزيد فى الباه أيضاً ، ودهنه نافع للبواسير سيما إذا كان عتيقاً .

(نبق) قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا نقعت نواة النبق فى عصارة الورد أياما ثم زرعته شممت منها رائحة الورد من ثمرتها وورقها ، وإذا نقعت فى عسل ولبن ثم تجفف وتزرع فإن ثمرتها تحلو وتطيب ، ورقها هو السدر الذى يغسل به الرأس يقوى الشعر ويمنع انتشاره ويطوله ، ثمرها قد يكون حلوا وقد يكون حامضاً ، واليابس منه يمنع النزف والإسهال الكائن من ضعف المعدة إذا قلى ودق مع نواه .

(نخل) شجرة مباركة لا توجد إلا ببلاد الإسلام ، قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا عماتكم النخل » وإنما سماها عماتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام وأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها عن أنثاها واختصاصها باللقاح ولو قطع رأسها هلكت ولطلعها رائحة المنى ولها غلاف كالمشيمة التى يكون الولد فيها ، والجمار الذى على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة كهيئة مخ الانسان إذا أصابه آفة ، ولو قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان وعليها ليف كشعر يكون على الإنسان ؛ قال صاحب الفلاحة : إذا لم يثمر شىء من النخل يأخذ رجل فأساً ويقرب منه ويقول لغيره : إنى أريد قطع هذه الشجرة لأنها لا تثمر ، فيقول الآخر : لا تفعل فإنها تثمر فى هذه السنة ، فيقول الرجل : إنها لا تفعل شيئا ويضربها ضربتين أو ثلاثا ، فيمسكه الآخر بيده ويقول : لا تفعل فإنها شجرة حسنة واصبر عليها هذه السنة فإن لم تثمر فاصنع بها ما شئت . قال : فإذا فعل ذلك فإن الشجرة تثمر ثمراً كثيراً ، وكذلك غير النخل من الأشجار إذا فعل به هذا يثمر ؛ وقال أيضاً : إذا قاربت بين ذكران النخل وإناثها فإنها يكثر حملها لأنها تستأنس بالمجاورة ، وإذا قطع إلفها من الذكران فلا تحمل شيئا لفراقها ، وإذا غرست الذكران وسط الإناث فهبت الريح فخالطت الإناث رائحة طلع الذكران حملت من تلك الرائحة كل أنثى حوله ، وإن اتخذت لها منطقة من الأسرب يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شىء ، وكذلك

لو اتخذت لها أوتاداً من خشب البلوط ودققتها فى الأرض حول خشبها إن أحرق لا يكون له فحم ، وإذا وضع السقف على جذعه ينكسر ، فإن فلقته نصفين وجعلت ظهر أحدهما إلى الآخر يبقى زمانا طويلا . خواصها إذا مضغ بعد أكل الثوم يقطع رائحته ، وثمرتها حكى أبوهريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العجوة من الجنة وهى شفاء من السم» والبسر. قال ابن سينا : إنه والبلح جيدان للعمور والبسر مصدّع وكثيرا ما يوقع فى النافض والقشعريرة. وأما الرطب فقال الربيع بن خيثم ليس للنفساء عندى دواء إلا الرطب ، وكانت الأكاسرة زمان الرطب يرفعون عن سماطهم الحلاوى ، وفى زمن الورد يرفعون المشموم ، وفى زمن البطيخ يرفعون الأشنان ، والرطب يابن الطبع ويزيد فى المنى ومع الخيار والخس أنفع .

(ورد) قال ابن سينا : هى الشجرة المعروفة إذا أردت أن تخرج أوراقها من أكمامها سريعا فاسقها الماء الحار ، وإذا جعلت وقت غرسها فى جوف قضبانها شيئا من الثوم تزداد رائحتها جداً ، خشبها تهرب منه الحيات ، وإن لسعت حية عند شجرة الورد لا يؤثر سمها شيئا ، زهرها أحسن الأزهار لونا وشكلا ورائحة . قال ابن سينا ، الورد يصلح رائحة العرق إذا استعمل فى الحمام ولذلك تستعمله النساء محالقة علاجا لزفر العرق ، وقال قوم : إنه يقطع الثآليل ويخرج السلا والشوك مسحوقا ويسكن الصداع رطبا ويضر بالمزكوم ، والنوم على المفروش منه يقطع الشهوة ، والجعل يموت من رائحته وكذلك كل حيوان يتولد من العفونة ، عصارته تنفع من الرمد ونزيف الدم ، وماء الورد ينفع من الغشى إذا رش على وجه المغشى عليه ودهنه يدهن به منخر السنور يمرض .

(ياسمين) شجرة معروفة ثمرتها زهرها وهو أصفر وأبيض وأرجوانى . قال ابن سينا : رطبه ويابسه يذهب الكلف ، وكثرة شمه تورث صفرة الوجه ويصدع ولكنه يحالل الصداع البلغمى . وقال غيره : ينفع أصحاب اللقوة والفالج وعرق النسا ، ودهنه ينفع عسر البول تمريخا ، والله الموفق للصواب .

(القسم الثانى من النبات النجوم)

(النجم) كل نبت ليس له ساق صلب مرتفع مثل الزروع والبقول والرياحين والحشائش البرية فنقول : إن الله تعالى أجرى سنته كل سنة أنه يحيى الأرض بعد موتها فيجرى يابس أنهارها وينشر رفات نباتها فترى الأوراق مخضرة والأنوار والأزهار مصفرة ومحمرة ليستدل بها على إحياء الأموات وإعادة العظام الرفات ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى — فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير — ومن الأمور العجيبة القوة التى خلقها الله تعالى فى نفس الحب فإنها إذا وقعت فى الأرض

جذبت بواسطة تلك القوة الرطوبة من نفس الأرض مما حواليها كما تجذب شعلة النار فى السراج تلك الرطوبة فتعمل فيها القوى الطبيعية بإرادة الله تعالى حتى تبلغ كمالها كما أراد الله تعالى . والنجوم فى النبات كالحيوانات الصغار فى الحيوان والأشجار الكبار كالحيوانات الكبار ، فكما أن شدة البرد لا تبقى من الحيوانات التى لا عظم لها فكذلك لا تبقى من النبات شيئا إلا ماله خشب صلب . واعلم أن عقول العقلاء متحيرة فى أمر الحشائش وعجائبها وأفهام الأذكياء قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها ، وكيف لامع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها واختلاف أشكالها وألوانها وعجيب ستور أوراقها وأنهارها ، وكل لون منها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلا فإنها وردى وأرجوانى وسوسى وشقائق وآذريونى وإلى غير ذلك مع اشتراك كلها فى الحمرة ، ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها البعض مع اشتراك الكل فى الطيب ، ثم عجائب أشكال حبوبها فإنه لكل واحدة شكل وورق وعرق وزهر ولون وطعم ورائحة وخاصة بل خاصيات لا يعرفها غير الله والتى عرفها الإنسان بالنسبة إلى مالم يعرفه كقطر من البحر . ولنذكر شيئا من خواصها وما ركب الله تعالى فيها من الأدوية مرتبة على حروف المعجم إن شاء الله تعالى :

(آذان الفأر) حشيشة صغيرة الورق دقيقة القضبان تبسط على وجه الأرض منها ماله زهر أسمانجونى ومنها ماله زهر لازوردى ، إذا وضعت على الشوك أو السلا أبرزته وتلصق الجراحات ويسعط بها للقوة وتشرب للصرع .

(آذريون) زهرة فى غاية الحمرة وفى وسطه سواد كأنه نصف بلوطة إذا قطعت عرضا . قال ابن سينا : ينفع من داء الثعلب مسحوقا بخل ، ورماده ينفع من عرق النسا وينفع من السموم كلها خصوصاً للدماغ . وقال ديسقوريدس : إن احتملت المرأة منه شيئا ثم يغشاها زوجها حملت وإن احتملتها وهى حامل أسقطت . وقال غيره : إذا دخلت الحبلى بيتا فيه آذريون أسقطت .

(إذخر) نبت طيب الرائحة ينفع من الحكة ويقوى المعدة ويدر البول والحيض ويفتت الحصا ، وينفع من وجع الأسنان إذا كان من برد .

(أرز) ذكروا أن المداومة على أكله تزيد فى نضارة الوجه ويخصب البدن ، وأكله يرى أحلاما طيبة قشره يعد من السموم . قال ابن سينا : من سقى منه اعتراه فى الوقت وجع فى الفم واللسان فإنه من السموم والله أعلم .

(أسفاناج) ينفع من السعال وخشونة الصدر وأوجاع الظهر من الحرارة وكثرة الدم لكنه يسىء الهضم ، بزره ينفع من الحمى وأوجاع القلب ، والقدر المأخوذ منه درهم والله الموفق .

(إسقيل) وهو بصل الفأر : قال ابن سينا : إنه يقطع الثآليل طلاء وينفع من الصرع والماليخوليا وعرق النسا والفالج ويشد اللثة ويثبت الأسنان المتحركة ويزيل البخر ، وإن علق على صاحب الطحال إحدى وأربعين يوما صلح طحاله ، وينفع الاستسقاء واليرقان وخله يحسن اللون .

(أشترغار) شوك معروف تأكل الإبل منه أكلا ذريعاً فينفع من حمى الربع ، وخله جيد للمعدة يفتق الشهوة ويعين على الهضم لكنه يورث الغثيان ويضر بالدماغ ضرراً بينا .

(أشنان) هو الحرض الذى يغسل به : وهو أنواع ألطفها الأبيض الذى يسمى حرض العصافير ثم الأخضر ، وكلاهما جلاء منق ، درهم منه يدر البول والحيض وثلاثة دراهم تسقط الأجنة وعشرة دراهم قتالة ، ودخان الأخضر ينفر منه الهوام كلها كل ذلك عن ابن سينا .

(إفسنتين) حشيشة يشبه ورقها ورق الصعتر . قال ابن سينا : إنه يمنع الشياب من السوس والمداد من التغير والكاغد من الأرضة ، ويحسن اللون ، وينفع من داء الثعلب وداء الحية ، وينفع من الآثار البنفسجية ويزيلها عن الجلد ، وينفع من فساد الهواء .

(أقحوان) قضبان دقيقة عليها زهر أبيض وقد يكون أحمر ينفع من النواصير ، وإذا أديم شمه أحدث السبات ، وهو ودهنه يفتح البواسير وغير البواسير وينفع من القولنج ووجع المثانة .

(أكشوث) حشيشة تلتف على الشجر والشوك لا ورق له مر الطعم جدا فربما تلتف على الشجرة الكرمة فتجعل عناقيدها مرة ، لها نور صغار أبيض إذا شرب بالخل سكن الفواق ، وماؤه عجيب لليرقان ويدر البول والحيض وينفع من الحميات العتيقة والمغص .

(بابونج) شجرة معروفة منها أصفر الزهر ومنها أبيضه . قال ابن سينا : إنها نافعة من الصداع البارد وتدر الطمث شربا وجلوسا فى مائها وتخرج الجنين والمشيمة ، وتنفع من القولنج الزبلى نعوذ بالله منه ، كل ذلك عن ابن سينا .

(بارد نجويه) يقال لها بالفارسية بادر نكبو . قال ابن سينا : إنه يقتل العقرب ويطيب النكهة ويزيل البخر ، وينفع من الجرب السوداوى ويفرح القلب ويذهب الخفقان ، وينفع من الفواق ؛ وقال غيره : يصفى الذهن وينفع من العلل البلغمية والسوداوية .

(بادروج) هو الحوك . قيل إن استنشاقه يحدث عطاسا كثيرا والإكثار من أكله يورث ظلمة العين ويولد الدود فى البطن ، زعموا أنه إذا مضغ وجعل فى الشمس يتولد فيه الدود . قال ابن سينا : عصارته تنفع الرعاف سيما بخل خمر وكافور ويحدث ظلمة العين أكلا ويقوى البصر جلاء ، وبزره ينفع من عسر البول ، ويوضع على لسع الزنابير والعقارب يبرئه .

(باذنجان) أكله يورث أخلاطا رديئة وخيالات فاسدة ؛ قال معمر بن المثنى : قطعت فى ثلاثة مجالس ولم أجد لذلك سببا إلا أنى أكثرت من أكل الباذنجان فى أحدهما ومن الباقلا فى الثانى ومن الزيتون فى الثالث . قال الحكماء : يشق الباذنجان ويجفف فى الظل ثم يسحق بشحم البقر ويطلى به ثدى البنات قبل أن يكعب فإنه لا يتدلى ويبقى على الصدر . وقال ابن سينا : يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسرطانات والصداع والسدد والبواسير ، وإن أردت أن يبقى زمانا طويلا فاغمسه فى الشحم المذاب وعلقه فإنه يبقى زمانا .

(باقلا) قال صاحب الفلاحة : إذا نقعت الباقلا قبل أن تغرسه فى ماء نطرون رومى أسرع نباته قبل جميع أنواعه ، ورقه إن أكل عاد صحيحا ، إذا تم القمر بدا زهره ، النظر إليه يورث الهم والحزن . وإذا سحق فى هاون رصاص ووضع فى الشمس صار خضابا جيدا ، شربه يورث ظلمة العين والأحلام الفاسدة . قال الجاحظ : الإكثار من الباقلا يفسد العقل ويقطع رائحة الثوم وإذا قطع نصفين ووضع على نزف الدم قطعه ، وإذا اعتلفت الدجاجة منه انقطع بيضها ، والباقلا بقشرها تجلو البهق والكلف والنمش طلاء وتحسن اللون ، قشره يضمد به عانة الصبى يمنع نبات الشعر عليه والله أعلم .

(برشاوشان) حشيشة منبتها حياض الماء والشطوط والأنهار لها قضبان حمر تميل إلى السواد بلا ساق ولا زهر ، ورقها يشبه ورق الكرفس . زعموا أن أفراسياب ملك الترك لما قتل سياوش ملك الفرس ظلما نبتت هذه الحشيشة من دمه . ورقها ، قال ابن سينا : ينفع من البواسير ويفتت الحصا ويدر البول والطمث ويخرج المشيمة .

(برنجاسف) نبات له ورق صغار دقاق بيض وصفر يشبه الأفسنتين يظهر فى الصيف ينفع من الصداع البارد ضمادا ، ومصلوقه ينفع من الزكام ويسقط المشيمة والجنين وينفع من السدد والدوار وإذا نثر على القروح جففها ويفتت حصى الكلى .

(بصل) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت زرع البصل فقشر بزره لتكون ثمرته حسنة ، وكلما كان نزو فى الأرض أكثر كان أقوى ، وليترصد لوقت زرعه غروب الثريا ليكون طعمه طيبا وكذلك عند حصاده . قالوا : الاكتحال بماء البصل مع العسل مما يحد البصر ويزيل ضعفه . وزعم الجاحظ أن الإكثار منه يفسد العقل . وعن معاوية أنه وفد إليه وفد فقرب إليهم الطعام ثم عاد بالبصل وقال : كلوا من هذا فإن كل من جاء أرضنا وأكل منه لم يضره ماؤها . وأما دفعه لغائلة السموم فأمر لا يشك فيه . ومن العجائب أن من أراد تقشير البصل وتقطيعه يغرز سكينة فى بصلة ويتركها على رأس السكين ثم يقطعها ويقشرها فإنه لا يتأذى من رائحتها . قال ابن سينا : البصل يحمر اللون بجذبه الدم إلى خارج

وله خاصية فى دفع ضرر المياه وتهييج الباه وينفع من عضة الكلب الكلب إذا طلى عليها وأكله يدفع ضرر الريح السموم ، وعصارته تنفع من الماء النازل فى العين ويجلو البصر ، وبزره يكتحل به لبياض العين ويذهب البهق ويدلك به لداء الثعلب فينفع ، وهو بالملح يقلع الثآليل .

(بطيخ) قال صاحب الفلاحة : ينقع بزر البطيخ فى العسل واللبن ثم يزرع فتكون ثمرته فى غاية الحلاوة ورائحة البطيخ يحدثها قوى الأدوية ، وإذا كان البطيخ فى بيت لايختمر فيه العجين أصلا ، وإذا اجتازت الحائض بالمطبخة تغير جميع بطيخها ، وإذا أصاب بزر البطيخ والقثاء رائحة الدهن يصير مرا وذلك بأن يجعل البزر فى ظرف كان فيه دهن أو شده فى خرقة أصابها دهن . وإذا وضعت بزر البطيخ فى وسط الورد ثم زرعته تشم من بطيخه رائحة الورد وإن وضعت رأس حمار فى وسط مبطخة دفع عنها كثيرا من الآفات وأسرع نباتها وحملها ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن البطيخ كان أحب الثمار إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « تفكهوا بالبطيخ وعضوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة ، من أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة فإنه أخرج من الجنة » وعن وهب بن منبه فى بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة ، وخلال وأشنان وريحان ينقى المعدة ويشهى الطعام ويصفى اللون ويزيد فى ماء الصلب : وقال ابن سينا : البطيخ ينقى الجلد ، وبزره ينفع من البهق والكلف والحزاز . قشره يلصق بالجبهة يمنع النوازل إلى العين ، أكل لحمه ينفع من حصا الكلى والمثانة .

(بنفسج) ينبت فى مواضع ظليلة حسنة ، زهره إذا شرب بالماء نفع من الخناق وأم الصبيان : قال ابن سينا : يسكن الصداع الدموى شما وطلاء وينفع الرمد الحار . وقال غيره : شم البنفسج مضر بالزكام ودهنه نعم الطلاء للجرب اليابس .

(بودانش) قال ابن سينا : إنه حشيشة تنبت مع البيش وأى بيش جاورها لم تنم شجرته وهو أعظم ترياق للبيش وله جميع منافع البيش من دفع البرص والجذام ، وهو ترياق لكل سم سيما سم الأفاعى .

(بهار) هو الذى يقال له عين البقر ورده أصفر وورقه أحمر الوسط شمه ينفع الدماغ ويحلل الرياح الغليظة التى فى الرأس ، والله الموفق .

(بيش) نبات ينبت بأرض الهند نصف درهم منه سم قاتل : وعلامته أنه يعرض لمن سقى منه جحوظ العين وورم الشفتين واللسان والدوار والغشى : ذكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بملوك تعاديهم ربوا جارية بالبيش من طفوليتها وذلك بأن يفرش البيش تحت مهدها مدة ثم تحت فراشها مدة ثم تحت ثيابها مدة ، وهكذا على التدريج إلى أن تأكل الجارية

منها ولم يضرها فحينئذ تمت التربية ثم يبعثوها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به فإنه إذا واقعها مات ، والسمان يعلف منها ولا يضرها شيئا وكذلك فأرة البيش ، وهو حيوان يسكن فى أصله ويأكل منه . قال ابن سينا : إنه يذهب البرص طلاء وشربا وينفع من الجذام وهو سم قاتل يقتل نصف درهم منه وترياقه فأرة البيش .

(ترمس) هو الباقلا المصرى . قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يزكو الترمس فازرعه عند استواء الليل والنهار ولا يتربص به المطر ، وإذا نبت فاترك فيه البقر قبل أن يتورد فإن البقر ترعى ما فيه من غريب ولا ترعى الترمس حينئذ لمرارته فإنه يزكو جدا ، ومن خاصية الترمس أنك إذا زرعته فى أرض لا ينبت بها النبات ثلاث مرات . قال ابن سينا : يرقق الشعر ويجلو الكلف والبهق والآثار الكريهة ويجلو الوجه سيما إذا طبخ بماء المطر حتى يتهرى ، وإذا رششت البيت بطبيخ الترمس هرب منه الذباب .

(ثوم) قال صاحب الفلاحة : إذا زرعت الثوم فى الأيام التى يكون القمر بها تحت الأرض لم توجد له رائحة وليترصد غروب الثريا لوقت الزرع ، ورقه يمضغ ويجعل على العين الرمدة يكون أنفع لها من كل ذرور ، وإن مضغ مع العسل وطلى به الوجه ذهب شقاقه وكلفه ، ومن أكله على الريق لا يضره سم ولا لدغ . وقال ابن سينا : إنه ينفع من تغير المياه ويشرب بطبيخ الفوتنج فيقتل القمل والصئبان ، ورماده إذا طلى بالعسل على البهق وكهبة العضو نفع ، ومشويه يسكن أوجاع الأسنان ويصفى الحلق مطبوخا وينفع من السعال المزمن ، وهو نافع من لسع الهوام والحيات إذا شرب بالشراب . وقال ابن سينا : وقد جربنا ذلك فى عضة الكلب الكلب . ومن خواصه دفع الحكاك عن المقعدة إذا أخذ منه صاحبها شيئا واحتمله ، وإذا أردت أن تعرف أن المرأة بكر أم ثيب فاخلط الثوم المدقوق مع العسل وأمرها أن تتحمل به واصبر عليها ساعتين فإن شممت رائحة الثوم من فيها فهى بكر وإلا فهى ثيب ، ومن خواصه إزالة البخر الذى لا يقبل المعالجة إذا داوم على أكله سنة كاملة .

(جاورس) هو الدخن . قال صاحب الفلاحة : الأرض التى يزرع بها الجاورس تفسد ولا ترجع إلى صلاحها إلا بعد مدة طويلة ، حبه يبقى مدة طويله لا تصيبه آفة ولهذا يدخره الناس لخوف القحط . قال ابن سينا : إنه ضماد جيد لتسكين الأوجاع . وقال غيره : إنه يمسك الطبع جدا يبوسته ويسقط الأجنة .

(جرجير) هو الأيهقان إذا زرعته وسط البقول نفعها ويزكو نبتها ويدفع عنها الآفات كالدود ونحوه . وعن على رضى الله تعالى عنه قال : من أكل جرجيرا ثم نام بات الجذام يتردد فى جوفه ، وإن أخذت مدقوقه ودلكت به الكلف أزاله ، ومن مضغ منه وطلى به إبطه زال صنانه ، ويخلط الجرجير بمرارة البقر ويطلى به يزيل آثار القروح ، وبزره بالعسل

يحرك الباه ويزيد الإنعاظ . ومن عجيب خواصه أن الغراب إذا أكل من بزر الجرجير انتثر ريشه .

(جزر) أصله يطبخ بالعسل ويؤكل منه كل يوم خمسة دراهم يزيد فى الباه زيادة عظيمة ويقوى الكلية ، بزره يغلى على النار ويبخر به تحت المرأة فإن الجنين يسقط بإذن الله تعالى .

(حاج) ضرب من الشوك يقع عليه الترنجبين طلاء وأكثر مايوجد بأرض خراسان وما وراء النهر . وفى الأمثال : الحاجة فى الصدر حاجة ، وشوك هذا النبت طويل جدا حاد كالإبر والإبل تأكل منه أكلا ذريعا لايخدشها شوكه ، طله ينفع من السعال وياين الصدر ويسكن العطش ويزيد الصداع ويطلق البطن .

(حاشا) حشيشة لها زهر يميل إلى الحمرة مستدير وأوراق صغار . قال ديسقوريدس : أكثر ماينبت على الصخر . قال ابن سينا : إنه يحلل الثآليل ويخلط بالطعام فيحفظ صحة البصر ويزيل ضعفة .

(حرف) هو حب الرشاد أكله يزيد فى الذهن والذكاء ويهيج الباه عصارته تحفظ الشعر . قال ابن سينا : ينفع من الجرب المتقرح ومن عرق النسا والقوباء شربا وضمادا ، وكذلك من نهش الهوام شربا وضمادا مع العسل ، وإذا دخن به طرد الهوام وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها .

(حرشف) نبات ذو شوك يقال له بالفارسية كنكر . قال ابن سينا : ينفع من داء الثعلب طلاء وماؤه يقتل القمل إذا غسل به الرأس ويذهب الحدار ، وإذا أكل يزيل نتن الإبط لخاصية فيه ويزيد فى قوة الباه .

(حرمل) نبت معروف له رائحة كريهة . قال ابن سينا : إنه صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كإسكار الخمر ينفع من القولنج شربا وطلاء ، وبزر الحرمل ينقع فى خل ويرش به البيت لايدخله الذباب .

(حسك) عشب يضرب إلى الصفرة له شوك مدحرج ينفع من قروح اللثة العفنة ويزيد فى الباه ويفتت الحصا وينفع من عسر البول والقولنج شرابا وطلاء ، وبزره يسقى شرابا للسموم القاتلة ويرش طبيخه فيقتل البراغيث وإن رش بطبيخه جحر الحيات هربت وكذلك إن دس شوكه فيها .

(حلبة) قال صاحب الفلاحة : إذا خلطت بزرها بالبذور ثم زرعته يسلم من الدود . قال ابن سينا : دهنها مع الآس ينفع الشعر والآثار المتقرحة وهو من أدوية الكلف ، ويحسن الوجه ويغير النكهة إلا أنه ينتن رائحة البول والبدن والعرق .

(حمص) قال ابن سينا : أكله يحسن اللون وكذلك الطلاء به ويجلو النمش . وزعموا أن

أكله نيئا يورث البخر ودهنه ينفع من القوبا، ونقيعه ينفع من وجع الضرس ويصفى الصوت، وطبيخه يخرج الجنين ويزيد فى الباه وينعظ بقوة إذا شرب على الريق.

(حندقوق) من خواصه أنه ينفع من نهش الحيات طلاء، وعصارته تنفع من ظلمة البصر شربا واكتحالا. قال ابن سينا: إنه ينفع من الصرع ووجع الحلق والخوانيق وورقه وبزره يهيجان الباه. قال ابن سينا: فيما يقال إن صاحب حمى الغب يسقى من ورقه ثلاث ورقات أو من بزره ثلاث حبات فيشوش على الحمى أدوارها وللحمى الربع أربعا من أيهما شئت. وقال غيره: بزر الحندقوق يورث الجرب لكنه ينفع من لسع الهوام.

(حنظل) نبت معروف تحب الظباء أكله والسباع تهرب من شجر الحنظل والشجرة التى ليس عليها إلا حبة واحدة من الحنظل فإنها رديئة جدا، ورقها الطرى يقطع نزف الدم وينفع من الماليخوليا والصرع، ثمرتها إذا نقعتها فى الماء ورششت به البيت ماتت براغيثه. قال القاضى أبو على التنوخى عن بعض بنى عقيل إنه قال: كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أنا نقور الحنظل ونجعل فيه شيئا من اللبن ونرد رأسها إلى مكانها وندفنه فى الرماد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسا ذلك من أراد الإسهال. قال: فاتخذنا ثلاث حناظل لثلاثة أنفس فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسنا من حياتها، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعد ذلك سنين، والحنظل يدلك به الجذام وداء الفيل وعرق النسا والنقرس، وأصله نافع لنهش الأفاعى وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيا وطلاء، وسقى واحد لدغته العقرب فى أربع مواضع فبرىء فى الحال.

(حنطة) قال كعب الأحبار رضى الله عنه: لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشىء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض وابذر البذر، وقال: لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة. قال صاحب الفلاحة: الحبة التى تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا. حبها ينقى الوجه وكذلك النشا، ومدقوقها ينفع من عضة الكلب الكلب ضمادا ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها، خميرها يخلط بالملح ويضمد به الدماميل ينضجها، خبزها يبل بماء وملح ويضمد به القوباء ينفعها.

(خبازى) حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل وينفتح بالنهار، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنابير ضمادا خصوصا مع الزيت، وإذا مضغ مع الملح

وجعل على النواصير نفعها ، بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم . وينفع من نهش الرتيلا .

(خربق) نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد . قال صاحب الفلاحة : إذا غرست فى البستان قضبان الخربق مات مافيها من البراغيث ، وإذا زرعتها مع أى بذر كان لايقربها الطير ، وإذا دخنت البيت به هربت الهوام منه ولايبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها ، وإن جعلته فى العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت ، وإن دققته مع الكبريت ونثرته فى جحر النمل هربت ، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة ، وهو سم قاتل للإنسان والسباع . قال ابن سينا : إذا نبت الخربق عند أصل كرمة صار شرابها مسهلا ، ويطلى على البهق والثآليل يزيلهما واستفراغه ينفع من البرص ، وإذا طبخ بالخل وقطر فى الأذن نفع الدوى ويقوى قوة السمع ، وإذا تمضمض به سكن وجع السن .

(خردل) بزره يبقى فى عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله . قال محمد بن زكريا الرازى : إن جعلت الخردل فى كوى الحيات قتلها قال ابن سينا : يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت . والبرى منه ينفع من حمى الربع ، ومن داء الثعلب والقوباء ضمادا وكذلك من وجع المفاصل وعرق النسا . عصارته قطورا لوجع الأذن ، وإن شرب على الريق ذكى الفهم وشهى الباه .

(خس) قال صاحب الفلاحة : إذا تركت بزره فى وسط النانخواه ثم زرعته يسلم من جميع الآفات ، وإذا أخذت بعر الجمل ونقبتها وتركت فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت عليها هذه الأنواع الثلاثة على ساق ، وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات ، والخس يجلب النوم ويدفع العطش ويقطع شهوة الباه ولذلك يأكله الخصيان الأقوياء على النساء وتأكله النساء اللاتى غاب عنهن أزواجهن بالخل ليقطع عنهن شهوة الوقاع ، والإدمان على أكله يورث ظلمة البصر لكنه يكثر اللبن ويمنع من السكر ، بزره إن استف منه منع من كثرة الاحتلام وهملان المنى .

(خشخاش) يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر وأما الأبيض فنافع للسعال جدا من نوازل الصدر ومع العسل يزيد فى المنى . وأما الأسود فمنوم جدا وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع به . عصارة المصرى تسمى أفيونا ، وهو مخدر مسكن كل وجع شربا وطلاء ، الشربة منه مقدار عدسة ، وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه .

(خصى الثعلب) حشيشة حلوة الطعم تسمى ثمرتها خصى الثعلب ، هو ينفع من التشنج والفالج ويعين على الباه ، ويفعل فعل السقنقور إذا استعمل مع الشراب .

(خصى الكلب) حشيشة مثل خصى الكلب ثمرتها زوجان أحدهما تحت والآخر فوق وأحدهما رخو والآخر ممتلئ ، يحلل الأورام البلغمية ويبقى القروح وينفع البواسير والرطب منها يزيد فى الباه واليابس يقطعه ، وحكى ابن سينا : أنه شاهد ذلك بأرض شروان فأخبره بعض سكان تلك البلاد بأن الذابل هو الذى يزيد والرطب قاطع فقال : أظن أن الأمر بالعكس ، والله أعلم .

(خطمى) هو النبت المشهود له نور أحمر وقد يكون أبيض . قال ابن سينا : يطلى على البهق بالخل ويجلس فى الشمس ينفع نفعا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت ، ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة ، ورق الخطمى الرومى منه يدق مع الكراث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدا ، وينفع منه مثقال من القولنج شربا وإذا غسل به الشعر نفعه ويضمد به الجرب ينفع نفعا بينا .

(خيار) قال صاحب الفلاحة : إن أردت استعجال باكورته فاعمد إلى فخارة فى ذى ماء وازرع فيها الخيار بزرا وكلما سخنت الشمس أطلعها إليها وكذلك للمطر أيضا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكناف البيوت وتعاهد سقيها نضحا ورشا ، فإذا انسلخ الشتاء فانقل ما فى الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعته شيئا من النانخواه ، ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش فى الحال لاستحالته إلى الصفراء ، بزره يدق ويطلى به الوجه يحسن اللون .

(خيرى) ويسمى المنثور أيضا : قال صاحب الفلاحة : إذا أخذت من الأحمر والأصفر الأبيض من كل واحد قضيبا وضفرتها مثل الضفيرة ثم غرستها فإذا نبتت تجد فى غصن واحد أوراقا مختلفة الألوان ، شمه ينفع الدماغ البارد الرطب وتحلل الرياح الغليظة ويدر الحيض ويسقط المشيمة شربا .

(دفلى) برى ونهرى فالبرى ورقه كورق الحمقاء بل أدق وقضبانه طوال منبسطة على الأرض ينبت فى الخرابات ، والنهرى على شطوط الأنهار وينهض قضبانه على الأرض وشوكه خفى وورقه كورق الخلاف وأعلى ساقه أغلظ من أسفله أو فقاحه كالورد الأحمر وثمرتها صلبة محشوة شيئا كالصوف ، قال ابن سينا : ورقه تهرب منه البراغيث ، وأكله يقتل الناس وسائر الحيوانات ، قال بليناس : علم بعض الملوك بعدو قصده فى عسكر لا طاقة له به فأخذ من الشعير وطبخه بالدفلى وتركه حتى جف فأخذ الشعير معه وخرج إلى وجه العدو ، فلما

قرب من العدو تنحى عنه وترك الأثقال والميرة والشعير فورد عسكر العدو وأطلقوا دوابهم فى الشعير فهلكت كلها فكر عليهم وأسرهم. قال ابن سينا : يرش البيت بطبيخ الدفلى تموت براغيثه وأرضته ونحوهما ، وإذا دلكت مسنا بالدفلى حددت عليه النصل يحتد ولا يكل زمانا ، وإن حفرت فى وسط فى البيت حفرة وألقيت فيها شيئا من الدفلى اجتمت براغيث البيت فيها ، ويهرب الفأر والخفاش من الدفلى .

(رازيانج) هو النبت المشهور منه برى ومنه بستانى ، رطبه يعقد اللبن ويدر الطمث والبول ويفتح من السدد ويمنع من نزول الماء والبرى يفتت الحصى وينفع من الحميات العتيقة ويحلل الرياح ويحد البصر. قال دقراطيس إن الهوام ترعى الرازيانج الطرى ليقوى بصرها ، والحيات إذا خرجت من تحت الأرض وحكت أعينها عليه استضاءت ، فسبحان من ألهمها ذلك .

(ريباس) نبت جبلى لا ينبت إلا على الصخر قيل إنه من تأثير الرعد ، وذكر هذا القول عند كسرى وقد شكوا من قلة الريباس فقال : رشوا الماء واضربوا بالطبل استخفافا بكلامهم . قال ابن سينا : إنه ينفع من الطاعون ، والاكتحال بعصارته يحد البصر وينفع من الحصبة والجدرى ويقطع السكر وينفع من الغثيان .

(ريحان) يقال له بالفارسية شاهسفرم. ذكر الفرس أنه لم يكن قبل كسرى أنوشروان شىء من الريحان وأنه وجد فى زمانه . وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم إذ أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها ، فقال الملك : كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فإذا فى قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى بعض الأساورة رمحه إلى العقرب ونحسها به وأتى الملك يخبره بحال الحية ، فلما كان العام القابل أقبلت الحية فى اليوم الذى كان كسرى قاعدا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ونفضت من فيها بزرا أسود فأمر الملك أن يزرع فنبتت منه الشاهسفرم ، وكان الملك كثير الشكاية من الزكام واجتماع الفضول فى الدماغ فاستعمل منه فنفعه جدا. قال ابن سينا : الريحان ينفع من البواسير بزره يجعل فى دم الجمل ويطلى به الإبط فإنه يدفع الصنان القوى الذى لا علاج له ، والريحان ينفع من الدوار والرعاف .

(زعفران) هو نبت نوره الزعفران وأصله يشبه البصل يدق ويعصر يكون عصيره كالحليب وقد يجفف ويتخذ منه الدقيق ويؤكل . قال ابن سينا : بزره ينوم ويحسن اللون ويجلو البصر ويمنع النوازل إليه ويكتحل به للزرقة العارضة فى الأمراض ، ويهيج الباه ويدر البول ، وزعم قوم أنه إن سقى للطلق المتطاول وضعت من ساعتها ، ويقوى القلب ويفرح ويورث الضحك ، والزائد على الدرهم سم قاتل ولا يقرب سام أبرص بيتا فيه زعفران . قال بلياس الحكيم : إذا عسرت الولادة على المرأة أو سقوط المشيمة تأخذ بيدها عشرة دراهم زعفران لا زائدا ولا ناقصا فتخلص .

(سادج) نبت يكون بأرض الهند. قالوا : إن الماء إذا جف فى المستنقعات أوان الصيف أحرقوا فيها الحطب لينبت السادج فإن لم يفعلوا لا يكون منه شىء ، له أوراق وقضبان على مثال الشاهسفرم وله نور ينبت فى المياه فيقوم على وجه الماء من غير تعلق بأصل . قال ابن سينا : يجعل فى وسط الثياب يحفظها من السوس ، ويطيب النكهة إذا جعل تحت اللسان. وقال غيره : ينفع من وجع القلب ويذهب نتن الإبط ، والله الموفق .

(سذاب) هو النبت المشهور. فوائده كثيرة عجيبة . قالوا : إذا ترك فى برج الحمام لا يقربه سنور ، وإذا ترك فى بيت لا يقربه حية ، وأكله يزيد فى قوة الباه وإذا دخن به تحت حبلى أسقطت ، ورائحته تنفع المصروع والصداع الشديد فى الحال سيما إذا كان رطبا ، والاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة العين ، وإن نقع فى ماء ورش به البيت ماتت براغيثه ، والمدقوق منه بالزيت يجعل تحت السن الوجعة يسكن ألمها . قال ابن سينا : يطلى مع النطرون على البهق والثآليل والتوتية يزيلها ويقطع رائحة الثوم .

(سلق) قالوا : يلقى السلق فى النبيذ يصيرها خلا فى يوم وليلة . قال صاحب الفلاحة : إن سمدت أرضها بخثى البقر يقوى أصله ويطيب طعمه . قال ابن سينا : عصارته تقلع الثآليل وتقتل القمل ويغسل به الرأس فيذهب النخالة وانتشار الشعر ، ويزيل الكلف إذا غسلت الموضع بالنطرون ثم طليت به .

(سمسم) قال ابن سينا : ورقه وعصارة شجره يطول الشعر ، وبزره يزيل خضرة الضربة والدم الجامد ، وهو نافع من الشقاق شربا وطلاء ومسمن جدا ، ونقيعه يدر الحيض ، ومقلوه يزيد فى قوة الباه ومادة المنى .

(سنبل) نبت طيب الرائحة جداً له سنبلة صغيرة يطيب النكهة ويخفف اللسان إذا مسك فى الفم ، ومن خواصه تقوية الدماغ ومنع النوازل وإنبات الشعر فى الأشفار إذا جعل فى الكحل ، وينقى الصدر ، وينفع من الخفقان ويحبس النزف من الرحم .

(سوسن) نبت له ساق وزهر مختلف الألوان من بياض وصفرة وأسمانجونية رائحته تجلب النوم يلطخ به الكلف يزيله ، يضمد به الرأس مع الخل يزيل الصداع ، وهو ينفع من نهش الهوام ويسحق ويخلط بالعسل للبهق والجرب طلاء وإذا غسل به الوجه جلاه ونقاه. قال صاحب الفلاحة : إذا جعلت السوسن فى ظرف جديد واستوثقت رأس الظرف يبقى طريا غضا طول السنة ، دهنه يزيل نتن المنخرين .

(سيسنبر) نبت له رائحة طيبة يقال له النمام لأن رائحته تدل عليه ، ورقه يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهة والصدغين وينفع من لسع الزنابير ضمادا . قال ابن سينا : إذا فرشت السيسنبر تهرب منه أكثر الهوام وهو يقتل القمل ضمادا ويزيل الفواق شربا ويخرج

الجنين الميت والديدان وحب القرع شرباه، بزره يسكن الفواق والمغص شربا ويسهل الولادة.

(شبث) نبت مشهور . قال صاحب الفلاحة : إذا أثيرت الأرض وسقيت ولم تزرع ومضى على ذلك سنة ينبت فيها الشبث من غير بث حب ، أكله يورث ظلمة البصر . قال ابن سينا : إنه منوم جدا ، وإذا سحق وعجن وضمد به البواسير قلعها وأبرأها . قال بلياس : إذا مضغت الشبث الأبيض وأخذت النار فى فمك لا تضرك ، وإذا وضعت الشبث تحت مخدة الإنسان ذهب عنه الفزع والغطيط ، بزره يدر اللبن وينفع من الفواق الامتلائى والمغص ويقطع مادة المنى ويقلع البواسير .

(شبرم) نبت فى البساتين له قضيب دقيق ، ورقه كورق الطرخون . قال ابن سينا : هو مضر بالباه ومادة المنى ولبنه معين على قلع الأسنان ، ويولد الحميات ويقتل منه درهمان .

(شجر مريم) شوك أصله الغرطنيثا . قال ابن سينا : ينفع من الزكام البارد ونزول الماء فى العين أصله يدفع الفواق ويسقط الأجنة .

(شعير) من الحنطة . عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق الشعير من الحنطة ، وذلك أن جبرائيل عليه الصلاة والسلام أتى آدم عليه السلام بحفنة من الحنطة وقال : هذا الذى اخترته على جنة رب العالمين هو لك رزق ولولدك ، فعمد آدم إلى قبضة منها وعمدت حواء إلى قبضة ، فقال آدم لحواء : لا تزرعى فخالفته فجاء الذى زرعت حواء شعيراً . وخاصية الشعير أن يحفظ الأشياء عن التعفن والتغير . قال صاحب الفلاحة : لو تركت فى الشعير عنبا بعناقيده لم يتغير وأكلت فى كل يوم عنبا طريا كأنه قطف من كرمه . قال ابن سينا : الشعير يستعمل على الكلف طلاء ويطبخ بالخل الثقيف ويضمد به الجرب المتقرح والنقرس .

(شقائق النعمان) والعرب يقولون : إنه خد العذارى . قيل كان ظهر فى الكوفة نبت الشقائق فمر النعمان بن المنذر به وقال : من نزع منه شيئا انزعوا كتفه فنسب إلى النعمان ، وشقائق النعمان يدور مع الشمس ينفتح ورقه بالنهار وينضم بالليل ، الاكتحال منه ينفى ظلمة البصر . قال ابن سينا : إنه مع قشر الجوز خضاب يسود الشعر وهو نافع للجرب والقروح وإذا طبخ بقضبانه يدر اللبن ، ويمزج عرق شقائق النعمان بماء الورد فإذا رششت على الثياب البيض يحمر الثوب وإذا يبس لا يبقى على الثوب منه أثر أصلا .

(شلجم) قال صاحب كتاب الفلاحة : بزر الشلجم وبزر الكرنب إذا أتى عليهما ثلاث سنين ينبت من بزر الشلجم الكرنب وينبت من بزر الكرنب الشلجم وهذا أمر يعرفه الزارعون ، وإن نقعت بزر الشلجم فى عصير الزيت أو العسل ينبت حلوا طيب الطعم جداً ، والمطبوخ منه يحرك شهوة الوقاع ويضمد به العضو الخدر إذا كان حاراً ينفعه نفعا بينا ، بزره يعلق على صاحب الأبنة ينفعه .

(شوكران) سم قاتل ساقه كساق الرازيانج وورقه كورق القثاء وبزره كالأنيسون وله زهر أبيض. قال ابن سينا : يطلى به موضع النتف يمنع نبات الشعر ثانيا ويضمد به ثدى النساء فلا يعظم وينفع من نزف الدم بتجميده ، ويمرج به أعضاء المنى فيمنع من الاحتلام .

(شونيز) قال محمد بن زكريا الرازى : يرش البيب بطبيخ الشونيز يقتل براغيثه ، ويسحق الشونيز مع الصابون ويطلى به الوجه يزيل كلفه ، وإن بخرت به وبالقلقند البيت لم يدخله بق البتة . قال ابن سينا : إنه يقطع الثآليل والخيلان والبهق والبرص وينفع من الزكام طلاء ، وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة سيما مع خشب الصنوبر ، والهوام تهرب من دخانه ، وإن سحق بدهن الرشاد منع ابتداء الماء. قالوا : الإكثار منه قاتل .

(شيح) نبات أجوف العود ورقه كورق السرو . وقال ابن سينا : إنه يقتل الديدان وحب القرع ورماده بالزيت نافع من داء الثعلب . دهنه ينبت اللحم المتباطئ ويمنع من برد النافض ومن لدغ العقارب والرتيلا والسموم كلها .

(شيلم) هو الزوان يدق ويعجن ويوضع على موضع دخل فيه شوك أو سلا يجذبه ويخرجه ، ويطلى على البهق مع الكبريت ، ومع بزر الكتان يحلل الأورام والخنازير ، ومع الحنطة على القروح والقوباء ذروراً ، والبخور به يعين على الحبل .

(صعتر) إذا مضغ يسكن وجع الأسنان ويقتل الديدان وحب القرع والبرى منه ينفع من لسع الحيات ، ذكر أن القنفذ وابن عرس إذا تناهشا الأفاعى والحيات تعالجا بأكل الصعتر البرى وإنما كتب بالصاد لئلا يشتبه بالشعير .

(طرخون) هو النبت المعروف إذا مضغ أزال حس الذوق حتى لايحس الإنسان بعد مضغها بمرارة الأدوية المرة. قال ابن سينا : إنه يحدث وجع الحلق ويقطع شهوة الباه ، وأصل الطرخون الجبلى هو العاقر قرحا ، وهو نافع من وجع السن ، وإذا طبخ بالخل وأمسك فى الفم يشد الأسنان المتحركة ، ويدلك البذر به قبل نوبة النافض ينفعه ، وإذا مضغ وجعل على موضع اللسعة ينفعها نفعاً بيناً .

(عبيران) قال ابن سينا : إنه نافع من الزكام الحادث من البرودة وماؤه يحد البصر .

(عدس) إذا خلطت العدس بأى بزر كان وافقه ، فإذا أردت أن يتعجل فاجعله فى أخثاء البقر ثم ازرعه ، وزعم أن آكله يزداد ارتياحا وجدلا إلا أن الإكثار منه يورث الجذام وظلمة البصر . وقال ابن سينا : إنه مع السويق ضمادا جيد للنقرس ، آكله يرى أحلاما رديئة .

(عطلم) حشيشة يوجد من عصارتها النيل يجلو الكلف والبهق ، وينفع من داء الثعلب

والجراحات البردية والقروح العفنة ويخرج الشوك ، ومع السكر ينفع من سعال الصبيان وكذلك عصارته .

(عنب الثعلب) هو أنواع : منه أخضر الورق وأصفر الثمرة وهو مستعمل ، ومنه نوع يخدر كالأفيون ومنه قاتل ، عصارته جميعها تقوى البصر اكتحالا ، ومن المخدر اثنا عشر حبة يورث الجنون ، ومن القاتل أربعة دراهم تفعل ذلك .

(فجل) قال صاحب الفلاحة : إذا نقعت بزر الفجل فى العسل وزرعته يأتى فجله حلوا طيبا أكله يورث جشاء منتنا . قال أبو الفرج : سببه أن الفجل يلتمس الفضلات البردية فإذا ورد الفجل قطعها بأثرها فيكون النتن من الفضلات لا من الفجل كما ترى من الحمأة فإنها إذا لم تزعج فلا رائحة لها فإذا أثيرت يظهر منها رائحة منتنة ، أكل الفجل بعد الثوم رائحة الثوم يقطع ، والمداومة على أكله تنقى المعدة وإن أكلته النفساء زاد فى لبنها وإن أكله الرجال زاد فى قوة فهمهم لكنه يفسد الصوت ، وإن وضع شرخة منه على عقرب ماتت ، وإن لدغت العقرب من أكل فجلا لم تضره وهو ينبت الشعر فى داء الثعلب وداء الحية ، وأكله يكثر القمل فى البدن ويضر بالرأس والأسنان والعين ، والضماد به مع العسل يقطع الآثار الكمدة من الوجه وغيره ، وإذا ألقيته فى الشراب يفسده وعصارته يطلى بها الكلف يزيله ، وإذا طليت سلة الحواء بالنوشادر وعصير الفجل ماتت حياتها ، وإن شربها صاحب اليرقان خمسة أيام زالت صفرته ، وإن اكتحل به يحد البصر وينفع من بياض العين ، قشره يكتحل به مجففا مسحوقا يحد البصر ويهرب منه العقرب وإن طلى به الوجه أزال كلفه ، بزره يهيج الباه أكلا وينفع من السموم ، ورقه : قال ابن سينا وما سويه : يحد البصر ويزيد فى اللبن .

(عرفج) ويقال له البقلة الحمقاء لأنها تنبت فى ممر المياه : قال : ومن ترك العرفج فى فراشه نام عليه لم ير شيئا من الأحلام أصلا ، ولا يوضع على شىء من القروح إلا نفعه وينفع من الباه نفعا بينا . قال ابن سينا : تحك به الثآليل يقلعها ، ورقها ينفع من أصابه ضرس من أكل الحموضة ، بزرها إن شرب الإنسان منه مدافا بالخل يصبر على العطش طويلا ، والمسافرون يستصحبونها فى أسفارهم عند توقع فقد الماء ، والإكثار منه يقطع شهوة الوقاع والله أعلم .

(فنحكشت) نبات لعظمه كاد أن يكون شجرا ينبت بقرب الماء ورقه كورق الزيتون وله زهر : قال ابن سينا : إنه ينقى اللون ، وإذا ضمد به يزيل الإعياء والصداع ويكثر اللبن ويقلل مادة المنى ويدخن به عند شدة الشهوة للنساء ، وينفع من لسع الحيات شربا ومن عض السباع ضمادا ، ويدخن به لطرد الهوام ويجعل منه شىء فى الفراش يمنع الاحتلام .

(قويح) نبت معروف طيب الرائحة صغير الأوراق منه نهرى ومنه جبلى ، فالنهرى

يفيق المغشى عليه إذا شمه وينفع من نهش الهوام ضمادا ويطرد الهوام تدخينا ورقه يطرد الهوام ومضغه يزيل روائح الثوم وهو يقطع الباه ، والجبلى يزيل الآثار السوداء ضمادا مطبوخا بالشراب ويستحم بطبيخه للجرب والحكة وينفع من الجذام وقروح الفم والفواق واليرقان وهو جيد للدغ العقارب.

(قاتل الذئب) حشيشة لاتستعمل البتة ويقتل الذباب قتلا وحيا .

(قاتل الكلب) حشيشة تجذب الرعاف وتقتل الكلاب بسرعة كما ذكر .

(قتاد) شجرة مشوكة معروفة تتخذها الناس وقودا إبرها طويلة حادة جدا يقال للأمور الصعبة دونها خرط القتاد ، صمغها الكثير ينفع من السعال وقرحة الرئة ويصفى الصوت ، والله الموفق .

(قت) علف الدواب دهنه أنفع شىء للرعشة .

(قثاء) قال صاحب الفلاحة : إذا أردت أن يكون القثاء على صورة شىء من الحيوانات فخذ قالبا للصورة التى أردت واجعلها فيه وهى صغيرة واستوثق منها ربطا بحيث لا يدخل القالب ريح ولا غبار فإنها إذا عظمت فيه كانت على صورة القالب التى جعلتها فيه ، وإذا عبرت طوامس النساء بالقثاء تغيرت وذبلت وفسدت ، وإن أصاب بزرها رائحة الدهن صارت ثمرتها مرة وإذا نقعت بزرها بالعسل واللبن تكون ثمرتها حلوة طيبة. قال ابن سينا : إنه ينفع من عضة الكلب الكلب أكلا ، ثمرتها تسكن العطش وتقوى المثانة وتنفس حرارة المغمى عليه ، بزرها يدر البول ويحسن اللون طلاء ويطفىء حرارة الصفراء .

(قرطم) نبت يقال له بالفارسية كاثه يره . قال ابن سينا : بزره ينقى الصدر ويصفى الصوت وينفع من القولنج ، وإذا أكل بتين أو عسل ينفع من الباه ، زهره هو العصفر ينقى الكلف والبهق ويطلى بالخل على القوباء .

(قطن) زعموا أن عصارة ورقه إن سقى لصبى به إسهال نفعه جدا ؛ ثمرته إن كانت ناعمة تنعم البدن وإن كانت خشنة لبسها يهزل البدن ، وينفع المبرودين لبسها ، قشر جوزها محروقا ينفع لقرحة اللثة والفم نفعا بينا .

(قنابرى) يجلو الكلف والبهق وهو أنفع شىء للبرص أكلا وضمادا يذهبه فى أيام يسيرة ، وورقه ضمادا لقروح الثدى الخشنة وللسع الهوام كلها .

(قنب) منه برى ، ومنه بستانى ، فالبرى طول شجره ذراع ، ورقها يغلب عليه البياض وثمرتها كالفلفل ، والبستانى هو الشهدانج ورقه البنج إذا أكل منه شىء يخلط العقل ويفسد الذكر ويحدث بالمحرورين خناقا أو جنونا وهو مخدر يقطع النزف ويسكن بتخديره الأوجاع الضربانية حتى وجع النقرس طلاء وشربا ، بزره يسكن أوجاع العين وكذلك عصارته ،

قال ابن سينا : إنه يصدع ويظلم البصر واستكثاره يخفف المنى ، وقال غيره : إنه يطرد الرياح ودهنه دواء جيد لوجع الأذن من البرودة .

(قنبيط) هو الكرنب . قال صاحب الفلاحة : إذا زرع فى الأرض السبخة كبر جرمه ويطيب طعمه ولا يتدور ورقه مع قضبانه ، يدق ويوضع على جبهة الحزين يفرج عنه ، ومن أكل منه يرى منامات هائلة ، وإن اعتادت الصبيان أكله أسرع نباتهم ، ويصفى صوت من به بحوحة ولذلك يديم عليه أصحاب الغناء . وقال ابن سينا : القنبيط يسقط الأوجاع وينفع من الرعشة ومنوم جدا ومظلم للبصر ، بزره يدخن به المناخس والبساتين يقتل دودها ، وإذا احتملته المرأة بعد الجماع أفسد المنى ، وأكله يزيد فى مادة المنى .

(قيصوم) نبت طيب الرائحة والحيات تهرب منه ومن رائحته فإن زرعته حوالى القرية لايبقى فيها حية : قال ابن سينا : ينفع من إنبات اللحية البطيئة النبات إذا طبخ ببعض الأدهان ويدر الطمث ويخرج الجنين ينفع من عسر البول ومن النافض إذا مزج بالدهن ، وإذا افترش طرد الهوام وإذا سقى بالشراب نفع من السموم كانها .

(كاوزوان) معناه لسان الثور . قال ابن سينا : خاصيته التفريح وإزالة الغم .

(كتان) هو النبات المبارك الذى يتخذ منه الثياب ثيابه تنعم البدن وتخصبه سيما فى الصيف ولأصحاب الأمزجة الحارة دخان الكتان ينفع من الزكام ، بزره يسكن الأوجاع ضمادا ومع النطرون والتين ينفع من الكلف ومع الشمع ينفع من برص الأظافر .

(كراث) منه شامى ومنه نبطى . قال صاحب الفلاحة : من أراد زرعه فلينثر بزره ثم يسقيه بعد ثلاثة أيام ليكون نبته قويا ، وإن أردت أن يكون أصله قويا جدا تجعل فى كل بعرة من بعر الغنم ثلاث حبات فإنه ينبت أقوى ما يكون ، والكراث يدق ويوضع على لسع العقرب والزنبور يسكن وجعه فى الحال ، وإدامة أكله تورث ظلمة البصر . قال ابن سينا : الكراث الشامى يذهب بالنآليل والبثرات وأكله يفسد الثة والأسنان ويضر بالبصر ، والنبطى ينفع البواسير مصاوقا مأكولا وضمادا ويحرك الباه ويوضع على الجراحات الدامية يقطع دمها وأصحاب الألحان يستعملونه لتصفية أصواتهم .

(كرسنة) حب فى حجم العدس إلا أنه غير مفرطح بل مضلع ولونه ما بين الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس . وقال ابن سينا : هو طلاء جيد للبهق والكلف والبرص ويحسن اللون ودقيقه يسمن المهازيل يضمد بالشراب على نهش الأفاعى وعضة الكلب الكلب والإنسان الصائم .

(كرفس) منه برى ومنه بستانى ، يطيب النكهة ويهيج شهوة الباه للرجال والنساء ويوضع على العضو المرتعش يسكن . قال ابن سينا : البستانى يطيب النكهة ويستعمله من يشاور

الملوك سرا وينفع من الجرب والقوباء وإذا لدغت العقرب آكله يشتد الأمر به ، فينبغى أن يتجنب أيام ظهور العقارب ، عصارته تنفع من ظلمه العين اكتحالا أصله يعلق على الرقبة ينفع من وجع السن ، بزره ينفع من الاستسقاء وعسر البول ويخرج المشيمة ، وإذا بخر به عند قوم سدروا وناموا ، وهو ينفع من وجع السن والفواق الذى عن الامتلاء .

(كراويا) قال ابن سينا : ينفع من الرياح ويطردها وينفع من الخفقان وهو جيد لقتل الديدان والمغص الشديد .

(كزبرة) قال بلیناس : يقلع الكزبرة بأصلها قلعا رفيقا ويعلق على فخذ صاحبة الطاق تضع فى الحال . قال ابن سينا : رطبه ينوم ويولد ظلمة البصر ويابسه يكسر قسوة الباه ويخفف المنى وعصارته مع اللبن تسكن الضربان الشديد والإكثار منه رطبا ويابسا يخلط الذهن ، بزره ينفع من لسعة الزنبور ، يتناول منه ثلاث راحات يسكن الوجع ويزيل رائحة البصل والثوم ، وقال بلیناس : يبخر به البيت تهرب الحيات والعقارب منه .

(كلواشة) حشيشة يلقى شىء منها فى الفراش تجد البراغيث كلها لا تقدر على الظهور ولا على أذى فتؤخذ حينئذ بسهولة .

(كمون) قالوا : إن الحمام يحبه فإذا أردت أن تألف لمسكنها فاطرح شيئا من الكمون قبل أن يخرج لطلب العلف فإنها تزداد حبا لمسكنها والنمل تهرب من رائحته . قال ابن سينا : إذا غسل الوجه بمائه صفاه وإن استكثر من أكله يورث صفرة الوجه وإذا سحق بالخل واشتم قطع الرعاف وعصارته تجلو البصر ، ويؤخذ الكمون والملح سواء ويجعل أقراصا ويترك فى وسط الدقيق الدرمك يبقى زمانا طويلا لا تصيبه آفة أصلا .

(كمأة) نبات يتولد من تحت الأرض لا بزر لها ولا عرق لكنه ينبطح كالجواهر فى أعماق الأرض جاء فى الحديث « إن الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » وإنما شبه بالمن لأنه ينبت فى الأرض بلا تعب كما أن المن يقع من الهواء من غير تعب ، والعرب تقول : إن الكمأة تبقى فى الأرض فيمطر عليها مطر الصيف فتستحيل أفاعى ، ومنه نوع يتولد فى ظل شجرة الزيتون يسمى القطر وهو نوع سم قاتل . قال ابن سينا : الكمأة يخاف منها الفالج والسكتة ، وماؤها يجلو العين كما هو مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال غيره : يورث القولنج وعسر البول .

(لبلاب) ويقال له حبل المساكين يلتف على الشجرة ويرتقى منه خيوط دقاق وورق رقاق طوال ، ينفع من الصداع المزمن ، ورقه بالخل ينفع من الطحال . قال ابن سينا : لبن اللبلاب يحلق الشعر ويقتل القمل .

(لسان الحمل) نبات يشبه لسان الحمل فى شكله . قال ابن سينا : أصله يعلق على صاحب

الخنازير ينفعه ، وطبيخ أصوله ينفع من وجع السن مضمضة ، والعدسة التى يكون فيها لسان الحمل بدل السلق تنفع من الصرع ، وقيل إنه نافع من حمى الربع .

(لسان العصافير) نبات يشبه لسان العصافير ، ورقه يدمل الجروح : قال ابن سينا : ينفع من الخفقان ويزيد فى الباه .

(لصف) يقال له بالفارسية كبر ، ثمرته تشبه القثاء يجعل فى العصير يحفظه من الغليان قشورا ، أصله نافع من عرق النسا ومن الفالج والخدر ، ويعض على قشوره بالسن الوجعة ينفعها سيما إذا كان رطبا ، ورقها ينفع من البواسير ويزيد فى الباه وهو ترياق السموم ، ويقطر ماؤه فى الأذن التى فيها دبيب يقتله ، ويطلى به البهق يزيله .

(لقاح) منه نوع أبيض الورق لاساق له يقال هو الذكر ، ثمه كثيرا يورث السكتة ، ورقه يدلك به البرص أسبوعا يزيله من غير تفريح ، وثمه ينفع من الصداع لكنه يبلد الحواس وينوم وبزره إذا خلط بكبريت لم تمسه النار . أصل اللقاح البرى اليبروح وهو على صورة الإنسان ، الذكر كالذكر والأنثى كالأنثى ، زعموا أن من قلعه مات فإذا أرادوا ذلك شدوه فى كلب أو حيوان خسيس حتى يمشى به ويقلعه ، يجعل ضمادا للأورام الصلبة والخنازير والدماميل وأوجاع المفاصل يبرئها ، ومن احتمل منه شيئا أسبته ويتخذ ذلك لدفع السهر . قال ابن سينا : من احتاج إلى قطع عضو والعياذ بالله يسقى من ذلك ثلاث لولوسات فى شراب فيسبته ولا يكون له حس عند القطع .

(لوبيا) نبت معروف . قال ابن سينا : من أكله يرى أحلاما رديئة ، وقال غيره : يخصب البدن ويخرج المشيمة والجنين الميت ويدر الطمث وينقى من دم النفاس .

(لينوفر) نبات طيب الرائحة ينبت فى الآجام والمياه القائمة فى فضاء ويغيب النهار كله ويظهر بالليل . قال ابن سينا : إنه منوم مسكن للصداع الحار لكنه يكمد شهوة الباه ويجمد المنى لخاصية فيه ، بزره يذهب البرص طلاء بالماء وأكله يضعف الباه وإذا جعل على داء الثعلب أبرأه .

(ماش) هو النبت المعروف . قال ابن سينا : إنه مضر بالباه . وقال غيره : يضمد به الأعضاء فيسكن وجعها ويضعف الأسنان .

(مازريون) حشيشة معروفة من اليتوعات منها صغير وكبير ، فالكبير يشبه ورق الزيتون والأسود منها قتال جدا وجميع أصنافها يستعمل للبهق والبرش والبرص طلاء ويخلط بها الكبريت ليكون أبلغ . قال ابن سينا : يسقى بالشراب لنهش الهوام فإذا خلط بالسويق وجمع بماء أو زيت قتل الفأر والكلاب والخنازير والقاتل للناس درهان . وقال غيره : يقتل السمك فى الماء ويدفع الاستسقاء ، وإذا سقى العليل منه درهما فإنه يسهله إسهالا محكما يزيل عنه

الاستسقاء لكن العلاج بها خطر جدا : وذكر القاضى أبو على التنوخى أن بعض من ابتلى بالاستسقاء عجز الأطباء عن علاجه فأيقن بالهلاك وترك المعالجة والاحتماء ، فاجتاز عليه رجل فى دروب بغداد يبيع الجراد المقلى فاشترى منه وأكل كثيراً فانحل طبعه ثلاثة أيام ثم عاد إلى حاله وعوفى ، فسأله الطبيب عن حاله فذكر له أكل الجراد ، فقال لصاحب الجراد من أين أخذته ؟ فقال : من الموضع الفلانى ، فذهب إليه فرأى أكثر نبته المازريون ، فعلم الطبيب أن الجراد قد أكل منه فنقصت قوة المازريون ثم نضجت فنقصت شيئا آخر فأكلها الرجل وقد اعتدلت فصارت سبب النجاة لمن عجز الأطباء عن علاجه — إن الله على كل شى قدير — .

(ماهيزهرج) نبات له قضب دقيقة مستوية ورقه كورق الطرخون شديد الشبه بالشبرم إلا أنه أطول فى لونه غبرة إلى صفرة يعده الناس من اليتوعات إذا طرح منه فى الغدير أسكر السمك وأطفاها ، وهو نافع من النقرس ووجع المفاصل والظهر .

(مرزنجوش) نبت طيب الرائحة . قال ابن سينا : نافع من الشقيقة والصداع ، وطبيخه ينفع من الاستسقاء والمغص وعسر البول ، ومع الخل ضمادا للسع العقارب ، وبزره يسقى لمن به لسعة الزنبور قدر درهم يسكن وجعه فى الحال ، دهنه ضماد للفالج ، يابسه يطلى بالعسل على كهبة الدم واخضراره خصوصاً لجرب العين .

(ناردين) هو السنبل الرومى ورقه كورق العصفر وأغصانه صفر ملس ولا ساق له ولا زهر ولا ثمر ، ينبت أهداب العين إذا جعل فى الأكحال ، ودرهم منه ينفع من الفالج واللقوة .

(نانخواه) نبت معروف . قال صاحب الفلاحة : من عنف الغنم منه فى الشتاء كثرت نطفها وولدت إناثها توأما وازدادت أصوافها وألبانها ولم يتعرض لها القراد ، وكذلك نحل العسل إذا حرثت منه وهو نافع من كل لدغ ولسع . قال بلبناس : من أدام النظر إليه اصفر وجهه . قال ابن سينا : شربه والطلاء به يحيل اللون إلى الصفرة ، وهو من أدوية البهق والبرص ويعجن بالعسل لكهوبة الدم ضماداً ، وطبيخه يصب على لدغ العقارب يسكن ويشرب للدغ الهوام .

(نرجس) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « شموا النرجس فما منكم إلا من له بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أوجذام لايذهبها إلا شم النرجس » وقال جالينوس : من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس فإن الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح . وقال صاحب الفلاحة : إذا قطعت بصل النرجس قطعاً صليبيا أوعبرت فيه شوكتين عبوراً ثم زرعته نبت نرجساً مضاعفا . وزعموا أن من قطع نظره على النرجس حالة

المجامعة تنعقد شهوته عقدا لاينحل ، وإذا وضعت بصلة على الجراحة التأمت شقوقها . وقال ابن سينا: إنه يخرج الشوك والسلا سيما مع دقيق السلم والعسل ، زهره يجلو الكلف والبهق وينفع من الصداع ، وأكله يهيج القيء ، وإذا شرب منه أربعة دراهم مع ماء العسل أسقط الأجنة الأموات .

(نسرين) قال ابن سينا: البستانى منه يقتل ديدان الأذن وينفع من الطنين والدوى وأوجاع الأسنان ، والبرى منه يطلى به الجبهة يسكن الصداع وينفع من الفواق .

(نعنع) قال ابن سينا : إنه يقوى المعدة ويسكن الفواق ويعين على الباه ، والمرأة إذا احتملته قبل الجماع يمنع الحبل ، ويضمد به الجبهة ينفع من الصداع ومن عضة الكلب الكلب ، عصارته بالخل تمنع سيلان الدم من الباطن . وقال غيره : إذا شرب بالخل يحرك شهوة الباه ويقوى المعدة ويسكن الفواق والامتلاء .

(هليون) حشيشة لها ورق ، وبزره منه جبلى ومنه سهلى . قال ابن سينا : ورقه يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعرق النسا ، وهو نافع من الفالج الريحى ، أصله يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعسر البول وعسر الحبل ويزيد فى الباه وفى مادة المنى ، بزره جيد لوجع الضرس ويدر الطمث ويضر بالمعدة .

ومن الحكايات العجيبة ما حكى لى صديق أربلى أن بجبال أربل هليونا كثيراً ، وكان عامل تلك الناحية يتخذ منه كل سنة شرابا يبعثه إلى صاحب أربل ، فوقع الأكراد اللصوص على القافلة ونهبوهم ورأوا آنية الشرب فحسبوا أنها عسل فأكلوا منها وأفرطوا فغلبهم الإسهال حتى ضعفوا وعجزوا عن الحركة ، فمر عليهم بعض المارين فلما رآهم على تلك الحالة أخبر صاحب أربل بحالهم فبعث إليهم من حملهم إلى أربل مطروحين على الدواب ، فاستقبل الناس دخولهم يضحكون بهم ويقولون هم سكارى هليون .

(هندبا) قال على كرم الله وجهه ورضى عنه : فى كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة . قال ابن سينا : يضمد به النقرس ينفعه وينفع من الرمد الحار ، ولبن الهندبا البرى يجلو بياض العين أصله مع ورقه ضماداً للسع العقرب والحية والزنبور وسام أبرص ، وينفع من حمى الربع .

(ورس) نبت يزرع باليمن يشبه السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتتت خريطته فينفض منها الورس ويزرع نبته ، يبقى عشرين سنة ، وينفع من الكلف والنمش طلاء فإذا شرب نفع من الوضح وفتت الحصا .

(يقطين) هو القرع إذا أردت أن يعظم القرع فدع بزره على الأرض معكوساً عند الزرع . وقال على رضى الله عنه : إذا طبختم اللحم فأكثروا القرع فيه فإنه يسلى القلب الحزين .

ومن خواصه أن الذباب لايقع على شجرته ، ولما خرج يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لدفع الذباب حتى صلبت بشرته ، والله الموفق للصواب .

وليكن هذا آخر مقالة النبات ، والله تعالى أعلم .

(النظر الثالث فى الحيوان)

أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهى باقية على الجمادية لقربها من البسائط ؛ والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشو والنمو وقوات الحس والحركة ، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان حتى فى الذباب والبعوض ، أما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المفسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافى فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فإذا هو بلا يد ولا رجل . وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يكفيه فى جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك بها إلى الغذاء ، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشى إليها فمات جوعا كشجرة لاتجد الماء حتى تجف ، ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقى فى مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق ، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه :

(فمنها) ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس .

(ومنها) مايسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور .

(ومنها) ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفد والشاهين والسلحفاة .

(ومنها) مايحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام ، ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء مايتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لازائدا ولا ناقصاً ، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة .

روى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله تعالى خلق فى الأرض ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة منها فى البر » وقال بعض المفسرين : من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى — ويخلق مالا تعلمون — فليوقد ناراً فى وسط حقله بالليل ثم لينظر مايغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صوراً عجيبة وأشكالا

غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا منها فى العالم على أن الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها — وما يعلم جنود ربك إلا هو — فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه .

ولنذكر الآن بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها إن شاء الله تعالى :

(النوع الأول : فى حقيقة الإنسان ؛ والنظر فيه أمور)

(النظر الأول : فى حقيقة الإنسان)

اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ، ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحا وبدنا وخصصه بالمنطق والعقل سراً وعلانية وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى ، وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة ، وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميره والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك مريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته ، والحواس يسافرون فى جميع الأوقات فى عالمهم ويلتقطون الأخبار الموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة ، وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف ؛ فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ، ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان ، ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجمعا لهذه المعانى فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها ، فإن كان قد صرف همته إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول ، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر أو شرها كخنزير أو جزعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبراً كنمر أو ذاروغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطانا مريداً ، وإن كان صرف همته إلى الجهة الملكية فيكون متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مرادا من قوله عز وجل — وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، والله الموفق للصواب .

(النظر الثانى : فى النفس الناطقة)

قالوا : هو كما أول النفس الطبيعى إلى جهة ما يعقل من الأمور الكلية .

واعلم أن الإنسان حال ما يكون شديد الاهتمام بالشىء يقول قلت كذا وفعلت كذا وهو فى هذه الحالة عالم بذاته غافل عن جميع أعضائه الظاهرة والباطنة ، والمعلوم فى هذه الحالة

هو النفس وإنه متقلد لهذه التكاليف متعرض لخطر الثواب والعقاب باق بعد الموت إما فى نعيم وسعادة كما قال الله تعالى — بل أحياء عندربهم يرزقون فرحين — وإما فى جحيم وشقاوة كما قال عز من قائل — النار يعرضون عليها غدوا وعشيا — وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم بدر لما قتل صناديد قريش وألقوا فى قليب بدر «يا عتبة ياشيبة قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل: يا رسول الله تناديهم وهم أموات؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع منهم لكلامى لكنهم لا يقدرون على الجواب» وهذه النفس فى البدن كالوالى فى مملكته والقوى والأعضاء كالخدم له وهو متصرف فيها وإنها مجبولة على طاعته لا تستطيع مخالفته ، فالبدن مملكة النفس ومدينته والقلب واسطة المملكة والأعضاء كالخدم والقوى الباطنة كصناع المدينة والعقل كالوزير المشفق الناصح ، والشهوة طالب أرزاق الخدم ، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودأبه أبدا منازعة الوزير الناصح ، والقوة المتخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن واللسان كالترجمان والحواس الخمس جواسيس وقد وكل كل واحد منهما بأخبار صقع من الأصقاع ، فقد وكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه الأصقاع ويردونها إلى الحس المشترك الذى هو صاحب البريد وهو يسلمها إلى الخازن والخازن يحفظها لتستعمل النفس منها ماتحتاج إليه وقت حاجتها فى تدبير مملكته ، وهذه النفس أبدى الوجود لكنه منتقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار . وقد ذكر على رضى الله عنه فى بعض خطبه : إنما خلقتم للأبد من دار إلى دار تنتقلون من الأصلاب إلى الأرحام ومن الأرحام إلى الدنيا ومن الدنيا إلى البرزخ ومن البرزخ إلى الجنة أو النار ثم تلا قوله عز وجل — منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى — وقال الشيخ الرئيس فى تعلق النفس بالبدن واستئناسه به ومفارقته إياه شعرا :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر ... وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما استأنست ... أنفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... ومنازلا بعراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها هاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكى إذا ذكرت عهودا بالحمى ... بمدافع تهمى ولما تقطع
إذ عاقها شرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح المربع

وتظل ساجمة على الدمن التى ... درست بتكرار الرياح الأربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف الدب غير مشيع
سمعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وعدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأى شىء أهبطت من شاهق ... سام إلى قرع الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة ... طويت عن العبد اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتكون عالمة بكل حقيقة ... فى العالمين وخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يطلع

زعموا أن هذه النفوس فى هذا العالم الجسمانى وما قد ابتلى به من آفات هذا البدن كرجل حكيم فى بلد أو قرية وقد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة سيئة الخلق وهى فى أكثر الأوقات تطالبه بالمأكول الطيب والمشروب اللذيذ والثياب الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المردية وإن ذلك الحكيم من شدة محنته بعظم محبتها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته إلى إصراف أمرها وأكثر عنايته إلى إصلاح شأنها ، وقد نسى أمر نفسه وإصلاح شأنه وبلدته وأقاربه الذين نشأفيهم ونعمته التى كان فيها ، ولا راحة لهذا الحكيم إلا بمفارقة هذه المرأة والتسلى عن حبها ، ولكنه إن سمع هذا الحديث تنشق مرارته من خوف مفارقتها ، ولا يخفى أن النفوس جواهر روحانية لاحاجة لها إلى الأكل والشرب واللباس والنكاح فإن كل ذلك مما يحتاج إليه البدن فى قوم وجوده ، والنفس مادام مع هذا البدن تكثر همومه لإصلاح هذا البدن ولا راحة للنفس دون مفارقته كما قلنا إن الحكيم المبتلى بحب المومسة لاراحة له إلا بمفارقتها والسلو عنها ، والله المستعان ، وعليه التوكل .

(فصل : فى نفوس عجيبة التأثيرات)

ذهب أهل الحق إلى أن النفوس مختلفة بحسب جواهرها ، فمنها نفوس علوانية نورانية لها شعور بعالم الأرواح فتستفيد بالفيض من عالم الأرواح أمورا عجيبة ، ومنها نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسمانية لاحظ لها من عالم الأرواح . وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحته أنواع وتحت كل نوع أفراد لايخالف بعضها بعضا إلا بالعدد وكل نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية وهذا هو الذى تسميه أصحاب الطلسمات بالطباع التام ، ويزعمون أنه يتولى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات وتارة بالإلهامات وتارة بالنفث

فى الروح ، فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع فى نفوسهم أنواع الفضائل ونفى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم وأظهر عليها الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم .

(ومنها نفوس الأولياء) فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا فى مقامات الزهاد والعباد والعارفين من شفاء المرضى باستشفائهم وسقى الأرض باستسقائهم وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم وتبدل نفرة الطيور بالهدو والوقوع وصولة السباع بالبصبصة والخضوع ، وإلى غير ذلك من الأمور التى تحكى عنهم .

(ومنها نفوس أصحاب الفراسة) وهى نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة وإنه استدلال صحيح ، وقد قال الله تعالى — إن فى ذلك لآيات للمتوسمين — وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

حكى أبو سعيد الخراز قال : رأيت فى الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس فى ذلك وقال — واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه — فندمت على ذلك واستغفرت فى نفسى فقال — وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات — .

وحكى أن الشافعى رضى الله تعالى عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلا ، فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر : بل حداد ، فسألا عنه فقال : كنت حدادا قبل هذا والآن صرت نجارا .

وحكى عبيد الله بن ظبيان وكان أميرا من أمراء العراق فنادى إنه كان يترصد الفتك بالحجاج مدة . قال : فظفرت به يوما كان واقفا على باب داره وحده فقلت فى نفسى الآن وقته فتفرس ذلك فى وبقى بينى وبينه مقدار رمح ، فقال لى : أخذت كتابك من فلان ؟ فقلت : لا . قال : امض إليه فإن كتابك معه ، فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمى وانصرفت لطلب الكتاب فأدركنى عدوانه .

(ومنها نفوس أصحاب القيافة) والقيافة على ضربين : قيافة البشر ، وقيافة الأثر : أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ، ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم بنومدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشر بن امرأة فيهن أمه يلحقه بها .

(حكى) بعض التجار قال : ورثت من أبى مملوكا أسود شيخا فكنت فى بعض أسفارى راكبا على بعير والمملوك يقوده ، فاجتاز علينا رجل من بنى مدلج أمعن فينا نظره وقال : ما أشبه الراكب بالقائد ، فوقع فى قلبى من قوله ما وقع حتى رجعت إلى أمى وأخبرتها بما قال المدلجى ، فقالت : صدق والله المدلجى ، اعلم يا بنى أنه كان زوجى شيخا كبيرا

ذا مال لم يولد له ولد ، فخشيت أن يفوت ماله عنا بموته فكنت نفسى من هذا المماوك الأسود فحملت بك ، ولولا أن هذا شىء ستعلمه فى الآخرة ما أخبرتك فى الدنيا .

(وأما قيافة الأثر) فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر ، وقد اختص هذا الاستدلال بقوم فى المغرب أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تبعوا آثار قدميه حتى يظفروا به . ومن العجب ما حكى أنهم يعرفون أثر قدم الشاب من الشيخ والرجل من المرأة والغريب من المتوطن .

(ومنها نفوس الكهنة) وهى نفوس تتلقى الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات التى تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات .

حكى أن ربيعة بن نصر اللخمى رأى رؤيا هائلة فبعث إلى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها فقالوا : ليبعث الملك إلى سطيح وشق فلا يجد أعلم منهما بها فبعث إليهما فقدما ، فقال الملك لسطيح : رأيت رؤيا هالتنى فأخبرنى بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها ، فقال سطيح : رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض نعمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال الملك : ما أخطأت منها شيئا فما تأويلها ؟ فقال : ليهبطن بأرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين وجرش ، فقال الملك : يا سطيح إن هذا لغائظ ، فأخبرنى متى هو كائن أفى زمانى أم بعده فقال : بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعين أو يخرجون منها هاربين ، فقال الملك : ومن الذى يملك قبلهم ؟ قال : ابن ذى يزن يخرج عليهم من عدن ولا يترك منهم أحدا باليمن . قال الملك : أيدوم ملك ذلك أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى كريم عظيم يأتيه الوحى من قبل العلى . قال الملك : ومن هذا النبى ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبر به ؟ قال : نعم ، والشفق والقمر إذا اتسق إن ما نبأتك به لحق . فلما فرغ من حديثه دعا بشق وخاطبه مثل ما خاطب سطيحا وكتم جواب سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان ؟ فقال شق : رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فأكلت منها كل ذات نسمة ، فعلم الملك اتفاقهما . فقال : ما أخلت بشىء منها يا شق فما تأويلها ؟ قال : لينزلن أرضكم السودان وليملؤن ما بين أبين ونجران ، فقال الملك : إن هذا لغائظ ، فمتى هو كائن فى زمانى أم بعده ؟ فقال : بل بعده بزمان ثم ينقذكم منه عظيم ذوشان ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال ، غلام من بنى ذى يزن يخرج من عدن . قال الملك : أيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول من الرسل يأتى بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يبقى الملك فى قومه إلى

يوم الفصل ، ثم إنه اتفق استيلاء الحبشة على اليمن وملكوها إلى أن جاء سيف بن ذى يزن إلى كسرى واستنجده فأمده بعساكره برا وبحرا وقتلوا الحبشة قتلا ذريعا وأخرجوهم من اليمن ، وملكها سيف بن ذى يزن فاجتمع على بابه رؤساء العرب ودخل عليه عبد المطلب ابن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأكرمه وخلع عليه وقال : إنا نجد فى كتبنا أن هذا الملك صائر إلى أحد أولاده فليتنى كنت أدركه .

(ومنها نفوس أصحاب العرافة) وهى نفوس تستدل ببعض الحوادث على بعض لمناسبة بينهما أو مشابهة خفية :

كما حكى أن الإسكندر تملك بعض البلاد فدخل هيكلها فوجد فيها امرأة تنسج ثوبا فقالت : أيها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض ، ثم دخلها والى بلدها فقالت له : إن الإسكندر سيعزلك ، فغضب الوالى فقالت : لاتغضب إن النفوس تعلم أمورا بعلامات فإن الإسكندر لما دخل كنت أدبر طول الثوب وعرضه ، وأنت لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه فكان الأمر كما قالت .

وحكى أن سيف بن ذى يزن لما استنصر بكسرى على قتال الحبشة بعث إليهم كسرى فى جند عظيم برا وبحرا ، فخرج إليهم ملك الحبشة مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ، فتصادف القوم وكان بين عينى مسروق بن أبرهة ياقوتة حمراء معلقة من تاجه بعلاق من الذهب تضىء كالنار وهو على فيل عظيم فقاتل عليه ساعة ثم نزل عن الفيل وركب جملا ساعة ثم نزل عن الجمل وركب فرسا ساعة ، ثم أنف من محاربتهم على الفرس استصغارا لأصحاب سيف فدعا بحمار فركبه ، فتأمل هرمز ذلك وقال : احملوا عليه فإن ملكه قد ذهب انتقل عن كبير إلى صغير ، فحملوا عليهم وكشفوا الحبشة فأخذتهم السيوف من كل جانب وقتلوا مسروق بن أبرهة وخواصه .

وحكى عن على رضى الله عنه أنه لما جلس للبيعة فأول من بايعه طلحة بن عبيد الله ؛ فبايعه بيده وكانت يده شلاء فتطير منها على رضى الله عنه وقال ما أخلقه أن ينكث ، فكان كذلك ولم تصف له الخلافة إلى أن درج إلى رحمة الله تعالى .

وحكى إبراهيم بن المهدى قال : بعث إلىّ الأمين فسرت إليه فإذا هو جالس فى طارم خشبها عود وصندل مزين بأنواع الحرير والديباج الأخضر والذهب الأحمر ، وإذا سليمان ابن منصور معه فى القبة وبين يدى الأمين قدح من باور مخروط وكان شديد الإعجاب به فقال : إنما بعثت إليكما لما بلغنى وصول طاهر بن الحسين إلى النهروان وقد صنع فى أمرنا من المكروه ماصنع فدعوتكما لأفرج همى بكما ، فأقبلنا نحدثه فدعا بجارية تسمى صعب ، فتطيرنا بها لاسمها فأمرها أن تغنى فغنت :

أبكى فراقهم عينى فأرقها إن التفرق للمشتاق بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فزجرها وتطير من قولها وقال لها: لعنك الله ماعرفت غير هذا؟ فقالت: ياسيدى ماقصدت إلى ما نطقت إلا أنك نحبه فعاد إلى حزنه، فأقبلنا نحدثه إلى أن ضحك، ثم أقبل وقال لها: هاتى ما عندك فغنت:

همو قتلوه كى يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

فزجرها وعاد إلى الحالة الأولى فسلیناه حتى عاد إلى الضحك، وأقبل عليها فى الثالثة وقال لها: غنى فغنت:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا شديدة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا دار نجم السماء فى فلك
إلا بنقل النعيم عن ملك قد انتهى ملكه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها، قومى لعنك الله، فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته، وكانت ليلة مقمرة ونحن على شاطئ دجلة فقمنا متعجبين مما شاهدنا متفكرين فى أمره فسمعنا قائلا يقول – قضى الأمر الذى فيه تستفتيان – وكان ذلك آخر الاجتماع به.

وحكى صاعد بن محمود النهاوندى أنه كان ببغداد عراف من الطرقيين يخبر بأشياء قلما يخطئ فيها، فجاءه رجل وقال له: إن لى مسألة إن أصبت فيها فلك كذا وكذا، فقال: سلها، فقال: إن أخرجتها لك لا أطمئن إلى جوابها، فمكث يسيرا ثم قال: تسألنى عن محبوس؟ فقال: أصبت والله فأخبرنى عن حبسه؟ فقال الشرط أملك إذا وفيت بالوعد أخبرتك بحاله فمضى الرجل إلى بيته وأتاه بماوعده به وقال: أخبرنى عن حبسه؟ فقال: إنه يخرج عن قريب ويخلع عليه، فلم يمض أيام حتى كان الأمر على ما قال، فأتى السائل إلى العراف وقال له: أخبرنى بكيفية معرفتك أمر هذا المحبوس؟ فقال له: اعلم أنى إذا سئلت عن شىء أنظر أمامى وعن يمينى وعن يسارى فإن رأيت شيئا يكون بينه وبين المسئول مناسبة أو مشابهة أجبت على وفق ذلك، فإنك لما سألتنى رأيت قربة فيها ماء مع رجل سقاء فقلت السؤال محبوس ولما سألتنى ثانيا رأيت تلك القربة بعينها قد أفرغت وألقاها الرجل السقاء على منكبه فقلت يخرج ويخلع عليه، والله أعلم بغيبه.

(النظر الثالث فى تولد الإنسان)

اعلم أن الغذاء إذا ورد المعدة وأثرت فيها القوة الهاضمة تصفيه وتجذب ما فيه إلى الكبد فالكبد يقسمه على جميع البدن وما فضل من الغذاء فى الهضم الأخير يبعث إلى النخاع ومن النخاع إلى الأنثيين فيستحيل فيهما إلى طبيعة المنى يدغدغ ويهيج اضطراب القدم فلا يسكن إلا بنفض تلك المادة فيكون ذلك سبب اجتماع الذكر والأنثى ، فإذا حصلت النطفة فى الرحم صار نطفة الذكر والأنثى ممتزجين على شكل كرة فتنعقد عليها بحرارة الرحم قشرة رقيقة كما ترى فى العجين إذا وضع فى شىء حار وتتشبث بها أفواه العروق التى يرد منها دم الحيض إلى الرحم ، ثم إن القوة المصورة بإذن الله تعالى تجمع دهنية النطفة فتأخذ منها حصة إلى الوسط إعداداً للقلب ومن عن يمينه حصة الكبد ومن أعلاه حصة الدماغ ، ثم تخلق السرة متصلة بوريد وشريان وهذا يتم فى ستة أيام ، ثم تأخذ فى التخطيط والتنقيط ويتم ذلك إلى خمسة عشر يوما ، ثم ينفذ دم الحيض فى جميع الكرة فيصير علقة ، وبعده باثنى عشر يوما تصير الرطوبة لحما متميز الأجزاء وتمتد رطوبة النخاع فإنه أساس البدن ، وبعده بسبعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن إلى أربعين يوما ، ثم تظهر عظامه وتكسى باللحم المتولد من دم الحيض كما قال الله تعالى — ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين — .

(فصل : فى وضع الجنين فى الرحم)

قال بقراط : إنه جالس ورأسه على ركبتيه وعضداه ملتصقتان بأضلاعه ويداه حاملتان لرأسه ، ورأسه نحو رأس الأم ورجلاه نحو رجليها مقبوض الأعضاء على غاية مايمكن من الهندام ووجهه إلى صلب حاملته وصلبه إلى مراقها وكونه على هذا الوضع بعناية الله عزوجل وذلك أن الرأس أثقل من سائر الأعضاء فاحتيج إلى مايحمله فأسند بالركبتين والركبتان ضعيفتان رطبتان خفف عنهما بأن عاونتهما اليدان فى الحمل ، وصير الوجه إلى جانب صلبها ليكون أحفظ من المصادمات بدفع الصلب إلى جهة مراقها لأن صلبه أبعد عن قبول الآفة لأن هذا الوضع موافق جدا لسهولة الولادة لأن رأسه إذا كان قريبا من رجليه وانحل الرباط من الرحم جاء على رأسه ثقيل يهوى إلى أسفل بسرعة ، وأيضا فإن أقرب الأشكال إلى المستدير المنحنى والمستدير أبعد عن قبول الآفات فلذلك جعل شكل الجنين على هذا الوجه ليكون أبعد عن قبول الآفات ، ولأن القلب الذى هو ينبوع الحياة يكون محفوظا وأن شكله على هذه الهيئة ضرورى الوقوع لأن الجنين فى موضع ضيق فجمع بالحكمة الإلهية سائر أعضائه

وجعله كالكرة ليسعى فى ذلك الموضع الضيق، كما أنا نحن إذا كنا فى موضع ضيق جمعنا أعضاءنا فيكون شكلنا قريبا من شكل الجنين فى الرحم .

(فصل فى سبب الذكورة والأنوثة)

زعم بعضهم أن السبب لذلك زيادة حرارة خلقها الله تعالى للمادة التى يخلق منها الذكر ونقصانها فى المادة التى يخلق منها الأنثى وكذلك تبرز أعضاء التناسل من هذا وتخفى من هذه، ثم إذا كانت الحرارة الغريزية فى أصل الخلقة كاملة خرج الذكر تام الأعضاء قوى التذكير وإن نقصت نقصت قوة تذكيره فتشبه أفعاله أفعال النساء وهكذا قوة التأنيث فإن من الإناث من تشبه أفعاله أفعال الرجال، إذا تصورت هذه المراتب فربما يقع فيها مرتبة بعيدة الاتفاق فيكون المولود لا ذكر ولا أنثى بل خنثى ، ومنهم من زعم أن الأغلب على خلقة الذكور وقوعها فى الجانب الأيمن من الرحم وفى خلقة الأنثى وقوعها فى الجانب الأيسر ، وربما يعين على الإناث الفصل الحار والبلد الحار والريح الجنوب وسن الكهولة كما أن أضداده تعين على الذكور وهو الفصل البارد والبلد البارد والريح الشمال وسن الشباب . وزعم قوم أن نطفة الذكر إن جرت من يمينه إلى يمينها كان الولد ذكرا تام الذكورة، وإن جرت من يساره إلى يسارها كان الولد أنثى تام الأنوثة، وإن جرت من يمينه إلى يسارها كان ذكرا مؤنثا كما ترى فى الرجال من تشبه أفعاله أفعال النساء ، وإن جرت من يساره إلى يمينها كانت أنثى مذكرة كما ترى فى النساء من تشبه أفعالها أفعال الرجال ، والله تعالى أعلم .

(فصل : فى وضع الحمل)

اعلم أن القوة الإلهية إذا كملت فى المولود أبرزته القوة الموجودة فى الرحم إذ لو بقى فى الرحم بعد كماله لاحتاج إلى غذاء كثير لكبره ولا يسهل خروجه لكبره والوعاء لا يحمله فيفضى إلى هلاكه وهلاك أمه ، فإذا كمل المولود كفت القوة الماسكة عن الإمساك وتحركت الدافعة للدفع ، وهو أيضا يتحرك بيديه ورجليه فينشق الغشاء المطيف به وانحل رباط الجنين فيقع كالشىء الواقع من أعلى إلى أسفل، فعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينفتح عنقه ويبتدئ بالرطوبات التى كانت فى الأغشية قبل ورود الجنين لينزلق المجرى فيسهل الخروج، والخروج إذا كان طبيعيا يبتدئ بالرأس لأن أعاليه أثقل من أسافله فإن من السرة إلى الرأس أثقل مما هو من السرة إلى القدم فينزل الثقيل أولا ثم يتبعه الخفيف بتقدير العزيز العليم .

(النظر الرابع فى تشاريح أعضاء الإنسان)

اعلم أن فى تشريح الأعضاء من العجائب ما تحير فيها عقول الأولين والآخرين ، وقصر عن إدراك بعضها فهم الخلق أجمعين، ولكثرة ما فيها من العجائب قال جل من قائل — وفى أنفسكم أفلا تبصرون —

ولنذكر شيئا من عجائب أعضاء الإنسان والأسرار المودعة فيه وفى تركيبها إن شاء الله تعالى فنقول : الأعضاء أجسام متولدة من أول مزاج الأخلاط ، وهى على قسمين : متشابهة ومركبة .

(القسم الأول المتشابهة)

وهى التى يكون حدها كلها حد خروجها ، وهى أنواع :

(النوع الأول : العظام) وهى أجسام صلبة جعلت قواما للبدن ودعامة تنشأ منها الرطوبات وتمتد من بعض الأعضاء إلى بعض فيشدها ويقويها ويكون له بها الاعتماد فى الحركات ، ولم يتم ذلك بشىء من الأعضاء الرخوة كاللحم فاقتضت حكمة البارى تعالى خلق العظام لتلك المنافع ، فمنها ما يكون للبدن كالأساس مثل فقار الصلب فإن البدن يبنى عليه كالخشبة التى تبنى عليها السفينة ، ومنها ماقياسه قياس المجن كعظم اليافوخ ، ومنها ماهو كالدافع يدفع به المؤذى كالأساس على فقار الظهر ، ومنها ماهى لسد فرج بين التناسل كالعظام السمسمانيات بين السلاميات ، وما خلق للدعامة والوقاية خلق مصمتا لزيادة الحاجة إلى صلابته ، وما كان لأجل الحركة خلق مجوفا ليكون جرمه خفيفا وجوفه يكون محل غذائه وهو المخ فيغذيه ويرطبه كيلا يتفتت . والحكمة فى أن كل عضو خلق من عظام لامن عظم واحد لأن الآفات صائبة لها ، فعند ذلك يسلم الآخر بخلاف ما إذا كان عظما واحدا فإن الآفة إذا أصابت بعض أطرافها صار الكل موجوعا ، وأيضا عند الحاجة إلى حركة بعضها لايفتقر إلى حركة لأن الكل وجميع العظام إذا عدت تكون مائتين وثمانية أربعين عظما سوى السمسمانيات وعظم الحنجرة الشبيهة باللام .

(النوع الثانى : فى الغضروف) وهو جسم متوسط بين اللحم والعظم فى الصلابة واللين ينبت على أطراف العظام فى موضع دعت الحاجة فيه إلى العظم وإلى اللحم فيدخل الغضروف بينهما حتى لايتأذى اللحم بصلابة العظم ولا يتألم العظم برطوبة اللحم . وأيضاً إنها آلات الحركة والاحتكاك تكسر اليابس وتفسخ الرطب فاحتاج إلى متوسط لاينكسر ولا ينفسخ برطوبته وهو الغضروف .

(النوع الثالث : العصب) وهو جسم لين لدن ينشأ من الدماغ والنخاع كنهر يأخذ من عين فالعين الدماغ والنهر النخاع . وفائدته الحس والحركة لسائر الأعضاء ؛ ولما كان الدماغ غير محتمل للأعصاب ينشأ منها ويصل إلى أقصى غاية البدن أجرى الله تعالى منها نهرا فى الدماغ ليتشعب منه الجداول وتصل إلى جميع أجزاء البدن ، وأما أعصاب الرأس فتفيد الحس والحركة للوجه والأعضاء الباطنة ، وأما سائر الأعضاء الظاهرة فإنها تستفيد بالحس والحركة من النخاع .

(النوع الرابع : الرباط) وهو جسم كالعصب فى الشكل إلا أنه أصلب منه ينشأ من العظام

فيربط بعضها ببعض . ولما كانت الحركة الإرادية إنما تكون بقوة تفيض من الدماغ بواسطة العصب ، والعصب لدن لطيف لا يحسن اتصاله بالعظام بلطف البارى تعالى بإنبات جسم من العظام شبيه بالعصب أصلب منه وألين من العظام وهو الرباط ليحسن اتصال العصب بالعظم بواسطته .

(النوع الخامس : اللحم) وهو جسم حار رطب . من منافعه معاونة الأعصاب والشرايين والأوردة فإنها باردة يابسة ، فلولا حرارة اللحم لأتاها الهواء من خارج وأفسدها ، ولما كانت هى حوامل الروح والغذاء واحتاجت إلى الهضم ولا يتم ذلك بنفسها خلق الله تعالى معينا من اللحم محيطا بها ليتم الهضم الجيد ، ومن منافعه حشو خالى العظام فيستوى شكل الأعضاء به كما يستوى البناء بالطين فيفيدها حسناً وزينة .

(النوع السادس : الشحم) وهو جسم حار لطيف هوائى خاق على أطراف العضل ومواضع العصب فإنهما آلة الحس والحركة فافتقرت إلى مواتاة فى الفعل والانفعال وذلك إنما يتم بالحار الرطب . ولما كان العصب باردا يابساً الحق بالشحم يسخنه ويعينه على هضم الغذاء وإنضاجه ولم يلحقه باللحم كالعروق ، لأن الغرض من اللحم هضم مافى داخل العروق فحسب ، والغرض من الشحم تسخين العصب على وجه لا يمنعه من سرعة الحركة ، فلو ألحق بجسم غليظ كاللحم تعسرت حركته وتبلد جسمه ، وكما قلنا إن مثال اللحم كطين البناء فكذلك أمثال الشحم كجصته .

(النوع السابع : الشرايين) وهى جداول مضاعفة لأنها وعاء الروح خلقت ذات صفاقين إلا واحدة منها فإن الشرايين تحمل الروح الحيوانى من القلب إلى سائر البدن كالزيت للمصباح وإنما خلقت ذات صفاقين صيانة للروح التى فيها واحتياطاً بحفظها فيطلع من القلب شعبتان إحداهما إلى الرئة وإنها ذات طبقة واحدة ليكون أسلس وأطوع للانبساط والانقباض عند الاستنشاق ، والشعبة الأخرى تنقسم قسمين أحدهما يمضى صاعدا والآخر إلى أسفل حتى استوعبا جميع البدن .

(النوع الثامن : الأوردة) وهى جداول تشبه الشرايين إلا أنها ذات طبقة واحدة لأن ماتحويه من الدم أغلظ مما تحويه الشرايين وتنشأ من الكبد وتحمل الغذاء إلى سائر الأعضاء ، وأول ماينبت من الكبد عرقان : أحدهما من الجانب المحدب ومنفعته جذب الغذاء من الكبد ويسمى الباب ، والآخر من الجانب المحدب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد إلى سائر الأعضاء ويسمى الأجوف .

(النوع التاسع : الثرب) وهو جسم شحمى خص بإلحاق المعدة من قدام ليفيدها حرارة مع سهولة الانبساط إذا امتلأت المعدة من الغذاء .

(النوع العاشر : الغشاء) هو جسم فنتسج من ليف عصبانى كنسج الثياب ينبسط على سطوح الأعضاء التى لاحس لها يحويها كاللفائف فيصير لها حافظاً يحفظ جواهرها وأشكالها على هيئاتها ومنبها لها على المؤذى إذا طرأ عليها .

(النوع الحادى عشر : الجلد) وهو جسم مركب من الشظايا العصبية والرباطية والأجزاء الشعرية من العروق بنسج بعضها فى بعض كما ينسج الغشاء فيحل البدن بأسرها فيحفظ ماتحويه لصلابتها ويشعر بسبب الحس بمايوافقه ويخالفه ، وهو مفيض فضولا إلى أعضاء البدن الظاهرة لأنها تدفع الفضول من العروق والوسخ إلى المسام .

(النوع الثانى عشر : المخ) وهو جسم مناسب لطبيعة العظم خلقت فى تجاويف العظام لغذائها وذلك أن حرارة الدم ورطوبته اعتدلت ببرودة العظم ويبوسته فصار غذاء صالحا للعظم ، والله أعلم بالصواب .

(القسم الثانى من الأعضاء المركبة)

وهو على نوعين ظاهرة وباطنة

أما الظاهرة فأنواع : الأول الرأس . ولما كان الرأس محل السمع والبصر وهما محتاجان إلى مكان عال لأن محل الديدبان لايصلح إلا عاليا ليطلع على الأخبار من البعد ويخبر بها اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرأس فى أعلى موضع من البدن وخلق مستديرا لأن الشكل المستدير أكثر مساحة من غيره من الأشكال وقد احتيج إلى زيادة المساحة لكثرة ماتضمنها ، والشكل الكروى أحسن الأشكال ولا ينفعل من المصادمات انفعال ذى الزوايا وخلق مستديرا إلى الطول لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة فى الطول ، وخلق الجمجمة صلبة حاوية للدماغ لتمنع الآفات عنه كالبيضة التى يتوقى بها الرأس ، وخلقت مركبة من عظام ليبقى بعضها سليما إذا أصاب البعض آفة .

(فصل : فى العين)

لما كانت الحاجة إلى العين ماسة اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فى غاية الرقة واللين ووقاها بضروب كثيرة من الوقاية ، فوضعها فى حفرة من العظم وجعل حولها عظاما صلبة وغطاها بالأجفان وصانها بالأهداب وجعلها عينين اثنين ، حتى لو أصاب إحداهما آفة بقيت الأخرى سليمة ، وجعلهما فى الرأس لأن حاسة البصر بمنزلة الديدبان وأنه كلما كان أعلى مكانا كانت مسافة مبصراته أكثر ، ولأن العصبة التى فيها الروح الباصرة رقيقة جدا نازلة من الدماغ لا تحمل مسافة بعيدة وقد وضعت أمام البدن لتكون حارسة للأعضاء التى غطاؤها ضعيف كالبطن وغيره ، ولأن عمل الأعضاء الخارجة كاليد والرجل من قدام لتكون مشاهدة لأعمالها

وهى سبع طبقات . وتركيبها أنه ينشأ من الدماغ من تحت القحف عصبة مجوفة تنتهى إلى قعر العين وعليها غشاءان أحدهما غليظ والآخر رقيق ، فإذا صارت إلى عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار لباساً وغشاء لعظم العين وتسمى الطبقة الصلبية ، ويفارقها أيضا الغشاء الرقيق ويصير لباساً وغشاء دون الطبقة الصلبية وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة ، وتعرض العصبية نفسها أن تصير غشاء بين الغشاءين المذكورين ويسمى الغشاء الشبكى ، ثم يتكون فى وسط هذا جسم لين رطب فى لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية ، ويتكون فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أنه مفرطح شبيه بالجليد فى صفائه وتسمى الرطوبة الجليدية وتحيط الزجاجية بالجليد بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصفاء والصقال وتسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذا الجسم جسم سائل فى لون بياض البيض تسمى الرطوبة البيضية ، ثم يعلو الرطوبة جسم رقيق أملس الخارج يختلف لونه فى الناس فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وفى وسطه حين يحاذى الجليد ثقب يتسع ويضيق فى حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع فى الظلمة وهذا الثقب هو الحدقة ، ويسمى هذا الغشاء الطبقة العينية ويعلوها ويغشاها جسم كثيف صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض وتسمى الطبقة القرنية غير أنها تتكون بكون الطبقة التى تحتها المسماة العينية ، ويعلوها ويغشاها إلى موضع سواد العين فى حوله جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحم وهو بياض العين ونباته من الجلد الذى خارج القحف ونبات القرنية من الطبقة الصلبية ونبات القرنية العينية من الطبقة المشيمية ونبات العنكبوتية من الطبقة الشبكية ، والله الموفق .

(أما الروح الباصر) فإنه فى جوفه عصبتان يبتدئان من غور البطنين المتلازمين المقدمين من الدماغ نبتاً يصير النابت منهما يساراً ونبتاً يصير النابت منهما يمينا ثم يلتقيان على مقاطع صلبى ، ثم ينفذ النابت يميناً إلى الحدقة اليمنى والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى . ولوقوع هذا التقاطع منافع : منها أن الروح السائل إلى أحد الحدقتين لا يكون محجوبا عن الأخرى وإذا عرضت لإحداهما آفة صار الروح الناظر من الطريقين إلى العين السليمة ، ولذلك ترى إحدى الحدقتين أقوى إبصارا إذا غمضت الأخرى لقوة اندفاع الروح الباصر إليها . وأما منافع الطبقات والرطوبات فكثيرة والحاجة إليها للطبيب ليس كتابنا بصدد ، وأما الجفن فمنشؤه من الجلد الذى هو على خارج القحف والرأس ، وفيه ثلاث عضلات تأتى اثنتان من جهة الموقين يجذبان الجفن إلى أسفل جذبا متشابها ، وأما فتح الجفن فيكفيه عضلة واحدة تأتى من وسط الجفن فينبسط طرف وترها على طرف الجفن فإذا نشجت فتحت العين ، وأما الجفن الأسفل فإنه لا عضلة فيه وجعل الأسفل أصغر من الأعلى لأن الأعلى يستر الحدقة مرة ويكشفها أخرى بتحركه ، وأما الأسفل فإنه غير متحرك فلو زيد على هذا القدر استر

شيئا من الحدقة دائما ولكن فضول العين تجتمع فيه ولا يسيل ، وأما منفعته فليمنع نكاده ما يلاقى الحدقة من خارج ويمنع عند إطباقها وصول الغبار والدخان والشعاع ويصقل الحدقة دائما ويبعد عنها ما أصابها من الهباء والقذى ، وأما الأهداب فإنها بمنزلة السياج حول العين يمنع عن الحدقة بعض الأشياء التى لا يمنعها الجفن مع انفتاح العين كما ترى عند هبوب الريح الذى يأتى بالقذى فتفتح أدنى فتح وتتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل منها شبه شباك لينظر من ورائها فتحصل الرؤية مع اندفاع القذى ، والله أعلم .

(فصل : فى الآذان)

ولما كانت القوة السامعة لا تفيد السمع إلا بواسطة قرع الصوت الهواء ووصول ذلك الهواء إلى الدماغ فاقتضت الحكمة الإلهية مجرى السمع فى عظم صلب ذى عطفات وتعاريج كثيرة إلى أن ينتهى إلى عصبتين ناشئتين من الدماغ ، وذلك العصب لو كان بارزاً لأضر به الهواء البارد فيخرج من حد الاعتدال بملاقاة أدنى برودة لأن طبعه بارد فجعل كامنا فى الدماغ لهذا المعنى ، وقد جعل مجراه مفتوحا أبدا ليصل إليه الهواء المقروع دائما فيسمع ما يشاء ومالم يشأ. ولما كان فى فتحه سعة وكان متعرضا لآفات البرد والغبار ومصادمة الهواء المقروع بعنف كالرعد والصيحة العظيمة جعل مجراه ذا عطاف وتعاريج على هيئة اللولب لئلا يصل الهواء إلى السمع دفعة واحدة بل يبقى فى العطاف ويرد على السمع شيئا فشيئا وتسكن شدته فى التعاريج فيفهم بالتأنى ، وجعلت على مجراه صدفة ناشدة لرد الصوت إلى الثقبة وتمنعه من الانتشار وخلقت من الغضروف لأن الغضروف موافق لقبول الصوت .

(فصل : فى الأنف)

خلق الأنف بارزا عن الوجه لما فيه من الجمال ولتكون أرنبته آلة لاستنشاق الهواء ، وخلق مجراه مفتوحا لأن الحاجة إلى استنشاق الهواء للتنفس ضرورية دائما ، وإنما جعل مجراتين احتياطا لمصلحة التنفس حتى لو أصاب إحدى المجراتين آفة تحصل بالأخرى مصلحة التنفس ، وخلقت قصبته صلبة لتكون وقاية للوجه من المصادمات وأرنبته لينة ليحصل بانقباضها وانبساطها جذب الهواء كما ترى من كير الحدادين ، ومجراه إذا علا ينقسم قسمين أحدهما يفضى إلى فضاء الفم والآخر يمر صاعدا حتى يفضى إلى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع فى وجه محل الإحساس فيحصل بأحد القسمين الشم وبالآخر التنفس ، وإنما جعل فى منتهى ثقبتى الأنف عظم مثقوب شبيه بالمصفاة لتصل الروائح بنفسها إلى موضع الإحساس ويستفرغ منها الفضول المخاطية ، ولم تجعل هذه المنافذ مستقيمة بل معوجة إذ لو كانت مستقيمة لكان الهواء المستنشق يصل إلى الدماغ بسرعة فيفسد فجعلت معوجة ليبقى الهواء فى تلك التعاريج

مدة فتنكسر برودتها فإذا وصل إلى الدماغ يكون معتدلا ، وجعل منفذ المنخرين إلى الحنك حيث يوازى الحلقوم ليكون التنفس أسهل ، ولو لم يكن كذلك لما أمكن إطباق الفم ساعة ولو كان التنفس بالفم لكان الفم جافاً بدخول الهواء وخروجه فلم يحصل إدراك الطعم ولا حركة اللسان ولا مضغ الطعام ولا بلعه .

(فصل : فى الشفة)

خلقت الشفتان أمام الفم غطاء للحوم الأسنان ومعينا فى تناول الغذاء وآلة للامتصاص ولمج مايحتاج إليه من الفم والكلام ، وخلقتا من طبيعة اللحم ممتزجة بطبيعة الجلد واتصلت بهما عضلات الوجنتين من فوق وعضلات الذقن من تحت وعضلات الفك من الجانبين ، وإنما خلقتا من طبيعة اللحم للحركة والحس والانبساط والانقباض والالتواء بواسطة الأوتار والأعصاب التى خالطتها ، وإنما خلقتا من طبيعة الجلد ليكون لهما أدنى صلابة مع لين فتتشكل بالأشكال المختلفة بحسب الحاجة .

(فصل : فى الفم)

ولما كان الإنسان محتاجا إلى غذاء يدخل من خارج خلق له الفم ، ولما كانت الحاجة إلى الغذاء وقتا بعد وقت خلق الفم بحيث ينفتح مرة وينطبق أخرى بخلاف المنخرين فإنهما خلقتا مفتوحتين لدوام الاستنشاق ، ثم لم يخلق مجرى الفم مستقيم التجويف كقصبة الرئة مثلا بحيث لايصلح إلا لمرور الغذاء بل جعل فيه فضاء يجتمع الطعام فيه حتى يصير مستعداً للبلع ولتختبره آلة الذوق ، فإن كان صالحاً طحنته آلة الطحن وإلا مجته وجعل عليه الشفتان يطبقانه لئلا تجف رطوبته بالهواء الواصل إليه من خارج كما فى سائر الأعضاء لأن هذه الرطوبة معينة على بلع الطعام وتحريك اللسان للكلام . ومن منافعه كونه مدخلا للهواء إلى قصبة الرئة ، ولما كان بقاء الإنسان لا يمكن إلا بالتنفس اقتضت عناية البارى تعالى للتنفس طريقين : أحدهما بالخياشيم والآخر بالفم ، حتى لو تعطل أحد الطريقين لآفة أو مرض يحصل التنفس بالطريق الآخر . وأما اللسان فإنه مؤلف من لحم رخو وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب يفيض إلى الغدد الموضوعة عند أصله يتعرف به الطعام وينتفع به فى الكلام وإدارة المأكول عند المضغ ، وجعل مقداره بحيث يصل إلى جميع أطراف الفم وجعل أصله أعظم للثيات وأطرافه أدق لتسهيل حركته عند الكلام وإدارة الطعام وتنقية أصول الأسنان عن بقية المأكول . وأما الأسنان فإنها خلقت من جوهر آخر مغاير لجوهر سائر العظام ، وقياسها بالنسبة إلى سائر العظام جوهر الذكر المسنى إلى الأنيث وجعل مقاديمها حادة للعض والقطع ، والأنياب غليظة حادة الرؤوس للنهش ، والطواحن عريضة للطحن ، وجعل أسناخ الأضراس

العليا أكثر عدداً من أسناخ الأضراس السفلى وذلك لأن العليا معلقة فتحتاج إلى زيادة ، وأما السفلى فإنها موضوعة على القرار فيكفيها أدنى وثاق وثبات كالسندان .

(فصل : فى اللحيين)

ولما وجب أن يكون الفم متحركا للمضغ والكلام ومفتوحا لاستنشاق الهواء فى بعض الأوقات اقتضى التدبير الإلهى تحريك الفك الأسفل لأن تحريكه أسهل من تحريك الفك الأعلى وأنفع . وأما سهولته فلأنه أصغر حجما وأطوع حركة ، وأما نفعه فلأن الفك الأعلى متصل بالرأس ومواضع الحواس وكان يتحرك بحركته الدماغ والحواس وذلك فيه من الفساد مالا يخفى فخلق الفك الأعلى ثابتا والأسفل متحركا ، وجعل فى عظم الرأس عند الصدغين ثقبتين واسعتين علق فيهما الفك الأسفل تعليقا سلسا ليسهل انطباقه وانفتاحه .

(فصل : فى الشعر)

قالوا : إن الفضلة الباقية من الغذاء إذا أثرت فيها الحرارة بحدتها وأخرجتها من الجلد ، فما كان منها لطيفا تحلل تحليلا خفيفا على الحس وما كان غليظا تحلل فى المسام وتكالف فيحدث منه الشعر فجعل بعضها زينة ووقاية كشعر الرأس فإنه غطاء وزينة وكالحاجب فإنه يمنع ما ينحدر من الجبهة إلى العين وهو زينة أيضا وكالأهداب فإنها تحوط العين كالسياج وتصير عليها كالشباك حتى ينظر من ورائها عند هبوب الرياح ونثرها القذى وفيه من الزينة مالا يخفى . ومنها ماجعل للزينة كالشارب واللحية فإنهما يفيدان الجمال والبهاء ومن لا لحية له لا بهاء له ، ومنها ما ينبت فى المواضع الحارة الرطبة كالإبط والعانة وهو كالعشب الذى ينبت فى القراح ذات الندى وإن لم يقصد إنباته فإنه فضلة يندفع إليها فى الإنسان بخلاف سائر الحيوان فإن شعورها لباسها وزينتها .

(النوع الثانى : العنق) ولما كان الرأس معدن الحواس وكان بعض الحواس كالسمع والبصر يحتاج إلى أن يكون فى أعلى الأماكن اقتضى التدبير الإلهى أن يكون الرأس على عضو طالع من البدن وهو العنق ، ثم جعل هذا العضو متحركا إلى جهات مختلفة بعضلات تمده إلى فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين ويسار ومورباً ومستديرا لتعم منفعته الحواس وإنها فى جهة واحدة فكأنها فى جهات ، وجعلت قصبة الرئة والمرىء فيها وهى سبع فقرات ، ولما كانت الفقرات العنقية محمولة على ماتحتها من الفقرات وجب أن تكون أصغر من الحامل ، ولما كان مخرج أول النخاع وجب أن يكون ثقبها أعظم من ثقب فقرات الصلب . ولما كان جرمها رقيقا لا يحتمل الثقب الكبير اقتضى التدبير الإلهى أن يكون ثقبها فى أطرافها ليكون فى كل فقرة منها نصف الثقب ويكون فى طرفه لا فى وسطه فإن النخاع وما أحاط به من الأغشية محتاجة إلى الغذاء ، فجعل فى كل فقرة ثقبتان يمينا ويسارا يخرج عن كل واحدة

شعبة من العصب ويدخل فيه وريد وشريان فيفيد كل ثقبة ثلاث منافع ، وفى جوف العنق المرىء لازدراد الطعام والشراب وقصبة الرئة لينفذ الهواء إلى الرئة ، وجعل لقصبة الرئة غطاء ينطبق عليها وقت ازدراد الطعام والشراب لئلا يقع فى مجرى النفس شىء وهو آلة الصوت أيضا .

(النوع الثالث : الصدر) ولما كان الصدر وقاية للقلب خلق صلبا من إحدى عشرة فقرة ذات سناسن وأجنحة عراض لكونها وقاية القلب واتصلت بالأضلاع لتحوى أعضاء التنفس ، وإنما لم يخلق عظما واحدا لما عرف من الفائدة فى سائر المواضع وخلقت هشة لتكون أسلس فى مساعدة ما يطيف بها من أعضاء التنفس فى الانبساط والانقباض .

(النوع الرابع : اليد) ولما كانت الحكمة الإلهية اقتضت أن النفس الإنسانية تدرك بالحواس ماينفعها وما يؤذيها من قوام البدن خلقت لها آلة لتتناول بها ما ينفعها وتبعد عنها ما يضرها وهى اليد خلقت من ثلاثة أجزاء من العضد والساعد والكف . أما العضد فقد خلق من عظم واحد قوى متصل بالكف بمفصل واحد حتى يمكنه التحرك إلى جميع الجهات وذلك بأن خلق رأس العظم مستديرا وركب على رأس الكتف فى حق ليكون خلفها سلسلة إلى جميع الجهات . ولما كانت اليد آلة لأعمال كثيرة مختلفة جعل الكتفان موضوعين على جانبى البدن غير ملاقيين للأضلاع لينبسط اليدان فى اليمين والشمال على استقامة ويلتقيان من قدام وخلف فيمكنهما الوصول إلى جميع الجهات بسهولة . وأما الساعد فخلق مؤلفا من عظمين متلاصقين طويلين يسميان الزندين والفوقانى الذى يلى الإبهام منهما أدق ويسمى الزند الأعلى والأسفل الذى يلى الخنصر منهما أغلظ لأنه حامل ومنفعة الزند الأعلى أن يكون به حركة الساعد إلى الالتواء والانقباض ومنفعة الزند الأسفل أن يكون به حركة الساعد إلى الانقباض والانبساط . أما الكف فخلقت مركبة من أربعة عظام متباعدة لتكون الأصابع الأربع مركبة عليها ، وخلق عظم الرسغ صلبا قويا لأن تركيب المشط والأصابع الأربع عليه فهو كالعهدة التى عليها اعتماد اليد ، وخلق وضع الأصابع الأربع على صف واحد والإبهام مقابلا لها ليدغمها كلها بواحدة وجعلت غليظة قوية لتكون مساوية لقوة الباقى ، وخلقت الأصابع مختلفة المقادير لتستوى أناملها كلها عند تقعير الراحة وعند القبض تبقى كالصندوق الحافظ للشىء والإبهام عليه كالقفل ويمكن أن يكون سلاحا يضرب به العدو ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على وضع أحسن من هذا لا يمكنهم ، فسبحان من أحسن كل شىء خلقه ، وخلق الأصابع من عظام مصمتة ليدغمها فلو كانت لحمة لكانت أفعالها واهية ولم يخلق من عظم واحد لتشكل بالأشكال المختلفة ولم تزد على ثلاثة أنامل لأنها كانت تورث ضعفا ولو خلقت من أنملتين لكانت الوثاقة أزيد لكن الحركات كانت تنقص عن الكفاية والحاجة

إلى الحركات المنقنة أمس من الحاجة إلى الوثاقة ، وخلق عظام قواعدها أعرض ورءوسها أدق لتحسن نسبة الحامل إلى المحمول ، وخلق عظاما مستديرة لتكون أبعد من الآفات ، وخلقت مصمتة لتكون أقوى على الثبات ، وخلق باطنها لحميا ليتمكن من القبض ولا كذلك ظاهرها ليكون سلاحا موجعا .

(فصل : فى الظفر)

خلق الظفر للإنسان بمنزلة المخلب للطير والحافر للفرس والظلف فى سائر الحيوان وقاية لقوائمها ، وجعل معينا للأصابع فى الإمساك إذ به يقوم وثاقها ويمكنه التقاط الأشياء الدقيقة وهى آلة لأعمال كثيرة كالحك والجرد والنتف وغيرها ، وجعل صلابتها مع لين ليفيد الفائدتين جميعا ، وجعلها قد أحاط بها اللحم من الجوانب لئلا تتسارع إليها الآفات .

(النوع الخامس : البطن) وهو غشاء مستدير من الصدر إلى الأنثيين ليستبطن آلات الجوف التى هى تحت الحجاب ليكون وقاية جامعة لجميعها مع الوقاية الخاصة بكل واحد منها ، وإنما اقتصر على غشاء من غير عظم لأنه بين يدى الحاسة فتحرسه من الآفات بخلاف الظهر والدماغ وليكون لها انبساط وانقباض عند امتلاء المعدة وخلوها .

(النوع السادس : الظهر) ولما كان الظهر غائبا عن الحاسة اقتضى التدبير الإلهى إحكامه وتوثيقه بعظام صلبة ذات سناسن وأجنحة جنة ووقاية للآلات الشريفة التى وراءه كالرئة والقلب والمعدة ، وخلق فقاره كالقاعدة لسائر العظام كالخشبة التى تهيأ أولا ثم يربط بها سائر خشب السفينة ثانيا ، فإن عظام الفص والأصابع والرأس واليدين والرجلين كلها مربوطة بها ، وخلقت خرزات للانحناء ولكون النخاع فى وسطها والحاجة إلى حفظ النخاع ماسة ، وخلق لكل فقرة شوكة ثابتة إلى الجانب الوحشى وجناحان من يمينها ويسارها وربطت برباطات عصبية وغشيت بالجوهر الغضروفى ويقال لهذه الشوكات السناسن وإنما خلقت لتكون خشبة بارزة تلقاها الآفات الهاجمة من خارج فتصيبها النكاية وتسلم الخرزات ، وإنما غشاها بالغضروف لئلا تنكسر عند مصادمة الأشياء الصلبة . وأما الرباطات العصبية ليربط بعضها ببعض ربطا وثيقا فتصير كالشىء الواحد ، وأما الأجنحة فتكون مدخلا لرءوس الأضلاع فيها ووقاية للخرزات من جوانبها كما أن السناسن وقاية من ورائها وإنما خلقت خرزات ليسلم الباقى إن أصابت الآفة شيئا منها . ولما كان انحناء البدن إلى قدام أكثر من انحنائه إلى خلف جعل السناسن والربط من خلف ليكون قدامها أسلس للحركة فصار جملة الصلب كشىء واحد مخصوص بأفضل الأشكال وهو المستدير لأنه أبعد الأشكال عن قبول الآفات ، وتعطفت رءوس الخرزات العالية إلى أسفل والسافلة إلى أعلى واجتمعت العاشرة وهو الواسطة ذات فقرة لا بارز لها ، وجعلت الفم الفوقانية والسفلانية متوجهة إليها لأن الإنسان يحتاج إلى الانحناء

وذلك بأن تميل الواسطة إلى ضد الجهة وما فوقها وما تحتها إلى الجهة لأن طرفى الصلب يميلان إلى الالتقاط والواسطة تميل إلى خلاف جهة ميل الطرفين كانحناء القوس عند المد . ولما كان الواجب أن يعم الحس الظاهر جميع البدن وجب أن يصل إليها شعب العصب ولم يمكن إيصال عصب الدماغ إليها لبعد مابين هذه الأعضاء والدماغ ودقة أعصابه فإن حجم الدماغ لايحتمل أعصابا قوية تصل إلى جميع أعضاء البدن فاقتضت الحكمة الإلهية إخراج شعبة قوية من مؤخر الدماغ فى طول البدن وهو النخاعَ وأحاط به عظام الفقرات ليحفظ النخاع بصلابتها وأخرج من النخاع فى كل موضع يحتاج إلى التحريك والإحساس عصبا يتصل به والقطن مع العجز كالقاعدة للصلب وهو دعامة وحامل لعظم العانة ومنبت لأعصاب الرجل .

(النوع السابع : الجنب) وهو مركب من الأضلاع وقد شدت خللها بلحم دقيق وقاية لما يحيط به من آلات التنفس وآلات الغذاء ولم يجعل عظما واحدا لئلا يثقل ولا تعم آفته ، وكل ضلع مقوس يدخل منه زائدتان فى نقرتين غامرتين فى كل جناح من أجنحة الفقرات فالصلب كالحائزة والأضلاع كالجذوع واللحوم فى خللها كالعوارض. ولما كانت محيطة بالرئة والقلب وجب الاحتياط فى وقايته فخلقت الأضلاع السبعة العليا مشتملة على ما تحويها من جميع الجوانب ملتقية عند القص وجناح الفقرات. وأما ما يلى ذلك فخلقت من خلف محرزة حيث لايحرسه الحاسة ، ولم يتصل من قدام بل درجت يسيرا يسيرا فى الانقطاع لتصير وقاية للكبد والطحال وتتوسع لمكان المعدة ولا تنضغط عند امتلائها ، فالخمسة المتقاصدة خلقت رؤوسها متصلة بغضاريف ليأمن الانكسار عند المصادمات ولئلا يلاقى الأعضاء اللينة والحجاب بصلابتها بل بجرم متوسط فى الصلابة واللين .

(النوع الثامن : الرجل) ولما كان المقصود من الرجل القيام والمشى وحمل البدن واقفا وماشيا والقعود مع التشكل بأشكال مختلفة جعل آخر الرجل على ما يوافق إتمام هذه المقاصد فى الجوهر والشكل والمقدار والعدد والوضع والتأليف ، وخلق ركبة عظم الفخذ على الورك على استقامة وعظم الساق على الفخذ على نحو ينقبض إلى خلف ليتم الانتصاب والتخطى والقعود مفترشا ومتربعا وغيرها من الأنحاء والأشكال الكثيرة ، وخلق طول القدم ومشطها ووسعها لفائدة الثبات والاستقرار ، وخلق أصابعها على نحو آخر مخالف لأصابع اليد فإنها كلها فى سطر واحد ليتم بها الثبات والاستقرار على الأشياء المختلفة كالحدب والمقعر والصعود بالمراقى والدرج ، وخلق العصب من عظم صلب ليكون حاملا للبدن ، وخلق الكعب فيما بين الساق والعقب ليعين القدم على الانقباض والانبساط فى المشى وغيره من الحركات ، والله الموفق للصواب .

(الضرب الثانى من الأعضاء المركبة) الأعضاء الباطنة وهى أنواع :

(النوع الأول : الدماغ) وهو جسم لدن محوىّ فى غشاءين منبع للروح النفسانى ومنه ينبعث فى الأعصاب إلى سائر البدن . ولما كان جوهر الدماغ شديد اللين اقتضت الحكمة أن يكون فى غشاء رقيق وهى الأم لتحفظه وتكون وقاية له ثم خلق بين القحف والدماغ غشاء غليظا يلاقى القحف من داخل يكون كالبطانة لها ويكون هذا الغشاء وقاية للدماغ من الأشياء الغريبة . ولما كان جوهر الدماغ لينا سريع الانفعال من أدنى سبب خلق له حصن صلب من العظم وهو القحف وجعل بعيدا منه ليدفع الآفات عنه ، وجعل خريطة للدماغ معلقة من القحف غير ملاقية له لأنها لو كانت ملاقية والقحف صلب يصادمه دائما فينضغط عنه وكان دائم النكاية . وللدماغ ثلاثة بطون وكل بطن فى عرضه ذا جزءين ، أما البطن المقدم فهو محسوس الانفصال ينقسم إلى جزءين عظيمين يمنة ويسرة وهذا الجزء يعين على الاستنشاق وعلى نفض الفضول والعطاس ، وأما البطن المؤخر فهو أيضا عظيم وهو مبدأ النخاع لكنه أصغر من البطن المقدم . وأما البطن الأوسط فإنه كمنفذ من الجزء المقدم إلى الجزء المؤخر وكدهليز مضروب بينهما يؤدى عن التصور إلى الحفظ فلما كان كذلك كان أحسن موضع للتفكر والتذكر ، فالحكمة الإلهية اقتضت أن يكون مقدم الدماغ فى غاية اللين لأن ظاهره منشأ شعب الحواس وباطنه محل التخيل والإحساس ولين الموضع مناسب لها للانطباع وسرعة القبول وأن يكون مؤخر الدماغ أصلب من المقدم لأن ظاهره منشأ الشعبة العظيمة التى هى النخاع وباطنه موضع الحفظ والصلابة مناسبة لهما ، فسبحان من أتقن كل شىء خلقه وهو اللطيف لما يشاء ، والله الموفق .

(النوع الثانى : الرئة) وهو جسم متخلخل رخو كأنه زبد منعقد وذلك لكونه آلة الترويح عن القلب دعت الحاجة إلى الخفة والانبساط والانقباض ، ومعنى الترويح جذب هواء صاف يقع على القلب ويخرج هواء محترقا أحرقته حرارة القلب ، ومدخل الهواء ومخرجه قصبة الرئة وخلقت مجرى واسعا من عظم غضروفى على شكل حلق مربوطة بعضها ببعض ، وإنما خلق واسعا لينفذ فيه من الهواء شىء كثير فى زمان يسير ، وإنما خلق من حلق غضروفية ليكون مفتوحا دائما ولا يحتاج إلى آلة تفتحها لأن الحاجة إلى التنفس ماسة دائما ، وإنما خلقت قصبة الرئة محتاجة إلى أن تتسع فى حال وتضيق فى حال لاختلاف الحاجة عند شدة الصوت وضعفه ولذلك لم يخلق حلقاتها تامة وإلا لم تتمدد فى العرض المذكور فخلق ثلاثة أرباعها غضروفية وتمم الباقى بالغشاء ، وجعل جانبها الغشائى إلى نحو المرىء ليتطاوع عند الازدراد ، وجانبها الغضروفى إلى الخارج لأنه أصلب فيكون أصبر على المصادم الخارجى . ثم إن قصبة الرئة لما جاوزت الترقوة وانبسطت إلى فضاء الصدر انقسمت إلى قسمين يمينا ويسارا ثم ينقسم كل

قسم منها إلى أقسام مختلفة على حسب أقسام الأوردة والشرايين فى منافذ هذه القصبات ليدخل الهواء فى الشرايين من الرئة عند انبساط القلب ويندفع فيها الدخان عند انقباضها . ولما كان الهواء الذى تجذبه الرئة ليس صالحا لترويح القلب حتى يصير معتدلا خلقت القصبات التى هى خزانة الهواء تحفظ جوهر الهواء المحصور فيها وإعداده موافقا للقلب وصالحا لأن يتكون منه الروح ، كما أن جوهر الكيلوس المحصور فى الكبد ينضجه الكبد ويجعله صالحا لأن يتكون منه بدل ما يحلل من الأعضاء ، وأما نفس الرئة فتكتنف بالقلب ، وهى منقسمة قسمين : أحدهما فى تجويف الصدر الأيمن والآخر فى تجويف الصدر الأيسر لتحصل منفعة الرئتين مادامت الرئة سليمة ، ومتى وقعت فى إحدى الجهتين آفة تمنعها من بادية فعلها قام الجانب الآخر بفائدة الترويح ولا يؤدى إلى فساد البدن والله تعالى الموفق .

(النوع الثالث : القلب) وهو جسم صنوبرى الشكل لحمى الجوهر له جوف يحوى الدم ، والروح الحيوانى ينشأ منه وينصب فى الشرايين إلى سائر البدن ، ولحمه قوى لئلا يتناثر من المؤذيات ، وأعلاه غليظ لأنه منبت الشرايين وأسفله مستدق ليبعد عن عظام الصدر من جهاته ، وله غلاف يسمى الشغاف خلق لوقايته لأنه منبع الروح الحيوانى ولهذا وضع فى وسط البدن فى موضع حصين مثل نتو من عظام الصدر والظهر والأضلاع ، وجعل هذا الحصن متجافيا عنه ليفيد الوقاية من غير مماسة . ولما كان محتاجا إلى الدم الذى أنضجه الكبد ورققه ولطفه وأسخنه ليفيد قوة الحياة جعل فى القلب تجويف يرد إليه الدم من الكبد ويستقر فيه حتى يتغذى منه هو ويغذى غيره . ولما كان القلب محتاجا إلى الغذاء كسائر الأعضاء وجب أن يرد إليه الغذاء من الكبد فخرج من جذبة الكبد عرق عظيم ودخل فى تجويف القلب من الجانب الأيمن ليملأ مايتغذى منه القلب والباقى يسرى فى الشرايين إلى جميع البدن . ولما كان القلب محتاجا إلى الإحساس بالمؤذى خلق له شعبة دقيقة متصلة بالغشاء الذى على القلب منشؤها من الدماغ لفائدتين : الأولى الإحساس بالمؤذى بواسطة الغشاء . والأخرى أن القلب معدن القوة الحيوانية ، وهذه القوة تنفعل بالأفعال النفسانية كالغضب والخوف والسرور والحزن ، فهذه أفعال أسبابها أمور خارجة عن البدن فالحواس تدركها وتؤديها إلى النفس فيصل آثارها إلى القلب فينفعل بالانفعالات التى تبتغى فوجب أن يكون بين الدماغ والقلب اتصال فجعل الشعبة الواصلة من الدماغ مثبوتة فى جميع جرم القلب لتتم الفوائد التى ذكرناها ، والله أعلم .

(النوع الرابع : الكبد) وهو جسم لحمى ألين من القلب وأرطب يحمل روحا طبيعيا ودما غذائيا ينفذ منه فى العروق إلى سائر الأعضاء ، وهو موضوع فى الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكله هلالى وتقعيره فى الجانب الذى يلى المعدة وحدبته

تلى الحجاب ، وهو مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذى عليه ، وينبت من مقعره قناة تنقسم إلى أقسام منها مايأتى قعر المعدة وإلى الأمعاء ، وبهذه الفوهات تجذب الغذاء إلى الكبد ويصير فى الكبد ما ينضجه ، وفى جذبة الكبد عروق تسمى الأوردة يجرى فيها الدم إلى سائر الأعضاء ، وخلق جرم الكبد شبيها بالدم الجامد ليحيل الكيلوس فيه إلى شبه جوهرة .

(النوع الخامس : المرارة) وهى وعاء المرة الصفراء موضوعة فى قعر الجانب الأعلى من الكبد ، ولها مجريان أحدهما يتصل بتقعير الكبد والآخر يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة ، فالمرارة تجذب من مقعر الكبد المرة الصفراء وتقذفها إلى الأمعاء ؛ أما الجذب فلتصفية الدم عن المرة الصفراء ، وأما القذف فلتنقية الأمعاء من الفضول وينصب منها إلى عضلة المخرج فيثبته على الحاجة ، ولما كانت المعدة والأمعاء محتاجة إلى التنقية من الفضول لما بقى فيها من بقية الغذاء فضلة لزجة يتلطخ بها جعل للمرة مجرى ضيقا إلى المعدة فتنصب إليها المرة وتجلوها من الخلط البلغمى وتغسلها ، فإن البلغم لا يزال يتولد فى المعدة عند خلاء المعدة واشتداد الجوع ، فلو كان انصبابها وقت امتلاء المعدة لاختلطت بالغذاء وأفسدتها .

(النوع السادس : الطحال) وهو جسم لحمى طويل الشكل موضوع فى الجانب الأيسر يحوى دما سوداويا ينبت منه قناتان أحداهما تتصل بتقعير الكبد تجذب الخلط السوداوى من الدم لئلا ينفذ الدم مع السوداء بل يصفو عن الخلط الردئ ، والقناة الثانية تتصل بفم المعدة وتثبته على شهوة الغذاء انظر إلى حكمة الصانع جلت قدرته كيف اقتضى تدبيره تصفية الدم من الصفراء والسوداء ليكون الغذاء صالحا سليما من الفضول ثم استعملها لفائدتين عظيمتين إحداهما التنبيه على شهوة الغذاء والأخرى التنبيه على خروج الفضلة .

(النوع السابع : المعدة) وهى شبيهة بقرعة طويلة العنق مركبة بثلاث طبقات مركبة من شظايا دقاق شبيهة بشظايا العصب تسمى الليف يحيط بها لحم وليف أحد الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والأخرى بالورب ، فالليف الطولانى يجذب الغذاء والليف الذى بالعرض يدفعها والمورب يمسكها ربما تؤثر فيه الحرارة وتنضجها ، ووضعت تحت القلب وبين الكبد والطحال يمينا ويسارا ولحم الصلب من خلف لينال من حرارة هذه الأعضاء فينهضم فيها الغذاء وجعل أمامها إلى صفاق البطن ليمدد إذا امتلأت من الغذاء ، وخلقت مستديرة الشكل لتسع غذاء كثيرا وقعرها أوسع من أعلاها لأن قامة الإنسان منتصبة وما يتناوله من الطعام والشراب ثقيل فميل الجميع إلى جهة قعر المعدة فوجب أن يكون أوسع ؛ وفم المعدة مفتوح أبدا لأن وضعه فوق المعدة فلا يخرج منه ما فى المعدة ، وخلق مجراها إلى الأمعاء بحيث ينفتح فى وقت ويتعلق فى وقت لأن وضعه أسفل فيحتاج الغذاء إلى أن يلبث فيه ريثما ينهض ، فلو

كان مفتوحا لنزل الغذاء فيه من غير هضم، فإذا صار الغذاء نضيجا كف الماسكة عن الإمساك وأخذت الدافعة فى الدفع إلى الأمعاء ، وخلق من خارج المعدة عليها غشاء وثرب، أما الغشاء فليكون وقاية لها ويربطها بالأعضاء التى حولها وأما الثرب فلتسخين المعدة بالحار الدسم وجعل الثرب من قدام أكثر لأن توقع وصول البرد من هذا الجانب أكثر ، وخلق فم المعدة عصبانيا ليكون قوى الإحساس بالحاجة إلى الغذاء ، وخلق قعرها لحمانيا لينضج الغذاء بحرارة اللحم .

(النوع الثامن : المعى) وهو جسم من جوهر المعدة مجوّف ليس بواسع التجويف له شظايا بالطول والعرض والورب ينزل فيه ما انهضم فى المعدة من الغذاء وهذا الجسم ينعطف ويلتف وفى مروره عطاف كثيرة ، ويليه من الكبد جداول كثيرة ضيقة وإنما خلق من جوهر المعدة ليتم فيه هضم ما قصرت المعدة عن هضمه، وإنما خلق ضيقا ليكون اشتماله على ماينفذ فيه زمانا طويلا فيتمكن من هضم الغذاء . وأما طوله فليهضم الثانى مافات الأول وهكذا إلى آخرها ولا يبقى مع الفضول غذاء فيـــه ، وأما الشظايا فالموضوع بالطول لجذب الغذاء والموضوع بالعرض لدفعه والموضوع بالورب لإمساكه ، والأمعاء جميعا ستة وفى آخرها تجويف واسع يجتمع فيه الثفل كما يجتمع البول فى المثانة وعلى طرف هذا المعاء العضلة المانعة حتى تطلقه عند الإرادة .

(النوع التاسع : الكلية) وهى جسم صلب لحمى من شأنه تصفية الدم يجذب المائية ويرسل تلك المائية إلى المثانة وهما اثنتان على جنبى خرز الصلب بالقرب من الكبد ولكل واحدة منهما عنقان أحدهما يتصل بالعرق الطالع من جذبة الكبد والآخر يمر إلى المثانة ، ولما كان الغذاء محتاجا إلى قوام رقيق ليمكن نفوذه فى العروق الدقيقة ولابد لها من قوام صالح جذبت الكلية منها مازاد على قدر الحاجة وأرسلتها إلى المثانة وخلق كليتين ، إذ لو كانت واحدة لكبر جرمها فإن وضعت فى أحد الجانبين مال البدن إليها وإن وضعت فى الوسط انفصلت عن الفقار .

(النوع العاشر : المثانة) وهى جسم مجوف عصبانى مؤلف من طبقتين على فمه عضلة تضمه وتفتحه وتمنع خروج البول من غير إرادة وذكرنا أنها تفيض البول ويأتيها من الكليتين وإنما خلقت عصبانية لتحس بالامتلاء وجعل داخلها من ثلاث لفائف إحداها بالطول حتى تجذب المائية من الكليتين والثانية بالعرض ليتم بها الدفع إلى خارج والثالثة بالورب ليتم بها الامساك إلى أن يجتمع شىء كثير ثم تدفعها مرة واحدة ، وجعل على فمها عضلة تفتحها وتغلقها بالاختيار .

(النوع الحادى عشر : آلات التوليد) وهى متساوية فى الذكور والإناث إلا أن القوة

المدبرة أبرزت آلة الذكور لفرط حرارتهم وتركت آلات الإناث داخلة لنقصان حرارتهم ، فإذا فرضت الآلة بارزة فالصفن الذى هو كيس الانثيين الرحم فى الإناث والإحليل عنق الرحم إلا أن الخصى فى الذكور داخل الصفن وفى الإناث خارج الرحم بجنبها ليتسع مكان الجنين ، والأنثيان من الرجل والمرأة من لحم غددى صلب ينصب المنى منهما فى الذكور إلى الإحليل وفى الإناث إلى داخل الرحم . والقضيب جسم عصبى ثابت من عظم العانة كثير التجاويف فيه عروق كثيرة ينفذ منه مجريان إلى الأنثيين ينصب منهما المنى إلى الإحليل ، وهو بمنزلة رقبة الرحم التى فى الإناث . ولما وجب أن يكون القضيب متوترا حالة التوليد لإيصال المنى إلى فم الرحم متقلصا فى غير تلك الحالة اقتضت القوة المدبرة خلقه من جوهر صلب ذى تجاويف حتى إذا امتلأ تجويفه من الريح توتر وإذا خلا من الريح استرخى ، والرحم من جوهر عصبى لتكون صادقة الحس والالتذاذ وليمكنها أن تتمدد وتتسع عند نمو الجنين وتنقبض عند خلوها ، وخلق للرحم بطنان يمينا ويسارا وجعل البطن الأيمن أسخن من الأيسر ليكون الأيمن موافقا للذكور والأيسر موافقا للإناث ، ولها عنق يمتد إلى القبل وإنه بمثابة الإحليل من الذكر ، هذا ماصح عند أصحاب التشريح ، والله أعلم بالصواب ؟

(خاتمة) قال بعض الحكماء فى تشبيه بدن الإنسان بمدينة : لما خلق الله تعالى بدن الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه كان مثل أساس بيته وتركيب أجزائه مثال مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والآجر واللبن والجص والطين والنورة والرماد والخشب والحديد وماشاكلها ، فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وحفظ شوارعها وقسم محالها وزين منازلها وملأ خزائنها وأجرى أنهارها وفتح سواقيها وأشغل صناعها وأقعد تجارها ودبر ملكها وأخدم ملكها ، فخلق تسعة جواهر مختلفة أشكالها وهى ملاك بنيانها ثم ألفها وركب بعضها فوق بعض طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها بمائتين وثمانية وأربعين عمودا ثم إنه سمرها ومد حبالها وشد وصالها بسبعمائة وعشرين رباطا ممدودات ملتفات عليها ثم قدر بيوتها وقسم جوانبها وأودعها إحدى عشرة خزانة مملوءة جواهر مختلفة ألوانها ، وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح أبوابها ثلثمائة وثلاثين مسلكا لسكانها ، واستخرج منها عيونا وشق فيها أنهار ثلثمائة وستين جدولا مختلفات بجريانها ، وفتح على سورها اثنى عشر بابا من درجات مسالك لخزانها ، وأحكم بناء هذه المدينة على أيدى ثمانية صناع متعاونين هم خدامها ، ووكل بحفظها خمس حراس خواص على حفظ أركانها ، ثم رفع هذه المدينة فى الهواء على عمودين وحركها إلى ست جهات بجناحين ، ثم أسكن فيها ثلاث قبائل من الجن والإنس والملائكة هى سكانها ثم رأس عليهم ملكا واحدا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم.

(تفسير ذلك) أما الجواهر التسعة فهى العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم

والجلد والظفر والشعر . والطبقات العشر هى الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان والوركان والفخذان والساقان والقدمان ، والأعمدة هى العظام ، والرباطات هى الأعصاب ، والأحد عشر جزءا هى الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والمعى والكليتان والأنثيان ، والشوارع والطرقات هى العروق الضوارب ، والأنهار الأوردة ، والأبواب الاثنا عشر العينان والأذنان والمنخران والثديان والسبيلان والفم والسرة والصناع الثمانية هى القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمصوّرة والحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، والعمودان الرجلان والجناحان اليدان ، والجهات الست معروفة ، والقبائل الثلاثة النفوس الثلاثة ؛ فالنفس الشهوانية كالجن ، والنفس الحيوانية كالإنس ، والنفس الناطقة كالملائكة ، والرئيس الواحد عليهم هو العقل ، والله الموفق للصواب .

(النظر الخامس فى القوى)

القوى صنف من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الأبدان وقوام منافع أعضائها من الأفعال والإدراكات فتشبه أفعالها فيها أفعال صناع البلاد وسكانها ، فإنّ حال البدن مع الروح ، وهذه القوة تشبه مدينة عامرة بآلاتها مأنوسة بسكانها مفتوحة الأسواق مسلوكة الطرقات مشتغلة الصناع ، وحاله عند النوم وهذه الحواس وسكون الحركات تشبه حال المدينة بالليل إذا غلقت أبوابها وتعطلت صناعها ونام أهلها . ومنهم من قال : إن البدن كبيت بنقوش وصور عجيبة وألوان مختلفة ؛ فالقوى تلك النقوش ، والصور والنفس كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت وبسبب وصول ضوئه إلى آخر البيت يرى له فى سقفه وحيطانه وفرشه عجائب بينهن فيها بل فى كل زاوية من زواياه مثل الحس والعقل والفهم والقوى الظاهرة والباطنة والجمال وغيرها ، فإذا فارق النفس بطلت هذه المعانى كما أن البيت عند انطفاء السرج لا يرى لتلك النقوش والصور أثر عجائب القوى خارجة عن فهم الإنسان ، لكن أحببت أن أذكر بعض ما أدركه أذكياء النفوس من الحكماء من العجائب المودعة فى الأنواع الأربعة من القوى ، والله الموفق للصواب .

(النوع الأول : القوى الظاهرة) وهى الحواس الخمس .

(الأولى : حاسة اللمس) وهى قوة منبثة فى جميع جلد البدن تدرك ما يلاقيه ويؤثر فيه فإنها أول حاسة خلقت للحيوان حتى إذا مسه نار أو حديد جارح يحس به فيهرب منه ، ولا يتصور حيوان إلا وله هذه الحاسة حتى الدودة التى فى الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت .

(الثانية : الشم) وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك الروائح التى يؤدى إليها الهواء المتكيف بتلك الكيفية .

(الثالثة : البصر) وهو قوة مرتبة فى عصبة مجوفة فى العين تدرك صور الأشياء ذوات الأضواء والألوان ، فإن الضوء إذا سرى فى الأجسام الشفافة وحمل معه ألوان الأجسام واتصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسرى فى الأجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الألوان كما ينصبغ الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة .

(الرابعة : السمع) وهو قوة مرتبة فى عصب داخل الصماخ يدرك الصوت الذى يؤدى إليه الهواء بالتموج وحاله شبيهة بتموج الماء ، فإن الهواء أشد لطافة من الماء ، فإذا وقع شىء فى الماء يحدث من وقوعه دوائر ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يضمحل فكذلك يحصل من وقوع الصوت فى الهواء تموج فأى سامع حصل فى ذلك المتموج دخل أذنه فتحس به القوة السامعة .

(الخامسة : الذوق) وهو قوة منبثة فى جرم اللسان يدرك بها ما يماسه من الطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التى تحت اللسان ، فإن تلك الرطوبة تخالف الجسم الذى فيه كيفية الطعم فيتكيف بتلك الكيفية فيحصل الإحساس بالطعم .

(فصل : فى فوائد هذه القوى)

أما اللمس فقد بينا أن كل حيوان له هذه الحاسة حتى الدودة تدرك بها الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين والخشن والأملس والثقيل والخفيف ، إلا أن الحيوان لو لم تخلق له إلا هذه القوة لكان ناقصا إذا كان لا يحس بالغذاء إذا كان بعيدا عنه فافتقر إلى قوة أخرى يدرك بها ما يبعد عنه فاقتضت حكمة البارى خلق البصر ليدرك به ما بعد عنه ويدرك جهته ، إلا أنه لو اقتصر على هذا لكان أيضا ناقصا لأنه لا يدرك إلا الشىء المحاذى ، وأما ما بينه وبينه حجاب فلا يمكنه إدراكه إلا بكلام منظوم فاقتضت حكمة البارى تعالى السمع ليدرك به الغرض ممن يكون وراء الجدار ، ولو اقتصر على هذا لكان ناقصا لأنه إذا وصل إليه الغذاء فلا يدرى أنه موافق أو مخالف فربما يكون شيئا مضرا فيهلكه فاقتضت حكمة البارى عز وجل خلق الذوق ليدرك به الموافق والمخالف .

(النوع الثانى : القوى الباطنة) وهى أصناف :

(الأولى : القوى الجاذبة) وهى التى تجذب النافع من الغذاء ، وهى موجودة فى سائر الأعضاء لأن كل عضو يجذب ما يوافقه وغذاء كل عضو يخالف غذاء الآخر .

(الثانية : الماسكة) وهى التى تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيها القوة المغيرة ، وذلك بأن تجعل العضو محتويا على الغذاء بحيث لا تترك فرجة .

(الثالثة : الهاضمة) وهى التى تحيل ماجذبته الجاذبة وأمسكته الماسكة إلى مزاج صالح تجعل بعضها جزءا من المغتذى وبعضها فضلا .

(الرابعة : الدافعة) وهى التى تدفع الفضل الذى لايصلح أن يكون غذاء أو زادا على قدر الكفاية ، والله أعلم بالصواب .

(الصنف الثانى : القوى الخادمة) وهى أربع أيضاً :

(الأولى : الغاذية) وهى التى تحيل الغذاء إلى مشابهة المغتذى ليخلف بدل مايتحلل .

(الثانية ، النامية) وهى التى تزيد فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى ليبلغ به تمام النشوى ، والفرق بينها وبين الغاذية أن الغاذية تورد الغذاء تارة مساويا وتارة زائدا وتارة ناقصاً ، وأما النامية فلا تورد إلا زائدا من المتحلل .

(الثالثة : المولدة) وهى القوة التى تولد مايصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة فى الحيوان والحب والنوى فى النبات .

(الرابعة : المصوّرة) وهى التى يصدر عنها التخطيط والتشكيل والملاسة والخشونة وأمثال ذلك .

(فصل فى الفوائد العجيبة لهذه القوة فى أمر التغذية)

وذلك أن تصير جزء النبات جزء الحيوان بأن تصيره فى المعدة مثل ماء الكشك الثخين ثم تجذبه إلى الكبد فيصير دما . ثم الكبد يقسمه على البدن بواسطة الأوردة فيصل إلى كل عضو حظه فيصير لحما وعظما بأطوار وتصرفات كثيرة فيه ، كما أن البر يجعل طحينا ثم خبزا يتصرف صناع البلد فيه فصناع الباطن القوى كما أن صناع الظاهر أهل البلد ، فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة . فأقول : لابد من قوة تجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لايتحرك بنفسه ولا بد من قوة أخرى تمسك الغذاء فى جواره ريثما تعمل فيه القوة الأخرى ، ولابد من قوة أخرى تخلع عنه صورة الدم وتعطيه صورة العضو ، ولابد من قوة أخرى تدفع عنه الفضل والزائد على الحاجة فهذه هى القوى الخادمة ، ثم لابد من قوة تلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى يصير جزءا منهما ، ثم لابد من قوة تراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لايبطل استدارته وبالعريض مالايزيل عرضه وبالمجوف مالايزيل تجويفه ، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته ، فلو جمع على الأنف من الغذاء مقدار مايجمع على الفخذ كبر الأنف وبطل تجويفه وتشوهت صورة الانسان ، بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع دقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظام مع صلابتها مايليق بكل واحد من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة ، ولابد من قوة أخرى تتصرف فى أمور التناسل بأن يفصل من الغذاء جوهر النطفة لبقاء النوع .

فإن كل فرد من الأفرد ضرورى الفناء ، ولابد من قوة أخرى يصدر عنها تمريخات مختلفة بحسب كل عضو حتى يجعل من النطفة المتشابهة الأجزاء أعضاء مختلفة طويل وعريض ومستدير وزوراوية ومجوف ومصمت ودقيق وغليظ وصلب ورخو وهى أنقاش تنقش فى ظلمة الأحشاء هذه الأشكال العجيبة الحدقة والأجفان والجبهة والخد والأنف والشفة والذقن ولا يرى ذلك النقاش لاداخلا ولا خارجاً ولا خبر للأم به ولا للأب ، فسبحان من فتح عين أوليائه حتى شاهدوه فى جميع ذات العالم :

(الصنف الثالث : القوى المدركة التى فى الباطن) وهى خمس :

(الأول : الحس المشترك) وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر ، ألاترى القطرة النازلة خطا مستقيما والنطفة الدائرة بسرعة خطاً مستديرا وليس ذلك فى البصر لأن البصر لايدرك إلا المقابل والمقابل نطفة وقطرة ، فالذى يدرك الخط والدائرة قوة أخرى غير البصر ، فالصور الواردة على هذه القوة تارة تكون من خارج بواسطة الحواس ، وتارة من داخل فإن القوة الثانية المتخيلة ربما ركبت صورة وأوردتها على الحس المشترك فتصير مشاهدة كالصور التى يدركها الحس المشترك وهى خزانته :

(الثالثة) الوهم وهو قوة فى وسط الدماغ التى تدرك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كصداقة زيد وعداوة عمرو ، وهى التى تحكم فى الشاة أن الولد معطوف عليه والذئب مهروب عنه .

(الرابعة) الحافظة وهى قوة فى مؤخر الدماغ تحفظ المعانى التى يؤدى اليها الوهم كأنها خزانته .

(الخامسة) المفكرة وهى قوة فى وسط الدماغ أيضا تتصرف فى الصور الموجودة فى الخيال والمعانى الحاصلة فى الحافظة بالتفصيل والتركيب ، فإن كانت فى طاعة العقل تسمى مفكرة وإن لم تكن تسمى متخيلة وهى التى تتخيل إنسانا عظيم الرأس أو إنسانا ذا رأسين :

(النوع الثالث : القوى المحركة) وهى صنفان :

(الصنف الأول : الباعثة) وهى ضربان : الأول الشهوانية وهى القوة التى تدعو إلى طلب النافع ومن جملتها شهوة المأكول فإنها مادة القوى كلها ، فلو خلق للحيوان جميع القوى سوى الشهوانية لكانت القوى كلها ساطعة والحواس معطلة ، فكم من مريض يرى الطعام وقد يقع الاشتياق له وقد سقطت شهوته فالقوى كلها بسبب ذلك معطلة فاقتضت حكمة البارى تعالى شهوة الغذاء فى الحيوان ووكلها به ليضطره كالمتقاضى إلى التناول ليبقى بالغذاء سليم القوى صحيح الأعضاء ومنها شهوة الوقاع فلو لم يخلق للحيوان هذه القوى لأدى إلى انقطاع نسله سيما نوع الإنسان فإن له قوة الفكر والحفظ كان يمتنع عن المباشرة لما فيه من تعب الحمل والوضع والتربية فاقتضت حكمة البارى تعالى قوة الوقاع فى الحيوان ووكلها به كالمتقاضى لتدعوه إلى الوقاع فيبقى نسله.

(الضرب الثانى : القوة الغضبية) وهى التى تدعو إلى الغلبة ، فلو لم يخلق للحيوان هذه القوة لبقى عرضة للآفات لأنه كثير الأعداء فكل حيوان يقصد إما نفسه ليجعله طعمة أو يقصد ماعنده من الغذاء ، ونوع الإنسان أحوج إلى هذه القوة لكثرة من يزاحمه فى النفس والمال والجاه والحرم وغيرها فلا بد للحيوان من قوة يدفع بها من يغلبه بالدفع .

(الصنف الثانى : القوى الفاعلة) وهى التى يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة للقوة الشوقية وذلك بأن تشد الأوتار أو ترخيها فتحرك بها الأعضاء والمفاصل ، فلولا هذه القوة لكان جميع بدن الحيوان كاليد الشلاء فكان الانفعال والقبض والبسط غير ممكن فلم يكن له آلة الطلب والهرب كالزمن فاقتضت حكمة البارى عز وجل آلات الحركة لتكون حركته بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا .

(النوع الرابع : : القوى العقلية) وهى أربع مراتب :

(الأولى : القوة التى بها يفارق الإنسان البهائم) وهى استعداد لقبول العلوم النظرية والصناعات الفكرية .

(الثانية : القوة التى تدخل الوجود للصبى المميز) وبها يدرك الضروريات والممكنات والممتنعات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لايكون فى مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الضرورية .

(الثالثة : قوة تحل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الأحوال) فمن اتصف بها يقال له عاقل فى العادة ومن خلا عنها يقال له غبى غمر ، وهى معان مجتمعة فى الذهن فيستنبط بها مصالح الأغراض .

(الرابعة) قوة يعرف بها حقائق الأمور مباهيها ومقاطعها حتى يقمع الشهوة العاجلة للذة الآجلة ويحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل فيسمى صاحبها عاقلا من حيث أن إقدامه وإحجامه بحسب مايقتضيه النظر فى العواقب لابحكم الشهوة العاجلة والأولان مجبولان والأخيران مكتسبان ، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لاينفع الشمس وضوء العين ممنوع

(فصل : فى تفاوت الناس فى العقل)

اختلف الناس فيه . والحق أن التفاوت يتطرق إلى القسم الأول والثالث والرابع ، أما الثانى فهو العلم بوجوب الضروريات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإنه غير قابل للتفاوت .

(أما القسم الأول) وهو الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو إلى تمام الأربعين ، وقد شاهدنا الناس فى ذلك مختلفين فى فهم العلوم وانقسامهم إلى ذكى وبليد ومغفل ويقظ ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل آخره قال الله تعالى « إنى خلقت العقل من أصناف شتى كعدد الرمل ؛ فمن الناس من أعطى حبة ، ومنهم من أعطى حبتين ، ومنهم الثلاث والأربع ، ومنهم من أعطى فرقا ، ومنهم من أعطى وسقا ، ومنهم من أعطى أكثر من ذلك » .

(ومن الحكايات العجيبة) ما حكى أن بعض الأطباء دخل على مريض وجس نبضه وشاهد تعسره فقال له : لعلك تناولت شيئا من الفواكه ؟ قال المريض : نعم ، فقال الطبيب لا ترجع تأكل منها فإنها تضرك ، ثم دخل عليه فى اليوم الثانى ورأى النبض والتفسرة ، فقال : لعلك أكلت لحم فروج ؟ قال المريض : نعم ، فقال الطبيب : لا ترجع تأكله فإنه يضرك ، فتعجب الناس من حذق الطبيب ، وكان للطبيب ابن ، فقال له : يا أبت كيف عرفت تناوله الفاكهة والفروج ؟ قال : يا بنى ما عرفت ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة ، فقال له : كيف عرفت بالفراسة ؟ فقال له : إنى لما دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار سقاطات الفواكه ثم رأيت فى وجه المريض انتفاخا وفى النبض لينا وفى التفسرة غلظا وفجاجة ، وعلمت أن الفاكهة إذا حضرت عند المريض لا يصبر عنها فظهر لى من هذه الشواهد أنه تناول الفاكهة وما جزمت بها بل قلت لعلك أكلت ، وفى اليوم الثانى رأيت على باب الدار ريش الفروج وفى النبض امتلاء وفى الرسوب غلظ فعرفت أن الفروج لا يأكله إلا المريض غالبا فظهر بهذه الشواهد وما جزمت به بل قلت لعلك فعلت هذا ، فسمع ابنه هذا الكلام فأحب أن يسلك مسلك أبيه فدخل على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته فقال له : لعلك أكلت لحم حمار ؟ فقال المريض : حاشا وكلا كيف يؤكل لحم الحمار أيها الطبيب ؟ فخجل ابن الطبيب وخرج ، فانتهى ذلك إلى أبيه فأحضره وسأله كيف عرفت أنه أكل لحم الحمار ؟ فقال : لأنى رأيت فى دارهم برذعة فعلمت أنها لا تكون إلا للحمار ، ثم قلت لو كان الحمار حيا لكانت برذعته عليه وإذا لم يكن حيا فإنهم ذبحوه وأكلوه ، فقال أبوه : لو كان شىء من هذه المقدمات صحيحا لرجوت فيك النجابة ولكن المقدمات كلها فاسدة وطمع النجابة فيك محال ، ونعم ما قال ، فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع .

(وحكى) أن أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه كان جالسا يذكر الدروس فدخل عليه شخص ذو هيئة ، فلما بدأ قال لأصحابه : تثبتوا كيلا يأخذ عليكم هذا الرجل شيئا ، فلما جلس وأبو حنيفة رحمة الله عليه يذكر أوقات الصلاة قال : أما الصبح فوقته من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس زال وقتها ، فقال ذلك الرجل : فإن طلعت الشمس

قبل الفجر كيف يكون حكمها ؟ فالتفت أبو حنيفة إلى أصحابه وقال : كونوا كما شئتم فإن الأمر على خلاف ماحسبنا .

(وحكى) أن معاوية بن مروان ضاع له باز ، فقال : أغلقوا باب المدينة كيلا يخرج .

(وحكى) أن الوزير أبا السعادات خطأ الفرس تحته فأمر بقطع قضيبه ، فقيل له فى ذلك؟ فقال : أعطوه ولكن لا تعرفوه أنى عامت ذلك .

(أما القسم الثالث) وهو علم التجارب والرسوم والعادات فتفاوت الناس فيه ظاهر ويدل عليه حكايات : منها ما حكى أن أبا النجم العجلى دخل على هشام بن عبد الملك وأنشد أرجوزته التى أولها * الحمد لله الواهب المجزل * وهى من أجود شعره ، وهشام أصغى إليه إلى أن انتهى إلى قوله * والشمس فى الجوكعين الأحول * فغضب هشام وكان أحول وأمر بصفعه وإخراجه .

(وحكى) أن بعض الملوك قال لصاحب خيله : قدم الفرس الأبيض ، فقال له الوزير لا تقل الفرس الأبيض فإنه عيب يخل بهيبة الملوك ولكن قل الفرس الأشهب ، فلما أحضر السماط قال لصاحب سماطه : قدم الصحن الأشهب فقال له الوزير : قل ما شئت فما فى تقويمك حيلة .

(وحكى) أن عتاب بن ورقاء دخل على عمرو بن هداب وقد كف بصره فقال له : يا سيدى لايسوءك فقدهما ، فإنك لو رأيت ثوابهما لتمنيت أن الله تعالى يقطع يديك ورجليك ويدق عنقك .

(القسم الرابع) انتهاء القوة الغريزية إلى حد يعرف به عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة لأجل سلامة العاقبة ، ولا يخفى الناس فيه فإن إقدام الشبان على المعاصى أكثر من إقدام المشايخ وكذلك إقدام العلماء أقل من إقدام العوام لقوة علمهم بضرر المعاصى كما ترى أن الأطباء أقدر على الاحتماء من غيرهم .

(وحكى) أن بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيرا فإذا تمت السنة عزله وبعثه إلى جزيرة واستوزر غيره إلى أن اتخذ وزيرا عاقلا ، فلما ولى بعث إلى تلك الجزيرة وبنى بها دارا لنفسه ونقل إليها ماكان له من الأموال فلما تمت السنة لم يعزله الملك بل أقره على حاله فسئل الملك عن ذلك فقال : اعلموا أنى كنت محتاجا إلى وزير عاقل ينظر فى العواقب فما وجدت إلا من يراعى الحال ولا ينظر فى العواقب ، فكرهت أن أعجل عزله فصبرت على سوء تدبيره سنة ، فلما عزلته كرهت اختلاطه بالناس وهو مطلع على أسرار ملكى فبعثته إلى الجزيرة ، وأما هذا الرجل فوجدته مراعيا للعواقب فى جميع أموره فلست أستبدل به مادام هذا تدبيره ، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه .

(فصل فى خواص الإنسان وفوائد أجزائه وهو النظر السادس)

أما خواصه فكثيرة :

(منها) النطق وهو القوة التى يعرف بها الإنسان مافى ضمير غيره بواسطة رمز أوإشارة أو كناية والكلام أقوى الدلالات منها .

(ومنها) قوة التعجب وهى التى توجب الضحك عند رؤية مايتعجب منه وذلك من خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات .

(ومنها) نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوان لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد ، أما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية ، وخلق الإنسان أزعر إذلو كان أزغب لبطل الجمال وحاسة اللمس .

(ومنها) الشيب فإنه لايوجد إلا فى الإنسان وسببه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثر رطوبة وبياض الشعر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لايوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة فى آخر سن الكهولة عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متراوح متعفن يتولد منه شعر أبيض .

(ومنها) أنه إذا لمس العضو الوجع بالكف خف وجعه ، وكذلك إذا أصابه ضربة أو خدشة يمسكها بكفه فيسكن فى الحال .

(ومنها) سراية بعض الأمراض ، زعموا أن من أدام النظر إلى العين الرمدة ترمد عينه ، ومن خالط الأجرب والأبرص والمجذوم يحل به مثله .

(ومنها) أن الأبرص إذا مشى حافيا على الأرض لا ينبت موضع قدمه .

(ومنها) أن الإنسان إذا خصى يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات ، وينتن ريحه ويتغير وتكثر شهوة أكله وتطول عظامه وتعوج أصابعه وتقوى شهوة جماعه ويحتلم كثيرا ويطول عمره ويقل شعر بدنه ويصير صوته حادا دقيقا . ومن عجيب مايعرض للخصيان سرعة الغضب والرضا وضيق الصدر عن كتمان السر وحب اللعب بالشطرنج .

(ومنها) أن الأعمى يصير أكثر الناس نكاحا كما أن الخصى يصير أصح الناس أبصارا فإنهما طرفان مانقص من أحدهما زاد فى الآخر فازداد العميان إما قوة الفهم أو الحفظ أو النكاح .

(ومنها) أن الحائض إذا كشف عن سرتها انقشع السحاب ، وإذا استلقت فى أرض يخاف عليها البرد سلمت من ضرره ، وإذا دنت من الرياض والأشجار فسدت ، وإذا مرت

فى المقثأة تصير القثاء مرة ، وإذا نظرت فى المرآة تكدرت ، وإذا وطئها الرجل يصير بليدا وينقص من نشاطه وطراوته وحسنه ، وإذا مست المصروع سكن صرعه ، وإذا وطئت سلخ الحية ماتت تلك الحية وإذا رعت الغنم لم يقر بها الذئب ولو دنا منها يوجع بطنه ، وخرقة حيضها إذا شدت على مؤخر السفينة تأمن من الرياح المخالفة .

(ومنها) أن صاحبة الطلق إذا لبس قميصها من به حمى الربع قبل أن يغسل تزول عنه .

(فصل فى فوائد أجزاء الإنسان)

(شعره) يدخن به ينفع من النسيان ويغلى على النار ثم يطلى به رجل المنقرس يزول وجعه ، وشعر المرأة إذا وقع فى الماء الملح المكشوف للشمس يصير حية . (جمجمة الإنسان) إذا كانت نخرة تجعل فى برج الحمام يكثر فيه وبألفه ، وإذا وقعت فى أرض يهرب عنها البق . (دماغه) يسقى للملسوع أو يجعل على الموضع قدر حبتين أخرج السم من الموضع . (ودمع الإنسان) إذا كان من الفرح وهو بارد يجمع ويعطى للحزين يزول حزنه وإن أعطى للمصروع يزول صرعه ، وإن كان من حزين يجمع ويعطى إنسانا يبكى بكاءا شديدا . (ريقه) سم للعقرب ، ذكر جالينوس أن ههنا رجلا يرقى العقارب فتموت فأحضره وأحضر غداء وأكل معه ثم أحضر عقربا فرقى وتفل عليها فلم يظهر بها شىء فعلم أن تلك الخاصية للعاب على الريق ؛ (ريق الصائم) يبل به المغناطيس تبطل قوته فلا يجذب الحديد ، أول سن تقع من الصبى يحفظ كيلا تقع على الأرض وتتخذها عروة من الفضة وتعلق على المرأة لاتحبل ، وزعم بعضهم أن السن التى تقع من الألم يوم السبت أول الشهر إذا جعلت تحت رأس من يغط فى نومه فإنه لايغط ، وسن الصبى تدق ناعما وتجعل على نهش الحيات تنفع نفعا بينا . (سن الميت) تعلق على من به وجع السن يسكن ألمه . (عظم الميت) يعلق على صاحب حمى الربع تزول حماه وتشد على رجل المنقرس تنفعه ويسحق وينفخ فى دماغ السكران يبطل سكره ، ومن غلب عليه السهر فان كان رجلا ينفخ فى دماغه سحاقة عظم المرأة الميتة فإنه ينام وإن كانت امرأة نفخ فى دماغها سحاقة عظم الرجل الميت فإنها تنام . (عظم الإنسان) يحرق ويسقى من الصرع . قال جالينوس : رأيت إنسانا يسقى الناس به تبر أسرة الإنسان المقطوعة حال ولادته يجعل شىء منها تحت فص زبرجد من تختم به أمن من القولنج . (قلفة الصبى) تجفف وتدق ويخلط معها شىء من المسك ويسقى من به ابتداء الجذام يقف ولا يزيد .

(خصيته) إذا علقت فى خشبة وغرزت فى وسط الزرع لايقربه الجراد ، وكذلك لو جعل فى بستان ، ولو أكل خصية الإنسان كلب أو سنور أصابه الجنون ، ولو جففت وسحقت واكتحل بها الأجهر يزول عنه ، ولو أكل منها الخصى يحتلم ، زعموا أن قلامة أظفار الإنسان كلها إذا أحرقت وسقيت إنسانا يحبه حبا شديدا بشرط أنه يعلم ، قالوا إنه مجرب .

(دمه) يخلط بالماء ويطلى به بدن اللديغ يسكن وجعه ، وإذا رعف الإنسان فكتب اسمه بدمه على خرقة ووضعها نصب عينيه انقطع دمه . (دم الحيض) يطلى به عضة الكلب الكلب يبرئه وكذلك من البهق والبرص وإذا طلى العين به من خارج سكن وجعها ، (دم حيض البكر) ينفع من بياض العين إذا كتحل به . (ثدى الجارية) إذا طلى بدم بكارة الجارية حال افتضاضها لايكبر (نطفته) يطلى بها البهق والبرص والقوبا يزيلها ، وإذا خلط به زهر الغبيرا أو جفف وأعطى امرأة عشقته عشقا مبرحا . (عرقه) إذا ترشح فى الحمام يطلى به الدماميل ينضجها . (عرق المصارعين) يطلى به ثدى المرأة التى انعقد اللبن من ثديها يزول وجعها (عرق النساء) يطلى به الجرب ينفعه . (لبن النساء) يشرب مع شىء من العسل يفتت الحجر من المثانة (لبن الجارية) يداف بشىء من الزعفران أو حب السفرجل ويقطر فى الأذن قليلا قليلا يسكن وجعها (بوله) يغلى ويطلى به رجل المتقرس يزول وجعها وإذا شرب ينفع من نهش الأفاعى والأدوية القتالة (بول الصبى الذى لم يحتلم) يطبخ فى إناء نحاس مع العسل جلاء للبياض العارض فى العين ، ويشرب منه صاحب اليرقان ماء مقداره رطل بحيث لايدرى يزول عنه ذلك . (بول من لم يبلغ عشرين) إذا شربه صاحب البرص برئ منه ، ويطلى به الجرب المتقرح والحكة والقوبا يمنعها من أن تسعى ، قال ابن سينا : بول الانسان مع رماد الكرم يوضع على موضع النزف يقف وينفع من نهش الأفاعى شربا ، وقال أيضا : أمر إنسان مطحول فى النوم يشرب من بوله كل يوم ثلاث حفنات ففعل فعوفى وجرب فوجد عجيبا (رجيعه فى الصبا) يكتحل به يزيل بياض العين . قال بلياس : يداف شىء منه مع خمر ويسقى من به القالنج العسر فإنه يطلى ، ومن لسعته الرتيلا يسقى منه ويجعل فى تنور حتى يعرق عرقا كثيرا فإنه ينجو من الموت ويؤخذ الرجيع من بيت الزنبور ويحرقان ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاثة أيام فإنه يزول ، وإن اكتحل به أيام يزول جرب العين ، وإذا جفف الرجيع وسحق وعجن بالعسل ويطلى به ينفع من الخوانيق ويزيلها ، وكذلك شربها ينفع أيضا لمن أصابه سهم مسموم . (حيات بطن الانسان) تجفف وتسحق ويكتحل بها يذهب بياض العين والله الموفق للصواب .

(النوع الثانى من الحيوان) زعموا أن الجن حيوان نارى مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة ، واختلف الناس فى وجود الجن فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الإنس وهم قوم من المعتزلة ، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها ، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر ، وأنها تتشكل بما شاءت من الأشكال فإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر . وجاء فى الأخبار أن نوع الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكان الأرض ، وكانوا قد طبقوا

الأرض برا وبحرا وسهلا وجبلا وكثرت نعم الله تعالى عليهم فكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها وأكثرت فى الأرض الفساد ، فأرسل الله تعالى إليهم جندا من الملائكة فسكنت الأرض وطردت الجن إلى أطراف الجزائر وأسرت منها كثيرا وكان ممن أسر عزازيل وجرى بينهم قتال وكان عزازيل إذ ذاك صبيان نشأ مع الملائكة وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم وطالت أيامه حتى صار رئيسا ، وبقى الأمر على ذلك زمانا طويلا حتى جرى بينه وبين آدم ماجرى كما قال الله تعالى — فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس — وقال تعالى — وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه — قال مجاهد : لإبليس خمسة من الأولاد وقد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره ، فذكر أن أسماءهم بيره والأعور ومسوط وداسم وزلنبور ، أما بيره فصاحب المصائب يأمر بالثبور وشق الجيوب ، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه فى أعينهم ، وأما مسوط فصاحب الكذب ، وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء ، وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزال أهل السوق متخاصمين .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال فاجعل لى مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى قرآنا قال الشعر قال فاجعل خطا قال الوشم قال فاجعل لى حديثا قال الكذب قال فاجعل لى مصائد قال النساء» .

(فصل فى عجائب من مكايد الشيطان)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب فى بنى إسرائيل اسمه برصيصا مستجاب الدعوة فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فحملوها إليه فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها ، وكانت عنده ليعالجها فأتاه الشيطان فوسوس إليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن يأتيها أهلها فتفتضح فاقتلها وقل لهم ماتت فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها وأخبرهم أنه أحيلها وقتلها ودفنها ، فأتاه أهلها وأرادوا قتله فأتاه الشيطان وقال له : أنا الذى أخذتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنجح وتنجو واسجد لى سجدتين ، ففعل فقتل على الكفر . قال تعالى — كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين — .

(ومنها) ماروى عن عيسى عليه السلام أنه لما رفع كان له تلامذة يدعون الناس إلى التوحيد وأكبرهم أربع نفر مرقس وهو أصغرهم سنا ومحسن وهو أعبدهم ومنيوس وهو

أوسطهم ويوقاس وهو أسنهم فبنى كل واحد منهم صومعة يعبد الله تعالى فيها فجاء الشيطان إلى مرقس وبيده سراج فقال له من أنت ؟ قال : أنا رسول المسيح إليك وإلى أصحابك يقول : ويلكم أنتم عرفتم أنى كنت أبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى ، ومن كان كذلك يكون إلها فكيف تنسبونى إلى العبودية ، فنزل عن صومعته ودخل على محسن وأخبره بما سمع من الشيطان فقاما إلى صومعة منبوس وذكرا له ما كان من الشيطان فقال منبوس : كانت نفسى تحدثنى بذلك غير أنى كنت أكذبها ؛ فقاموا إلى صومعة يوقاس وحدثوه بذلك فقال لهم : إن عيسى ثالث ثلاثة ، فدعوا الناس إلى ذلك فضلوا وأضلوا لعنهم الله .

(ومنها) ماذكر فى الإسرائيليات أن عابدا سمع أن قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فقام بالفأس لقطع الشجرة فلقيه إبليس لعنه الله فى صورة شيخ فقال له : وأى شيء تريد يرحمك الله ؟ فقال : أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله ، فقال له : ماأنت وذاك تركت عبادتك وتفرغت لهذا فالقوم إن قطعتها يعبدون غيرها ؛ فقال العابد : لابد لى من قطعها ، فقال إبليس : أنا أمنعك عن قطعها ، فقاتله العابد وضربه على الأرض وقعد على صدره ، فقال له إبليس : أطلقنى حتى أكلمك ؟ فأطلقه فقال : ياهذا إن الله تعالى قدأسقط عنك هذا وله فى الأرض عباد لوشاء أمرهم بقطعها ، فقال العابد : لابدلى من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد مرة أخرى وصرعه ، فقال له إبليس لعنه الله : هل لك أن تجعل بينى وبينك أمرا ، هو خير لك من هذا الحال ؟ فقال له العابد : وما هو ؟ فقال له : أنت رجل فقير فلعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وجيرانك وتستغنى عن الناس ؟ فقال : نعم فقال : ارجع عن ذلك ولك على أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين تأخذهما وتنفقهما على عيالك وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة ، فتفكر العابد وقال : صدقت فيما قلت فعاهده على ذلك وحلف له وعاد العابد إلى متعبده ، فلما أصبح العابد رأى دينارين تحت رأسه فأخذهما وكذلك فى اليـوم الثانى فلما كان فى اليوم الثالث وما بعده لم ير شيئا ، فغضب وأخذ الفأس وذهب نحو الشجرة فاستقبله إبليس لعنه الله فى صورة ذلك الشيخ وقال له : إلى أين تريد ؟ قال : إلى قطع هذه الشجرة ، فقال له : ليس لك إلى ذلك من سبيل فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه قبل ذلك ، فقال إبليس ، هيهات هيهات وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور وقال له : لئن لم تنته عن هذا الأمر وإلا ذبحتك ، فقال العابد : خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى ؟ فقال : لما غضبت لله تعالى سخرنى الله تعالى لك والآن غضبت للدنيا ولنفسك فصرعتك .

(ومنها) ما ذكر أن مردك ادعى النبوة فى زمن قيار ملك الفرس وجعل الأموال والأبضاع مشتركة بين الناس فتبعه خلق كثير لا يحصى ولا يعد ، فاحتال ابن كسرى الحير وقتل مردك وأصحابه اثنى عشر ألفا فى يوم واحد وهرب منهم كثيرون واختفوا فى البلاد فإذا مات منهم

ميت دفنوه وقعدوا مترصدين أول ليلة من دفنه فيأتيهم إبليس لعنه الله على صورة الميت يقول جئتكم لأودعكم اعلموا أن دين مردك حق ، حتى لو مات أحدهم فجأة وكان عنده وديعة : قالوا اصبر فإنه يأتينا للوداع فنستخبره عن الوديعة .

(فصل ذكر بعض المتشيطنة)

وأشهرها الغول ، زعموا أن الغول حيوان شاذ مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج مفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار ، وهو يناسب الإنسان والبهيمة وأنه يتراءى لمن يسافر وحده فى الليالى وأوقات الخلوات فيتوهمون أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق . وقال بعضهم إن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع تصيبهم الشهب فمنهم من احترق ومنهم من وقع فى البحر فصار تمساحا ومنهم من وقع فى البر فصار غولا . قال الجاحظ : الغول كل شىء من الجن يتعرض للفساد ويكون فى ضروب الصور والثياب . قال كعب بن زهير :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

وذكر جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم رأوا الغول فى أسفارهم منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى الغول فى سفره إلى الشام قبل الإسلام فضربه بالسيف ، وذكر ثابت ابن جابر الفهمى رحمة الله عليه أنه لقى الغول وجرى بينهما ما ذكر ، فقال الشاعر المعروف بتأبط شرا الفهمى فى ذلك :

ألا من مبلغ فتيان فهم ؛ ا لاقيت عند رحا بطان
فإنى لقد لقيت الغول تهوى بشهب كالصحيفة صحصحان
فقلت له كلانا نضو دهر أخا سفر فخلى لى مكانى
فشدت شدة نحوى فأهوى لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللحران
فقالت عد فقلت لها رويدا مكانك إننى ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا لديها لأنظر مطبخا ماذا أتانى
إذا عينان فى رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج وسرار كلب وثوب من علا وشنان

(ومنها) السعلاة ، وهى نوع من المتشيطنة مغايرة للغول . قال عبيد بن أيوب يذكرها :

وساخرة منى ولو أن عينها رأت ما ألاقيه من الهول حبت
أبيت وسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أزنت

وأكثر ما توجد السعلاة بالغياض إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما تلعب الهر بالفأرة ، رأيت رجلا من بلاد اصفهيد ذكر أن عندهم من هذا النوع كثير ، وذكروا أن

الذئب ربما يصطادها بالليل يأكلها فإذا افترسها ترفع صوتها تقول: أدركونى فإن الذئب قد أكانى ، وربما تنادى من يخلصنى ومعى مائة دينار يأخذها، والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة ولا يخلصها أحد فيأكلها الذئب .

(ومنها) الغدار ، وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد بأكناف اليمن وربما توجد بتهائم مصر وأعاليها يلحق الإنسان فيدعوه إلى نفسه فيقع عليه ، فإذا أصاب الإنسان منه يقول أهل النواحى : أمنكوح أم مذعور ؟ فإن كان منكوحا يئسوا منه، لأن له قضيبا كقرن الثور يقتل الإنسان بغرزه فيه وإن كان مذعورا سكن روعه وشجع ، والإنسان إذا عاين ذلك يخر مغشيا عليه وربما لم يكترث لشجاعة نفسه .

(ومنها) الدلهاب ، وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد فى جزائر البحار ، وهو على صورة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر . وذكر بعضهم : أن الدلهاب إذا تعرض لمركب فى البحر وأراد أخذ أحدهم فحاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم .

(ومنها) الشق ، وهو نوع آخر من المتشيطنة صورته كنصف آدمى ، زعموا أن النسناس مركب من الشق والإنسان ، يظهر للإنسان فى أسفاره :

(وذكر) أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج فى بعض الليالى فانتهى إلى موضع يعرف بحومان فإذا قد تعرض له شق فقال علقمة : إنى مقتول ، وإن لحمى مأكول ، أضربهم بالهدلول ضرب غلام بهلول، فقال علقمة : يا شق أقبل مالى ومالك عهد على بفضلك تقتل من لايقتلك، فقال شق هيت لك نفسى فاصبر لما قد حم لك فضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فوقعا ميتين وهو مشهور أن علقمة بن صفوان قتله الجن ، والله تعالى أعلم .

(ومنها) المذهب ، ذهب بعض العباد أن لهم شيطانا يقال له المذهب يخدمهم ويريد أن يريهم العجب ، وأن بعض العباد نزل به ضيف وأقام عنده أياما لم ير فى صومعة العابد أحدا وكان يرى كل ليلة عند الإفطار منارة ومسرجة وخوانا عليه طعام ، فتعجب الضيف من ذلك وسأل العابد عنه فأعرض عن جوابه فألح عليه فقال : اعلم أن هذا منذ مدة يأتينى به شيطان يريد أن أحمله على كراماتى ، وأنا أعلم أنه من الشيطان من أول يوم فعند ذلك انطفأ السراج وزال الطعام ، والله الموفق للصواب .

(فصل فى حكايات عجيبة عن الجن وما جرى لهم)

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن إبليس لعنه الله يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أدناهم منه مجلسا فيجىء أحدهم

فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجيء أحدهم فيقول فرقت بينه وبين أهله فيقول نعم أنت ابني فيدنيه مني » .

(ومنها) ماحكي أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه الصلاة والسلام : أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله تعالى لنبيه سليمان بن داود ، فخرجت الجن والشياطين من المفازات ومن الجبال والآكام والأودية والفلوات والآجام وهي تقول : لبيك لبيك ، تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة ، وهي يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة ، فوقفوا بين يدي سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع ولها خراطيم وأذناب وحوافر وقرون ، فسجد سليمان لله تعالى وقال : اللهم ألبسني من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال : إن الله تعالى قواك عليهم قم من مكانك ، فقام والخاتم في أصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة ، ثم رفعت رؤوسها وقالت : يابن داود إنا قد حشرنا إليك وأمرنا لك بالطاعة ، فجعل سليمان عليه السلام يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ، فقال لهم : مالكم صوركم مختلفة وأبوكم الجان واحد ؟ فقالوا : إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا واختلاطه بنا ومناكحتنا مع ذريته ، فنظر سليمان عليه السلام فرأى المردة يهمون بالفساد والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة ، فصفد المردة وفرقهم في الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأحجار والصخور والأشجار وأبنية الحصون ، وأمر نساءهم بغزل القز والإبريسم والقطن ونسج البسط والنمارق ، وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، فاتخذوا له قدوراً من الحجارة كل قدر تأكل منها ألف نسمة ، وأشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز وأخرى بالذبح والسلخ ، وطائفة بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللآلىء ، وطائفة لحفر الآبار والقنى وشق الأنهار ، وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض ، وطائفة بالمعدنيات واستخراجها من المعادن ، وطائفة برياضة الخيل الصعاب ، فأشغل كل طائفة منهم بأمر صعب ليقل فسادهم ويكون قوة ملكه .

وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا شرب الماء كلحت الشياطين في وجهه وهو لا يراهم لأن الكوز كان يمنعه فكره ذلك منهم فاتخذ له صخر الجن الأواني من القوارير كان يشرب منها ولا يمنعه من ذلك رؤية الشياطين ، ثم أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لاتحجب سقوفها وحيطانها شيئا ، فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام وعرضه ، وجعل لكل سبط من الأسباط فيها قصراً في طول ألف ذراع وعرض مثله ، وفي كل قصر دور ومجالس وبيوت وغرف للرجال والنساء

ثم بنى مجلساً فى طول ألف ذراع وعرضه كذلك ليجلس فيه العلماء والقضاة ، ثم بنى لسليمان عليه السلام قصرا رفيعا عجيبا فى طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وزخرفه بأنواع القوارير ورصعه بأنواع الجواهر ، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا ركب الريح على بساطه فى هذه المدينة يرى كل شىء كان على بساطه خارج المدينة لصفاء القوارير حتى الطباخين والخبازين وجميع من ركب بساطه من الجن والإنس والخيل والخدم والحشم وكان الكل بمرأى من سليمان عليه الصلاة والسلام والريح تمشى بأمره رخاء حيث أصاب .

وقال وهب بن منبه : لما رد الله تعالى على سليمان ملكه أمر الريح الصرصر حتى حشرت إليه شياطين الدنيا فرآهم سليمان عليه السلام على صورة عجيبة : منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ويخرج النار من فيه ، ومنهم من كان يمشى على أربع ، ومنهم من كان له رأسان ومنهم من كانت رؤوسهم رؤوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة ، فرأى سليمان عليه السلام شيطانا نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنور وله خرطوم طويل فقال له : من أنت؟ فقال : أنا مهر بن هفان بن فيلان فقال سليمان عليه السلام : ما عندك من الأعمال؟ فقال عندى عمل الغناء وعصر الخمر وشربه ، وأزين الشرب والغناء لبنى آدم ، فأمر بتصفيده ثم مر به آخر قبيح الشكل أسود له سمج الكلاب والدم يقطر من كل شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جدا ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الهلهال بن المحول ، فقال له : ما عملك ؟ فقال : سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، فقال : يا نبى الله لا تقيدنى فإنى أحشر إليك جبابرة الأرض وأعطيك العهد والميثاق أن لا أفسد فى مملكتك ، فأخذ عليه الميثاق ظافر وختم على عنقه وأطلقه ، ومر به آخر فى صورة قرد له أظافر كالمناجل وهو قابض على بربط ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا مرة بن الحارث فقال له : ما عملك ؟ فقال : أنا أول من وضع هذا البربط وحركها فلا يجد أحد لذة الملاهى إلا بى ، فأمر بتصفيده .

قال أبو عبيدة : خرج عبيد بن الأبرص يريد الشام فلما كان ببعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشا فعمد عبيد إلى راوية ونزل عن بعيره وسقى الشجاع حتى روى ، ثم مضى حتى أتى الشام وقضى حاجته وانصرف فإذا فى الليالى أضل بعيره ونكب عن الطريق وساء ظنه وإذا هاتف يقول :

يا صاحب البكر المضل مذهبه دونك هذا البكر منا فاركبه
حتى إذا الليل تراءى غيهبه وأقبل الصبح ولاح كوكبه
فحط عنه رحله وسيبه

فرأى بعيره فاستوى على ظهره فلم يلبث أن رأى باب داره وكان على مسيرة عشرين مرحلة فأقبل يحط عنه الرحل وهو يقول :

ياصب البكر قد أنجبت من كرم ومن فياف تضل المدلج الهادى
هلا بدأت لنا خلوا لنعرف من هذا الذى جاد بالنعماء فى الوادى
ارجع حميدا فقد بلغت حاجتنا بوركت من ذى سلام رائح غادى

فأجابه بقوله :

أنا الشجاع الذى أرويتنى ظمأ فى ضحضح خصب عن أهله صادى
وجدت بالماء لما عز مطلبه نصف النهار على الرمضاء فى الوادى
هذا جزاؤك منا لا نمن به لك الجميل علينا إنك البادى
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

قال جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه : وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسيت بواد وحدى فإذا شخص واقف على فقال لى : انطلق . قلت : وأنا آمن ؟ قال : نعم فذهبت معه إلى جميع شيب وشبان ، فقالوا : إنسى ؟ قال : إنسى . قالوا : أنشدنا ، فأنشدتهم :

* ودع هريرة إن الركب مرتحل *

فضحكوا وقالوا : شعر سجل ، ادعه يا غلام فأقبل شخص كأنه رمح ورأسه مثل قلة ، فقالوا : هذا إنسى أنشدنا من شعرك ؟ قال جرير : فحدثتهم إلى الصبح ، وعلمونى دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم ، فلما قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته به قال : حدث الناس به ، وقد جرى ذكر الجن فى مجلس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال رجل من بنى الحارث : خرجت عاشر عشرة أريد الشام فتأخرت عن أصحابى حتى اختلط الظلام فرفعت لى نار فقصدتها ، فإذا أنا بخيمة أمامها جارية جميلة ، فقلت لها : ما تصنعين فى هذا المكان ؟ فقالت : أنا جارية من فزارة اختطفنى عفريت وهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار ، فقلت لها : امضى معى ، فقالت : إنى أخاف على نفسى الهلاك ، فألححت عليها فأركبتها ناقتى وجعلت أمشى فسرنا حتى طلع القمر ، فالتفت فإذا ظليم عظيم عليه راكب فقالت هاهو قد أتى فما تريد أصنع ، فنزلت وأنخت راحلتى وخططت حولها وقرأت آية من القرآن وتعوذت بالله ، فتقدم إلى وأنشد يقول :

ياذا الذى للحين يدعوه القدر خل عن الحسناء رسلا ثم سر
إنى أمر مالك حين فاصطبر

فأجبته وقلت :

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق خل عن الحسناء رسلا وانطلق
فلست فى الجن بأول من عشق

فبرز إلى فى صورة أسود فتصارعنا فلم يغلب أحد منا صاحبه ، فقال لى : هل لك فى

خصال ثلاث ؟ قلت : ما هى ؟ قال : تجز ناصيتى وتعرض عن الجارية ، قلت : ناصيتك أهون شيء علىّ . قال : فتأخذ ما تشاء من الإبل؟ قلت: لا أبيع دينى بعرض الدنيا . قال : فأخدمك أيام حياتى ؟ قلت : مالى إلى خدمتك حاجة ، فأنشد يقول :

بلى جسدى والحب يبلى جديده ... ولم يبل منى إذ بلى جسدى وحدى
عليك سلام الله يادعد ما جرت ... رياح الصبا فى الغور يوما وفى نجد

فسرت بها إلى أهلها فزوجنيها أهلها ولى منها أولاد .

(وحكى) بعض الرعاة أنه نزل بواد بغنمه فسلب ذئب شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى : ياعامر الوادى ، فسمع صوتا يقول . ياسرحان رد عليه غنمه ، فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب .

(وحكى) عن بعض الأعراب أنه أبق له غلام قال : فخرجت أقفو أثره فبينما أنا أسير إذ رأيت أربعة يختصمون فى شعر الفرزدق وجرير ، فدنوت إليهم وسلمت عليهم وقلت لهم : أيهما أشعر ؟ فقال شيخ منهم : الذى يقول :

وكل رضيع منتهاه رضاعه ... وكل كلبى من اللؤم راضع
فلم تتبعوا موت الهزيل ببابكم ... بنى الكلب والحامى الحقيظة مانع

فقال أحدهم : والله كان الصعب شاعرا ، ولقد كان حاطب له قرنا فى الجواب حيث قال :

إذا قيل أىّ الناس شر عشيرة ... وأكثر عارا قيل تلك مجاشع
ولو سفرت يوما نساء مجاشع ... بدت سوءة فيما تجن البراقع

وأنشد شيخ منهم :

لا تعدلنّ بشعر كندة غيره ... إلا اللواتى من مقال زياد
لله هادر فى القريض لقد جنى ... منه العداة زيادهم بجياد

فقلت له : ماعرفت الصعب وحاطبا وهادرا؟ قال الشيخ : أما الصعب فالناطق على لسان اليربوعى ، وحاطب على لسان الذبيانى . وهادر على لسانى قال : فضحكت وظننت أن كلامهم استهزاء . قال بعضهم : هل لك من حاجة إلى غلامك ؟ قلت : وماعلمك بقصة غلامى ؟ قال : كعلمى بجهلك . قلت : أو جاهل أناعندك ؟ قال : وأحمق ، ثم قام ومضى وجاء بغلامى ، فلما رأيت الغلام غشى علىّ وكان الغلام مكتوفا بلارباط ، فقال لى ذلك الرجل : انفخ فى كف غلامك حتى يستوى ، فنفخت فأطلق ، فصرت بعد ذلك لاأنفخ فى شيء من الأوجاع إلا برئ .

وذكر إبراهيم بن المنصور : أن محمدا الأمين غضب عليه فسلمه إلى كوثر الخادم فحبسه فى سرداب وأغلق عليه الباب وكان إبراهيم عديم المثل فى الغناء . قال : فمكثت فى السرداب

ليلة فلما أصبحت إذا أنابشيخ خرج من زاوية السرداب دفع إلىّ وسطا وقال : كل فأكلته ثم أخرج قنينة وقال : اشرب فشربت ، ثم قال غن لى فغنيت :

لى مـــدة لابد أبلغها معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتنى الأسد ضارية لغلبتها إن لم يجى الوقت

فسمع كوثر صوتى فذهب إلى الأمين وقال له : إن عمك قدجن هاهو قاعد يغنى فى السرداب بكيت وكيت ، فأمر بإحضارى فأخبرته بالقصة فرضى عنى وأمر لى بسبعمائة ألف درهم .

(النوع الثالث من الحيوان الدواب) هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا ، ولما كان الإنسان لطيف البدن بطىء المشى كثير العدو من جنسه وغير جنسه وحركاته قاصرة عن الوفاء بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه إلى تذليلها وتصريفها تحته فى إنجاح مقاصده ليقوم له مقام الجناح للطائر والقوائم للبهائم والدواب ، فقال عز من قائل — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — زعموا أن آذانها إنما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى لتحاذى بالثقب جهات شتى ويرد الهواء إليه فتكون فائدة السمع أكثر ، ولما كان الفرس أذكى حساً من الحمار خلقت أذنه أصغر من أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن الفرس يكفيه من قرع الهواء دون مايكفى الحمار لصفاء حس الفرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه بلدغ الهوام فوق إحساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطرد بها الهوام عن بدنه ، ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ليمكن المشى الكثير عليها وليكون سلاحا دافعا للعدو فإن كل حيوان له حافر لاقرن له لأن المادة لاتفى بهما جميعا وكل حيوان له قرن لاحافر له بل له ظلف فإن المادة تفى بها فتتم آلة المشى والسلاح فسبحان من أعطى كل شىء مايستحقه دون الزيادة والنقصان. ولنذكر مايتعلق بأصناف الدواب إن شاء الله تعالى :

(فرس) هو أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان وأرشد الدواب عدوا وذكاء ، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية ، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له ، ومن الخيل مالايبول ولايروث مادام الراكب عليها.

(ومنها) مايستعمل فى لعب الأكرة مرارا يتعلم ذلك فراكبه لايحتاج إلى إدارته بل يكون نظره على الكرة كلما رأى الكرة عدا خلفها ومن الخيل مايعرف صاحبه ولايمكن غيره من ركوبه ومن كرم أخلاقه أنه إذا ضلت حجرة ولدها يرضع مهرها سائر الحجور إشفاقا عليه. وقال محمد بن السائب الكلبى : إن الصافنات الجياد التى عرضت على سليمان عليه الصلاة والسلام كانت ألف فرس ورثها من أبيه داود عليه الصلاة والسلام ، فلما ألهته عن صلاة العصر حتى

توارت بالحجاب عرقبها إلا أفراسا فوفد عليه قوم من الأزد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا يانبى الله أرضنا شاسعة زوّدنا مايبلغنا إليها ، فأعطاهم من تلك الخيل وقال : إذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فإنكم لاتورون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس ، وكانوا إذا نزلوا منزلا حملوا عليه غلامهم للقنص فلايفوته شيء يقع عليه عينه من ظبى أو بقر أو حمار إلى أن قدموا بلادهم فسموا ذلك الفرس زاد الراكب ، وزعموا أن خيل العرب من نتاجه .

(فصل فى خواص أجزائه) .

(سنه) تشد على الصبى تنبت أسنانه بلا ألم ويترك تحت رأس من يغط فى نومه يزول عنه ذلك (لحمه) صالح لطرد الرياح . (ذنبه) يؤخذ منه شعره ويمد على باب البيت عرضا لم يدخله بعوضة (حافر الرمكة) إذا تبخرت به المرأة يخرج الجنين الميت والمشيمة المحتبسة . (حافر الفرس الشموس) تدفن فى الدار تهرب عنها الفأرة ، وإذا سقيت الفراريج أول ماتسقيها فى حافر الفرس لايقربها باشق ولا شاهين ولا شيء من الجوارح . (وعرقه) يطلى به عانة الصبى وإبطه لاينبت عليهما الشعر . (وزبله) يدخن به تحت من عسرت ولادتها تسهل عليها ، ويابسه يدر على الجراحات ينقطع دمها .

(البغل) المتولد من الفرس والحمار إن كان الذكر حمارا فشديد الشبه بالفرس وإن كان الذكر فرسا فشديد الشبه بالحمار ، ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار وكذلك أخلاقه فليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار وكذلك صوته ومشيه بين الفرس والحمار ولا شك فى عقمها لكن منهم من يقول إن الولد لايتعلق فى رحمها ، ومنهم من يقول يتعلق لكن مخرجه ضيق لايمكنه الخروج فتموت الأم وكذلك يجعلونها مكتوبة لأن الذكر إذا نزا عليها أحبلها فتموت بالولادة .

(فصل فى خواص أجزائه)

(شحم أذنه) إذا سقى امرأة لاتحبل ، وكذا (وسخ) أذنه يداف ويسقى ويمنع من الحبل . (مخه) إذا طعم إنسان منه ينقض من جميع حواسه حتى يبقى كالنائم ، وإذا أطعمت الحبلى تلد ابنها خبيثا . (قلبه) تأكله المرأة لاتحبل أبدا . (نحافة حافره) إذا أحرقت حتى صارت رمادا يمنع من الحبل إذا أكلته المرأة ، ويطلى به رأس الأقرع يدهن الآس ينبت شعره (خصيته) تشد خرقة حرير وتعلق على دابة تقوى على السير ولا تتعب . (بوله) تشربه المرأة تسقط الجنين الميت وصاحبة الطلق تضع سريعا . (زبله) زعموا أن المزكرم إذا شمه وتفل عليه ثم رماه على الطريق فمن تخطاه ينتقل الزكام إليه ويبرأ التافل . (الزنبور الذى يوجد فى دبر البغال) يجفف ويتبخر به صاحب البواسير يبرأ ، وجلد جبهته يحرق فى مكان لايتم فيه شيء من الأمور البتة .

(حمار) حيوان خدر الأعضاء من غاية البرودة كدر القوى إلى الحافظة فإنه إذا مشى بطريق لاينساه بعدذلك ، وإذا ضل المكارى طريقه قدم حمارا قارحا ويخلى سبيله يمشى كما أراد يمينا وشمالا فإنه يعثر بالطريق وإذا وقع بالطريق يحرك رأسه وأذنيه وذنبه يعنى إذا أصاب الطريق. وزعموا أن الكلب إذا سمع نهيق الحمار يتألم ظهره ، وإذا سد أذناه لاينهق ، وإذا رأى الأسد وقف وقف مكانه وربما عدا إليه يحسب أن ذلك ينفعه من سطوته كما أن الشاة إذا تسلمها الذئب فإنها تعدو مع الذئب تحسب أن ذلك ينفعها من سطوته . وقال بلياس فى كتاب الخواص : إذا حملت خنزيرا عطشانا على ظهر حمار فإذا شرب الحمار مات الخنزير .

(فصل فى خواص أجزائه)

(مخه) من سقى منه يغلب عليه النسيان ، ولو سقيته الحبلى ولدت أبله . (سنه) يجعل تحت رأس من به سهر ينام ، (كبده) يشد مجففا على من به حمى الربع تزول عنه . (طحاله) يجفف ويطلى به ثدى النساء يكثر لبنها . (حافره) يسحق ويطلى به جبهة المصروع أياما يزول صرعه ، ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يحللها . قال : يسحق حافر الحمار ويطلى به البرص فإنه يقلعه ولو كان عتيقا ، وإذا تدخنت المرأة به يسرع خروج ولدها حيا كان أو ميتا وإذا خلط محرقا بدهن الجوز وجعل على الناصور يصلحه ، ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات حين نزوانه على الأتان ويشد على ساق الرجل ينعظ فى الحال . (لحمه) من أكل منه يأمن من آفات السموم ، وينفع صاحب الجذام نفعا بينا . (دمه) يطلى به البواسير مرارا تسقط . (لبنه) يسقى الصبى الذى يكثر بكاؤه يزول عنه ، ومن ضرب بالسياط يكمد بجلد الحمار فى الوقت الذى سلخ وينام فيه يومه فإنه يزول الألم . (جلد جبهته) يعلق على المصروع يزول صرعه . (ذنبه) يلقى فى النبيذ شئ من شعره يقع بين شاربيها خصومة ، وتسقى عصارة روثه لمن فى مثانته حصاة يفتتتها ، وذكر الجاحظ : أن تلك العصارة دواء للضرس المأكول .

(حمار الوحش) هذا النوع شديد الشبه بعضها بالبعض ، وذكروا أن الفحل إذا رأى جحشا ذكرا ينزع خصيته حتى لا يزاحمه إذا كبر فى أتانه ، والأتان إذا ضربها الطلق طلبت موضعا قليل المسلك ووضعت فيه خوفا من أن يكون الولد ذكرا فيخصيه الفحل ثم إذا صلب حافره وقدر على العدو أتت به إلى الغابة ، ومن عاداتها أنها لاينقطع بعضها عن بعض ولو كانت ألوفا ولذلك يسهل صيدها فإن الصائد يكمن فى مضيق ويصبر حتى يعبر عليه بعضها ثم يخرج فلو رجعت البقية سلمت من الصائد لكنها أرادت اللحوق بالتى عبرت فيرمى الصائد منها مايرمى ، ومن حمر الوحش صنف يسمى الأخدرية منسوبة إلى أخدر حصان كان لكسرى أزدشير توحش واجتمع بغابات فضرب فيها فالمتولد منه يقال له الأخدرية وهذا الصنف أحسنها شكلا وأشدها عدوا .

(فصل فى خواص أجزائه)

(مخه) يسحق بدهن الزئبق ويطلى به البهق فإنه يزول ، ومن أكل منه مع الخس وكان كثير الاحتلام يندفع عنه وينفع لمن يبول فى الفراش . (مرارته) قال ابن سينا : تقلع النوتة . (لحمه) ينفع من النقرس طلاء مع دهن الورد . (شحمه) جيد للكلف طلاء . (حافره) يتخذ منه خاتم ويعلق على أصحاب الجنون والصرع . رأس الشهر يزيل عنه ذلك ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة . (روثه) يحرق فى تنور الخباز يسقط جميع أقراصه ، وإذا سحق وخلط ببياض البيض واستنشق به ينفع من الرعاف .

(النوع الرابع من الحيوان النعم) هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع ، ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها ، ومن شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقت ذلولا كما قال تعالى — وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون — وخلق القرن للبقر سلاحا ليتدارك تقصير الحافر وجعل لها بدل الحافر ظلفا لقصور المادة عن الحافر والقرن ، وربما صرفت المادة فى جهة أنفع وتركت الجهة التى هى أقل نفعا كترك الفك الأعلى للبقر بلا سن وصرف مادتها إلى القرن ، والقوة المدبرة بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جثة أو هرب وأى هذه فقدت مادته دبرت بمادة أخرى حتى يكمل لها ما تحتاج إليه فى بقاء شخصه ونوعه ، ثم إن النعم لما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا تطحن بها الصلب من الحب والنوى ، ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا ينى بغذائها فإذا رجعت إلى مكانها تجعلها بالاجترار مهيأة للنضج فعند ذلك طبيعتها تميز لطيفها من ثقيلها فتجعل التبن اليابس لحما ودما ، ومن العجب القوة التى خلقها الله تعالى فى أضراسها فإنها بالليل والنهار فى الطحن لا تفتر إلا قليلا ، فلو كانت من الحديد الذكر لانسحقت وتفتتت فسبحانه ما أعظم شأنه . ولنذكر بعض ما يتعلق بواحد واحد :

(إبل) من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم إياها وهو أنه حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به ، وتأخذ بزمامه فأرة تقوده إلى حيث شاءت ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفها والوسادة والملحفة والنمرقة كما فى بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشى بكل هذه ولهذا قال تعالى — أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت — وربما تصبر عن الماء عشرة أيام وإنما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل وينال الأرض يرعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به ، يهيج فى شباط وعند ذلك

لا خبر له بالحمل يحمل ما يحمله بعيران أو ثلاثة تؤخذ عصارة النودنج وتقطر فى منخريه يذهب عنه ذلك ، وإذا مرض أكل من شجرة البلوط يزول عنه والشقشقة التى يخرجها لم تعرف أى شىء هى وقد يجتر والشقشقة خارجة ، وإذا نهشته حية يأكل السرطان تزول عنه غائلة السم ؛ قال ابن سينا : بهذا عرف أن السرطان نافع لنهش الحية .

(فصل فى خواص أجزائه)

قالوا : ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شىء يشبهها ، وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من الغشاء العتيق ، وتطلى به الرقبة ينفع من الخوانيق ، ووزن قيراط مع مثله من المسك يسعط به ينفع من الصرع . (كبده) يداوم على أكله يدفع نزول الماء . (شحمه) لم يوضع فى موضع إلا وهربت الحيات منه . (سنامه) يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعها . (كرشه) فيه غدة إذا خرجت منه استحجرت وإذا سحقت بالخل ابيضت وهى من أنفع الأشياء للسموم القتالة ذكر ذلك بليناس . (عظمه) يسحق ويخلط بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه . (شعره) يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ، ويشد على فخذ الصبى الذى يبول فى الفراش يمنع ذلك ؛ (وبره) يذر محرقا على الأنف يحبس الرعاف والدم والسائل من الجراحات إذا ذر عليها . (لبنها) ينفع من السمومات كلها والتمضمض به ينفع للأسنان المأكولة ؛ (بوله) يغلى حتى ينعقد ويطلى به الناصور يزيله ، شربه يقوى على الجماع ويزيل صفرة الوجه . (بعره) قال ابن سينا : يقطع الرعاف ويمنع الجدرى أن يبقى أثره ويزيل الشآليل ؛

(بقر) حيوان شديد القوة كثير المنفعة خلقه الله تعالى ذلولا ، وإنما لم يخلق له سلاح شديد كما للسباع لأنه فى رعاية الإنسان والإنسان يدفع عنه عدوه ولأن حاجة الإنسان إليه ماسة فلو كان له سلاح شديد لصعب على الإنسان ضبطه ، والبقر الأجم يعلم أن سلاحه فى رأسه فتستعمل محل القرن كما ترى من العجاجيل قبل نبات القرن تنطح برؤوسها وذلك لمعنى خلقت لطبيعتها فتعلم ذلك بالطبع ، وليس للبقر الثنايا الفوقانية فتقطع الحشيش بالتحتانية ولو لم يحصن لم يفد عملا كثيرا لأنه كثير النزوان إذا هاج لايندفع بالسيف فتسقط قوته ويهرم سريعا ، وزعموا أن البقر إذا دهن قرنه لايخور البتة وينتفع به ظلفه إذا أصابه الحفا وله مشية مليحة بتبختر ، وإذا مرض مرضا شديدا ركب فى قرنه شىء من العاج يبرأ مرضه .

(فصل فى خواص أجزائه)

(قرنه) يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ، ويشرب فى شىء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى القضيب ويورث النعوظ ، وينفخ فى منخر الراعف ينقطع

دمه ، ويحرق قرنه حتى يصير رمادا ويداف بالخل ويطلى به البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول . (مخه طريا) يداف بدهن ويقطر فى الأذن الوجعة يسكن وجعها : (لسان الثور الأسود) يجفف ويسحق ويمزج بماء حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فإنه لايخاصم أحدا إلا غلبه . (مرارته) مع بزر الجرجير وبزر الفجل ، وماؤه يعرض على النار ليقوى ويطلى به الكلف فإنه يزول عنه إذا تركه زمانا (مرارة البقر) تخلط بورق الغبيرا مدقوقا وتتحمل به المرأة فإنها تحبل ، وفى مرارة البقر حجر قدر عدسة يجعل فى ماء الشهدانج وماء العرفج ويسعط به المصروع يزول صرعه ، وتطلى الشجرة بمرارة البقر لا يتولد فيها الدود ، وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل به صاحب القولنج ينفتح فى الحال : (مرارة البقرة السوداء) يكتحل بها من به ظلمة العين فإنه يحد بصره حتى يقرأ نقش الخاتم : وإذا أردت أن ترى عجبا فادفن جرة فى الأرض إلى عنقها وقد طليت باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع فيها . (كلية البقر) تعلق على من به الخنازير تزول ، (خصية الفحل) تجفف وتسحق وتشرب تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع . (قضيبه) يجفف ويسحق ويلقى على البيض النيمرشت ويحسى فإنه يزيد فى الباه حتى يرى عجبا . (كعبه) يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها . (لبنه) يزيل صفرة اللون ، وإذا شرب بالخيض ينفع من البواسير . (سمنها) يطلى به للسع العقرب يبرئها للوقت والعتيق منه نافع للجراحات . (دمه) يطلى به الورم يسكن وجعه . قال بلیناس ، يخلط بول الثور ببول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين فإنه يزيل حمى الربع ، وأقل ما يحتاج إلى ذلك ثلاث مرات ، وهذا من العجائب . (أخثاء البقر) يخلط بخل التمر ويضمد به الدماميل الصلبة يردعها ، واليابس منه يخلط بخل وماء ورد ويضمد به لسعة الزنبور يسكن وجعها وتطلى خلية النحل به يكثر فيها ويقوى ، وإذا طليت به الثآليل قلعها .

(بقر الوحش) يقال له بالفارسية كوزن له قرن عظيم ذو شعب كل سنة تنبت على قرنه شعبة زائدة ، وقرنه مصمت بخلاف قرون سائر الحيوانات فإن قرونها مجوفة ، وإذا سمع الغناء أو صوت الملاهى يصغى إليها ولا يحذر حينئذ من النشاب لشدة التذاذه بها ، وإذا رفع أذنه يسمع الأصوات فإذا أرخاها لا يسمع شيئا ، وإذا مرض يأكل الحيات والأفاعى يزول مرضه ويأكل الأفاعى من ذنبها فإذا وصل إلى رأسها يرميها والأفعى إذا أحست به تنسل فى جحرها ، والبقرة تأتى إلى جحرها وتجعل فمها على الجحر وتجذبها بقوة النفس فتقتلها .

(وحكى) أن بقرة أزعجت وتبعها الفرسان والكلاب وهى تعدو سريعا فأصابت فى عدوها حية فوقفت وقتلتها ثم شرعت فى العدو فكأنها رأت أن قتل الحية أهم من نجاة النفس .

(فصل فى خواص أجزائه)

(مخه) يطعم صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا ، (قرنه) من استصحب معه منه شعبة نفرت عنه السباع ويدخن به فى بيت تهرب منه الحيات ، ورماده يذر فى السن المتآكلة المتألمة يسكن وجعها . (دمعه) ترياق وللسموم كلها . (دمه) يسقى يفتح القولنج ويفتح أيضا من به عسر البول . (جلده) يبخر به البيت تهرب منه الحيات . (شعره) يبخر به البيت يهرب منه الفأر ، والخفاش يأخذ من شعره ويتركه فى عشه ليأمن من الحية والخنفساء . (كعبه) يشد على العضد يأمن من الحشرات كلها . (ظلفه) يبخر به البيت تهرب عنه الحيات والله أعلم .

(جاموس) حيوان عظيم لا ينام البتة ولعله فى بعض أوقات الليل يغمض جفنه . زعموا أن فى دماغه دودة تتحرك دائما لا تخليه ينام ويدفع السباع عن نفسه ويقتل التمساح مع عظم بدنه ولذلك يسرحون الجواميس على طرف النيل ، والجاموس يمشى إلى الأسد وهو ثابت الجنان وليس له إلا قرنه وليس فى قرنه حدة فضلا عن حدة أطراف مخاليب الأسد وأنيابها ويغلب الأسد . قالوا : إنما يغلب الجاموس الأسد لأنه يذب الأسد عن نفسه والأسد يريد أن يجعله طعامه ، وقالوا : إنه لا ينزو على أمه .

(فصل فى خواص أجزائه)

(الدودة) التى فى دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت عليه . (لحمه) يورث قولد القمل . (شحمه) يذاب بالملح الأندرانى ويطلى به الكلف والجرب والبرص يزيلها .

(زرافة) رأسها كرأس الإبل وقرنها كقرن البقر وجلدها كالنمر وقوائمها كالبعير وأظلافها كالبقر ، طويلة العنق جدا طويلة اليدين قصيرة الرجلين ، وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالبقر أقرب وأشبه ، وذنبها كذنب الظباء . قالوا : الزرافة متولدة من ناقة الحبش والبقرة الوحشية والضبعان ، وذلك أن الضبعان ببلاد الحبشة تسفد الناقة فتجىء بولد بين خلقة الناقة والضبعان فإن كان ولد تلك الناقة ذكرا ولحق بالمهاة أتت الزرافة .

(وحكى) طهمان الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع بالصيف حيوانات مختلفة الأنواع على مصانع الماء من شدة العطش والحر فربما تسافدت غير أنواعها فيتولد مثل الزرافة والسمع والعسار وأمثالها ، والزرافة من الخلق العجيب ليس عندها إلا ظرافة الصورة وغرابة النتاج .

(الضأن) جعل الله البركة فى نوع الغنم فتراها تلد فى كل عام مرة واحدة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستا وسبعا ولا يرى منها إلا واحدا فى أطراف الأرض ، والغنم مال مبارك محبوب حتى لو أرادوا مدح إنسان قالوا إنه كبش

من الكباش ، ومن عجائبه أنه يرى الفيل والبعير والجاموس ولا يخافها مع ضخامة أبدانها ويرى الذئب يخافه وإذا رآه اعتراه خوف عظيم لمعنى خلقه الله تعالى فيه ، وسمعت أن القطيع إذا كان على طرف دجلة وأحس بالذئب هربت وخاضت فى الماء حتى تتوسطه فإذا أمنت عادت إلى مكانها .

(وأعجب) من هذا أن الغنم تلد فى ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعى يسرح بالأمهات من الغد ويأتى بها عند العشى ويخلى بين الأمهات والأولاد فيذهب كل واحد إلى أمه ، ويجلب من الهند نوع من الضأن على صدره ألية وعلى كتفيه أليتان وعلى فخذيه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى فيتخذ لأليتها عجلة توضع عليها وتشد إلى صدرها فيمشى الضأن وتجر العجلة والألية عليها ، وذكروا أن الغنم إذا تسافدت عند نزول المطر لا تعلق بولد وإن كان ذلك عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورا وإن كان عند مجىء الجنوب تكون الأولاد إناثا ، وزعموا أن الضأن إذا رعت الزرع يرجع وإذا رعته المعز لا يرجع .

(فصل : فى خواص أجزائها)

(قرن الكبش) إذا دفن تحت الشجرة بكرت بالحمل قبل أوانها ، ويكتحل بمرارة الضأن مع العسل ينفع من نزول الماء فى العين ويزيل البياض الذى فى العين إزالة عجيبة . (مخه) يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم . (عظمه) يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الفسخ والهشم يصلحه .

(قال) بلیناس : إذا احتملت المرأة صوف النعجة قطع الحبل ، وإذا غطيت الإناء بصوف أبيض وفيه عسل لا يقربه النمل .

(معز) حيوان غبى أحمق فلذلك إذا أرادوا ذم إنسان قالوا تيس من التيوس أى فى غاية الغباوة والنتن والمعز يفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد ، وما نقص من ألية المعز يزاد فى شحمها ولذلك قالوا ألية المعز فى بطنه . ومن العجب أن الله تعالى لما خلق جلد الضأن رقيقاً أكثر صوفه ولما خلق الله عز وجل جلد المعز ثخينا رق شعره ليحصل للمعز بثخانة الجلد ورقة الشعر ما يحصل للضأن برقة الجلد وكثافة الصوف ، ونتن التيس يضرب به المثل فإن جميع بدنه كالإبط ، والجدى إذا رأى الشبل يقرب إليه يسيراً يسيراً فإذا شم رائحته غشى عليه ووقع كالميت فإذا غاب الشبل عنه يرجع إلى حاله ، ومن العناكب نوع يقال له الرتيلا له لعاب إذا مشى على الإنسان نال من لعابه ألما عظيما حتى يفضى الأمر به إلى الموت غالبا فالجدى يأكل منه شيئا كثيراً وينفعه فسبحان من أعطى كل شىء خاصية .

(فصل : فى خواص أجزائه)

قال بلیناس : (قرن ماعز أبيض) يسحق ويشد فى خرقة ، ويجعل تحت رأس نائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه . (مرارة التيس) تخلط بمرارة البقر وتلطخ به فتيلة تجعل فى الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء ، ويكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن فانه يمنعه من النبات ، وينفع أيضا من الغشاوة اكتحالا ومن الغشى ، ويقلع اللحمة الزائدة التى يقال لها التوتة ، وينفع طلاء من الورم الذى يقال له داء الفيل . (لحية التيس) تشد على صاحب حمى الربع تزول حماه وتشد على رأس من به صداع تنفعه . (كبد الجدى) يشوى وإذا سالت منه رطوبة يكتحل بها فإنها تنفع من الغشاء ، وإذا احتملت المرأة من كبد المعز شيئا تنكسر شهوتها بحيث لاتميل للرجال زماناطويلا . (طحاله) يقطعه صاحب وجع الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول ، ويسقى المعز فى ظرف خشب أربعين يوما ثم يذبح ويأكل المطحول طحاله فإنه يتهرى ولو كان الظرف من خشب الطرفاء كان أقوى تأثيرا . (لحمه) يورث الهم والنسيان ويحرك الوسواس . قال بلیناس ، دم التيس يفتت حجر المغناطيس وكذلك كل حجر يذبحه عليه يفتتته ، وتسقى إبرة بدم المعز فإنها إذا ثقب بها أذن يلتم جلده ، وإذا سلخ وهو حار ووضع على لسع الأفعى وجميع الهوام وعلى المضروب بالسياط يدفع الألم . (لعاب التيس) يسقى يهيج الباه . (لبن الماعز) ينفع من النوازل ويحبسها ويحسن اللون شربا سيما مع السكر خصوصا للنساء ، وهو علاج للنسيان والغم والوسواس ويرخى لثة الأسنان ويحدث ظلمة البصر ويهيج الباه . (أنفحة الجدى والخرفان) تجذب الفضول من أعماق البدن (بوله) يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله من السكر ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاث مرات يذهب . (بعره) يجعل تحت رأس صبى يبكى كثيراً أعداداً منها فإنه يزول عنه . قال ابن سينا : بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا احتملته المرأة بصوفة يمنع من سيلان الدم من الرحم ، وبعر الماعز مع الضأن والخل يوضع على العضو المحترق يشمع ودهن ورد ينفعه ، والبعر اليابس مجرب لحرق النار فى البدن .

(ظبى) وهو أشد الحيوانات نفوراً . ومن طبعه أنه إذا أراد دخول كناسه يدخله مستديرا ويستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفانه فإنه إن رأى أحدا أبصره حين دخوله الكناس لا يدخله وإلا دخل ، وترى الظبى إذا رعى الحنظل يستعذبها وماء الحنظل يسيل من فمه ومن شدقيه ويستلذ بذلك ، ويرد البحر ويشرب من مائه المر العلقم فالعجب لحيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل ، وأما ظباء المسك فإنهم كظباء بلادنا إلا أن لها نابين معقفين خارجين من الفم كما للفيل وربما صيدت والمسك فى سرتها غير نضجة يكون فيه زهومة ، ومثله مثل الثمار إذا قطعت قبل الإدراك فإنها تكون ناقصة الطعم

والرائحة وأجود المسك ماألقاه الغزال وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سرته فإذا استحكم الدم فيها ونضج يجمع من ذلك إربة وحكة فى سرته فيفزع حينئذ إلى صخرة حادة فيحتك بها ملتذا بذلك فتتفجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كانفجار الخراج والدماميل إذا نضجت فيجد الغزال بخروجها لذة ، والناس يتبعون مراعيها فى الجبال فيجدون ذلك الدم قد جف على الصخور فيحملونه ويدعونه فى نوافج معهم مدة لذلك فهذا هو أصل المسك الذى يستعمله ملوكهم ويتهادونه فيما بينهم .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(قرنه) ينحت ويبخر به لطرد الهوام . (لسانه) يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها . (مرارته) تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها. (بعر الظبى وجلده) يحرقان ويجعلان فى طعام الصبى يأكله ينشأ ذلك الصبى حافظا فصيحاذلقا. (مسكه) يقوى الدماغ وينشف الرطوبات منه ويجلو بياض العين ويقوى القلب وينفع من الخفقان ، وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث صفرة الوجه ، ومن خواصه أن استعماله فى الطعام يورث البخر .

(إيل) هو المعز الجبلى وأكثر أحواله يشبه ببقر الوحش من أكل الأفاعى وغيرها ، وهو يرمى بنفسه من قلة الجبل إذا خاف من الصياد ولوكان ألف ذراع ويقع على قرنه ويسلم وعدد سنى عمره عدد عقود قرنه ، وإذا لسعته حية أكل السرطان ولذلك قالوا إن السرطان دواء للدغ الحية ، وإذا مشت الأروى خلف الذئب أسقطت ولدها والإيل يصادق السمك فيمشى إلى ساحل البحر فيرى السمك والسمك أيضا يقصد الساحل ليرى الإيل والصيادون يعرفون هذا المعنى فيلبسون جلد الإيل ليقصدهم السمك فيصطادون منه ماشاءوا .

(فصل : فى خواص أجزائه)

إذا شرب المصروع من برادة قرنه وزن مثقال مع مسك فى ماء قراح على الريق نفعه نفعا بينا ، ويسحق ويطلى به البهق والبرص يزيلهما ، والحيات تهرب من رائحتها إذا دخن بها ، وإذا علق على صاحبة الطلق تضع فى الحال . (مرارته) يكتحل بها تنفع الغشا . قال ابن سينا : مرارة التيوس الجبلية ترياق لجميع السموم . (كبده) يشوى ويجفف ويتخذ منه ذرور ينفع من الغشاوة وظلمه البصر (لحمه) يورث حمى الربع ويدلك به لسعة العقرب والزنبور يسكن ألمهما ، والعقرب تموت من رائحة شحم الإيل . (قضيبه) يسحق ويشرب ينفع من لسع الأفعى ويهيج الباه ويجفف نيئا فإذا أصاب الإنسان عسر البول أو ريح القولنج يغسله ويسقى غسالته ينفتح البول والقولنج . (خصيته) إذا جففت وشربت هيجت الإنعاظ الشديد الذى لا يكاد يسكن . (جلده) يتخذ منه سفرة لا يقربها فأرة ولا حية ولا شىء من الهوام. (ذنبه مع قرنه) يحرقان ويخلط رمادهما بالدهن ويطلى به أسفل القدم فإنه لا يتعب من السير

ويزيد فى المشى نشاطا . (شعره) يدخن به يهرب من رائحته جميع الهوام . (شعر ذنبه) سم قاتل يعرض لمن شربه غم وغشى بوله يخلط بالعسل يلعقه صاحب القولنج ينفع فى الحال . (بعره) يذر على سيلان الدم يحبسه. (بعر الأروى) إذا وقع فى ماء وشربه الماعز يأخذه داء يسمى الاباء يقتله ولا يضر الضأن ، والله الموفق .

(النوع الخامس من الحيوان السباع)

هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بالشياطين لما فيه من الكبر والغضب وضيق الخلق وكثرة الفساد وقلة الاستئناس ، ولما لم تكن عناية الإنسان مصروفة إلى تربيتها كأنواع الغنم خلق الله تعالى لها آلات تحصل بها الأطعمة كالعدو الشديد والقوة والحرارة والأنياب والبراثن والهيئة الهائلة وسعة الفم وغلظ الرقبة وسعة الصدر ورقة الخصر . ولما كانت كثيرة الفساد رفع الله البركة عنها فترى نوع السباع تلد فى كل سنة مرة واحدة أو مرتين فى كل بطن ستا أو سبعا ولا يبقى منها إلا القليل فى أطراف الأرض ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض من السباع ، بخلاف الغنم فإن الله تعالى جعل فيها البركة فلو كان جميع أنواع السباع بعدد الغنم لأدى إلى فساد عظيم ، فسبحانه ما أعظم شأنه بكثرة المنافع وبتقليل المضار رفقا بعباده وشفقة على خلقه إنه على ما يشاء قدير .

ولنذكر بعض أفراد ما يتعلق بالسباع مرتبا على حروف المعجم :

(ابن آوى) يقال له بالفارسية سعال حيوان مفسد للكروم والثمار إذا وقع نظر الدجاج عليه لا يصبر حتى يأتيه ليأكله ولو كانت الدجاجة على سطح أو شجرة تقع عنه . ومن العجب أن الدجاج إذا رأت كلبا أو ثعلبا أو سنورا أو شيئا من الحيوانات الطالبة لها لم تتحرك وإن مر بها ابن آوى سقطت حتى لو كانت مائة لم تبق واحدة إلا رمت نفسها إليه وانقياد الدجاج لابن آوى كانقياد الشاة للذئب ، وإذا أراد ابن آوى صيد طير البحر يجمع حزمة شوك أو حطب ويرميها فوق الماء حتى يستأنس بها الطير ويمشى خلفها ، والطير لا ينفر من الحزمة لأنه يستأنس بها فيثب من خلفها ويصطاد ماشاء .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(لسانه) إذا ترك فى بيت وقعت الخصومة بين أهله ، ويسقى من مرارته نصف درهم بالماء الحار على الريق ثلاثة أيام ينفع من وجع الطحال . (لحمه) ينفع من الجنون والصرع الآتى عند آخر الأهلة . (كبده) ينفع المصروع إذا سقى منه وزن مثقال (مخ عظمه) يخلط بالبورق ويضمد به البرص يزيله بإذن الله تعالى .

(ابن عرس) حيوان دقيق طويل يقال له بالفارسية راسو هو عدو الفأر يدخل جحرها يخرجها ويحب الحلى والجواهر يسرقها ، ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم

وابن عرس يدخل فمه وينزل جوفه ويأكل من جوفه أحشاءه ويمزقها ويخرج ، ويعادى الحية أيضا وإذا أراد قتال الحية يأكل السذاب لأن رائحة السذاب تضعف الحية فيقتلها ابن عرس وإذا مرض أكل بيض الدجاج يزول مرضه .

(وحكى) أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فيها ، فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءت زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(دماغه) يكتحل به ينفع من ظلمة العين . (لحمه) يستعمل ضمادا لوجع المفاصل ويخلط بالشراب يستعمل للصرع . (شحمه) يطلى به السن ينفع فى الحال ، وصاحب الزق يطلى خشبة بهذا الشحم ، وإذا اشتكى أحد سنه يضع عليه تلك الخشبة فإنه يقع بسهولة ويظهر دمه من رقبته ويطلى به الخنازير يحللها ويحفظ دمه بدم فأرة ويمزج بالماء ويرش به البيت فإن الخصومة تقع بين أهله ، ولو دفن ابن عرس وفأرة فى بيت فعل فعل ذلك : (كعبه) إذا استصحبته المرأة حالة المباضعة لم تحمل (خصيته) تفعل مثل ذلك . (زبله) يجعل على الجراحة ينقطع دمها ، والله الموفق .

(أرنب) حيوان كثير التوالد يقال له بالفارسية حوزكوش ، قيل إنه سنة ذكر وسنة أنثى ، وتحيض مثل النساء يديه أقصر من رجليه إذا نام تشخص عيناه وإذا مرض أكل من القصب الأخضر يزول مرضه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(دماغه) تأكل المرأة منه وتتحمل ويباشرها زوجها تحبل وإذا مرج به أسنان الصبى أسرع نباتها بلا وجع ، قالوا : يؤخذ من الأرنب مثل السن المتأكلة إن كانت أعلى أو أسفل أو يمينا أو يسارا ، يؤخذ من الأرنب مثل ذلك إذا وضعت عليه تنبته بإذن الله تعالى . (مرارته) إن سقى منها إنسان غلب عليه النوم ولم يزل كذلك حتى يسقى الخل . (طحاله) يأكله صاحب الشرقة مع السكر النبات تزول شرقته . (دمه) إذا شربته المرأة لم تحبل أبدا . (ذكره) فى كتاب الخواص : وإذا اكتحل به لا ينبت الشعر فى العين . قال ابن سينا : ويطلى به البهق الأسود والكلف فيزول . قال ابن سينا : يطبخ ويقعد فى مرقته صاحب النقرس وصاحب وجع المفاصل ينفعه نفعا جيدا . (أنفحته) تداف فى ماء ولبن ويشرب صاحب القولنج يزول وجعه من ساعته . قال بلياس : أكل أنفحته تنفع القولنج إلا أن أنفحة الأرنب أقوى وإذا شرب بخل نفع من الصرع وهو بالخل ترياق نافع من جميع السموم

(رجله) تشد على من به وجع المفاصل اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى يزول وجعه. (فرجها) تأكله المرأة ثم يجامعا زوجها فإنها تحبل. (كعبه) زعم العرب أنها تنفع من العين والسحر ويشد على المرأة مع زبله لاتحبل (وشعره) يبخر به يمنع من وجع الرئة، ويجعل شيء منها على الموضع الذى يسيل منه الدم ينقطع.

(أسد) هوأشد السباع قوة وأكثرها جراءة وأعظمها هيبة وأهولها صورة لأنه لايهاب شيئا من الحيوان ولا يوجد حيوان له شدة بطشه، زعموا أنه لا يأكل من صيد غيره البتة وإذا صاد شيئا أكل قلبه وترك الباقى لغيره ولايرجع إليه ويحب الغناء وصوت الدف والشبابة وإذا رأى ضوءا بالليل ذهب إليه ووقف بالبعدمنه وحينئذ يسكن غضبه وزعموا أنه من ذل له وتواضع ينجو منه وإذا أكل لحم الفريسة يقصد السلخ ويأكل منه. وإذامرض أكل قردا يزول مرضه وقل ما تفارقه الحمى ولذلك يقال للحمى داء الأسد، وإن أصابه نصل وبقى فى بدنه يأكل السعد يخرج النصل من بدنه وهذه خاصية فى الأسد، وإن أصابه خدش أوجراحة تجتمع عليه الذئاب ولاتنتقل عنه حتى تقتله، ويهرب من الديك الأبيض ومن ضرب الطاس وجميع الحيوانات تهرب من زئيره إلا الحمار فإنه يقف عن السعى ولا يزأر حالة جوعه حتى لا يهرب الصيد، والنمل يفعل بالأسد ما يفعله البق بالفيل فإنه فى عذاب من النمل، وإذا ولدت اللبوة يتعرض لأشبالها فعند الولادة تطلب أرضا ندية لدفع النمل، واللبوة تضعف عند الولادة لأن الولد يخدش رحمها ببراسنه فالليث يأتى بحرباء لتأكلها فتبرأ من مرضها، وقالوا ليس فى السباع أشد تجرؤا من الأسد وأنه لايتعرض للمرأة الطامث.

(وحكى) القاضى محمد بن سهل الواسطى أنه خرج صناع لقطع القصب من قرنه على نهر جعفر فرأوا شبلا كالسنور فقتله أحدهم فقال الباقون الساعة يأتى أبواه يطلبانه ونحن نبيت فى الصحراء فلا نأمن؛ فما كان بأسرع من أن سمعنا زئير الأسد فهربنا ولجأنا إلى بيت خارج الأجمة فصعدنا الغرفة ولها باب، فلما رأى الأسد شبله قتيلا جاء على أثرنا فوجدنا مجتمعين فى الغرفة فجعل يثب نحو الغرفة حتى يصعد فلم يقدر فصعد أكمة هناك وصاح صيحة شديدة فأتى بضعة عشر سبعا فلماجاءوا الغرفة فلم يقدروا ونحن كالموتى فاجتمعت السباع كالحلقة وصاحوا صيحة هائلة فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع ووقفت بين يديه، فجاء نحو الغرفة والسباع حوله فوثب حتى صعد إلى باب الغرفة ونحن قد أغلقناه وقعدنا خلفه، فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر منه لوحين فدخل عجزه إلينا فعمد أحدنا إلى ذنبه وجذبناه إلى داخل وقطعناه بمنجل فصاح صيحة عظيمة منكرة ورمى نفسه إلى الأرض، فلم يزل يخدش السباع وينهشها حتى قتل غير واحد منها وهربت السباع من بين يديه وهام هو فى الصحراء يتبعها، فنزلنا ولحقنا بالقرية وأخبرنا أهلها بما رأينا، فقال شيخ كبير: إنه كالجراد العتيق إذا قطع ذنبه أكله الفأر، والله أعلم.

(فصل : فى خواص أجزائه)

(سنه) من استصحبه أمن من وجع السن ، ويعلق على الصبى تنبت أسنانه بسهولة . (مرارته) تسقى لإنسان يبقى جريئا جسورا شجاعا مقداما ويزول عنه الصرع وداء الثعلب ، والاكتحال به يمنع سيلان الدم ، وتطلى به الخنازير يستأصلها (شحمه) يطلى به البواسير والأورام الحارة ينفعها ويطلى به الوجه والبدن لايقربه شىء من السباع وإن ترك فى بيت يهرب منه الفأر والعقرب ، ولو ألقى فى ظرف ماء لايشربه شىء من الدواب ، والشحم الذى بين عينيه يذاب ويمسح به الرجل وجهه يهابه كل من يراه . (لحمه) ينفع الفالج والاسترخاء . (دمه) إذا طلى به السرطان يزيله وكذا جميع أنواع السباع وإذا مزج بالحلتيت وطلى به البرص مرارا أزاله (خصيته) تولد العقر فى الرجال ومن أكلته لم تحبل . (برثنه) يأخذ الإنسان معه لايقربه شىء من السباع وإذا طرح فى الماء وشربته الدواب أو النعم أصابها هزال ولم تسمن بعده البتة . (جلده) ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته ويغطى بالثياب حتى يعرق تزول عنه ، وإذا داوم عليه الجاوس يذهب البواسير ويذهب أيضا الخوف من الخائف ولو اتخذ من جلده طبل أى فرس سمع صوته فزع ، وجلد جبهته يشد على الجبهة تحت العمامة يبقى صاحب هيبة وافرة عند الملوك ، وإذا أدرج جلده فى جلد سائر الدواب تساقط وبرها ، وإذا أحرق شعره فى موضع تهرب منه سائر السباع ، ومن به حب القرع يخلط رماد هذا الشعر بدهن الشمع ويحمله يزول عنه ذلك (شعره) يجعل منه فى النبيذ قليل ويسقى الإنسان فإنه يبغضه ولا يعود إلى شربها بعد ذلك .

(ببر) حيوان هندى أقوى من الأسد بينه وبين الأسد معاداة ، وإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر وبين العقرب والببر مصادقة وربما تتخذ العقرب فى شعر الببر بيتا . قال الجاحظ : إذا رمى الببر استكلب فعند ذلك تخافه جميع السباع ، وإذا مرض الببر يأكل كلبا يزول مرضه ، وإذا هرم لايتعرض للناس بخلاف الذئب ، وإذا وضعت ببرة ولدها يأكله الضب .

(فصل : فى خواص أجزائه)

من به برسام يطلى رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء تنفعه نفعا بينا وإذا احتملت المرأة منه لاتلد أبدا وإن كانت حاملا تسقط الجنين . (كعبه) يشد على البريد لايتعب من السير ولو سار كل يوم عشرين فرسخا . (جلده) يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه ويدخن به تحت ذيل من به حمى الغب تزول حماه ويتولد النمل من رائحة دخان جلده . (شعره) يدخن به تهرب منه جميع الهوام إلا النمل فإنها تجتمع بدخانه .

(ثعلب) حيوان كثير الحيـــل ، عجيب الروغان والعطفات والمكر والالتفات

يتخذ لوكره أبوابا حتى لو سد عليه باب يخرج من الآخر . (شعره) يتساقط كل سنة لذلك سمى تساقط شعر الإنسان داء الثعلب ، ويجعل العنصل حول بيته حتى لا يقصده الذئب فإن الذئب إذا وقعت رجله على العنصل يموت وينام فى وجاره بطمأنينة ، وإذا جاع يرمى نفسه فى الصحراء متماوتا ويمد يديه ورجليه ويركز بطنه وينفخه حتى يحسبه الطير أنه ميت فيجتمع عليه الطير ليأكله فيصيد منها ما شاء .

(وحكى) بعضهم قال : مررت على ثعلب فوجدته قد ركز بدنه فظننت أنه قد مات منذ أيام فتركته فلما أحس بالكلاب علم أن حيلته لا تخفى على الكلاب فوثب وولى هاربا وصار فى شجرة وإذا نزلت عليه الجوارح تضرب بجناحها حتى يدركه الكلب يستلقى ويخدش الجارحة خدشا لا تقربه بعد ذلك ، وله حيلة فى قتل القنفذ وذلك أنه إذا لقى القنفذ استدار القنفذ وأمكنه من شوكه فيبول الثعلب عليه فإذا فعل ذلك اعتراه الانسياب فانبسط وتمدد فيقبض على مراق بطنه ويأكله ، وإذا مرض أكل البصل البرى يبرأ ، وإذا تولدت القمل فيه وتأذى منه أخذ بفيه ليفة أو صوفة ويقف فى الماء ثم ينزل قليلا قليلا حتى يجتمع القمل فى تلك الليفة أو الصوفة ثم يخليها ويغوص فى الماء ويسبح ويستريح .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) إذا ترك فى برج الحمام يهرب عنها . (نابه) يشد على الصبى الذى به ريح الصبيان يذهب عنه ويزول عنه فزع النوم وتحسن أخلاقه . (ونابه اليسرى) يعلق على من تألم من نابه اليسرى واليمنى على اليمنى يزول ألمها . (مرارته) تنفخ فى أنف المصروع لا يصرع فى ذلك الشهر ويكتحل بها من نزول الماء . (لحمه) ينفع من اللقوة والجذام والفالج إذا داوم على أكله . (شحمه) يذاب ويطلى به رجل المنقرس يزول وجعه فى الحال ويطلى به خشب الرمان ويفرش فى البيت تجتمع عليه البراغيث . (خصيته) تشد على الصبى ينبت سنه بسهولة . (قضيبه) يشد على من به صداع يزول عنه . (جلده) من أحسن الفراء ليس فى الوبر أكثر وفاء منه . قال ابن سينا : إنه أنفع شىء للمبطونين . (دمه) يطلى به رأس الصبى ينبت شعرا حسنا ولو كان أقرع قبل ذلك . (ذنبه) إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال عليه ، وإذا علق شىء من الحيوان يدخن بوبر الثعلب فى كوز طبق الرأس ، والعليل يجعل فمه عليه فإذا وصل الدخان إليه سقط فى الحال . (زبله) يعين على الحبل إن استعمل عند المباضعة .

(جريس) حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد على رأسه قرن واحد كقرن الكركند وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شىء لسرعة مشيته وأنه لا يوجد فى غياض سجستان وبلغار .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(دمه) يشربه من به خناق بالماء الحار ينفتح فى الحال . (لحمه) يطبخ بالقنطريون ويأكله صاحب القولنج ينفتح فى الحال . (شحمه مع رماد كعبه) يجعل على العرق الموجوع يسكن ألمه ويتخلص منه سريعا .

(خنزير) حيوان سميج والعين تكرهه له نابان كنابى الفيل يضرب بهما ورأسه كرأس الجاموس وله ظلف كما للبقر والغنم ، وللخنازير عند الهيجان خصومة شديدة على الإناث ذكروا أن الذكر يدلك جسمه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير ظاهر بدنه كالجوشن لايؤثر فيه ناب الخنازير وعلامة هيجانه إطراق رأسه وتغير صوته ، وإذا نزا الذكر على الأنثى يبقى فوقها زمانا مثل الذباب ، وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظفر بها ، والخنزير أنسل الحيوان لأنها قد تضع عشرين خنوصا ، والخنزير يأكل الحيات أكلا ذريعا وسموم الحيات لاتؤثر فى الخنازير ، وهو أروغ من الثعلب يهرب عن من قصده حتى يمشى خلفه كثيرا ويتعب ثم يكر عليه فيضربه بنابه يقطعه ، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثا ثم يعلفونها لتسمن ، وإذا مرض أكل السرطان يزول مرضه . ومن خواصه العجيبة ما ذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير ، والفيل يهرب من صوت الخنزير .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(نابه) يستصحبها الإنسان يبقى مكرّما عند الناس ويأمن العين ، ويترك فى الدهن أسبوعا ثم يدهن به الرأس فإنه يطول الشعر ويؤخر الشيب ، وزعموا أن الإنسان إذا رأى نابه اليسرى يصيبه فى يومه ذلك غم ولا يتأخر . (مرارته) تجفف وتجعل على البواسير تسقط ، ويسقى منه صاحب الصرع مع شىء من البول العتيق يزول صرعه . (لحمه) أطيب لحم الحيوان نافع من لسع الهوام يطعم منه البازى المهزول بدهن الجوز يسمن سريعا . (شحمه) يدلك به العضو المنفوخ بلبن ويخاط به زرق الحمام وبزر الكتان ويضمد به الخنازير والدماميل الصلبة ينضجها ويخرج وسخها . (شحمه الطرى) يطلى به البواسير ينفعها نفعا بينا . (عظمه) يوصل بعظم الإنسان يلتئم سريعا ويستقيم من غير اعوجاج وليس لشىء من عظام الحيوان هذه الخاصية ، ويشد فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ، ولو أحرق وشد فى خرقة أو صرة وترك فى مسيل ماء الأرز يأتى بربع كثير ولا يقربه الخنزير ، ويحرق عظمه ويسحق ويحشى به الناصور يبرأ . (جلده) يترك فى البيت يهرب منه البق . (كعبه) يحرق حتى يبيض رماده ويسحق ويسقى للقولنج والمغص المزمن يزيلهما . قال ابن سينا :

إذا طلى به البرص نفعه . (بوله) يسقى بالنبيذ يفتت حجر المثانة . (زبله) يسمد به شجرة التفاح تحمر ثمرتها ، وإذا احتملته المرأة تسقط المشيمة وتدفع عنها أذى النفاس ، ويطلى به الرتيلا يحللها .

(دب) حيوان جسيم سمين يحب العزلة ، وإذا جاء الشتاء يدخل وجاره الذى اتخذه فى الغيران ولا يخرج منه حتى يطيب الهواء ، وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع بذلك جوعه ، ويخرج من وجاره فى فصل الربيع أسمن مما كان ، ويخاصم البقر فإذا نطحه البقر استلقى ويأخذ بيديه قرنيه ويعضه عضا شديدا يقهره ، وعند ولادتها تستقبل بنات نعش الصغرى تسهل ولادتها ، والدبة إذا ولدت يكون ولدها كقطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقلها من موضع إلى موضع خوفا من النمل فإذا صلب بدن الولد أقرته فى موضع ، وربما تركت أولادها وترضع ولد الضبع ، ولهذا تقول العرب : فلان أحمق من جعار وهى الأنثى من الدب ، ولا يخاف شيئا إلا الأسد .

(حكى) بعضهم أن أسدا قصده فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها ، فلما رآنى الأسد قد قصدت الشجرة جاء وافترش تحتها ينتظر نزولى ، فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه يعنى لا تنطق كى لا يعرف الأسد أنى على الشجرة . قال : فبقيت متحيرا بين الدب والأسد وكان معى سكين صغير فأخرجته وجعلت أقطع الغصن الذى عليه الدب فقطعت أكثره وانكسر الباقى فثقل الدب فوقع على الأرض فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانا وغلبه الأسد فأكله ومر .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(نابه) يلقى فى لبن المرضعة ويسقى للصبى تنبت أسنانه بسهولة . (عيناه) يعلقان فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه . (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا . قال الشيخ : شحمه يزيل البرص طلاء وينفع من الشقاق العارض من البرد ويلين المفاصل والعصب طلاء . (دمه) يخلط بعصارة الكزبرة ويطلى به الموضع الذى لا يريد أن ينبت عليه فإنه لا ينبت ، وإذا نتفت الشعر التى فى العين واكتحل بعده بهذا الدم لا ترجع تنبت . (جلده) يعلق على الصبى الذى ساء خلقه يذهب عنه ذلك .

(دلق) حيوان وحشى عدو الحمام لا يستأنس البتة يشبه السنور إذا دخل برجا لا يترك واحداً فيه . ذكروا أن الثعابين تنقطع من صوت الدلق ، ولذلك أكثر الدلق يوجد بأرض مصر فإنها كثيرة الثعابين . ومن عجيب ما ذكر أنه إذا ربط رأس عود بخيط شديد الفتل فى رقبة دلق ويقابل به بيت العصافير فإنه يلج فيه ويأخذ العصافير وفراخها ويخرج بها ولا يقتل منها شيئا حتى لو طيف به على بيوت العصافير يخرجها كلها أحياء .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(عينه اليمنى) تعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ولو علق عليه اليسرى عادت . (شحمه) يزيل إكلال الأسنان العارض من أكل الحامض . (دمه) يقطر فى أنف المصروع نصف دانق يفيق وينفعه . (شحمه) يدخن به برج الحمام يهرب منه كلها ، وتهرب الحية والعقرب أيضا من رائحته . (جلده) يجلس عليه صاحب البواسير ينفعه . (خصيته) يهرب الفأر من دخانها .

(ذئب) حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلما يخطئ فى وثبته ، وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن أحد على نفسه منها ، وإذا نامت واجهت بعضها بعضا حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية ، والأنثى أكثر فسادا من الذكر ، وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه ، وإذا مرض ينفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته ، وإذا رأى مع الرجل عصا يفزع منه ، ومن رمى إليه الحجر يتركه ومن رمى إليه النشاب لا يتركه ، وإذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه ، وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التى سمع منها العواء ثم يأتى يسلب الغنم والكلب بعيد عنه ، ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه ، وأكثر ما يأتى وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفى ذلك الوقت يغلبه النوم ، وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر ، وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبلد خصره ويسحب قوائمه ، وإن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها ، ولا تتولد الحيوانات المؤذية فى صوفها ، والذئب أشد الحيوانات شما وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا . قال الجاحظ : إن السباع القوية ذوات الرياسة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد ، والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبا للإنسان . قال بلیناس : إن وقعت عين الإنسان على الذئب أولا استرخى الذئب وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولا استرخى الإنسان .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) يعلق فى برج الحمام لا يقربه السنور ولا ما يؤذى الحمام ، وإذا دفن رأس الذئب فى زريبة تمرض غنمها وتموت . (نابه) من استصحبه يدفع عنه قوة النبيذ ولا يسكره . ولو علق نابه على الفرس سبق الخيل . (عينه اليمنى) من استصحبها تدفع عنه قوة البله ولا يفزع فى الليل . (عينه اليسرى) من استصحبها لا يغلبه النوم . (مرارته) يطلى بها بين

الحاجبين يبقى مكرما بين الناس ، وتشد على الفخذ اليمنى تزيد فى قوة الباه ، ويسقى منها قدر دانق مع حبة من المسك للمصروع الذى يصرع أول كل شهر يزول عنه ذلك ، ولو احتملته المرأة العقيم تحبل بإذن الله تعالى إذا باشرها زوجها ، ويكتحل بها ينفع من نزول الماء فى العين ومن الغشاوة . (دمه) يخلط بدهن الجوز ويقطر فى الأذن يزيل الطرش ، وإذا سقيت المرأة منه لا تحبل أبدا . (خصيته) تؤكل مشوية تهيج الباه ، ومن أخذها معه يأتى النساء كثيرا . (عظمه) يسحق ويذر حول الزريبة لايقربها الذئب . (عظم ساقه) يحرق يهرب من دخانه الفأر . (كعبه) يشد على ساق الماشى لا يتعب من السير ، ويشد على صبى سيىء الخلق توسع أخلاقه ، ومن استصحب كعبه اليمنى يغلب فى مخاصمته الرجال ومن استصحب اليسرى يغلب فى مخاصمته النساء ، وزعم بعضهم أنه يحظى عند السلاطين ، ويعلق على الرمح فى الحرب تنفر الخيل منه . (جلده) قال بلیناس : من جلس عليه يأمن القولنج مادام عليه . (ذنبه) يدفن فى قرية لا يقربها الذباب . (بوله) زعموا أن المرأة إذا بالت على بول الذئب لا تحبل أبدا . (زبله) يسقى منه صاحب القولنج يبرأ فى الحال . قال بلیناس : وإن علق على صاحب القولنج يبرأ فى الحال .

(ساد) هو حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور . قيل : إن ولدها يخرج رأسه من الرحم ويرعى حتى يقوى فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها فإن لسانها مثل الشوك وإنها إن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه .

(وحكى) أبو الريحان أن هذا الحيوان بأرض الهند .

(سنجاب) حيوان كالفأر إلا أنه أكبر منه حجما . (شعره) فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسها المتنعمون صيفا لأنها تبرد بخلاف سائر الفراء . (لحمه) يطعم منه المجنون يزول جنونه ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه ، والله الموفق .

(سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر . ذكر أن سفينة نوح عليه السلام تأذى أهلها من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس ورمى سنورين فلذلك هو أشبه حيوان بالأسد يحب النظافة يمسح وجهه بلعابه وإذا تلطخ شىء من بدنه لا يلبث حتى ينظفه ، وعند هيجان شهوته آخر الشتاء ينال ألما شديدا من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى ينفض تلك المادة ، وإذا ولدت الأنثى يغلب عليها الجوع الشديد فإذا لم تجد ما تأكله تأكل أولادها وإذا رمت بعرها تدفنه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ولذلك تشمه فإن وجدت رائحته ألقت عليه من التراب زيادة أخرى ، وإذا مر الفأر على السقف استلقى السنور وحرك يديه ورجليه فيسقط الفأر من السقف فزعا وإذا ظفر بها يلعب بها زمانا طويلا وربما خلى سبيلها حتى تمعن فى الهرب فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها فلا يزال يخدعها

بالسلامة ويوريها الجسرة ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها . وزعموا أن من أكل لحم السنور الأسود لم يعمل فيه السحر ، وقد جعل الله تعالى فى قلب الفيل الهرب من السنور فكلما يراه يهرب منه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(عيناه) إذا جففتا وبخر بهما الإنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت . (نابه) من استصحبها لم يفزع بالليل من شىء . (قلبه) يشد فى قطعة من جلده من استصحبه لا تظفر به الأعداء . (مرارته) من اكتحل بها يرى بالليل مثل مايرى بالنهار ، وتخلط بدهن الزئبق نصف درهم ويسعط به ينفع من اللقوة . (طحال السنور الأسود) يشد على المرأة المستحاضة ينقطع دمها ولا تحيض مادام ذلك مشدودا عليها . (دمه) يسقى منه صاحب الجذام ينفعه نفعا بينا . ذكر بليناس فى كتاب الخواص أن من شرب دم السنور الأسود تحبه النساء . (بعره) يهرب الفأر من رائحته ويذاب بدهن الآس ويدهن به بدن الإنسان وقت الحمى فإن الحمى لا تأتيه ، ويذاب بالماء ويطلى به المنقرس يزول وجعه .

(سنور البر) حيوان على شكل السنور الأهلى إلا أن حجمه أكبر ولكثرة عدوه يبالغ فى حفظ نفسه ونوعه حتى يحفظ بعضها بعضا فى النهار فإذا كان الليل أقاموا حارسا لا ينام فإذا نام قتلوه . (مخه) عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أديف بماء الجرجير وسخن على النار وشرب على الريق فى الحمام . (دماغه) يدخن به يخرج المنى من الرحم .

(سرباس) قالوا : إنه حيوان يوجد فى الغياض بكابل وراء بلسان فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبة إذا تنفس يسمع من صوته صوت المزمار . ذكروا أن المزمار اتخذ على مثال قصبة أنف ذلك الحيوان فالحيوانات تجتمع عليه لاستماع هذا الصوت فربما تدهش من لذة استماعها ، فإذا رأى سرباس ذلك منهم يصيد منهم ما شاء وإن لم يرد صيد شىء منها أو ضجر منها ومن اجتماعها عليه صاح فيهم صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنه ، والله الموفق .

(ساده وار) حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم يقال له أيضا أرس ، له قرن عليه اثنتان وأربعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح يجتمع الهواء فيها فيسمع منه صوت فى غاية الطيب وتجتمع الحيوانات عنده لما تسمع من حسن صوته . وذكر أن بعض الملوك أهدى إليه قرن منها فترك بين يديه عند هبوب الريح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب حتى يكاد يدهش الإنسان من سماعه طربا ثم وضعوه منكوسا فكان يخرج منه صوت حزين حتى يكاد يغلب على الإنسان عند سماعه البكاء .

(ضبع) يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر ينبش القبور ويخرج الجيف ، والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان ولهذا قال ابن زبيرة :

حدينى وحرمنى جعار وأسرها بلحم امرئ لم يشهد النوم ناظره

وذكر أن الضبع سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب ، وبين الضبع والكلب عداوة ، فإن وقع ظل الضبع على الكلب يقف مكانه ولا يقدر على المشى خوفا من الضبع أن يأكله ، وإن مرض الضبع أكل لحم الكلب يبرأ ، وبين الضبع والذئب مصادقة ويتولد منهما ولد يقال له السمع وهو حيوان عجيب الشكل بين الضبع والذئب ، فإن كان الذكر ذئبا يقال له العسبار وشكله عجيب أيضا . وفى العرب قوم يقال لهم الضبعيون ومنهم الضبعى ولو كان أجدهم فى قفل فيه ألف نفر وجاء الضبع لا يقصد أحداً إلا الضبعى ، وزعموا أن الضبع الصحيح يطبخ كما هو تنفع مرقته ودسمه من الأوجاع الباردة والرياح .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) يجعل فى برج يجتمع عليه حمام كثير . (لسانه) من يأخذه معه لم ينبح عليه كلب ولم يتلعثم عند المحاجة ويغلب خصمه ، وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لم يقع فيها مكروه ويزداد فرحهم . (نابه) من اصطحبه لم ينس شيئا . (مرارته) تنفع من نزول الماء اكتحالا وتجلو البصر من الظلمة . قال بلیناس : تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلى به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء . (قلبه) يعلق على الصبى يبقى ذكيا ويتعلم الأشياء بسرعة . (مخه) يطلى به الحواجب يكون محبوبا إلى الناس ، ولو طلى به كلب جن . (يده اليمنى) من استصحبها تقضى حوائجه عند الملوك ، وتشد على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها . (برثنه) تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار . (قضيبه) قال هرمس : يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الوقاع بحيث لا يمل من النساء ولو أتى عشرين امرأة ، وإن أسقيته المرأة الفاجرة تترك الفجور ولا تميل إليه . قال بلیناس : (فرجها وجلد سرتها) إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته وإن شد على امرأة لم ينظر إليها رجل إلا أحبها ، وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه . (جلده) يتخذ منه غربال يغربل به البر ثم يزرع فإن زرعه يأمن من الجراد والجوارح كلها . قال ابن سينا : ينفع من عضة الكلب الكلب فإذا فرغ من الماء يسقى فى إداوة من جلد الضبع أو مغشاة بجلد الضبع . وقال بلیناس : إذا أخذت شيئا من جلد الضبع وشددت فيه شيئا من ورق الشيح وربطته فى خرقة حرير على إنسان فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمراً عجيبا ، ولو دفن فى باب بيت لا يدخله الكلب وإذا شددته على رقبة الأرنب تهرب عنه الكلاب وحين يسلخ الجلد إذا أخذته وطفت به معالم قرية وعلقته على بابها لا يصيبها آفة . (الشعور التى حول أنفه) تنتفها وتحرق وتسحق بزيت ويدهن به للمحبة يزول مابه . (بعره) يخلط بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه .

(عناق) يقال له بالفارسية شياه كوس فوق الكلب حجما حسن الصورة جدا لونه كلون البعير الأحمر وأذناه سوداوان يصيد كما يصيد الفهد وإذا مشى أخفى آثاره ، ويصيد الكركى فإذا طار الكركى يثب وثبة شديدة نحو الهوى ويأخذه برجله ، والله الموفق :

(فالا) قال ابن سينا : إنه حيوان أصغر من ابن عرس فى حجمه ولونه أميل إلى الرمدة مع لطافة ودقة وطول وسعة فمه إذا رأى حيوانا ظفر به ويتعلق بخصيتيه وينالهما بعضة منه وجع شديد صعب العلاج :

(فهد) حيوان شديد الغضب ضيق الخلق ذو وثبات بعيدة كثير النوم ويستأنس بالناس خلاف النمر ، وقال بعضهم : إن الفهد متولد بين الأسد والنمر والله أعلم ، وسائر السباع تحب رائحة الفهد والسباع الصغار تتبع رائحته لتأكل من فضلة فريسته . قال الجاحظ : الفهد إذا سمن عرف أنه مطلوب وأن حركته ثقيلة وأن كوكبه يقتله ورائحته مشهية للسباع يخاف من الأسد والنمر فيخفى نفسه حتى تنقضى أيام سمنه ، ولا يكاد يكون على علاوة الريح لئلا يحمل الريح رائحته إلى السباع ، ويحب الأصوات الحسنة يصغى إليها إصغاء شديدا ، وإذا مرض أكل لحم الكلب يزول مرضه ، ويتولد منه ومن الدب حيوان عجيب الشكل يقال له كوسال .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(لحمه) يورث حدة الذهن وقوة البدن . (دمه) من سقى منه تغلبه البلاهة . (برثنه) إذا ترك فى موضع هرب الفأر منه .

(فيل) هو حيوان ظريف بهى نبيل من أعظم الحيوانات وربما كان فى فمها ثلثمائة سن وهو أطرف وألطف من كل حيوان خفيف الروح رشيق صنع الله فى خلقته عجائب قدرته وهو أن رقبته لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطوما طويلا يقوم مقامها يرفع العلف والماء إلى فمه بها وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان ويضرب بها ، وله أذنان كبيرتان كل واحدة على شكل يزين متحركتان وإنما يدفع بهما الذباب والبق عن فمه بهما لأنه مفتوح دائما فلو دخل شىء من البق أو الذباب إلى فمه لهلك وليس له من المفاصل إلا مفصل الكعب والكتف والفخذ ولا يظهر له شهوة الضراب إلا بعد خمس سنين ويضع لسبع سنين ولدا مستوى الأعضاء ، والفيل يعادى الحية إذا رآها يقتلها تحت رجله ، والحية تلدغ الفيل تهلكه ، والفيل إذا تعب تدلك كتفاه بالسمن والماء الحار يزول تعبه ، وإذا مرض يأكل حية ميتة يزول مرضه ، وإذا وقع على جنبه لا يقدر على القيام فتخبر الفيلة بعضها بعضا فيأتيه الفيل الكبير يجعل خرطومه تحته وسائر الفيلة يعاونونه حتى ينتصب على قوائمه ، والفيل إذا أراد قلع شجرة يلف خرطومه عليها ويقلعها من أصلها . وقالوا : ربما يعيش الفيل أربعمائة سنة . قال الزيادى :

رأيت فيلا فى أيام المنصور، وقالوا إنه يسجد لسابور ذى الأكتاف وللمنصور، من زمانه أربعمائة سنة وإذا علم الملك سجد له كلما رآه، والفيل أشد الحيوانات حقدا.

(حكى) أن رجلا فيالا ضرب فيلا فقالوا له لا تنم حيث ينالك فإنه حيوان حقود، فشد الفيال الفيل إلى أصل شجرة وأحكم وثاقه وتنحى عنه ونام، وكان لذلك الفيال شعر كثير منفوش فتناول الفيل بخرطومه غصنا ووضع رأسه على رأس الفيال ولوى بها حتى ظن أنه تشبث به ثم جذب العصا جذبة قوية فإذا الفيال تحت قوائمه فخبطه خبطا هشمه.

(فصل: فى خواص أجزائه)

قالوا: من سقى من وسخ أذنه ينام سبعة أيام. (برادة نابه) إذا تضمد بها تنفع من الداحس. (مرارته) يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام يزول. (عظمه) يعلق فى رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإن علق فى رقبة البقر يدفع عنها الموت، وإذا سحق وعجن بالعسل وطلى به الكلف يزول، ولو علق العاج على شجرة لم تثمر تلك السنة، ولو دخن به فى بيت فيه بق مات البق، وحكاك العاج ينثر على الجراحة الميتة تبرأ وينفخ فى خيشوم الراعف ينقطع دمه، ولو أكلت المرأة من حكاك العاج تحبل إذا أتاها زوجها: (جلده) يشد قطعة منه على من به حمى نافض تزول عنه، وتسقط البواسير من دخانه، وإذا نام على جلد الفيل صاحب الفالج يزول عنه. (بوله) إذا رش فى مكان يهرب الفأر منه، وإذا سقيت منه المرأة العاقر تحبل. (زبله) يتخذ منه سافة تتحمل بها المرأة لا تحبل، ويسقى منه صاحب القولنج لا يعود قولنجه أبدا، ويدخن تحت ذبل من به حمى ينفعه نفعا بينا، وزوانى الهند اللاتى وقفن يتحملن زبل الفيل دفعا للحبل واستبقاء للطراوة والشباب فإنهن موقوفات على جميع أصناف الرجال وهذا أسرع إلى الحبل لأنها لا تعدم من يوافق مزاجها مزاجه فتحبل فيبطل جمالها.

(قرد) حيوان قبيح مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة. وأهدى ملك النوبة إلى المتوكل قردا خياطا واخر صائغا، وأهل اليمن يعلمون القرود القيام بحوائجهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد الحفظ للدكان فالقرد يحفظ دكانه حتى يعود صاحبه، وتلد القردة فى بطن واحد من واحد إلى عشرة واثنى عشر وتحمل الأنثى بعض أولادها والباقى يحمله الذكر، وللقرود مجالس مشهورة تجتمع فيها كثيرا يسمع منها حس همهمة، والإناث معتزلات عن الذكور وللذكور منها غيرة شديدة على الإناث.

(وحكى) بعض أهل صنعاء أنه مر بقرد فى سفح جبل نائم واضع رأسه فى حجر زوجته وقد غاص فى نومه فإذا بقرد آخر قد جاء ووقف حذاءها فوضعت القردة رأس زوجها رويدا رويدا وقامت إلى ذلك القرد وجامعها كما يجامع الرجل المرأة، فلما انتبه القرد ولم

يجدها اتبع أثرها حتى وجدها فلمادنا منها شمهافعلم أنها زنت، فصاح صيحة عظيمة فاجتمع عليه كثير من القرود فأخبرهم بفعلها فحفروا لها حفرة وجعلوها فى تلك الحفرة ورجموها حتى ماتت ، قال بلبناس : إذا ألقيت القرد فى ماء وسقيت من ذلك الماء إنسانا أشبه القرود فى أفعاله. وقال أيضا: من تصبح بوجه القرد عشرة أيام متوالية جلب إليه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء محبة شديدة وأعجبن به .

(فصل: فى خواص أجزائه)

(عينه) تعلق على إنسان يمزح معه كل من رآه . (سنه) يعلق على إنسان لايغلبه النوم ولا الفزع بالليل ، ويكتحل به بعد أن يسحق يزيل بياض العين . (لحمه) ينفع من الجذام أكلا وعرف ذلك من الأسد فإنه كثير الجذام وإذا أكل القرد برئ . (دمه) من شرب منه يخرس حتى لا يقدر على الكلام أصلا ويقبح فى أعين الناس . (جلده) إذا علق على شجرة يدفع عنها ضرر البرد ، ويتخذ من جلده غربال يغربل به البذر فإنها إذا زرعت تسلم من آفات الجراد ، والله الموفق .

(كركند) حيوان فى جثة الفيل خلقته خلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر وقرون وغضبه سريع وحملته صادقة تخافه جميع الحيوانات بأرض الهند على رأسه قرن حاد الرأس غليظ الأسفل فيه أنحاء محدبة إلى وجهه ومقعره إلى ظهره ، ومن العجب كونه جمع بين الحافر والقرن فإن كل حيوان ذى حافر ليس له قرن وهو أقل الحيوانات عدوا يعيش سبعمائة سنة وهيجانه بعد خمسين سنة ومدة حمله ثلاث سنين . وزعموا أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوانات فى تلك البلاد حتى لو كان بينه وبينها مائة فرسخ من جميع الجهات فإنها تهرب من هيبته ، وإذا رأى الفيل يأتيه من ورائه ويضرب بقرنه بطنه ويقوم على رجليه ويدفع الفيل حتى ينتشب بقرنه ثم يريد أن يتخلص فلا يمكنه فيخر على الأرض فيموت هو والفيل أيضا . وذكروا أن السلاح لايعمل فى الكركند ولا يقاومه سبع ولا بهيمة وأنه يحب الفاختة يمشى إلى شجرة عليها عش الفاختة يقف تحتها ويطيب نفسه بهديرها والفاختة تقع على قرنه فلا يحرك رأسه لكيلا تنفر الفاختة .

(فصل: فى خواص أجزائه)

قالوا : على قرنه شعبة منحنية انحناؤها مخالف لانحناء القرن ، وله خواص. وعلامة صحتها أنه يرى منها شكل فارس لا توجد تلك الشعبة ، إلا عند ملوك الهند . من خواصها حل كل عقد فلو أخذها صاحب القولنج بيده ينفتح فى الحال ، والمرأة التى ضربها الطلق إذا أخذته بيدها وضعت فى الحال ، ولو أرادوا استخلاص حصن توضع الشعبة فى الماء ويرش فى الحصن فإنه يتخلص ، ولو سحق منها شىء وسقى لمصروع يزول صرعه وكذلك

من به فالج أو شنج ، وحاملها يأمن عين السوء ولا تكبوبه الفرس، وإذا ترك فى الماء الحار يتركه باردا ، ومن عضه الكلب الكلب يستى من قرن الكركند بدهن البلسان ينفعه نفعا بينا. قال ابن أبى الخير الاستراباذى صاحب كتاب [برهة نامت الجلاس] حاكيا عن أبيه قال: كنت رائحا إلى عرنين مع قافلة فأتانا الخبر أن قوما من اللصوص فى الطريق فأصاب القوم اضطراب من ذلك ، وكان فينا رجل فقال : يا قوم لا تحزنوا فإنى أكفيكم شرهم بشرط أنكم تذهبوا بى إليهم ، فذهب به بعض أهل القفل إلى موضع اللصوص وكانوا فى شعب بين جبلين ، فأخرج شيئا من وسطه ودلكه بالتراب دلكا شديدا ثم أشرف عليهم ونثر ذلك التراب على رؤوسهم فهبت ريح عاصفة فى ذلك الشعب منع اللصوص من القيام ومن قام منهم وقع ، ثم عاد إلى القفل ثم قال: امضوا بدعة وسلامة ، ففزنا من ذلك المقام وسلمنا فلما وصلنا إلى عرنين دخلت يوما على الشيخ الرئيس أبى على فرأيت ذلك الرجل عنده فأخبرته بصنيعه فقال : كان ذلك عنده قرن الكركند وفيها عجائب كثيره ، وهذا الرجل من خواص أصدقائنا جاءنا من بلاد الهند وأهدى إلينا ذلك العقد، ويتخذ من قرن الكركند نصل السكاكين فإذا قربت من طعام أو شراب فيه سم كسر قوة السم . (عينه اليمنى) تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات ، واليسرى تمنع من النافض والحمى ، ويتخذ من جلده الحواشن والتحافيف لا يعمل فيها شىء من السلاح .

(كلب) حيوان شديدالرياضة كثير الوفاءدائم الجوع والسهر يخدم كثيرا ويحرس ويدفع اللصوص. قال الجاحظ: من ذكاء الكلب أنه إذا اتبع الظباء يعرف التيس من العنز فيترك العنز ويقصد التيس وإن كان التيس أشد عدوا، لكن يعلم أن التيس يعتريه البول من الفزع فلا يستطيع الإراقة مع شدة الحصر فيقل عدوه فيعتريه البهر فيلحقه الكلب، وأما العنز إذا اعتراها البول أراقته لسعة السبيل وسهولة المخرج فلا تقصر وهذا شىء عرف من الكلب مرارا وهو ظاهر عند المكلبين . وقال أيضا: من عجائبه أنه يخرج يوم الثلج ووجه الأرض مغشى من الثلج ومعه الصياد المجرب لا يعلم موضع الصيد مع ذهنه وعقله والكلب يذهب يمينا وشمالا ولا يزال يتشمم حتى يعرف مواضع الصيد بأنفاس أبدانها وبخار أجوافها وإذابة مالاقاها من وجارها وهذا غامض جدا لا يدركه إلا الكلب الماهر ، وإذا صبت السحائب بالثلوج على الكلاب فى أيام الشتاء لقى منها جهدا، فمتى أبصر غنما نبح لأنه يذكر مالقى من مثله. وفى المثل : لا يضر السحاب نباح الكلاب ، وإذا نبح على إنسان بالليل فلا ينجه إلا أن يقعد فإذا قعد انصرف كأنه قد ظفر به ، وقد يصيب الكلب فى الصيف جنون لأن مزاجه حار يابس جدا ويزيده الصيف حرارة ويبوسة فيغلب عليه المرارة فيحدث له هذا المرض فيصير ريقه سما ، وعلامة ذلك اللهث الدائم واحمرار العينين وإطراق الرأس واعوجاج الرقبة واسترخاء الذنب وجعله بين فخذيه ويمشى مائلا خائفا كأنه سكران كئيب مغموم ويتعثر

فى كل خطوة ، وإذا لاح له شبح عدا إليه حاملا عليه سواء كان شجرا أو حجرا أو حيوانا وقلما تكون حملته مع نباح بخلاف سائر الكلاب ، وإذا نبح يكون فى نباحه بحوحة ، والكلاب تنحرف عنه ، وإذا دنا من بعضها على غفلة بصبصت وخشعت بين يديه ورامت أن تهرب وتفر ، ومرض هذا الكلب صعب المداواة ومن عضه ينبح كالكلب ويرى بوله مرشوشا على صورة الكلب وينظر فى الماء يرى صورة الكلب ولا يشرب من الماء حتى يهلك عطشا.

(وحكى) أن كلبا عض بغلة فعضت البغلة راكبها فصار الراكب أيضا مكلوبا ، وإذا مرض الكلب أكل سنابل القمح . هذا ، وإذا سمع صوت الحمار يتألم رأسه وإذا سمع المحتصب صوت الكلب الأبيض أو الأحمر يكون لجناحيه لونا جيدا ، والكلب يرتبط عند السفاد والحكمة فى ذلك أن نطفة الذكر يابسة لزجة لا تخرج إلا بزمان وينتفخ إحليله كى لا يخرج حتى ينزل تمام المنى ، وإذا رمى إنسان كلبا بحجر فأخذه بفمه ثم ألقاه فذلك الحجر إن ترك فى برج الحمام هرب منه وإذا ألقى فى الشراب من شربه يعربد . ومن عجيب ما حكى عن الكلب أن شخصا قتل شخصا بأصفهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فيأتى الكلب كل يوم ويحفر رأس البئر ويزيح التراب عنها وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا فيها المقتول فعذبوا القاتل حتى أقر .

(فصل : فى خواص أجزائه)

عينا الكلب الأسود الميت إذا دفنتا تحت جدار يخرب وإن أخذهما الإنسان معه لا تنبح عليه الكلاب. (نابه) يشد على الكلب العقور لا يعقر ويشد على الصبى تنبت أسنانه بلا وجع ومن يتكلم فى نومه يستصحبها لا يرجع يتكلم فى النوم ، وناب الكلب الكلب الذى عض إنسانا يشد فى قطعة جلد على عضد الإنسان يبرأ من عضة الكلب الكلب ولسان الكلب الأسود يحمله إنسان لا تنبح عليه الكلاب هكذا تعمل اللصوص . (مرارته) تنفع من ظلمة العين إذا اكتحل بها. (كبده) يؤكل مشويا ينفع من عضة الكلب الكلب. (شحم الكلب الميت) يطلى به الخنازير يحللها سيما إذا كان فى الحلق ومخه أيضا يفعل ذلك . (قضيبه) يجففه ويستصحبه الإنسان يكثر من الوقاع . (شعره) يشد على المصروع يخفف صرعه وشعر الكلب البهيم أقوى تأثيرا . (بوله) يقطع الثآليل إذا طلى به . قال ابن سينا : قردان الكلب يسقى منه صاحب القولنج ينفع فى الحال . (زبله) إذا كان أبيض اللون من أكل العظم دون اللحم فإنه دواء جيد للذبحة والخوانيق ، وزبل الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين .

(نمر) حيوان ذو قهر وقوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة ، وهو أعدى عدو للحيوانات لا تردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدهم ، وهو ذووشى وألوان حسنة

وخلقه فى غاية الضيق لا يتأدب البتة ، وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ورائحة فمه طيبة بخلاف الأسد، وخرزات فقاره ضيقة تنكسر بأدنى شيء أصابها ، وبينه وبين الأفعى صداقة وعند ولادتها تسير الأفعى حلقة فى عنقها، وإذا خدش النمر إنسانا ينثر عليه التراب حتى يموت الإنسان ، وإذا مرض يأكل الفأريزول مرضه، والنمر يتعرض لكل شيء يراه حالة جوعه وشبعه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض إلا فى حالة الجوع .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) إذا دفن فى موضع يجتمع فيه من الفأر شيء كثير . (مرارته) يكتحل بها تزيد فى ضوء البصر ويمنع من نزول الماء . (شحمه) يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينفعها ويبرئها . (لحمه) من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعى. (قضيبه) يطبخ ويشرب من مرقه ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة . (جلده) يتخذ منه طرحة يجلس عليها صاحب البواسير يزول عنه ، وإذا حمل معه شيئا من جلد النمر يبقى مهابا بين الناس ، وأجزاؤه كلها تفعل فعل السم القاتل .

(نامور) حيوان وحشى نفور له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال بقر الوحش يأوى إلى الدوحات التى التفت أشجارها ، وإذا شرب الماء ظهر به النشاط يعدو ويثب على الأشجار وربما تشعب قرناه بشعب الأغصان ولا يقدر على استخلاصها فيصيح والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه فيصيدوه . (لحمه) يطبخ بالنبيذ ويأكل منه الصبى تزول عنه البلادة ، جلده يتخذ منه مطرحا يجلس عليه صاحب البواسير يزول عنه . (كعبه) يشد على البريد على الساق يأمن من تعب السير .

(النوع السادس من الحيوان الطير)

هذا النوع من الحيوان مختص بخفة البدن وفقد أعضاء كثيرة توجد فى غيره . والحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما خلق الحيوان وجعل بعضها عدوا لبعض أعطى كل واحد إما قوة أو سلاحا يدفع بها عدوه كما للدواب وللسباع ، أو آلة يهرب بها كما للوحوش والطيور ، أما الوحوش فآلاتها قوائمها وأما الطيور فأجنحتها ، ثم إن هذه الآلة اقتضت خفة الجثة إذ لو كانت الجثة كبيرة اقتضت كبر الجناح والجناح الكبير لا يحصل معه سرعة الطيران بل يكون طيرانه بطيئا لا يزيد على شرعة المشى فلا يحصل الغرض المطلوب . ومن العجب طيران الطير فى الهواء وعدم سقوطه والهواء أخف منه وهو أثقل منه كما قال الله تعالى — ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله — فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح والجثة نقص منها أعضاء كثيرة توجد فى غيرها من الحيوانات التى تلد وترضع ويخف عليها النهوض ويسهل الطيران كالأسنان والآذان والكرش والمثانة وخرزات الظهر

والجلد الثخين ، وإذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه إلى أسفله كنسبة يمينه إلى شماله فإن كان طويل الرقبة تطول أيضا رجلاه ، وإذا قصرت رقبته قصرت رجلاه ، ولو نتف ذنب الطير لمال إلى قدام كالسفينة التى خف مؤخرها . قال الجاحظ : كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرازير والعصافير ، وإذا قطعت رجلاه لايقدر على الطيران كما إذا قطعت يد الإنسان فإنه لا يقدر على العدو ، وكل طائر يعب الماء يزق فرخه . ومن الطيور ما أعطى العجب فى لونه كالطاوس والببغاء والنعام وأبى براقش ، ومنها ما أعطى فى حلقه كالحمام ، ومنها ما أعطى فى حنجرته كالبلابل والقنابر ، ومنها ما أعطيت العجب فى تركيب أعضائها كالديكة واللقالق والكراكى والنعائم ، ومنها ما أعطى فى صنعته كالخطاف واليقوط والقنبرة وسنذكر بعض ما يتعلق بها من العجائب وترتيب أسماء الطيور على حروف المعجم إن شاء الله تعالى .

(أبو براقش) طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار فى حجم اللقلق يتلون كل ساعة بلون من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق ، وفيه يقول الشاعر :

كأبى براقش كل لو ن لونه يتخيل

وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبو قلمون تجلب من بلاد الروم ، ولم يحضرنى شىء من خواصه .

(أبو هارون) طير فى حنجرته أصوات مليحة شجية يفوق النوائح ويروق كل معنى لايسكت بالليل البتة ويصيح إلى وقت الصباح وتجتمع عليه الطيور لالتذاذها باستماع صوته وربما يمر العاشق عليها فلا يقدر على العبور بل يقعد ويبكى على صوته .

(إوز) طير يحب السباحة وفرخه يخرج من البيض ينزل فى الماء ويسبح فى الحال ، والأنثى إذا حضنت لا تقبل إلا بيض نفسها ولا تقبل إلا تسعا أو إحدى عشرة ، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج أفراخها يوم التاسع عشر فإن أبطأ فإلى آخر للشهر ، وفى جوف الإوز حصاة تنفع من الاستطلاق إذا سقى المبطون .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(لسانه) ينفع من تقطير البول إذا أكل . (مخه) يكمد به الرأس ينفع من الصداع . (مرارته) تذاب بدهن البنفسج ويسعط به صاحب الشقيقة فى المنخر الذى يلى الألم ينفعه . (شحمه) ينفع الشقاق العارض من البرد وداء الثعلب . قال ابن سينا : شحم الإوز يصفى اللون ومخه يسمن ويصفى الصوت ويزيد فى الباه (خاصة عينه اليسرى) تشد على يمين صاحب الحمى الربع تذهب عنه ، وتنفع من وجع الأعضاء كلها . (عظمه) يحرق ويذر على جراحات

النصول ينفها نفعا بينا ؛ (بيضة) يزيد فى الباه أكلا . (زرقه) يجفف ويسحق ويشرب ينفع السعال اليابس ، والله الموفق .

(بازى) هو أشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا يوجد بأرض الترك ؛ قالوا : البازى لايكون إلا أنثى وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ، ولهذا ترى الاختلاف فى أشكال البازات وذلك بحسب الذكر ، فإن كان الغالب عليه بياض اللون فهو أحسن البزاة وأملأها جسما وأجرأها قلبا وأسهلها رياضة ، والأشهب لايوجد إلا بأرض أرمينية وأرض الجزر . وجاء فى أخبار الرشيد أنه خرج ذات يوم إلى الصيد فأرسل بازيا أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب فى الهواء ثم عاد بعد اليأس منه وقد تعلق بشبه سمكة لها ريش كأجنحة السمكة ، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم هل تعلمون فى الهواء شيئا ؟ قال مقاتل : ياأمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه أقربها منا ذوات بيض تفرخ فيه يرفعها الهواء فينشأ فى هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش يأخذها بزاة بيض تكون بأرمينية ، فأمر الرشيد بإخراج طشت وأراهم فإذا فيه البازى الأشهب وذلك الحيوان . فأجاز مقاتلا بحق منتز ، والبازى لايتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر ودفع البرد ، وإذا أراد أن يبيض يبنى بيتا مسقفا لئلا يقع على فرخه المطر والثلج ، ويأتى بخشبة يقال لها المرار يتركها فى وكره لدفع العدو : وإذا مرض يأكل لحم العصفور يبرأ ، وإذا كان فى التحشير يعطى لحم الفأرة لينبت ريشه حسنا .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) من اكتحل بها يأمن من نزول الماء إذا رأى آثار نزول الماء الذى كشبه ذباب يطير بين عينيه أو مثل دخان ويسعط صاحب اللقوة بقدر حبة تنفعه نفعا جيدا . قال ابن سينا : مرارة الجوارح كلها تنفع من ظلمة البصر اكتحالا . (عظمها) يحرق ويذر على الموضع المحرق ينفعه نفعا بينا ؛ (مخلبها) يعلق على شجرة لايصيبها شىء من الطيور ولا يصيبها ضرر من الطير البتة .

(باشق) طائر حسن الصورة أصغر الجوارح جثة يصطاد العصافير وما فى حجمها (دماغه) ينفع الخفقان العارض من السوداء إذا سقى منه درهم بماء ورد (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا .

(ببغاء) يقال له بالفارسية طوطو طير حسن اللون جدا والشكل أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض له منقار عريض ولسان كذلك يسمع كلام الناس ويعيده ولايدرى معناه ويأتى بحروف مستقيمة ، وإذا أرادوا تعليمها أخذوا مرآة فى قفصها فإنها ترى صورة نفسها فيها ويتكلم أحد خلف المرآة فإنها إذا سمعت أعادت لأنها تريد أن تأتى بما أتى به مثلها فتتعلم سريعا . ومن عجائبها أنها لاتشرب الماء أبدا ، فإنها إن شربت هلكت .

(فصل : فى خواص أجزائها)

من أكل لسانها يصير فصيحا جريئا فى الكلام . (مرارتها) تثقل اللسان أكلا. (دمها) يجفف ويسحق وينثر بين صديقين تظهر بينهما العداوة . (وزرقها) يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالا .

(بلبل) يقال له بالفارسية هزارستان طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الألحان يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد ، يقولون إنه يحب الورد فإذا رأى من يقطفه يكثر صياحه ولا يصبر عن الماء ساعة لفرط حرارته ولا يتراوح إلا فى البساتين والريح يعصف به من صغره وهو يعلم ذلك فإذا كان يوم الرُيح لم يخرج أصلا . (لحمه مع عين السرطان) يشد فى جلد الإبل على ذراع إنسان لايغلبه النوم مادام معه .

(بوم) طائر معروف لايبرز بالنهار لضعف بصره ويحب الوحدة وتتشاءم الناس به والحيات والأفاعى تهرب من صوته ، وتصطاد السنانير الضعاف وتعادى الغراب ، وهو ذليل بالنهار أما بالليل فلا يقدر عليه شىء من الطيور والطير تعرف ذلك منه فإذا كان النهار تجتمع عليه الطير وتنتف ريشه ولهذا ينصب الصياد فى الشبكة البومة .

(فصل : فى خواص أجزائه)

يكتحل بمرارته تنفع من ظلمة العين ، زعموا أن إحدى عينيه تنام والأخرى تسهر وسبيل معرفتها أن الراسبة فى الماء تنوم تجعل تحت وسادة من أردت فإنه لايستيقظ مادامت تحت وسادته ، والطافية تسهر ، فالتى تسهر تجعل تحت فص الخاتم من تختم به لايغلبه النوم . (وعيناه) تخلط بالمسك ويستصحبه فكل من شم رائحته يحبه محبة شديدة . (قلبه) يطعم صاحب القولنج واللقوة يزيلهما وليكن مشويا. (مرارته) تخلط برماد خشب البلوط يأكله من فى مثانته حصاة يفتتها ، وتخلط برماد خشب الطرفا يأكله صاحب البول فى الفراش يزول عنه ذلك. (كبده) سم قاتل يورث القولنج ولادواءله والعياذ بالله (لحمه) يورث الغثيان ويجفف ويجعل فى طعام ويطعم جماعة تقع بينهم الخصومة . (دمه) يلطخ به طرياوجه الملووق يزول عنه ذلك . (قانصته) تعمل عمل كبده . (عظمه) يدخن به بين ندمان الشراب يعربد بعضهم على بعض. قالوا إنها تبيض بيضتين إحداهما منبتة للشعر والأخرى مزيلة ، ومن أراد أن يعرف ذلك فليغسلها بالماء ويعصرها فالمنبتة تميل إلى السواد والمزيلة إلى الصفرة .

(تدرج) طائر يقال له بالفارسية مدور يغرد فى البساتين بألحان طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ويهزل عند كدورتها وهبوب الجنوب ، ووقت البيض يتخذ دائرة

من التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا تتعرض له الآفات ، وإذا كان وقت الزلزلة تجتمع التداريج وتصيح قبل ذلك بساعة ثم تقع الزلزلة نعوذ بالله من ذلك .

(تبوط) طائر يقال له بالفارسية كسوا تتخذ من لحا الأشجار شبه الليف وتتخذ منه كهيئة القفة ويفتل خيطا تشد القفة به وتدليها من بعض الأغصان ثم تبيض فيها :

(فصل : فى خواص أجزائه)

بذبح بسكين من الشبة ويسقى لمن يعربد فى سكره فإنه يتأدب ولا يرجع إلى ذلك. (مرارته) تطعم الصبى بالسكر يحسن خلقه . (عظمه) يعلق على الصبى وقت زيادة نور القمر يبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كريه الملتقى .

(حبارى) طائر يقال له بالفارسية حور . قالوا : مافى الطيور أشد بلها منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها . وفى المثل : كل شىء يحب ولده حتى الحبارى ، وإذا وقع زرقه على شىء من الطيور يعمل عمل الدبق ، والعرب تقول : الحبارى سلاحه سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لاتزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجدفرصة فترميه بزرقها فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنتف ريشه وفى ذلك هلاك الصقر . والحبارى إذا حبس وحبس معه شىء من الطير ونتف ريش صاحبه قبله يموت كمدا. ويقال فى المثل : مات كمدا الحبارى .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(داخل قانصته) يجفف ويسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء يزيل بياض العين اكتحالا. قال ابن سينا : بيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال فليجرب بصوفة بيضاء : (زبله) نافع للقوابى .

(حدأة) طائر يقال له بالفارسية زعق وهو خسيس يغلبه أكثر الطيور. قيل إنه ذكر فى سنة وأنثى فى سنة ، والغراب يسرق بيض الحدأة ويترك مكانه بيضه فالحدأة تحضنها فإذا فرخت فالحدأة الذكر تعجب من ذلك ولا يزال يزعق ويضرب الأنثى حتى يقتلها وإذا مرض يأكل شيئا من ريشها ، وإذا رأت الحدأة شيئا أحمر تحسبه لحما تسلبه . قال صاحب الفلاحة : الحدأة والعقاب يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) إن جففت وسحقت وذرت فى جونة الحواء ماتت الحيات التى وقع عليها ، ويكتحل بها من لدغته العقرب فى العين التى من جانب اللدغة ينفعه. (دمه) ينفع من السموم القاتلة شربا . (عظمه) يحرق ويسحق ويضمد به الدماميل ينضجها وكذلك الجراحات .

(حمام) هو الطير المشهور الهادى إلى أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاء

فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ويكون صعوده مدوراً كما أخذ المنارة فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده فعند ذلك يهبط إليها فى أدنى زمان وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع فى بلاد شاسعة أو يصيده شئ من الجوارح، وترى عجبا بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرهما، ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه وحمامة رأيتها لاتسجد إلا مع شدة الطلب ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه وأنثيين يتساحقان كسحاق النساء يبيضان أربع بيضات ولا يفقسان، ومن العجب أن الحمام الذكر يحس بما أودع رحم الأنثى فعند ذلك يهتم بعمل الأفحوصة فيتخذانها على قدر بدنهما، فإذا شخصا لتلك الأفحوصة جوفاها حتى يظهر فيها مقعد تبقى البيضة فيه مصونة، فإذا وضعته يتناوبان عليه الحضن بعد ماسخنا موضعهما وأحدثا له رائحة أخرى مستحدثة من طبيعة أبدانهما ويقلبان البيض فى أيام الحضن وساعاتها وأكثرها على الأنثى كالمرأة التى تتكفل بالحضانة، فإذا صارت فراخا فأكثر الزق على الذكر كالرجل الذى يتكفل بالنفقة، وإذا خرج الفرخ نفخا فى حلقه حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما بأن آلات ممر غذاء الفرخ لاتحتمل الطعام فيزقانه أولا باللعاب المختلط بالطعام مكان اللبن ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان سوارح الحيطان. قالوا: من أراد لونا من الحمام كأسود الرأس أو الذنب أو مثل ذلك فليتخذ حماما من الخرق على ذلك اللون ويتركها عند مسقى الحمام فإذا كان حمامة وقعت عينها عليها حالة التزاوج يأتى فرخها على ذلك اللون، وحمام البر إذا مرض يأكل الجراد يزول مرضه، والمتروك الذى يقال له اليمامة يأكل أطراف القصبة يزول مرضه. ومن ذكاء الحمام أن جوازلها إذا رأت النسر لا تخاف، وإذا رأت العقاب خافت، وكذلك تفرق بين الغراب والصقر وإذا رأت الشاهين رأت السم الناقع كما أن الشاة لا تفزع من الفيل والجاموس وتفزع من الذئب. قال الجاحظ: الحمام أسرع طيرانا من سباع الطير إلا أنه إذا رأى الجوارح يعتريه ما يعترى الشاة عند رؤية الذئب والفأرة إذا رأت السنور.

(فصل: فى خواص أجزائه)

(عينه) من أكلها يصيبه الغشى. (مرارة الحمامة البيضاء) تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتحالا. (دمه) يطلى به الكلف يقلعه. (دم الجوازل) يطلى به الجراحة يبرئها سريعا، ويطلى به الموضع الذى أصابه صدمة أو ضربة تصلحه، ويزيل الزرقة من آثار الضربة والصدمة، وينفع من الغشاء اكتحالا. (لحمه) من داوم على أكله يدفع عنه البلادة ويورث الذكاء. (عظمه) يحرق ويذر على الجراحة يلتئم شقها ويصلح بإذن الله تعالى. (زرقه) تحمله المرأة التى أضر بها الطلق يسهل ولادتها ويقلع الخشركشات والنار الفارسية

إذا طلى به ، وزرق الحمام الأحمر يفتح أثر البول ويفتت الحصاة والدمل ويطرح زرق الحمام فى أدوية الحتمنة يفتح القولنج (رجل الحمام والاصطرك وحب النيل) أجزاء سواء يسحق وتخلط بدهن الجوز ويطلى به البرص يغير لونه .

(خطاف) طائر لا يزال ينتقل من الضروب إلى الحروم ويتبع الربيع وإذا عرف استقبال الصيف يأخذ فراخه ويمشى بها إلى الوكر الذى تركه فى البلد الآخر ولا يبقى منها واحدا إلا رجع إلى وكره القديم ، ويتخذ الوكر من الطين المخلوط بالشعر ليبقى بعضه على بعض ويقوى كطين الحكمة . ومن العجائب أن يعمل بعضه ويتركه حتى يجف ثم يعمل البعض الآخر فلو عملت البيت كله دفعة واحدة لتثاقلت وسقطت ، وإذا أرادت اتخاذ الوكر عاونته الخطاطيف فإذا فرغت تأتى بالماء فى أفواهها وتسوى به باطن الوكر وتملسه وتزيل خشونته ، وتضع السذاب فى أوكارها لدفع الحيات والبعوض والذباب ، ومن المشهور أن عش الخطاف يحل فى الماء ويسقى صاحبة الطلق تضع بسهولة .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(ريش رأسه) يجعل تحت وسادة إنسان لا ينام ما دام تحت رأسه . (دماغه) ينفع من ظلمة العين اكتحالا ، ولو خلط بدهن ورد ودهن به الإنسان رأسه لا يتولد فيه القمل . (عينه) تشد فى خرقة وتعلق فى سرير كل من نام عليه سهر . (قلبه) يجفف ويسحق ويسقى فى شىء من الأنبذة يعين على الجماع معاونة عظيمة . (لحمه) يحد البصر جداً . (دمه) يسقى المرأة تذهب شهوتها بحيث لا تريد الرجال البتة . (زرقه) ينضج الدماميل إذا ضمدت به .

(خفاش) طائر مشهور ، بصره ضعيف يسوؤه شعاع الشمس لا يخرج إلا بين الضياء والظلام يشبه الفأر . (جناحه) جلدة رقيقة وله أسنان وللأنثى ثدى كما للفأر يرضع ولده ، وإنما طالب بنو إسرائيل عيسى صلوات الله عليه بخلق الخفاش لأنه أتم الطير خلقة لأن له أذانين وأسنانا وثديا فاتخذ من الطين كما أخبر الله تعالى — وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى — يقصد الذباب والبق والبعوض وأمثالها ، وربما تأخذ ولدها فى فمها وتطير وترضع ولدها ، وتأكل الرمان على الشجرة وتتركه قشرا مجوفا وتهرب من ورق الدلب إذا ترك فى مكانها ، وإذا علقت خفاشة فى شجرة من قرية جاوز الجراد عنها .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) يترك فى برج الحمام يألف إليها ، وإذا ترك تحت وسادة إنسان لا ينام . (دماغه) قال ابن سينا : ينفع من نزول الماء اكتحالا . (قلبه) يعلق على من هاجت به شهوة الوقاع يسكن . (دمه) يزيل الغشاء اكتحالا ويطلى به الإبط والعانة بعد النتف فإنه لا يرجع ينبت الشعر بعد ذلك . (زرقه) يزيل الظفرة وبياض العين اكتحالا ويلقى فى جحر النمل تهرب

كلها ، ويطلى العضو الذى أريد إزالة شعره بماء الزرنيخ والنورة وزرق الخفاش فإنه لاينبت إلا بعد مدة طويلة وإذا فعل ذلك مرارا لا ينبت البتة .

(دراج) طير مبارك كثير النتاج محدب الظهر مبشر بالربيع ، ويؤكل لحمها وتحسى مرقتها فإنها تزيد فى الباه وتقوى الشهوة ، والمداومة على أكل لحمه يزيد فى الدماغ والفهم قاله ابن سينا ، وهو القائل : بالشكر تدوم النعم . وصوته على وزن هذه الكلمات ، وتطيب نفسه فى الهواء الصافى وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لايقدر على الطيران ، وذكر الجاحظ أن الدراج من الطيور التى لاتسافد فى البيوت إنما تسافد فى البساتين . وذكر بعض البازدارية أنه أرسل بازا على دراج فألقى الدراج نفسه على شوك كان هناك وأخذ من الشوك أصلين فى رجليه واستلقى على قفاه وتستر بذلك عن الباز فعجز الباز عنه ، قال ابن سينا : يزيد فى مادة المنى .

(ديك) أكثر الطيور شهوة وعجبا بنفسه يبشر بطلوع الفجر ، ومن العجائب معرفته ساعات الليل فإن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة يقسط أصواته عليها كما كان يقسطها والليل تسع ساعات وذلك بإلهام من الله تعالى . وزعموا أن من أيقظه الديك فقام لايبقى معه شىء من ثقل النوم ، والأسد يهرب من الديك الأبيض والمهارش خيرها وعلامة ذلك حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة المخالب ورفع الصوت ، والديك يحب الدجاج محبة شديدة يؤثر الدجاج على نفسه وربما يأخذ الحب بمنقاره ويرميه إلى الدجاجة ويهارش عليها وهذا كله فى زمن شبابه وكثرة نشاطه ، وأما إذا هرم فتكون همته مقتصرة على نفسه وإذا جاء للدجاج عدو دفعه الديك عن الدجاج ، وبالليل يجتمع الدجاج فى موضع حريز ويقف الديك على بابه يحرسها ، والديك يبيض بيضة فى عمره صغيرة تسمى بيضة العقد ، وزعموا أن من ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله وأهله وأن الشيطان لايدخل بيتا فيه ديك أبيض أفرق .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(عرفه) يجفف ويسحق ويسقى من يبول فى فراشه يزول عنه ذلك ، وعرف الديك الأبيض أو الأحمر يبخر به المجنون ينفعه نفعا بينا . (مرارته) تنفع من الغشاوة وظلمة البصر اكتحالا . قال . بلليناس : مرارة الديك الأبيض تخلط بمرق صاف وتؤكل على الريق تذهب النسيان ويذكر ما كان نسيه . وقال بعضهم : مرارة الديك تجعل فى إناء من فضة ويداوم على الاكتحال بها فإنه يزيل بياض العين : (عظم جناحه) يشد على صاحب الحمى الورد تذهب عنه ، ويشده الفارس على وسطه لا يتعب من السوق . (دمه) ينفع من بياض العين اكتحالا ويخلط دمه بالعسل ويعرض على النار فإنه يقوى الباه واللذة طلاء على القضيب .

ودمه الذى يخرج من المهارشة إن جعل فى طعام وأكله قوم يقع بينهم الخصومة . (لحمه) يأكله العقاب على جوعه يسقط ، ويؤخذ من لحم الديك ويجفف ويسحق مع العفص والسماق بالسوية ويتخذ حبوبا على مثال الحمص ويسقى المبطون يبرأ فى الحال ، ويوجد فى بطن الديك أحجار منها على لون السماء ومنها على لون البلور فإذا علق منها على المجنون يبرأ ويعلق على غير المجنون تزيد شهوته ، خصية الديك تعلق على الديك المهارش لايغلبه ديك فى المهارشة.

(دجاجة) أعجب ما فيها أنها إذا تشبهت بالديك فى الصياح والمهارشة ينبت لها شوكة كشوكة الديك وربما باضت من لعبها فى التراب ومن الريح الجنوب من غير ركوب الديك لكن لا تفرخ تلك البيضة ويطيب طعمها . وإذا حصل فى ظهرها بيض كثير من هذا السبب وركبها الديك ولو مرة واحدة صلحت كلها ، وإذا حضنت الدجاجة وسمعت صوت الرعد يفسد بيضها وكذلك عند هبوب ريح الجنوب يكون فسادها أقوى ، والدجاجة إذا سمنت لا تبيض ؛ قال الجاحظ : إذا كبرت الدجاجة قل بيضها كما ترى من أمر النخل إذا تزاحمت لا تحمل .

(فصل : فى خواص أجزائها)

تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف سمسم مقشر حتى تنهرى ويؤكل لحمها ويحتسى مرقها فإنه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة ، والمداومة على أكل لحم الدجاج يورث البواسير والنقرس . (شحمه) يتخذ طلاء يذهب الكلف الأحمر من الوجه ، وينفع من الشقاق فى القدم العارض من البرد : (ومرارتها) تمنع من نزول الماء اكتحالا . (قانصتها) قال بلیناس : تشوى وتطعم من يبول فى الفراش يذهب عنه ذلك . (بيضها) يؤخذ منه ثلاث حبات وينقع فى خل ثلاثة أيام ثم يترك فى الشمس ليجفف ويطلى به البهق يذهب به ، والنيمرشت يعمل فى تكثير مادة المنى وزيادة الشهوة فعلا عجيبا ، والبيض يترك فى وسط التبن فى الشتاء وفى الصيف فى النخالة يبقى زمانا طويلا لا يفسد . (دهن البيض) يطلى به النقرس فيسكن وجعه . (زرقها) ينفع من القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ وكذلك ينفع صاحب الحصاة . قال بلیناس : زرق دجاجة سوداء يلصق على باب قوم يقع بينهم شر وخصومة .

(رخمة) طائر يشبه النسر فى خلقته يختار لبيضه أطراف الجبال الشاهقة ليصعب الوصول إليه . يقال : أعز من بيض الأنوق ، فإذا حان أوان بيضها ذهبت إلى الهند وأتت بحجر يقال له أبو طافيون وهو حجر مدور مثل الخرزة إذا حركته يقرقع فى جوفه حجر آخر ويترك ذلك الحجر تحتها فتبيض من غير وجع ، ويطير خلف العساكر ليأكل من جيف القتلى ، ويتبع الحاج أيضا لطمعه فى خرء الدواب ، ويتبع النعم أيضا زمان وضعها أو حملها طمعا فى الجنين المجهض .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) تقطر فى الأذن مع الزيت يزول طرشها ، ويكتحل بمرارتها وحدها لبياض العين . (دمه) يسقى من به حمى الربع تذهب عنه ، وإن خلط بدهن زنبق ومسح به الوجه يكون مقبولا عند السلاطين . (عظم جناحها اليمنى) يحرق ويسقى إنسانا يحب من فعل ذلك حباً شديدا . (وعظم جناحها) اليسرى يفعل مثل ذلك فى البغضة . (زرقها) إن احتملته المرأة ألقت جنينها .

(زاغ) هو الغراب الكبير . قالوا إنه يعيش أكثر من ألف سنة. قال الجاحظ : سائر الطيور تطرد أولادها ولا تعرفها إلا الغراب فإنها لا تبرح تتفقد أولادها ، والغراب نفسه يحرق ويسحق بالزيت وتطلى به الموضع الذى تريد أن ينبت فيه الشعر ينبت .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(لسانه) يجفف ويأكله العطشان يزول عطشه ولو فى وسط تموز . (قلبه) يجفف ويسحق ويذاب بالماء ويشربه الإنسان لا يعطش فى سفره ، فإن الغراب لا يشرب الماء فى تموز . وقال بعضهم : لو أخذه الإنسان معه زال عطشه . (ومرارته) تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين ، ويسود الشعر إذا طلى به سوادا عجيبا . (شحمه وحوصلته) تمنع من نزول الماء أكلا عند مباديه . قال بلياس : إذا أخذت شحم الغراب مع دهن الورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حوائجك . (دمه) يجفف ويذر على البواسير يصلحها . (بيضها) إذا شربه من سقى الزرنيخ أو النورة يدفع غائلتها ، وإذا أكلها إنسان ثم استعمل الزرنيخ أو النورة لايزول شعره ، ولو سقيه إنسان فى النبيذ لايرجع يشربها . (دمه) يجفف ويذر على البواسير يقلعها وينفعها ويصلحها . (زرقه) يخلط بالخل ويطلى به موضع طحال المطحول ينفعه ، ويضمد به حلق صاحب البحة يزيلها .

(زرزور) طائر يقال له بالفارسية «سار» يتبع الربيع وطيب الهواء ويأتينا من بلاد الهند ويقع منها فى البحر شىء كثير تذهب الأمواج بها إلى السواحل وسكان السواحل تجمعها وتحرقها مكان الحطب . قال أبقراط : يؤخذ من فراخ الزرزور وتطلى بالزعفران وتترك مكانها فإذا رجعت إليها أمهاتها تحسبها أنها مريضة فتأتى بحصى أصفر اللون لمعالجتها فتسحق تلك الحصاة وتعطى صاحب اليرقان يبرأ فى الحال . (لحمه) يزيد فى ضوء البصر أكلا ، ويجفف ويسحق ويسقى صاحب الخناق على الريق ينفتح فى الحال (رماده) يذر على الجراحات يصلحها ، قال ابن سينا : زرق الزرزور المعتلف بالأرز نافع من القوابى .

(زمج) طائر يقال له بالفارسية زمك . (مرارته) تجعل فى الأكحال تنفع من غشاوة العين وظلمة البصر ، وذكر أنه مجرب والله أعلم .

(سمانى) طائر صغير وهو السلوى الذى كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه ، ومن عجيب شأنه أنه يسكت طول الليل زمن الشتاء فإذا أقبل الربيع يصيح مع ابتلاج الصبح ، يغتذى بالبيش والبيش سم قاتل .

(سقر) طائر من جوارح الطير فى حجم الشاهين إلا أن رجلاه غليظتان جدا ولا يعيش إلا بالبلاد الباردة ويوجد ببلاد الترك ، إذا أرسل إلى الصيد أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة فإذا رجع إلى المكان الذى ابتدأ منه يبقى الطير جميعا فى وسط الدائرة لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفا . والجارح يقف عليها وينزل يسيرا يسيرا وينزل الطير بنزوله حتى يلتصق بالتراب فيأخذها البازدارية فلا يفلت منها شىء أصلا .

(شاهين) طير من جوارح الطير عدو الحمام إذا رآه الحمام يعتريه ما يعترى الشاة من الذئب والفأر من الهرة ، والحمام أسرع طيرانا منه إلا أنه إذا رآه يضعف عن الطيران خوفا ، وإذا رأته السلحفاة تتقنع وتعطيه ظهرها ولا يعمل منقار الشاهين فيها فيحملها الشاهين ويصعد بها نحو السماء ويرميها على حجر صلد لتنكسر فيأكلها ، وإذا مرض الشاهين أكل الدراريج يزول مرضه .

(شفنين) طائر معروف لا يزاوج إلا أنثاه فإن هلكت لا يزاوج غيرها وكذلك الأنثى قاله الجاحظ : (شحمه) يذاب بالشيرج ويقطر فى الأذن يذهب طرشها ، وإذا اكتحل به يذهب الرمد وجراحات العين والغشا . (زرقه) يسحق ويذاب بدهن الورد وتحتمله المرأة على صوفة ينفعها من أوجاع الرحم .

(شقراق) طائر يقال له بالفارسية كاسكينة أخضر اللون أحمر المنقار وقد يكون أصفر عدو النحل يأكل منها ويقتل مالا يأكله ، (مرارته) ذكر صاحب المثل أن الذهب إذا كان ناقص العيار يذاب ويفرغ فى مرارة الشقراق فإنه يحمر ويزيد عياره كما لو فرغت فى مرارة الثعلب ينقص عياره ويظهر نقصانه .

(صاف) طائر لا ينام شيئا من الليل أصلا ، فإذا أظلم الليل يتدلى من شجرة ويقبض على شىء من أعوادها برجليه متنكسا ولا يزال يصيح حتى يشرق الصبح ، قالوا إنه يخاف من وقوع السماء عليه .

(صقر) هو الجارح المعروف الذى يقال له بالفارسية جزع ، وصيده أعجب من جميع الجوارح وهو أنه إذا أرسل الصقران إلى ظبية نزل أحدهما على رأسه ويضرب عينيه بجناحه ثم يعلو وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك هكذا يشغلانه عن المشى حتى يدركه من يبطش به ، ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب على الكركى مع ضخامته ويغلبه وذلك لشجاعته التى خلقها الله تعالى فيه فلم يعبأ بعظم جثة الكركى لضعفه عنه مع زيادة قوته وجثته .

(طاوس) أحسن الطيور جمالا وحسناً وأروقها لونا ولله تعالى فى خلقه حكمة فى اختلاف ألوانها فترى فى وسط كل ريشة دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرهما من الألوان التى يلائم بعضها بعضا ينشأ من تركيبها زيادة حسن فإن الذهب إذا جعلته على الحمرة أو الصفرة أو البياض لا تجد مثل حسنها على الزرقة والخضرة والكحلية ، فانظر إلى قدرة الصانع كيف خلق فى بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة ، ثم إن الذهب الذى يولدها فى الحجر لا يخرج إلا بالحيلة الشديدة ولا يصلح للتزويق إلا بعد أن يعمل عليها صناع كثيرة مختلفو الصناعات ، وكيف خلق الله فى البيضة خاصية يتبين منها لون الذهب فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه . قالوا : عمر الطاوس خمس وعشرون سنة وفى هذه المدة يتلون بألوان كثيرة وفى كل سنة يلقى بريشه وقت الخريف وإذا بدت الأشجار بالأوراق يكتسى الطاوس أيضاً بريشه . قال ابن سينا : من أراد أن يظفر بإبعاد الحوام يقتنى طاوسا فى مكانه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مخه) بالسذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة . (دمه) من سقى منه يجن . (مرارته) يشرب منها وزن دانق بالسكنجبين نافع للمبطون ويذهب بثقل اللسان . (لحمه) يزيد فى الباه وينفع من وجع الركبتين . (شحمه) يطلى به العضو المبرود يصلحه . (عظمه) من أخذ معه يأمن من العين السوء . (مخلبه) يشد على فخذ صاحبة الطلق تضع فى الحال وكذلك لو دخن تحت ذيلها .

(طهوج) لحمه يعقد البطن ويزيد فى الباه .

(عصفور) قالوا : الطير ضربان : أحدهما بهائم الطيور وهى التى تلقط الحب الآخر وسباع الطيور وهى التى تتغذى باللحم ، والعصفور يشبههما جميعا لأنه ليس بذى مخلب ويلقط الحب وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر ، ويتخذ وكره فى العمران تحت السقوف خوفا من الجوارح ولو خلت مدينة عن أهلها ذهب العصافير عنها فإن عاد أهلها عادت ، وبينها وبين الحية عداوة إذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شقاشقها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبتها إلا جاءت إليها وصاحت معها وربما تقرض الحية بمنقارها فتجرحها فيجتمع النمل عليها فتكون سببا لهلاك الحية ، وإذا نهقت الحمير فسد بيض العصافير ، وليس شىء من الحيوان أكثر سفادا من العصفور فلهذا قالوا عمره قصير .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(دمه) يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلى به القضيب ولا يضع قدمه على الأرض

فإنه يرى شيئا عجيبا من إفراط اللذة وكثرة الشهوة . (لحمه) يهيج الباه ويكثر الرياح . (بيضها) من يتحسى به يكثر جماعه ، ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرجه ويطلى به الناصور ينفعه نفعا بينا . (زرقه) يكتحل به يزيل الغشاوة ، وإن شربه الإنسان فى النبيذ يخر كالميت .

(عقاب) من صغار جوارح الطير يصيد الطير وصغار الحيوان كالأرنب والثعلب ويأكل من كل حيوان كبده لأن الكبد ينفعه من أمراضه . قال الجاحظ : لمخلب العقاب خاصية فى تقطيع الذئب فينقض على الذئب فيقده نصفين ، ويتبع العساكر لطعمه من لحوم القتلى . قال أصحاب القنص : إن العقاب لايروع الصيد ولا يعانى ذلك بل يكون على المرقب الأعلى فإذا رأى شيئا من الجوارح قنص صيدا انقض عليه فالجارح ينجو بنفسه ويترك الصيد للعقاب ولا يفرخ إلا بيضتين والزيادة يرميها لأنها أكولة لايتفرغ للأولاد الكثيرة لقساوة قلبها وسوء خلقها ، وإذا هرمت وعجزت عن الطيران تراعيها أفراخها وإذا أظلم ضوء عينها من الهرم تصعد نحو الهواء إلى أن يخرق بريشها ، ثم تنزل وتغوص فى شىء من عيون الماء فيذهب هرمها وتعود إليها قوتها ، وهو طويل العمر بعيد التسافر يتغذى بالعراق ويتعشى باليمن ، والعرب تقول : فلان أحزم من فرخ العقاب ، لأن العقاب وسائر فراخ الطير تتخذ أوكارها فى عروض الجبل وربما كان الجبل أملس بحيث لو تحرك الفرخ من مجثمه لهوى من رأس الجبل إلى حضيضه ، والفرخ يعرف ذلك مع صغره وقلة تجربته لايتحرك أصلا ولو وضع شىء من أفراخ الأهلية كالدجاج والحجل والقطا فى أوكار الوحشيات لتهافت فى الحال وسقط عنها ، وأعجب من هذا أن الفرخ لايطير حتى تستوى قصبة ريشه فسبحان من ألهم كل حيوان مصالح نفسه ومفاسده .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالا ، ويطلى به ثدى النساء اللاتى انعقد اللبن فى ثديهن فإن ألمها يسكن فى الحال ويفتحها ويكثر لبنها . (دمه) يجفف ويخلط بالإهليلج الأصفر مسحوقا ويكتحل به ينفع من جرب العين ولو طلى به من خارج كان أيضا نافعا . (شحمه) يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول ألمها وكذلك وجع المفاصل ، وشحمه أيضا يخلط بالصبر والعسل ويجعل على الناصور مرتين وثلاثا يصلحه .

(عقعق) طائر معروف كثير الخيانة يسلب الأشياء النفيسة من الحلى والجواهر ويرميها موضعا آخر ولا يتخذ العش إلا فى ظلمة أو تحت سقف ، ويأتى بورق الدلب يتركه فى عشه كيلا يقصد الخفاش بيضه وكثيرا ماتنسى عشها وأفراخها فما لها ذكاء كما لغيرها من الطيور .

(فصل فى خواص أجزائه)

(دماغه) يخلط بالغالية ويسعط بها صاحب اللقوة والفالج يذهب مابه من الأذى . (دمه) يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى إنسانا يبقى ثرثارا مكثارا ، وطريه يطلى به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة . (شحمه) يطعم لصبى بالسكر يكون فصيحا حافظا . (ريشه) يحرق ويذر فى جحر النمل تهرب كلها بحيث لايبقى منها شىء . (مخ رأسها) يكتحل به بعد الخروج من الحمام مرتين أو ثلاثة يزيل بياض العين بالكلية .

(عنقاء) أعظم الطيور جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر. كان فى قديم الزمان يختطف من بيوت الناس فتأذوا منه من جناياته إلى أن سلب يوما عروسا مجلوة فدعا عليه حنظلة النبى صلى الله عليه وسلم فذهب الله به إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهى جزيرة لايصل إليها الناس وفيها حيوانات كثيرة كالفيل والكركند والجاموس والنمر والسباع وجوارح الطير والعنقاء لاتصيد منها لأنهم تحت طاعتها ، وإذا أتى بشىء من الصيد يأكل منه والباقى تأكل منه الحيوانات التى تحت طاعتها ولا تصيد إلا فيلا أو سمكا عظيما أو تنينا فإذا فرغ منه يخلى البقية لها ويصعد إلى موضعه ويتفرج على أكلها ، وعند طيرانه يسمع من ريشه صوت كهجوم السيل أو صوت الأشجار عندهبوب الريح .

(وحكى) عن بعض التجار قال : ضللنا الطريق فى البحر المحيط وتحيرنا فإذا نحن بسواد عظيم كغيم مظلم فذكر الملاحون أنه العنقاء فتبعناه حتى دخلنا تحت ذلك السواد ثم فتحنا اللسان بالدعاء له فلا يزال يمشى بنا حتى وجدنا الطريق ثم غاب عنا ، وذكروا أن عمر العنقاء ألف وسبعمائة سنة ويتزاوج إذا أتى عليه خمسمائة سنة ، فإذا حان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد فيأتى الذكر بماء البحر فى منقاره ويحقنها به فتخرج البيضة عنها فيحضن الذكر والأنثى تمشى وتصيد ويفرخ البيض بمائة وخمسة وعشرين سنة ، فإذا كبر الفرخ فإن كان أنثى فالعنقاء الأنثى تجمع حطبا كثيرا والذكر يوقد بمنقاره نارا ويضرم ذلك الحطب والأنثى تدخل تلك النار وتحترق والفرخ يبقى زوج الذكر ، وإن كان الفرخ ذكرا فالعنقاء الذكر يفعل مثل ذلك ويبقى الفرخ زوج الأنثى ، وقد ذكروا فى العنقاء أقوالا عجيبة أعجب مما ذكرنا لكنها لم تكن مستندة إلى قائل يعتمد فاعتمدنا على هذا القدر .

(غراب) طائر كثير الأسفار بعيد التطواف أول مايطير يسرع فى الطيران بعد انبلاج الفجر يحب الجوز يجمع منه كثيرا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالحمل والفرس وكذا الآدمى ويقصد قلع عينها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدة جوعه وينقر ظهر السلحفاة فيأكلها والبعير إذا عقر وحدث فى ظهره لحم ميت فلابد من أخذ اللحم الميت من ظهره فيرسلونه إلى الصحراء ليجتمع عليه الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهره ، وإذا

تفرخ بيضها يكون الفرخ أبيض بلا ريش فتفزع الأم منه وتتركه فيبعث الله تعالى إليه ذبابا كثيرا فيأكل الفرخ منها حتى ينبت ريشه ويسود . قال مكحول : من دعاء داود النبي عليه الصلاة والسلام : يارازق الغراب فى عشه . والفرخ إذا اسود عادت إليه أمه وحينئذ تغيب عنه الذباب والبق . قال خلف الأحمر : رأيت فرخ الغراب فلم أر صورة أقبح منه ولا أقذر ولا أنتن ، رأيت رأسا كبيرا ومنقارا طويلا وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو أمرط منتن الريح ، والغراب إذا مرض يأكل رجيع الإنسان يهدأ ، ومن الغربان من يأتى بألفاظ فصيحة أفصح من الببغاء .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(قال بليناس) الغراب يجفف ويسحق ويسقى الإنسان لايعطش ولو فى تموز . (مرارته) تسقى لإنسان فى النبيذ يسكر بالقدح الواحد. (طحاله) إذا علق على إنسان هاج به العشق ، رأس الأبقع ينضج ويأكله من به صداع عتيق يزول عنه . (دمه) يخلط بشىء من النورة ويطرح فى النبيذ ويشربها إنسان يبغضها ولا يرجع إليها . (زرقه) يلف فى شىء من العهن ويدفع إلى صاحب السعال ينقطع سعاله .

(غرنيق) طائر من طيور الماء . قال صاحب المنطق : إن الغرنيق من الطيور القواطع وإنها إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا أو حارسا ثم تنهض معا فإذا طارت ترتفع فى الهواء جدا كيلا يعرض لها شىء من سباع الطير ، وإذا رأت غيما أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كيلا يحس بها العدو ، وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد رأسه تحت جناحه لعلمها أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التى هى أشرف الأعضاء والدماغ الذى هو ملاك البدن ونام كل واحد منهما قائما على إحدى رجليه حتى لايكون نومها ثقيلا. وأما قائدها وحارسها فلاينام شيئا ولا يدخل رأسه تحت جناحه ولايزال ينظر من جميع الجوانب فإن أحس بأحد صاح بأعلى صوته وأخبر أصحابه بالعدو ، وأما زرقه فيسحق بالماء ويفتل فتائل ويجعل فتلة فى الأنف ينفع من كل قرحة تكون فى الخيشوم .

(غواص) طائر يقال له بالفارسية ماهى خوار يوجد بالبصرة على طرف الأنهار يغوص فى الماء معكوسا بقوة شديدة ويلبث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به والعجب للبثه تحت الماء والماء لايغلبه مع خفة بدنه .

(وحكى) بعضهم قال : رأيت غواصا غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب وأخذ الغراب السمكة منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة وقربها من الغراب فأخذ الغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص وأخذ برجل الغراب وغاص به ووقف به تحت الماء حتى أغرق الغراب

وخرج سالما ، قالوا : دمه يجفف ويسحق مع شعر الإنسان فإنه لايصبر عن مطلوبه ، وكذلك عظمه يفعل به مثل هذا .

(فاختة) طائر معروف يتبرك به الناس ، زعموا أن الحيات تهرب من صوته .

(وحكى) أن الحيات استولت على أرض فكثرت حياتها فشكوا إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليهم ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنهم. (دمه) مع دم الحمام والزفت والقطران أجزاء سواء يتخذ دخنة لاينام من شمه البتة .

(قبج) طائر يقال له بالفارسية كبك يسكن الجبال إذا قصده الصياد يخبئ رأسه تحت الثلج ويحسب أن الصياد لا يراه كما أنه لا يرى الصياد ، ذكورها شديدة الغيرة على إناثها فإذا اجتمع ذكران على أنثى تهارشا فإذا انهزم أحدهما يتبع الأنثى الآخر الغالب ، ومن أعجب أمرها أن الذكر إذا صاح وحمل الهواء صوته إلى الأنثى يتولد البيض منه كما أن النخلة إذا حملت الريح إليها رائحة الذكر تحمل من رائحة كافور الفحال إذا كانت تحت الريح ، وتبيض خمس عشرة بيضة وتجعلها فى موضعين أحدهما للذكر والآخر للأنثى وكلاهما يحضنان ، وإذا قصده الصياد يريه كأنه ضعيف عن الطيران فالصياد يعدو خلفه ويشتغل به عن فراخه فإذا طارت الفراخ يطير القبج أيضا ويرجع الصياد خائبا منه ، والقبج من الطيور التى لا تسافد إلا فى الجبال ويترك فى عشه رؤوس القصب لدفع الأعداء ، ويحب الغناء والأصوات الطيبة وربما وقعت حتما عند سماعها ذلك شوقا فيأخذها الصياد .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) من يسعط بها فى كل هلال يجود ذهنه ويحد بصره وإذا اكتحل بها تنفع من ابتداء نزول الماء . (كبده) يشوى ويطعم للصبى يأمن من الصرع . (دمه) يكتحل به يأمن من جراحات العين والغشى . (لحمه) ينفع من الاستسقاء ويزيد فى الباه .

(قنبرة) طائر معروف يقال له بالفارسية جلودا ، ويحب الأصوات المطربة والنغمات اللذيذة على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاوس وهو شديد الاحتياط إذا وقع على شىء لا يزال ينظر يمينا وشمالا ووراء ومع ذلك هى كثيرة الوقوع فى الفخ ، تتخذ عشا عجيبا يعمد إلى ثلاثة أعواد على شجرة على شكل سفنجة معكوسة ويأتى بنوع من الحشيش فى غاية اللطافة وينسج من تلك الأعواد سليلة لطيفة عجيبة التأليف لا يقدر البشر أن يأتى بمثلها ثم تضع بيضها فيها والسليلة تكون مستترة بأوراق الشجر حتى لا يراها الجوارح . (لحمها) يؤكل مشويا ينفع من القولنج نفعا بينا .

(قطا) طائر معروف يتيمن بصوته . يقال : فلان أصدق من القطا تبيض فى البرارى وتغيب عنها أياما وتعود إليها . يقال : فلان أهدى من القطا ولاينام الليل ويأتى الجادة ليكون

عنده من المارين خبر ، ولها أفحوصة عجيبة فى وسط الحشيش مثل بها النبى صلى الله عليه وسلم فى وهنها حيث قال « من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » :

(فصل : فى خواص أجزائه)

(دمه) يطلى به البدن ينفع من داء الثعلب . (لحمه) ينفع من الاستسقاء وسدة الكبد . (عظمه) يحرق ويخلط بالزيت ويطلى به الموضع الذى أريد نبات الشعر عليه ينبت شعرا كثيرا (أحشاؤه) يطلى به العظم المنخلع يرجع إلى مكانه. (ومرارته) يكتحل بها تنفع من جراحات العين والغشاء .

(قمرى) طائر مشهور يتغنى بصوته: ذكروا أن إناث القمارى إذا مات زوجها لاتزاوج غيره وتنوح عليه إلى أن تموت ، ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى كلاهما يفقسان قمارى كافورية مطوقة ، وذكروا أن الهوام تهرب من صوت القمارى ، والله الموفق .

(فوقيس) طائر بأرض الهند قال صاحب [تحفة الغرائب] عند التزاوج يجمع حطبا كثيرا للعش ولا يزال الذكر يحك منقار الأنثى حتى تتأجج النار من حكهما فى ذلك الحطب وتشتعل ويحرقان منها فإذا سقط المطر على رمادها يتولد منه الدود ثم ينبت جناحها ويصيرا طيرا كالأصل وتفعل فعل الأصل .

(كركى) طائر معروف يقال له بالفارسية كنك له اجتماع فى الطيران لا يفارق بعضها بعضا ، وله مقدم تتبعه الجماعة وذلك بالنوبة ، ولها حراس بالليل تدور حول الكركى فإذا أحس بعدو زعق ونبه أصحابه ، والحراسة أيضا بالنوبة فإذا انتهت نوبته يقيم غيره مكانه ، والحارس يقوم على إحدى رجليه حتى لا يغلبه النوم . قال الجاحظ : لايضع رجليه مخافة أن تخسف به الأرض ، وإذا مشى على وجه الأرض يمشى رويدا خائفا .

(فصل : فى خاصية أجزائه)

(عينه) تسحق ويكتحل بها الإنسان لا ينام . (مرارته) تنفع اكتحالا من نزول الماء : (لحمه مع شحمه) يطبخان جميعا ويقطر فرقهما فى أذن من به طرش ينفعه . (مخه) يذاب بخل العنصل ويسقى به وجع الطحال فى الحمام ينفعه . (قانصته) تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص ينفعه .

(كروان) شحمه ولحمه يحرك شهوة الباه تحريكا شديداً .

(اللقلق) طائر معروف يأكل الحيات لا يزال يتبع الربيع ، وله وكران أحدهما بالحروم والآخر بالصرود ويتحول من أحدهما إلى الآخر ، ولا يأخذ الوكر إلا فى مكان عال كمنارة أو شجرة فيأتى بالأعواد والحشيش ويركب بعضها فى بعض تركيبا عجيبا كالبناء فإذا أراد

الإنسان أن يخربها بالمعول يصعب عليه . قال ابن سينا : من ذكاء هذا الطير أنه إذا أحس بتغير الهواء وقت حدوث الوباء تترك عشها فى أوائل التغير وتهرب من تلك الديار وربما تركت بيضها أيضا ، وقال أيضا : بيض اللقلق خضاب جيد .

(مالك الحزين) طائر طويل الرقبة والرجلين يقال له بالفارسية لوهماز . وقال الجاحظ من عجائب الدنيا أمر مالك الحزين فإنه لا يزال يقعد بسوق المياه وإذا انحرقت يحزن عليها ولا يشرب خوفا أن تقل فيعطش فيموت عطشا .

(مكاء) طائر من طيور البادية يتخذ أفحوصه عجيلة من العوسج ويبيض فيها ، ورأى بعض الأعراب مكاء بالشام سائرا فحن إلى وطنه وقال : فدى لك يا مكاء مالك هاهنا عمارة أفحوص فكيف تبيض مكاء ، وبينها وبين الحية معاداة لأن الحية تأكل بيضها وفراخها . وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها وهمت تريده رخمة ألقت فى فيها حسكة فأخذت بحلق الحية وماتت .

(نسر) هو سيد الطيور وله قوة على الطيران حتى قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد ، وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أولاد الأفيلة ، وله قوة حارة حتى قيل إنه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ فإذا سقط تباعد الطير هيبة له حتى يفرغ من الأكل . قيل إنه لا يأكل حتى يضعف فى الحركة ، حتى لو أن أضعف الناس إذا أراد مسكه فى هذه الحالة مسكه ، وإذا باض أتى بورق الدلب كما فى الأصل ، وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض فى الأماكن العالية ويلقيه فى الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ، ومن طبعه أنه لو شم رائحة الطيب مات لوقته ، وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل إنه ليموت أسفا وكمدا ؛ ويقال للأنثى منه أم قشعم ، وفى الحديث « أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لكل شىء سيدا وآدم سيد البشر وسيد ولده أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة بلال وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة » والنسر : طائر يقال له بالفارسية كركس يأكل الجيف حتى لا يقدر على الطيران . قالوا : يعيش ألف سنة وأكثر ما يأتى بورق الدلب يتركه فى عشه لئلا يأكل الخفاش بيضها . قال جالينوس : قولوا لنا من علم النسر إذا خاف على بيضها من الخفاش يفرش عشه بورق الدلب حتى لا يقربه الخفاش ؟ وهذا شىء يعرفه أكثر الأطباء . وإذا حان أوان بيضها فالنسر الذكر يمشى إلى بلا الهند ويأتى بحجر يوجد فى بعض جبال فى الهند ويتركه تحت الأنثى ليخف عليها الألم ، وإذا مرض يأكل من لحم الناس . وإذا أظلم ضوء عينيه يمسحهما بمرارة الناس ، ولا طاقة له على شىء من الطيب وحياتها من النتن ، والنسر يتبع العساكر لطعمه من لحم القتلى .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارته) تقطر فى الأذن يذهب الطرش العتيق، ويكتحل بها سبعا ينفع من ظلمة العين والغشاء ويمنع من نزول الماء. (شحمه) يخلط بالعسل ويكتحل به للرمد يبرأ. (لحمه) يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام. (شحمه) يذاب ويقطر فى الأذن أياما متوالية وليالى يزيل الطرش .

(نعامة) حيوان مركب من خلقة الطير والجمل يقال له بالفارسية استرموع أخذ من البعير العنق والوظيف والمنسم ومن الطير المنقار والجناح والريش ، وهو صحيح حاسة الشم والسمع يأكل الحصاة وتذوب فى قانصته حتى يصير كالماء لخاصية خلقها الله تعالى فيه كما أنا نرى جوف الكلب يذيب العظام دون النوى، وأيضا تبلع الجمر ولا يضرها وتحمى صنجة مائة درهم من الحديد حتى تحمر وترمى إلى النعامة فتبلعها وتستمرئها . وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لئلا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها وإذا عدت النعامة أرخت جناحها إلى رجليها فلا يسبقها شىء من الحيوانات . ومن العجب أنها إذا استقبلت الريح كان عدوها أشد مما إذا استدبرتها . وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال إذا عدا كان بين الوثب والحفز والطيران كالريح إذا عصفت من خلفه وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره ثم خرق الريح لايخاف أن يكبه على وجهه ، وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون النعامة بالحمرة أيضا ولا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر ولا مخ لعظمها فإذا أصاب إحدى رجليها آفة وقفت لاتقوم على الأخرى ، وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر فتجعلها ثلاثة أقسام تدفن ثلثها فى التراب وتترك ثلثها فى الشمس وتحضن ثلثها فإذا خرجت أفراخها كسرت ما كان فى الشمس وغذتها بما فيها من الرطوبات التى ذوبتها الشمس ورققتها فإذا اشتدت فراريجها وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقبا فيجتمع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها من الهوام فتأكلها فراريجها إلى أن تقوى فغدت ورعت فانظر إلى هذه التربية العجيبة من غير تعليم من أستاذ ولا آباء ، فسبحانه من حكيم ما أعظم شأنه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(مرارتها) تنفع من ظلمة العين اكتحالا (لحمه) يزيل الرياح الكريهة إذا داوم على أكله ويدفع الثآليل والحكة . (شحمه) يطلى به الأورام يردعها . (قشر بيضه) يلقى فى القدر ينضج سريعا .

(هدهد) طير نتن الرائحة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « لاتقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام على قرب الماء وبعده ، وأحب أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا فى أقطار الأرض » . وحكى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام : أريد أن تكون

فى ضيافتى قال أنا وجدى ؟ قال لابل العسكر كله فى جزيرة كذا وكذا فى يوم كذا ، فحضر سليمان عليه السلام بجنوده هناك فصاد الهدهد جرادة وخنقها ورماها فى البحر وقال : كلوا يانبى الله من فاته اللحم نال من المرق . فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا ، والهدهد يلطخ عشه برجيع الإنسان فيحتمل أن يكون نتنه من ذلك ، وتراه فى الربيع فاتحا فاه يخرج الذباب من حلقه ويطير وكل مكان به الهدهد لايوجد به الأرضة ، وإذا مرض الهدهد يأكل العقارب الجبلية يزول مرضه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(قنزعته) تعلق على من به وجع الرأس يبرأ . قال بلبناس : إذا أخذت (عينه) وجففتها وجعلتها فى دهن ودهنت به وجهك لم يرك أحد إلا أحبك ، وتجعل عينه تحت رأس إنسان يغلب عليه السهر ما دامت رأسه ، وإذا شددتها على أحد يذكر جمع ما نسيه ، ويعلق فى رقبة صاحب الجذام ينفعه نفعا بينا . (لسانه) يأخذه الإنسان معه لايظفر به عدو ألبتة مادام اللسان معه ، ولو علق على إنسان مع عينيه يدفع عنه غلبة النسيان ، وإذا سقى إنسانا زاد فى علمه وفهمه وذكائه . (قلبه) يعلق على إنسان يزيد فى قوة الباه ، ولوشوى ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأطعمه شخصين يتحابان بحيث لايصبر أحدهما عن الآخر . (مرارته) يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام ويقعد فى مكان مظلم ينفعه نفعا بينا . (جناحه اليمنى) يجعل تحت رأس النائم يثقل نومه ، ولو ضممت إليه سنا قلعت من الألم يطول نومه ، ولو دخن بجناح الهدهد فى برج ينفر عنه الحمام ، ولو وضع على أذنه ريشة من الهدهد وخاصم تكون الغلبة له . (لحمه) يقدد فى الظل ويسحق ويخلط بالدقيق ويتخذ منه خبيصا ويطعم لمن أراد فإنه يحبه محبة عظيمة . (عظمه) يدخن به البيت يموت من دخانه الأرضة والنمل والعقرب وأشباهها ولا ترى الهوام فى ذلك الموضع إلى مدة مديدة . (أظافيره) تحرق وتدق وتسقى للمرأة فإنها تحبل إذا باشرها زوجها بإذن الله تعالى .

(وطواط) طائر يقال له بالفارسية بالواية . قال بلبناس : إن غرق الوطواط فى ماء ومات وشرب من ذلك الماء إنسان لم ينم البتة ، وإن أخذ وطواط وعلق فى عنقه شعر إنسان وأرسل حتى يطير لاينام ذلك الإنسان حتى يموت ذلك الوطواط أو يؤخذ الشعر من عنقه .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) تجعل فى حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها نام . (دماغه) يكتحل به مع العسل ينفع من نزول الماء ، ويطبخ بدهن ورد يدهن به النسا يسكن وجعه .

(يراعة) طائر صغير إن طار فى النهار كان كبعض الطيور وإن كان فى الليل فكأنه شهاب ثاقب أو مصباح طائر .

(النوع السابع من الحيوانات : الهوام والحشرات)

هذا النوع لايمكن ضبط أصنافه لكثرته . قال بعض المفسرين : من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى ـ ويخلق مالا تعلمون ـ فليوقد نارا فى وسط غيضة بالليل وينظر ما يغشى تلك النار من الحشرات فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا من ذلك ، على أن الخلق الذى يغشى ناره مختلف باختلاف مواضع الغياض والجبال والسهول والبرارى فإن فى كل بقعة من هذه البقاع ألوانا من المخلوقات مخالفة لما فى البقعة الأخرى . ومن الناس من يقول أى فائدة فى هذه الهوام مع كثرة ضررها ؟ ولم يدر أن الله تعالى يرعى المصالح الكلية كإرسال المطر فإن فيه مصالح البلاد والعباد وإن كان فيه خراب بيت العجوز فهكذا خلق هذه الحشرات من المواد الفاسدة والعفونات الكامنة لتصفو لحومها ولا يعرض لها الفساد الذى هو سبب الوباء وهلاك الحيوان والنبات وإن كان يتضمن لسع الذباب والبق . والذى يحقق ذلك أنا نرى الذباب والديدان والخنافس فى دكان القصاب والدباس أكثر ما يرى فى دكان البزار والحداد فاقتضت الحكمة الإلهية صرف العفونات إليها ليصفو الهواء منها وتسلم من الوباء ثم جعل صغارها مأكولا لكبارها وإلا امتلأ وجه الأرض منها فليس فى ملكوته ذرة إلا وفيها من الحكمة مالا يحصى . وأعجب من هذا أن كل ما جعل سببا لهلاك حيوان جعل لحمه سببا لدفع ذلك السم فإن الأطباء الأقدمين جعلوا فى لحم الحية قوة تقاوم سمها فأدخلوا لحمها فى الترياق . والتجربة تشهد أن من لدغته العقرب يلطخ الموضع برطوبة العقرب يسكن ألمها فى الحال . ثم إن هذا النوع من الحيوانات يختلف حالها عند الشتاء فمنها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يكمن فى الشتاء ولا يأكل شيئا كالحيات والعقارب ومنها ما يدخر ما يكفيه لشتائها كالنحل والنمل فإنها لا تعيش بلا طعم .

ولنذكر بعضها مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله ، والله الموفق للصواب :

(حرف الألف)

(أرضة) دودة بيضاء صغيرة تبنى على نفسها أزجا شبه دهليز خوفا من عدوها كالنمل وغيره ، وإذا أتت عليها سنة ينبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهى التى دلت الشياطين على موت سليمان عليه السلام وإذا خرب أزجها اجتمعت كلها على إعادته ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر والنمل عدوها وهى أصغر من الأرضة جثة فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها إلى جحره وإذا أتاها مستقبلا لها لايغلبها لأنها تقاومه . قال صاحب المنطق : أفسدت الأرضة على كثير من أهل القرى منازلهم وأكلت كل مالهم إلى أن سلط الله تعالى عليها النمل فأتت على آخرها .

(أفعى) حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات عيناها طولانية مخالفة لصور سائر الحيوانات وحدقتها بارزة كالجراد إذا فقئت عينها تعوّض ولا تغمض عينها ألبتة : قالوا : تختفى فى التراب أربعة أشهر البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شيئا من الرازيانج وتحك عينها به يرجع إليها ضوؤها ، ولو قطعت ذنبها يرجع إليها كما نبت، ولو قلع نابها رجع إليها أيضا بعد ثلاثة أيام، ولو ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام، وهى أعدى عدو للإنسان والبقر الوحشى يأكلها أكلا ذريعا :

(وحكى) أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل فرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه ، وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون .

(فصل : فى خواص أجزائها)

(دمها) يكتحل به يحد البصر ويمنع الغشا . (شحمها) يذاب يمنع من نزول الماء اكتحالا ، وينتف شعر الإبط ويطلى بشحم الأفعى لا يرجع ينبت . (قلبها) يجفف ويشد على إنسان لا يؤثر فيه السحر ويذهب حمى الربع . (لحمها) قال أبقراط : من أكله أمن من الأمراض الصعبة ويقوى الأعصاب ويبطئ الشيب . حكى عمر بن يحيى العلوى قال : كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا الاستسقاء والعياذ بالله فسلب العرب قطارا فيه ذلك الرجل العليل ورجعنا بعد الحج إلى الكوفة فإذا هو بالكوفة معافى ، فسألته عن حاله فقال : إن الأعراب لما سلبوا القطار ساقوه إلى مسكنهم وكان على فراسخ فطرحونى فى أواخر بيوتهم وكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يوما قد أخرجوا أفعى صادوها فقطعوا رأسها وذنبها وشووها وكانوا يأكلون منها ، فقلت فى نفسى : هؤلاء قد اعتادوا أكل هذا فلا يضرهم فلعلى أنا إن أكلت منه مت فاسترحت ، فاستطعمتهم فرمى إلىّ بعضهم واحدة وزنها أرطال فألكتها فأخذنى نوم ثقيل فانتبهت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى فقمت فى يومى وليلتى أكثر من مائة مرة ، فتقطعت قوتى وقلت هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله المغفرة إلى أن أصبحت فوجدت بطنى قد ضمرت وانقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأطعمونى وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسى ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ، ولحمها أيضا ينفع من الجذام والله الشافى .

(وحكى) بعضهم قال : فتحت بستوقة خضراء فيها شراب وهى مطينة الرأس فلما فتحت رأسها رأيت فيها أفعى قد تهرى لحمها وكان ثم مجذوم يتمنى الموت لشدة ما به فحملت تلك البستوقة إليه ليتخلص من الألم ، فلما شربها انتفخ انتفاخا عظيما وبقى على ذلك أياما ثم انسلخ من جلده الخارج وظهر الجلد الداخلى الأحمر وصلب وعاش بعد ذلك زمانا طويلا .

(طبيخ الأفعى) قال يلياس : نافع من الجذام ومن ظلمة البصر وهيجان شهوة الجماع، فإن

طبخ بالزيت وطلى به موضع من البدن لا ينبت الشعر فيه وهو أنفع شيء للسع الأفاعي والحيات . (جلدها) مع رأسها يعلق على الحبلى تأمن من إسقاط الجنين . قال ابن سينا : جلدها محرقا دواء جيد لداء الثعلب. وقال: تشق الأفعى وتوضع على نهش نفسه يسكن وجعه. وذكروا أن من أخذ خيطا أنجوانيا أو أرعوانيا وشد به حلق أفعى لتختنق ثم شد ذلك الخيط على صاحب الخناق ينفتح فى الحال بإذن الله تعالى .

(برغوث) هو أسود أحدب ضامر إذا وقع نظر الإنسان عليه أو أحس به فيثب تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال حتى يغيب عن نظر الإنسان . قال الجاحظ : إنها تبيض وتفرخ قالوا عمره خمسة أيام . وزعموا أن البراغيث من الخلق الذى يعرض له الطيران فيصير بقا كما يعرض للدعاميص الطيران فتصير فراشا . وذكروا أن البراغيث تأكل القمل الذى يكون فى الثياب ويموت من رائحة ورق الدفلى ، والله أعلم .

(بعوض) حيوان فى غاية الصغر على صورة الفيل فكل عضو خلق للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين ، فسبحان من قسم له الأعضاء الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كما للحيوان الكبير فانظر إلى صغر جسمه فإن الطرف يدركها بالشدة لصغره ، ثم إلى رأسه لأن رأسه لم تكن من جسمه وفيه القوة الباصرة والسامعة ثم إلى دماغه ، وانظركم يكون دماغه من رأسه فإن فيها القوى الباطنة الخمسة لأن فيها الحس المشترك لأنها ترى الحيوانات فتمشى إليها ، وفيها الخيال لأنها إذا وقعت على الحيوان تغمس خرطومها وإذا وقعت على الحائط لا تفعل ذلك ، وفيها الوهم لأنه يفرق بين من يقصدها فتهرب وبين من لا يقصدها فتبقى ، وفيها الحافظة لأنها تجذب الدم وتهرب فى الحال لعلمها بأنها أوجعت فيأتيها صدمة المتألم ، وفيها المفكرة لأنها إذا أحست بحركة يد الإنسان تهرب لعلمها أنها مهلكة وإذا سكنت يده عادت إلى مكانها لعلمها أن المنافى ذهب وأن محل الغذاء قد خلا ، ولها خرطوم أدق شيء يمكن أن يقال ومع دقته مجوف حتى يجرى فيه الدم الرقيق ، وخلق فى رأس ذلك الخرطوم قوة يضرب بها جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما والفيل والجاموس يهربان من البعوض فى الماء ، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمه إلا هو. يؤخذ من البعوض ثلاث وشيء من الصمغ ويحبب ويجعل فى كل حبة منه واحدة ويباعها صاحب حمى الربع يوم النوبة ولا يضع قدمه على الأرض فإنها تزول بإذن الله تعالى .

(ثعبان) حيوان عظيم الهيئة ذو شكل هائل ومنظر مهاب. قال ابن سينا : أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع ، وأما الكبار فمن ثلاثين ذراعا إلى مافوق ذلك ويكون له عينان كبيرتان وتحت الفك الأسفل شعر كالذقن وله أنياب كثيرة . وقال قوم : إنها تكثر بناحية النوبة والهند والهندية كبيرة جدا ولها وجوه صفر وسود وأفواه شديدة اللسعة وحواجب تغطى عيونها وأعناقها مفلسة .

قال ابن سينا : قد رأينا من هذا القبيل ماعلى حاجبها ورقبتها شعر غليظ وذكورها أخبث من إناثها تبتلع ما تجده من الحيوانات فربما كان فى الشىء الذى ابتلعته عظم فيأتى جرم شجرة أو حجر اشاهقا فينطوى عليه انطواء شديدا فيتكسر ذلك العظم ، وإذا صار إلى الماء يعيش فيه ويصير مائيا ، وإذا صار إلى البر صار بريا بعد أن طال مكثه فى الماء ، ويأوى إلى الجبال الشامخة ليستروح ببرد الهواء من شدة وهج حرارة السم .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(قلبه) إذا أكل يورث الشجاعة ، وفى بلاد الهند يأكلونه لذلك . قيل من أكل قلبه تسخر له الحيوانات . (جلده) يشد على العاشق يزول عشقه ، ومن استصحب منه شيئا تسخر له الحيوانات . (رأسه) تدفن فى موضع تتوجه إليه الخيرات .

(جراد) هو صنفان : أحد الصنفين يطير فى الهواء ويقال له الفارس والآخر ينزو نزوانا ويقال له الراجل ، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضا طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفرا وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت ، وآفتها الطيور والبرد ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض وأكلت زرعها حتى قويت ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت فى عامها الأول وهكذا دأبها — ذلك تقدير العزيز العليم — قال صاحب الفلاحة : إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لايظهر أحد منهم فإذا لم ير الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شىء منها ، وإذا أحرقت شيئا منها فإن البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها أو تسقط وتموت . والجراد الطوال (الأرجل) تشد على رقبة صاحب الحمى الربع تزول حماه ، ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه وكذلك صاحب عسر البول . (رماده) ينفع من الناصور . قال ابن سينا (أرجلها) تقلع الثآليل فيما يقال .

(حرباء) هو حيوان أعظم من العظاية يقال له بالفارسية آقباب برشت ، يدور مع الشمس ووجهه لها كيفما دارت حتى تغرب ويكون رمادى اللون ثم يصفر . وإذا أثرت فيه حرارة الشمس احمر ، وقيل يختلف لونه باختلاف ساعات النهار كل ساعة لون ، وإذا رأى من يقصده كبر نفسه وليس فيه شىء من الضرر . قال الجاحظ : سمعنا ذلك فى الورل ولم نسمعه فى الحرباء ، وتجعل الحرباء فى وسط الطين وتترك تحت النار ثلاثة أيام بلياليها ثم تشد على رقبة المصروع يزول صرعه .

(فصل : فى خاصية أجزائها)

(جلدها) يطاف به خارج القرية والمزرعة ثم يعلق على وسط القرية أو المزرعة فإنها تأمن من آفة البرد والجراد . (أحشاؤها) يجمع فى كوز جديد ويعرض على النار حتى يجف

ثم يشد فى خرقة ويعلق على المسحور أو على من ظن أنه مسحور فإنه ينحل بإذن الله تعالى .

(حلزون) دودة فى جوف أنبوبة حجرية تنبت على الصخرة التى فى سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذى بها، فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليها وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذرا من المؤذى لجسمها وإذا انسابت جرّت بيتها أيضا معها. قال ابن سينا : تطلى الجبهة بالحلزون تمنع انصباب المواد إلى العين.

(حية) من أعظم الحيوانات خلقة وأشدها بأسا وأقلها عددا وأطولها عمرا. قالوا : ليس من حيوانات البر شئ أعظم من التنين ولا شئ يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من قتل حية فله عشر حسنات » ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها الله تعالى سلاحا تدفع عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها لاتخذها الناس حبلا ولعبت بها الصبيان . وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض للإنسان والهرب منه ؛ فمنها مالا يؤذى إلا إذا وطئها واطئ ، ومنها مالا يؤذى إلا إذا وطئ حماها ، ومنها مالا يؤذى إلا على بيضها وفرخها ، ومنها مالا يؤذى إلا إذا آذاها الناس مرة ، ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ، ومنها الحفاف وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى أشر هيئة من الأفعى والثعابين وإنها لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها ، ومنها حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شئ مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها يسقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ، وإذا صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شئ من السباع يموت . قال جالينوس : إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهى قليلة الظهور للناس . وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسلخ جلدها وكلما انسلخ يظهر على قفاها نقطة ، فنقط قفاها عدد سنينها ، وإذا دخل بعضها فى الجحر وبقى بعضها خارجا لا يمكن جذبها إلى خارج البتة حتى لو شد البقر فى ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل ، وإن لدغتها العقرب ماتت إن لم تجد ملحا تنام عليه وإن وجدت سلمت . وقالوا : من الحيات حية إذا ضربت بعصا مات الضارب . ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدنها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى

تصيب الضربة رأسها ؛ وذكروا أن فى تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته فيموت فى الحال . وذكروا أيضا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافى من الأرض والمنتعل يغور ذنبها فى الرمل وتنتصب كأنها عود مركوز أو ثابت ، فإذا رأى الطائر عودا مركوزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه .

(فصل : فى خواص أجزائها)

(نابها) يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربع تزول عنه الحمى ، قال ابن سينا : يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب ، وقال محمد بن زكريا : ذكر الأوائل أن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون من السنين يبرأ . وقال أبقراط : (لحم الحية) أمان من الأمراض الصعبة ؛ (شحمها) يذاب ويطلى بـه البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا (وسلخها) يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق فى إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود العين الزرقاء ، وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها فلسا لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لا يرمد سنتين وهكذا ، وإن علق على صاحبة الطلق وضعت فى الحال . (وجلدها) يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء فى العين ويذهب الظلمة ؛ وقال جالينوس : مرق الحية يقـوى البصر . (وبيض الحية) يسحق فى الهاون ويطلى به المرض يزول .

(خراطين) دودة طويلة حمراء تسمى شحمة الأرض ، توجد فى المواضع الندية تشوى وتؤكل بالخبز تفتت الحصاة من المثانة ، وتجفف وتعطى صاحب اليرقان تذهب صفرته ، وتجفف وتسقى باللبن للتى تعسرت ولادتها تضع فى الحال بإذن الله : (ورمادها) يخلط بدهن الورد ويطلى به رأس الأقرع ينبت شعره ، ويحنك به مع العسل ينفع من الخناق . وإذا أخذت هذه الدودة وشددتها فى مقنعة امرأة حملت وهاجت بها شهوة الجماع .

(خنفساء) هى الدويبة السوداء التى تتولد فى الأرواث ذات الرائحة النتنة تغلى بالزيت ويطلى به محل البواسير يذهبه ؛ وإذا كسرت خنفساء نصفين وغمست ميلا فى رطوبتها واكتحلت به ينفع من الرمد ويبرأ سريعا ويطبخ بشىء من الأدهان ويقطر فى الأذن يزيل الطرش ، والبعير إذا أكل خنفساء فى علفه يموت ، وتوجد الخنفساء فى بطن حية ، ومنها صنف يقال له الجعل يدور على السرجين ، إن ألقيت فى الورد سكنت كأنها ميتة ، وإن ألقيتها فى الروث عادت إلى حالها .

(وحكى) أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه حسن شكلها أو طيب رائحتها ؟ فابتلاه الله بقرحة حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج ، فسمع ذات يوم صوت

طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال : هاتوه حتى ينظر فى أمرى ، فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقى وقد عجز عنك حذاق الأطباء ؟ فقال : هاتوه ونسمع قوله وليس فيه ضرر ، فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها قال على بالخنفساء ، فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال : هاتوا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين : إن الله أراد أن يعرفنى أن أخس الأشياء أعز الأدوية .

(دودة القز) دويبة إذا شبعت من الرعى طلبت مواضعها من الأشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطا رقاقا ونسجت على نفسها كنا مثل الكيس ليكون حرزا لها من الحر والبرد والرياح والأمطار ونامت إلى وقت معلوم كل ذلك بإلهام من الله تعالى . وأما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهى أنهم أول الربيع يأخذون البزر ويشدونها فى خرقة وتجعل تحت ثدى امرأة ليصل إليها حرارة البدن إلى أسبوع ثم ينثر على شئ من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من ذلك الورق ثم لا تأكل ثلاثة أيام ، ويقال إنها فى النوبة الأولى ثم ترجع إلى الأكل فتأكل أسبوعا ثم تترك الأكل ثلاثة أيام ، ويقال إنها فى النوبة الثانية وهكذا فى المرة الأخرى ، ويقال إنها فى النوبة الثالثة وبعد النوبات يطلق لها العلف لتأكل أكلا كثيرا وتسرع فى عمل الفيلجة فيظهر عند ذلك على جسمها مثل نسج العنكبوت ويزداد شيئا فشيئا فإذا مطر فى هذا الوقت مطر تلين الفيلجة من رطوبة النداوة ويثقبها الدود ويخرج منها وقد نبت لها جناحان فتطير ولا يحصل شئ من الإبريسم ، وإذا فرغت الدودة من عمل الفيلجة عرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفيلجة الإبريسم ويترك بعض الفيلجة ليثقبها الدود ويخرج ويبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية فى ظرف نقى من الخرقة أو الزجاج ، والثياب الإبريسيمية تنفع من الحكة والجرب ولا يتولد القمل لمن يلبسها ، والله الموفق .

(ديك الجن) دويبة توجد فى البساتين . قال بليناس : ياقى فى خمر عتيق حتى يموت ويترك فى فخارة ويشد رأسها ويدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شئ من الأرضة أصلا ، والله الموفق للصواب .

(ذباب) هى أصناف كثيرة تتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق لها يدان يقومان مقام الأجفان ، فلهذا ترى الذباب على الدوام يمسح بيديه حدقتيه ، وله خرطوم يخرجها إذا أراد مص الدم ويدخلها إذا روى ، ولها بطن وفيها يجرى الصوت كما يجرى فى العصب من النفخ ، ولا يقدر على المشى إذ ليس له مفصل ، وخلق رءوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة ، والذباب

يصيد البق فلذلك لا يرى البق إلا فى الليل عنـد سكون الذباب . قال الجاحظ : لولا أن الذباب يأكل البق ويطلبها فى زوايا البيت لمـا كان لأهلها فيها قرار ، وإذا أصاب الحيوان جراحة وسقط عليها الذباب فيفضى إلى هلاكها إن لم يكن فى موضع يصل إليه فم الحيوان لأن الذباب إذا وقع على الجراحة ونم عليها يتولد من ونيمها الدود، والجراحة إذا تولد فيها الدود أهلكت وونيم الذباب على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ، وونيمه ذو لونين كزرق العصفور فيظهر على كل لون ما يخالفه . قالوا : تؤخذ ذبابة ويفصل رأسها عن بدنها ويدلك بها لسع الزنبور يسكن وجعه ، ويحرق الذباب ويسحق ويخلط بعسل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر ، ويجفف الذباب ويسحق مع الكحل ويكتحل به ينفع من وجع العين ويزيد فى الضوء وينبت شعر الأهداب ، والذباب يشوى ويؤكل يفتت حصاة المثانة. وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فإن فى أحـد جناحيه داء وفى الآخر دواء » ويدق للذباب فى اللبن ويطلى به لدغ العقرب يزول وجعه . ومنها صنف يقال له ذباب الحمر كبير جداً لا يقع إلا على الحمير وصنف آخر يقال له ذباب الكلاب لا يقع إلا على الكلاب ، وصنف آخر يقال له ذباب الأسد لا يقع إلا على الأسد، وإذا رأت بالأسد دما أو خدشا لا تنقلع عنه حتى تهلكه كما ذكرنا فى الذر مع الحية فإنه يهلكها.

(الدرحرج) هى دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم ، أمن أكلها تقرحت مثانته ويسد بوله ويظلم بصره ويتورم القضيب والعانة ويعرض مع ذلك اختلاط فى العقل . قال ابن سينا : من ستى منها يجد فى فمه رائحة القطران والزفت . والدراريج تموت من الرائحة الطيبة والتى هى شديدة الحمرة تشد على صاحب حمى الربع ثلاث مرات يوم النوبة تزول حماه والتى يوجد منها فى المقبرة يطلى بها الكلف تزيله ، والتى توجد فى وسط الورد تلقى فى زيت وتترك حتى تتلاشى ويطلى بها المناجل التى يقطع بها الكروم فإنها لا يصيبها دودة ولا دابة مضرة . قال ابن سينا : الدراريج دواء للجرب والقوابى ويقلع الثآليل ويزيل البهق والبرص طلاء بالخل ويطلى بالحردل ينبت الشعر ويطلى به على السرطان يحلله .

(رتيلاء) قال ابن سينا : هى دويبة تشبه العنكبوت التى يسمى الفهدوهو صياد الذباب وأصنافها كثيرة وشرها المصرية وهى ذات رأس وبطن كبيرين ، وقالوا : يعرض لمن لسعته وجع شديد وصفرة لون وربما يعرض للملسوع توتر القضيب والنعوظ وقذف المنى من غير إرادة ، وأما المصرية فإنه يعرض لملسوعها صداع شديد وسبات ويعقبها الموت الوحى . وذكر الأطباء أن دواء لسعتها رجيع الإنسان. وقد لسعت الرتيلاء الجلال الريحانى وكان طبيبا عظيم المنظر وكان طبيب أزبك بن محمد صاحب أذربيجان فخافوا عليه الهلاك فأمر أزبك أن يسقى رجيع الإنسان، فقال الجلال : إن كان ولابد فهاتوا رجيع أبيك الأنابيلى وكان مملوكا مثل القمر فسقى منه وعوفى وعاش بعد ذلك مدة طويلة .

(زنبور) يشبه النحل فى أكثر حالاته ، وإذا جاء الشتاء يدخل بيته ولايخرج حتى يعتدل الهواء ويصيد الذباب ، وإذا تعرض أحد لبيتها تقوم كلها عليه وتلسعه ولا تكاد تتعرض لمن لا يقصدها ، فإذا ألقى فى الدهن يبقى كالميت فإذا رش عليه الخل يتحرك . قالوا : الشىء الذى يتخذ الزنابير منه بيوتها كالكاغد لم تعرف أى شىء هو ومن أى شىء أخذته فإذا أحست بمجىء الشتاء ذهبت إلى المواضع الدفئة وتنام فيها طول الشتاء كالميت ، ولا تجمع القوت للشتاء بخلاف النحل فإذا جاء الربيع وقد صارت من مقاساة البرد وعدم الغذاء كالخشب اليابس نفخ الله فى تلك الجثث الحياة فعاشت وخرجت وبنت البيوت وباضت وأخرجت أفراخها مثل العام الأول وذاك دأبها أبداً بتقدير العزيز العليم .

(سام أبرص) هو الوزغ الصغير الرأس الطويل الذنب . قال يحيى بن يعمر : لأن أقتل مائة وزغة أحب إلىّ من أن أعتق مائة رقبة ، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء ، زعموا أنها تشرب من المياه وتمج فى الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم . قالوا : إنها تشد على من به حمى الربع يبرأ ، وإن شدت على امرأة لا تحبل ، ويقتل سام أبرص ويلقى فى جحر الحيات تهرب جميعها ، وسام أبرص إذا تمكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص ، ولا يدخل بيتا فيه الزعفران ، ويسحق ويجعل على موضع النصل والشوك يخرجهما ، ويدق ويضمد به الثآليل المسمارية يقلعها ، ويجفف ويسحق ويخلط بالزيت ينبت الشعر على القرع .

(فصل : فى خاصية أجزائه)

(دمه) عجيب فى فتق الصبيان : ويطلى لداء الثعلب والقرع ينبت الشعر . (كبده) يسكن وجع الرأس . (شحمه) يوضع على لسع العقرب ينفع نفعا بينا . (جلده) يوضع على موضع الفتق يذهب .

(سلحفاة) يقال لها بالفارسية كشف وهو حيوان برى بحرى . قالوا : إذا خيف على زرع أو بستان من البرد تؤخذ سلحفاة وتلقى على ظهرها بحيث تبقى رجلاها شائلة نحو السماء فإن البرد لا يضر ذلك الموضع ، وتؤخذ سلحفاة كبيرة برية ويخرج حشوها ويجعل الصبر فى جوفها مكان الحشو وتعلق على المصروع يزول صرعه .

(فصل : فى خاصية أجزائه)

زعموا أن كل عضو يتألم من الإنسان يشد عليه مثل ذلك العضو من السلحفاة يسكن ألمه . (مرارته) يسعط بها صاحب الصرع ينفعه ويستعمل لطوخا للخناق ، ومنها ماينفع من الصرع نشوقا وهو جيد لنهش الهوام ، وإذا جعلت غطاء للقدر لايغلى ولو أوقدت تحتها حطبا كثيرا . (رجلها) تشد على صاحب النقرس يزول وجعه ، اليمين على اليمين واليسرى على اليسرى . (بيضها) نافع لسعال الصبيان والصرع أيضا .

(صرصر) هو بنت وردان ، قال ابن سينا : إنه مع القرد مانا نافع من البواسير والنافض وسموم الهوام ، يحرق ويسحق ويضاف إلى الإثمد ويكتحل به يحد البصر ومع مرارة البقر ينفع من ظلمة العين اكتحالا .

(صناجة) حيوان لا يقبل ، وصفه كثير مالم يره الإنسان . قالوا : ليس شيء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة . قالوا : يوجد بأرض التبت يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ . ومن خواصه أن نظره إذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان ، وإذا وقع نظر شيء من الحيوان عليه تموت الصناجة أيضا ، ثم إن الحيوانات عرفت ذلك فى تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمة للحيوانات زمانا طويلا ، والله أعلم :

(ضب) يقال له بالفارسية سوسمار ، وهو حيوان كيس إلا أنه كثير النسيان . ومن كيسه أنه لا يتخذ البيت إلا فى موضع صلب لئلا ينهال عليه من حوافر الدواب ، ولما علم أنه ينسى لم يتخذ البيت إلا عند أكمة أو صخرة عظيمة أو شجرة يستدل بها على بيته إذا غاب وتباعد عنه ، وإذا أرادت الأنثى أن تبيض حفرت فى الأرض حفرة وترمى فيها ثمانين بيضة وتدفنها فى التراب وبيضها مثل بيض الحمام وتدعها أربعين يوما ثم يأتى والحسول قد خرجت منها يتعادون فيأكل منها ما قدر عليه ، وإذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان الفأر يزول عنها اللسع ، وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاءها . قالوا : إذا خرج ضب من بين رجلى الإنسان لا يقدر على مباشرة النساء ، وقيل ينتفخ ذلك الإنسان .

(فصل : فى خاصية أجزائه)

إذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المنى وينقصه . (قلبه) من أكله يذهب عنه الحزن والخفقان . (طحاله) من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبدا . (دمه) يطلى به الكلف مع البورق يزيله ويصفى لون الوجه . (لحمه) ينفع من الأمراض المزمنة مقليا ويزيد فى ضوء البصر ويقوى البدن ويعين على الباه . (شحمه) يذاب ويطلى به القضيب يقوى شهوة الباه ، ومن أكل منه لا يعطش زمانا طويلا . (خصيته) من استصحبها تحبه الخدم محبة شديدة . (كعبه) يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة . (جلده) يتخذ على نصال سيف يشجع صاحبه ، ويتخذ ظرفا للعسل من لعق منه تهيج شهوته ويورث إنعاظا شديدا . (بعره) ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء ومن بياض العين اكتحالا ومن نزول الماء أيضا ، والأعراب يداوون به وجع الظهر .

(ظربان) دويبة كالهرة منتنة الريح ليس فى الدنيا نتن أشد من نتنها ، لو شمت الإبل

رائحتها فى منامها شردت وتفرقت بحيث يصعب جمعها ، ولو فست على ثوب لا تزول عنه الرائحة إلى أن يبلى ولو غسل خمسين مرة وهو عدو الضب . قال الجاحظ : إذا أراد الظربان أكل الضب وحسولها يدخل جحر الضب مستديرا ويلتمس أضيق موضع فيه حتى يحول بينها وبين النسيم ثم يفسو عليه فلا يتجاوز ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكلها بحسولها .

(عقرب) أخبث الهوام العقارب يلدغ كل شىء يلقاه ، عينها على بطنها وولدها يخرج من ظهرها فإذا ولدت ماتت وإذا لسعت هربت ولا تقف ؛ والعقرب إذا خرجت من بيتها أول الليل ولها نشاط أول شىء لقيته ضربته ؛ قال بعضهم : لقيت العقرب قمقما فضربته بإبرتها فسال منه الماء . والعقرب إذا لقيت الحية لدغتها والحية تسعى فى طلبها فإذا وجدتها أكلتها تبرأ وإن لم تجدها تموت الحية . والعقرب إذا لدغت يمسح مكان لدغها برطوبتها يسكن ألمها فى الحال ، وتجعل العقرب فى فخارة مسدودة الرأس وتترك فى تنور مسجور حتى تصير رمادا ويسقى من ذلك من به حصاة المثانة تفتتها . والعقرب إذا لسعت صاحب الحمى العتيقة تقلع عنه الحمى وإذا لدغت المفلوج يزول عنه الفالج ، وإذا حرقت عقرب ودخن بها البيت لم يبق فى البيت عقرب إلا هلك أو هرب ويشق بطنها ويوضع على موضع اللسعة فإنه ينفع فى الحال ، وإذا أخذت عقربا كبيرا أسود وجففتها وعجنتها بالخل وطلى به البرص أزاله ورماده يذاب بدهن ويطلى به ينبت الشعر .

(عنكبوت) فائدة : نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع : على غار النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى غار عبد الله لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهمدانى فقتله وحمل رأسه ودخل فى غار خوفا من أهله ، ونسج على زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين لما صلب عريانا . وقيل إنها نسجت مرتين على نبيين على داود حين كان يطلبه جالوت ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار . والعنكبوت أصنافه كثيرة لكل صنف فعل عجيب منها الطويلة الأرجل ؛ فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالا من الخيوط فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربتين وتلقى لعابها الذى هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط فى الطرف الآخر وهكذا ثانيا وثالثا وهذا هو السدى ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ثم يقعد فى زاوية مترصدا وقوع الصيد فيها فإذا وقع فيها شىء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه ؛ ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى الفهد فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد ؛ وذلك أنه يكمن فى زاوية فإذا طارت ذبابة بقربه وثب إليها وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا فإذا طار ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه ؛

ومنها صنف آخر يقال له الليث وله ست عيون فإذا رأى الذبابة لطئ بالأرض ثم وثب ولم تخطئ وثبته وهو آفة الذباب ، ومنها صنف يقال له الرتيلا إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه وقد مر ذكره ويسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان ، ومنها صنف دقيق الصنعة يهيئ نسجه ويصعد بيته فإذا وقعت فى مصيدته ذبابة يضرب فيها فتمشى إليها وتمص رطوبتها والذباب يظن من الألم إلى أن يموت ويحملها إلى خزانته للذخيرة وأكثر ما يقع فى مصيدته فى غيبوبة الشمس . وزعم بعضهم أن العناكب الإناث هى العوامل والذكور لا تعمل شيئا . ومنهم من قال إن السدى من الإناث واللحمة من الذكور لأن اللحمة أقوى من السدى وهما كالشريكين فى العمل أو هما كالأستاذ مع تلميذه . قالوا : وإذا شددت عنكبوتا فى خرقة سوداء وعلقتها على صاحب الحمى تزول عنه ، وزعموا أنه مجرب ؛ قال بليناس : يسحق العنكبوت ويسقى فى شىء من الأشربة لصاحب الحمى البلغمية تزول من ساعتها مجرب .(رجل العنكبوت) تشد على من يحم بالليل تذهب عنه . (نسجه) يوضع على الموضع الذى يسيل منه الدم يقطعه ، وإن بخر به طرد البق من البيت .

(فأر) حيوان كثير الفساد كثير الحيلة من الفواسق الخمس أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم ،وربما يجذب الفتيلة من السراج ويحرق بذلك الدور بما فيها من الحيوان والأموال ، ويقرض دفاتر الحساب والعلوم والوثائق والصكاك فتفوت حقوق الناس ، وتقرض الثياب النفيسة والجراب والزق فيسيل ما فيها ، ويأكل المائعات ويرمى فيها بعره حتى يفسدها على الناس ، وربما وقعت فى بئر فماتت فيها فتحوج الناس إلى مشقة عظيمة ، وإذا خدش الإنسان نمر أو سبع يطلب الفأر، فإن كان من النمر يذر عليه التراب وإن كان من الكلب يبول عليه فإن ذلك الإنسان يموت عاجلا . وذهب بعضهم إلى أن الفأرة عدمت قوة الحافظة لأنها تخرج من بيتها ترى السنور فترجع ثم تخرج عقبها ولم يبق معها علم أن السنور على باب بيتها . وقال بعضهم : كيف يصح أن يقال لاحافظة لها مع لطائف حيلها وشدة اهتمامها بأمر المعيشة وادخارها ليوم الحاجة وعلمها بأن الغلال لا تترك فى الآبار فتأخذ منها ما تقدر عليه لوقت عجزها عن الكسب . ومن لطائف حيلها أن الدهن إذا كان فى قارورة ضيقة الرأس تجعل ذنبها فيها وتلطخه بالدهن حتى تلحس جميع ما فيها . ومنها أن الدهن إذا كان فى القارورة إلى نصفها ترمى فيها الحصاة حتى يخرج إلى رأسها وتشربه . ومنها إذا أرادت أخذ البيضة تحضن البيضة وتمسكها بأربعتها وتأخذ فأرة أخرى بذنبها تجذبها إلى البيت ومنها إذا أرادت أخذ الجوز تأخذها فأرة وتجعلها على ظهر أخرى وتلف عليها ذنبها وتحفظها بالذنب وتمشى بها إلى بيتها . ومنها أن إحداها إذا وقعت فى ظرف فيه ماء لاتقدر على الخروج منه فتأتى الأخرى وتمسك بيدها طرف الإناء وترسل ذنبها إليها حتى تتعلق بها وتخرج ،

ولم نر قتالا بين بهيمتين ولا سبعين أشد مما يجرى بين جرذين إذا ربط أحدهما فى طرف خيط والآخر فى الطرف الآخر فعند ذلك يظهر لهما الخدش واللغط فإذا انحل الخيط ولى كل واحد منهما عن صاحبه ، ومنها صنف يقال له العربى يحب الدراهم والدنانير ويلعب بها وكثيرا ما يخرجها واحدا واحدا ويتمرغ عليها ويعيدها واحدا واحدا .

(وحكى) بعضهم أنه كان فى بيته فأرة لقى منه التباريح . قال : فنصبت لها مصيدة فوقعت فيها فانتظرت سنورا يصطادها فاستبطأ زوجها رجوعها فخرج خلفها فى طلبها فرآها فى المصيدة فعاد وأتى بدينار وتركه عند المصيدة ثم تأخر وانتظر ساعة ثم ذهب وأتى بآخر وتأخر وهكذا كلما أتى بدينار لبث زمانا يطمع أنى آخذ الدنانير وأخلصها له فلما رآنى لم أخلصها أتى بآخر حتى أتى فى المرة الأخيرة بخرقة فعلمت أنه أخرج جميع ما كان عنده من الدنانير فخلصتها وأخذت الدنانير . ومنها نوع يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب النافقاء والقاصعاء يحفر جحرا ذا عطفات كثيرة يمينا وشمالا وصعودا ونزولا تخفى مكانها ، فإن دخل عليها ابن عرس أو ضب أو ظربان لا يظفر بها لكثرة عطفاتها واعوجاجها وبجحرها أبواب كثيرة ، ولليرابيع رئيس يخرج من البيت أولا ويرى الفضاء فإن لم يكن عدو صاح حتى يخرج الفأر كلها وإن رأى عدوا عاد وأخبر الباقين حتى لايخرج شىء منها وإن لم يكن عدو خرج الرئيس وصعد موضعا عاليا كالديوان والفأر تخرج بعده تذهب يمينا وشمالا تطلب القوت فما حصل لها تأتى منه بنصيب للرأيس ، وإذا رأى الرئيس عدوا صاح برفع صوته حتى يرجع الفأر إلى بيوتها فإن غفل الرئيس حتى أتى العدو وأخذ منها شيئا بغتة اجتمعت الفأر كلها على الرئيس وأكلته . ومنها صنف يقال له الخلد خلقه الله تعالى أكمه يكون فى البرارى حاسة سمعها شديدة إذا أحست بشىء عادت إلى بيتها . وذكروا أن الخلد الأنثى إذا حبلت يموت الذكر ، وإذا أرادوا صيدها تركوا على باب بيتها شيئا من البصل فإنها تخرج لرائحته فيأخذها الصياد . ومنها صنف يقال له فأرة المسك توجد فى أرض تبت فى موضع يقال له الدفر . سرة هذه الفأرة مسك كما للغزلان فالصياد إذا صادها يشد صرتها حتى يجتمع فيها الدم وذلك خير من مسك الغزال حتى قالوا يسوى عشرة من أمثالها لما فيها من طيب الرائحة وحدتها . ومنها صنف يقال له ذات النطاق وهى فأرة مشهورة منطقة ببياض أعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهى التى تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل . ومنها صنف يسمى فأرة البيش . قال بعضهم : إنها دويبة تشبه الفأر وليست تسكن إلا منابت البيش تأكل منه وتتغذى به ، والبيش سم قاتل منه شىء يسير وهو حشيش ينبت بأرض الهند . ومنها صنف يقال له اليربوع وهو الفأر البرى صاحب القاصعاء والنافقاء يحفر جحرا فيه عطفات كثيرة ويحفرها إلى أسفل مستقيمة ثم يذهب يمينا وشمالا وصعودا ونزولا ويخفى

مكانه فيه بسبب اعوجاجه وعطفاته فإذا قصده شيء من أعدائه كابن عرس أوضب أوظربان لايظفر به لأنه متى أحس بالشر من جهة ذهب إلى خلاف تلك الجهة ، ولجحره أبواب ولليرابيع رئيس إذا أرادت اليرابيع الخروج من أجحرتها خرج الرئيس أولا ونظر فإن لم يرعدوا رفع صوته ليخرج الفأر وإن رأى عدوا رجع إلى جحره ومنعها من الخروج وإذا خرج يصعد موضعا عاليا كالديوان ، واليرابيع تسعى يمينا وشمالا تطلب القوت فما وقع بيده من الحب وغيره يأتى بنصيب منها للرئيس، وإذا رأى الرئيس عدوا رفع صوته حتى يرجع كل واحد إلى بيته فإن غفل الرئيس عن العدو حتى أتاه العدو بغتة وأخذ من اليرابيع شيئا هربت البقية وعادت إلى أماكنها سالمة ثم اجتمعت على عزل رئيسها وإهلاكه ونصبت رئيسا غيره. ومنها صنف يقال له سمندل يشبه الفأر وليس بفأر يوجد ببلاد غور تدخل النار ولا تحترق ثم تخرج من النار وقد ذهب وسخها وصفا لونها وزاد بريقها ولا يتأذى شعرها ولا جلدها ولا لحمها من النار ، فسبحان من لا يعرف دقائق حكمته ولطائف صنعه إلا هو ، والملوك يتخذون من جلودها منديل الغمر لأنه فى غاية النعومة يمسحون به أيديهم فإذا توسخ يلقونه فى النار ليذهب وسخه ويخرج نظيفا. وذكروا أن من أخذ جرذا وقطع ذنبه وخصاه ثم أطلقه يأكل الجرذان والفيران أكلا ذريعا لا يغلبه شيء حتى الهرة وابن عرس وتحدث فيه شجاعة وجرأة وإقدام . وأصحاب الأنابير والبيادر عرفوا ذلك فيأخذونه ويقطعون ذنبه ويسيبونه فلا يترك جرزا ولا فأرا ، ومن شق فأرة وجعلها على موضع النصل أو الشوك يخرجه ، وتحرق الفأرة وتسحق وتخلط بالدهن ويطلى به الموضع الصلع ينبت الشعر .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(رأسه) يشد فى خرقة كتان على رأس المتألم يسكن وجعه وينفع من الصرع . (عينه) تشد على قلنسوة إنسان يسهل عليه المشى ، وإذا دخل على أحد يغفل عنه أكثرهم ، وإذا علقت على من به حمى الربع أبرأته (مرارة السمندل) تسقى لمن به جزام يزول عنه. (دمه) يطلى به القضيب يقوى على الباه تقوية عظيمة (دم الفأر) ينتف الشعر الذى على الأجفان ويطلى بهذا الدم لا يرجع ينبت . (شحمه) بذاب ويخلط بدهن الورد ويطلى به الكلف يزيله . (لحمه) إذا شوى وأطعم لصبى انقطع سيلان اللعاب من فمه. (خصيته) تشد على المرأة لاتحبل مادامت معها . (ذنبه) يشد على المصروع يزيله . (جلد الفأر) يحشى بالتبن ويعلق فى البيت يهرب الفأر عنه . (بعره) يخل بالزيت ويطلى به الرأس يذهب بداء الثعلب ويتخذ من بعر الفأر والحنظل والبورق والسكر الأحمر أشياء يحتمله صاحب القولنج ينفتح فى الحال ، بعر الفأر مع العسل يطلى به على الطفرة التى فى عين الفرس تزول بالكلية ، ويسقى الصبى الذى فى مثانته حصاة يفتتها ، ويسقى صاحب عسر البول يطلق ، وإذا اكتحل ببعر الفأر نفع من بياض

العين. (سؤر الفأر) يورث النسيان كما قال صلى الله عليه وسلم « خمس تورث النسيان، وعد منها سؤر الفأر » والله أعلم .

(فراش) هو الحيوان الذى يتهافت على السراج ويحترق . زعموا أنها دعموص فى أول أمرها فإذا نبتت أجنحتها صارت فراشا، والدعموص هو العاق الصغير . وقال آخرون: إنها دودة حمراء توجد فى البقل يقال لها اليرسوع تنسلخ فتصير فراشا ، وسبب وقوعها على النار ما ذكر بعضهم أن بصرها ضعيف فإذا رأت السراج تظن أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى نفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصل الكوة فتعود إليها مرة ثانية فتفعل ذلك إلى أن تحترق .

(حدث) خفيف السمرقندى صاحب المعتضد بالله أمير المؤمنين إنه كثر الفراش على الشمع المسرج بين يدى الخليفة فى بعض الليالى فجمعناه فكان مكوكا ثم ميزناه فكان اثنين وسبعين شكلا.

(فسافس) قال الشيخ الرئيس : هو حيوان كالقراد يكون فى الأسرة شديد النتن جدا يشبه أن يكون المعروف عندنا بالبق . قال : إذا أشرب بالخل أخرج العلق المتشبث فى الحلق وإذا شمت المرأة منه نفع من اختناق الرحم ، وإذا سحقت وجعلت فى ثقب الإحليل نفعت من عسر البول ، وإذا أخذت منها سبعا وجعلتها فى باقلا وابتلعت قبل نوبة حمى الربع نفعت أو إن جعلت من غير باقلا نفعت من لسع جميع الهوام .

(قمل) يتولد من العرق والوسخ فى بدن الإنسان إذا علاه ثوب أو شعر لأن العرق يتعفن من دفاء الثوب أو الشعر فيتولد منه القمل ، ثم القمل يبيض وبيضه الصئبان فإذا باضت التصقت بيضتها بالموضع إلصاقا لا يمكن إزالتها إلا بالشدة، ويتولد فى الشعر الأسود قمل أسود وفى الشعر الأبيض قمل أبيض وفى الشعر الأحمر قمل أحمر وفى الأشمط شىء أسود وشىء أبيض، وإذا تولد فى شعر رأس الإنسان يصفر لونه . قالوا : من أراد أن يعلم ما فى بطن الحامل غلاما أو جارية يحلب شيئا من لبنها على الكف ويلقى فيه قملة فإن لم تقدر على الخروج ففى بطنها غلام وإن قدرت على الخروج ففى بطنها جارية ، لأن لبن الغلام غليظ ولبن الجارية رقيق لا يمنع القمل من الخروج .

(قنفذ) الحيوان الذى يقال له بالفارسية خاربشت سلاحه على ظهره وهو الشوك الذى عليه ويتقنع بحيث لا يبين من أطرافه شىء ويستطيب الهواء ويتخذ لمسكنه بابين أحدهما مستقبل الشمال والآخر مستقبل الجنوب، ويعادى الحية فإن ظهر بقفاها قتلها بأسهل طريق وإن ظفر بذنبها عض ذنبها ويتقنع ويعطى الحية ظهره ويمضغ ذنبها والحية تضرب نفسها على شوكه حتى تهلك ، ويصعد الكرم ويرمى حبات العناقيد إلى الأرض ثم ينزل ويتمرغ فيها ليدخل شوكه فى الحبات فيحملها ويذهب بها إلى أولاده ، ومنها صنف يقال له الدلدل هو أكبر

جسما من القنفذ وأطول جسما، نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر . قالوا : أى موضع أراد أن يرمى إليه شوكة من شوكه يرميه كرمى النشاب ولا يخطئ شيئا فتمر الشوكة كمر السهم المشدد وتثبت فيه .

(فصل فى خواص أجزائه)

(عينه اليسرى) تقلى بالزيت وتؤخذ بطرف الميل وتصب فى أذن الأطرش يزول طرشه (مرارته) ينتف الشعر ثم يطلى موضعه بها فإن الشعر عليه لاينبت أبدا وتخلط هذه المرارة بشىء من الكبريت ويطلى به البهق يزيله . (طحاله) يشوى ويطعم المطحول فإنه على قدر مايطعم منه يخف طحاله. (كليته) تجفف وتسحق ويسقى منها قدر درهم بماء الحمص الأسود المغلى المصفى فإنه ينفع لعسر البول . (دمه) يطلى به عضة الكلب الكلب فإنه يسكن ألمه ويأمن صاحبه من الموت . (لحمه) قال الشيخ الرئيس : المصلح منه ينفع من داء الفيل والجذام ، وهو جيد لمن يبول فى الفراش من الصبيان ، وينفع من نهش الهوام كلها ومن البرص والسل والتشنج والرياح كلها . (جلده) يحرق ويخلط بالزفت ينفع من داء الثعلب . (خصيته) إن كانت الدلدل يؤخذ نضيجاً وتخلط بالعسل الشهد وتؤكل فإنها تزيد فى الباه وتعين عليه . (وظفره) من يده اليمنى يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع تزول حماه ، ورماد القنفذ إذا أحرق كما هو ويحشى به الناصور فإنه يبرأ .

(نبر) دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وينتفخ وربما يكون ذلك سبب هلاكه ، ولما أراد الشاعر أن يذكر مسمن إبله قال :

حمر تحقنت النجيد كأنما بجلودهن مـدارج الأنبار

(نحل) حيوان ذو هيئة ظريفة وخلقة لطيفة وبنية نحيفة وسط بدنه مربع مكعب ومؤخره مخروط ورأسه مدور مبسوط وركب فى وسط بدنه أربعة أرجل ويدان متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة وقد جعل فى هذا النوع الملك المطاع يقال له اليعسوب يتوارث الملك عن آبائه وأجداده فإن اليعاسيب لاتلد إلا اليعاسيب ، ومن العجب أن اليعسوب لايخرج من الكور لأنه إن خرج خرج معه جميع النحل فيقف العمل ، وإن هلك اليعسوب وقفت النحل لاتعمل شيئا فتهلك عاجلا ، واليعسوب أكبر جثة يكون بقدر نحلتين وهو يأمرهم بالعمل يرتب على كل أحد مايليق به ، يأمر بعضها ببناء البيت ، ويأمر بعضها بعمل العسل ، ومن لايحسن العمل يخرجها من الكور ولا يخليها فى وسط النحل ، وينصب بوابا على باب الخلية ليمنع دخول ماوقع على شىء من القاذورات .

(وأما) اتخاذ بيوتها مسدسة فمن أعجب الأشياء والغرض من المسدسات المتساوية الأضلاع الخاصية يقصر فهم المهندس عن إدراكها ، ولا توجد تلك الخاصية فى المربع ولا فى المخمس

ولا فى المستدير ، وهى أن أوسع الأشكال وأجودها المستدير وما يقرب منه ، أما المربع فيخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى خالية ، ولو بناها مستديرة لبقى خارج البيوت فرج ضائعة ، فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لاتجتمع متراصة ولا شكل من الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لاتبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس ، فانظر كيف ألهمها الله تعالى ذلك وجعل لها اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع على ضلع ولا ينقص ، ويعجز عن هذا التساوى المهندس الحاذق بالفرجار والمسطرة فتعمل النحل فى فصلين فى الربيع والخريف ، فتأخذ بالأيدى والأرجل من ورق الأشجار وزهر الثمار والرطوبات الدهنية التى تبنى بيوتا ، ولها شفران حادان تجمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات .

(لطيفة) عجزت عقول الأكثرين عن معرفتها على طبائع وخلق فى جوفها قوة طابخة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا غذاء لها ولأولادها وما فضل عن غذائها تجعله مخزونا فى بعض البيوت وتغطى رأسها بغطاء رقيق من الشمع حتى يكون الشمع محيطا به من جميع جوانبه كأنه رأس البرنية مسدودة بالقراطيس وأخر ذلك لوقت الشتاء ، وتبيض فى بعض البيوت وتحضن وتفرخ وتأوى إلى بعض بيوتها وتنام فيها أيام الصيف والشتاء ويوم المطر والريح والبرد ، وتتقوت من ذلك العسل المخزون هى وأولادها يوما فيوما لا إسرافا ولا تقتيرا إلى أن تنقضى أيام الشتاء ثم تأتى أيام الربيع ويطيب الزمان ويخرج النور والزهر فترعى منه وتفعل كما فعلت عام الأول ولم يزل هذا دأبها بإلهام من الله تعالى كما قال — وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس — فسبحان من جعل فضائل غذائها سببا لشفاء الأبدان وجعل وسخ غذائها ضياء فى ظلم الليالى ، ومن العجب أن الخلية إذا دخن عليها لأخذ العسل أحست النحل بذلك وبادرت إلى أكل العسل تأكله أكلا ذريعا . وحكى بعضهم أن خلية من خلايا العسل مرض نحلها فجاء نحل خلية أخرى يقاتلها على العسل الذى فى بيوتها يريد إخراجها من الخلية ليستولى على عسلها فأقبل قيم الخلايا يعاون النحل الغريب فكان يلسعه النحل الغريب دون المريض كأنها عرفت أنه يدفع عنها أما العسل فإنه رطوبة فى أعماق الأنوار ولطيف الثمار يرشفها النحل يتغذى ببعضها ويدخر بعضها لأيام الشتاء وقت لايجد الغذاء خارجا ، وقالوا : إن العسل الأبيض عمل شبانها والأصفر عمل كهولها والأحمر عمل شاباتها ، وهو شفاء للناس على ماقال تعالى ، فالمحرور المزاج يتخذه مع غيره لدفع الحرارة كالسكنجبين والمبرود المزاج يتخذه وحده لدفع البرد .

(ومن خواص العسل) أن كل شىء يتسلرع الفساد إليه فإذا تركته فيه يبقى بحاله ولا يتعفن ولا يؤثر فيه الفساد ، ويؤخذ العسل الذى لم يصبه ماء ولا دخان ويخلط بشىء

من المسك يمنع من نزول الماء اكتحالا ، والتلطخ به يقتل القمل والصئبان ، ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم القتالة ، ومن العسل صنف حريف : قالوا إنه سم وشمه يذهب العقل فكيف أكله ، وأما الشمع فإنه حدرات بيوت النحل التى تبيض وتفرخ فيها وتجعلها خزانة للعسل ، وأما الموم فإنه وسخ كور النحل من خاصيته جذب السلاء والشوك ، وزعموا أن من استصحب اللوم يورثه الغم ولايحتلم .

(نمل) حيوان حريص على جمع الغذاء ولغاية حرصه يحمل ما يكون أثقل منه ويعاون بعضها بعضا على الجذب ويجمع من الغـذاء مايكفيه سنين لو عاش ، ولـكن عمره لايكون أكثر من سنة . قال النسابة البكرى : للنمل جدان فارز وعقفان ففارز جد السود وعقفان جد الحمر ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف طبقات منعطفات يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء وتجعل بعض بيوتها منخفضا لينصب إليها الماء وبعضها مرتفعا ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن فضلك اللهم لاتؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا ينبت لنا شجرا وتطعمنا منه ثمرا ، فقال سليمان عليه السلام لقومه : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم » ومن عجائبه أنه مع لطافة جسمه وشخصه وخفة وزنه له شم ليس لشىء من الحيوان مثل ذلك فإذا وقع شىء من يد الإنسان فى موضع لايرى فيه شىء من النمل فلا يلبث أن يقبل النمل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشىء وإذا وجدت واحدة شيئا لاتقدر على حمله أخذت منه قدر ماتقدر عليه وأخبرت الباقين ، فتجتمع عليه جماعة يجرونه بجد وعناء ، وإذا جمعت الحب فى بيتها خافت أن ينبت فتقطع حبة قطعتين لتذهب عنها قوة النبت وتقطع حبة الكزبرة أربع قطع لأن نصفها ينبت ، وإذا كان عدسا أو شعيرا أو باقلا تقشرها ولا تكسرها فإن بالتقشير يذهب عنها قوة النبت ثم تأتى بقطعها وتبسطها فى الشمس حتى تزول عنها النداوة فلا يتعفن ، وإذا أحست بالغيم ردتها إلى مكانها خوفا من المطر ، وإذا ابتل شىء منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لتزول عنه النداوة ، ومن عجائبه أنه لايتعرض لجعل ولا جرادة ولا صرصر ولا عقرب مالم يكن به عقر أو قطع يد أو رجل فإن أصابه شىء منها وثبت عليه وهو حى ولا يفارقه حتى يقتله وهكذا تفعل بالحيات والثعابين إذا أصابها خدش أو جراحة ، وإذا أحرق النمل يموت من دخانها الباقى أو تهرب ، وعند هلاكها ينبت لها جناحان لأن العصافير يصطادها ، ومن سقى من بيظ النمل نصف درهم لايملك أسفله ، ويغلبه الضراط وإذا طلى البدن بمسحوقه مخلوط بالماء لاينبت الشعر ، وإذا نثرت بيظ النمل بين قوم تفرقوا شذر مذر .

(ورل) هو الحيوان العظيم من أشكال الوزغ وسام أبرص الطويل الذنب الصغير الرأس ، وهو سريع السير خفيف الجركة عدو للضب والحية يدخل بيتها ويأكلها ، وليس شيء أقوى على قتل الحيات منه ولا يحتفر لنفسه بيتا بل يغتصب من كل حيوان بيته لأنه أى بيت دخله هرب ساكنه ، ويغصب بيت الحية من الحية كما تغتصب الحية بيت سائر الأجناس الأخر .

(فصل : فى خواص أجزائه)

(لحمه وشحمه) يسمن طبقات النساء وفيه قوة جذب للسلا والشوك (جلده) يحرق ويخلط رماده بدردى الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب عنه ذلك ؛ (زبله) ينفع من الكلف والنمش ويكتحل به ينفع من بياض العين ويقلع الثآليل ، والله الموفق للصواب بمنه وكرمه .

(خاتمة : فى حيوانات عجيبة الأشكال)

وهى حيوانات يخالف أشكالها أشكال الحيوانات المعهودة أذكر بعضها فى أقسام ثلاثة :

(القسم الأول أمم غريبة الأشكال) خلقها الله تعالى فى أكناف الأرض وجزائر البحار. (منها) يأجوج ومأجوج وهم أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى طول أحدهم نصف قامة رجل ولهم أنياب كما للسباع ومخاليب مكان الأشفار وهلب عليه شعر . (ومنها) منسك وهم فى جهة المشرق بقرب يأجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة كل أذن مثل كساء يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى . (ومنها) أمة فى بعض الجبال بقرب سد الإسكندر قصار القدود عراض الوجوه سود الجلود فيها نقط بيض وصفر طول كل واحد خمسة أشبار يتوحشون من الخلائق ويتسلقون الأشجار (ومنها) أمة بجزيرة الزنج على صورة الإنسان يتكلمون بكلام لا يفهم ويأكلون ويشربون كالإنسان ولهم أجنحة يطيرون بها وهم بيض وسود وخضر. (ومنها) أمة بجزيرة الرامنى عراة لا يفهم كلامهم شبيهة بالصغير طول أحدهم أربعة أشبار ولهم شعور وزغب أحمر . (ومنها) أمة فى بعض جزائر الزنج قاماتهم قدر ذراع وأكثرهم عور وعورهم لمحاربة الغرانيق تأتيهم وتحاربهم كل سنة فتقتل منهم ماشاء الله. (ومنها) أمة فى جزائر البحر وجوههم كوجوه الكلاب وسائر بدنهم كبدن الناس يتقوتون بثمار أشجار تلك الجزيرة ، فإن وجدوا شيئا من الحيوانات أكلوه . (ومنها) أمة فى هذه الجزيرة على صورة الناس كأحسن مايكون ولا عظم فى أرجلهم فيزحفون زحفا فإذا وجدوا إنسانا ماشيا قفزوا على رقبته ولوى من الرقبة رجليه على ذلك الماشى فإذا عالجه طرحه وخمشه فى وجهه وسخره كما يسخر أحدنا دابته . (ومنها) أمة فى بعض الجزائر لها أجنحة وخراط دقيقة وشعور يمشى على رجلين وعلى أربعة ويطير أيضا قيل إنهم صنف من الجن

(ومنها) أمة طوال القدود زرق العيون ذوات أجنحة خفاف النهضة رؤوسهم كرؤوس الخيل وأبدانهم كأبدان الناس . (ومنها) أمة لها رأسان وثمانى أرجل رأس وأربع نحو الأرض ورأس وأربع نحو الهواء . (ومنها) أمة على صورة النساء لها شعور وثدى لافحل فيهن يلقحن من الريح ويلدن أمثالهن ولهن أصوات مطربة يجتمعن عليهن الحيوانات لطلب أصواتهن . (ومنها) أمة رءوسها رؤوس الناس وأبدانها أبدان الحيات . (ومنها) أمة فى بعض جزائر الصين لارأس لأبدانهم وأفواههم وعيونهم على صدورهم وسمعت أن واحدا من هذه الأمة جاء رسولا إلى عظيم التتار (ومنها) أمة لها وجوه كوجه الإنسان وظهورهم كظهر السلحفاة وعلى رؤوسها قرون طوال . (ومنها) أمة يقال لها النسناس لأحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد ورجل واحدة كأنه إنسان قد نصفين يقفز قفزا شديدا وإنه يوجد فى غياض أرض اليمن وهو ناطق ، والله الموفق .

(القسم الثانى : فى الحيوانات المركبة) التى تتولد من حيوانين مختلفى النوع ولذا يكون شكلا عجيبا بين هذا وذاك فاعتبر حال البغل فإنه مامن عضو منه إلا وهو دائر بين عضو الفرس وعضو الحمار فإذا كان الذكر حمارا كان بالفرس أشبه وإن كان الذكر فرسا كان بالحمار أشبه . (ومنها) المتولد بين الضبعان والناقة والبقر الوحشية وهو الزرافة فإنه متولد بين الثلاثة ، وقد جرى ذكرها فى ذكر الحيوانات فلا نعيده . (ومنها) المتولد من الخيل وبقر الوحش وقد رأيته وكان بغلة فى غاية الحسن .

(وحكى) أنه كان لكسرى أزدشير حصان اسمه أجدر توحش ولحق بالغابات وضرب فيها فأتت بنوع من الحمير يقال له الأجدرية . (ومنها) المتولد من الإبل الفالج والغراب وتسمى البختى وهو أحسن أنواع الإبل صورة والفالج هو الذى له سنامان . (ومنها) المتولد من الإنسان والدب . حدثنى من رآه أن جميع أعضائه كأعضاء الإنسان إلا أنه يكون عليه شعر كما يكون على الدب ويكون ناطقا . (ومنها) المتولد بين الذئب والضبع وهو شكل عجيب جدا إن كان الذكر ضبعا يقال له السمع وإن كان الذكر ذئبا يقال له العسبارة . (ومنها) المتولد بين الكلب والذئب يقال له الديسم ، قيل إن الكلاب يسفدها الذئاب بأرض سلوقة باليمن فيتولد منها الكلاب السلوقية . (ومنها) المتولد من الحمام والورشان وهو أيضا شكل عجيب يقال له الراعبى ، والله أعلم .

(القسم الثالث : فى حيوانات عجيبة الصور) زعم الأطباء أنه إذا تولد من الحيوانات شكل غريب يكون ذلك مقتضى مزاج غريب لايحدث إلا نادرا ، وزعم المنجمون أنه مقتضى مزاج غريب . (منها) ماروى عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم وكان لايوصف طوله وعظمه ، وعمره الله تعالى عمرا طويلا حتى أدرك زمان موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان قد أدرك نوحا عليه الصلاة والسلام أيضا قبل ذلك وسأل نوحا

أن يحمله فى السفينة فقال له من يحملك؟ اغرب ياعدوا الله عنى فكان ماء الطوفان إلى وسطه، وكان جبارا فى خلقته وأفعاله يسير فى الأرض برا وبحرا ويفسد ماشاء، ولما حصل بنو إسرائيل بأرض التيه اطلع عليهم ووقف مشرفا على عسكرهم حتى عرف طوله وعرضه فمضى إلى أعظم جبل بقربهم ونقر منه دومة على قدرهم ثم احتملها على رأسه يريد أن يطبقها على بنى إسرائيل ليهلكوا جميعا فبعث الله طيرا فى منقاره حجر فوضعه على الحجر الذى على رقبة عوج فنقب وسطه فنزل فى عنق عوج، فأخبر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج إليه بعصاه وضربه بها فقتله، (ومنها) ماحدثنى بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد فى الأكراد وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل فى زماننا إنسانا طوله تسعة أذرع وهو بعد صبى مابلغ الحلم، وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه. وأراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له أن فى عقله خبلا لايصلح لذلك. (ومنها) ماذكره أبو سعيد الشيراجى عن بعض الكتاب أنه قال: دخلت على يحيى بن أكثم القاضى وإلى جانبه قمطر فيه طائر على صورة الزاغ برأس كرأس الإنسان وعلى صدره وظهره سلعتان، فقلت له ماهذا أصلحك الله؟ فقال لى سله عنه، فقلت ما أنت فانتهض وأنشد بلسان فصيح وجعل يقول:

أنا الزاغ أبو عجوه أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا ن والنشوة والقهوه
ولى أشياء تستظـ رف يوم العرس والدعوه
فمنهـا سلعة الظهـ ر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الأخرى فلو كانت لهـا عروه
لمـا شك جميع النا س فيهـا أنها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ وانطرح فى القمطر، فقلت أيها القاضى هو عاشق؟ قال هذا ماترى لاعلم به حمل إلى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله. (ومنها) ماروى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه قال: دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيد ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان، ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الجسدين، فتوفى وربط من أسفله بحبل وشد وترك حتى ذبل ثم قطع فعهدى بالجسد الآخر فى السوق ذاهبا وجائيا. (ومنها) دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة أرجل فسبحان القادر على ما يشاء.

(وليكن) هذا آخر الكلام فى عجائب المخلوقات والحيوان والله تعالى أعلم، وأسأله سبحانه أن يجعل عاقبته إلى خير بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

(ولنذكر) صور الملائكة وملابسهم وألوانهم عما ورد من مؤلف الكتاب يحيى ابن زكريا القزوينى رحمه الله تعالى:

(الباب الأول) حملة العرش صلوات الله عليهم أربعة صور : آدمى وبقر ونسر وأسد .

(فالآدمى) ملبوسه جبة خضراء وفوق الجبة الخضراء جبة حمراء قصيرة وبسراويل من الذهب ومشد فى وسطه وردى اللون وجناحاه واصلة إلى رجليه وذؤابتا شعر أسود إلى جناحيه ولجناحيه ثلاثة ألوان كل واحد منها أزرق وأحمر وأصفر ، وعمامته بيضاء مرصعة بالذهب وله ذؤابة منها من قفاه إلى رأس جناحه وزيق جبهته الحمراء مرصع بالذهب ، وصورته أبيض اللون يميل إلى الحمرة ورجل من رجليه على رقبة الأسد والأخرى على ذنبه ، والله أعلم بصحته .

(وأما البقر) فهو كبقر الدنيا إلا أنه أزرق اللون تميل زرقته إلى الغبرة شيئا يسيرا ، وظهره أسود ومن بين قرنيه إلى إحدى أذنيه نقطة سوداء ، ورقبته من بين يديه وهو الزور إلى تحت حنكه أسود من أسفل لاكل رقبته ، ويد من يديه مطوية والأخرى مستقيمة كالذى يريد النهوض بعدما اعتدل ، وقرناه أخضر فى غاية الطول والحسن ، وذنبه طويل معكوف ثلاث طيات فوق ظهره ونازل من فوق ظهره إلى طرفه إلى بين فخذيه ، ويده المستقيمة فوق رقبة الأسد لكن ماهى واصلة إلى رقبته ورجلاه فوق ظهر النسر لكن مرتفعة عنه لاملاصقة ، والله أعلم بصحته .

(وأما النسر) فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون لكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا ورؤوس أجنحته من الذهب ، وصدره أيضا ومنقاره أزرق ، والله أعلم بصحته .

(وأما الأسد) فهو أصفر اللون يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا وفاه مفتوح وخشمه عند منقار النسر ، والله أعلم بصحته ، والنسر والأسد وقوفهما على غاية الوقوف وغاية الاعتدال والله أعلم بصحته .

(الباب الثانى) صورة الملك الذى يقوم صفا والملائكة صفا ويسمى الروح عظيم جدا مايعلم كبر بدنه إلا الذى خلقه وهو أبيض اللون يميل إلى الحمرة وملبوسه أحمر وفوق الأحمر نمتانة وتاج وردى وخارج يديه منها ، وسرواله أخضر وليس لرجليه نعل بل حاف ، وله جناحان إلى أصل ساقه أطرافهما وكل واحد منهما به من الألوان أحمر وأصفر وأخضر وردى ، وعلى رأسه عمامة عظيمة بيضاء مرصعة بالذهب وبوسط العمامة من أعلا كتابة بالسواد ليس يعرفها إلا الذى صورها ، وله أيضا غرزة من قفاه ، وله قصيبتا شعر أسود كالحبر وفى أطراف أجنحته نقص شيئا يسيرا عنها وزيق نمتانته من الذهب وبرأس كل قصيبة من تحت أذنه كالعين مكتوبة من الذهب ، وله عينان وجناحان سود تبارك وتعالى من خلقها وهو أعلم بذلك .

(الباب الثالث إسرافيل) لونه كلون من قباله فى الباب الثانى لكنه أطول وجها وعيناه كعينه وملبوسه أخضر ، ومن فوق الأخضر نمتانة حمراء ، وله أربعة أجنحة مضى ذكرها قبل فلانعيده لكن الربع منها التثم به من تحت حنكه والصور قابضة بيديه ورأسه بفمه وعمامته كما للملك الذى يقوم صفا لكن غرزته من قبل وجهه وله قصيبة واحدة من قفاه واصلة إلى طرف جناحه الذى التثم به وبرأس القصيبة كالعين مكتوبة بالذهب وهو رافع رأسه بالصور إلى ربه والله أعلم بذلك .

(الباب الرابع جبرائيل) صلوات الله عليه أبيض الوجه يميل إلى الحمرة بشىء يسير ، وله قصيبات إلى أطراف أجنحته من كل جانب واحدة ، وهو ليس له نعال برجليه وملبوسه لا يوصف من كثرة ألوانه وحسن صنعته ، وعلى رأسه عمامة بيضاء كما للملك الذى يقوم صفا وها من الوجه طرف ومن القفا طرف ، وعينان وجناحان كما للملك الذى يقوم صفا ، تبارك الله أحسن الخالقين وما أحسن خلقته ، والله أعلم بذلك .

(الباب الخامس ميكائيل) صلوات الله عليه ولونه كلون جبرائيل ملبوسه أحمر وفوق الأحمر أزرق ونمتانته منقشة بنقش كالتاج وردى وهو متكئ وجهه على كتفه الأيسر وعيناه وجناحاه وذوائبه كما للملك الذى يقوم صفا وعمامته كعمامته لكن غرزته من قبل وجهه ، والظاهر من أجنحته أخضر ووردى وأبيض وأحمر والخفى لايعلمه إلا الله ، وعلى كتفه الأيمن تحت صليف أذنه بأصل قصيبته عين مكتوبة ومنحدرة على صدره إلى إبطه الأيسر بالذهب ، والله أعلم بذلك .

(الباب السادس عزرائيل) صلوات الله عليه لونه أبيض لكن يضرب إلى السمرة شيئا يسيرا وملبوسه وردى مخطط بأحمر وفوق هذا الملبوس نمتانة خضراء تميل للدكونة شيئا يسيرا وشد وسطه أحمر وعمامته كما للملك الذى يقوم صفا لكن أصفر شيئا يسيرا ، سرواله أزرق وأجنحته جناحان على ما رأينا فى الكتاب وألوانها أحمر وأصفر وأزرق وأبيض ، وله قصيبتان شعر أسود اليمنى نازلة على كتفه الأيمن وخارجة من خارج جناحه إلى طرفه باعوجاج والأخرى على الأيسر من داخل جناحه تقصر شيئا يسيرا عنه وبيده رمح برأسه خمس أسنة وهو جالس به كجلوس القواس الذى يرمى النشاب ، وهون الله علينا وعلى أمة سيدنا محمد جميعا غصص الموت ، والله أعلم .

(الباب السابع ملائكة السماء الدنيا) على صورة البقر ألوانها أسود وأبيض وقرونه زرق وطرف ذيله أسود وجميع محاركه سود والباقى أبيض ، والله أعلم .

(الباب الثامن ملائكة السماء الثانية) على صورة العقاب أسود اللون ليس بحالك السواد ورجلاه ومنقاره زرق وصدره ورؤوس أجنحته ذهب ، والله أعلم .

(الباب التاسع ملائكة السماء الثالثة) على صورة النسر وردى اللون أطراف ريشه سود لكن ورديته تميل إلى السواد شيئا يسيرا صدره وصدر أجنحته ذهب منقط ريشها بسواد ومنقاره ورجلاه زرق ، والله أعلم بذلك .

(الباب العاشر ملائكة السماء الرابعة) على صورة الخيل زرق الألوان وصفتها مثل الفرس الذى أراد النهوض فرفع يده ووضع الأخرى فى الأرض، والله أعلم بذلك .

(الباب الحادى عشر ملائكة السماء الخامسة) على صورة الحور العين ملبوسها جميع الألوان الحسنة ووجوهها بيض وحمر ولها عينان وجناحان وقصيبتان كالحبر الأسود ونعالها سود وأجنحتها كل جناح ثلاثة ألوان أحمر وأزرق وذهبى قصيباتها طوال إلى الرجلين بل أزيد والله أعلم ، وعلى رؤوسها معاصب بيض مرصعة بالذهب سبحان الخالق على ماخلق وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم .

(الباب الثانى عشر ملائكة السماء السادسة) على صورة الولدان ملبوسهم أحمر وردى اللون وتحت ذلك نوع آخر أزرق وقصيبته واحدة وعمامته بيضاء ، وله جناحان لونهما أخضر ورؤوسهما ذهب ومحازم ونعال فالمنشد وردى اللون يميل إلى السواد شيئا يسيرا والنعل أسود ، والله أعلم بذلك .

(الباب الثالث عشر ملائكة السماء السابعة) على صورة بنى آدم ملبوسهم أصفر وفوق الأصفر كالتمتانة وردى تميل إلى الحمرة والدكنة وقصائب سود غاية السواد وجناحان كل جناح لونان أحمر وأزرق وعمامة بيضاء والله أعلم بذلك ، وأجنحتها على أكتافها، سبحان الذى خلقهم ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه وشداد أوساطها أزرق .

(الباب الرابع عشر الحفظة) وهم الكرام الكاتبون كل واحد منهم بيده دفتر وبالأخرى قلم وهو على كتف الإنسان وجوههم بيض تميل إلى الحمرة ، وملبوسهم أزرق ولكل واحد منهم قصيبة شعر من ورائه لاغير وعمامة بيضاء ونعلان برجليها سود وأجنحتها كل جناح لونان أعلى الجناح ذهب مخطط بشىء من السواد شيئا يسيرا وباقى الجناح أحمر وخطط بيض فى وسطه ، وكل منهم واضع رأس قلمه بدفتره ينتظر الحسنات والسيئات ، والله أعلم .

(الباب الخامس عشر) هاروت وماروت فى بابل صفر الأجساد عراة كل منهما بنيان إلى ركبته أزرق اللون مشدودان بالحديد من أصول ساقيهما رؤوسهما إلى تحت وأرجلهما إلى فوق ، والله أعلم .

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع

كتاب حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين الدميرى

ويليه

كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

لزكريا القزوينى

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

القاهرة فى { ٣٠ ربيع أول ١٣٩٠هـ
٤ يونيه ١٩٧٠م

ملاحظ المطبعة
رجب علام

مدير الشركة
محمد محمود الحلبى

فهرس

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد القزوينى

صحيفة

٣ خطبة الكتاب
٥ فصل فيما لايستحسن الناظر فى هذا الكتاب :
المقدمة الأولى فى شرح العجب :
٨ المقدمة الثانية فى تقسيم المخلوقات :
٩ فصل فيما ذكره أهل السير المقدمة الثالثة فى معنى الغريب .
١٢ المقدمة الرابعة فى تقسيم الموجودات .
المقالة الأولى فى العلويات والنظر فيها :
النظر الأول فى حقيقة الأفلاك وأشكالها :
١٣ النظر الثانى فى نظرية القمر .
١٤ فصل فى الكلام على القمر
فصل فى زيادة ضوئه ونقصانه :
فصل فى خسوفه :
١٥ فصل فى خواص القمر وتأثيراته .

صحيفة

١٦ خاتمة فى المجرة :
١٧ النظر الثالث فى فلك عطارد .
فصل فى تسمية المنجمين لعطارد .
النظر الرابع فى فلك الزهرة :
فصل فى تسمية المنجمين الزهرة :
١٨ النظر الخامس فى فلك الشمس .
فصل فى الشمس :
فصل فى كسوفها .
١٩ فصل فى خواص الشمس
٢٠ النظر السادس فى فلك المريخ .
فصل فى تسمية المنجمين للمريخ :
النظر السابع فى فلك المشترى .
٢١ فصل فى تسمية المنجمين للمشترى :
النظر الثامن فى فلك زحل

صحيفة

٢١ فصل وسماه المنجمون النحس الأكبر :
النظر التاسع فى فلك الثوابت :
٢٢ فصل فى الكواكب الثابتة :
٢٣ فصل فى الصورة الشمالية كواكب الدب الأصغر
كواكب الدب الأكبر
٢٤ فصل فى خواص القطب الشمالى .
٢٧ فصل فى البروج الاثنى عشر .
٢٩ فصل فى الصورة الجنوبية
٣١ فصل فى فوائد القطب الجنوبى .
٣٣ فصل فى منازل القمر .
الشرطين — والبطين —
٣٤ الثريا — الدبران — الهقعة — الهنعة :
٣٥ الذراع — النثرة — الطرفة — الجبهة — الزبرة الصرفة :

صحيفة
٣٦ العواء - السماك - الغفر - الزبانا - الإكليل :
٣٧ القلب - الشولة - النعائم - البلدة - سعد الذابح
٣٨ الفرع الأول
الفرع الثانى
سعد بلع - سعد السعود - سعد الأخبية :
بطن الحوت .
٣٩ النظر العاشر فى فلك البروج .
٤٠ النظر الحادى عشر فى فلك الأفلاك .
٤١ النظر الثانى عشر فى سكان السماوات :
٤٢ حملة العرش :
٤٣ الروح الأمين :
إسرافيل .
جبريل الأمين .
ميكائيل .
عزرائيل :
٤٤ الكروبيون :
٤٥ ملائكة السبع سموات :
الحفظة .
المعقبات :
٤٦ منكر ونكير .
السياحون .
هاروت وماروت :

صحيفة
٤٧ الموكلون بالكائنات .
٤٨ النظر الثالث عشر فى الزمان .
القول فى الليالى والأيام
٤٩ فصل فى فضائل الأيام وخواصها :
٥٠ القول فى الشهور :
٥١ فصل فى شهور العرب .
٥٤ خاتمة فى معرفة أوائل هذه الشهور :
فصل فى شهور الروم :
٥٩ فصل فى شهور الفرس :
٦٣ القول فى السنين .
الربيع .
الصيف .
الخريف .
٦٤ الشتاء :
فصل فى بعض العجائب
٦٦ المقالة الثانية فى السفليات
فصل فى انقلاب هذه العناصر .
٦٧ النظر الأول فى كرة النار .
٦٨ فصل فى الشهب :
خاتمة :
٦٩ النظر الثانى فى كرة الهواء
فصل فى السحاب والمطر

صحيفة
٧٠ فصل فى الرياح :
٧١ القول فى أصول الرياح :
٧٢ فصل فى فوائد عجيبة .
فصل فى الرعد والبرق :
٧٣ فصل فى الهالة وقوس قزح :
٧٥ النظر الثالث فى كرة الماء .
٧٦ فصل فى صيرورة البحر من جانب الأرض :
٧٧ فصل فى أحوال عجيبة تعرض للبحار .
البحر المحيط .
٧٨ البحر الأبيض .
بحر الصين .
٧٩ فصل فى جزائر بحر الصين
٨١ فصل فى الحيوانات العجيبة .
٨٢ بحر الهند .
فصل فى جزائر هذا البحر :
٨٤ بحر فارس :
٨٥ فصل فى حيوانات هذا البحر :
٨٦ فصل فى جزائر هذا البحر
٨٧ فصل فى عجائبه .
٨٩ بحر القلزم .
فصل فى جزائره .
٩٠ فصل فى حيواناته .

صحيفة
٩٠ بحر الزنج .
٩٢ فصل فى حيوانات هذا البحر .
بحر المغرب .
٩٣ فصل فى جزائره .
٩٤ فصل فى حيواناته .
٩٥ بحر الخزر .
٩٦ فصل فى حيواناته .
٩٧ القول فى حيوان الماء .
٩٩ فصل فى خواص أجزائه
١٠٥ النظر الخامس فى كرة الأرض .
١٠٦ فصل فى اختلاف آراء القدماء فى هيئة الأرض
فصل فى مقدار جرم الأرض ومغمورها وخرابها .
١٠٧ فصل فى أرباع الأرض
فصل فى أقاليم الأرض
فصل فيما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف
١٠٨ فصل فى صورة السهل جبلا والبحر برا وعكسهما
١٠٩ فصل فى فوائد الجبال
١٢١ فصل فى تولد الانهار وخواصها

صحيفة
١٢٧ فصل فى تولد العيون والآبار وعجائبها .
١٣٢ فصل فى الآبار :
١٣٥ النظر فى الكائنات .
١٣٦ النظر الأول فى المعدنيات .
النوع الأول فى الفلزات
١٣٩ النوع الثانى فى الأحجار
١٥٩ القسم الثالث : فى الأجسام الدهنية .
١٦١ النظر الثانى فى النبات
١٦٢ القسم الأول فى الشجر
١٦٣ آبنوس — آس — أترج — أجاص أزدرخت — أم غيلان — بان
١٦٤ بطم — بلسان — بلوط — تفاح — تنوب — توت تين — جميز :
١٦٦ جوز — خسرودار — خروع ، خلاف ، خوخ ذار ، سيشعان .
١٦٧ دردار ، داب ، دمشت ، رمان .
١٦٨ زيتون .
١٦٩ سرو ، سفرجل ، سماق سندروس ، شباب .
١٧٠ شاهبلوط ، صندل ، صنوبر ، ضرر ، طرفا عرعر .

صحيفة
١٧١ عشر ، عفص :
١٧٢ فندق ، فليزهرج ، قرنفل .
١٧٣ قصب ، كافور ، كرم
١٧٤ كمثرى :
١٧٥ لاعية ، لبان ، لوز ليمون .
١٧٦ مشمش ، موز ٥
١٧٧ نارنج ، نارجيل ، نبق ، نخل .
١٧٨ ورد ، ياسمين .
القسم الثانى من النجوم
١٧٩ آذان الفأر .
١٨٠ أفسنتين ، أقحوان ، باقلا ، برشاوشان ، بصل .
١٨٢ بطيخ ، بنفسج ، بودانش ، بهار ، بيش
١٨٣ ترمس ، جاورس ، جرجير .
١٨٤ جزر ، حاج ، حاشا حرف ، حلبة ، حمص .
١٨٥ حنطة ، خبازى ، خربق .
١٨٦ خردل ، خس .
١٨٧ خيار ، جيزى ، دفلى
١٨٨ رازيانج ، ريباس .
١٨٩ ساوج ، سذاب ، سلق

صحيفة

١٨٩ سمسم ، سنبل .
١٩٠ شجر مريم ، شعير .
١٩١ شيح وشيلم ، صعتر عدس ، عظلم .
١٩٢ عنب الثعلب ، فجل عرفج ، فنحكشت .
١٩٣ قت ، قثاء .
١٩٤ قيصوم ، كاوزوان ، كتان ، كرفس .
١٩٥ كراويا ، كزبرة ، لبلاب .
١٩٦ لقاح ، لوبيا ، لينوفر
١٩٧ ماهيزهرج .
١٩٨ نسرين ، نعنع .
١٩٩ النظر الثالث : فى الحيوان .
٢٠٠ النوع الأول فى حقيقة الإنسان .
النظر الثانى فى النفس الناطقة .
٢٠٢ فصل فى نفوس عجيبة التأثيرات .
٢٠٣ قيافة الأثر .
٢٠٧ النظر الثالث فى تولد الإنسان .
فصل فى وضع الجنين فى الرحم .
٢٠٨ فصل فى وضع الحمل .

صحيفة

٢٠٨ النظر الرابع فى تشاريح أعضاء الإنسان .
٢٠٩ القسم الأول المتشابهة وهى أنواع .
النوع الأول فى العظام
« الثانى : فى الغضروف .
« الثالث فى العصب
« الرابع : الرباط
٢١٠ « الخامس ، اللحم .
« السادس : الشحم .
« السابع : الشرايين
« الثامن : الأوردة .
« التاسع : الثرب .
٢١١ « العاشر : الغشاء .
« الحادى عشر : الجلد .
« الثانى عشر : المخ
القسم الثانى فى الأعضاء المركبة .
الأول فى الرأس .
فصل فى العين .
٢١٢ الروح الباصرة .
٢١٣ فصل فى الآذان .
فى الأنف .
٢١٤ فى الشفة .
فى الفم .
اللسان ، الأسنان .

صحيفة

٢١٥ فصل فى اللحيين .
فصل فى الشعر .
النوع الثانى : العنق .
٢١٦ « الثالث : الصدر
« الرابع : اليد .
٢١٧ فصل فى الظفر .
النوع الخامس البطن
« السادس الظهر
٢١٨ « السابع الجنب .
٢١٩ الضرب الثانى من الأعضاء المركبة :
الأعضاء الباطنة :
وهى أنواع :
النوع الأول الدماغ .
« الثانى الرئة .
٢٢٠ « الثالث القلب .
« الرابع الكبد .
٢٢١ « الخامس المرارة .
« السادس الطحال .
« السابع المعدة .
٢٢٢ « الثامن المعى .
« التاسع الكلية .
« العاشر المثانة .
« الحادى عشر :
آلات التوليد .
٢٢٣ خاتمة فى تشبيه بدن الإنسان بمدينة .
٢٢٤ النظر الخامس فى القوى

صحيفة
٢٢٤ النوع الأول : القوى الظاهرة .
٢٢٥ فصل فى فوائد هذه القوى .
النوع الثانى : القوى الباطنية .
٢٢٦ فصل فى الفوائد العجيبة لهذه القوى فى أمر التغذية
٢٢٧ النوع الثالث : القوى المحركة .
٢٢٨ النوع الرابع : القوى العقلية .
فصل فى تفاوت الناس فى العقل .
٢٣١ النظر السادس : فى خواص الإنسان .
٢٣٣ النوع الثانى : من الحيوان والجن .
٢٣٤ فصل فى عجائب مكايد الشيطان .
٢٣٦ فصل فى ذكر بعض المتشيطنة .
٢٣٧ فصل فى حكايات عن الجن وما جرى لهم .
٢٤٢ النوع الثالث : من الحيوانات ، الدواب فرس .
٢٤٤ حمار الوحش .

صحيفة
٢٤٤ النوع الرابع : من الحيوانات النعم .
٢٤٥ إبل .
٢٤٧ بقر الوحش ، جاموس زرافة .
٢٤٨ ضأن .
٢٤٩ معز .
٢٥٠ ظبى .
٢٥١ إيل .
٢٥٢ النوع الخامس : من الحيوان ، السباع ، ابن آوى .
ابن عرس .
٢٥٣ أرنب .
٢٥٤ أسد .
٢٥٥ ببر ، ثعلب .
٢٥٧ خنزير .
٢٥٨ دب ، دلق .
٢٥٩ ذئب .
٢٦٠ ساد ، سنجاب ، سنور
٢٦١ سنور البر ، سرباس ، سادة ، وار ، ضبع .
عناق فالا ، فهد .
٢٦٣ فيل .
٢٦٤ قرد .
٢٦٥ كركند .
٢٦٦ كلب .
٢٦٧ نمر .

صحيفة
٢٦٨ النوع السادس : من الحيوان الطير .
٢٦٩ أبو براقش ، أبو هارون إوز .
٢٧٠ بازى ، باشق ، ببغا
٢٧١ بلبل ، بوم ، تدرج
٢٧٢ تبوط ، حبارى ، حدأة ، حمام .
٢٧٣ دراج ، ديك .
٢٧٤ خطاف ، خفاش .
٢٧٦ دجاجة ، رخمة .
٢٧٧ زاغ ، زرزور ، زمج
٢٧٨ سمانى ، سقر ، شاهين ، شفنين ، شقراق ، صاف ، صقر .
٢٧٩ طاوس ، طهوج ، عصفور .
٢٨٠ عقاب ، عقعق .
٢٨١ عنقاء ، غراب .
٢٨٢ غرنيق ، غواص .
٢٨٣ فاختة ، قبج ، قنبرة ، قطا .
٢٨٤ قمرى ، قوقيس ، كركى كروان ، اللقلق .
٢٨٥ مالك الحزين ، مكاء ، نسر .
٢٨٦ نعامة ، هدهد .
٢٨٧ وطواط ، يراعة .

صحيفة
٢٨٨ النوع السابع من الحيوانات : الهوام والحشرات .
أرضة .
٢٨٩ أفعى .
٢٩٠ برغوث ، بعوض ، ثعبان .
٢٩١ جراد ، حرباء .
٢٩٢ حلزون ، حية .
٢٩٣ خراطين ، خنفساء .
٢٩٤ دودة القز ، ديك الجن ، ذباب .

صحيفة
٢٩٥ الدرحرج ، رتيلاء .
٢٩٦ زنبور ، سام أبرص ، سلحفاة .
٢٩٧ صرصر ، صناجة ضب ، ظربان .
٢٩٨ عقرب ، عنكبوت .
٢٩٩ فأر .
٣٠٢ فراش ، فسافس ، قمل ، قنفذ .
٣٠٣ نبر ، نحل .
٣٠٥ نمل .

صحيفة
٣٠٦ ورل .
خاتمة : فى حيوانات عجيبة الأشكال .
القسم الأول : أمم غريبة الأشكال .
٣٠٧ القسم الثانى فى الحيوانات المركبة .
القسم الثالث فى حيوانات عجيبة الصور .
٣٠٩ صور الملائكة وملابسهم وألوانهم .

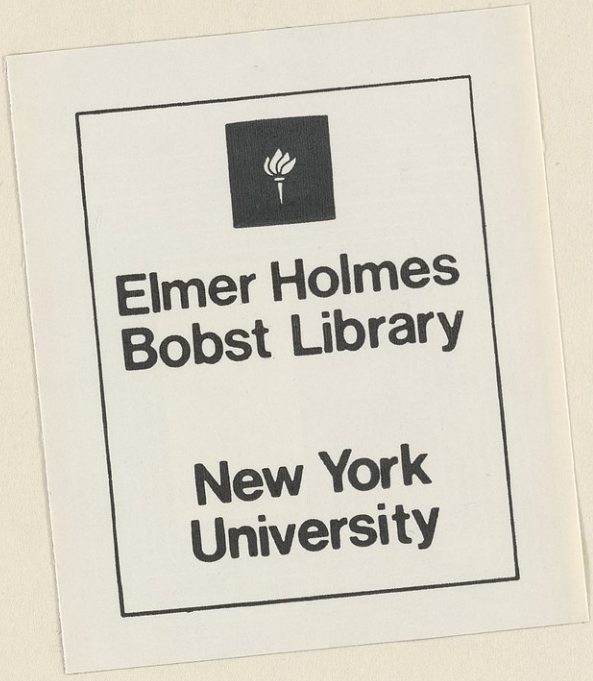
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University